

الجزء الأول من كتاب نفع الطبيب
من أعظم الأفاضل الربيع
وذكر وزيرها السيد
ابن الخطيب تأليف
العلامة المتري

رحمه

الله

م

كتاب
الوزير

(فهرسة الجزء الاول من كتاب نفع الطبيب من غصن الاندلس الرطب)

صفحة	
٢	أول خطبة الكتاب
٥	قصيدة سبحان من قسم الخطوط التي في شلال الخطبة
٨	إشارة الى أول رحلة المؤلف من بلاده
١٩	ركوب المؤلف البحر وأوصاف البحر والسفينة
٢٠	وصوله الى مصر المحروسة
٢٢	ذهابه الى الحرمين
٢١	ذهابه الى مصر ثم الى بيت المقدس
٢٢	رجوعه الى مصر
٢٣	ذهابه الى بيت المقدس
٢٣	ذهابه الى دمشق
٤٤	رجوعه من دمشق الى مصر المحروسة
٦٤	(القسم الاول) فيما يتعلق بالاندلس وفيه ثمانية أبواب
٦٤	(الباب الاول) في وصف جزيرة الاندلس وحسن هوائها واعتدال
	مراجعتها ووفور خيراتها واستوائها واشغالها على كثير من المحاسن
	واحتوائها وكرم بقعتها التي سقتها أسماء البركات بنافع أنوائها وذكر بعض
	مآثرها المجاوة الصور وتعداد كثير مما لها من البلدان والكرور المقتدة
	من أضوائها
٦٥	سبب تسميتها بالاندلس
٦٨	أول من سكن بالاندلس (وذكر هنا سببا آخر لتسميتها بالاندلس)
٦٩	الغرائب التي أصبحت في مغامرات الاندلس أيام فتحها
٧٠	خير اشبان الذي بنى اشبيلية
٧٣	مدينة غرناطة
٧٤	لوشة
٧٤	باغة
٧٤	وادي آس
٧٤	غرائب الاندلس
٧٥	ذكر قرطبة
٧٧	ذكر اشبيلية
٧٨	ذكر طابطة
٧٩	مدينة المريّة
٨٠	ذكر ندمير

الجواز البصرية	٨١
انشاء فيه مناظرة بين بلاد الاندلس	٨٢
مجلس أبي بكر الخزوي مع تزهون بنت القلاهي المروانية	٩١
حكاية عبد الوهاب الحاجب	٩٢
السور الذي تعمل منه القراء	٩٤
أصل العنبر	٩٥
ذكر عجائب الاندلس	٩٦
الكلام على قاعدة السلطنة بالاندلس	٩٩
قاعدة الوزارة بالاندلس	١٠٢
الكلام على الكتابة بالاندلس	١٠٢
خطة القضاء بالاندلس	١٠٣
خطة الشرطة بالاندلس	١٠٣
خطة الاحساب	١٠٣
خطة الطواف بالليل	١٠٣
قواعد أهل الاندلس في ديانتهم	١٠٣
حال أهل الاندلس في فنون العلم	١٠٤
رأي أهل الاندلس واعتنائهم بالخطافة واحتياطهم	١٠٥
(الباب الثاني) في القاء الاندلس للمسلمين بالقياد وقصها على يد موسى	١٠٨
ابن نصير ومولاه طارق بن زياد وصيرورتهم أميدا بالسبق الجياد ومطارحل	-
الارتباء والارتباد وما يتبع ذلك من خبر حصل بازدياده ازدياد ونيارصل	-
اليه اعتيام وتقرير عثله اعتياد	-
عبارة مختصرة لابن خلدون تتعلق بفتح الاندلس وذكر ولايتها من موسى بن	١٠٩
نصير الى عبد الرحمن الداخل	-
خبر بيت الحكمة	١١٥
خبر المائدة	١٢٩
من دخل الاندلس من الصحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم	١٣١
قفلون موسى بن نصير الى المشرق	١٣٢
مطاب في ذكر اسماء ملوك الاندلس من لدن الفتح الى آخر ملوك	١٤١
بني أمية اجمالا	-
ترجمة الوزير أبي الحزم بن جمهور	١٤٢
ترجمة أبي المطرف	١٤٨
(الباب الثالث) في سرد بعض ما كان للدين بالاندلس من العز السامي	١٥٥

العماد والقهر للعدو في الرواح والقدو والتصرف والهدو والارتياح
البالغ غاية الآمان واعمال أهلها للجهل حيا لخدمته والاجتهاد في الجبال
والوهاد بالاسنة المشرعة والسيوف المستترة من الانعام

سلطنة عبد الرحمن الاموي	١٥٥
هشام بن عبد الرحمن	١٥٨
الحكم بن هشام	١٦٠
عبد الرحمن الاوسط	١٦٢
محمد بن عبد الرحمن الاوسط	١٦٥
المذرب بن محمد	١٦٦
أخوه عبد الله بن محمد	١٦٦
عبد الرحمن الناصر	١٦٦
هدية ابن شهيد للناصر	١٦٨
ترجة ابن شهيد	١٧٩
الحكم المستنصر بالله	١٨٠
ابنه هشام	١٨٧
ترجة المنصور بن أبي عامر	١٨٧
المظفر عبد الملك بن المنصور	٢٠٠
أخوه عبد الرحمن الناصر لدين الله	٢٠٠
محمد بن هشام الملقب بالمهدي بالله	٢٠٢
سليمان بن الحكم الملقب بالمستعين بالله	٢٠٢
ابن حود الحسني الملقب بالناصر	٢٠٤
أخوه القاسم الملقب بالمأمون	٢٠٤
يحيى الملقب بالمعتلى	٢٠٤
ادريس بن علي الملقب بالمايد	٢٠٤
ابنه يحيى ثم حسن المستنصر بن المعتلى	٢٠٤
ادريس بن يحيى المعتلى	٢٠٥
محمد بن ادريس الملقب بالمهدي	٢٠٦
رد الامراء بن أمية	٢٠٦
عبد الرحمن بن هشام الملقب بالمستظهر	٢٠٦
محمد بن عبد الرحمن الملقب بالمستكني والدا الشهيرة ولادة	٢٠٧
هشام بن محمد الملقب بالمعتمد بالله آخر الدولة الاموية	٢٠٧
ملوك الطوائف بالاندلس	٢٠٧

(الباب الرابع) في ذكر قرطبة التي كانت الخلافة بحصرها للاعداء قاهره
وبما بها الامور في البدايع الباهية الباهره والاماع بحضرة الملك
الناصرية الناصره والناصرية الزاهره ووصف بجله من منتزهات تلك
الاقطار ومساكنها ذات المحاسن الباطنة والظاهرة وما يجز اليه شجون
الحديث من امور تفتنى بحسن ادائها القرائح الوقادة والافكار الماهره
ذكر قرطبة

٢١٥

ترجمة المعصني

٢٨١

معصف عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه

٢٨٧

ترجمة ابن المغيرة بن حزم

٢٩٥

ترجمة ابن عامر بن شهيد

٢٩٥

(الباب الخامس) في التعريف ببعض من رحل من الاندلسيين الى بلاد
المشرق الزاكية العرار والبشام ومدح جماعة من اولئك الاعلام ذوي
العتول الراجحة والاعلام لشامة وجنة الارض دمشق الشام وما
اقتضته المناسبة من كلام اعيانها وأرباب بيانها ذوي السؤدد
والاحتشام ومخاطباتهم للفتة بمواقف حين حلها سنة ٢٧٠ هـ للهجرة
وشاهد برق فضلها المبين وشام

٢٢١

عبد الملك بن حبيب السلي

٢٢١

يحيى بن يحيى الليثي

٢٢٢

القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى

٣٢٤

عتيق بن أحمد بن عبد الباقي الاندلسي

٢٢٥

احمد بن محمد بن يوسف الانصاري

٢٢٥

القاضي منذر بن سعيد البلوطي

٢٢٥

أبو القاسم الشاطبي صاحب سرز الاماني

٢٢٩

القاضي أبو بكر بن العربي

٢٤٠

بعض فوائد ابن العربي

٢٤٥

أبو بكر محمد بن أبي عامر بن حجاج الغافقي

٢٤٩

جمال الدين أبو عبد الله محمد الانصاري

٢٤٩

زياد بن عبد الرحمن بن زياد اللخمي المعروف بشباطون

٢٤٩

سوار بن طارق

٢٥٠

بقي بن محمد

٢٥٠

قاسم بن اصبح البياني

٢٥٠

قاسم بن ثابت العوفي

٢٥١

صفحة	
٣٥١	علم الدين أبو محمد المرسى
٣٥٢	قاسم بن محمد بن قاسم
٣٥٢	محمد بن ابراهيم بن حيون
٣٥٢	أبو عبد الله محمد بن ابراهيم المالقي
٣٥٣	أبو عبد الله محمد بن ابراهيم البقوري
٣٥٣	أبو عبد الله الانصاري المعروف بابن شق الليل
٣٥٣	العارف بالله تعالى سيدي أبو عبد الله القرشي
٣٥٥	أبو عبد الله محمد بن علي القرطبي
٣٥٥	أبو بكر الجباني
٣٥٥	أبو بكر الاندلسي الجباني
٣٥٥	أبو عبد الله محمد بن علي التيجي الدهان
٣٥٥	أبو عمر محمد بن علي القرشي العناني
٣٥٥	أبو بكر عبد الله بن محمد البلسي
٣٥٦	أبو عبد الله محمد بن علي الشامي الاندلسي
٣٥٦	أبو عبد الله محمد بن عمار الكلاهي
٣٥٦	أبو عبد الله بن الفخار القرطبي
٣٥٧	أبو عبد الله محمد بن عروس القرطبي
٣٥٧	الاعشى القرطبي
٣٥٧	محمد بن فطيس الغافقي
٣٥٧	أبو عبد الله محمد بن قاسم القرطبي
٣٥٧	ابن رمان الغرناطي
٣٥٨	محمد بن اب الشاطبي
٣٥٨	محمد بن سراقه الشاطبي
٣٥٨	محمد بن أحمد الفريشي
٣٥٩	محمد بن محمد بن خيرون
٣٥٩	ضياء الدين أبو جعفر محمد بن محمد القيسي
٣٥٩	ابن محرز البلسي
٣٥٩	القاضي أبو الوليد الباجي
٣٦٠	(ترجمة أبي ذر الهروي)
٣٦٤	ترجمة ابن سوزم الطاهري
٣٦٨	ابن أبي رندقة صاحب سراج الملوك
٣٧٠	محمد بن عبد الجبار الطرطوشي

أبو حفص	٣٧١
ابن سكرة	٣٧٢
ابن أبي روح الجزي	٣٧٢
أبو حفص عمر بن حسن الهوزني	٣٧٢
أبو عمر عثمان بن الحسين أخو الحافظ ابن دحية	٣٧٢
الكتاب أبو بكر المعروف باسم كنهادة	٣٧٢
الكتاب أبو عبد الله محمد بن عبد ربه المالقي	٣٧٢
أبو محمد عبد المنعم بن عمر المالقي	٣٧٢
الحافظ أبو الخطاب بن دحية	٣٧٢
خلف بن القاسم بن سهل بن الدباغ الاندلسي	٣٧٧
خلف بن سعيد المعروف بالبرقع	٣٧٧
أبو الصلت أمية بن عبد العزيز	٣٧٧
أبو محمد عبد الله بن يحيى السرقطلي	٣٨٠
أبو عامر التباري	٣٨٠
أبو الجراح يوسف بن عتبة الاشيلي	٣٨٠
الحافظ ابن ممدى	٣٨١
الحافظ الجيدى	٣٨١
أبو العباس الشريشي	٣٨٢
ضياء الدين يحيى بن سعدون الازدي	٣٨٢
الوزير أبو عبد الله حفيد ابن عبد ربه صاحب العقد القريب	٣٨٢
ابن الصنار القرطبي	٣٨٤
أبو الوليد بن الجنان الكافي الشاطبي	٣٨٤
أبو محمد القرطبي	٣٨٦
علي بن أحمد القادسي	٣٨٦
ابن العطار القرطبي	٣٨٦
ابن الغرضي القرطبي	٣٨٩
أبو بكر الشريشي	٣٩٠
ابن المفلح القيسي	٣٩٠
أبو الحكم عبيد الله المعروف بالمعري	٣٩١
أبو عمرو الداني	٣٩٢
عبد الله بن عيسى الاندلسي	٣٩٢
أبو العباس أحمد بن علي الاندلسي المقرئ	٣٩٣
القاسم بن أحمد المربني	٣٩٣

أبو عبد الله بن أبي الريح القيسي	٢٩٣
الحافظ أبو عامر محمد بن سعدون القرشي	٢٩٣
أبو عبد الله محمد بن سعدون الباجي	٢٩٣
أبو بكر محمد بن سعدون التميمي	٢٩٣
محمد بن سعد الأعرج الطليطلي	٢٩٤
محمد بن سعيد الأموي القرطبي	٢٩٤
محمد بن سعيد بن حسان القرطبي	٢٩٤
محمد بن سليمان المعافري الشاطبي	٢٩٤
محمد بن شريح الرعيقي	٢٩٤
محمد بن صالح الأنصاري	٢٩٥
محمد بن صالح القسطنطاني	٢٩٥
محمد بن طاهر الخزرجي	٢٩٥
القاضي محمد بن بشير	٢٩٥
محمد بن عيسى الغافقي	٢٩٨
محمد بن يحيى بن يحيى الليثي	٢٩٨
ابن أبي حزة	٢٩٨
محمد بن أبي قلاعة البواب	٢٩٨
محمد بن سزم السنوخي	٢٩٩
محمد بن يحيى بن مالك	٢٩٩
محمد بن عبدون الجبلي	٢٩٩
محمد بن عبد الرحمن الأزدي	٢٩٩
محمد بن صالح المعافري	٢٩٩
محمد بن أحمد الأنصاري	٤٠٠
محمد بن عيسى الأنصاري	٤٠٠
محمد بن طاهر الأنصاري الخزرجي	٤٠٠
محمد بن أبي سعيد البراز	٤٠٠
محمد بن الحسين الميبرقي	٤٠١
ابن عظمة	٤٠١
محمد بن أحمد الخزرجي المعروف بالبغدادى	٤٠١
محمد بن علي الأنصاري الجباني	٤٠٢
محمد بن يوسف بن سعادة	٤٠٢
محمد بن إبراهيم بن وضاح اللخمي	٤٠٢

صفحة	
٤٠٣	محمد بن عبد الرحمن التجيبي
٤٠٤	الشيخ الاكبر سيد محمد بن عيسى الدين بن عربي
٤١٦	ابو الحسن النيسابوري
٤١٧	علي بن أحمد الطبراني
٤١٩	سيد أبو العباس المرسي
٤٢١	أبو إسحاق الساحلي المعروف بالطبري
٤٢٩	علي بن محمد الطبري الساعدي
٤٢٩	ابن سبيع الهكلي
٤٢٧	ابن غصن الاشبيلي
٤١٧	أحمد بن يوسف الدهري النيلي
٤٢٩	محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي
٤٢٩	أبو القاسم بن حاتم الجريدي
٤٢٩	أبو القاسم التجيبي
٤٢٩	أبو بكر الطبري
٤٣٠	أبو بكر محمد بن أحمد الواسطي
٤٣٠	محمد بن سلمان الرعري
٤٣٠	محمد بن أحمد ورندي
٤٣٠	محمد بن أحمد الباسبي النخعي
٤٣١	محمد بن أحمد العتيبي
٤٣١	محمد بن أحمد المعافري
٤٣١	محمد بن أحمد النفاش
٤٣١	محمد بن أحمد القيسي
٤٣٢	جمال الدين أبو بكر الوايلي
٤٣٢	محمد بن أحمد القرطبي
٤٣٢	أبو عبد الله القيسي الوضاحي
٤٣٢	محمد بن أحمد العبدري
٤٣٢	محمد بن أحمد بن نوح الاشبيلي
٤٣٢	محمد بن أسباط الخزومي
٤٣٢	ابن السليم
٤٣٢	موسى بن بهيم المغربي
٤٣٢	أبو عمران موسى بن سعادة
٤٣٤	عبد الله بن طاهر الازدي

صفحة	
٤٣٤	ابن مالك صاحب التسهيل والالفة
٤٤٠	محمد بن طاهر القيسي المعروف بالشهيد
٤٤٠	أبو عبد الله القجاطي
٤٤١	محمد بن عبد الرحيم المازني
٤٤١	محمد بن عبد السلام القرطبي
٤٤١	محمد بن عبد الملك القرطبي
٤٤١	محمد بن عبد الملك بن ضيقون النعمي
٤٤٢	محمد بن عبد الملك الخزرجي
٤٤٢	ابن السراج النوري
٤٤٢	محمد بن عبد الله العنسي
٤٤٢	محمد بن عبد الله بن الدفاع
٤٤٢	محمد بن عبد الله بن سعيد المعافري
٤٤٢	محمد بن عبد الله الانصاري البغدادي
٤٤٢	أبو الوليد محمد بن عبد الله القرطبي
٤٤٣	محمد بن عبد الله السلمي المروسي
٤٤٤	محمد بن عبد الله البنتي
٤٤٤	محمد بن عبد الله الطولاني المعروف بابن القوق
٤٤٤	محمد بن عبد الله الوشي
٤٤٤	محمد بن عبدون العذري
٤٤٤	أبو مروان عبد الملك بن أبي بكر الأيادي
٤٤٦	أبو بكر بن زهر
٤٤٨	أبو الجراح الساحلي
٤٤٩	شاعر الاندلس يحيى بن حكم البكري البلياني الملقب بالغزال
٤٥٣	ابن سعيد العنسي مقسم كتاب المغرب
٥١٠	عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن سعيد
٥١٢	ابن العائد
٥١٢	الرضي
٥١٦	حميد الزاهد
٥١٤	اليسع بن عيسى بن حرم الغافقي
٥١٤	محمد بن عبد الرحمن التميمي
٥١٤	أبو مروان محمد بن أحمد اللخمي الباسجي
٥١٤	وليد بن بكر العمري

عيسى بن سليمان الرعيني	٥١٥
سليمان بن أحمد البغيني	٥١٥
أحمد بن يحيى الضبي	٥١٥
ابن جبير الكافي صاحب الرحلة	٥١٥
مخاطبات علماء دمشق الشام للمصنف رحمه الله تعالى	٥٢٠
أبو عامر بن عيشون	٥٧٨
أبو مروان الطائي	٥٧٩
حبيب بن الوليد المعروف بدحون	٥٨٢
بهاول بن فتح	٥٨٢
ثابت بن أحمد الشاطبي	٥٨٢
جعفر بن أبي اليمصبي	٥٨٢
جعفر بن عبد الله الخزاعي العابد	٥٨٤
أبو جعفر الصوري	٥٨٤
جابر بن أحمد الخزرجي	٥٨٤
جوهور بن خلف	٥٨٤
الحسن بن حفص البهراني	٥٨٤
الحسن بن خلف المعروف بابن برنجبال	٥٨٥
أبن بقر الجذامي	٥٨٥
الحسن بن علي الانصاري البجليوني	٥٨٥
الحسن بن محمد المعروف بابن الرهيبيل	٥٨٥
الحسين بن أحمد التجيبي	٥٨٦
حماد بن الوليد الكلاعي	٥٨٦
خلف بن فتح المعروف بالجبيري	٥٨٦
خلف بن محمد الغرناطي	٥٨٧
خلف بن فرج القنطري المعروف بابن الروية	٥٨٧
زرارة بن محمد الاندلسي	٥٨٧
طاهر الاندلسي	٥٨٧
أبو الطاهر الاندلسي	٥٨٧
طارق بن موسى بن يعيش المنصفي	٥٨٧
محمد بن ابراهيم بن مزين الاودي	٥٨٧
محمد بن أحمد حيازالشاطبي	٥٨٨
القاضي أبو مروان النعمي	٥٨٨

أحمد بن محمد الواعظ	٥٨٩
بقي بن محمد بن يزيد القرطبي	٥٨٩
يوسف بن يحيى الأزدي المعروف بالمغازي	٥٩٠
الحفاظ أبو بكر بن عطية	٥٩٢
شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فرح	٥٩٤
عبد العزيز بن عبد الملك الأموي	٥٩٦
القاسمي أبو البقاء خالد البلوي	٥٩٦
برهان الدين أبو إسحاق بن الحياح	٥٩٧
أبو حيان	٥٩٨
جمال الدين بن مسدي الميالي	٦٢٢
خلف بن عبد العزيز القتيبي	٦٢٢
ابن الرومية	٦٢٤
أحمد بن عبد السلام الغافقي الشهير بالمسيلي	٦٢٥
ابن الاقليني	٦٢٥
ابن اخوند	٦٢٦
أحمد بن عبد الملك الضبي	٦٢٦
أبو عمر بن عات	٦٢٦
أحمد بن تميم البهراني	٦٢٧
أحمد بن إبراهيم الخزوعي	٦٢٧
ابن عبيد الله الكاني المري	٦٢٧
إبراهيم بن عبد الله الغافقي	٦٢٨
أنوامة إبراهيم بن منبه الغافقي	٦٢٨
أبو القاسم بن فورقش	٦٢٨
أبو طاهر اسمعيل بن أحمد الترمذي	٦٢٨
أبو الروح عيسى بن عبد الله القرقي	٦٢٨

تمت فهرسة الجزء الاول من كتاب نسخ الطيب

الجزء الاول من كتاب فتح الطبيب

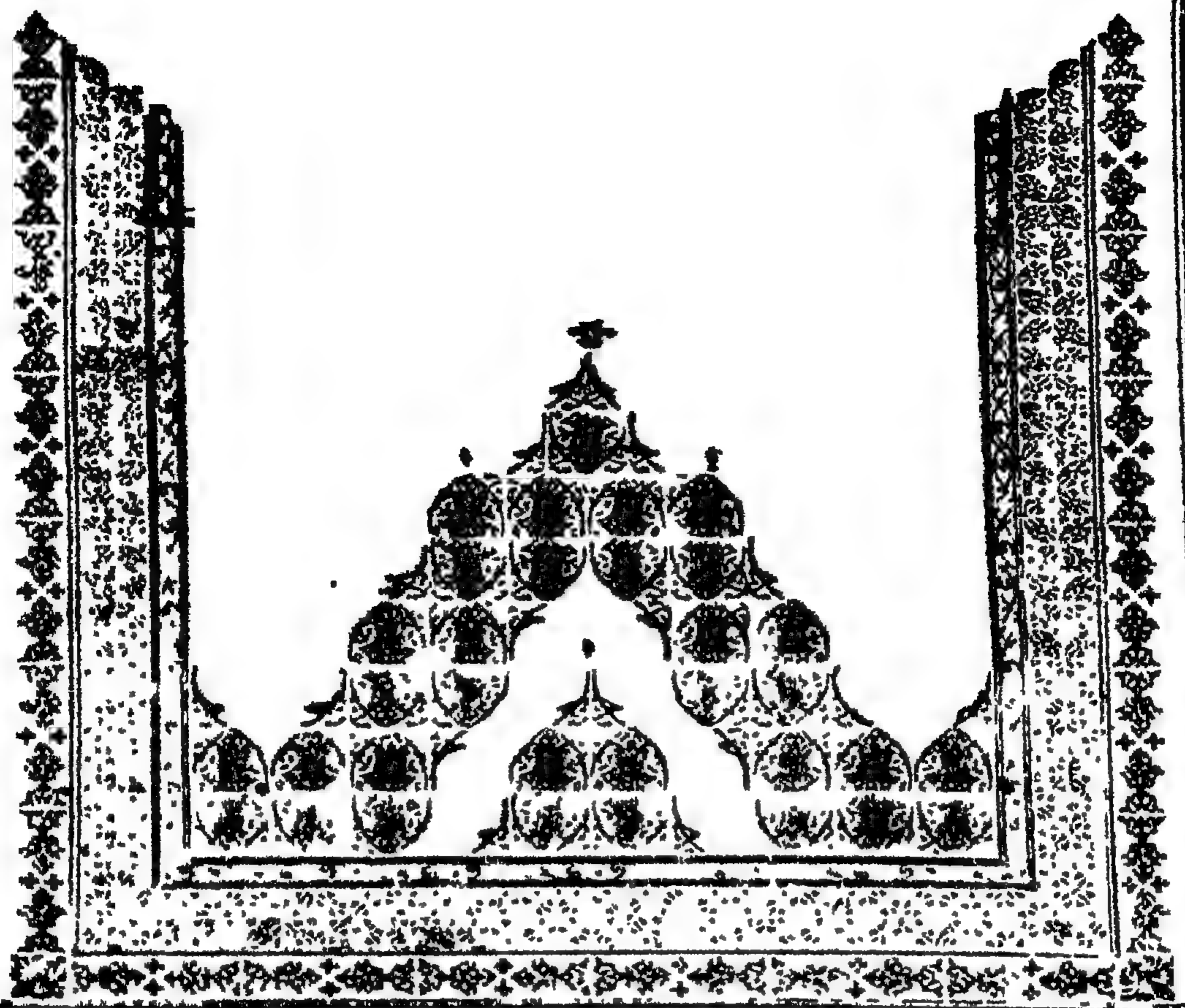
من غنيسن الاندلس ارحطيب

وذكر وذرهما لسان

الدين بن الحطيب

تأليف العلامة

المقرئ رحمه



(بسم الله الرحمن الرحيم)

يقول العبد الفقير * الدليل المضطر الحقيير * من هو من صالح الاعمال عري * أحمد بن محمد
الشهير بالمقري * المغربي المالكي الاشعري * أسلم الله تعالى حاله * وجعل في مرضاته
حله وترحاله * ومحبته الطاعة والرضوان أماله * وأنجم ببلوغ أماله اقتناءه * وأنته
* (أحمد) من عرف من حلى الامصار وحلى الاعيان * على تداول الاعصار وتداول
الاحيان * ما فيه ذكرى لاولى الابصار وارشاد الى معرفة الديان * واعتبار
بأخبار راع وصفها أوراق * (وشرف من صرف المطامع والمطامع * الى تمصيل
ما أفاد لسان الدين من كلم جوامع * وتحصيل ما أجاد من حسنهم بوالعصب بالانتماء
هوامع * واقتناء ذخائر المهتمدين التي تشفت بدورها اللوامع الاذان والمسامع *
من كل منقط عن رتبة البراعة أوراق * (حتى توج الطيب انجيد رؤس انساب
بقرائد الكلام * وحلى الكاتب الاديب انجيد صدور المزابر من نوائد الاعلام * وكلى
الحكيم الطبيب الاريب المنيد من اعداء المحابر براود الاقلام * عيون أوراق * (وأشهد
أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الذي ابتداء الخلق من غير مثال وبراء * وقسم العباد الى
حاضر وباد وظاهر وخامل وقاصر وكامل تشير اليه بالانامل أيدي الكبرا * وأبدى
في اختلاف ذواتهم - أعراضهم وتباين ادواتهم وأغراضهم وتعاير السننهم وأكتنهم
وأزمنتهم وألوانهم - وأكوانهم ومناصبهم ومناسبتهم عبرا * وجعل الدنيا من اتج

صغرا أو كبرا * وليس منهم مسوحاً أو حبراً * أو أخلد إلى الأرض أو صعد منبرا * جسرا
إلى الآخرة ومعبدا * وسكنهم وهو القاعل المختار في الجميع بالموت فكان لبثهم خيرا *
فيا له من داء أعيا كل معالج أو راق * (فسبحانه من الله انشرد بوجوب القدم والبقا
واختص بفعله من شاء قدرتي وعمّ تعالى ذوى السعادة والشقا بالحدوث والفنا *
وأذاق من فراق الدنيا كل من فيها بلاتيا فن وفق قننى عن جنسه وسنا * أو خذل
بخرى ميدان الاعتذار رسنا * وزين له عياذ بالله سوء عمله فراه حسنا * طعم شعوب
المزاجى * فلم يفن منه عن ذوى القنى والفنا * وأهل السناء والسنا * من
استظهر رايه من أرباب السوارم والقنا * وأصحاب الظم والنثر والجدال والفخر
 والمدح والثناء * فأولئك ألقوا السلاح مذعنين مستبصرين موقنين أذبحوا الحق وزهق
الباطل وولى الامترا * وهؤلاء تركوا الاصطلاح معذنين عالمين أنهم لم يكونوا فى القويه
شعنين وكيف لا وقد اضمحى الغرور والاجترا * وذهب والله الجور والافترا *
وبدل مذكى الأطرا بصدق الأطراق * (وأشكره جل وعلا على أن علم بالقلم ما لم نعلم *
ونبه يا تبارك الدالة على اقتداره الى سلوك الطريق الاقوم الواضح المعلم * وأرشد من
أشرب قهقهه وأضأ الى التفويض لامحكام القضا ومن ذاب ذمما مضى أو ينقض
ما أبرم * والتسليم على كل حال أسلم * وأمر جل اسمه بالتدبر فى آيات من مضى والنظر
فى عواقب احوال الذين زال امرهم وانتضى من صنوف الامم * وويح من دجاقله
بالاعراض عن ذلك وأظلم * وشتان ما بين الاهى والمتذكر والساهى والمتفهم
والناجى واليهالك المتخير والداخى الحالك والمشرق النير * وما يستوى الظل والحرور
والخزن والسرور والظلمات والنور ذوا البهجة والاشراق * (وأصلى اذكى الصلاة
والسلام هدية لحضرة سيد الانام ولبنة التمام من زويت له من الارض المغارب
والمشارك * وتم به نظام انبياء الله ورسله العظام وأزاح نوره الضلال والظلام حتى اضاءت
بوسمه المساجد وازدانت باسمه المهارق * وألقى الموفق الموافق لدعوته بيد الاستسلام
وذلك شأن ذرى العقول الراجحة والاحلام غير خائف من عتب ولا متقرب للملام فأمن
من الطوارئ والطوارق * وتمت كلمة الاسلام الذى اتفق برهانه لذى بصرو وبصيرة
لا يحتاج الى زيادة الاعلام وعلت سيف توحيد الملك العلام * من المعاند المضارق
المشارك * وخضبتها بحناء الجميع الرقراق * (النبي الامى الامين الداعى جميع
العالمين الى سلوك منهاج ماله من هاج ذى أضواء شوارق * سيد الرسل الغر الميامين
ملجأ الامة جعلها الله بمن تحب باللبا اليه آمين الذى أنزل عليه القرآن هدى للناس وبينات
من الهدى والفرقان وانشق له الزبرقان ونبع الماء من بين أصابعه زيادة فى الايقان *
وسلمت عليه الاشجار وانتادت لامره الاشجار متفينة ظلاله الشريفة وخطت فى الارض
أسطر ابديعة الاتقان الى غير ذلك من معجزاته الخوارق * فهو صاحب الدعوة الجامعة
والبراهين الدامعة والادلة التى سقت الشجرة الطيبة غيوثها النافعة الصيبة الهامة
الهاسعة الصادقة البوارق * فآمرت النجاة والفوز والفلاح وأورقت بالهدى أحسن

اوراق * (أسنى رسول بعث الى الارض وأعظمهم جلاله * و كثرتهم نابها
 في الطول منها والعرض ولم لا وقد طهر به الحق لمن أمته مسترشدا وجلاله * وأسنى من
 بابه بتبيين السنة والقرض وأعظم دلاله * منقذا البرايا في الدنيا ويوم العرض الآخذ
 بجيزهم عن النار والضلالة * الداعي الى تقديم الخير وحسن القرض الحريص على
 هداية الخلق المبلغ لهم أحكام الحق من غير خجرو ولا ملالة * ذو الفضل العظيم الذي
 لم يختلف فيه من أهل العقول اثنان والمجد العظيم الثابت الاصول الباسق الاقنان
 المشتق من محمد بن عبدنان المنتخب من خير عنصر وأطهر سلاله * شفيعنا وملاذنا
 وعصمتنا ومعاذنا ونعمانا الذي نجحت به آمالنا وزهكت أقوالنا وأعمالنا *
 ووسيلتنا الكبرى وعمدتنا العظمى في الاولى والاخرى وكثرنا الذي أعدناه لازاحة
 الغموم ذخرا * وغيتنا وغوثنا وسيدنا ونينا ومولانا محمد الطيب المنان والاعراق
 * (صلى الله وسلم عليه ووجه وقود التعظيم اليه من مفرد في جماله صار لجمع الانبياء
 عامما * وفدى كماله تقدم في حضرة التقديس التي أسست على التشرية أعظم
 تأسيس بالمرسلين اماما * وصدرت على بحميل الاوصاف كالوقار والعفاف والصدق
 والانصاف فزكت في أعماله وابع اراسي منتهى آماله ولم يخلف وعدا ولم يخسر قماما *
 وسيد نسي حلل العدمه من كل مخالفة وذنب ووصفه فلم يصرف لغير طاعة بؤلاه
 الذي أولاه من التفضيل ما أولاه اهتبالا واهتماما * وعلى آله وعترته النازحين
 بأثره أنصار الدين والمهاجرين المهتدين وأشياعه وذريته الطالعين نجوم ما في سما
 شهره وأتباعهم القسامين جعقوق نسرنه * أرباب العقل الرصين القاتنين بسيف دعوه
 أبواب المعقل الحصين حتى بلغت أحكام ملته وأعلام بعثته من بالادلس والصين فضلا
 عن الشام والعراق * (ورضى الله تعالى عن علماء أمته المستنيرين في جميع العلوم والفنون
 وعظماء سنته الموفين لطلاب بالآراب المحققين لهم الظنون * وحكام شرعته المتبصرين
 بحدوث من مرت عليه الايام والشهور وكرت عليه الآناء والدهور والاعوام
 والسنوات * المتدبرين في عواقب من كان بهذه البسيطة من السكان المتذكرين على
 قدر الامكان بمن طبعته رحي المنون * من أملاك العصور والحاليه وملاك التصور
 العاليه وذوى الاحوال التي هي بسلك الاختلاف حاله * من بصير وأعمى وفقير
 وذى نعمه ومحتاج تردى بكبرياته ومحتاج على ما يابى الناس بسمعه ورياته *
 وعاقل أحسن العمل وغافل افتتن بالامل * وكارع في حياض الشريعة ورائع برياض
 الآداب المريعة وذى ورع سدهم آرايه الذريعة وأخى طمع في أن يدرك آرايه من الدنيا
 الوشيك الزوال السريعة * ومقتبس من نبراس الروايه وملتبس بأدناس الغوايه *
 وشاعر هام في كل واد وقال ما لم يفعل فكان للغاوين من الرقاد * وجاهل عمر الخراب
 وخدع بالسراب عن أعذب الشراب * ومحقق علم أنه اذا جاء القدر عى البصر من كان
 أحذر من غراب وموفق يتقن أن غير الله فان وكل الذي فوق التراب تراب * ومن متخلق
 منجرد تصوف ومتعلق متفرد تشوق الى ما فيه رضا الرب وتشوق وناهذا كربا يام الله

ووعظ وخوف • ولا اغتر بالباطل فهو بالحق محاطل وطالما آخره وسوف •
 وأبعد الالهجاء ثم أوى من باطنه الى بيت قعيده لكاع نفس أتمرة بعد ما طوب •
 ومن ماذح نظم الآلاء نظم الآل • وكادح طمر لآلاء العز بظلمة ذل السؤال •
 فعمل القصائد مصايد والزمانل وسائل والمقطعات حرقعات قال آخره الى ما آل •
 ومن مخبر بما سمع ورأى حين اغترب عن مكانه ونأى أو أقام في أوطانه فبلغ ما قدر •
 وروى • ومن يحازف لا يفرق بين الغث والسمين والامرار والاسلاء • وعارف •
 ثقة أمين نظم در السدوف الثمين في أسلال الذابة والاملاء • وعاشق خنساء •
 فذكر ذات السدار من الشجون والشعار تبكى على حفر قلب المحبوب • وتذكره •
 كلما طلعت شمس أركان الصبا محبوب فتأني بما يظن وقودا لجوى المشبوب • من يحار •
 الاشعار • وليلى شوقه العفيفة عن العار ترفل في ثوب من التصبر معار وقيس توفه •
 من ثوب السلوعار • قد نوله واشتاق خدوصا عند اقتشاق البشام والعرار • وقلق •
 لما أرق فلم يقتر به قرار • فاعتراه ما برام وألف البكاء بحكم الاضطرار • وليس •
 ثياب الخول والاصفرار وأسر ما هزمت جيوش صبره وأزمنت الفرار • فخير مما •
 شجاء وسأل النجاء من أسر الفراق

سبحان من قسم الخلق • ظفلا عتاب ولا ملامه •
 أعشى وأعشى ثم ذو • بصير وورقاء اليامه •
 ومسد أو يائر • أو حائر يشكو ظلامه •
 لولا استقامة من هذا • لما تبينت العلامه •
 وشجاور الغرر الخفيف له البشارة بالسلامه •
 وأخذوا النجا في سائر الانفس من تقب حمامه •
 وكما مضى من قبله • يمضى ولم يقض التزامه •
 والجاهل المغتر من • لم يجعل التقوى اعتنانه •
 فليرفض العصيان من • يخشى من الله انتقامه •
 وليعتبر بسواء من • لصلاحه صرف اهتامه •
 فالعيش في الدنيا الدنية غير مرجو الادامه •
 من أرضعته ثديها • في سرعة تبدى قطامه •
 من عز جانبها بها • تتوى على النور اهتضامه •
 وإذا نظرت فأين من • منعه أو منحت مرامه •
 ومن الذى وهبته وصلا ثم لم يخش انصرامه •
 ومن الذى مدت له • حبلا فلم يخف انفصامه •
 كم واحد غرته اذ • سرته مخفية الدمامه •
 قعدت به من حيث لم • يعلم فلم يالك قيامه •
 أين الذين قلوبهم • كانت بها ذات استهامه •

أين الذين تضيؤوا * نزل السيادة والزعامه
 أين الملول ذور اليا * سق والسياسة والصرامه
 وينوا عيسيه حين يجمع عصرهم لهم فثامه
 وتمسكتوا من يحيا * ولذقت ما شاؤا انيرامه
 ونعشستوا المابدا * لهم شحيا الارض شامه
 وتأملوا وجهه البسيطة فانتوا يهون شامه
 حتى تقلص ظلمهم * وأراهم الدهر اخترامه
 أين الخلائف من بني السبع عباس والبر التمامه
 أين الرشيد وأهل * ونوه أصحاب الشهامه
 ووزيره يحيى وجمع فرابه الراوى احتشامه
 والفضل مدنى من يقو * لمن يلوم على الندى مه
 أم أين عنسرة الشجاء * عوذوا الجدى كعب بن مامه
 والزاعمون بجهلهم * أن القبور صدى وهامه
 والمكثرون من الجور * ن اذا شكوا الفكر انقامه
 أين الغريض ومعبد * أو أشعب وأبو دلامه
 أين الاولى همام وابعدى أو شينة أو أمامه
 وبكوا لفرط جواهرهم * والليل قد أرنى ظلامه
 وتبعوا آثار من * عشقوا بحدأوتهمامه
 وتعللوا والشوق بغسل بالاراك والبشامه
 أضنى النوى قيسا فقا * سى لا عجا أغرى غرامه
 وغوى هوى غيلان مذ * أبدى بعينه هيامه
 أين الاكاسر والقيا * صرة انجلون القمامه
 أين الذى الهرمان من * يفتانه الحاكى اعترامه
 أم أين غمدان وسيف والوفوديه أمامه
 أين الخسوف والديور من شنى بهما أوامه
 ومدائن الاسكندر السلاقي لها أعلى دعامه
 أين الحصون ومن يصو * ن بهامن الاعداء حطامه
 أين المراكب والموا * كب والعصائب والعمامه
 أين العساكر والدسا * كر والندى فى المدامه
 وسفقاتها المتسلا عسو * ن بلب من أعطوه جامه
 من كل أهيف يزدرى * بالغصن ان يهز قوامه
 ذى غرة لاؤها * تجوع عن النادى ظلامه
 قالتمس فى أزاراره * والبدر فى يده قلامه

يصي القلوب ادا رى * عن قوس حاجبه سهامه
 ويروق حسنا ان رنا * و يفوق آراما براسه
 أنى لها تغر حلا * ذوقا لمن رام التثامه
 أنى لها وجهه بشبه بقلب مبصره ضرامه
 أسستغفرا لله للفساد ولا يرى الشرع اعنيامه
 بل أين أرباب العلو * م أولو انتصرو والامامه
 وذووز الوزارة والحيا * به والنكاية والعلامه
 كائنهم سكنوا بأندلس قلم يشكوا سامه
 هي جنة الدنيا التي * قد أذكرت دارا المقامه
 لاسيما غرنا طة السغراء رائقة الوسامه
 وهي التي دعيت دمشق وحسبها هذا نخامه
 لنزول أهلها بها * اذ أظهر الكفر انهم حزامه
 وأنت جيوش الشام من * باب تقي القسح انبهامه
 فسلوا بها عن جلق * اذ أشبهتها في النخامه
 وبدا لهم وجهه المنى * وأراهم الثغر انقسامه
 وتبروها حضرة * تبرى من الماضي سقامه
 برواها وبماها * وهواها النافي الوخامه
 ورياضها المهتزة الاعطاف من شدو والحمامه
 وخرجها النضر الذي * قد زين الله ارتسامه
 وقصورها الزهر التي * بأبي بها الحسن انقسامه
 ياليت شعري أين من * أمضى بها الملك احتكامه
 وأتبع في حمراتها * عزابه زان انقسامه
 أين الوزير ابن الخطيب بها فما أحلى كلامه
 فلنكم أياك العدل في * أرجائها وبها أقامه
 ولكم أيار عداكم * أجرى ندى والى انسجامه
 راعت صروف الدهر دو * لته وما راعت ذمامه
 حتى نوى اثر التوى * في حفرة ثرت نظامه
 من زارها في أرض فا * من أذهبت شجوا منامه
 اذ نيهته لكل شمس شئت الموت التثامه
 هذا لسان الدين أسسكنه وأسكنه رجامه
 ومحا عبارته فن * حياه لم يردد سلامه
 فكأنه ما أمكن السقم المطاع ولا حسامه
 وكأنه لم يعمل متنب من مطهم باري النعمامه

وصكأنه لم يرقنا * رب الاعتزاز ولا ستامه
وكأنه لم يجبل وجسها حاز من بشر تمامه
وكأنه ما جال في * أمر ولا نهى وسامه
وصكأنه ما مال من * ملك حياء ولا احترامه
وكأنه لم يلق في * يده لتدبير زمامه
مذ قارق الدنيا وقوس عن منازلها خيامه
أسمى بشير مفردا * والترب قد جعلت عظامه
من بعد تنية الوزا * رة جاده صوب الغمامه
لم يسق الا ذكوره * كالزهر مفتر الكمامه
والعمر مثل الضيف أو * كاطيف ليس له اقامه
والموت حسنة ثم بعد الموت أهوال القيامه
والسبب في زيرت عن * أجمال ميل واستقامه
تذروا له ما دونه كره * ن وغيرهم يكي بدامه
والله يعمل فيهم * ما شاء ذلا أو كرامه
ويشفع المنيار فيهم حين يبعثه مقامه
وعليه خير صلانه * مع محبة تلوسلامه
والتابعين ومن بدا * برق الرشاده فنامه
ما فاز بالرضوان عبيد كانت الحسنى ختامه

والله سبحانه المسؤول في اشهر واثمة كرامته وحلمه فيده انخير لا اله الا هو الهى الكبير
اعلم الخبير الذى امان به على شئ عمل * فلا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء
من شوقه على الشمول والاستغراق * (أما بعد) جداته ما نك الملك * بالعبادة على رسوله
المحبى من الهالك * والرضا عن آله ومحبه الدين تجلب بأنوارهم الظلم اخذت * وعن
العلماء الاعلام المنانين بمارالسلام المستويين من بلاغة على الفت *
(فيقول العبد الحقير * المذنب الذى هو الى رحمة ربه الغنى فقير * المتعصر المتمرث من الحلول
والقوة المتمسك بأذيال الخدمة للسنة والقبوه وذلك بفعل أمان وبراه * التعتيف الفانى
الخطاء الجانى من هوى لباس التقوى عرى * أحمد بن محمد بن أحمد اشهر بالمقرى *
المغربى المالكى الاشعرى التلمسانى المولود بالمشا والقراء * نزيل قاس الباهره
ثم مصر القاهره أصلح الله أحواله الباطنة والظاهره ويجعله من ذوى الاوصاف الزينة
والخلال الطاهره وسدد فى كل قصد أنجاه وآراءه * ووفقه بمنه وكرمه فلا عمال
الصالحه والطاعات الناجحة الراجحه والمتاجر المغبوظة الراجحه والمساعى القاديه
بالخير الراجحه ووقاه ما بين يديه ووراءه * وصكناه مكر الكائد واقتراه * وجدال
الحاسد المستأسد وحراره * وجعل فيما يرضيه سومه وشراءه * آمين انه لما قدى الملك
الذى ليس اجيده فى أحكامه تعقب أورد * ولا محمد عما شاءه سواء كره ذلك المرء أورد *

إشارة الى أول رحلة المؤلف
من بلاده

برحلتى من بلادى ونقلتى عن محل طارفى وتلاذى بقطر المغرب الاقصى * الذى تحت
محاسنه لولا أن سحابة الفتن سامت بضائع أمنه نقصا * وطمايه ببحر الالهوال فاستعملت
شعراء العيث فى كامل روثته من الزخاف اشجارا وقطعا ووقصا
قطر كائن نعيمه * نفحات كافور ومسن
وكائن زهر رياضه * درهوى من نظم سلك
وذلك أواخر رمضان من عام سبعة وعشرين بعد الالف تاركا المنصب والاهل والوطن
والالف

بلد طاب لي به الانس حينا * وصفا العود فيه والابداء
فستت هذه العهد دوروت * منه تلك النوادى الانداء
وما عسى أن اذكر فى اقليم * تعين لجة فضله التسليم
أصواؤه طيبق المنى وهواؤه * يشتافه الواهبان فى الاسفار
والطبع معتدل فقل ماشته * فى الظل والازهار والاشجار
محل فغ الكائن * ومسطط الرأس وقطع التمام
به كان الشباب اللدن غنا * ودهرى كله زمن الربيع
ففسر ق يتناز من خوت * له شغب بتفريق الجميع
لهما نيس تلك الزواسم * التى أيامها للعمر مواسم * ونغورها بالسرو وبواسم * ففصرت
أشيرا اليها قد رقت للرحيل القاص الزواسم
ولنا بهاتيك الديار مواسم * كانت تقام اطيبيها الاسواق
فأبانتنا عن الزمان بسرعة * وغدت تعلننا به الاشواق
وأشد تول غيلان

أمنزلى منى سلام عليكما * هل الا زمن اللاتى مضين رواجع
واغتل فى تلك الحداثى التى جاثمها سواجع بقول من جفونه من الهوى غير هواجع
تشدو بعيدان الرياض حاتم * شدوا اتيان عزفن بالاعواد
ماد النسيم بقضها فتمابلت * مهترة الاعطاف والاجياد
هذى تودع تلك توديع التى * قد آذنت منها بوشك بعداد
واستعبرت لفراتها عين التدى * فابتسل مثر عطفها المياد
وأحرق النظر الى روض لانسان العين من فراقه فى ببحر الدموع سيج وخوض
روص به أشياء ليست فى سواه تولف
فن الهزار ترنم * ومن القضيبت تقطف
ومن النسيم تطف * ومن الغدير تعطف
وألتفت كالمستريب * والحى اذ ذاك قريب * وحديث العهد ليس بمنكر ولا غريب
أهذا ولما تمض للبين ساعة * فكيف اذا مرت عليه شهور
والا تار لائحة * والشمال غادية ورائحة

قوله واسأل الخ المحفوظ
واسأل من يفرقهم بلاني الخ
ولعله الانسب بجميع الضمائر
قبله وبعد تأمل اه محرمه

أرى آثارهم فأذوب شوقا * وأسكب من تذكريهم دموعي
واسأل من قضى بفراق حبي * بين عيلة منهم بالرجوع
والنفس متعلقة ببعض الانس * والمشاهد الجميدة لم تنس
تلك اليهود يشتد بها محنومة * عندي كما هي عند عالم يحلل
غير أن الرحيل عن الربيع المحمل * فصل به بين الشائق والمشوق وحيل
وقضابيع الحب والحب راحل * فحاول رجعا لنا ويحاول
وألق دموع العين فيه مسائلا * لها عن عبارات الغرام دلائل
وبالسفح منها كم سقيت لبائها * فقبلته والسفح للبيان مائل
إذا نسمة الاحباب منها نسفت * تطيب بها أعمارنا والاصائل
تبرهوني ساجعات غصونها * فتماعلي الحالين حاجت بلايل
مرابع ليلى في مرايق لذي * مطامع أقدري بها والمتاويل
فياها الله من منازل ذات أقدار سائر فيها * ومناره لا يشعني الواصف شئ منها واما
أهلها ولا يستوفى

حلوا عقودا مطبأرى عند ما رحلوا * وفي الخيال حلوا قسلا أمطار
ان المنازل قد كانت مناره اذ * بانوا به اوهي أو طاني وأوطاري
ورعى الله من بان * وشاق حتى الرند والبان
بانوا لعيني أقمارا تلههم * لدن التصون فلما آتسروا بانوا
عهودهم لست أنساها وكيف وقد * رنى ليني عنها الرند والبان
وفي مثل هذا الموطن تذوب الدلوب الرقاق كما قال حازم قصب السبق بالاستحقاق الاديب
الاندلسي الشهير بابن الرقاق

وقفت على الربوع ولي حنين * لسا كتهن ليس الى الربوع
ولو أني حننت الى مغاني * احبائي حننت على ضلوعي
وكما قال بعض من له في هذه السجراج مسير
دخولك من باب الهوى ان اردته * يسير ولكن المروج عسير
وأين من له صفاة لا يطمع الدهر القوي في فتحها * وحنات دنيوية لا تقيرى أنهار الفراق
من فتحها

فسقى رضيع التبع من ذاك الحبي * بحبها تدور على الربا كاساته
سقى سقى عليه دمي في ثرى * كاسها ضاع من الفتاة فتاته
ولم أزل بعد اتصالي عن الغرب بقصد الشرق * واتصالي في اثر ذلك الجميع بالفرق
احن اذا خلوت الى زمان * تقضى لي بأفنية الربوع
وأذ كر طيب أيام قوت * لنا قفيض من أسف دموعي
وأثوق وقد اتسع من البعد الخرق * وخصوصا اذا شدا صاوح أو امض برق * الى ديار *
لا يعدوها اختيار

واربع أحباب اذا ما ذكرتها * بكيت وقد يبكيك ما أنت ذا كر
بطاح وأدواح يروك حسنها * بكل خليج نمتته الازاهر
فما هو الا فضة في ربرجد * تساقط فيه اللؤلؤ المتناثر
بحيث الصبا والتريب والماء والهوى * عبير وكافور وراح وعاطر
وما جنة الدنيا سوى ما وصفته * وما ذم منه الحسن تجد وحير
بلا دي التي اهلى بها واجبتى * وروحي وقلبي والمنى والخواطر
تذكرني أنجادها ووهادها * عهدا مضت لي وهي خسر فواخر
اذا العيش صاف والزمان مساعد * فلا العيش مملول ولا الدهر جائر
بحيث ليا لينا كغض شبا بنا * وايا منا سلاك ونحن جواهر
ليالى كانت للشيبية دولة * بها ملك اللذات ناه وآمر
سلام على تلك العهد فانها * موارد أفراح تلتها مصادر
وأنت ذكرتلك الايام * التي مرت كالأحلام * فأتمثل بقول بعض الاكابر الاعلام
ياديار السرور لا زال يبكي * فيك اذ تنفك الرياض غمام
رب تعيش صبحته فيك غص * وعيون القسراق عنا نيام
في ليل ككانهن أمان * في زمان كأنه أحلام
وكان الاوقات فيك كؤس * دائرات وأذهن مدام
زمن مسعد وآف وصول * ومنى تستلذها الاوهام
وبقول الحسانك الامى * عندما يكثر شجوى ونحى

لم أنس أتياما مضت وليا ليا * سلفت وعيشا بالصريح تصرما
اذ نحن لا نمنشى الرقيب ولم ننف * صرف الزمان ولا نطبع اللوما
والعيش غص والخواسد نؤم * عنا وعين البين قد كملت عى
في روضة أبدت تغور زهورها * لما بكى فيها الغمام تبسما
مد الربيع على النمل نوره * فيها فأصبح كالليام نخيما
تبدوا لافاحى مثل نغرا شنب * اضحى المحب به كئيبا مغرما
وعيون نرجسها كاعين عادة * ترنو قترى باللاوا حظ اسهما
وكذلك المنشور منشور بها * لما رأى ورد الحدود منتظما
والطير تصدح في فروع فنونها * سحرا قنوقظ بالهديل النوما

وأميل * الى بلاد محياها جيل

كساها الحيارد الشباب فانها * بلاد بها عى الشباب تمامي
ذكرت بها عهد الصبا فكانما * قدحت بنار الشوق بين الحيازم
ليالى لا لوى على رشدنا صخ * عناني ولا أثنيه عن غي لائم
انال سهادى من عيون نواعس * واجنى مرادى من غصون نواعم
وليل لنا بالسد بين معاطف * من النهر ينساب انساب الاراقم

تمر الينا ثم عنا صكانها * حواسد تمنى بيننا يا انما
وبتنا ولا واش تخاف كانا * حللنا مكان السر من صدر كاتم
وأهفو الى قصور ذات بهجه * وصروح توضع معالمها للرائد نهجه

ورياض تحتال منها غصون * في برود من زهرها وعقود
فكان الادواح فيها غوان * تنباري زهوا بحسن القدود
وصكان الاطيار فيها قبان * تنغني في كل عود يعود
وكائن الازهار في حومة الرو * ضن سيف تسل تحت بنود

وأصبوا الى بطاح وأدواح * تروح النفوس والارواح

سقى الهام من بطاح نزع * ودوح زهرها مائل

اذ لا ترى غبر وجه شمس * اطل فيه عذار طل

وانهار جارية * وأزهار نواسمها سارية * واربع وملاعب * تزيح عن مصمرها المتاعب

تلك المنازل والملا * عب لا زهرها الله شلا

أوطنتها زمن السبا * وجعلت فيها لي محلا

حيث التقت رأيت ما * سافحها ورأيت نكلا

والنهر يغسل بين زهر الروض في الشطين فلا

كيساطوشي جسدت * ايدي القيون عليه ندلا

والى منازل يستنحسها الرائق ايجادا وانهارا * ويشقى سطرها علبلا ويكفى خبرها

للمستفهم دابلا

وجنان أنفها حين غمت * سواها الفوق بكرة راصلا

زهرها مسرعى وحشت * في رياحا السبا فيلار لا

وتمثل ان ذكرت حان وداعي * بقول شاعر الاديب الوداعي

الغرب شير وعندما كنه * امانة اوحت تنذره

فأشرق من نيره عندهم * يدع دي ناره ودرهمه

و يقول غيره * اشارة لسل العرب وخير

اشفاق الغرب واصموا الى * معامد فيه ربح السبا

يا صاحبي نجواي واميل قر * ارنخي جلايب الدجى وختيا

لا تعجبا من ناظر ساهر * بات يراعي الشبه نيا

القلب في آثارها طائر * لما رآها تقصد انعربا

وأهيم كلما حلت من غير أن أرنى بكان * وقد صير السائق جدان سيره مولا لما نسك

كما جله خبر الكان * يقول قاضي القضاة العالم الكبير الشمس بن خلد كان

أي ليل على الحب اطاله * سائق الطعن يوم زم جماله

يزجر العيسر طاويا يقطع المهـ عسفا سهوله ورماله

أيها السائق المجد ترفق * بالمطايا فقد ستمن ارحاله

وأشجها هتية وأرحها * اذراها السرى وفرط الكلاله
لا تطل سيرها العنيف تشد برح بالعيب في سراها الاطاله
وارث المنازع الذي ان رأى ربك عاوى فيه ناديا أطلاله
يسأل الربع عن طباء المصلى * ما على الربع لو أسياب سؤاله
ومحال من المحيل جواب * غير أن الوقوف فيه علاه
هذه سنة المحبين يكو * ن على كل منزل لا محاله
ياديار الاحباب لزال الاعشى في ترب ساحتك مذاله
وتشى النسيم وهو عليل * في مغانيك ساحبا أذياله
أين عين منى لنا فيك مأس * روع - نازها به وزواله
حيث وجه الزمان لملق زهير * والتسدداني غصونه مباله
ولنا فيك طيب أوقات أنس * ليتنا في المنام تلقى مسالاه
رأرد قول الذي سحر الاسباب مناديا من له من الاحباب

أحبابنا الواقية في اقامتكم * من الصباية ما لا قيت في الطعن
لا صبح الجرس أننا سكر يسا * كالب من آدمي ينشق بالسفن
وقوله

وما تغيرت عن ذلك الوداد ولا * حالت بي الحال في عهدى وميثاقى
ذرى غرامى بكم دهرى أكرره * وقد تفتتت في وجدى وأشواقى
وقول المجد بن شمس ان لافه معلما أنه لا يريد بدل معهده وخلافه

يا زمان الهوى عليك السلام * وعلى السلوق عنك حرام
أى عيش قطعته فيك لودا * م وهل يرتجى لظلم دوام
كنت حاما واله يش فيك خيالا * وسريعا ما تنقضى الاحلام
لهف نفسي على ليل تقضت * سلبتني برودها الايام
قطعتني الاقدار عنها وليدا * وشديد على الوليد القطام
لا تلمني على البكاء عليها * من بكى شحوه فليس بسلام

وقول أبي طاهر الخطيب الموصلى

حتى تبدعني ومن حل نجدا * أربعاهجن لي غراما ووجدا
واقرني السلام آرام ذاك الشعب والاجر الخصب اندى
وابك عنى حتى ترشح بالوجسدا أراك به وبانا ورندا
فلكم وقفة اطلت على النساء * ل بدمع اذا ع سرى وأبدى
وعلى البان كم من البين اذ ربيست لآلى للدمع مثنى ووحدا
آه والهفتى على طيب عيش * كنت قطعته وصالا وودا
حيث عود الشباب غصن نصير * ويد المكر مات بالجد تندى
والليل الودود ينعم اسعا * فاوصرف الزمان يزدا بعدا

والليالي مساعدات على الوصل * وعين الرقيب اذذاك ومدا
كم بهما من ليلاته لي وأوطا * رتقت وجازت الحد حقا
قاسماد الزمان ما كان أعطي * خلسته لي بخضله واستردا

وقول بعضهم

سلام على تلك المعاهد انما * شريعة وردى أومهب شمالي
ليالي لم تحذر حزن قطيعة * ولم تنش الا في سهول وصال
فتدصرت أرضي من نواحي جنايها * بجلب برق أو بطيف خيال

وقول الجرجاني

للحبيب من حذار الفراق * عبرات تجول بين الماقي
قاذا ما استقلت العيس للبين وسارت حداتها بالرفاق
استملت على الحدود المهدارا * كأنحدارا الجمان في الاتاق
كم محب يرى التحددينا * فهو يخفى من الهوى ما يلاق
ازدهاء الهوى فأعرب بالوجه داسان عن دمه المهرق
وانحدار الدموع في موقف البين على الخلد آية الهشاق
هون الخطيب لتأول صب * فثبته الدموع يوم الفراق

وقول الخطيب الحنفي الشافعي

ساروا وأكادنا برحى واعيننا * قرصى وأنشأنا كرى من التناق
تشكروا بلاننا من بعدهم حرقا * أكن طواهرنا تشكروا من الفرق
كانهم فوق الكوار المطى رقد * سارت متطرفة في حيث الغسق
درارى الزهر في الابراج زاهرة * تسير في الفلج البخارى على تسنى
يا وحنى الدار مذبانوا كما نبت * يقربهم لاخت من صيب غسق
ان غيبتم لم تغيبوا عن شماتنا * ران حصرتم حلساكم على الحدق

وما أحسن قول بعضهم في هذا المعنى الذي كثرنا ذكره وبه ألعنا

سلام على أهل الوداد وعهدهم * اذا لانس ررض والسرور فنون
وحلتا فشرقنا وراحو افتقرا * ففاضت لردعات الفسراق عيون

وكم أنشدت وليالي النوى عاتمة قول الاندلسي ابن سائمه

أنا منا يا حنى ما كان أنخلاك
كم بت أوعام اجلالا لأرعالك
لا تنكرى وقفنى ذلا بعنالك

يادار لولا أحياءى ولولاك * لما رقت وقوف الهائم الياسكى

فهل لهم عطفة من بعد داهم
تالله ما تسم الدنيا بملهم
أها القلبي على تبيد شملهم

ما كان أحلامنا أيام وصلهم * وباليالي الرضا ما كان أضواء

يا بدر تمّ تناءت عنه أربعنا

ولم تزل تحتويه الدهر أضلعنا

ماللنوى بشروب البين يوجعنا

إذا تذكرت دهرنا كان يحجمنا * تفطرت كبدي شوقا لمرالك

أحباب أنفسنا كم ذا النوى وكم

وبما معاهد نجوانا بذى سلم

تالله ما شئت دمعنا للآسى بدم

ولا اثمت تراب الارض من كرم * الامراعاة خلّ ظلّ يرمالك

علّ التعلل يدنى منهم وعسى

فيه عمر القرب ما يالين قد درسا

كم ذا نادى برجع بالنوى طمسا

يا قلب صبرا فان الصبر عاد آسى * وبما منازل سلى ابن سمالك

وقولك بعض من اشتد به الهيام نغاطب بجبرته ما دحاليالى القرب وذاتما تقلب الايام

أيام أنسى قد كانت بقر بكم * بيننا فحين تأيتم أصبحت سودا

ذمت عيشى مذ فارقت أرضكم * من بعدما كان مغبوطا ومحسودا

وقول صاحب صارع العشاق وقد شاقه من الهوى ما شاق

بانوا قادم مع مقلق * وجداء عليهم تسهل

وحدا بهم حادى القرا * ق عن المنازل فاستقلوا

قل للذين ترحلوا * عن ناظرى والقلب حلوا

مانرهم لو أنهم لوا * من ماء وصلهم وعلوا

وقوله حين زحزحته يد الفراق عن أوطان العراق

قد قلت والعبرات تسفحها على الخد الماتق

حين اتحدرت الى الجزيرة وانقطعت عن العراق

وتخبطت أيدى الرقا * ق مهامه البید الرقاق

يابوس من سل الزما * ن عليه سيفا للفراق

وقوله أيضا

يا منزل الحى بذات النقا * سقال دمع مدنا وأمارقا

هل سلوة هيهات لاسلوة * قد بلغ السيل الزبى وارتقى

وأنت يا يوم النوى عاجلا * أدال منك الله يوم اللقا

وقولى موطننا للنالت وقد تغيرلى فمين تغير حادث

لم أنس معهدنا والشملى مجتمع والعيش غص وروض الانس معطار

فها أنا بعد بعد عنه فى قلق * وقد نبت بى أرجاء وأقطار

تمتني الليالي وأشواقى مجتدة * وما انتفت لي من الاسباب أومار
وكلام مرت بمأى يروق لمعت لي من ناحية المتقى بالمأى يروق فتذكرت قول بعض من له
على غير من يروق

ما نظرت عيني سوال منتظرا * مستحسنا الا عرضت دونه
وما تمنيت لقاء غائب * الا سألت الله أن يكونه
وربما رمت انتحالي مذهب السلوك وانتحالي خلال أحوال اقدمنى وارتمحالي قلم ينتل
عن تلك الصغائر حالى وأنى وجيدى بتلايد البتات حالى
والشوق أعظم أن يحيط بوصفه * قلم وأن يطوى عليه كتاب
والله ما أنا منصف أن كن لى * عيش بطيب وجيرى نيب
ركب ولا ما فى صب ولا نوافى زاده اذا سرى نسيم أوعب
شربت حيا الامين سرنا واطمانا * بكون تحيا الوصل وهو موسم
نعد دهرى أن تخرج حصة * وسيدات ثرى شيبه سم
ان لاح سنا يروق شفى أوتر مشاد حداى الى الهيام وساقى أورماضى فلا راى
راتنى

وانى ابصيني سنا كل بارق * وكل حمام فى انزاله روح
وأرتاع من طيبي الفلاة اذاربا * وأرتاح لمدى روى وسنرج
وميت ذالذال امر من حيث ذاته * ولان المعنى فى الطيب يروح
ولا أستطيع ان أعرب عن امرى العجيب انابى من دون المدخل والخبى المدهش
الرجيب

ولات الراعى ليس فليس لى * لسان يؤدى ما امرام يقول
بطارحى ابرق ابرق ديت كلما * أضاء كأن البرق من رسول
وما بال خدق الفسيم يبلنى * هل اربع راح را شمالي كمل
اردم وعشوقى عن دال كرى لا ترقا * وجدونى ليس الهام من الارق مرى وشجونى مواذا
صدحت بنيتها وورقا

رب ورقاء فى الراحى تنادى * الساقى فوسم بالمبداه
فغير الهوى الحس بديب * شيدا سمع أسماء عواده
كلما رجعت توجعت حزنا * فيكأنافى وجدنا تقياده
فيا الهام من ذات طوق مثيرة لكامن شوق جالمة لمن يرب رشمال رقوق
ذكرتنى الورقاء أيام أنس * سائيات فبت أذرى الدموعا
ووصلت السهاد شوقا لحي * وغراما رقد شجرت المعوفا
كيف يحلو قلبى من الذكر يوما * وعلى حبه سم حيت الملوفا
لما أولع العذول بعبنى * فى عواهم بردان قلبى رلوعا
ربما أتخيل قول من قل انهم بالخرن باحثة وعلى فتندى باحثة رلوعا

وهو بالحب مدفوعا على

ورب سامة في الدوح باتت * تجيد النوح فتابعدفن
أفاسها الهوى مهمما اجتماعنا * فيها النوح والعبرات منى
ولا غروا ن ظهرا سر بائع في المثل من النجونا ن

فرجعت بعد فراق أيام الهوى * أصف الصباية للعب المولع
داعي الجفون اذا الجمامة غردت * من فوق خوط البانة المترعرع
أسقى الديار وقد تباعد أهلها * عنها عزالي الدموع الهامع
وتواعب الاطلال ليس يجيبني * ما بيني سوى الصدى بتوجع
وهواتف فوق الغصون يجيبني * منبس تفريد الحمام السجع
ناحت على عذب الشروع والسها * منها برأى فوقها وبسمع
ما فارقت انفا كما فارقت * كلا ولا أجرت سوا كب أدعى

على أوان عيون سعوده روان وزمان معمور بأمان وأمان وآنال دوان ونهاى ما بين
بكر وعوان وفي عذر من طال ليله فاضرب فيه لولوعه وسكن جواه بجوانحه
وضلوعه .

ان طال ليلى بعدهم فطوله * عذرو ذالما أفاسي منهم
لم تسرفيه نجومه لكنها * وفقت لتسمع ما آت عنهم
فأرق الزائد في حرق أنهر المكنون وأبان ووجدى بمن نأى ريان لم يجسد فيه تعال
يرندوبان

تنهسى يا عذبات الرند * كم ذا الكراهية نسيم نجد
فأنت مثلي في جوى أو أرق * وحرقة من فرتة أو صد
عوفيت مما حل بي من حيرة * في الغرب لم يرثوا الله ط و جدى
أعلل القلب بيان عنهم * وهل ينوب غصن عن قد
بانوا فلامغنى السرور بعدهم * مغنى ولا عهد ارضا بعهد
أها من البعد ومن لم يدركه * لم يشجبه تأوهى للبعسد

وفي شغل من ابكمه الربوع والطلول وذهبت برهة من زمانه بين الترحل والحلول فركب
ر الاخطار الصعب والذلول وحافظ على العهد ولم يسلك سبيل الغادر الملول
سقاها الحيامن أربع وطلول * حكمت دتني من بعدهم ونحولى
فتمنت لها أجنان غير قريجة * من الدمع مدرار الشؤون همول
ومن الغريب الذى يشكره غير الارب أن الحادى ان سر القلب بكشف رين فقد تسبب
في اجتماع أمرين متنافيين متنافرين

ترنم حاد بالصريم فشاقتي * الى ذكر من باتت ضلوعى تضمة
فسر وساء النفس حبرا فريما * كلفت به من حيث صرت أذمة

و رقت حين مات من طول السرى مضطرا ذكرا أروم له تسرا وقدأ كثر الرناق

قوله عزالي الدموع بقرأ هكذا
تنسديد الباء لاجل الوزن
وان كان في كتب اللغة يفتح اللام
مقصودا وبكسر هاءا كن الباء
جمع عزلا بكسر اء وهى فم الزادة
الاسفل ولعل الاصل عزالى
بالدموع فسقطت الباء من
التأنيخ فبدلها هاء

رؤية ما لم ياتوه من الا فاق تلهفنا وبحسرا

قلت لما طال النوى عن بلادى * ولاهل النوى بجوى وعويل

هل أرى للفراق آخر عهد * ان عمر الفراق عمر طويل

ثم قلت مضجعا

لا عسى في ذكر أحباب نأوا * لا تلم من أضعف الشوق قواه

ان يوما سياما شملى بهم * ذاك العبدى ليس لي عبد سواه

ثم قلت مضجعا أيضا

لأن الله من صبه أضرب به النوى * وليس له غير اللقاء طيب

وان سببا ملتقى بمسائه * صباح الى قلبى المشوق حبيب

ثم عدت الى الصبر بعد امعان النظر والتدبر

وانى لا أدري أن فى الصبر راحة * ولكن اتفاق على الصبر من عرى

فلا تغلف نار الشوق الشوق طالما * سلاوا فن البحر يسر بالبحر

ثم ساءت من هج التمزق والتليم * مشدا قول ابن قطر ال انقربى فى مقام الع

واتعلم ووجهت القصد الى سكان الغمير بلك التكليم

ان أيام الرضا معدودة * والرضا أجمل شئ بالهيب

لا تظنوا عنكم لي سواة * ما على شوق اليكم من مزيد

راجعوا أنفسكم تستيقنوا * أنكم فى الوقت أقسى ما أريد

ان يوما يجتمع الله بكم * فيه تملى ذاك العبدى يوم عيد

وقول بعض من ندم على البعد عن المعاهد وأمل العود والعود أسجد الى المشاهد وغير

لدهر ذنبه ان عاد وتلف ان لم يعامله بغير الابعاد

لئن عاد جمع الشمل فى ذلك الخى * غفرت لهرى كل ذنب تقسما

وان لم يعد منيت نفسى بعودة * وما داسى قبلى الامانى وفلما

يحسب لتلقى أن يذوب صباية * ولا عين أن تجرى مدامعها دما

على زمن ما نض بهم قد قطعت * لبت به ثوب المصرة معلما

وقول آخر يحاطب أحبابه ويذكر فواصل بحر النوى الطويل وأسبابه

أعيدكم من لراعى وشجوني * ونارجوى تلهفيا شؤنى

وبرح أسى لم يبق فى بقيسة * سوى حركات تارة وسكون

أرى القلب أضيق بعد طارقة الاسى * أسير صبايات رهين خجون

وكيف سبيل القرب منكم ودونكم * رمال زرود والجارع دونى

سلاوا مضجعى هل قر من بعد بكم * وهل عرفت طم الرقاد بجنونى

سم سمرنا بنعمان ونعمت يابل * فيما لعيون ما وقت لعيون

وفى بعض الاحيان أتسلى بقول بعض الإندلسيين الاعيان

لا تكثر بفراق أوطان الصبا * فعسى تنال بغيرهن سعودا

فألذرت نظم عند فند بجماره • بحميل أجياد الحسان عقودا

وقول غيره

فعمى الليالي أن تمن ينظما • عتدا كما كاعليه وأككلا

فلم ياتر الجان فعمدا • ليعاد أحسن في النظام وأجلا

وأرغب لمن أطال ذيول القرية أن ينقلها • وأطاب من أجال النفوس في سبيل الكربة
أن ينقلها

فقلت في وعوادي الدهر غافلة • عماروم وعقد البين محلول

والدار آتية والشمس شمس • والطير صادحة والروض مطلول

وأضرع اليه سبحانه في تيسير العود إلى أوطاني • ومعهدى الذي مطايا العز أوطاني وأن
يلتقي بذلك الأفق الذي خيره موفور • وحق من فيه معروف لا منكرو ولا مكفور

إذا ظفرت من الدنيا بقرهم • فكل ذنب جناه الدهر مغفور

وكأنني بعاتب يقول ما هذا التطويل • فأقول له جوابي قول ابن أبي الأصبع الذي عليه
التعويل

• أكثر عذقي كأنني كنت أقول من • بكى على مسكن أو حن للسكن

لا تلح أن من الإيمان عند ذوى الإيمان منا حنين النفس للوطن

على أني أقول اللهم يسر لي ما فيه الخير لي بالمشارق أو المغارب • وجد لي من فضلك حيث
حلت بجميع ما فيه رضاك من المآرب • بجاء نينا وشفيعنا المبعوث رجة للأجر والاسود
والاعاجم والأعارب • عليه أفضل صلاة وأزكى سلام وعلى آله وأصحابه الأعلام والتابعين
أهم باحسان ما ذكر شارق وتعاقب طالع وغارب • ثم جئت بنا السير في البرأيا ما ونأيتنا عن
الأوطان التي أطيننا في الحديث حبها وهياما • وكأني تفاعيل فضلها نياما إلى أن
ركبنا البحر وحلانا منه بين السحر والخمر وشاهدنا من أهواله • وتنا في أهواله ما لا يعبر عنه
ولا يبلغ له كنه

البحر صعب المرام جتا • لاجعات حاجتي إليه

أليس ماء ونحن طين • فاعسى صبرنا عليه

فكم استقبلنا أمواجه بوجوده واطرأت اليأس من شراره عقبان كواسر قد أزعجتنا
أكف الريح من وكرها كأنهت الحج من سكرها فلم تبق شيئا من قوتها ومكرها فسمعنا
للجبال صفيرا وللرياح دوا عظيمًا وزفيرا • وتيقنا ألا نجد من ذلك الأفضل الله مجيرا وخفيرا
وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه • وأيسنا من الحياة لصوت تلك العواصف
والمياه فلا حيا الله ذلك الهول المزعج ولا يساه • والموج يصفق لسماع أصوات الرياح
فيضطرب بل ويضطرب فكأنه من كائن الجنون يشرب أو شرب فيبتعد ويقترب وفرقه
تلتطم وتضطفق وتختلف ولا تكاد تتفق فخال الجوى يأخذ بنواصيرها وتجذبها أيديه
من قواصيرها حتى كاد سطح الأرض يكشف من خلالها • وعنان السحب ينخطف
في استقلالها وقد أشرفت النفوس على التلف من خوفها واعتلالها وأذنت الأحوال

ركوب المؤان البحر

بعد انتظامها باختلالها وسامت القنوت وتراءت في صورها المتون والشرع
في قسراع مع جيوش الامواج التي امتدت منها الافواج بالافواج ونحن تعود كدود
على عود ما بين فرادى وأزواج وقد بت بنامن الشقوق أمكنتنا ونرست من الفرق
السنتنا ونوهمنا أنه ليس في الوجود أغوار ولا نجود الا السماء والماء وذلك السفين
ومن في قبر جوفه دفين مع ترقب هجوم العدو في الرواح والغدق لا جتياز له على عتة من
بلاد الحرب دمر الله سبحانه من فيها وأذهب بقبحها عن المسلمين الكرب لاسيما ما دلة
الملعون التي يفتق من خلص من معترتها أنه امتد بتأييد الهى ومعونة فقد اعترضت
في لهوات البحر الشامى ثجا وقل من ركبها فأفقت من كيد هاوشجا فزادنا ذلك
الحذر الذي لم يبق ولم يذر على ما وصفناه من هول البحر قلنا وأجربنا اذ ذاك في سدان
اللقاء بالسدا الى التهلكة طلقا ونسنت أفكارنا فرقا وذبنا أسى وندها وفرقا اذا بر
وحده لا كنى يقارعه ولا قوى يقارعه ولا شكل يقارعه لا يؤمن على كل حال
ولا يفرق بين عاطل وسال ولا بين أمز وركبى ومتى الدربا

ثلاثة ليس لها أمان * البسر والسيلان والزمان

فكيف وقد انشم اليه خوف العدو وانغاد راغبات والكافر الخائن في أن يقتنى الله ما
وكل ما أراد فهو الكائن وان شئى عنه وأخطأ الماش قرأنا البر وكنا قبل لم نره وثبت به
أعيننا من المره وحصل بعد الشدة الفرج وشمننا من السلامة أطيب الفرج فياها
من نعمة كشفت عن وجهها النقاب يقل شكرها صوم الاحتباب وعنى الرقاب جهلنا
الله بآياته معتبرين وعلى طاعته مصطبرين ولم نفل في البر من معاناة خطوب ومدارة
وجوه الامتاع ذات تجهم وقطوب فكم جبننا منه مهامه فيما وسبنا بالسلامة منها أمرا
وصنجا وقلنا الفجاج وقرأنا من الطرق خطوطا ذات استقامة واعوجاج وقوب الرفقة
من الفرقة في اضطراب وارتياج وربما عيت على المنهد الذلة التي يحصل بها على المذهب
الاحتجاج قترى الانفاس تعثر في زفرة اشواق والاجسام قد زرت عليها من التعب
الاطواق هذا والليل بصفحة البدر مرتاب قد شدت رحال وأقتاب وزمت رباب
ورفعت احداج وفريت من الدعة بمعية النصب أوداج وتساوى في السير هار مشرق
وليل مقمر أوداج وأديم التأويب والاستاد وجل الغربة قد أثقل واد تم وصنا بعد
خوض بحار يدهش فيها الفكر ويحار وجوب فيا بحار بل فيها السطاع لاهل
الى مصر المحروسة فشقينا برؤيتها من الاوجاج شاعدا كثيرا من شائنا التي نحن
وصفها التوافي والامجاع وتملنا في بدائعها التي لانستونها يقول ابن ماضى فيها

شاطئ مصر جنة * مامثلها في بلد

لاسيما مذخرت * بنيلها المطرد

والسرايح فوقه * سوابغ من زرد

مسرودة مامسها * داودها بعبرد

سائلة وهو بها * برعد عارى الجسد

وصوله الى مصر المحروسة

وانت ذلك قالا فلان يمين حادر ومصدق

وبقول آخر

انظر الى النيل الذي * فظهرت به آيات ربي
فكانه في فيضه * دمي وفي الخلقان قلبي

وبقول أبي المكارم الخليلي المعروف بابن ممان في جزيرتها

جزيرة مصر لا عدد لك مسرة * ولا زالت الذات فيك انصاها
فكم فيك من شمس على غصن قامة * يميت ويحيي هجرها ووصاها
مغانك فوق النيل أنحت هودجا * وشقائق الموح فيك حبالها
ومن أجب لأشياء أنك جنة * تمتد على أهل الضلال ظلالها
لعله أراد بأهل الضلال اليهود والنصارى المستولين اذ ذاك على الدولة وتذكرت في مصر
قول الثاني الناضل

يا لله قل للنيل عني اتى * لم أشف من ماء الذرات غليلا
وسل القوادفانه لي شاعد * ان كان طرفي بالبكاء بخيلا
يا قلب كم خلعت ثمينة * وأظن صبرك أن يكون جيلا

وقول احمد بن فضل الله العمري

لمصر فضل باهر * يعيشها الرغد النضر
في سفع روض يلتقي * ماء الحياة والجنن

وقول آخر

كان النيل ذو فهم ولب * لما يدولعين الناس منه
فيأتي حين حاجتهم اليه * ويعني حين يستغنون عنه

وقول آخر

ولله مجرى النيل منه اذا الصبا * أرتنا به من مرها عسكرا مجرا
بسط يمز السهمرية ذبلا * وموج يمز البيض هندية بترا
اذا مدحاكي الورد لونا وان صفا * حكي ماءه لونا ولم يحكه مرا

وقول آخر

واها لهذا النيل أي عجبة * بكر يمثل حديثها لا يسمع
يلقي الثرى في الماء وهو مسلم * حتى اذا ما مال عاد يودع
مستقبل مثل الهلال فدهره * أبدا يزيد كما يزيد ويرجع

وقول ابن النقيب

الصب من بعدهم مفرد * ود معه النيل وتعليقه
وخسته لما بكاهم دما * مقياسه والدمع تخليقه

وقول الحمدي

سقى مصر وما حوت * من أناسها وأناسها

ومحاسن في مقسمها * تسدو في مقسمها
ومسرة كاساتها * تجلي على أيكاسها
وسطور قرط خطها الشباري على قرطاسها
ودي كاتسها ولا * تنسي ظباء ككاسها
ولطافه بجلالة * تسدو على جلالةها
وتواسم كل المنى * للتنفس في أنفاسها
ومراكب لعبتها الامواج في وسواسها

وقول ابن جابر الاندلسي

ما زلت أسند من محاسن أرضها * شبرا حيا ليس بالقطوع
كم مرسل من نياها ومسلسل * ومدجج من هنيها المرفوع

وقول ابراهيم بن عبدون

والنيل بين البانيين كما * صدقت بنبهته منجبة من قتل
ياتيك من كدر انوار حرمة * بمسك من مائه ومسنديل
فكان ضوء البدر في تويجه * برق توج في صباب مسيل
وكان نور السرح من جنباته * زهرا وكواكب تحت ليل اليل
مثل الرياض منتقا أنواره * تسدو لعين مشبه وممثل

وقول ابن الصاحب

فرح الانام بنيلهم * اذ صار أحمر كالثقيق
وتبركوا بشروقه * فكانه وادي العقيق

وقول آخر

احمر للنيل خست * حتى غدا كالثقيق
وقد ترعت فيه * اذ صار وادي العقيق

ثم شمرت عن ساعد العزم بعد الإقامة بمصر مدة قليلة الى الموضع الاعظم والمقصود الاكبر
الذي هو سر المطالب بالمليلة وهو رؤية الحرمين الشريفين والأمينين رادهما الله
تنويرها وبلغ النفوس ببركة من شرفه ما قرب لم ترل - وبها فسدت في الاله الى الجبار
راجيا من الله سبحانه في الاجر الانتهاز الى أن بلغت جدة بعد مكابدة مطلوب اقتضت
لهامن الصبر عدة فحين حصل القرب واكتفت العين بأشد تلك الترب ترنت بقول من قال
محترضا على الوخذ والارتقال

بدلت الحق فاقطع ظهري سدا * واهجر مقالة أحباب وأعداء
واقصد على عزمة أرض الجواز تجد * بعدا عن الخط في زل الاوداء
وقل اذانت من أم القسري اربا * وهو الوصول بأسرار وابداء
يامكة الله قدمي كنت لي حرما * مؤتمنالت أشكوفيه من داء
فذرأي النازح المسكين مسكنه * في قطرك الرحب لم يشكب بارداء

ذهاب المواقف الى الحرمين

شوق السواد الى مغنائه متصل * شوق الرياض الى طسلى وأنداء
ثم أنشدت عند ما بدت أعلام البيت الحرام قول بعض من غلب عليه الشوق والغرام وقد
بالغ من أمانيه الموصية بنائره وتهاتيه المرام

وافى الجميع الى البيت العتيق وقد * مهاجى الديجى فرأوا نوراً به بزغا
يجوا : نيباً وتالوا الله أكبر ما * للبقوم وتلقا بالنور قد صبغا
فان الدليل الالهاتوا بشارتكهم * فحن نوى كعبة الرحمن قد بلغا
نادوا على العيس بالاشواق واتحبوا * وحن كل فؤاد نحوها وصفا
رلى من ذم فعملانال محمـدة * فى مكة ومحاماً قد جنى وبغى
ولما وقع امرى الى البيت الشريف كدت أغيب عن الوجود واستشعرت قول العارف
بالله الشبلى لما وفد الى حضرة الجود

قلت لا قلب اذ تراءى لعينى * رسم دار لهم فهاج اشتياق
هذه دارهم وأنت محبة * ما احتباس الدموع فى الإماق
والمغاني للسب فيها معاني * فهى تدعى مصارع العشاق
حل عقد الدموع واحلل رباهما * واهجر الصبر وارح حق الفراق
ثم أكمات العمرة ودعوت الله أن أكون ممن عمر بطاعة ربه عمره وذلك أوائل القعدة من
عام ثمانية وعشرين رآلف من الهجرة النبوية وأقت هنالك منتظرا وقت الحج الشريف
ومتفياً ذلك الطل الوريق ومقتطفاً غمار القرب الجنية الى أن جاء الاوان فأحرمت
بالحج من غير توان وحين حلت بمحابه أحرمت نويت الإقامة هنالك وأبرمت لخال
من دون ذلك حائل وكنت حرياً بأن أنشد قول القائل

هذى أباطح مكة حولي وما * بجعت مشاعرها من الحرمات
أدعوبها بلبك تلبية امرئ * يرجو الخلاص بها من الازمات
تلت المني بمنى لاني لم أخف * بالخيف من ذنب أحمال سمانى
وعرفت فى عرفات أنى ناشق * للعفو عرفاً عاطر التسمات
وأن أتمثل فى المطاف اذ حفتنى الاطاف يقول من ربه بالتقوى مشيد البغدادى
المشهير بابن رشيد

على ربه هم لله بيت مبارك * اليه قلوب الناس تهوى وتهواه
يطوف به الجاني فيغفر ذنبه * ويسقط عنه جرمه وخطايا
وكم لذة أو فرحة لطوافه * فله ما أحلى الطواف وأهناء
ثم قصدنا بعد قضاء تلك الاوطار طيبة الشريفة التى لها الفضل على الاقطار واستشعرت
قول من أنشد وطير عزمه عن أوكاره قذطار
سجدت مرادى اذ بلغت مرادى * بأتم القرى مستمسكاً بعمادى
ومذرويت من ماء زمزم غلتى * فليست بمحتاج لماء عماد

قلته سبحانه الحمد على نعمه التي جلت ومننه التي نزلت بها النفوس مواطن التشریف
ونيات

من يهده الرحمن خير هداية * يحلل بحمكة كي يتاح المقصدا
واذا قضى من حجة الفرض انتهى * يشقى برؤية تطيبة داء الصدى
وكان حظي في هذه الحال تذكر قول بعض الوشاحين من الاندلسيين الذين كان لهم
ارتحال الى تلك المعاهد الطاهرة والمشاهد الزاهرة التي تشد اليها الرجال
يا من لعبسده اقتصار الى أياذه جسيم فضلك مدن خير مدن حل بها سيد الانام
لم يهف قلبي لحب ليلى * ولا سعاد ولا الرباب
لاقي شجونا ونال وبلا * من هام في ذلك الجناب
بل مال منى القوادميلا * لمن له الحب لا يعاب
قلبي والله مستطار مذحل في بيته الحرام ذي الحجر والركن خير وكن وزمزم الخير والمقام
ذابت قلوب المطى عشقا * وركبها راسوى المراد
الى حبيب القلوب حقا * الحى والميت والجماد
الى الذي ليس فيه يشقى * من حبه داخل القواد
شكوا وقد طالت السفار هم ومطاياهم السقام فهي قسى من التنى والتوم من فوقها سهام
ولست من سكرتى مضيقا * حتى أرى حجرة الرسول
فان يسهم لي الطريقا * فذلك أقسى منى رسول
متى ترى عيني العقيقا * ويندح القلب بالوصول
بكم قلت والصبر مستعار للركب اذا غادروا المنام وسمه الشوق حركتنى وزادنى الوجد والغرام
قوموا فسد طال ذا الجلوس * وبادروا زورة الحبيب
تاغت الى طيبة النفوس * لا عيش من دونها يطيب
لا حبذا دونها الغروس * والماء والشادن الريب
وحبذا الرمل والقفار والعرب في تلكم الخيام وأم غيلان ظلاتنى والايك والائل والثمار
يا طيبة حزن كل طيب * بسيد فيك ذى حلون
نداء مستضعف غريب * فى غرأ مداحه يقول
وهو من السامع الجيب * لمدحه يسأل القبول
أنت الغنى فى فلا اقتنار وأنت عزى فلا أضام مستمسك منك حسن ظنى بعروة ما لها انقصام
بسيد العالمين أجمع * بأجد المجتبى الرسول
ومن هو الشافع المشفع * فى موقف المحشر المهول
اذلا كلام هنالك يسمع * للغير والناس فى ذهول
اذ السماء لها انطار والشهب مثورة النظام كذا الجبال اثنت كعهن سريعة المتر كالغمام
يا أول الرسل فى الفضيله * وان تأخرت فى الزمن
شفاعت نات مع وسيله * فمن يضاهاى علاك من

علت بك الرتبة الجليله * وطبت في السر والعلن
فأنت من خيرهم خيار فن يضا هيكت في المقام والرسل نالت بك التقى وأنت بدير لهم تمام
الوجد قد قررت في قوادي * فما لصبر به قرار
ولا يترى سعادته اتقاد * ودمع عيني له انهمار
رها أنا جئت من بلادى * لطيفة أبتغي الجوار
فخذ اترككم الديار والمصطفى مسكة الختام عليه أزكى الصلاة منى وصحبه الغر والسلام
وقول أبي جعفر الرعي "الغرناطي" رحمه الله تعالى وهو من التشريع أحد أنواع
البديع

ياراحلا يعني زيارة طيبة * نالت المني بزيارة الاخيار
حتى العتيق اذا وصلت وصف لنا * وادي منى يا طيب الاخيار
واذا وقفت لدى المعرف داعيا * زال العنا وظفرت بالاطوار
ولما من الله تعالى علينا بالخلول في المشاهد التي قام الدين بها وظهر والمعاهد التي بان الحق
فيها واشهر والمواطن التي هزم الله تعالى حزب الشيطان فيها وقهر ونصرت النبوة
وعضدت وقطعت عصون الكفر وحصدت ورست قواعد التوحيد ونضدت وقزت
العيون وقضيت الديون أنشد لسان الحال قول بعض من جيده بحاسن طيبة حال
يا من به طيبة طابت حلى وعلا * ومن يتشريفه قد شرف العرب
يا أحمد المصطفى قد جئت من بلد * قاص ولي خلد قاص ولي أرب
وفدد هتني ذنوب قلت اذ عظمت * لله منها وطه المرتجي الهرب
ونسينا بمشاهدة ذلك الجنب ما كافيه وسبق الدمع الذي لا يعارض الفرح ولا ينافيه
أيها المغرم المشوق هنيئا * ما أنالوك من لذيذ التلاق
قل لعينيك تهملان سرورا * طالما أسعدك اليوم الفراق
واجع الوجد والسرور ابتهاجا * وجميع الاشجان والاشواق
وأمر العين أن تفيض انهما لا * وتوالى بد معها المهرق
هذه دارهم وأنت محبة * ما بقاء الدموع في الآفاق
وملنا عن الاكوار وغلنا من عرف تلك الانجاد والاغوار وغلنا من هاتيك الانوار
وتخلينا عن الاغيار وتخلينا بجلى الاخيار وكيف لا وطيبة مركز للزوار
اذالم تطب في طيبة عند طيب * به طيبة طابت فأين طيب
وان لم يجب في أرضها ربنا الدعا * ففي أية أرض للعدله يجب
أيسا كفى أكاف طيبة كلكم * الى القلب من أجل الحبيب حبيب
وما أحسن قول عالم الاندلس المالكي اللبيب عبد الملك السلي المشهور بابن حبيب
لله در عصابة صاحبته * نحو المدينة تقطع الفلوات
ومهاسه قد جبتها ومفاوز * ما زلت أذكرها بطول حياتي
حتى أتينا القبر قبر محمد * خصص الاله محمد ابصلا

خير البرية والنبي المصطفى * هادي الوري لطرائق لنجاة
لما وقفت بقربه لسلامه * جادت دموعي واكف العبرات
ورأيت حجرته وموضعه الذي * قد كان يدعوقيه في الخلوات
مع روضة قد قال فيها انها * مشتقة من روضة الجنات
وعنزل الانصار وسط قبا بهم * بيت الهداية كاشف الغمرات
وبطية طابوا والوارحة * مني الكتاب وتحكم الآيات
وبقبر حمزة والحماية حوله * فاضت دموع العين من ممرات
سقى تلك معاهد اشاهدتها * وشهدتها بالخطو والمخظات
لا زلت ازوارا لقبر تينا * ومدينة زهراء بالبركات
صلى الاله على النبي المصطفى * هادي البرية كاشف الكربات
وعلى جميعه السلام مرددا * ملاح نور الحق في الظلمات

وقول كمال الدين ناظر فوص

أفح هذه والحمد لله يثرب * فبشر قد نلت الذي كنت بطلب
فعفرت هذا الترب وجهه ان انه * أحق به من كل طيب وأطيب
وقبل ربه عما حولها قد تشرفت * بمن ياورت واشئ بالشيء يوجب
وسكن قد انزل بأشواقه * اليها على بحر الغنى يتقلب
وكف دموعا طالما قد سخطها * وبرد جوى نيرانه تلهب

وقول الرعيني الغرياطي

هذه روضة الرسول تدعني * أبذل المع في السعيد السعيد
لا تلمني على انسكاب دموعي * انما صنعتها لهذا الصعيد

ولما سلمت على سيد الانام عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى السلام ذبت حياء ورجلا
لما أنا عليه من ارتكاب ما يقتضي وجلا غير أني بوسلت بجاهه صلى الله عليه وسلم في أن
أكون ممن وضع له وجه الصفي وجلا

المسك أفر من زلي * فرار الخائف الوجل
وكان من ار قبرا بالمدينة منتهى أملي
فوفى الله ما طمحت * له نفسي بلا خلل
نخذ بيدي غريق في * بحار القول والعمل
وهب لي منك عارفة * تعرف ما تنكر لي
وتهديني الى رشدي * وتمنعني من الرسل
وتحسمني على سنن * يؤمنني من الوجل
فأنت دليل من عمت * عليه مسالك السبل
وانك شافع بر * وموئلنا من الوهل
وانك خير مبتعث * وانك خاتم الرسل

فيا أركى الورى شرفا * وشافهم من العلل
ويا أتدى الانام يدا * وأكرم ناصر وولى
نداء مقسر وجل * بثوب الفقر مستمل
على جده والى معمدى * فأنقذنى من الدخل
والحقنى بجنات * لى درجاتها الاول
بصدىق وفاروق * وعثمان الرضى وعلى
فأنت ملاذ معتصم * وأنت عماد متكل
عليك صلاة ربك جل فى الغدوات والاصل

ومذ شئنا من أريج تلك الارحاء الذاكية واستضأنا بسرج تلك الاضواء الزاكية
ظهر من الشوق ما كان بطن ولم يخطر ببالنا ~~سكن~~ ولا وطن وبإسعادة من أقام بتلك
البقاع الشريفة وقطن

مرّ التسميم بربعهم قتلنا ذا
حتى كأن النسر صار له غذا
فصحا وصح وصاح لا أشكو أذى
قل للصيا ما ذا جلت من الشذا * أمست طيبا أم علاك عبير
يا أيها الحادى الذى من اسمه
فصد الحبيب وأن يلم برسمه
هذى منازل فزمر باسمه
يا بى الذى لم تدور زهرة جسمه * لكنه غص الجبال نصير
لله شوق قد تجاوز حده
أوفى على الصبر المشيد فهذه
يا ناشق الكافور لا تتعده
طوبى لمشتاق يعفر خده * فى روضة الهادى اليه بشير
فهناك يذل فى التوسل وسعه
ويصيح نحو خطيب طيبة سمعه
ويريق فوق حصى المصلى دمه
ويرى معالم من يحب ورعه * ومجد العالمين بشير
صلى عليه الله خير صلاته
وحبامعاليه جليل صلاته
ما حن ذوالاشواق فى حالته

وأنى مغانيه على علته * فأنيح حسن الختم وهو قرين
ووقفنا ياب طاب الآمال خاشعين ونوسلنا الى الله بذلك المقام العلى خاضعين وغبطنا
قوما سكنوا هنالك فكانوا لحدودهم متى شاءوا على تلك الاعتاب واضعين

أكرم بعبد نحو طيبة مندى
 متوسل مستشفع مسترشد
 يغلى الصلاة لها بعزم أيد
 وافى الى قبر النبي محمد * ولربعه الاسى يروح ويغنم
 أزجاء صادق تحبه المتكز
 وحده سائق عزمه المتعسين
 فحكي لذي شجوة حجام الاغصن
 هز جارية فيه صوت ملحن * ويمد للاطراب صوت المنشد
 ويقول جنت بعزيمة نراة
 ونهضت والدنيا تمر كساعة
 لحمل "أحمد" فاذلا باذاعة
 هذا النبي المرتجي لشفاعة * يوم القياسة بين هذا المشهد
 هذا الرؤف بجاره ونزاه
 هذا سراج الله في تنزيه
 هذا الذي لا ريب في تفضيله
 هذا حبيب الله وابن خليله * هذا ابن باني البيت أول سجد
 هذا الذي اصطفت النبوة خيمه
 هذا الذي اعتمام الهدى تسديده
 هذا الذي نسقى غدا تسنيه
 هذا الذي جبر دل كان خديمه * في حضرة التشریف أزكى عهد
 هذا الذي شهد الوجود بحجته
 بمزية التفضيل من مختصه
 وأبانه من وحيه في نصه
 هذا الذي ارتفع البراق بشخصه * في ليله الاسراء أشرف مشهد
 هذا الذي غدت الطلول حديقه
 بجواره وبدت تروق أنيقه
 هذا المكمل خلقة وخلقة
 هذا الذي سمع النداء حقيقة * ودنا ولم يكن قبل ذلك بعبد
 فهناك كم رسل به تتوسل
 وعلى حياه لذي المعاد يقول
 يا أرحم الرجا أنت الموثل
 يا خاتم الارسال أنت الاول * فترق في أعلى المكارم واصعد
 الله رفع في سراه مناره

وأبان في السبع العلا أنواره
 ففقت ملائكة السما أنواره
 وأراه بجنته هنالك وناره * فغوى به ومخلد لمخلدا
 كم زاد من وجل وجل ظلمة
 وامتن بالرحى وامتز حرمته
 لما دجا أفق الضلالة دهمة
 بعث الاله به ليرحم أمة * لولاه كانت بالضلالة ترتدى
 نازا الشفوف فكل خلق دونه
 قالغيث يسأل اذ يسيل بينه
 والشمس تستهدي الشروق جبينه
 والله فضله وأظهر دينه * ووفى لناسه بصدق الموعد
 فطبق يغادي ذكره ويرادح
 وبه ينافع مسكك وينافع
 تعبي اللسان محامد ومهادح
 طوي لمن قد عاش وهو يكافح * عنه يناضل باللسان وباليدين
 هو صفوة العرب الاولى أحسابهم
 أسيا فهم قرنت بها أسيا بهم
 فهم لباب الجعد وهو لبابهم
 من آل بيت لم تزل أنسابهم * تنبى لهم عن طيب عنصر مواد
 شرف النبوة قد رسا في أهلها
 وسما على الزهر العلا بمجلها
 ساق السوابق للفخار برسلاها
 نطق الكتاب كاعلت بفضلها * وقضى به نص الحديث المسند
 فوق السعالي توطنت وتوطدت
 وتفردت بالمصطفى وتوحدت
 فهي الخلاصة صفت فتجردت
 من معدن فيه الرسالة قد ثبتت * من عصر آدمنا العصر محمد
 طالوا فلم يبقوا المجد مصعدا
 صالوا في أيمانهم حنف العدا
 سألوا فهم لعفاتهم غيث الجدى
 أهل السقاية والرفادة والندى * والكعبة البيت الحرام المقصد
 المطعمون وقد طوى ألم الطوى
 المناهضون اذا الصريح لهم نوى

العاطفون اذا الطريق بهم نوى
 أهل السدانة والحجاية واللوى * أهل المقام وزمزم والمسجد
 المصلحون اذا الجوع محتاذعت
 المنجحون اذا المساعي دافعت
 الدافعون اذا الاعادي قارعت
 المؤثرون اذا السنون تابعت * وقد الخيخ بنيل كل تفقد
 لا يقرب الخطب المسلم منيعهم
 لا يطرق الكرب الخفيف قريعهم
 والله شرف بالنسي جميعهم
 من نال رتبهم وحاز صنيعهم * نال الشفوف وحاز معنى السود
 حلوا من الطود الاشم بمنعة
 في خير معصم واسمى رفعة
 فهم بمنة امنه في هبة
 الله خصهم بأشرف بقعة * مجموعة محفوفة بالاسعد
 لما أتيت لرامة أصل السرى
 من بعد قصدى مكة أم القرى
 انشدت جهرافيه أثر جوهرا
 واليكها يا خير من وطئ الثرى * عدراء تزي بالعداوى الخرد
 كل الحسان لحسنها قد أدهنا
 ما مثلها في تربها شادنشا
 سقرت بعزم ما جد واطيشا
 نشات بطى القلب وارنوت الحشا * زهراء من يرها يمل ويسجد
 امتك تشأى في مداها الالسا
 وترى اجادتها المجيد المحسنا
 تغدو ولا تنى العنان عن الشنا
 واتك تخرج كالقضب اذا انثنى * مترشما بين الغصون المبد
 قد أعملت في المدح ناقب ذهنها
 ترجو الحلول لى قرارة امنها
 وعسى اذا غذيت بترية عدننا
 يجاولك الاحسان بارع حسنها * والحسن يجلوها وان لم تشد
 مدحى لخبر العالمين عقيدتى
 ومطيتى بل طيبتى ونشيدتى
 وتيجيتى وهدى اليقين مفيدتى

(من غصن الازلي الربيع)

ولئن مدحت محمد ايقصيدني * فلقدمدحت قصيدتي بمحمد

ياخير خلق الله دعوة حائر

يشكو اليك صروف دهر جائر

والله يعلم في هو السر ائري

وهو الذي ارجو لعفوي ائري * متوسلا بجنابك المتأطد

لو لا حقوق عينت بمغارب

لمكنت عندك كي تتاح ما آري

ويكون في الزرقاء عذب مشاربي

حتى احلي من ثرائي * وانال دفقا في بهيج الغرقد

وعليك من رب حبال صلاته

وسلامه وهباته وصلاته

ما اتم يا بك من هبته فلاته

لعلاك حتى زحزحت علاته * فأتيج حسن الختم دون تردد

ثم ودعته صلى الله عليه وسلم والقلب من فراقه سقيم ووقعت من البعد عن تلك المعاهد

في المقعد المقيم وأنا ارجو أن يكون شكل منطقي غير عقيم وأن أحشر في زمرة من سلك

الصراط المستقيم

يا شفيع العصاة أنت وجاهي * كيف يخشي الرجا عندك خيبة

واذا كنت حاضرة وادي * غيبة الجسم عنك ليست بغيبة

ليس بالعيش في البلاد ارتفاع * أطيب العيش ما يكون بطيبة

ثم عدت الى مصر وقد زال عني ببركته صلى الله عليه وسلم الاصر وذلك في محرم سنة ١٢٩٠

ثم قصدت زيارة بيت المقدس في شهر ربيع من هذا العام وقد شملتني بفضل الله جوائز

الانعام وتذكرت عند مشاهدة تلك المسالك الصعبة قول حافظ الحافظ ابن حجر

العسقلاني رحمه الله تعالى وهو مما زادني في هذه الزيارة رغبة

الى البيت المقدس جئت ارجو * جنان الخلد نزل من كريم

قطعنا في مساقته عقابا * وما بعد العقاب سوى النعيم

فلما دخلت المسجد الاقصى وابصرت بدائعها التي لا تستقصى بهرنى جماله الذي تجلي

الله به عليه وسألت عن محل المعراج الشريف فأرشدت اليه وشاهدت محلا آم فيه

صلى الله عليه وسلم الرسل الكرام الهداة * وكان حق أن أنشد هناك ما قاله بعض الموفقين

وهو مما ينبغي أن ترزوم به الهداة

ان كنت تسأل اين قد * ومحمد بين الانام

فأصيح الى آياته * تظفر بريك في الاوام

اكرم بعبد سلت * تقديمه الرسل الكرام

في حضرة للقدس وا * فاها بعز واحترام

ذهاب المؤلف الى مصر ثم
الى بيت المقدس

صفوا وصلوا خلقه * ان الجماعة بالامام
للشهب نور بين * والفضل للقمر القام
سلك النبوة باهر * وبأحمد ختم النظام
هذا الكتاب دلالة * تنبى الى يوم القيام
شهدت له من بعد عجز السن الذان لتمام
خير الورى واجل ا * يات له خير الكلام
فعله من رب الورى * اذكر صلاة مع سلام

وربما يقول من يتقف على سرد هذه الامداد النبوية الى متى وهذا الميدان تشكل فيه
فرسان البديهة والروية فأنشده في الجواب قول بعض من أمتهج الصواب
لا دعين ملج المصطفى * فعل من في الله قوى طمعه
ففسى أنعم في النسيابة * وعسى يحشر في الله معه

واذا كان القريض في بعض الاحيان كذا صراحا والموقف من تركه والحالة هذه رغبة
عنه وله اطراحا تخبره ما كان حقا وهو مدح الله ورسوله وبذلك يحصل للعبد منتهى سوله

ليس كل القريض يقبله السميع وتصفى لذكره الافهام
ان بعض القريض ما كان هزا * ليس شسباً وبعضه أحكام
واجل الكلام ما كان في مد * ح شفيح الورى عليه السلام
طيب العرف دائم الذكرا * في الليل على عيسه والايام
مثل زهر قد شق عنه كرام * او كسك قد قض عنه ختام
ليس تحصى صفات أجمد بالمدح كما لم تحط به الاوهام
ولو ان البحار حبر وما في الارض من كل نابت اقلام
فتويل المديح فيه قصير * وحام ماض لديه كهام
ولسان البليغ التي بني * وكذا صيب الفصيح جهام
كيف يحصى مديح مولى عليه الله اثني وذكره مستدام
وله المعجزات والاتي تدو * لا يغطي وجوه ههنا لثام
فن المعجزات ان سار ليل * وجميع الانام فيه نيام
واكبا للراق حتى اتى القد * من وفيه رسل الاله الكرام
فاستوا خلقه صفونا وقالوا * صل يا أحمد فانت الامام
فعلبه من ربه صلوات * زاكيات مع محبه وسلام

ثم رجعت الى القاهرة وكررت منها الذهاب الى البقاع الطاهرة فدخلت لهذا التاريخ
الذي هو عام تسعة وثلاثين وألف مكة خمس مزار وحصلت لي بالجمارة فيها الممرات
وأملت فيها على قصد التبرك بدروس عديدة والله يجعل أيام العمر بالعود اليها مديدة
ووقدت على طيبة المعطمة بمما مناهجها السديدة سبع مزار واطفأت بالعود
اليها مالا كاد الحار واستصأت تلك الانوار وألفت بحضوره صلى الله عليه وسلم

وجوع المؤلف الى مصر

بعض ما من الله به على في ذلك الجوار وامليت الحديث النبوي بمرأى منه عليه الصلاة والسلام ومسمع ونلت بذلك وغيره والله المنة ما لم يكن لي فيه مطمع ولا مطمع ثم أتت الى مصر مفوضا لله جميع الامور ملازما خدمة العلم الشريف بالازهر المعمور وكان عودى من الحجّة الخامسة بصفر سنة سبع وثلاثين وألف للهجرة فتمزكت همتي أوائل رجب هذه السنة للعود للبيت المقدس وتجديد العهد بالمحل الذي هو على التقوى مؤسس فوصلت أواسط رجب وأقيمت فيه نحو خمسة وعشرين يوما بدلى فيها بفضل الله وجه الرشاد وما احتجب وألقيت عدة دروس بالاقصى والصخرة المنيفة وزرت مقام الخليل ومن معه من الانبياء ذوي المقامات الشريفة وكنت حقيقا بأن أنشد قول ابن مطروح في ذلك المقام الذي فضله معروف وأمره مشروح

ذهابه الى بيت المقدس

خليل الله قد جئناك نرجو * شفاعتك التي ليست ترد
أنلنا دعوة واشفع تشفع * الى من لا يجيب لديه قصد
وقل يا رب أضيف ووفد * لهم بمحمد صله وعهد
أنوا يستغفرونك من ذنوب * عظام لا تعد ولا تحسد
إذا وزنت يذبل أو شمام * رجح ودونها رضوى واحد
ولكن لا يضيق العفو عنهم * وكيف يضيق وهو لهم معد
وقد سألو أَرْضاك على لسانى * الهى ما أجيب وما أُرَد
فيا مولاهم عطفنا عليهم * فهم جمع أولئك وأت فرد

ثم استوعبت أكثر تلك المزارات المباركة كزار موسى الكليم على نينا وعليهم وعلى سائر المرسلين والانبياء أجمعين أفضل الصلاة والتسليم ثم حدث لي منتصف شعبان عزم على الرحلة الى المدينة التي ظهر فضلها وبان دمشق الشام ذات الحسن والبهاء والحياة والاحتشام والادواح المتنوعة والارواح المتنوعة حيث المشاهد المصكّمة والمعاهد المحترمة والغوطة الغناء والحديقة والمكازم التي يبارى فيها المرء شانه وصديقه والاطلال الوريقة والاقنان الوريقة والزهر الذي تحاله مبسما والندى ريقه والقضبان الملد التي تشوق رائيتها بحجّة الخلد

ذهابه الى دمشق

بحيث الروض وضاح الثنايا * انيق الحسن مصقول الاديم
وهي المدينة المستوية على الطباع المعمورة البقاع بالفضل والرباع
تزيد على مر الزمان طلاوة * دمشق التي راقق بجملوا المشارب
لها في أقاليم البلاد مشارق * منزهة اقمارها عن مغارب
ودخلتها أو اخر شعبان المذكور وجدت الرحلة اليها وجعلها الله من السعي المشكور
وجدت بها ما يملأ العين قرة * ويسلى عن الاوطان كل غريب
وشاهدت بعض مغانيبها الحسنة ومبانيبها المستحسنة

نزلائها اتوى المقام ثلاثة * فطابت لنا حتى اغتائبها شهرا
ورأينا من محاسنها ما لا يستوفيه من تألق في الخطاب وأطال في الوصف وأطاب وان

ملا من البلاغة الوطاب كما قلت

محاسن الشام أبلى * من أن تحاط بحمد
لولا جى الشرع قلنا * ولم نقف عند حد
سكانها مجزات * مقرونة بالتحدي

فالجامع الجامع للبدائع يهر الفكر والغوطة المنوطة بالحسن تسحر الابواب لاسما
اذا حياها التسميم وابسكر

أحب الحى من أجل من سكن الحى * حديث حديث فى الهوى وقديم
فقله من آها الجبل الجليل ويوتها التي لم تخرج عن عروض الخليل وخبرها الذى هو على
فضاها وفضل أهلها أدل دليل ومنظرها الذى يتقلب البصر عن بهجته وهو كليل
والروض قد راق العيون بحلة * قدما كهاب صباه آزار
وعلى غصون الدوح خضر غلائل * والزهر فى أكمامه أزهار

فكم اها من حسن ظاهرو كما من كما قلت موطن البيت التاس

أما دمشق فجنة * لعبت بالباب الخلائق
هى بهجة الدنيا التى * منها بديع الحسن فائق
لله منها الصالحية فأنرت بذوى الحقائق
والغوطة الغناء حيث بالورود وبالشفائق
والنهر صاف والنسيم اللدن للأشواق سائق
والطير بالعيون أبعدت فى الغناء حلى الطرائق
ولآلى الأزهار حات جيد غصن فهو رائق
وموارد الامطار قد * تكلت بها حديق الحدائق
لازال مغناها مصو * نأمننا ككل البوائق

وكما قلت من تجلأ أيضا مضمنا الرابع والخامس

دمشق راقت رواء * وبهجة وغضاره
فيها نسيم عليل * صح فوافت بشاره
وغوطة كعروس * نزهى بأعجب شاره
يا حسن من رياض * مثل النضار نضاره
كالزهر زهرا وعنها * عرف العبير عباره
والجامع الفرد منها * أعلى الاله مناره
وحاصل القول فيها * لمن أراد اختصاره
تمد كبرها من رآها * عدنا وحسبى اشاره
دامت تفوق سواها * انالمة واناره

وكما رجلت فيها أيضا

قال لى ما تقول فى الشام حبر * كلما لاح بارق الحسن شامه

قلت ماذا أقول في وصف قطر * هو في وجنة المحاسن شامة

وقلت أيضا

قال لي صف دمشق مولى رئيس * جعل الله خلقه واحتشامة

قلت كل اللسان في وصف قطر * هو في وجنة البسيطة شامة

وقلت أيضا

واذا وصفت محاسن الدنيا فلا * تبدأ بغير دمشق فيها أولا

بلد اذا أرسلت طرفك نحوه * لم تلق الأجنة أوجدولا

ذا وصف بعض صفاتها وهي التي * يعيا البليغ وان اجاد ووطولا

والغاية في هذا الباب من الوصف لبعض محاسنها الفاتنة الالباب قول أبي الوحش سبي
ابن خلف الاسدي يصف أرضها المشرقة ورياضها المورقة ونسيمها العليل وزهرها
البليل

سقى دمشق الشام عتيث عرع * من مستهل ديمة دفاقها

مدينة ليس يضاها حسنها * في سائر الدنيا ولا آفاقها

تود زورا العراق أنها * تعزى اليها الى عراقها

فأرضها مثل السماء بهجة * وزهرها كالزهر في اشراقها

نسيم ريا روضها حتى سرى * فكأخا الهموم من وثاقها

قد ربيع الربيع في ربوعها * وسبقت الدنيا الى أسواقها

لاتسأم العيون والانوف من * رؤيتها يوما ولا انتشاقها

وقول شمس الدين الاسدي الطيبي

اذا ذكرت بقاع الارض يوما * فقل سقيا لخلق ثم رعا

وقل في وصفها لا في سواها * بها ما شئت من دين ودنيا

وكان لسان الدين ذا الوزيرين بن الخطيب عنها بقوله المصيب

بلد تحف به الرياض كأنه * وجه جبل والرياض عذاره

وكانما واديه معصم غادة * ومن الجسور المحكات سواره

وكنت قبل رحلتى اليها ووفادى عليها كثيرا ما أسمع عن أهلها زاد الله في ارتقايتهم
ما يشوقني الى رؤيتها ولقايتهم وينشقني على البعد أريج الادب الفائق من تلقائهم حتى
لقت بمكة المعظمة أوجد كبرائها الذين قرأهم بابه الدهر منظمة عين الاعيان وصدر
أرباب التفسير بها والبيان صاحب القلم الذي طبق الكلى والمفاصل والفتاوى التي
حكمها بين الحق والباطل فاصل والتأليف التي وصفها بالاجادة من باب تحصيل الحاصل
وارث العلم عن غير كلاله ذو الحسب المشرق بدره في سماء الجلاله صاحب المعارف التي
زانت خلاه وسأحب أذيال العوارف التي أبانت عن فضله دلالة مفتي السلطان في تلك
الاوطن على مذهب الامام النعمان مولانا الشيخ عبدالرحمن ابن شيخ الاسلام
عماد الدين لازال سالكا سبيل المهتدين فكان جل الله به عصرا وأوانا لقضية هذا

القياس عنوانا فلما حلت بدارهم ورأيت ما أذهاني من سبقهم للفضل ودارهم
صدق الخبر وتمثلت فيهم بقول بعض من غير

ألمت بنا أوصافهم فامتلا الفضا * عبيرا وأضي نورها من القضا
وقد كان هذا من سماع حديثهم * بلاغا قصح النقل اذ حصل اللقا
وقابلوني أسماءهم الله بالاحتفال والاحتفاء * وعرفني بديع برتهم فن الاكتفاء
نعمرتي المكارم الغرمتهم * وتوات على منها فنون
شرط احسانهم تحقق عندي * ليت شعري الجزاء كيف يكون
وقابلوني بالقبول مخضين عن جهلي وما زال بي احسانهم وجيلهم * وبرتهم حتى
حسبتهم أهلي بل الاولى أن اعتل فيهم بما هو أبلغ من هذا المقول في آل المهلب وهو قول
بعض من نزل يقوم برق قصدهم غير خلب في زمن به تقلب

ولما نزلنا في ظلال يوتهم * أمنا ونلنا الخصب في زمن المحل
ولولم يزد احسانهم وجيلهم * على البر من أهلي حسبتهم أهلي

لا سيما المولى الذي أمداحه تحلى أجياد الطروس العاطلة وسماحه ينحبل أنواء النجود
الهاطلة صدر الاكبر الاعظم الحائز قصب السبق في ميدان الاجادة بشهادة كل نائر
وناظم الصديق الذي بوقه أعتبط والصدوق الذي بأسباب عهده أرتبط الا وحده الذي
ضربت البراعة رواقها بناديه والماجد الذي لم يزل بديع البلاغة من كتيب يناديه
السرى الحائز من الخلال ما أبا ن تفضيله اللوذعي الذي لم يزل أوصافه تحكم له بالسود
وتقضى له والحق أبلغ لا يحتاج الى زيادة براهين الاجل المولى أحمد أفتدى بن شاهين
لا زالت العزة مقيمة بواديه ولا برحت حضرة جامعة لبواطن الفخر بواديه والسعد
يراوح مقامه وينغديه والمجد يترنم بذكره حاديه فكلم له أسماء الله ولغيره من أعيان
دمشق لدى من أباد يعجز عن الابانة عنها لو أراد وصفا لها قس اباد ولو تعرضت لاسمائهم
وحلاهم أدام الله تعالى سوددهم وعلاهم لضاق عن ذلك هذا النطاق وكان من شبه
التكليف بما لا يطاق فليت شعري بأي اسلوب أودى بعض حقهم المطلوب أم بأي
لسان أثنى على مزاياهم الحسان وما عسى أن أقول في قوم نسقوا الفضائل ولواء وتعاطوا
أكواب المحامد ملاء وسحبوا من المجد طارف وملاء وحازوا المكارم وبذوا الموادر
والمصارم سوددا وعلاء

فما رياض زهر الربيع * اذا بدت في وشها البديع
ضاحكة عن شنب الافاح * عند سفور طلعة الصباح
غنى بها مطوق الحمام * وصا فحتها راحة الغمام
وباكرتها نسمة من الصبا * فأصبت كأنها عهد الصبا
فضارة ورونقا وبهجه * تقدي بكل ناظر ومهجه
أطيب من شائهم عبيرا * بين الوري فاسأل به خبيرا

* (من عظم الاندلس الطيب) *

دامت معاليهم على طول الزمن * يروى حديث الفضل عنها عن حسن
وثابت وقرة وسعد * وأسعفو وينيل كل وعد
فهم الذين توهموا بقدرى الخامل وظنوا مع نقصى أن بجر معرفتى وافر كامل حسبما اقتضاه
طبعهم العالى فلو شريت بعمرى ساعة ذهبت من عيشى معهم ما كان بالغالى فتعين حقهم
لا يترك وجههم لا يخالط غيره ولا يشرك وان أطلت الوصف فالغاية فى ذلك لا تدرك
يزداد فى مسعى ترداد ذكرهم * طيبا ويحسن فى عيني مكرره
واذا كان المديح الصادق لا يزيدهم رفعة قدر فهم كما قال الاعرابى الذى ضلت ناقه
فى مدح البدر والبليغ وذو الحصر فى ذلك سبيان والحق أيلج والباطل يلج وليس
الخبر كالبيان

هب الروض لا يثنى على الغيث نشره * أتخسبه تخفى ما أثره الحسنى
وقد تذكرت بلادى النائية بذلك المرأى الشامى الذى يهررائيه فاشتت من أنهار
ذات انسجام أترع فيها من جريال الانس جام وازهار متوجسة للادواح مرقحة
لتنفوس بعاطر الارواح وحدائق تغشى أنوارها الاحداق وعيانتها للخبر عنها مصداق
وأى مصداق

فهي التى ضحك النهار صباحها * وبكت عشتها عيون الترجس
واخضر جانب نهرها فبكائه * سيف يسيل ونغده من سندس
وجنان أفنانها فى الحسن ذوات أفنان
صالحها الرياح فاعتنق السر * ومالت طواله للقصار
لا تذبحضه ببعض كقوم * فى عتاب مكرروا عذار
وبطاح راق سنائها وكل حسنها وتهاى كما قلت مضمنا فى ذلك المتى لقول بعض من نال
فى البلاغة منا ومنها

دمشق لا يقاس بها سواها * ويمتنع القياس مع النصوص
حلاها راقا لا بصار حسنا * على حكم العموم أو الخصوص
بساط زمرد نثرت عليه * من الباقوت ألوان القصوص
ولله در القائل فى وصف تلك الفضائل
ان تكن جنة الخلود بأرضى * فدمشق ولا يكون سواها
أو تكن فى السماء فهى عليها * قدامت هواءها وهواها
بلد طيب ورب غفور * فاعتنمها عشية أوضحاها
وعند رؤيتى لتلك الاقطار الجليدة الاوصاف العظيمة الاخطار تفاءلت بالعود الى أوطان
لى بها أوطار اذ التشابه بينهما قريب فى الانهار والازهار ذات العرف المعطار
وزادت هذم بالتقديس الذى همعت عليها منه الامطار وتثلت بقول الاصفهاني وان
غيرت بسير امنه لما اسفرت وجوه التهانى
اوردت الصالحية حيث مجتمع الرفاق

وشمعت من أرض الشام * منسيم أنفاس العراق
أيقنت لي ولعن أحسب يجمع شمل واتفاق
وضمكت من فرح اللقاء * كما بكيت من الفراق
لم ييسر لي الا تحشم اذن السفر البواق
حتى بطول حديثنا * بصفات ما كنا نلاق
وكنيت قبل حلولي بالبقاع الشامية مولعا بالوطن لا سواه فصار القلب بعد ذلك مقسما بهواه
ولي بالحي أهل وبالشعب جيرة * وفي جابر خل وفي المنفى صعب
تقسم ذا القلب المتسيم بينهم * ما لتكم بالله هل يقسم القلب
فيالك من صبة مراغ للذمام منقاد لشوقه بزمام يتخيل له أنه سمع صوت قيان يقول
الاول

الى الله أشكو بالمدينة حاجة * وبالشام أخرى كيف يلتقيان
وقد تعددت جوعه ووشيت بما كنت ضلوعه دموعه فأنشد وقد تحير ما بدل فيه
من عظم ما به وغير

كتمت شأن الهوى يوم النوى فوشى * بسر من جفوني أي غمام
كانت ليالي يضا في دنوهم * فلانسبل بعدهم من حال آي
ضنيت وجدابهم والناس تحسب بي * سقما فأبهم على عندلواي
وليس أصل ضني جسمي الهيل سوى * فرط اشتياقي لأهل الغرب والشام
وحصل التحير حيث لم يمكن الجمع ولا الخلاؤ عند التحير كما قال ابن دقيق العيد في مثل هذا
الغرض البعيد

إذا كنت في نجد وطيب نعيمه * تذكرت أهلي بالوادي فحسر
وان كنت فيهم زدت شوقا ولوعة * الى ساكني نجد وعيل نصبري
فقد طال ما بين الفريقين موقفي * فن لي بنجد بين أهلي ومعشري
وبالجملة فالاعتراف بالحق قريضه ومحاسن الشام وأهله طويلة عريضه ورياضه بالمفاخر
والكلمات أريضه وهو متر الأولياء والأنبياء ولا يجهل فضله الا الانهار الاغبياء الذين
قلوبهم مريضه

أني يرى الشمس خفاش يلاحظها * والشمس تبهر أبصار الخفافيش
وقد در من قال في مثل هذا من الارضاء

وهبني قلت هذا الصبح ليل * ايعمى العالمون عن الضياء

وقال اخر فمن عن الحق يتقر

إذا لم يكن للمرء عين بصيرة * فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر

وحسب القاضل اللبيب أن يروي قول البدر بن حبيب

عزج اذا ما شمت برق الشام * وحي أهل الحى واقرا السلام

وانزل باقليم جزيل الحيا * بارك فيه الله رب الانام

العز والتعصر لاديه وما * لعروة الاسلام عنه انقصام
من أولياء الله كم قد حوى * ركا بمرآه يطيب المقام
وهو مقر الانبياء الأولي * والاصفياء الاتقياء الكرام
كم من شهيد في سماء وكم * من عالم فرد وكم من امام

ولذلك اعتنت الجهابذة بتخليد أخباره في الدواوين وابتنت الاساتذة بيوت افتخاره المنيفة
الاواوين وتناقلت أنبياء البديعة ألسن الراوين وهامت بأماهكنه المريضة هداة
الشريعة فضلا عن الشعراء الغاوين ومع ذلك فهم في التعبير عن بحائبه غير متساوين
أولا يرى أنهم يأتون من همقواهم على قدر رأيهم وعقولهم ولم يبلغ جمع منهم ما كانوا ليناوين
على قدر ذلك الصفاء توليك نشوة * بهاسي أعداء وسرأعحاب
ولو أنها تعطيك منها بقدرها * لصاقت بك الاكوان وهي رحاب
وكنا في خلال الإقامة بدمشق المحوطة وأثناء التأمل في محاسن الجامع والمنازل
والقصود والغوطة كثيرا ما تنظم في سلك المذاكرة درر الاخبار الملقوطة وتتفأ من
ظلال التبيان مع أولئك الاعيان في مجالس مغبوطة تتجاذب فيها أهداب الآداب
وتشرب من ساسال الاسترسال وتهادى لباب الالباب وغد بساط الانبساط ونسدل
أطناب الاطناب ونقضي أوطار الاقطار ونستدعي اعلام الاعلام فيخبر بنا الكلام
والحديث شجون وبالتفنى يبلغ المستفيدون ما يرجون الى ذكر البلاد الاندلسية ووصف
رياضها الهندسية التي هي بالحسن منوطة وقضاياها الموجهة التي لا يستوفيه المنطق
مع أنها ضرورية وتمكنه ومشروطة والفطر السليم والافهام المستقيمة بتسليم براهينها
قاضية لاشيائان كانت بالانصاف مبروطة فصرت أورد من بدائع بلغاتها ما يجري على
لساني من الفيض الرحمانى وأسرد من كلام وزيرها لسان الدين بن الخطيب السمانى
صب الله عليه شآبيب رجاء وبلغه من رضوانه الامانى ما تشيره المناسبة وتقتضيه وتعمل
اليه الطباع السليمة وترتضيه من النظم الجزل في الجدل والهزل والانشاء الذي
يدهش به ذاكره الالباب ان شاء وتصرفه في فنون البلاغة حالى الولاية والعزل اذهو
أعنى لسان الدين فارس النظم والنثر في ذلك العصر والمتفرد بالسبق في تلك الميادين
بأداة الحصر وكيف لا وتظمه لم تستول على مثله ايدى الهصر ونثره تزرى صورته
بالخريدة ودمية القصر فلما تكرر ذلك غير مرة على أسماعهم لهجوا به دون غيره حتى صار
كانه كلمة اجماعهم وعلاق بقلوبهم وأضحى منتهى مطالعهم ومنية آمالهم وأطماعهم
وصاروا يقطعون بيد الرغبة فنونه ويعترفون ببراعته ويستحسنونه ويستشوقون
من أزهاره كل ذلك فطلب منى المولى أحمد الشاهينى اذذاك وهو الماجد المذكور
ذوالسعي المشكور أن أتصدى للتعريف بلسان الدين في مصنف يعرب عن بعض أحواله
وأخباره وبدائعه وصناعاته ووقائعه مع ملوك عصره وعلمائه وأدبائه ومفاخره التي
قلدها جيد الزمان ولبته وماثره التي أرتج بها مسرى الشمال وهبته وبعض ماله من
النثار والنظام والمؤلفات الكبار العظام الرائقة للإبصار الفاتقة على كلام كثير من

أهل الامصار السائرة مسير القمر والشمس المعقود عليها بالخصايريل الخمس كي ما يكون ذلك لهذه الاغراض شبيها ويخلع على مطالعه بهذه البلاد المشرقية من أغراضه البديعة ومنارعه وشبيها فأجبتة اسمي الله قدره الكبير وأدام عرف فضائله المزدري بالعنبر والعنبر بأن هذا الغرض غير سهل ولست علم الله بأهل من جهات عديدة أولها قصوري عن تحمل تلك الاعباء الشديدة اذ لا يوفى بهذا الغرض الا الماهر بطرق المعارف السديدة وثانيها عدم تيسر الكتب المستعانة بها على هذا المرام لاني خلقتها بالمغرب وأكثرتها في المشرق كعقلاء مغرب وثالثها شغل الخاطر بأشجان الغربه الجالية للفكر غاية الكربة وتقسيم البال بين شغل عائق ولبال ~~و~~ وأني يطيق ساوله هذا المضيق من اكتلت جفونه بالسهاد ونبت جنوبه عن المهاد وسدد نحوه الاسف سهمه وشغل باله ووجهه وبث في قلبه تبريحا وعناء لم يجد منه الا أن يلطف الله تسريحا فما شام بارقة أمل الا في النادر ولا ورد منهل هناه الا وكثره مكر غادر وقد كثر الخفاء وبرج بلاشك الخفاء واستوخت الموارد والمصادر والقلب مكلوم وذو اللب غير معلوم اذا كان على تليفق ما يليق غير قادر ولا مؤنس الاشيا كي دهر يلسان صريح أو باكي قاصمة ظهر يحفن قريح أو مناضل في معترك العجز طريح أو فاضل دفن من الخول في ضريح اذ رمتهم الاوهام الصوائب وعضت منه ايهام الابهام بنائها التوى والتوائب فقلوبه من تقلبات أحواله ذوائب وكما شابت من أمثاله بصروف الدهر واهواله ذوائب على أنها الايام قد صرن كلها * عجائب حق ليس فيها عجائب

وأدمع اجارها تسلط فجارها فكمن من عدو منهم في ثياب صديق وحسودا ينظره الى نعم الله على عباده تحديق لا تخدعه المداواة ولا تردعه المماراة يتبع العثرات ويقنع بألم البثرات ويتبسم وقلبه من الغل يتقسم ويتودد ومكايده تجدد فتتهدد

لا ترم من عمادق الود خيرا * فبعيد من السراب الشراب

رونق كالحياب يعلو على الماء * ولكن تحت الحجاب الحجاب

عظمت في النفاق السنة القو * موفي الالسن العذاب العذاب

والصديق الصدوق في هذا الزمن قليل وقد ألف بعض العلماء شفاء الغليل في ذم الصاحب

والخليل وهو غير محمول على الاطلاق وان قال به بعض من رهنه من أبناء عصره ذوا غلاق

أبناء دهر كالفهم * مثل العدايس لاحكا

لا تغيب ستر ربتبسم * فالسيف يقتل ضاحكا

وداء الحسد أعيا الاول والآخر وقد عظم الامر في هذا الاوان وكثر المزدري والساخر

مع أن أسواق الدفاتر كاسده وأمزجة المحابر فاسده

والدهر دهر الجاهليين وأمر أهل العلم فاتر

لا سوق أكسديه من * سوق المحابر والدفاتر

فالمسوب للعلم في هذا الزمن زمن وهو بأن يشد قول الاول قن

لاي وميض بارقة أشيم * ورعى الفضل عيدهم هشيم

وايت شعري علام يحسد من ابدل الاغتراب شاربته وأضعف الاضطراب اشارته وأنهل
بالدموع أنواءه وأقلل أضواءه وكثر عله وأدواءه وخير عند التأمل رواءه وثني عن
المأمول عنانه وأرهق بالحوول سنانه حتى قدح الذكر حنانه وملا الفكر جاشه وجنانه
فهو في ميدان التزوح مستيق ومن راحة التعب مصطبح ومغتنق

له آنة المشتاق في كل ساعة * تمر ومالنا كلات من الحزن
ومن مرسلات الدمع واقعة الامي * ومن عاديات الين قارعة السن
تثير الذكري منه كوامن الشجون وتدير عليه جام الهيام ولو كان بين الصفا والجنون
وتحت ضلوع المستهام كآبة * يخاف على الاحشاء منها التفطرا
ولو أن أحشاء تبوح بما حوت * لتمتلت الارض كتباً وأسطرا
وشتان ما بين الاقتراب والاغتراب والسكون في الركون والنبوع عنها والاضطراب فذاك
تسهل غالباً فيه الاغراض والمآرب وهذا تعفر فيه المقاصد وتتكدرا المآرب
وما أنا عن تحصيل دنيا بعاجز * ولكن أرى تحصيلها بالدنية
وان طأوعتني رقة الحال مرة * آبت فعلها أخلاق نفس آبية
وكما قلت عند ما صرت الى الاغتراب وألت

تركت رسوم عزي في بلادى * وصرت بمصر منسى الرسوم
ورضت النفس بالتجريد زهدا * وقلت لها عن العليا صوى
مخافة أن أرى بالحرص عن * يكون زمانه أحداً لخصوم

وكما قال بعض الاكابر من أهل الزمان الغابر

لا عار ان عطلت يداى من الغنى * كم سابق في الخيل غير محجل
حان اللثيم وصنت وجهى ماله * دونى قلم يبذل ولم أتبذل
أبكي لهم ضافى متأوبا * ان الدموع قرى الهموم النزل
لا تنسكروا شيئا ألم بفرقى * بجلا كأن سناء سلة منصل
فلقد دفعت الى الهموم تنوينى * منها ثلاث شدائد جعنى
أسف على ماضى الزمان وجيرة * فى الحال منه ووحشة المستقبل
ما ان وصلت الى زمان آخر * الا بكيت على الزمان الاقل
لله عهد بالحى لم أنسه * أيام أعصى فى الصباية عذلى

ويرحم الله ابن قلاقس الاسكندرى اذ قال فى معنى التقي المصدري

لعل زمانى بالعذب يعود * فيقرب قرب أوبى صدود
وأبصر كشيانا وهزروادف * عليهن أغصان وهن قدود
وأقطف ورد الخلد وهو مضرّج * وأجنى اقاح النغرو هو بروذ
وأدنى ذراعى للعناق ذريعة * فتتهى عن الافراط فيه نهود
وبسرى الى البدر وهو ممنوع * ويغدو الى الطي وهو شروذ
ونكرع فى شكوى الفراق كاتنا * فوارط هيم راقهن ورود

وأكرم مقدار الهوى عن كبيرة * وأجى عفاى دونه وأذود
وفرق ما بين الجوهر والعرض والصحة البينة والمرض والدر والحصا والحسام والعصا
والريجوع الى التفويض للأقدار فى أمور هذه الدثر الكثيرة الا كدار هو المطلوب
والمرجوع من الله سبحانه جبر القلوب

يارب نفس هموى * واكشف كروى جميعا

فقد رجوت كريما * وقد دعوت سمعا

ولم يجعل لى المذكور حفظه الله فصحته ولا مندوحة بعده هذه الاعذار المحودة فى الصدق
المندوحة ولسان حالى وقالى يثبتان عجزى عن اداء هذا الحق بشهادة من هو وادوقالى
اذ من كان بصفه غير ممكنة مما تكون به متصفه واتسم بنعوت مختلفه وارتمى فى غير
ذوى الاحوال المؤتلفه ككيف يحير فى التصنيف جوابا أو ينتجى من التأليف صوابا
ومن جفنه هام هامل وقصوره عام شامل كيف يقبض بالانامل على ماء البحر الوافر
الكامل ومن لبس من الحى تملاه لا يعبر عن طبق مفاصل الكلام وكلاء وقصرت
ألسن البلغاء عن علاه ورائت صدور الدواوين حلاه وجمع خلا احسانا وكان للدين
لسانا وزاجت مفاخره بالمناكب الكواكب وازدانت بجرام النوادى والمواكب
ونفحات الازهار من آدابه ونسمات الاصهار عطر أذياله وأهدابه والسحر من كتابه
والسحر من كتابه وروح النسيم من تعريضه والنثرة من نثره والشعرى من شعره وقريضه
وحلل المجد لباسه وأنوار العلم اقباسه

له ذهن يغوص بحر علم * فباتى منه بالدر التنظيم

معانيه الرياض لاجل هذا * سرت ألقاضه مثل النسيم

ومباهيه النجوم ومضاهيه الغيث السجوم الى آباء يحسد هم القمر والشمس واثابه
لو كان له شرفى لما تحيفه لمس وشرف لا مدعى ولا منتحل وهمه لونا لها البدر لا يستجدى
له زحل وبراعة أرهفت سنان قلبه وبراعة سارت أمراؤه ما تحت علمه فكم فتح بفكره
أقناله ووسم بذهنه الثاقب أغضاله وسبك معانيه فى قالب قلبه ابريزا ورقم
بيان لسانه برودا احسانه بلفظه البديع تطريزا فرفع فى ميدان الاجادة لوائه وأتبع
من أنهار البراعة العذبة اروائه ونال سبقا وتبريزا

وما زمن الشباب وأنت تجرى * مع الاحباب فى لهو وطيب

ووصل من حبيب بعد هجر * بأحلى من كلام ابن الخطيب

فقصائد ارخصت جواهر البحور المنظومة فى قلائد اللبات والنجور من حسان العقائل
الحور

معان وألفاظ تنظم منهما * عقود لآل فى نهور الشمائل

وزهر كلام كالحدائق سجه * غنينا به عن حسن زهر الجمائل

وكلماته غدت للابداع اقليدا وجعت طريقا من البلاغة وتليدا

كسبون عبيدا ثياب العبيد * وأضحى لبيد ادبها بليدا

ومقطعاته ألقى الاسماع من مطرب السماع وأبهى في الاحداق والنواظر من
الحداق ذوات الاغصان المسد النواضر يعترف بفضلها من اتحل الانصاف ديننا
واتحل الاوصاف فاختر العدل منها خدينا

رقبات المقاطع محكمات * لو أن الشعر يلين لارتدينا
ورسائله كنقط العروس اللاتحة في البياض أو كوشى الريح أو قطع الرياض برزت
أغصانها الحاليه وتبرجت وتضوعت أفنانها العاليه وتآزجت وقد ألبسها القطر
زهرا وبخر خلألهانمرا فأخذت زخرفها وازينت ولاحت محاسنها غير مخجبة وتبينت
فهرت من لها قابل أسستغفر الله لا بل

هي الحديقة الآن صيها * صوب النهر وجناها زهرة الكلم
وقوافيه رشت بها قوادم الاتقان وخوافيه بنان مجاريها يستدثر الحصر وباع
مباريها يستشعر القصر

حطها روضة وألفاظها الاز * هار يضحكن والمعاني تمل

تبدي لمصرها وترى ما قاله أبو عبادة الجعري

وكلام ككأنه الزهر الناضر في رونق الربيع الجديد
مشرق في جوانب السمع ما ينجس عوده على المستعيد
ومعان لو فصلتها القوافي * هجنت ما لجرول من نسيد
حزن مستعمل الكلام اختيارا * وتجنب طلعة التعقيد

بل هي أجل مما وصف عند التحقيق وامعان النظر الصحيح والتدقيق

أين زهر الرياض وهو اذا ما * طال عهد بالغيث عاد هشيما

من قواف كأنها الانجم الزهر سناها زان الظلام البهيا

وناهيك بمن أطلعت العالوم على جلائها ودقائنها وأرته الضنون ماشاء من ياتعات
حدايقها وحيته الحكم الرياضية بأزاهرها وشقائقها وأرضعته الوزارة من ثديها
وحلت به الامارة صدرنديها وجعلته المرجوع اليه في تميز جيد الامور ورديها فخرس
في أرض الرياسة من نخل السياسة وودها وأعلى علم العدل وأغمد سيف الانتقام ودفع
تنين الفتنة الذي فغرفاه للالتقام والعهد اذا ذاك قريب في وطن الاندلس الغريب
بإختلال الحال وتوالى الاحمال والتجري على قتل الملوك والتجري لقطع الطرق
ومنع السلوك حيث أهواء المارقين ذات اقتراق وضلوع الصادقين في قلق واحترق
وايدى الاحن باطشه وسيوف المحن الى الدماء عاطشه وعرش الحماية منلول وصارم
الكفاية مفلول ونطاق الرعاية مطلول وجيب النصيحة مملول والنور
السلطاني بنا را اختلاف الكلمة ملتهب والعدو يتهز الفرصة ويستلب الانفس والاموال
ويذهب وايس له في غير قطع شأفة المسلمين ابتغاء وان عقد المهادنة في بعض الاحيان فهو
يسر حسوا في ارتغاء وكلاب الباطل في دماء أهل الحق والغيبة وانه سبحانه وتعالى
في خلقه ارادة نافذة وحكمة بالغة فرقع لسان الدين ثوب الاندلس ورقاه وأرغم رجاء

قوله هجنت الخ في بعض النسخ
هجنت قول جرول والوليد اه

الله الكفر الذي ففرقاه وشمر عن ساعد اجتهاده وحضر باللسان وباليده على دفاعه وجهاده حتى لاحت للنصر بوارق وأمنت بالحزم الطواري والطوارق ثم ضرب الدهر ضربانه وأحرق الحاسدين بأحقاده أنضربتته وأظهر ما في قلبه على لسان الدين وأبانه وتقرب الوشاه وهم عن كان يخدمه ويغشاه الى سلطانه الذي كان عزه وأوطانه الذي كان يامنه ولا يخشاه حتى فسد عليه ضميره وتكذرو من يسمع يخل غيره فأحس بظاهر الثغر وصار في الباطن من أهل التحير وأجال قداح آرائه والتفت الى جهة العدو من ورائه ففر مشمرا عن ذيله في لمة من خيله الى أمد العبرين سلطان بني مرين وكان اذ ذاك يتلمسان وهو من أهل العلم والعدل والاحسان فاهترق قدمه ولقيه بخاصته وخدمه وأكرم مثواه وجعله صاحب نجواه ثم أدرك السلطان الحمام وكشف بده وقت القمام فرجع لسان الدين الى فاس واستشقى بها أطيب الانفاس وكثرت بعد ذلك الاهوال وتغيرت بسببه بين رؤساء العدو والاندلس الاحوال فمات نجاش من مكر العدا ولا سلم وآل أمره من الاغتيال وما نفع الاحتيال الى ما علم على يدي بعض أعدائه الذين كانوا يترصدون الدوائر لارادائه فأصبح كأمس الذاهب وصارت أمواله وضياعه عرضة للنهاب وغص بذلك من كان من أودائه وأخذ الله ثاره من بعض من حرك عليه المكر وأثاره وتسبب في هلاكه حتى انتثر جواهر أسلاكه ومات بدائه فالعيون الى هذا الوقت على لسان الدين بأكيه ونفوس الاكابر وغيرهم مما فعل به شاكيه والالسنه والاقلام لمقاماته في الاسلام حاكيه فمن كان بهذه السمات وأكثر منها موصوفا لا يقدر مني على تحبير التعبير عنه ويخشى أن تكون فكرته كخرفاء نقضت قطنا أو صوفا ثم اني لما تذكر على في هذا الغرض الاحراج ولم تقبل أعذارى التي زندها شجاع عزمت على الاجابة لما لشد كور على من الحقوق وكيف أقابل بره حفظه الله بالعقوق وهو الذي يروى من أحاديث الفضل الحسان والصالح فوعده بالشروع في المطلب عند الوصول الى القاهرة المعزية وأزمعت السير عن دمشق المعروفة المزيه وألبسني السمر منها من الخلع فزبه ورحلنا عن تلك الارجاء المتألقه والقلوب بها وبين فيها متعلقه

حللنا ديار الغرام سرت بها * الناصبا نجد بطيب نسيم
وبان ردا الاشجان لما تجاذبت * أكف المنى فيها رداء نعيم
فما أشبنا العيس أن قدفت بنا * الى فرقة والعهد غير قديم
فان نك ودعنا الديار وأهلها * فاعهد نجد عندنا بديم

فخرج معنا أسماء الله مع جملة من الاعيان الى دار بنا المضاهية لدارين في رباها وحذاريا
فألقيناها

وينا من الانداء طيبة لها القدر الجليل

بمدي لنا أرجاؤها * أرجا من الزهر البليلى

وبها الغصون تمايلت * ميل الخليل على الخليل

ووصلنا عند الظهيرة وسر حنا العيون في محاسنها الشهيرة

رجوع المؤلف من دمشق الى
مصر المبروسة

منزل كالربيع حلت عليه * حاليات السحاب عقد النطاق
يجمع العين من طرائق حسن * تقي في بها عن الاطسراق
وقلنا بها لما نزلنا بجانيها

وبتنا والسروور لنا نديم * وماء عيوننا الصافي مدام
يسيره التسيم اذا تغنت * حاشته ويسقيه الغمام
فيا لك من ليلة أربت في طيب النفع على ليلة الشريف الرضي بالسفح
ونحن في روضة مفوقة * قدوشيت بالغمام الوكف
تغني على زهرها في وقتنا * وهنا هدير الحمام الهتف
ودوحها من نداء في وشح * ومن لآلى الازهار في شنف
والغصن من فوقه حمامته * كأنها همة على ألف

وما أقرب قول الوزير ابن عمار من وصف ذلك المضمار الجامع للآثار
باليسلة بتنايها * في ظل اكناف النعيم
من فوق أكمام الريا * ض وتحت أذيال التسيم
وناهيك بمجل قرب من دمشق الغراء نخلت عليه حلال الجبور والسرء وأمدته بضياها
وأودعته برق حياها وماء حياها فصار ناضر الدوحات عاطر الغدوات والروحات موق
الانفاس والنفحات مشرق الاسرة والصفحات هذا والقلوب من الفراق في قلق ولسان
الحال ينشد

وبي علاقة وجد ليس يعلمها * الا الذي خلق الانسان من علق
ويبحث على انتهاز فرصة اللقاء اذ هي غنية ويذكر بقول من قال وأكف الدهر
موقطة ومنية

تتبع بالرفاد على شمال * فسوف يطول نومك باليمن
ومتع من يحبك باجتماع * فأنت من الفراق على يقين
ثم حضر بعد تلك الالة موقف الوداع والكل ما بين واجم وبالك وداع فتمثلت بقول من
قلبه لفراق الاحباب في انصداع

ودعهم ودموعي * على الحدود غزار
فاستكثروا مع عيني * لما استقلوا وساروا

وقول آخر

يا وحشة من جيرة قد نأوا * علو قدرى في الهوى المخطا
حكى دموعي البحر من بعدهم * لما رأيت منزلهم شطا
وحق لي أن أتمثل في ذلك بقول الغزاري
لا تسلى عما جناه الفراق * حلتني يداها ما لا يطاق
اين صبرى أم كيف أملك دمي * والمطايا بالظاعنين تساق
قف دمي تدب الطول فهذى * سمنة قبل سننها العشاق

وأعد لي ذكر الغوير فيكم ما * لبعطني نسيمه الخفاق
في سبيل الغرام ما فعلت بالشعاشقين القدود والاحداق
يوم وات طلائع الصبر منا * ثم شعنت غاراتها الاشواق

ويقول غيره

كنا جميعا والدار تجتمعنا * مثل حروف للجمع ملتصقة
واليوم صار الوداع يبعثنا * مثل حروف الوداع مفترقة

وقول آخر

حين هم الحبيب بالتوديع * عيروني أني سفت دموعي
لم يذوقوا طعم الفراق ولما * أحرقت لوعة الابی من ضلوعي
كيف لا أسفح للدموع على ريش حوى خيرا كن وجوع
هبك أني كتمت حالي أتحني * زفرات المتيم المصدوع
انما يعرف الغرام عن لا * ح عليه الغرام بين الربوع

وقول من قال

أقول له عند توديعه * وكل بعبرته مباس
ان قعدت عنك أجسادنا * لقد سافرت معك الانفس

وقول الصابي

ولما حضرت لتوديعه * وطرف النوى نحونا اشوس
عكست له بيت شعر مضى * يليق به الحال اذ يعكس
ان سافرت عنك أجسادنا * فقد قعدت معك الانفس

وقول المهذب بن أسعد الموصلي

دعني وما شاء التفرق والابی * واقصد بلومك من يطبعك أوبى
لا قلب لي فأعي الملام فاني * أودعته بالامس عند مودعي
هل يعلم المتحملون لبعبة * أن المنازل أخصبت من آدمي
كم غادروا حضاوكم لوداعهم * بين الجوانح من غرام مودع
والسقم آية ما أجن من الجوى * والدمع ينسسه على ما دعي

وقول الكمال التنوخي

كم ليله قدبتهما أرى السها * جزعا لفرقتهم بمقلة أرمد
قضيتها ما بين نوم نافر * وزفير مهجور وقلب مكمد
لم أنس أيام السرور وطيبها * بين السدير وبين برقة ثممد
والروض قد أبدى بدائع نوره * من أذرق ومفضض ومورد
والماء يبدو كالصوارم ساريا * فيعبد من الصبا كالبرد
والطير بين مسجع ومرجع * ومغترد ومعدد ومرقد

وقول القاضي بهاء الدين السنجاري

أحببنا ما لي على بعد المدى * جلد ومن بعد النوى يتجدد
لله أوقات الوصال ومنتظر * نضرو غصن الوصل غصن أملد
أنى يطيق أخو الهوى كنهاته * والحد بالدمع المصون مخدد
ما بعد مفترق إل كاب تصير * عن أحب فهل خليل يسعد
يا سعد ساعد بالبكاء أنا هوى * يوم الوداع بكى عليه الحسد

وقول ابن الأثير

لم أنس ليلته ودعوا * صبا وساروا بالحوول
والدمع من فرط الالسى * يجرى فيعثر بالذيول

وقول الأرجاني

ولما وقفنا للوداع عشية * وطرفي وقلبي هامع وخفوق
بكيت فأضحكت الوشاة شماعة * كأنني سحاب والوشاة بروق

وقول ابن نباتة السعدي

ولما وقفنا للوداع عشية * ولم يبق الا شامت وغبور
وقفنا في بالك يكف دمه * وملتمز قلبا يكاد يطير

وقول بعضهم

لما حسد الحسادى بتر حالهم * هيج أشواقى وأشجاني
وراح يثني القلب عن غيرهم * فهو لهم حادولى ثاني

وقول الصفدي

لما اعتنقنا لوداع النوى * وكدت من حر الجوى أحرق
رأيت قلبي سارقا مهمهم * وأدمعى تجرى ولا تلحق

وقوله أيضا

تذكرت عيشا مزايا بقر بكم * فهل ليلنا الذواهب واهب
وما انصرف آمال نفسي اغبركم * ولا انا عن هذى الرغائب غائب
سأصبر كرها في الهوى غير طامع * لعسل زمانى بالحبائب آئيب

وقول ابن نباتة المصري

في كنف الله وفي حفظه * سرال والعود بعزم صريح
لوجاز أن تسلك أجفانتنا * كافرشنا كل جفن قريح
لكنها بالبعد معتلة * وأنت لاتسك الا الصريح

وقول الحافظ أبي الحسن علي بن الفضل

عجبت لنفسي بعدهم ما بقاؤها * ولم أحظ من لقياهم بمراد
لعمرك ما فارقتم منذ ودعوا * ولما كنا فارقنا طيب رقادى
وقد منعوا منى زيارة طيفهم * وكيف يزور الطيف حاف سهاد
وأعجب ما فى الامر شوقى اليهم * وهم فى سوادى ناظرى وفؤادى

وقوله رحمه الله تعالى

رعى الله أيام المقام بروضة * تروح علينا بالسرور وتغدى
كان الشقيق الغض بين بطاحها * بنجوم عقيق في سماء زبرجد

وقول القاضي الرشيد الاسواني

رحلوا فلا خات المنازل منهم * ونأوا فلا سلت الجوانح عنهم
وسروا وقد كتموا الغداة مسيرهم * وضيء نور الشمس مالا يكتم
وتبدلوا أرض العقيق عن الحمى * رقت جفوني أي أرض يعموا
نزلوا العذيب وانما هو محبتي * رحلوا وفي قلب المتيم خيموا
ماضرتهم لو ودعوا من أودعوا * نار الغرام وسلموا من أسلموا
هم في الحشا ان أعرقوا أو أئمنوا * أو أشاموا أو أنجدوا أو أبتموا

وقول الشاعر أبي طاهر الاصفهاني المعروف بالوثاني

أشأعوا فتالوا وقفة ووداع * وزمت مطايا للرحيل سراع
فقلت وداع لا يطيق عيابه * كفاني من البير المشت سماع
ولم يملك الكتمان قلب ملكته * وعند النوى سر الكتوم مذاع

وقول أبي الجهد قاضي ماردین

رعى الله ربعا انتم فيه أهله * وجاد عليه هاطل وهتون
ولا زال مخضر الجوانب مترع السباح وفيه التعميم فنون
لئن قدر الله اللقاء وأينعت * غصون التداني فالبعاد يوم
وان حكمت أيدي العراق بعسرة * فكم فضيت للمعسر بن ديون

وقول آخر

غبتم فالي في التصبر مطمع * عظم الجوى واشتدت الاشواق
لا الدار بعدكم كما كانت ولا * ذاك البهاء بها ولا الاشراق
اشتاقكم وكذا المحب اذا نأى * عنه أحبة قلبه يشتا

وقول أبي الحسن الهمداني

ويوم ولت الاطعمان عنا * وقوض حاضر وأرت بادى
مددت الى الوداع يدا وأخرى * حبست بها الحياة على فوادى

وقول ابن الصائغ

قد أودعوا القلب لما ودعوا حرقا * فظل في الليل مثل النجم حيرانا
راودته يستعير الصبر بعدهم * فقال انى استعرت اليوم نيرانا

وقول الصدر بن الادنى مكتفيا

يوم توديعي لأحبائي غدا * ذكرني شاغلي عن كل شئ
فرنت نحوى وقالت يا ترى * أنت حى في هوا ناقلت حى

وقول غيره

ولي فؤاد مذناي شخصهم * ظلي كتيبا مدنفامو بجمعا
ومقللة مهماتذ كرتهم * تذرف دمعاً أربعا أربعا
وليس لي من حيلة كذا * بليت بي الاشواق الا الادعا
أسأل من ألق ما بيننا * وقد را الفسرة أن يجتمعنا

وقول الرعي الغرناطي

محاسن ربيع قد صحا هق ما جرى * من الدمع لما قيل قد رحل الركب
تناقض حالي مذ شجاني فراقهم * فسن أضلعي نار ومن أدمعي سكب

وفي معناه قوله أيضا

وقائلة ما هذه الدرر التي * تساقطها عيننا كسمطين سمطين
فقلت لها هذا الذي قد حسابه * أبو مضر اذني تساقط من عيني

اتهي

وقول الزمخشري

لم يكني الا حديث فراقهم * لما أسر به الى مودعي
هو ذلك الدر الذي أودعتم * في مسمي أجريته من مدمعي

وقول الزعاري

قد بهتهم قلبي يوم بينهم * بنظرة التوديع وهو يحترق
ولم أجد من بعدها الردة * وجهها وكان الردل لم يفرق

وقول بعض الاندلسيين

ساروا فودعهم طرفي وأودعهم * قلبي غابعدواعي ولا قربوا
هم الشموس في عيني اذا طلعا * في القادمين وفي قلبي اذا غربوا

وقلت انا مضمنا بدية

لا كان يوم فراق * ساق الشجون اليانا
فكم أذل نفوسا * يا من يعز علينا

وقلت أيضا مضمنا

سلا أحيته من لم يذب ككمدنا * يوم الوداع وان أجرى الدموع دما
يا من يعز علينا أن نفارقهم * من بعدكم هذر كن الصبر وانهدما
وان نأى الجسم كرها عن منازلهم * فالقلب ثاوبها لم يصعب القدما
وما نسينا عهدا للهوى كرمتم * نعم قسر عينا عليها سنانندما
وأظلمت بالنوى أرجاء مقصدنا * وصار وجدان ألف غيركم عدما

وقلت أيضا مضمنا

لم أنس بالشام أنسا شمت بارقه * نجادت معا هذه أنواء نيسان
لهني لعيش قضينا في مشاهدنا * ما بين حسن من الدنيا واحسان

وقلت كذلك

يا جيرة بانوا وأبقوا حسرة * تجرى دموعي بعدهم وفق القضا

كم قلت اذ ودعهم والانس لا * ينسى وعهد ودادهم ان يرفضا
يا موقف التوديع ان مدامي * فضاقت وقاضت في ثرى ذالك القضا
وكم تفاءلت بقول الاول مع على بان على الله المعول •
اذا رأيت الوداع فاصبر * ولا يهمنك البعاد
واتظر العود عن قريب * فان قلب الوداع عادوا
وضاقت بي الرحاب عند مفارقة أعيان الاحباب والصحاب وكثرت دموعي من بينهم
السحاب وزند التذكر يقدح الأسف فيهمج الاقتحاب وقد غمنا اذ ذاك والجوايح من
الجوى في التهاب وذخائر الصبر ذات التهاب يقول بعض من مرق البعد منه الالهاب
ولما نزلنا منزلا طــــله الندى * أينقا وبستانا من النور حاليبا
أجد لنا طيب المكان وحسنه * منى فتمنينا فكنت الامانيا
وقد طفت في شرق البلاد وغربها * وسيرت خيلي بينها وركايا
فلم أرمها مثل بغداد منزلا * ولم أرفيها مثل دجلة واديا
ولامشــــل أهلها أرق شمائلها * وأعذب ألفاظا وأحلى معانيها
وبقول من تأسف على مغاني التداني وهو أبو الجراح الاندلسي الداني
أبي الله الآن أفارق منزلا * يطالعني وجه المنى فيه سافرا
كان على الايام حين غشيت به * يميني فلم أحله الامسافرا
وتخيلنا أن اقامتنا به مشق وقاهما الله كل صرف ما كانت الاخطرة طيف ملم أولحمة طرف
وقفنا ساعة ثم ارتحلنا * وما يغني المشوق وقوف ساعه
كان الشمل لم يكن في اجتماع * اذا ما شئت البين اجتماعه
وطا لماعلات النفس بالعود اليها ثم الى بقاعى منشد اقول الاديب الشهير بابن الفقاعي
منى عاينت عيناى أعلام حاجر * جعلت مواطى العيس فوق محاجر
وان لاح من أرض العواصم بارق * رجعت بأحشاء صــــواد صواد
سقى الله هاتيك المواطن والربا * مـــــواطرا جفان هوام هوام
وحيا الحيام ساكنى الحى أوجها * سفرن بأوار زواه زواهـــــ
بحيث زمان الوصل غص وروضه * أريض بأزهار بواء بواـــــ
وحيث جفون الحاسدين غصية * رمقن بآماق ســـــواء سواهر
ثم حاولت خاطري الكلبل فيما يشق بعض الغليل فقال على طريق التضمين وقد غلب
عليه الشوق والتخمين

بأبي من أودعوا مذودعوا * قلبى الشوق وللعيس ذميل
جـــــيرة غتر كرام خيرة * كل شئ منهم يبدو جميل
وعلى الجملة مالى غيرهم * لو أرادوا أن يميلوا أو يميل
ثم قالت وقد سدد السنان الى تــــبله موطن البيت الثالث كما فى الايات قبله
يادمشقا حياك غيث غزير * ووقال الاله مما يضير

حينئذ الفرد والبدائع جمع * متناه فيه فعر النظر
 أين أيا منا بظلك والشبيل جميع والعيش غرض نصير
 ثم أكثر الالتفات عن اليمين وعن الشمال وقد شبهت البيداء والشوق ببذل الكل
 والاشتمال وتسمت من نواحي تلك الأرجاء أريج الشمال وضمنت في المعنى قول بعض
 من ثنى الحب عطفه وأمال

تسمت أرواحا سرت من ديار من * بهم كان جمع الشمل لمحة عالم
 وجاوبت من يلحق على ذاك جاهلا * بقول لبيب بالعواقب عالم
 وما أنشق الأرواح إلا لأنها * تمر على تلك الربا والمعالم
 وما أحسن قول الآخر

سرت من نواحي الشام لي نسمة الصبا * وقد أصبحت حسرى من السير ظالمه
 ومن عرق مبلولة الجيب بالندى * ومن تعب أنفاسها متناهيه
 وقلت أنا

حدثت وحق الله للشام رحلة * اتاحت لعيني اجتلاء حياه
 وبعد التلوى صرت أرتاح للصبا * لأن الصبا تسرى بها طرديا
 فله عهد قد أتاح بجليق * سرورا خياه الأله وحياه
 واستحضرت عند جد السير قول صفوان بن ادريس المرمي ذكره الله تعالى بالخبر
 أين أيا منا اللواتي تقضت * اذ جبرنا لا وصل أين طير
 ثم قول غيره ممن حن وأنّ وقلق قلبه وما اطمأنّ

أحنّ إلى مشاهد أنس النى * وعهدى من زيارته قريب
 وكنت أظنّ قرب العهد يطق * لهيب الشوق فازداد الالهيب
 وربما تجلدت مغالطا متعللا بقول من كان لافه مخالطا
 حضرت فكنت في بصرى مقيما * وغبت فكنت في وسط الفؤاد
 وما شطت بشادار ولو كن * نقلت من السواد إلى السواد
 وقول غيره

وكن كما شئت من قرب ومن بعد * فالقلب يرعاك إن لم يرعك البصر
 ويقول الوداعي

يا عاذلى في وحدتى بعدهم * وأن ربي ما به من جليس
 وكيف يشكو وحدة من له * دمع حيم وأنين أنيس
 ثم رددت هذه الطريقة بقول بعض من لم يبلغه السلور يقه

لارعى الله عزمة ضمنى لى * سلوة القلب والتصبر عنهم
 ما وقت غير ساعة ثم عادت * مثل قلبي تقول لا بد منهم
 ويقول ابن آجروم في مثل هذا العرض المروم

يا غائبيا كن أنسى رهن طلعتي * كيف اصطبارى وقد كابدت بينهما

دعوى أنك في قلبي يعارضها * شوق اليك فكيف الجمع بينهما
ثم جدي السير الى مصر واستمر فتذكرت قول الصفي وقد اشتد بالرميل الحتر
أقول وحتر الرمل قد زاد وقده * ومالي الى نسم النسيم سبيل
أظن نسيم الجوقد مات وانقضى * فعهدي به في الشام وهو عليل
وقول ابن الخطيب

قصدت مصرا من رباحلق * بهمة تجسري بتجريبي
فسلم أرا الطرة حتى جرت * دموع عيني بالمرزيب
وحين وصلت مصر لم أنس عهد الشام المرعى وأنشدت قول الشهاب الحبلي الزرعي
أحببتنا والله مذغت عنكم * سهادي سمري والمدامع مدرار
ووالله ما اغتربت القصر اقوانه * برغبي ولي في ذلك الامر أعذار
اذا شام يرق الشام طرفي تتابعته * سمائب جفسي والفؤاد به نار
ألا ليت شعري هل يعودن شملنا * جميعا ونحو نار بوع وأقطار
وقول ابن عتير

دمشق بنا شوق اليك مبرح * وان بلج واش أو ألح عذول
بلادها الحصباء دت وتربها * عبيرو أنفاس الرياح شمول
تسلسل منها ماؤها وهو مطلق * وصح نسيم الروض وهو عليل

وقول آخر

نفسى الفداء لانس كنت أعهدده * وطيب عيش تقضى كله كرم
وبجيرة كان لي القاب بوملهم * والانس أفضل ما بالوصل يغتم
بالشام خلفتهم ثم انصرفتم الى * سواهم فاعتزاني بعدهم ألم
كانوا نعيم فؤادي والحياة له * والآن كل وجود بعدهم عدم
فان أنشد لسان الحال فيما اقتضاه معنى البعد عنها والارتحال
يا غائب ما قد كنت أحسب قلبه * يسوى دمشق وأهلها لا يعلق
ان كان صدك نيل مصر عنهم * لا غرو فهو لنا العدو والازرق
انبت في جوابه بقول بعض من برح الجوى به

لله دهر رجعنا شمل لذته * بالشام أعذب من أمن على فرق
مرت لياليه والايام في خلس * كأنما سلبته كف مسترق
ما كان أحسنها لولا تنقلها * من النعيم الى ذلك من الحسرق
رق العذول لحالي بعدها ورتي * لي في الجوى والنوى والشجور والارق
وبالجملة فتلك الايام من مواسم العمر محسوبة والسعود الى طوا العها منسوبة
وكانت في دمشق لناليل * مرقناهن من ريب الزمان
جعلناهن تاريخ الليالي * وعنوان المسرة والاماني

وهي مغاني التهانى التي مانسناها وأمانى زمانى التي نعمت بطور سينائها عليها وعلى

وطني مقصوده والقلب في المعنى مقيم بهما وان كان في غيرهما بالصورة والاشواق اليهما
قضاياها موجهة وان كانت غير محصورة

ولله عهد قد تقضى وان يعدد * فاني عن الايام أعفو وأصفح
بقلبي من ذكر ما ليس يتقضى * ومن برحاء الشوق ما ليس يبرح
اذا مسحت كفى الدموع تسترا * بدت زفرة بين الجوايح تقدح
فان جمعت شملى الليالى بقربهم * تجمع غيلان وحى وصيدح
على أنها الايام جئت من احها * ورب مجتدى الاذى وهو يمزح
وكثيرا ما يلهج اللسان بقول من قال

وما تفضل الاوقات اخرى لذاتها * ولكن أوقات الحسان حسان
ويردد قول من شوقه متجدد

سقى معهد الاحباب فاقع صيب * من المزن عن مغناه ليس يريم
وان لم أكن من ساكنيه فانه * يحل به خل على كريم
وينشد من يالوم قول من فى حشاه وله وفى قلبه كلام
قد أصبح آخر الهوى آوله * فالعاذل فى هوالى ما لى وله
بالله عليك خل ما آوله * وارحم دنقلى حشاه وله

وقد امتد بنا الكلام وربما يجعله اللاحى ذريعة لزيادة الملام فتراجع الى ما كنا بصده
من اجابة المولى الشاهينى امدته الله سبحانه بده فنقول مستقدا من واهب العقول انى
شرعت بعد الاستقرار بمصر فى المطالب وكتبت منه نبذة تستحسنها من المحبين الاسماع
والقلوب وسلكت فى ترتيبه أحسن اسلوب وعرضت فى سوقه كل نفيس غريب من
الغرب الى الشرق مجلوب تستحسن الابصار ما عليه احتوى وتعرف الافكار أنه غير
مجتوى ثم وقف بى مركب العزم عن التمام واستوى فأخرته تأخير الغريم لدين
الكريم وصدتى أعراض عن تكميل ما يشتمل عليه من أغراض وأضربت برهة عماله
من منحنى لاختلاف احوال الدهر فعاود فعاود منعا ومنحا ومزقت عن هدف الاصابة
نبال وطرقت فى سدف ليالى الكتابة امور لم تكن تخطر ببال فجاءتنى من المولى المذكور
أنفا رسالة دلت على أنه لم يكن عن انتجاز الوعد متجانفا فعدت لقضاء الوطر مستقبلا
وللجملة مستانفا وحدابى خطابه الجسيم للاتمام وساقنى وراقنى كتابه الكريم لتلك
الايام وشاقنى وذكرنى تلك الليالى التى لم أنسها وحركنى لتلك المعاهد التى لم أزل
أذكر أنسها الالف لا يصبر عن الفه الا كما يطرف بالعين وقد صبرنا عنهم مدة ما هكذا
شأن المحبين فياله من كتاب كريم أعرب عن ودصميم وذكر بعهد غيبر ذميم وود طيب
العرف والشميم يخجل ابن المعتز لبلاغته وابن المعتز تميم

ولم تر عينى من قبله * كتابا حوى بعض ما قد حوى
كان المباسم ميماته * ولاماته الصدغ لما التوى
وأعينه كعيون الحسان * تغازلنا عند ذكر الهوى

كتاب ذكرنا بالفاتحة * عهدنا زكت بالحى واللاوى
فكانت الروض المطرد الانهار والدوح المديح الازهار
رأينا به روضات ديج وشبهه * اذا جاد من تلك الايادى غمام
به ألفات كالفصون وقد علا * عليها من الهسمز المطلق حاتم
وقد سقيت بأنهار البراعة السلساله حدائق حلت بها غانية تلك الرساله لتشفى صبيها
بالزياره وتشرف بدتوها دياره

زادت الصب في ليل من البعد فلما دنست رأى الصبح يلمح
قلدت بالعقيان جيد بيان * ليس فيه الفتح من بعد مطمح
فشفت النفس من آلامها وأحيت ميت الهوى مذحبت بعذب كلامها
كلام كالجواهر حين يبدو * وكأنه المعنى براذيفوح
له في ظاهرا الاضاظ جسم * ولكن المعاني فيه روح
فصيرت لي ذلك الكتاب عميرا ووردت من السرور مشرعانميرا وتعت بقول بعض من
أخص في الود ضميرا

يا مفردا أهــدى الى كتابه * جلا يحار الذهن في أشتائها
كالدر أشرق في سموط عقوده * والزهر والانوار غيب سحائبها
فأقادتني جذلا وبالي كاسد * وأجار نفسي من جوى برحائبها
وحسبت أيام الشباب رجعت لي * فلبست حللى جمالها وبهائها
لا يعدم الاخوان منك محاسنا * كل المفاخر قطرة من مائها
فأكرم به من كتاب جاء من السرى العلى * والماجد الاخ الولي

فضضت ختامه فتبينت لي * معانيه عن الحبر الجلى
وكان الذفى عيني وأندى * على كبدي من الزهر الجنى
وضمن صدره ما لم تضمن * صدور الغانيات من الحلى

وأعرب عن اعتماده تمام ووداد مزداد وأطاب حين أطال وأدى دين الفصاحة دون
مطال واشتمل من فصول العبارة على أحسن من الحدق المراض * وأتى من أصول
البراعة ببراهين ابن شاهين التي لا خلف فيها ولا اعتراض وروينا من غيث أنامله
الहतون وروينا عنه مسند أحمد حسن الاسانيد والمتون وحشنا على العود والرجوع
وكان أجدى من الماء الزلال لذى ظما والمشتى من الطعام لذى سغب وجوع

وأشهى فى القلوب من الاماني * وأحلى فى العيون من الهجوع
وجلا بنوره ظلام استحيائى وحشر الى أشتات المسرات دون أن يحاشى ووجدنى
فى مكابدة شغوب وأشغال أشربت القلب الكسل والغوب وحيرت الخواطر وصيرت
محب الاقلام غير مواطر فزحزح عني الغموم وسلانى وأولانى شكر الله صنيعه
من المسرات ما أولانى

حديثه أو حديث عنه بطر بنى * هذا اذا غاب أو هذا اذا حضرا

كلاهما حسن عندي أسرتيه * لكن أحلاهما ما وافق النظرا

وقال آخر

لست مستأنسا بشئ إذا غبت سوى ذكرك الذي لا يغيب
أنت دون الجلاس عندي وإن كنت بعيدا فالانس منك قريب
وضعت فيه لما ورد مع جملة كتب من تلك الناحية * وأنوار أهلها ذوى الفضائل الشهيرة
أظهر من شمس الظهير في السماء الصاحبة

قلت لما أتت من الشام كتب * من أجلاء نورهم يتألق

مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا * بعيون رأيت محاسن خلق

وقلت أيضا

قلت لما وافقت من الشام كتب * والمبالي تنج قربا وبعدا

مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا * بعيون رأيت محاسن سعدى

وكان من فصول هذا الكتاب الوارد من المولى الشاهيخي الذي اقتنص بفضل كل شارح
مانعه وبما استخلص قلبي من يدي ترحي وجده سروري ونبه فرحي حديث الكتاب
وما حديث الكتاب حديث نسخ بحلاوته مرارة العتاب وأنساني حرارة المصاب
في الانساق والاعقاب وقضى به من حق لسان الدين دينه الذي تبرع به غريم ملي من
البلاغة وهو غير مدين حتى كافي ياسيدي بهذه البشرية أحرزت سوارى كسرى وكان
في مسمي كل حرف اليها منسوب قيص يوسف في أجفان يعقوب وحتى كدت أهجر اهلي
وبيتي وأسرج لاستقبال هذه البشرية أشبهى وكيتي وحتى انني حاربت نومي وقومي
وعزمت على أن أرحل ناقتي في وقتي ويومي وإن ذلك التغليس والتجسير في جنب
مأشرت به لحقير وإن موقعها لدى هذا العبد الحقير الخطير وقد كنت سألت شيخي حين ورد
دمشق الشام واشتم منها العرار والبشام وشرقتني فعرفني وشاهدني فعاهدني
على أن يجرى ما دار بيننا لدى المجاوره من المسامرة والمجاورة في ديباجة ذلك الكتاب
الذي قنن العقول خبره وسحر الالباب وما قصدت إلا أن يجرى اسمي على قلبه ويرقم رسمي
في مطاوي تحريره ورقه ويكون ذكرى محتطابذ كره كما أن سرري مرتبط في المحبة بسره
فرايت شيخي لم يتصد في أثناء هذه البشرية لما يفهمني بالذكرى لا تنظر التباح في الأخرى
ولم يساعدنني على ذلك الملمس وحبس عنان القلم فاحتبس فانكسرت سورة سروري
بفتوري وتبين لنفسى عن بلوغ ذلك الأمل تخلفي وقصوري انتهى * (ثم قال بعد
كلام طويل لم تذكره لعدم تعلقه بهذا الغرض ماصورته

وحسبت أن سيدى وحاشاء نسي من ليس ينسأ وطننت به الطنون لامور تكون
أولا تكون وهل يكره سيدى وشيخي أن يهدى الدنيا في طبق ثم الأخرى على ذلك النسق
ولاشك أن خطه هو الروضة الغنا لابل جنة المأوى فطوبى لنفسى إن جنت ثمرة طوبى
ولعمري شيخي اني بذلك الجدير وانى كنت أملك به الخورنق والسدير انتهى ما يتعلق بالغرض
من ذلك الرقيم الذي شكل منطقته غير عقيم سلك الله تعالى بي وبين وجهه الصراط المستقيم

وأقنى في المكتوب بأنواع من البلاغة مما تركت ذكره هنا لعدم تعلقه بهذا الامر الخاص
الذي يسر اكارع الادب مساعه وختمه بقصيدة نفيسة من نظمه يستجيز فيها ذلك الوعد
وأشهد أنه قد حاز فيها قصب السبق والمجد وما قلت الا بالذي علمت سعد وهذه صورتها

يا سيد أفديه بالاصكـر * من أصغر العالم والا كبر
ويا وحيد اقل قولي له * عطار دأنت مع المشتري
ويا مجيد اليس عندي له * الامقال المادح المكثـر
أقسمت بالبيت العتيق الذي * حجت اليه الناس والمنسحر
مالا علا والعلم الا بوالعباس شـيـخـي أحمد المقرئ
ذاك الذي آثرني منه بالعلم الذي للغـيـر لم يؤثر
وخفي منه بأشـيـاء لم * يقـرـبـها غـيـر ولم يعثر
فسرحت عبدا اذا وفاء له * معـسـرـتـر فابارق لامـتـرى
فيا أبا العباس يا من غدا * أعظم في نفسي من معشـرى
ومن اذا ما غاب عن ناظري * كان سمير القلب للمعـضـر
هات أفديني سيدي عن علا * مولى لسان الدين ذاك السـرى
ذاك الوحيد الفذ في عصره * بل أوحدا لادهر والا عصر
ذاك الذي أخبرني سيدي * عنه من ايا بعد لم تحصر
ذاك الذي العيوق لا يعتلي * الى معاليه ولا يجـتـرى
ما قد وعدت العبد في جمعه * من خبر عن فضله مسـفـر
بخطبك الوضاح وهو الذي * مخـبـره يربى على المنظر
والشي لا يربى اذا ما غدا * منـظـره يربى على الخـبـر
نقش على طرس يياض كما * لاحـت عيون الرشا الاحـور
واسطر قد سلسات مثل ما * لاح عذار الشادن الاخـفر
ونزهة الانفس معنى غدا * ما ينـها ينساب كالـكـوثر
عذب رقيق مثل ظبي غدا * يـلـوح طاوى الكشح أو جـوـذر
انار اقلامك وهي التي * أغنت عن الابيض والاسـمـر
يراعك الجامع راو غدا * يـروى الافي عن لفظك الجـوهرى
ينثر من كاتارة ناظما * وينظم الجواهر بالعنـسـر
هذا ابن شاهين الفتى أحمد * عن ذكرك المأنوس لم يفتـر
فاجعل له ذكرا كريما به * يزدان مغبوطا الى المحـشـر
واذ كريوتاني وكل الذي * كـتـبـته نحوك في دقـتـرى
أنت جدير بمديحي فكن * ذا كـر عبـد بالوفا أجـدر
وهاكها سيرة أعنت * على جواد كان للبحـثـرى
طرف كريم سابق صافن * مـطـهـم ذى أدب أو نـسـر

ورشته منه وايكسنا * من شاعر وافي الى اشعر
ماللفق الطائي شوط امرئ * يصطاد نسر الجوّ بالفسر
واسلم اعبد لا يرى شيئا * سوى الذي في ثوبك الاظهر
في كرم العنصر فردا غدا * طبعك فاشكر كرم العنصر
ماحن مشتاق أخو صبوة * الى خليل في الهوى مفكر انتهت
فلما وصلني هذا الخطاب الذي ملا من الفصاحة الوطاب وحلي في عيني وقلبي وطاب
تحررت دواعي الوجد لذلك الجحد الذي ولعت به ولوع ابن المدينة بصبا نجد وأثار من
الهيام والاور ما يزيد على ما حصل للفرزدق لما فارق النوار وتضاعف الشوق الى تلك
الانجساد والاعوار منشدا قول الاول لعل أبي المغوار وتذكرت والذكرى شجون
وأطوار تلك الاضواء والانوار المشرقة بتطرازه بالمحاسن وجرى نهره غير آسن فلم يذم
فيه الجوار

وان اضطباري عن معاهد جلق * غريب فما أجنى الفراق وأجفاني
سقى الله أرضا لو ظفرت بتربها * كحلت بهما من شدة الشوق أجفاني
وحصل التصميم على التكميل للتأليف والتتيم رعيال هذا الولي الجسيم أفاض الله تعالى
عليه غيث البر العجيم وأبقى ظل عزه ومدودا وحلي سودده مودودا وأنا له من الخيرات
ما ليس محصورا ولا معدودا وجهني واياه وأطلع لي بشر محياه وأنشقني عرف اجتماعه
ورياه وكيف لا أستديم أمد بقاءه وأعتقد البشائر في لقيائه وأسقى غروس الود بسقيائه
وهو الصدر الذي أصنى لي الوداد والركن الذي لي بثبوته اعتماد واعتداد
فعليه من مصفى هواه تحية * كالمسك لما نض عنه ختام
نترى بساحته السنية مادعت * فوق الغصون هديلهن حمام
ودامت فضائله ظاهرة كالشمس محروسة بالسبع المشاني معقودة بالخمس
ولا انفك ما يرجوه أقرب من غد * ولا زال ما يخشاه أبعد من أمس
وبقي من العناية في حرم امين امين * (ولما حصل لي كمال الاغتباط بمبادل على صحة حال
الارتباط نشر بساط الانبساط وحدرت لي قوة النشاط وانقضت عني محائب
الكسل وانجابت وناديت فكري فلبت مع ضعفها وأجابت فاقته دحت من القريحة
رندا كان شحاحا وجعت من مقيداتي حسانا وصحاحا وكنت كتبت شطره وملائت بما
تيسر هامشه وسطره ورقته من أجباء لسان الدين بن الخطيب حالا لا تخلق جديتها الا عصر
وسادكت من التعريف به رحمه الله مهامه تكل فيها واسعات الخطا وتقصير * فحدث لي
بعد ذلك عزم على زيادة ذكر الاندلس جملة ومن كان يعصده الاسلام وينصر * وبعض
مفاخرها الباسقة وما أثر أهلها المتناسقة لان كل ذلك لا يستوفيه القلم ولا يحصر * وجئت
من النظم والتربيزة توضيح للطالب سبيله وتظهر علمه ونبله وترفع كاس محاسنه من راح
المذاكرة واناؤه حتى يرى حسن هذا التأليف أبناء هذا التصنيف وأدباؤه ويكسنت
في المغرب وظلال الشباب ضافيه وسمااء الافكار من قزع الاكدار ضافيه معتنيا بالفحص

عن أنباء أبناء الاندلس وأخبار أهلها التي تشرح لها الصدور والانفس ومآلهم من السبق
 في ميدان العلوم والتقدم في جهاد العدو والظلم ومحاسن بلادهم ومواطن جندهم
 وجلادهم حتى اقتنيت منها ذخائر يرغب فيها الأفاضل الآخرون واتقيت جواهر فرائدها
 للعقول بواهر واقتطعت أزاهر أنجمها في أفق المحاضرة زواهر وحصلت فوائد بواطن
 وظواهر طالما كانت أعين الألباء لنيلها سواهر وجمعت من ذلك كلبا عاليه لو خاطب بها
 الداعي صنم الجلامد لا نجس حجرها وحكما عاليه لو عامل بها الأيام ربح متجرها وأصحابا
 تهترلها الأعطاف ومواعظ يعمل بمقتضاها من حفت به الألفاف وقوافي موقورة
 القوادم والخوافي يثني عليها من سلم من الغباوة والصمم ويعترف ببراعتها من لا يعتريه اللمم
 وطالما أعرض الجاهل الغمر بوجهه عن مثلها وأشاح وأنصت لها الخبرانصات السوار
 لجرس الحلى ونعم الوشاح وفرح أن ظفر بشئ منها فرح الصائب بالقنيص والساري العاري
 ذي البطن النجيص بالزاد والقنيص وتركت الجميع بالمغرب ولم استعجب معي منه ما بين
 عن المقصود ويعرب الانتراي سير اعلق بحفظي وحليت بجواهره جيسد لفظي وبعض
 أوراق سعد في جواب السؤال بها حظي ولو حضرني الآن ما خلفته مما جمعت في ذلك
 الغرض وألفته لقرت به عيون وسرت ألباب اذهو والله الغاية في هذا الباب ولكن
 المرء ابن وقته وساعته وكل يتفق على قدر وسعه واستطاعته وعذر مثلي باد للمنصفين
 من العباد ان قصرت فيما تبصرت أو تخلفت في الذي تسكفت أو أضعت تحرير
 ما وضعت والتقيمت ثدى التقصير ورضعت أو أطعت داعي التواني فتأخرت عن
 سبق وانقطعت ان أريد الا الاصلاح ما استطعت ومن كانت بضاعته مزجاء فهو من
 الانصاف بمنجاء اذا أتى بالمقدور وتبرأ من الدعوى في الورد والصدور وعين الرضا عن
 كل عيب كليله والسلامة من الملامة متعذرة أو قليله وقد قال امامنا مالك صاحب
 المناقب الجليله كل كلام يؤخذ منه ويرد الا كلام صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم أركى
 صلاة واتم سلام وشفي بجباهه من الآلام قلوبنا العليله وجعلنا من كان اتباع سنته رائده
 ودليله آمين والحمد لله الذي يسر لي هذا القدر مع ضيق الصدر وقله بضاعتي وكثرة
 اضاعتي فان حده جل جلاله تتذوق به المطالب طيبا وتقضي بركة المآرب فيرقى
 صاحبها على منبر القبول خطيبا وتعذب به المشارب قنيت في أرض القرطاس من
 زاكي الغراس ما يروق منظر انضيرا ويورق غصنا رطيبا وقد آتيت من المقال بما يقران
 شاء الله تعالى عين وامق ويرغم أنف قال وان كنت ممن هو في ثوب العي راقل وعن نسبته
 للقصور غير غافل وعن جعل النفس هدفا وصير مكان الدر صدفا اذ لسان الدين
 ابن الخطيب امام هذه الفنون المحقق لذوى الآمال الظنون المستخرج من بحار البلاغة
 درها المكنون وله اليد الطولى في العلوم على اختلاف أجناسها والالفاظ الرائقة
 التي تزيج وحشة الانفس بإيناسها

ناهيك من فرد أغر ومدح * وحب الذرى حر الكلام محسد

مهر الانام رياسة وسياسة * وجلالة في المنقبي والمحتد

وأنى بكل بديعة في نوعها * لم تخترع وغسرية لم تعهد
 ما شئت من شعرا رق من الصبا * وكأية أزهى من الزهر الندى
 وبديع قسوطاس توشح مثنه * بمنم من رقصه ومنجد
 بهج كأن الحسن حل أديعه * فكساه ريعان الشباب الاغيد
 كالبردى توشيعه والسالك في * ترصيعه والوشى عمق باليد
 وكأغاسال العذار عليه أو * خطبه أيدي الغانيات بأتمد
 يحتال بين موصل ومفصل * ومطرز ومنظم ومنضد
 قد قيد الابصار والافكار من * ألفاظه بمنقف ومقيد
 ما فيه مغرز اصبع الاوفى * تتيج منقرع ومولد
 ولكل جزء حكمة أو ملحمة * أو بدعة لم رسد ولمقصد
 أوليس مثلى قاصرا عن وصفه * والحق نور واضح للمهتدى
 وكما قلت وقد عجزت عن أداء الواجب وحاولت المستون وفضل الله سبحانه على من يشاء
 من عباده ليس بمنوع ولا ممنون

أستشعرى أى العبارات توفى * واجب ابن الخطيب مما أروم
 وأنا عاجز عن البعض منها * لقصوري وما العبي ملوم
 وهو يدعى لسان دين ونهايه * لك افتخارا به تتم الرسوم
 فبأى الحلى أحلى على من * نال فضلا رونه عرب وروم
 وعلى الفرض ما الذى أنتهى منه * لى الوصف ان يخص العموم
 أملفظ قد أدنوى من معين * لصواب عليه كل يحوم
 أم افهم يستخرج الدر غوصا * من بحار يخشى بها من يعوم
 أم لفكر مؤلف فى فنون * عن دهاء به تداوى الكاوم
 أم لنظم كأنه جوهر السلك * علا قدره على من يسوم
 تتباهى به الصدور حليا * وتروق العيون منه فبحوم
 أم انشروا فى بحر بيان * فهو كالروح والمعاني جسوم
 وأطلته للبدع سماء * تتلالى فى جانبها العلوم
 فاستزادت منه النفوس رشادا * واستزانت منه النهى والخلوم
 أم لخط منم فاق حسنا * مثل وشى تلوح منه الرقوم
 أو كزهر فى بهجة ورواء * وأريج به تراح الغيوم
 والغصون الاقلام والطرس روض * ناضر والمداد غيث سجوم
 تلك ست أعجزن وصفى قانى * بسواها مما يجبل أقوم
 ولم يكن جعى علم الله هذا التأليف لقد أستهديه أو عرض نائل أستجديه بل لحق وداؤديه
 ودين وعد أقدمه وأبدية ووقوف عند حد لا يجوز تعديه وتلبسة داع أحبيه وأفديه
 ان من يرجو نوالا وندى * من بنى الدنيا لذو حظ غبين

فلقد كان على غير الهدى * من يسوقهم رب العالمين
 ويربحي منهم الرزق فهل * خالق الكل فقير أو ضنين
 أنفلي قصدر رب مالك * ونرى للخلق جهلا قاصدين
 مالنا من مخلص نأتي به * غير جاء المصطفى الهادي الأمين
 سيد الخلق العماد المرتضى * للعلماء شفيع المذنبين
 فعليه صلوات تنجي * حضرة حل بها في كل حين
 والرضا من بعد عن أربعة * هم بحق أمراء المؤمنين
 فيمينا ان من يهواهم * ليكون من أصحاب اليمين
 وسط جنات تحييه بها * أنسأت قاصرات الطرف عين
 يقوارير بجسدين شريه * وأباريق وكأس من معين
 والذي شرههم ينحنا * حبهم والكون معهم أجمعين

فدونك أيها الناظر في هذا الكتاب المتجاني عن مذهب النقد والعتاب كلمات سواخ
 اختلست مع اشتغال الجوانح وتضاد الأمور الموانع والموانح وأنساظا بوارح
 اقتنصت بين أشغال الجوارح وطرفا أسمت الطرف في مرعاها وكانت هـ لا غير سواخ
 وتحفا يحصل بها الناظر الامتاع ولا يعتد بها من سقط المتاع المبتاع ويلهج بها المرباح
 ويستأنس المستوحش المرتاع

وبعد أن خنت تمام هذا التصنيف وأمعت النظر فيما يحصل به الترتيب لسامعه
 والتصنيف قسمته قسمين وكل منهما مستقل بالمطالع فيصح أن يسمى باسمين
 * (القسم الأول) * فيما يتعلق بالاندلس من الأخبار المترعة الأكواف والأنباء المنتجة
 صوب الصواب الرافلة من الأفادة في سوابغ الأثواب وفيه بحسب القصد والاقتصار
 وتحترى التوسط في بعض المواضع دون الاختصار ثمانية من الأبواب
 (الباب الأول) في وصف بركة الاندلس وحسن هوائها واعتدال مزاجها ووفور
 خيرها وكمالها واستوائها واشتمالها على كثير من المنافع والمخاسن واحتوائها وكرم نباتها
 الذي سقته سماء البركان من جنباتها ينافع أنواعها وذو كرمها مآثرها المجلوة الصور
 وتعداد كثيرها من البلدان والكور المستمدة من أضوائها

(الباب الثاني) في القاء بلد الاندلس للمسلمين بالقياد وقتها على يد موسى بن نصير ومولاه
 طارق بن زياد وصيرورتها ميدان السبق الجياد ومحط رطل الارتياح والارتياح وما يتبع
 ذلك من خير حصل بأزديانه زياد ونبأ وصل اليه اعتياد وتقرير بعتله اعتياد

(الباب الثالث) في سرد بعض ما كان لادين بالاندلس من العز السامي العماد والقهر
 للعدو في الرواح والقدوق والتحرر للهدوق البالغ غاية الآماد وأعمال أهلها للجهاد بالجد
 والاجتهاد في الجبال والوهاد بالأسنة المشرعة والسيوف المستله من الانجاد

(الباب الرابع) في ذكر قرطبة التي كانت الخلافة بمصرها للأعداء قاهره وجامعها
 الأموي ذي البدائع الباهية الباهره والاماع يحضر في الملك الرعراء الماصرية والعاصرية

الزاهره ووصف جملة من مستزعات تلك الاقطار ومصانعها ذات المحاسن الباطنة والظاهرة وما يجز اليه شجون الحديث من أمور تقضى بحسن ايرادها القرائح الوفادة والافكار الماهرة

(الباب الخامس) في التعريف ببعض من رحل من الاندلسيين الى بلاد المشرق الذاكية العراق والشام ومدح جماعة من أولئك الاعلام ذوي الالباب الراجحة والاحلام لشامة وجنة الارض دمشق الشام وما اقتضته المناسبة من كلام أعياها وأرباب بيانها ذوي السودود والاحتشام ومخاطباتهم للمؤلف الفقير حين حلها عام سبعة وثلاثين وألف وشاهد برق فضائلها المبين وشام

(الباب السادس) في ذكر بعض الوافدين على الاندلس من أهل المشرق المهتدين في قصدهم اليها بنور الهداية المضي المشرق والا كابر الذين حلوا منها بمجلاوهم فيها بالجد والمفرق وافقروا برؤية قطرها الموثق على المشتم والمعرق

(الباب السابع) في نبذة مما من الله تعالى به على أهل الاندلس من نوقد الاذهان وبذاهم في اكتساب المعارف والمعالي ما عزأوهان وحوزهم في ميدان البراعة من قصب البراعة خصل الرهان وجملة من أجوبتهم الدالة على لودعتهم وأوصافهم المؤذنة بأعيتهم وغير ذلك من أحوالهم التي لها على فضلهم أوضح برهان

(الباب الثامن) في ذكر تغلب العدو والكافر على الجزيرة بعد صرفه وجوه الكيد اليها وتضريرهم ملوكها ورؤسائها بمكره واستعماله في آخرها حيل فكره حتى استولى دمره الله عليها ومخامنها التوحيد وادامه وكتب على مشاهدتها ومعاهدها وسعه وقرر مذهب التثايت والرأي الخبيث لديها واستغاثت من بها بالنظم والنثر أهل ذلك العصر من سائر الاقطار حين تعذرت بحصارها مع قلة جماتها وأنصارها المآرب والاطوار وجاءها الاعداء من خلفها ومن بين يديها أعاد الله تعالى اليها كلمة الاسلام وأقام فيها شريعة سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام ورفع يد الكفر عنها وعماحوا اليها آمين ولم أخل بابا في هذا القسم من كلام لسان الدين بن الخطيب وان قل مع أن القسم الثاني بذلك كما ستقف عليه قد استقل وهذا آخر ما يتعلق بالقسم الاول وعلى الله سبحانه المتكلم والمعول

* (القسم الثاني) في التعريف بلسان الدين بن الخطيب وذكر أنبائه التي يروق سماعه ويتأرجح تفهمها ويطيب وما يناسبها من احوال العلماء الافراد والاعلام الذين اقتضى ذكرهم شجون الكلام والاستطراد وفيه ايضا من الابواب ثمانية موصلة الى جنات أدب قطوفها دانيه وكل غصن منها رطيب

* (الباب الاول) في ذكر أولية لسان الدين وذكر أسلافه الذين ورث عنهم المجد وارتضع درأخلافه وما يناسب ذلك مما لا يذهب المنصف الى خلافه

* (الباب الثاني) في نشأته وترقيته ووزارته وسعادته ومساعدة الدهر له ثم قلبه له ظهر المحن على عادته في مصافاته ومنافاته وارتبأكه في شبأكه وما لقي من احن الحاسد

ذي المذهب الفاسد ومحن الكائد المستأسد وآفاته وذكر قصوره وأمواله وغير ذلك من أسحواله في تقلباته عندما قابلته الزمان بأهواله في بدئه واعادته الى وقاته .

* (الباب الثالث) * في ذكر مشايخه الجله هداة الناس ونجوم المله وما يتصل بذلك من الاخبار الشافية للعله والمواعظ المنجية من الاهواء المضله والمناسبات الواضحة البراهين والادله

* (الباب الرابع) * في مخاطبات الملوك والاكابر الموجهة الى حضرة العليه وثناء غير واحد من اهل عصره عليه وصرف القاصدين وجوه التأويل اليه واجتلائهم أنوار رياسته الجليه

* (الباب الخامس) * في ايراد جملة من نثره الذي عبق أريج البلاغة من تبحرته ونظمه الذي تألق نور البراعة من لمحاته وصفحاته وما يتصل بذلك من بعض أجزاله وموشحاته ومناسبات رائقه من فنون الادب ومصطلحاته

* (الباب السادس) * في مصنفاته في الفنون ومؤلفاته المحققة للواقف عليها الآمال والظنون وما كمل منها أو اخترمته دون انتمامه المنون

* (الباب السابع) * في ذكر بعض تلامذته الاتخذين عنه المستدلين به على المنهاج المتلقين انواع العلوم منه والمقتبسين أنوار الفهوم من سراج الوهاج

* (الباب الثامن) * في ذكر أولاده الرافلين في حلال الجلاله المقتفين أو صافيه الجميدة وخلاله الوارثين العلم والحلم والرياسة والمجد عن غير كلاله ووصيته لهم الجامعة لا آداب الدين والدنيا المشتملة على النصائح الكافية والحكم الشافية من كل مرض يلائمها المنقذة من انواع الضلالة وما يتبع ذلك من المناسبات القوية والامداح النبوية التي لها على حسن الختام اظهر دلالة (وقد كنت) أو لاسميته يعرف الطيب في التعريف بالوزير ابن الخطيب ثم وصفته حين ألحقت أخبار الاندلس به بنفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها السلطان الدين بن الخطيب وله بالشام تعلق من وجوه عديده هادية لتأمله الى الطرق السديده أولها أن الداعي لتأليفه اهل الشام أبقى الله ما أثرهم وجعلها على مر الزمان مديده ثانيها أن الفاسحين للاندلس هم اهل الشام ذوو العجدة والشوكة الحديده ثالثها أن غالب اهل الاندلس من عرب الشام الذين اتخذوا بالاندلس وطناً مستأنفا وحضرة جديده ورابعها أن غرناطة نزل بها أهل دمشق وهو بابا سميها شبيهها في القصر والنهر والدوح والزهر والغوطة الفيحاء وهذه مناسبة قوية العرى شديده * هذا وانى أسأل من وقف عليه أن يتطرب عين الاغضاء اليه كما أطلب ممن كان السبب في تصنيفه والداعي الى تأليفه وترصيفه استنادا لركن الثقة واعتمادا على الود والمقه أن يصفح عما فيه من قصور ويسمح ويلاحظه بعين الرضا الكليلة ويلمح اذ ركب شكل منطقته والاشجان غالبه وقضية الغربة موجبة للسكرية ولبعض الآمال سالبه وهو وان لم يوف بكل الغرض فلا يخلو من فائدة وقد يستدل على الجوهر بالعرض فان أدبت المفترض وذلك المرام الذي أرتضيه ويوجب الود وبقية تضيه

والانفسى أن بدأت به جهدى وأنقذت من وجدى على قد زما عندى وقد توهمت
أنى لم اسبق الى مثله فى بابى اذ لم أقف له على نظير أتعلق بأسبابه ورجوت أن يكون
هدية مستهلمة مستعذبه وطرفه مقبولة مستغربة

هديتى تقصير عن همتى * وهمتى أكثر من مالى
وخالص الود ومحض الاخا * أكثر ما يهديه أمثالى

وأوردت فيه من نظم وانشاء ما يكفى المقتصر عليه ان شاء ومن أخبار ملول ورؤساء
وطبقات من احسن أو أساء ما فيه اعتبار للمتأمل واذكار للراجل المحمل وزينة
لذاكر المحمل وتنكيت على اهل البطر وتبكيت لمن خرج من ديناه ولم يقض من
الطاعة الوطر

أرى أولاد آدم ابطرتهم * حظوظهم من الدنيا الدنية

فلم بطروا وأولهم منى * اذا نسبوا وآحرم منيه

وفيه ايضاً لما نلى من سنة الغفلة وحث على عدم الاغترار بالمهله وتنبية للابن برد
الشباب القشيب أنه لا بد من حادث الموت قبل أو بعد المشيب

لقد در الشيب من واعظ * وناصح منهاجه واضح

كل امرئ يعجبه شأنه * وحادث الدهر له فاضح

فكم بالك على عصر الشباب وشال لفراق عهد الصبا والاحباب انساء طارق الزمان
سليمى والرباب

مضى عصر الشباب كلح برق * وعصر الشيب بالاكدار شيبا

وما أعددت قبل الموت زادا * ليوم يجعل الولدان شيبا

وما احسن قول بعض الاعلام

مضى ماضى من حلو عيش ومز * كأن لم يكن الا كاضغات أحلام

وقول من أرشد سفيرها

انما هذه الحياة متاع * فالجهول الجهول من يصطفها

ما مضى فأت والموت غيب * ولك الساعة التى انت فيها

وفى معناه لغيره

دنياك شيا آن فانظر * ما ذاك الشيان

ما فات منها فحلم * وما بقى فأما نى

وما احكم قول ابن حطان مع وقوعه من البدعة فى أشطان

يا سلف المرء على ما فاته * من ليلانات اذ لم يقضها

وتراه ضاحكا مستبشرا * بالتي امضى كأن لم يقضها

انها عندى كأحلام الكرا * لقريب بعضها من بعضها

ولغيره

والله لو كانت الدنيا بأجمعها * تبقى علينا ويأتى رزقها رغدا

ما كان من حق حر أن يذل لها * فكيف وهي متاع يسهل غدا

ولا يتر

لاحظ في الدنيا المستبصر * يلعبها بالفكرة الباصرة

ان كثرت مشربه ملها * وان صفت كثرت الآثرة

وبهجتى قول الوزير ابن المغربي

انى ابثك من حذيتى والحديث له شعبون

فارت موضع مرقدى * ليلا فصار قفى السكون

قللى فأقول ليلة * لأقبر كيف ترى اكون

وقول نامية

تأمل في الوجود بعين فكر * تر الدنيا الدنية كأنه خيال

ومن فيها جيعا سوف يفنى * ويبقى وجه ربك ذو الجلال

وقول بعض العارفين

استعدى بآنفس للموت واسعى * لبقاء فالخازم المستعد

قد تبينت أنه ليس للحشى خلود وما من الموت بقى

انما أنت مستعيرة ماسو * فتردين والعوارى ترده

أنت تسهين والحوادث لانسى * هو وتلهين والمنايا تجتهد

أى ملك فى الارض أو أى حظ * لامرئ حظه من الارض لحظ

لا ترجى البقاء فى معدن المور * تودار حثوفها لك ورد

كيف يرجوا امرؤ لاذة ايا * م عليه الانفاس فيها تعد

وأسال من مبلغ الساتلين ما يرجون أن يصفح عن زلاتى ويسامحنى فيما أوردت فى هذا

الكتاب من الهزل والمجون الذى جرت المناسبة اليه والحديث شعبون وما القصد منه

الاترويح قلوب الذين يسوقون عيس الاسمار ويرجون وفيما أوردت من المواعظ والنصائح

وحكايات الاولياء الذين طيب زهر مناقبهم فأتم والتوسل بحسن الامداح النبوية

أن يستر بفضل سبجانه القبايح ويرينا وجه القبول بلا اكتمام ويمضنا الزانى وحسن

الختام ومن يتوسل بالنبي محمد شفيع البرايا السيد السند الاسنى فذا الجدير أن يكفر

ذنبه ويمض نيل القصد والختم بالحسنى وهذا اوان الشروع فى الاصول من هذا الكتاب

والشروع وعلى الله سبحانه اعتماد ومن معونه أستمد

(القسم الاول)

فيما يتعلق بالانداس من الاخبار المترعة الاكواب * والانباء المنتهية صوب الصواب *

الرافلة من الافادة فى سوابغ الاثواب وفيه بحسب القصد والاقتصار وتحرى التوسط

فى بعض المواضع دون الاختصار ثمانية من الابواب

(الباب الاول)

في وصف جزيرة الاندلس وحسن هوائها * واعتدال مزاجها ووفور خيراتها واستوائها *
 واشتمالها على كثير من المحاسن واحتوائها * وكرم بقعتها التي سقتها سماء البركات بنافع
 أنوائها * وذكر بعض ما أثرها الجملة الصور وتعداد كثير مما لها من البلدان والسكر
 المستمدة من أضوائها * فأقول * محاسن الاندلس لا تستوفي بعبارة * ومجاري فضلها لا يشق
 عبارة * وأني تجاري وهي الحاضرة قصب السبق * في أقطار الغرب والشرق (قال ابن سعيد)
 انما سميت بالاندلس بن طوبال بن يافث بن نوح لانه نزلها كما أن اخاه سبت بن يافث نزل العدو
 المقابلة لها واليه تنسب سبته (قال) وأهل الاندلس يحافظون على قوام اللسان العربي لانهم
 اعمار عرب أو متعربون انتهى (وقال ابن غالب) انه اندلس بن يافث والله تعالى اعلم (وقال
 الوزير) لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى في بعض كلامه اجري فيه ذكر البلاد
 الاندلسية أعادها الله تعالى للاسلام بركة المصطفى عليه من الله أفضل المصلاة وأزكى
 السلام مانصه خص الله تعالى بلاد الاندلس من الربيع وغدق السقيا ولذا ذلة الاقوات
 وفراة الحيوان ودرور القواك وكثرة المياه وتجر العمران وجودة اللباس وشرف
 الآنية وكثرة السلاح وصحة الهواء وايضا ألوان الانسان ونبل الاذهان وقنون
 الصنائع وشهامة الطباع ونفوذ الادراك واحكام القدن والاعتبار بما حرمه الكثير من
 الاقطار مما سواها انتهى (قال ابو عامر السلي) في كتابه المسمى بدور القلائد وغرر القوائد
 الاندلس من الاقليم الشامي وهو خير الاقاليم وأعدلها هواء وترايا وأعذبها ماء وأطيبها
 هواء وحبوانا ونباتا وهو أوسط الاقاليم وخير الامور وأوسطها انتهى (قال ابو عبيد
 البكري) الاندلس شامية في طبيعتها وهوائها يمانية في اعتدالها واستوائها هندية
 في عطرها وذكائها أهوازية في عظم جبايتها صينية في جواهر معادنها عدنية
 في منافع سواحلها فيها آثار عظيمة لليونانيين اهل الحكمة وحاملو الفلسفة وكان من
 ملوكهم الذين أثروا الاثار بالاندلس هرقلس وله الاثر في الصنم بجزيرة قادس وصنم
 جليقية والاثر في مدينة طر كونه الذي لا نظير له (قال المسعودي) بلاد الاندلس تكون
 مسيرة عماثرها ومدنها نحو شهرين ولهم من المدن الموصوفة نحو من أربعين مدينة انتهى
 باختصار ونحوه لابن اليسع اذ قال طولها من اربونة الى اشبونة وهو قطع ستين يوما
 للفارس المجتد وانتقد بأمرين احدهما أنه يقتضي أن اربونة داخله في جزيرة الاندلس
 والصحيح أنها خارجة عنها والثاني أن قوله ستين يوما للفارس المجتد اعياء وافراط وقد قال
 جماعة أنها شهر ونصف (قال ابن سعيد) وهذا يقرب اذا لم يكن للفارس المجتد والصحيح مانص
 عليه الشريف من أنها مسيرة شهر وكذا قال الجباري وقد سالت المسافرين المحققين
 عن ذلك فعملوا احسابا بالمرآحل الجيدة افضى الى نحو شهر بنيف قليل (قال الجباري)
 في موضع من كتابه ان طول الاندلس من الخارج الى اشبونة ألف ميل ونيّف اه وبالجمل
 فالمراد التقريب من غير مشاحة كما قاله ابن سعيد وأطال في ذلك ثم قال بعد كلام ومسافة
 الحاجر الذي بين بحر الزقاق والبحر المحيط أربعون ميلا وهذا عرض الاندلس عند رأسها
 من جهة الشرق ولقلته سميت جزيرة والافليست بجزيرة على الحقيقة لاتصال هذا القدر

بالارض الكبيرة وعرض جزيرة الاندلس في وسطها عند طليطلة ستة عشر يوما واتفقوا
على أن جزيرة الاندلس مثلثة الشكل واختلفوا في الركن الذي في الشرق والجنوب
في جزاريونة فمن قال انه في أربونة وان هذه المدينة بمقابلها مدينة برديل التي في الركن
الشرقي الشمالي أحمد بن محمد الرازي وابن حبان وفي كلام غيرهما أنه في جهة أربونة
وحقق الامر الشريف وهو أعرف بتلك الجهة لتردده في الاسفار بربر او بجرا اليها وتفرغه
لهذا الفن (قال ابن سعيد) سألت جماعة من علماء هذا الشأن فأخبروني أن الصحيح
ما ذهب اليه الشريف وأن أربونة وبرشلونة وطرسكونة في موضع يعرف بوادي زلقطو
وهناك الجبل الذي يفصل بين الاندلس والارض الكبيرة ذات اللسن الكثيرة وفي هذا
المكان جبل البرت الفاصل في الجبل المذكور وفيه الابواب التي قصها ملك اليونانيين
بالحديد والنار والخل ولم يكن للاندلس من الارض الكبيرة قبل ذلك طريق في البر وذكر
الشريف أن هذه الابواب يقع في مقابلتها في بحر الزقاق البحر الذي بين جزيرتي ميورقة
ومنورقة وقد أخبر بذلك جمهور المسافرين لتلك الناحية ومسافة هذا الجبل الجايز بين
الركن الجنوبي والركن الشمالي أربعون ميلا قال وشمال الركن المذكور عند مدينة
برديل وهي من مدن الافرنجية مطلة على البحر المحيط في شمال الاندلس قال ويتفق القراء
بعد تميز هذا الركن الى الشمال في بلاد الفرنجية ولهم به جزائر كثيرة ودوكرات الركن
الشمالي عند شنت ياقوه من ساحل الجلافة في شمال الاندلس حيث تبدأ جزيرة برطانية
الكبيرة فيتصور هناك بحرا داخل بين ارضين من الناس من يجعله بحرا منفردا خارجا من
البحر المحيط اطوله الى الركن المتقدم المذكور عند مدينة برديل (وذكر الشريف) أن
عند شنت ياقوه في هذا الركن المذكور على جبل يجمع البحرين صنما مطلا مشبها بصنم
قادس والركن الثالث بمقربة من جبل الاغن حيث صنم قادس والجبل المذكور يدخل
من غربه مع جنوبه بحر الزقاق من البحر المحيط مارا مع ساحل الاندلس الجنوبي الى جبل
البرت المذكور انتهى والكلام في مثل هذا طويل الذيل * (قال الشيخ احمد بن محمد
ابن موسى الرازي) بلاد الاندلس هو آخر الاقليم الرابع الى المغرب وهو عند الحكماء بلد كريم
البقعة طيب التربة خصب الجناب منبجس الانهار الغزار والعيون العذاب قليل الهوام
ذوات السموم معتدل الهواء والجو والنسيم ربيع وخريفه ومشتاه ومضيفه على قدر
من الاعتدال وسطا من الحال لا يتولد في احدها فصل يتولد منه فيما يلوها انتقاص تتصل
فواكه اكثر الازمنة وتدوم متلاحقة غير مفقودة أما الساحل منه ونواحيه فيبادر
سأكوره وأما الثغور وجهاته والجبال المخصوصة يبرد الهواء فيها كثيرا من كثير من ثمرة فائدة
الخيرات بالبلاد تمادية في كل الاحيان وفواكه على الجملة غير معدومة في كل اوان وله
خواص في كرم النبات توافق في بعضها ارض الهند المخصوصة بكرم النبات وجواهره منها
أن المحلب وهو المقدم في الافاويه والمفضل في انواع الاشنان لا ينبت بشي من الارض
الا بالهند والاندلس والاندلس المدن الحصينة والمعقل المنيع والقلاع الحريزة والمصانع

الجليلة ولها البر والبحر والسهل والوعر وشكلها مثلث وهي معتمدة على ثلاثة أركان الأول هو الموضع الذي فيه صنم قادس المشهور بالاندلس ومنه يخرج البحر المتوسط الشامي الآخذ قبلي الاندلس والركن الثاني هو بشرق الاندلس بين مدينة بريونة ومدينة برديل مما بأيدي الفرنجة اليوم بآزاء جزيرتي ميورقة ومنورقة بجواردة من البحرين البحر المحيط والبحر المتوسط وبينهما البر الذي يعرف بالابواب وهو المدخل الى بلاد الاندلس من الارض الكبيرة على بلاد الفرنجة ومسافته بين البحرين مسيرة يومين ومدينة بريونة تقابل البحر المحيط والركن الثالث منها هو ما بين الجوف والغرب من حيز جليقية حيث الجبل الموفى على البحر وفيها الصنم العالي المشبه بصنم قادس وهو الطالع على بلاد برطانية قال والاندلس اندلسان في اختلاف هبوب أرياحها ومواقع أمطارها وجريان أنهارها أندلس غربي وأندلس شرقي فالغربي منهما ما جرت أوديته الى البحر المحيط الغربي وتطر بالرياح الغربية ومبتدأ هذا الحوز من ناحية المشرق مع المفازة الخارجة مع الجوف الى بلاد شنت مريه طالعها الى حوزا غريطة المجاورة لطليلة ما تلا الى الغرب ومجاورة البحر المتوسط الموازي لقرطاجنة الحلقا التي من بلاد لورقة والحوز الشرقي المعروف بالاندلس الاقصى وتجري أوديته الى الشرق وأمطاره بالرياح الشرقية وهو من حد جبل البشكنش هابطا مع وادي ابرة الى بلاد شنت مريه ومن جوف هذا البحر وغربه المحيط وفي القبلة منه البحر الغربي الذي منه يجري البحر المتوسط الخارج الى بلاد الشام وهو البحر المسمى ببحر تيران ومعناه الذي يشق دائرة الارض ويسمى البحر الكبير انتهى قال ابو بكر عبد الله بن عبد الحكم المعروف بابن النظام بلاد الاندلس عند علماء اهل اندلسان فالاندلس الشرقي منه ما صبت أوديته الى البحر الرومي المتوسط المتصاعد من اسفل ارض الاندلس الى المشرق وذلك ما بين مدينة تدمير الى سرقسطة والاندلس الغربي ما صبت أوديته الى البحر الكبير المعروف بالمحيط أسفل من ذلك الحد الى ساحل المغرب فالشرقي منهما يطرب بالرياح الشرقية ويصلح عليها والغربي يطرب بالرياح الغربية وبها صلاحه وجباله هابطة الى الغرب جبلا بعد جبل وانما قسمته الاوائل جزئين لاختلافهما في حال امطارهما وذلك أنه مهما استحكمت الرياح الغربية كثر مطر الاندلس الغربي وقط الاندلس الشرقي ومتى استحكمت الرياح الشرقية كثر مطر الاندلس الشرقي وقط الغربي وأودية هذا القسم تجري من الشرق الى الغرب بين هذه الجبال وجبال الاندلس الغربي تمتد الى الشرق جبلا بعد جبل تقطع من الجوف الى القبلة والاودية التي تخرج من تلك الجبال يقطع بعضها الى القبلة وبعضها الى الشرق وتنصب كلها الى البحر المحيط بالاندلس القاطع الى الشام وهو البحر الرومي وما كان من بلاد جوف الاندلس من بلاد جليقية وما يليها فان أوديته تنصب الى البحر الكبير المحيط بناحية الجوف (وصفة الاندلس) شكل مكن على مثال الشكل المثلث وكنها الواحد في ما بين الجنوب والمغرب حيث اجتماع البحرين عند صنم قادس وكنها الثاني في بلاد جليقية حيث الصنم المشبه صنم قادس مقابل جزيرة برطانية وكنها الثالث بين مدينة بريونة ومدينة برديل من بلاد الفرنجة بحيث يقرب البحر المحيط من البحر الشامي المتوسط فيكاد ان يجتمعان

* (أول من سكن بالاندلس) *

في ذلك الموضع فيصير بلد الاندلس جزيرة بينهما في الحقيقة لولا أنه بقي بينهما برزخ برية صحراء وعمارة مسافة مسيرة يوم للراكب منه المدخل الى الارض الكبيرة التي يقال لها الابواب ومن قبله يصل بلد الاندلس بتلك البلاد المعروفة بالارض الكبيرة ذات اللسان المختلفة قال وأول من سكن بالاندلس على قديم الايام فيما نقلته الاخباريون من بعده عهد الطوفان على ما يذكره علماء بحرها قوم يعرفون بالاندلس منجمة الشين بهم سمي المكان فعرب فيما بعد بالسنيين غير المجعة كانوا الذين عروها وتساوا فيها وتداولوا ملكها دهر على دين التمجيس والاهمال والافساد في الارض ثم أخذهم الله بذنوبهم فغلب المطر عنهم ووالى القحط عليهم وأعطش بلادهم حتى نصبت مياهها وغارت عيونهم وأبيست أنهارها وبادت أشجارها فهلك أكثرهم وفز من قدر على الفرار منهم فأقفر الاندلس منهم وبقيت خالية فيما يزعمون مائة سنة وبضع عشرة سنة وذلك من جد بلد القرنجة الى حد بحر الغرب الأخضر وكان عدة ما عرمتها هذه الامة البائدة مائة عام وبضع عشرة سنة ثم أتت الله لعمارتها الافارقة فدخل اليها بعد اقفارها تلك المدة الطويلة قوم منهم اجلاهم ملك افريقية تخلفا منهم لا محال فوالى على اهل مملكته وتردد عليهم حتى كاد يفتنهم فحمل منهم خلقا في السفن مع قائد من قبله يدعى ابطريقس فأرسوا بريف الاندلس الغربي واحتلوا بجزيرة قادس فأصابوا الاندلس قد أمطرت وأخصبت فجرت أنهارها وانفجرت عيونهم ووحيت أشجارها ففرلوا الاندلس مغتبطين وسكنوها معقرين ونوالدوافيها فكثروا واستوسعوا في عمارة الارض ما بين الساحل الذي ارسوا فيه بغربيها الى بلد الافرنجة من شرقيها ونصبوا من انفسهم ملوكا عليهم ضبطوا أمرهم ونوالوا على اقامة دوائهم وهم مع ذلك على ديانة من قبلهم من الجاهلية وكانت دار ملكتهم طارقة الخراب اليوم من ارض اشبيلية اخترعها ملوكهم وسكنوها فانسحق ملكهم بالاندلس مائة وسبعة وخسين عاما الى أن أهلكهم الله تعالى ونسخهم بجم رومة بعد أن ملك من هؤلاء الافارقة في مدتهم تلك احد عشر ملكا ثم صار ملك الاندلس بعدهم الى عجم رومة وملكهم اشبان بن طيطش وباسمه سميت الاندلس اشبانية وذكر بعضهم أن اسمه اصيبان فأحبل بلسان العجم وقيل بل كان مولده باصبهان فغلب اسمها عليه وهو الذي بنى اشبيلية وكان اشبانية اسما خالصا لبلد اشبيلية الذي كان ينزل اشبان هذا ثم غلب الاسم بعده على الاندلس كله فالعجم الآن يسمونه اشبانية لا ثار اشبان هذا فيه وكان احد الملوك الذين ملكوا أقطار الدنيا فيما زعموا وكان غزا الافارقة عندهما سلطه الله عليهم في جوعه فقض عساكرهم وأثنى فيهم ونزل عليهم بقاعدتهم طارقة وقد تحصنوا فيها منه فابتنى عليهم مدينة اشبيلية اليوم واتصل حصره وقتاله لهم حتى فتحها الله عليه وغلبهم واستوت له مملكة الاندلس بأسرها ودان له من فيها فهدم مدينة طارقة ونقل رخامها وآلاتها الى مدينة اشبيلية فاستتم بناءها واتخذها دار ملكته واستغلظ سلطانه في الارض وكثرت جوعه فعلا وعظم عتوه ثم غزا ايليا وهي القدس الشريف من اشبيلية بعد سنتين من ملكه خرج اليها في السفن فغتمها وهدمها وقتل فيها من اليهود مائة ألف واسترق مائة ألف ونقل رخام ايليا وآلاتها الى الاندلس وقهر الاعداء واشتد سلطانه انتهى

(الغرائب التي اصبحت في مغنايم
الاندلس ايام قحها)

(وذكر بعض المؤرخين) أن الغرائب التي اصبحت في مغنايم الاندلس ايام قحها كما نذكره
سليمان عليه الصلاة والسلام التي ألفها طارق بن زياد بكنيسة طليطلة وقلعة الدرة التي
ألفها موسى بن نصير بكنيسة ماردة وغيرهما من ظرائف الذخائر انما كانت مما صار
لصاحب الاندلس من غنيمة بيت المقدس اذ حضر قحها مع بخت نصر وكان اسم ذلك الملك
بريان وفي سهمه وقع ذلك ومثله مما كانت الجبل تأتي به نبي الله سليمان على نبينا وعليه
وعلى جميع الانبياء الصلاة والسلام انتهى (وقال غير واحد من المؤرخين) كان اهل
المغرب الافصى بضرون بأهل الاندلس لاتصال الارض ويلقون منهم الجهد الجهد
في كل وقت الى أن اجتاحهم الاسكندر فشكلوا حالهم اليه فأحضر المهندسين وحضر
الى الزقاق فأمر المهندسين بوزن سطح الماء من المحيط والبحر الشامي فوجدوا المحيط يعلو
البحر الشامي بشي يسير فأمر برفع البلاد التي على ساحل البحر الشامي ونقلها من
الخليض الى الاعلى ثم أمر بحفر ما بين طنجة وبلاد الاندلس من الارض فحفر حتى ظهرت
الجبال السفلية وبني عليها رصيفاً بالحجر والبنا محكماً وجعل طوله اثني عشر ميلاً وهي
المسافة التي كانت بين البحرين وبني رصيفاً آخر يقابلها من ناحية طنجة وجعل بين الرصيفين
سعة ستة أميال فلما اكمل الرصيفان حفر من جهة البحر الاعظم وأطلق فم الماء بين الرصيفين
فدخل في البحر الشامي ثم قاض ماؤه فأغرق مدناً كثيرة وأهلك المما عظمى كانت على
الشطين وطفلاً الماء على الرصيفين احدى عشرة قامة فأما الرصيف الذي يلي بلاد الاندلس
فانه يظهر في بعض الاوقات اذا نقص الماء ظهوراً ينما مستقيماً على خط واحد وأهل
الجزيرتين يسمونه القنطرة وأما الرصيف الذي من جهة العدو فان الماء حمله في صدره
واحتقر ما خلفه من الارض اثني عشر ميلاً وعلى طرفه من جهة المغرب قصر الجواروس ستة
وطنجة وعلى طرفه من الناحية الاخرى جبل طارق بن زياد وجزيرة طريف وغيرها
والجزيرة الخضراء وبين سبتة والجزيرة الخضراء عرض البحر انتهى ملخصاً وقد تكرر
بعضه مع ما قبلناه والعذر بين لارتباط الكلام ببعضه بعض (وقال ابن سعيد)
ذكر الشريف أن لاحظ لارض الاندلس في الاقليم الثالث قال ويمر بجزيرة الاندلس
الاقليم الرابع على ساحلها الجنوبي وماقاربه من قرطبة واشيلية ومرسية وبلنسية
ثم يمر على جزيرة صقلية وعلى ما في سمته من الجزائر والشمس مدبرة له * والاقليم الخامس
يمر على طليطلة وسرقسطة وما في سمته الى بلاد أرغون التي في جنوبها برشاونة ثم يمر على
رومية وبلادها ويشق بحر البنادقة ثم يمر على القسطنطينية ومدبرته الزهرة * والسادس
يمر على ساحل الاندلس الشمالي الذي على البحر المحيط وماقاربه وبعض البلاد الداخلة
في قشتالة وبرتقال وما في سمتهما وعلى بلاد برجان والصقالبة والروس ومدبره عطارو
* ويمر الاقليم السابع في البحر المحيط الذي في شمال الاندلس الى جزيرة انقظرة وغيرها
من الجزائر وما في سمته من بلاد الصقالبة وبرجان قال البيهقي وفيه تقع جزيرة تولى
وجزيرتا اجمال والنساء وبعض بلاد الروس الداخلة في الشمال والبلغار ومدبره القمر
انتهى (وقال بعض العلماء) ان النصارى حرموا جنة الآخرة فأعطاهم الله جنة الدنيا

يستأنف اتصال من البحر المحيط بالاندلس الى خليج القسطنطينية وعندهم عموم شاه بلوط
 والبندق والجوز والفسستق وغير ذلك مما يكون اكثر وأمكن في الاقاليم الباردة والقر
 عندهم معدوم وكذا الموز وقصب السكر وربما يكون شيء من ذلك في الساحل لان هواء
 البحر يدفع انتهى (قال ابن حبان في المقتبس) ذكر رواية العجم أن الخضر عليه السلام
 وقف على اشبان المذكور وهو يحرق الارض بفن له ايام حراثة فقال له يا اشبان انك
 لذو شأن وسوف يحظيك زمان ويعليك سلطان فاذا أنت غلبت على ايليا فارفق بذرية الانبياء
 فقال له اشبان أسأخري ربك الله أنى يكون هذا في وأنا ضعيف ممن حقير فقير ليس مثلي
 ينال السلطان فقال له قد قد ذلك فيك من قدر في عصاة السابسة ما تراه فنظر اشبان الى
 عصاه فاذا به اقدأ ورق فتربيع لما رأى من الآية وذهب الخضر عنه وقد وقع الكلام بخلافه
 ووقرت في نفسه الثقة بسكونه فترك الامتحان من وقته ودخل الناس وحسب اهل البأس
 منهم وسماه جده فارقي في طلب السلطان حتى أدرك منه عظيما وكان منه ما كان ثم أتى عليه
 ما أتى على القرون قبله وكان ملكه كله عشر بن سنة وثمانى ملك الاشباين بعده
 الى أن ملك منهم الاندلس خمسة وخمسون ملكا ثم دخل على هؤلاء الاشباين من عجم رومة
 أمة يدعون البشتولقات وملكهم طلويش بن يسطه وذلك زمن بعث المسيح عيسى ابن مريم
 عليه السلام أتوا الاندلس من قبل رومة وكانوا يملكون افرنجة معها ويعشون عيالهم اليها
 فالتخذوا دار ملكتهم بالاندلس مدينة ماردة واستولوا على مملكة الاندلس واتصل
 ملكهم بهامدة الى أن ملك منهم سبعة وعشرون ملكا ثم دخل على هؤلاء البشتولقات امة
 القوط مع ملك لهم فغلبوا على الاندلس واقطعوا هاهنا يومئذ من صاحب رومة وتفرّدوا
 بسلطانهم واتخذوا مدينة طليطلة دار ملكتهم وأقروا بها سرير ملكهم فبقى باشبيلية علم
 الاشباين ورياسة أوليئهم (وقد كان عيسى المسيح عليه السلام) بعث الخواريين في الارض
 يدعون الخلق الى ديارته فاختلف الناس عليهم وقتلوا بعضهم واستجاب لهم كثير منهم وكان
 من اسرعهم اجابة لمن جاءه من هؤلاء الخواريين خشندش ملك القوط فتصمر ودعا قومه
 الى النصرانية وكان من صميم اعظمهم وخير من تنصر من ملوكهم وأجمعوا على أنه لم يكن فيهم
 أعذل منه حكما ولا أرشد رأيا ولا أحسن سيرة ولا أجود تدبرا فكان الذي اصل النصرانية
 في مملكته ومضى اهلها على سنته الى اليوم وحكموا بها والانبجيات في المصاحف الاربعة
 التي يختلفون فيها من اتساخه وجمعه وتنقيقه فتناست ملوك القوط بالاندلس بعده الى أن
 غلبتهم العرب عليها وأظهر الله تعالى دين الاسلام على جميع الاديان (فوقع في تواريخ العجم
 القديمة) أن عدة ملوك هؤلاء القوط بالاندلس من عهد اتاناوينوس الذي ملك في السنة
 الخامسة من مملكة فلبس القيصرى لمضى أربع مائة وسبع من تاريخ الصفر المشهور عند
 العجم الى عهد لذريق آخرهم الذي ملك في السنة التاسعة والاربعين وسبع مائة من تاريخ
 الصفر وهو الذي دخلت عليه العرب فأزالت دولة القوط ستة وثلاثون ملكا وأن مدة أيام
 ملكهم بالاندلس ثلثمائة واثنان وأربعون سنة انتهى (وقال جماعة) ان القوط غير
 البشتولقات وان البشتولقات من عجم رومة وانهم جعلوا دار ملكهم ماردة واتصل ملكهم

(خبر اشبان الذي بنى اشبيلية)

الى أن ملك منهم سبعة وعشرون ملكاً ثم دخل عليهم القوط واتخذوا طليطلة دار ملكة
ثم ذكر تنصير ملكهم خشندش مثل ما تقدم ثم ذكر أن عدة ملوك القوط ستة وثلاثون
ملكاً (وذكر الرازي) أن القوط من ولدياً جوج بن يافث بن نوح وقيل غير ذلك انتهى (وذكر
الرازي) في موضع آخر نحو ما تقدم وزيادة ونصه ان الاندلس في آخر الاقليم الرابع من
الاقليم السبعة التي تقدم ذكرها التي هي ربع معمور الدنيا فهي موسطة من البلدان كريمة
البقعة بطبع الخلقة طيبة التربة مخصبة القاعة منجسة العيون الثرار متفجرة الانهار الغزار
قليلة الهوام ذوات السموم معتدلة الهواء اكثر الايمان لا يزيد قنطها زيادة منكسة تضر
بالابدان وكذا سائر فصولها في اعم سنيتها تأتي على قدر من الاعتدال وتوسط من الجبال
وفواكهها تصل طول الزمان فلا تنكاد تعدم لان الساحل ونواحيه يسار ريا كوره كما أن
الثغور وجهاته والجبال التي يخصها برد الهواء وكثافة الجو تستأخر بما فيها من ذلك حتى يكاد
طرفاها كنهها يلتقيان فإذ الخيرات فيها متصلة كل أو أن ومن بحرها بجهة الغرب يخرج
العنبر الجيد المقدم على أجناسه في الطيب والصبر على النار وبها شجر المحلب المعدود في
الافاويه المقدم في انواع الاشنان كثير واسع وقد زعموا انه لا يكون الا بالهند وبها فقط ولها
خواص نباتية يكثر تعدادها انتهى (وقد ذكر غيره تفصيل بعض ذلك فقال) يوجد في ناحية
دلالية من اقليم البصرة عود الالبوج لا يفوته العود الهندي ذكاء وعطر رائحة وقد سبق
منه الى خيران الصقلي صاحب المربة واث اصل منبته كان بين أبحار هنالك وبأ كشونية
جبل كثيراً ما يتضوع ريح العود الذكي اذا ارسلت فيه النار وببحر شدة يوجد
العنبر الطيب الغربي وفي جبل منتليون المحلب ويوجد بالاندلس القسط الطيب والسنبل
الطيب والجنطيانة تحمل من الاندلس الى جميع الآفاق وهو عقار رفيع والمر الطيب بقلعة
ايوب وأطيب كهرباء الارض بشدة ودهم منها يعدل دراهم من الجلوبية وأطيب القرمز
قرمز الاندلس واكثر ما يكون بنواحي اشيلية ولبلة وشدونه وبلنسية ومن الاندلس يحمل
الى الآفاق وبناحية لورقة من عمل تدوير يكون حجر اللازورد الجيد وقد يوجد في غيرها
وعلى مقربة من حضرة لورقة من عمل قرطبة معدن البلور وقد يوجد بجبل شخيران وهو
شرقي يبرة وحجر النجادي يوجد بناحية مدينة الاشبونة في جبل هنالك يتلأل فيه لبلل
كالسراج والياقوت الاحمر يوجد بناحية حصن منت ميور من كورة مالقة الا أنه دقيق
جدا لا يصلح للاستعمال لصغره ويوجد حجر يشبه الياقوت الاحمر بناحية بجانة
في خندق يعرف بقرية تاشرة أشكالا مختلفة كأنه مصبوغ حسن اللون صبور على النار
وحجر المغناطيس الجاذب للعديد يوجد في كورة تدوير وحجر الشاذلة بجبال قرطبة كثير
ويستعمل ذلك في التذهيب وحجر اليهودي في ناحية حصن البونت وهو أنفع شيء للحصاة
وحجر المرقيشينا الذهبية في جبال ابدلة لا تظير لها في الدنيا ومن الاندلس تحمل الى جميع
الآفاق لفضلها والمغنيسيا بالاندلس كثير وكذلك حجر الطلق ويوجد حجر اللؤلؤ بمدينة
برشلونة الا أنه جامد اللون ويوجد المرجان بساحل يبرة من عمل المربة مالقة منه في أقل
من شهر نحو ثمانين ربعاً ومعدن الذهب بنهر لاردة يجمع منه كثير ويجمع ايضا في ساحل

الاشهبونة ومعادن الفضة في الاندلس كثيرة في كورة تدمير وجبال جة بجانة وباقليم
 كرتش من عمل قرطبة معدن فضة جليل وباشكونية معدن القصدير لا نظيره يشبه الفضة
 وله معادن بناحية افرنجة وليون ومعدن الزئبق في جبل البرانس ومن هنالك يتجهز به الى
 الاتاق ومعادن الكبريت الاحمر والاصفر بالاندلس كثيرة ومعدن التوتيا الطبية
 بساحل البيرة بقرية تسمى بطرنة وهي ازكي توتيا واقواها في صبح النحاس وبجبال قرطبة
 توتيا وليست كالبطرنية ومعدن الكحل المشبه بالاصفهان بناحية مدينة طرطوشة
 يحمل منها الى جميع البلاد ومعادن الشبوب والحديد والنحاس بالاندلس اكثر من أن
 تحصى وما ذكرنا هنا وان تكثر بعضه مع ما سبق اويأتى فهو يجمع النظائر وما لم نذكره اكثر
 والله تعالى أعلم (ومن خواص طليطلة) أن حنطتها لا تتغير ولا تسوس على طول السنين
 يتوارثها الخلف عن السلف وزعفران طليطلة هو الذي يسم البسلاد ويتجهز به الرفاق الى
 الاتاق وكذلك الصبح السماوي انتهى (وقال المسعودي) في مروج الذهب بعد كلام
 مانصه والعنبر كثير ببحر الاندلس يجهز الى مصر وغيرها ويحمل الى قرطبة من ساحل لها
 يقال له شنترين وشدونة تبلغ الاوقية منه بالاندلس ثلاثة مثاقيل ذهباً والاوقية بالبغدادى
 وتباع بمصر اوقيته بعشرين ديناراً وهو عنبر جيد ويمكن أن يكون هذا العنبر الواقع الى بحر
 الروم ضرباً منه الامواج من بحر الاندلس الى هذا البحر لا اتصال الماء وبالاندلس معدن
 عظيم للفضة ومعدن للزئبق ليس بالجيد يجهز الى سائر بلاد الاسلام والكفر وكذلك
 يحمل من بلاد الاندلس الزعفران وعروق الزنجبيل وأصول الطيب خمسة أصناف المسك
 والكافور والعود والعنبر والزعفران وكلها تحمل من ارض الهند وما اتصل بها
 الا الزعفران والعنبر انتهى وهو وان تكثر مع ما ذكرناه عن غيره فلا يخلو من فائدة والله
 تعالى أعلم (وذكر البعض) أن في بلاد الاندلس جميع المعادن الكائنات عن
 النيرات السبعة وهي الرصاص من زحل والقصدير الايض من المشتري والحديد من
 قسم المريخ والذهب من قسم الشمس والنحاس من الزهرة والزئبق من عطارذ والفضة من
 القمر (وذكر الكاتب ابراهيم بن القاسم القروي المعروف بالرقيق بلد الاندلس)
 فقال اهله اصحاب جهاد متصل يحاربون من اهل الشرك المحيطين بهم امة يدعون
 الجلالة يتاخون حوزهم ما بين غرب الى شرق قوم لهم شدة ولهم جمال وحسن وجوه
 فكثر رقيقهم الموصوفين بالجمال والقراصة منهم ليس بينهم وبينهم درب فالجرب
 متصلة بينهم ما لم تقع هدنة ويحاربون بالافق الشرقي امة يقال لهم الفرنجية هم اشد عليهم
 من جميع من يحاربونه من عدوهم اذ كانوا خلقاً عظيماً في بلاد كثيرة واسعة جليلة متصلة
 العمارة آهله تدعى الارض الكبيرة هم اكثر عدداً من الجليقيين واشد بأساً واحداً شوكه
 وأعظم امداداً وهذه الامة يحاربون امة الصقالبة المتصلين بأرضهم لمخالفتهم اياهم
 في الديانة فيسببونهم ويبيعون رقيقهم بأرض الاندلس فلههم هنالك كثرة وتخصيهم للفرنجية
 يهود ذمتهم الذين بأرضهم وفي ثغر المسلمين المتصل بهم فيحمل خصيانهم من هنالك الى سائر
 البلاد وقد تعلم الخصاص قوم من المسلمين هنالك فصاروا يخلصون ويستحلون المثلثة (قال

ابن سعيد) ومخرج بحر الروم المتصاعد الى الشام هو بساحل الاندلس الغربي بمكان يقال له الخضراء ما بين طنجة من ارض المغرب وبين الاندلس فيكون مقداره عرضه هناك كما زعموا ثمانية عشر ميلا وهذا عرض جزيرة طريف الى قصر مصمودة بالقرب من سبتة وهناك كانت القنطرة التي يزعم الناس أن الاسكندر بنىها ليعبر عليها من بر الاندلس الى بر العدو ويعرف هذا الموضع بالزقاق وهو صعب الجبال لانه مجتمع البحرين لا تزال الامواج تتناول فيه والماء يدور وطول هذا الزقاق الذي عرضه ثمانية عشر ميلا مضاعف ذلك الى مئاة مائة ومن هناك يأخذ البحر في الاتساع الى ثمانية مئاة ميل وأزيد ومنتهاه مدينة صور من الشام وفيه عدد عظيم من الجزائر (قال بعضهم) اثنا عشر وعشرون جزيرة منها صقلية ومالطة وغيرها انتهى وبعضه بالمعنى (وقال بعضهم) عند وصفه ضيق بحر الزقاق قرب سبتة ما صورته ثم يتسع كلما امتد حتى يصير الى مالازرع له ولانهاية (وقال بعضهم) وكان مبلغ خراج الاندلس الذي كان يؤدى الى ملوك بني امية قديما ثلثمائة ألف دينار دراهم اندلسية كل سنة قواين وعلى كل مدينة من مدائنهم مال معلوم فكانوا يعطون جندهم ورجالهم الثلث من ذلك مائة ألف دينار ويتفقون في امورهم ونوائبهم ومؤون أهلهم مائة ألف دينار ويتخرون لحادث ايامهم مائة ألف دينار انتهى (وذكر غيره) أن الجباية كانت بالاندلس ايام عبد الرحمن الاوسط ألف ألف دينار في السنة وكانت قبل ذلك لا تزيد على ستمائة ألف حكاة ابن سعيد وقال ان الاندلس مسيرة شهر من مدن وعمائر (وقال قاضي القضاة) ابن خلدون الحضرمي في تاريخه الكبير ما صورته كان هذا القطر الاندلسي من العدو الشمالية من عدوتي البحر الرومي وبالجانب الغربي منها يسمى عند العجم الاندولوش ونسكه اعم من افرنجية المغرب أشدهم واكثرهم الجلالة وكان القوط قد غلبوه وغلبوا على اهلهم من السنين قبل الاسلام بعد حروب كانت لهم مع اللطينيين حاصروا فيها رومة ثم عقدوا معهم السلم على أن ينصرف القوط الى الاندلس فصاروا اليها وملكوها ولما أخذ الروم والاطينيون بجملة النصرانية حملوا من وراءهم بالمغرب من اعم القرنجة والقوط عليها فدافعوا اليها وكان ملوك القوط ينزلون طليطلة وكانت دار ملكهم وربما تنقلوا ما بينها وبين قرطبة واشبيلية وماردة وأقاموا كذلك نحو من اربع مائة سنة الى أن جاء الله بالاسلام والفتح وكان ملكهم لذلك العهد يسمى لذريق وهو سمى ملوكهم كما أن جرجير سمى ملوك صقلية انتهى (ومن اشهر بلاد الاندلس) غرناطة وقيل ان الصواب اغرناطة بالهمز ومعناه بلغتهم الرمانية وكفاها شرقا ولادة لسان الدين بها (وقال الشقندي) أما غرناطة فانها دمشق بلاد الاندلس ومسرح الابصار ومطمح الانفس ولم تخل من أشرف امثال وعلماء اكابر وشعراء افاضل ولولم يكن لها الا ما خصها الله تعالى به من المرج الطويل العريض ونهر شليل ~~لكنها~~ (وفي بعض كلام لسان الدين) ما صورته وما لمصر تفخر بنيلها وألف منه في شذيلها يعني أن الشين عند أهل المغرب عددها ألف فقولنا شذيل اذا اعتبرنا عدد شينه كان ألف نيل وفيها قيل

* (مدينة غرناطة) *

غرناطة مالها قطير * مامصر ما الشام ما العراق

فاهي الا العروس تجلي * وتلك من جله الصداق

وتسمى كورة البيرة التي منها غرناطة دمشق لان جنة دمشق نزلوها عند الفتح وقبل انما سميت بذلك لشبهها بدمشق في غزارة الانهار وكثرة الاشجار حكاه صاحب منهاج الفكر قال ولما استولى الفريخ على معظم بلاد الاندلس انتقل اهلها اليها فصارن المصرا المقصود والمعقل الذي تنصوي اليه العساكر والجنود وبشقها نهر عليه قنطرة يجاز عليها وفي قريبا جبل شليرو هو جبل لا يفارقه الثلج صيفا ولا شتاء وفيه سائر النبات الهندي لكن ليس فيه خصائصه انتهى (ومن أعمال غرناطة) قطر لوشة وبها معدن للفضة جيد ومنها اعني لوشة اصل لسان الدين بن الخطيب وهذا القطر ضخيم يتضاف اليه من الحصون والقرى كثير وقاعدته لوشة بينها وبين غرناطة مرحلة وهي ذات انهار واشجار وهي على نهر غرناطة الشهير بشنيل * (ومن أعمال غرناطة الكبار) عمل باغة والعامة يقولون بيغة واذا نسبوا اليه قالوا يعني وقاعدته باغة طيبة الزرع كثيرة الثمار غزيرة المياه ويجود فيها الزعفران * (ومن أعمال غرناطة) وادي آس ويقال وادي الاشات وهي مدينة جليلة قد احدثت بها البساتين والانهار وقد خص الله اهلها بالادب وحب الشعر وفيها يقول ابو الحسن بن زرار

* (لوشة) *

* (باغة) *

* (وادي آس) *

وادي الاشات ينج وحدى كلما * اذكرت ما قضت بك النعماء
لله ظلك والهجير مسلط * قد بردت لبعائه النداء
والشمس ترغب أن تفوز بلحظة * منه فتطرف طرفها الاقياء
والنهر يسيم بالحجاب كانه * سلخ نصته حية رقشاء
فلذلك تحذره الغصون فيلها * ابدأ على جنبائه ايماء

(ومن أعمال وادي آس) حصن جليلة وهو كبير بضاهي المدن وبه التفاح الجليلة الذي خص الله به ذلك الموضع يجمع عظم الخمر وكرم الجوهر وحلاوة الطعم وذكاه الرائحة والنقاء وبين الحصن المذكور وادي آس اثنا عشر ميلا (ومن غرائب الاندلس) أن به شجرتين من شجر القسط وهما عظمتان جدا احدهما بسند وادي آس والاخرى ببشرة غرناطة في جوف كل واحدة منهما حائط ينسج الثياب وهذا امر مشهور قاله ابو عبد الله بن جرير وغيره * وكانت البيرة هي المدينة قبل غرناطة فلما بنى الصنهاجي مدينة غرناطة وقصبتها وأسوارها انتقل الناس اليها ثم زاد في عمارتها ابنه باديس بعده (وذكر غير واحد) أن في كورة سرقسطة الملح الاندواني الايبض الصافي الاملس الخالص وليس في الاندلس موضع فيه مثل هذا الملح (قال) وسرقسطة بناها قيصر ملك رومة الذي تورخ من مدته مدة الصفر قبل مولد المسيح على نبينا وعليه وعلى سائر الانبياء الصلاة والسلام وتفسير اسمها قصر السيد لانه اختار ذلك المكان بالاندلس (وقيل ان موسى بن نصير) شرب من ماء نهر جلق بسرقسطة فاستعذبه وحكم أنه لم يشرب بالاندلس أعذب منه وسال عن اسمه فقيل جلق ونظر الى ماء عليه من البساتين فشبهها بغوطة جلق الشام وقيل انها من بناء

* (غرائب الاندلس) *

الاسكندر والله اعلم * وبمدينة برجة وهي من أعمال المرية معدن الرصاص وهي على واد ميهج يعرف بوادي عذراء وهو محرق بالازهار والاشجار وتسمى برجة بهجة لبهجة منظرها وفيها يقول ابو الفضل بن شرف القيرواني رحمه الله تعالى

رياض تعشها سندس * نشت معاطفها بالزهر
مدامعها فوق خدي ربا * لها نظرة فتنت من تظفر
وكل مكان بها جنة * وكل طريق اليها سقر

وفيها ايضا قوله

حط الرحال ببرجه * وارتل نفسك بهجة
في قلعة كسلاح * ودوحة مثل بلخ
فحسنالك امن * وروضها لك فرجة
كل البلاد سواها * كهجرة وهي حجة

وبالقة التين الذي يضرب المثل بحسنه ويجلب حتى للهند والصين وقيل انه ليس في الدنيا مثله وفيه يقول ابو الجحاج يوسف ابن الشيخ البلوي الملقب حسبا انشده غير واحد منهم ابن سعيد

مالقة حيت ياتينها * الفلك من اجلك ياتينها
نهي طبيبي عنه في علقى * مالطبيبي عن حياتي نهي
وذيل عليه الامام الخطيب ابو محمد عبد الوهاب المنشي بقوله
وحص لا تنس لها تينها * واذ كرمع التين زياتينها

وفي بعض النسخ

لا تنس لاشيلية تينها * واذ كرمع التين زياتينها

وهو نحو الاول لان حص هي اشيلية لتزول اهل حص من المشرق بها حسبا سند كره (ونسب ابن جزي في ترتيبه لرحله ابن بطوطة اليقين الاولين للخطيب ابي محمد عبد الوهاب الملقب والتذييل لقاضي الجماعة ابي عبد الله بن عبد الملك فانه اعلم * وقال ابن بطوطة وبمالقة يصنع الفخار المذهب العجيب ويجلب منها الى اقاصي البلاد ومسجدها كبير الساحة كثير البركة شهيرها وصحنه لا تطير له في الحسن وفيه اشجار النارج البديعة انتهى وقال قبله ان مالقة احدي قواء الاندلس وبلادها الحسان جامعة بين مرافق البر والبحر كثيرة الخيرات والقواكه رأيت العنب يساع في أسواقها بحساب ثمانية ارطال بدرهم صغير ورماتها المرمي الاقوي لا تطير له في الدنيا وأما التين واللوز فيجلبان منها ومن أحوازها الى بلاد المشرق والمغرب انتهى (وبكورة اشبونة) المتصلة بشتين معدن التبر وفيها غسل يجعل في كيس كان فلا يكون له رطوبة كانه سكر و يوجد في ريفها العنبر الذي لا يشبهه الا الشحري (ومن اشهر مدن الاندلس) مدينة قرطبة أعادها الله تعالى للاسلام وبها الجامع المشهور والقطرة المعروفة بالجسر (وقد ذكر ابن حبان) أنه بنى على امر عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ونصبه وقام فيها

بأمره على النهر الأعظم بدار مملكتهم قرطبة الجسر الأكبر الذي ما يعرف في الدنيا منسله
اتتهى وفيها يقول بعض علماء الأندلس

بأربع فاق الامصار قرطبة * منهى قطرة الوادي وجامعها

هاتان ثنتان والزهراء ثالثة * والعلم اعظم شئ وهو رابعها

(وقال الجباري في المسهب) كانت قرطبة في الدولة المروانية قبة الاسلام ومجمع اعلام
الانام نبها استقرت ممرير الخلافة المروانية وفيها تحضت خلاصة القبائل المعادية واليمانية
واليهما كانت الرحلة في الرواية اذ كانت مركزا للكرماء ومعدن العلماء وهي من الأندلس
بمنزلة الرأس من الجسد ونهرها من احسن الانهار مكتشف بديابج المروج مطرز بالازهار
نصيح في جنباته الاطيار وتنوع النواعير ويسم النوار وقرطابها الزاهرة والزهراء
حاضرتا الملك وافقاء النعماء والسراء وان كان قد آخى عليها الزمان وغير بهجة
أوجهها الحسن قتلك عادته وسل الخوونق والسدير ونعمدان وقد أعذر بانذاره اذ لم يزل
يشادى بصروفه لا امان لا امان وقد قال الشاعر

وما زلت أسمع أن الملو * لتبني على قدر أخطارها

اتتهى وقال السلطان يعقوب المنصور ابن السلطان يوسف ابن السلطان عبد المؤمن بن
علي لا حدر رؤساء أجنادهما تقول في قرطبة نغاطبه على ما يقتضيه كلام عامة الأندلس
بقوله جوفها شمام وغريها مقام وقيتها مدام والجنة هي والسلام يعني بالشمام
جبال الورد ويعني بالقمام ما يؤكل اشارة الى محرث الكنباية ويعني بالمدام النهر
ولما قال والده السلطان يوسف بن عبد المؤمن لابي عمران موسى بن سعيد الغنسي ما عندك
في قرطبة قال له ما كان لي أن أتكلم حتى اسمع مذهب امير المؤمنين فيها فقال السلطان
ان ملوك بني امية حين اتخذوها حضرة مملكتهم اهل بصيرة الديار المنفسحة الكبيرة
والشوارع المتسعة والمباني الضخمة المشيدة والنهر الجاري والهواء المعتدل والخارج
الناضر والمحرث العظيم والشعري الكافية والتوسط بين شرق الأندلس وغربها قال فقلت
ما بقي لي امير المؤمنين ما اقول (قال ابن سعيد) ولا ههنا رياسة ووقار لا تزال سمعة العلم
والملك متوارثة فيهم الا أن عاقبتهم اكثر الناس فضولا وأشد هم تشغيبا ويضرب بهم المثل
ما بين اهل الأندلس في القيام على الملوك والتشجيع على الولاية وقلة الرضا بامورهم حتى ان
السيد أبي يحيى اخا السلطان يعقوب المنصور قيل له لما انفصل عن ولايتها كيف وجدت
أهل قرطبة فقال مثل الجمل ان خفت عنه الحمل صاح وان أثقلت صاح ما ندري اين
رضاهم فنقصده ولا اين سخطهم فنجتبه وما سطر الله عليهم حجاج الفتنة حتى كان عاقبتهم شرا
من عامة العراق وان العزل عنها لما قاسيتهم من اهلها عندي ولاية واني ان كلفت العود اليها
اقايل لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين اتتهى (وقال ابو الفضل التيفاشي) جرت مناظرة
بين يدي ملك المغرب المتصور يعقوب بن الفقيه ابي الوليد بن رشد والرئيس ابي بكر بن زهر
فقال ابن رشد لابن زهر في تفضيل قرطبة ما ادري ما تقول غير أنه اذا مات عالم باشيلية
فأريد بيع كتبه مات الى قرطبة حتى تباع فيها وان مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته

حملت الى اشيلية قال وقرطبة اكبر بلاد الله كتبنا انتهى (وحكى) الامام ابن بشكوال
عن الشيخ ابي بكر بن سعادة انه دخل مدينة طليطلة مع اخيه على الشيخ الاستاذ
ابي بكر الخزومي قال فسألنا من اثنى فقلنا من قرطبة فقال منى عهد كما بها فقلنا الا ان
وصلنا منها فقال اقربا الى اثم نسيم قرطبة فقرينا منه قسم رأسي وقبله وقال لي اكتب
أقرطبة الغراء هل لي اوبة * اليك وهل يدنو لنا ذلك العهد
سقى الجانب الغربي منك غمامة * وقعق في ساحات دوحاتك الرعد
ليالك أسرار وأرضك روضة * وتربك في استنساها غير ورد
وكتب الرئيس الكاتب ابو بكر بن القبطرنة للعالم ابي الحسين بن سراج بقوله
ياسيدى وأبى هوى وجلالة * ورسول ودى ان طلبت رسولا
هزج بشرطبة اذا بلغتها * بأبي الحسين وناده غويلا
واذا سعدت بنظرة من وجهه * أهد السلام لكفه تقيلا
واذ كره شوقى وشكرى بجلا * ولواستطعت شرحته تفصيلا
بخصية تهدي اليه كأنما * جزت على زهر الرياض ذيولا
وفي باب اليهود بقرطبة يقول ابو عامر بن شهيد

لقد أطلعوا عند باب اليهود * دبورا ابي الحسن أن يكسفا

تراء اليهود على بابها * اميرا فخصبه يوسف

واستقبحوا قولهم باب اليهود فقالوا باب الهدى وسند كقرطبة والزهراء والزاهرة
ومسجدها في الباب المنفرد بها ان شاء الله تعالى وكذلك القنطرة (ومن اعظم مدن
الاندلس اشيلية) قال الشقدي من محاسنها اعتدال الهواء وحسن المباني ونهرها الاعظم
الذي يصعد المذفيه اثنين وسبعين ميلا ثم يحسر وفيه يقول ابن سقر

شق التسيم عليه جيب قبضه * فانساب من شطيه بطلب ثاره

فتضا حكت ورق الحمام بدوحها * هزأ فضم من الحياء ازاره

وقيل لاحد من رأى مصر والشام ايم ما رأيت احسن اهدان ام اشيلية فقال بعد تفضيل
اشيلية شرفها غابة بلا اسد ونهرها نيل بلا غماسح انتهى (ويقول ان الذي بنى اشيلية
اسمه تولىس وانه اول من سمى قيصروا انه لما دخل الاندلس اعجب بساحاتها وطيب ارضها
وجعلها المعروف بالشرف فردم على النهر الاعظم مكانا وأقام فيه المدينة وأحرق عليها
بأسوار من صخر صلد وبني في وسط المدينة قصبتين بديعتي الشان تعرفان بالاخوين وجعلها
أم قواعد الاندلس واشتق لها اسمها من رومية ومن اسمه فسماها رومية تولىس انتهى
(وقد تقدم) شئ من هذا وكان الاولون من ملوك الاعاجم يتداولون بسكاهم اربعة بلاد من
بلاد الاندلس اشيلية وقرطبة وقرمونة وطليطلة ويقسمون ازمانهم على الكينونة بها دائما
شرف اشيلية فهو شريف البقعة كريم التربة دائم الخضرة فرسخ في فرسخ طولاً وعرضاً لا تكاد
تشمس فيه بقعة لا تنفاز زيتونه (واعلم) أن اشيلية لها كور جليلة ومدن كثيرة وحصون
شريفة وهي من الكور المجددة تزلها جند حص ولواؤهم في الجنة بعد لواء جند دمشق

* (د كراشيلية) *

وانتهت بجباية اشيلية ايام الحكم بن هشام الى خمسة وثلاثين الف دينار ومائة دينار * وفي
اقليم طالق من اقاليم اشيلية وجدت صورة جارية من حرم معها صبي * وكان حبة ترينه
لم يسمع في الاخبار ولا روى في الآثار صورة أبدع منها جعلت في بعض الحمامات وتعتشها
جماعة من العوام * وفي كورة ماردة حصن شنت افرج في غاية الارتفاع لا يعلوه طائر البسة
لانسر ولا غيره (ومن عجائب الاندلس) البلاط الاوسط من مسجد جامع اقليم فان طول
كل جائرة منه مائة شبر وأحد عشر شبرا وهي مربعة منحوتة مستوية الاطراف (وقال
بعض من وصف اشيلية) انها مدينة عامرة على ضفة النهر الكبير المعروف بنهر قرطبة
وعليه جسر مربوط بالسفن وبها أسواق قاعة وتجارات رابحة وأهلها ذوو اموال عظيمة
واكثر متاجرهم الزيت وهو يشتغل على كثير من اقليم الشرف واقليم الشرف على تل عال
من تراب احمر مساقته اربعون ميلا في مثلها عيشي به السائر في ظل الزيتون والتين ولها
فيما ذكر بعض الناس قري كنيسة وكل قرية عامرة بالاسواق والديار الحسنة
والحمامات وغيرها من المرافق (وقال صاحب منهاج الفكر) عند ذكر اشيلية وهذه
المدينة من احسن مدن الدنيا وبها لها يضرب المثل في الصناعة وانتهت فرصة الزمان
الساعة بعد الساعة وبعينهم على ذلك وادي الفرح وناديه البهج وهذا الوادي يأتيها
من قرطبة ويجري في كل يوم ولها جبل الشرف وهو تراب احمر طوله من الشمال الى الجنوب
اربعون ميلا وعرضه من المشرق الى المغرب اثنا عشر ميلا يشتغل على مائتين وعشرين قرية
قد التحفت باشجار الزيتون واشتملت انتهى * ولكورة باجة من الكور الغربية التي كانت
من أعمال اشيلية ايام بني عباد خاصة في دباغة الاديم وصناعة الكتان وفيها معدن فضة
وبها ولد المتمدن عباد وهي متصلة بكورة ماردة وبلبل طارق حوز قصب السبق بنسبته
الى طارق مولى موسى بن نصير اذ كان اول ما حل به مع المسلمين من بلاد الاندلس عند
الفتح ولذا شهر بجبل الفتح وهو مقابل الجزيرة الخضراء وقد تجون البحر هناك مستديرا
حتى صار مكان هذا الجبل كالناظر للجزيرة الخضراء وفيه يقول مطرف شاعر غرناطة

وأقود قد ألقى على البحر منته * فأصبح عن فود الجبال بعزل

يعرض نحو الافق وجهها كأنما * ترأب عيناه كواكب منزل

واذا أقبل عليه المسافرون من جهة سبتة في البحر بان كأنه سرج قال ابو الحسن على
ابن موسى بن سعيد أقبلت عليه مرة مع والدي فنظرنا اليه على تلك الصفة فقال والدي أجز

انظر الى جبل الفتح * راكبا من الج

فقلت

وقد تفتح مثل الاقنان في شكل سرج

(وأما جزيرة طريف) فليست بجزيرة وانما سميت بذلك الجزيرة التي أمامها في البحر مثل

الجزيرة الخضراء وطريف المنسوبة اليه بربري من موالى موسى بن نصير ويقال ان موسى

بعثه قبل طارق في اربع مائة رجل قتل بهذه الجزيرة في رمضان سنة احدى وتسعين وبعده

دخل طارق والله اعلم (ومن اعظم كور الاندلس) كورة طليطلة وهي من متوسط الاندلس

وكانت دار ملكة بني ذى النون من ملوك الطوائف وكان ابتداء ملكهم صدر المائة الخامسة

* (ذكر طليطلة)

وسماها قيصريلسا بن بليطلة وتأويل ذلك انت قارح فعزبتها العرب وقالت بليطلة وكانوا يسمونها وجهاتها في دولة بني امية بالثغر الادنى ويسمون مرقسطة وجهاتها بالثغر الاعلى وتسمى بليطلة مدينة الاملا لانها يقال ملكتها اثنتان وسبعون انسانا ورد خلها سليمان بن داود عليهما السلام وعيسى ابن مريم وذو القرنين وفيها وجد طارق مائدة سليمان وكانت من ذخائر اشبان ملك الروم الذي بنى اشيلية اخذها من بيت المقدس كما مر وقومت هذه المائدة عند الوليد بن عبد الملك بمائة ألف دينار وقيل انها كانت من زعفران خضر ويقال انها الآن برومة والله اعلم بذلك ووجد طارق ببليطلة ذخائر عظيمة منها مائة وسبعون تاجا من الدر والياقوت والاحجار النفيسة واوان ممتلي من اواني الذهب والفضة وهو كبير حتى قيل ان الخيل تلعب فيه فرسانها برماحهم لوسعه وقد قيل ان اواني المائدة من الذهب وصحافها من اليشم والجزع وذكروا فيها غير هذا مما لا يكاد يصدقه الناظر فيه وبليطلة بساكنة محقة وانهار محترقة ورياض وجنان وفواكه حسان مختلفة الطعوم والالوان ولها من جميع جهاتها اقاليم رفيعة ورساتيق مريضة وضياح بدية وقلاع منيعة وبالجبل فحماستها كثيرة ولعلنا لم نبعث من زهراتها فيما يأتي من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وبليطلة قاعدة ملك القوطيين وهي مطلة على نهر باجة وعليه كانت القنطرة التي يعجز الواصفون عن وصفها وكانت على قوس واحد تكتفه فرجتان من كل جانب وطول القنطرة ثلثمائة باع وعرضها ثمانون باعا وخرت ايام الامير محمد لما عصى عليه اهلها فغزاهم واحتال في هدمها وفي ذلك يقول الحكيم عباس بن فرناس

اخبت بليطلة معطلة * من اهلها في قبضة الصقر

تركت بلا اهل ترهلها * مهجورة الا كاف كالقبر

ما كلن يبق الله قنطرة * نصبت لجل كائب الكفر

وسياق بعض اخبار بليطلة (وهي مشهورة من الاندلس المرية) وهي على ساحل البحر ولها القلعة المنيعة المعروفة بقاعة خيران بناها عبد الرحمن الناصر وعظمت في دولة المنصور ابن ابي عامر وولي عليها ولاء خيران فنسبت القلعة اليه وبها من صنعة الديباج ما تفوق به على سائر البلاد وفيها دار الصناعة وتشتمل كورتها على معدن الحديد والرخام ومن ابوابها باب العقاب عليه صورة عقاب من حجر قديم عجيب المنظر (وقال بعضهم) كان بالمرية تسج طرز الحرير ثمانمائة نول وللحلل النفيسة والديباج الفاخر ألف نول والاسقلاطون كذلك والاشباب الجرجانية كذلك والاصفها نية مثل ذلك والاعنابي والمعاير المدهشة والستور المكلاة ويصنع بها من صنوف آلات الحديد والتماس والزجاج ما لا يوصف وفاكهة المرية يقصر عنها الوصف حسنا وساحلها افضل السواحل وبها قصور الملوك القديمة الغريبة العجيبة وقد ألفت فيها ابو جعفر بن سائقة تاريخا حافلا سماه بزية المرية على غيرها من البلاد الاندلسية في مجلد ضخيم تركته من حلة كني بالمغرب والله سبحانه المسؤول في جمع الشمل فله الامر من بعد ومن قبل * ووادي المرية طوله اربعون ميلا في مثلها كلها بساكنة هجينة وجنات زخرة وانهار مطردة وطيور مغردة (قال بعضهم) ولم يكن في بلاد الاندلس اكثر مالا من اهل

(مدينة المرية)

المرية ولا اعظم متاجر وذنار وكان بها من الحمامات والفنادق نحو الالف وهي بين الجبلين
بينهما خندق معمور وعلى الجبل الواحد قصبتها المشهورة بالحصانة وعلى الآخر بضعها
والسور محيط بالمدينة والربض وغريبه ارض لها آخر يسمى ربض الخوض ذو فنادق
وحمامات وخنادق وصناعات وقد استدار به من كل جهة حصون مرتفعة وأبجار
أولية وسكانها غريبت ارضها من التراب * ولها مدن وضياع عامرة متصلة الانهار
اتهي (وقال ابن السبع) عند ذكره مدينة شنترة ان من خواصها أن القمح والشعير يزرعان
فيها ويحصدان عند مضي اربعين يوما من زراعته وان التفاح فيها دور كل واحدة ثلاثة
اشبار واكثر قال لي ابو عبد الله البياكوري وسكان ثقة ابصرت عند المعتمد بن عباد
رجلا من اهل شنترة أهدى اليه اربعاً من التفاح ما يقل الحامل على رأسه غير هادور كل
واحدة خمسة اشبار وذكر الرجل بحضرة ابن عباد أن المعتاد عندهم اقل من هذا فاذا
ارادوا أن يحيي بهذا العظم وهذا القدر قطعوا اصلها وأبقوا منه عشرة أو أقل وجعلوا
تحتها عامات من الخشب اتهي * ويحصن شنتس على مرحلة من المرية التوت الكثير وفيها
الحرير والقرمز ويعرف واديها وادي طبرنس * وبغربي مالقة عمل سهيل وهو عمل عظيم
كثير الضياع وفيه جبل سهيل لا يرى نجم سهيل بالاندلس الا منه (ومن كور الاندلس
الشرقية تدمير) وتسمى مصر ايضا لكثرة شجرها لانها ارض يسبح عليها نهر في وقت
مخصوص من السنة ثم ينضب عنها فتزرع كما تزرع ارض مصر وصارت القصبة بعد تدمير
مرسية وتسمى البستان لكثرة جناتها المحيطة بها واهلها نهر يصب في قبليها * واعلم أن
جزيرة الاندلس اعادها الله للاسلام مشحنة على موسطة وشرق وغرب * فالموسطة فيها من
القواعد المصرة التي كل مدينة منها ملكة مستقلة لها أعمال ضخام ولقاطار متسعة
قرطبة وطليطلة وجيان وغرناطة والمرية ومالقة فمن أعمال قرطبة اسبجة وبلكونة
وقبرة ورندة وغافق والمدور واسطبة وبيانة والبسانة والقصير وغيرها ومن أعمال طليطلة
وادي الخجارة وقلعة رباح وطمنكة وغيرها ومن أعمال جيان ابدة وبياسة وقسطلة وغيرها
ومن أعمال غرناطة وادي آش والمنكب ولوشة وغيرها ومن أعمال المرية اندرش وغيرها
ومن أعمال مالقة بلش والحامة وغيرها ويلش من الفواكه ما بمالقة وبالحامة العين
الحارة على ضفة واديها * وأما شرق الاندلس ففيه من القواعد مرسية وبلنسية ودانية
والسهلة والثغرا الأعلى فمن أعمال مرسية اوربولة والقنت ولورقة وغير ذلك ومن أعمال
بلنسية شاطبة التي يضرب بحسنها المنزل ويعمل بها الورق الذي لا نظيره وجزيرة شقر وغير
ذلك وأما دانية فهي شهيرة ولها أعمال وأما السهلة فانها متوسطة بين بلنسية وسرقسطة
ولذا عدّها بعضهم من كور الثغرا الأعلى ولها مدن وحصون ومن أعمال الثغرا الأعلى
سرقسطة وهي أم ذلك الثغر وكورة لاردة وقلعة رباح وتسمى بالبيضاء وكورة تطيلة ومدينتها
طرسونة وكورة وشقة ومدينتها غريبط وكورة مدينة سالم وكورة قلعة ايوب ومدينتها بلدانة
وكورة برطانية وكورة باروشة * وأما غرب الاندلس ففيه اشيلية وماردة واشبونة وشلب
فمن أعمال اشيلية شريش والخضراء وبلبة وغيرها ومن أعمال ماردة بطاليوس وبابرة

* (ذكر تدمير)

* (الجزائر البحرية) *

وغيرها ومن أعمال اشبونة شتيرين وغيرها ومن أعمال شلب شنت رية وغيرها (وأما
الجزر البحرية بالأندلس) فمنها جزيرة قادس وهي من أعمال اشبيلية وقال ابن سعيد انها
من كورة شريس ولا منافاة لان شريس من أعمال اشبيلية كما مر قال ويدهم قادس مفتاح
ولما تار بقادس ابن اخت القائد أبي عبد الله بن ميمون وهو علي بن عيسى قائد البحر بها
ظن أن تحت الصنم ما لا فهمه فلم يجد شيئا انتهى وهي اعني جزيرة قادس في البحر المحيط
وفي المحيط الجزائر الخالدات السبع وهي غربي مدينة سلا تلوح للناظر في اليوم الصافي
الخالى الخوم من الاجرة الغليظة وفيها سبعة أصنام على أمثال الآدميين تشير أن لا عبور
ولامسلاك وراءها وفيه بجهة الشمال جزائر السعادات وفيها من المدن والقرى ما لا يحصى
ومنها يخرج قوم يقال لهم الجحوس على دين النصاري أولها جزيرة برطانية وهي بوسط
البحر المحيط بأقصى شمال الأندلس ولا جبال فيها ولا عيون وانما يشربون من ماء المطر
ويزرعون عليه (وقال ابن سعيد) وفيه جزيرة شليطس وهي آهلة وفيها مدينة وبحرها كثير
السمك ومنها يحمل عملا الى اشبيلية وهي من كورة لبلة مضافة الى عمل أوبنه انتهى (وقال
بعضهم) لما جرى ذكر قرطاجنة من بلاد الأندلس ان الزرع في بعض أقطارها يكتنى بمطرة
واحدة وبها اقواس من الحجارة المقربصة وفيها من التصاوير والتماثيل وأشكال الناس
وصور الحيوانات ما يحير البصر والبصيرة ومن اعجب بناثم الدواميس وهي اربعة وعشرون
على صف واحد من حجارة مقربصة طول كل داموس مائة وثلاثون خطوة في عرض ستين
خطوة وارتفاع كل واحد أكثر من مائتي ذراع بين كل داموسين أنصاب محكمة تتصل فيها
الماء من بعضها الى بعض في العلو الشاهق بهندسة عجيبه واحكام بديع انتهى (قلت) أظن
هذا غلط فان قرطاجنة التي بهذه الصفة قرطاجنة افريقية لا قرطاجنة الأندلس والله أعلم
(وقال صاحب مناهج الفكر) عندما ذكر قرطاجنة وهي على البحر الرومي مدينة قديمة بقي
منها آثارها فخص طوله ستة أيام وعرضه يومان معصوم بالقرى انتهى وذكر قبل ذلك
في لورقة أن بناجيتها يوجد جدر الأرزورد وفي البحر الشامي الخارج من المحيط جزيرتي
ميورقة ومنورقة وبينهما خمسون ميلا وجزيرة ميورقة مسافة يوم بها مدينة حسنة
وتدخلها ساقية جارية على الدوام وفيها يقول ابن البانة

بلد أعارته الجمامة طوقها * وكساه حلة ريشه الطاوس

فكأنما الانهار فيه مدامة * وكأن ساحات الدبار كؤوس

وقال يخاطب ملكها ذلك الوقت

وغمرت بالاحسان ارض ميورقة * وبنت ما لم بينه الاسكندر

وجزيرة يابسة * واستقصاء ما يتعلق بهذا الفصل بطول ولو تتبع لكان تأليفه مستقلا

وما أحسن قول ابن خفاجة

ان الجنة بالأندلس * مجتلى حسن وربانفس

فسنا صحتها من شنب * ودجى ليلتها من لعن

واذا ما هبت الريح صبا * صحت واشوقى الى الأندلس

وقال بعضهم في طليطلة

زادت طليطلة على ما حدثوا * بلد عليه نضرة ونعيم

الله زينته فوشح خصره * نهر المجرة والغصون بنجوم

* (انشاء فيه مناظرة بين بلاد
الاندلس)

ولا حرج ان أوردنا هنا ما خاطب به اديب الاندلس أبو جحر صفوان بن ادريس الامير عبد
الرحمن ابن السلطان يوسف بن عبد المؤمن بن علي فانه مناسب (ونصفه) مولاي امتع الله
بقائك الزمان وأبناءه كما ضم على حبك احباءهم وأحناءه وأوصل لك ما شئت من المن
والامان كما نظم فلان تغزل على لبة الدهر نظم الجمان فانك الملك الهمام والقمر التمام
اياملك غرر وجول وفرندبها تها في صفحات الدهر يجول ألبست الرعية برود التأمين
فتنافست فيك من نفيس عمن وتناقت دعوات خلدك لها باليمن فكلم للناس من امن بك
وابناس وللأيام من لوعة فيك وهيام وللأقطار من لباتات لديك وأوطار وللبلاد من
قراع على تملكك لها وجلاد يحنون شخصك الكريم على الله ويقترحون ويتعقبون
في رياض ذكرك العاطر بدمام حبك ويصطحبون كل حزب بما لديهم فرحون محبة من الله
ألقاها لك حتى على الجماد ونصر اموزرا تنطق به السنة السيوف على أفواه الانجاد ومن
اسر سريرة ألبسه الله رداءها ومن طوى حسن نية ختم الله له بالجبل اعادتها وابداءها
ومن قدم صالحا فلا بد أن يواريه ومن يفعل الخير لا يعدم جوازيه ولما تخصصت فيك من
الاندلس الامصار وطال بها الوقوف على حبك والاقتصار كلها بفصح قولا ويقول
أنا الحق وأولى ويصيح الى اجابة دعوته ويصفي ويتلو اذا بشر بك ذلك ما كانني تمنت
حص غيظا وكادت تفيض فيظا وقالت ما لهم يزيدون وينقصون وبطمعون ويحرصون
ان يتبعون الا الظن وان هم الا يحرصون ألهم السهم الاسد والساعد الاشد والنهر الذي
يتعاقب عليه الجزر والمذ أنامصر الاندلس والنيل نهري وسماي التانس والنجوم زهري
ان تجاريتم في ذلك الشرف فحسبي أن افيض في ذلك الشرف وان تبحجت بأشرف
البوس فأى ازارا شتموه كشتبوس الى ما شئت من ابنة رحاب وروض يستغنى
بنضرتة عن السحاب قد ملأت زهراتي وهاد او نجادا وتوشح سيف نهري بجداثي
نجدادا فاننا أولاكم بسيدنا الهمام وأحق الآن حصص الحق (فنظرتها قرطبة نذرا)
وقالت لقد كثرت نذرا وبذرت في الصخر الاصم نذرا كلام العدا ضرب من الهديان
وأنى للابضاح والبيان متى استحبال المستقيم مستحسننا ومن أودع أجفان
المهجور وسنا افسن زين له سوء عمله فرآه حسنا يا عجب الامرا كرت تقدم على الاسنة
وللافتار تفضل على الاعنه ان ادعيت سبقا فاعند الله خير وأبقى الى البيت المطهر
الشريف والاسم الذي ضرب عليه رواقه التعريف في بقية محل الرجال الافاضل
فليرغم انق المناضل وفي جامعي مشاهد ليله القدر فحسبي من نباهة القدر فما لاحد
أن يستأثر على بهذا السيد الاعلى ولا أرضى له أن يوطئ غير ترابي نعلا فأقر والى
بالابوة واتقاد والى على حكم البنوة ولا تكونوا كالتى نقصت غزلها من بعد قوه وكفوا
عن تباريكم ذلكم خير لكم عند بارئكم (فقال غرناطة) الى المعقل الذي يمنع ساكنه

من النجوم ولا تجرى الا تحت جبال الغيث السجوم فلا يلحقني من معاند ضرر ولا حيف
ولا يستدي الى خيال طارق ولا طيف فاستسلموا قولا وفعلًا فقد أفلح اليوم من
استعلى لي بطاح تقلدت من جداولها أسلاكًا وأطلعت كواكب زهرها فعمادت
أفلاكًا ومياه تسيل على أعطاني كاد مع العشاق وبرد نسيم يرد ماء المسجير بالاشواق
فحسني لا يطمع فيه ولا يَحْتال فدعوني فكل ذات ذيل تحتال فأنا أولى بهذا السيد
الاعدل ومالي به من عوض ولا بدل ولم لا يعطف على عنان مجده ويثني وان انشد
يوما فاي اي يعني

بلاد بهاق الشباب نمائي * وأول ارض مس جدي زاهيا

فما لكم تعززون لفخرى وتتمون وتتأخرون في ميداني وتتقدمون تبرؤا الى مما تزعمون
ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون * (فقلت مألقة) أتركوني ينكم هملا ولم تعطوني
في سيدنا أملا ولم ولي البحر العجاج والسبل الفجاج والجنات الاثيرة والقوا كه
الكثيره لدى من الهبة ما تستغني به الحمام عن الهديل ولا تنجخ الانفس الرفاق
الحواشي الى تعويض عنه ولا تبديل فحالي لا اعطى في ناديكم كلاما ولا انشرف في جيش
نحاركم أعلاما فكان الامصار نظرتها ازدراء فلم تزل ديتنها في ميدان الذكر اجراء
لانها موطن لا يحلى منه بطائل وتظن البلاد نأوت فيها قول القائل

اذ انطق السفية فلا تنجيه * فخير من اجابته السكون

(فقلت مرسية) أماى تتعاطون الفخر وبحضرة الدر تتفقون الصخر ان عدت
المفائر فلي منها الاول والاخر اين اوشالكم من بحرى وخرزكم من لؤلؤ فخرى
وجميع عنكم من نقشات سحرى فلي الروض النضير والمرأى الذى ماله من نظير
ورتيقانى التى صار مثلها فى الآفاق وتبرقع وجهها بعزة الاصفاق فمن دوحات
كم لها من بكور وروحان ومن أرباء اليها تدايدى الرجاء فأبناءى فيه فى الجنة الانبوية
مودعون يتعممون فيما يأخذون ويدعون واهم فيها ما تشتهى أنفسهم واهم
فيها ما يدعون فانقادوا الامرى وحاذروا اصطلاء جرى وخلوا بينى وبين سيدنا
ابى زيد والاضربتكم ضرب زيد فأنا أولاكم بهذا الملك المستنار بالتعظيم وما يلقاها
الا ذو حظ عظيم * (فقلت بلنسية) فيم الجدال والقراع وعلام الاستهام والاقتراع
والام التعريض والتصريح ونحت الرغوة اللبن الصريح أما أحوزه من دونكم فأخذوا
نارى تحترقكم وهدونكم فلى المحاسن الشاححة الاعلام والجنات التى تلقى اليها
الآفاق يد الاستسلام وبرصافى وجسرى اعارض مدينة السلام فأجمعوا على
الانقياد لى والسلام والافعضوا بنا واقرعوا أسنانا فأنا حيث لا تدرى تكون وأنى
ومولانا لا يهلك كما فعل السفهاء منا (فعند ذلك ارتجت جرة تدمير بالشرار) واستدنت
أسهمها النور الشرار وقالت عشر رجيا ترجيا أبعد العصيان والعقوق تهيان
لرتب ذوى الحقوق هذه سماء الفخر فمن ضحك أن تعرجى ليس بعشك فادرجى لك الوصب
والجبل الآن وقد عصيت قبل ايها الصانعة الفساء له من ادراك أن تضربى

قوله والسبل الفجاج في نسخة
والسبل الفجاج اه

وما أنت فاعله ما الذي يجديك الروض والزهر أم ما يفيدك الجسد والهر وهل
يصلح العطار ما أفسد الدهر هل أنت إلا محط رحل النفاق ومنزل ما السوق الخصب فيه
من تفلح ذراك لا يكمل الطرف فيه بسجوع وقرال لا يسم ولا يغني من جوع فالام
تبرز الاماء في منصة القتائل ولكن اذكرى قول القتائل

بلنسية يني عن القلب سلوة * فانك روض لا أحسن لزهرك

وكيف يحب المرء دارا تقسمت * على صاري جوع وقتنة مشرك

بيد أني أسأل الله تعالى أن يوقد من توفيقك ما جدد ويسبل من تسديدك ما جدد ولا يبطيل
عليك في الجهالة الامد وايا سجدته تسأل أن يرتد سيدنا ومولانا الى أفضل عوائده ويجعل
مصائب أعدائه من فوائده ويمكن حسامه من رقاب المشغيين ويقيه وجهها في الدنيا
والآخرة ومن المقرين ويصل له تأييدا وتأييدا ويعهده الايام حتى تكون الاحرار
لهيعة عبيده عبيدا وعة على الدنيا بساط سعده ويهبه ملكا لا يغني لاحد من بعده

آمين آمين لا ارضى بواحدة * حتى أضيف اليها ألف آمينا

ثم السلام الذي يتأتى عبقا ونشرا ويتألق رونقا وبشرا على حضرة ثم عليه ومطالع
انوارهم السنية الجلية ورحمة الله تعالى وبركاته * (اتهي) ولما ألم الرحالة ابن بطوطة
في رحلته بدخوله بلاد الاندلس أعادها الله تعالى للإسلام قال فوصلت الى بلاد الاندلس
حرسها الله تعالى حيث الاجرم موقور للساكن والثواب مدخور للمقيم وانطاعن الى
أن قال عند ذكره غرناطة مانصة قاعدة بلاد الاندلس وعروس مدنها وخارجها لا نظيره
في الدنيا وهو مسيرة أربعين ميلا يحترقه شهر شنبول المشهور وسواء من الانهار السكينة
والبساتين الجليلة والجنات والرياضات والقصور والكروم محدقة بها من كل جهة ومن
عجيب مواضعها عين الدمع وهو جبل فيه الرياضات والبساتين لا مثل له بسواها انتهى
(وقال الشقندي) غرناطة دمشق بلاد الاندلس ومسرح الابصار ومطمح الانفس
ولم تخل من أشرف امثال وعلماء اكثر وشعراء افاضل ولولم يكن بها الا ما خصها الله
تعالى به من كونهما قد نبغ فيها النساء الشواعر كزهرة القامية والركونية وغيرهما
وناهيك بهما في الطرف والادب انتهى (ولبعضهم) يتشوق الى غرناطة فيما ذكره
بعض المؤرخين والصواب أن الايات قبلت في قرطبة كما مر والله أعلم

اغرناطة الغراء هل لي اوبة * اليك وهل يدولنا ذلك العهد

سقي الجانب الغربي منك غمامة * وقعق في ساحات روضتك الرعد

لسالك أسحار وأرضك جنة * وتربك في استنساقيها عنبر ورد

وقال ابن مالك المرعيني

رعى الله بالحراء عيشا قطعته * ذهبت به للانس والليل قد ذهب

تري الارض منها فضة فاذا اكتست * بشمس الضحى عادت سيديكها ذهب

وهو القتائل

لاتظنوا أن شوقي خندا * بعدكم أو أن دمي جدا

قوله ولولم يكن الخ الجواب
محذوف للعلم به من المقام اي
لكافي او نحو ذلك اهـ

كف اسلو عن اناس مثلهم * قل أن تبصر عيني احدا
(وغرناطة) من أحسن بلاد الاندلس وتسمى بدمشق الاندلس لأنها أشبهت بها ويشقها
نهر حدرية ويطل عليها الجبل المسمى بشير الذي لا يزول الثلج عنه شتاء وصيفا ويحيط به
حتى يسير كالجر الصلد وفي أعلاه الازهار الكثيرة وأجناس الاقاييه الرفيعة ونزل بها
أهل دمشق لما جاؤا الى الاندلس لاجل الشبه المذكور * وقرى غرناطة فيما ذكر بعض
المتأخرين مائتان وسبعون قرية (وقال ابن جري) مرتب رحله ابن بطوطة بعد ذكر
كلامه مانصه قال ابن جري لولا خشية أن انساب الى العصبية لاطلت القول في وصف
غرناطة فقد وجدت مكانه ولكن ما اشتهر كاشتهارها لا معنى لاطالة القول فيه ولله در
شبحنا أبي بكر بن محمد بن شبرين السبتي تنزيل غرناطة حيث يقول

رعى الله من غرناطة متبوا * يسر حزينا أو يبسر طريدا
تبرم منها صاحبي عند ما رأى * مسارحها بالثلج عدن جليدا
هي الثغر صان الله من اهلت به * وما خير ثغر لا يكون برودا انتهى
* وقال ابن سعيد عند ما جرى ذكر قرية تاريجة وهي قرية كبيرة تضاهي المدن قد
أحدثت بها البساتين واهانهم يفتن الناطرين وهي من أعمال مالقة أنه اجتاز مرة عليها
مع والده أبي عمران موسى وكان ذلك زمان صباغة الحرير عندهم وقد ضربوا في بطن
الوادي بين مقطعاته خيما وبعضهم يشرب وبعضهم يغني ويطرب وسألوهم يعرف ذلك
الموضع فقالوا الطراز فقال والذي اسم طابق مسماه ولفظ وافق معناه
وقد وجدت مكان القول ذاسعة * فان وجدت لسانا قائل لا يقل

ثم قال أبجز .

بناريجة حيث الطراز المنعم فقلت أقم فوق نهر ثغره يتبسم
فقال وسمعتك فحوالها تقات فانها فقلت لما ابصرت من بهجة تترنم
فقال اياجنة الفردوس لست بآدم فقلت فلايك حظي من جنالك التندم
فقال بعز علينا أن نزورك مثل ما فقلت يزور خيال من سامي مسلم
فقال فلو أني أعطى الخيلار لما عدت فقلت محلك لي عين بمرآك تنعم
فقال بحيث الصبا والطل من نقاتها فقلت وقت لسع روض فيه للنهر أرقم
فقال فواأسفني ان لم تكن لي عودة فقلت فكن مالكاني عليك متمم
فقال فأحسب هذا آخر العهد بيننا فقلت وقد يلظا الرحمن شوقي فيرحم
فقال سلام سلام لا يزال مردها فقلت عليك ولا زالت بك السحب تسبح انتهى
(وقال ابن سعيد) ان كورة بلنسية من شرق الاندلس بنيت بها الزعفران وتعرف
بمدينة التراب وبها كثرة تسمى الارزة في قدر حبة العنب قد جمع مع حلاوة الطعم ذكاء
الرائحة اذا دخل دارا عرف بريحه ويقال ان ضوء بلنسية يزيد على ضوء سائر بلاد
الاندلس وبها منارة ومسارح ومن أبدعها وأشهرها الرصافة ومنية ابن أبي عامر * وقال
الشرف ابو جعفر بن مسعدة الغرناطي من أبيات فيها

هي الفردوس في الدنيا جالا * لسا كنهاو كارهها البعوض
وقال بعضهم فيها

ضاق ببلسية بي * وذادني تخوني
رقص البراغيث فيها * على غناء البعوض

وقيل لابن الزقاق البلسي

بلسية اذا فكرت فيها * وفي آياتها سنى البلاد
وأعظم شأها منى عليها * وان جالها العين يادى
كساها زبيد ياج حسن * لها علمان من بحر وواد

(وقال ابن سعيد ايضا) انشدني والدي قال انشدني مروان بن عبد الله بن عبد العزيز ملك
بلسية انفسه بمرأ كش قوله

كان بلسية كاعب * ومليها سندس اخضر
اذا جثتها سترت نفسها * با كمامها فهي لا تظهر

وأما قول ابي عبد الله بن عياش بلسية بيني وبينين وقد سبقا فقال ابن سعيد ان ذلك
حيث صارت ثغرا يصاحبها العدو ويحاسبها انتهى (وقال ابو الحسن) بن حريق يجاوب
ابن عياش

بلسية قرارة كل حسن * حديث صح في شرق وغرب
فان قالوا محل غلاء سعر * ومسقط ديتى طعن وضرب
فقل هي جنة حفت رباها * بمكروهين من جوع وحرب

وقال الرصافي في رصافتها

ولا كالرصافة من منزل * سقته السحاب صوب الولي
احسن اليها ومن في بها * وأين السرى من الموصلي

(وقال ابن سعيد) ويرصافة بلسية مناظر وبساتين ومياه ولا تعلم في الاندلس ما يسمى
بهذا الاسم الا هذه ورصافة قرطبة انتهى * ومن أعمال بلسية قرية المنصف التي منها
الفيقيه الزاهد أبو عبد الله المنصفي وقبره كان بسببة برادره الله تعالى ومن نظمته

قالت لي النفس أذاك الردي * وأنت في بحر الخطايا مقسم
فما ذخرت الزاد قلت اقصري * هل يحمل الزاد لدار الكريم

ومن عمل بلسية قرية بطرنة وهي التي كانت فيها الواقعة المشهورة للنصارى على المسلمين
وفيها يقول ابو اسحق بن يعلى الطرسوني

لبسوا الحديد الى الوغى ولبستم * حلل الحرير عليكم ألوانا
ما كان اقبهم وأحسنكم بها * لو لم يكن يطرنة ما كانا

ومن عمل بلسية متيطة التي نسب اليها جماعة من العلماء والادباء * ومن عمل بلسية مدينة
اندة التي في جبلها معدن الحديد وأما رندة بالراء فهي في متوسط الاندلس ولها حصن
يعرف باندة ايضا * وفي اشيلية اعادها الله من المتفرجات والمتنزهات كثير ومن ذلك مدينة

طريانة فانها من مدن اشبيلية ومنتزهاتها وكذلك تبطل فقد ذكر ابن سعيد جزيرة تبطل
في المتفرجات (وقال ابو عمران) موسى بن سعيد في جوابه لابي يحيى صاحب سبتة لما
استوزره مستنصر بن عبد المؤمن وكتب الى المذكوور رغبة في النقلة عن الاندلس الى
هرا كش مانص محل الحاجة منه وأما ما ذكر سيدي من التخيير بين ترك الاندلس وبين
الوصول الى حضرة مرا كش فكفى الفهم العالي من الاشارة قول القائل
والعز محمود وملتمس * وألذه ما كان في الوطن
فاذا نلت بك السماء في تلك الحضرة فعلى من أسود فيها ومن ذا ضاهى بها
لارقت بي همة ان لم اكن * فيك قد أملت كل الامل
وبعد هذا فكيف افارق الاندلس وقد علم سيدي أنها جنة الدنيا بما حباها الله به من
اعتدال الهواء وعذوبة الماء وكثافة الاقياء وأن الانسان لا يبرح فيها بين قرّة عين
وقرار نفس

هي الارض لاوردلها مكدر * ولا تطل مقصور ولا روض مجذب
افق صقيل وبساط مدبج وماء سائح وطائر مترنم بلبل وكيف يعدل الاديب عن ارض
على هذه الصفة فيا سموأل الوفاء وباحاتم السماح وباجذبة الصفاء كل لمن املت النعمة
بتركه في موطنه غير مكدر لحاظه بالتحرك من معدنه متلفعا الى قول القائل
ونسوات لي نفسي أن افارقها * والماء في المزن اصنى منه في الغدر
فان اغناه اهتمام مؤمله عن ارتياد المراد وبلغه دون أن يشد قتيلا ولا أن ينضى عيسا غاية
المراد انشدناج المرغوب بالغ المطلوب
وليس الذي يتبع الوبل رائدا * كن جاءه في داره رائد الوبل
ورب قائل اذا سمع هذا التبسط على الاماني ماله تشطط وعدل عن سبيل التأديب وتبسط
ولا جواب عندي الا قول القائل

فهذه خطة ما زلت ارقبها * فاليوم ابسط آمالي وأحتكم

ومالي لا انشد ما قاله المتنبي في سيف الدولة

ومن كنت بحراله ياعلى لم يقبل الدر الا بكارا

اتهي المقصود منه (وقال البخاري) ان مدينة شريش بنت اشبيلية وواديها ابن واديها
ما شبه سعدى بسعيد وهي مدينة جليلة ضخمة الاسواق لاهلها همم وظرف في اللباس
واظهار الرفاهية وتخلق بالآداب ولا تكاد ترى بها الا عاشقا ومعتوقا ولها من القواكه
ما يعم ويفضل وبما اختصت به احسان الصنعة في المجينات وطيب جنبها يعين على ذلك ويقول
اهل الاندلس من دخل شريش ولم يأكل بها المجينات فهو محروم انتهى والمجينات نوع
من القطائف يضاف اليها الجبن في عجبتها وتقلي بالزيت الطيب * وفي شلب يقول الفاضل
الكاتب ابو عمرو بن مالك بن سيد مبر

أشجبال النسيم حين يهب * أم سنا البرق اذ يخب ويخبو

أم هتوف على الاراك تشدو * أم هتون من الغمامة سكب

قوله سبعة ايام في تقويم البلدان
لابي الفداء تسعة ايام بتقديم
المناة على السنين فليحتررا

معه

كل هذا لاصابة داع * أي صب دموعه لا تصب
انالولا التسم والبرق والور * قوصوب الغمام ما كنت اصبو
ذكرتني شلبا وهيات منى * بعد ما استحكم التباعد شلب
وتسمى أعمال شلب كورة اشكونية وهي متصلة بكورة اشبونة وهي أعنى اشكونية قاعدة
جليلة لها مدن ومعقل ودار ملكها قاعدة شلب وينها وبين قرطبة سبعة ايام ولما صارت
لبنى عبد المؤمن ملوك مرا كش اضافوها الى كورة اشيلية وتفتخر شلب بـ سكون ذي
الوزارين ابن عمار منها سماحه الله ومنها القائل أبو مروان عبد الملك بن بدران ورعا
قيل ابن بدرون الاديب المشهور شارح قصيدة ابن عبدون التي اولها

الدهر يفجع بعد العيف بالآثر * فما البكاء على الاشباح والصور
وهذا الشرح شهير بهذه البلاد الشرقية ومن نظم ابن بدرون المذكور قوله
العشق لذته التعيق والقبيل * كما منغصه التريب والعذل
بالبث شعري هل يقضى وصالكم * لولا المني لم يكن ذا العمر يتصل
ومنها نحوى زمانه وعلامته أبو محمد عبد الله بن السيد البطليوسي فان شلبا بيضته ومنها
كانت حركته ونمضته كما في الذخيرة وهو القائل

اذا سألوني عن حالي * وحاولت عذرا فلم يكن

أقول بخير ولـ كنه * كلام يدور على اللسان

وربك يعلم ما في الصدور * ويعلم خائنة الاعين

وقال الوزير أبو عمرو بن الغلاس يمدح بطليوس بقوله

بطليوس لا انسال ما اتصل البعد * فله غور في جنباك أو نجد

ولله دوحات تحفك ينعا * تفجر واديا كما شقق البرد

وبنو الغلاس من أعيان حضرة بطليوس وأبو عمرو المذكور أشهرهم وهو من رجال
الذخيرة والمسهب رحمه الله تعالى * وفي شاطبة يقول بعضهم

نعم منقى الرجل شاطبة * لفتى طالت به الرحل

بلدة أو قاتها سحر * وصبا في ذيله بلبل

ونسيم عرفه أرج * ورياض غصنها غل

ووجوه كلها غرر * وكلام كله مثل

وفي برجة يقول بعضهم

إذا جئت برجة مستوفزا * نخذني المقام واخل السفر

فكل مكان بها جنة * وكل طريق إليها سقر

واعلم أنه لو لم يكن للاندلس من الفضل سوى كونها ملاعب الجهاد لكان كافيا
ويرحم الله لسان الدين بن الخطيب حيث كتب على لسان سلطانه الى بعض العلماء العاملين
ما فيه اشارة الى بعض ذلك مانعه من امير المسلمين فلان الى الشيخ كذا ابن الشيخ كذا
رسل الله له سعادة تجذبه وعناية اليه تقر به وقبولاً منه يدعوه الى خير ما عند الله ويندبه

سلام كريم عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله المرشد المنيب السميع المجيب
معود اللطف الخفي والصنع العجيب المتكفل بانجاز وعد النصر العزيز والفتح
القريب والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسول ذي القدر الرفيع
والعز المتيع والجناب الرحيب الذي به نرجو ظهور عبدة الله على عبدة الصليب ونستظهر
منه على العدو بالحبيب ونعته عدتنا اليوم العصيب والرضاعن آله وصحبه الذين فازوا
من مشاهدته بأوفي النصيب ورموا الى هدف مرضاته بالسهم المصيب فانا ضكتبناه
اليكم كتب الله تعالى لكم علاصا لحا يختم الجهاد صحائف بره وتتمحض لان تكون كلمة الله
هي العليا جوامع أمره وجعلكم ممن تهني في الارض التي فتح فيها أبواب الجنة مدة عمره
من جراء غرناطة حرسها الله تعالى ولطف الله هاهي السحاب وصنعه رائق الجناب والله
يصل لنا ولكم ما عوده من صلة لطفه عند انبتات الاسباب والى هذا أيها المولى الذي هو بركة
المغرب المشار اليه بالبنان وواحدة في رفعة الشان المؤثر ما عند الله على الزخرف العنان
المتقلل من المتاع القان المستشرف الى مقام العرقان من درج الاسلام والايمان
والاحسان فائنا لما نؤثره من بركم الذي نعده من الامر الاكيد ونضمره من وذككم الذي فحله
محل الكنز العتيد ونلتسمه من دعائكم التماس العدة والعديد لانزال نسأل عن احوالكم
التي ترقى في أطوار السعادة ووصلت جناب الحق بهجر العادة وألقت الى يد التسليم لله
والتوكل عليه بالمقادة قسرت بما هيأ الله تعالى لكم من القبول وبلغكم من المأمول وألهمكم
من الكلف بالقرب اليه والوصول والفوز بما لديه والحصول وعند ما رقد الله تعالى علينا
ملكنا الرذائل الجليل وانا لنا فضله الجليل وكان لعنارنا المقييل خاطبناكم بذلك لمكانكم من
ودادنا ومحلتكم من حسن اعتقادنا ووجهنا الى وجهة دعائكم وجه اعتدادنا والله يتفعلننا
بجميل الظن في دينكم المتين وفضلكم المبين ويجمع الشمل بكم في الجهاد عن الدين وتعزفنا
الآن بمن له بأنباؤكم اعتناء وعلى جلالكم جدو ثناء وبلجناب وذككم اعتناء وانتماء يتجاوز
عزمكم بين حج مبرور ترغبون من أجره في ازدياد وتجددون العهد منه باليف اعتمادا وبين رباط
في سبيل الله وجهاد وتوتير مهاد بين ربا اثيره عند الله ووهاد يحشر يوم القيامة شهداؤها
مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين فرحين بما آتاهم الله من فضله والله اصدق
القائلين الصادقين حيث لا غارة لغير عدو الاسلام تنفي الا لا تبغاء ما لى الله ترقى حيث
رحمة الله قد فتحت أبوابها وحوار الجنان قد زينت اترابها دار الغرب الذين قرعوا باب
الفتح وفازوا بجزيل المنح وخلدوا الآثار وأرغموا الكفار وأقالوا العثار وأخذوا
الثار وأمنوا من لفح جهنم بما علا على وجوههم من ذلك الغبار فكتبنا اليكم هذا نقوى
بصيرتكم على جهة الجهاد من العزمين ونهب بكم الى احدى الحسينين والصبح غير خاف
على ذي عينين والفضل ظاهر لا احدى المنزلتين فانكم ان حججتم أعدتم فرضا أديتموه وفضلا
ار تدبتموه فائده عليكم مقصورة وقضيته فيكم محصورة واذا اقمتم الجهاد جلبتم الى
حسناتكم عملا غريبا واستأنفتم سعيان من الله قريبا ونعدت المنفعة الى الوفاء من النفوس
المستشعرة لباس البوس ولو كان الجهاد بحيث يحفى عليكم فضله لا طنبنا وأعنة الاستدلال

ارسلنا هذا لوقد متم على هذا الوطن وفضلكم عقل من الاشتهار ومن به لا يوجب لكم
ترقيع المقدار فكيف وفضلكم أشهر من مجيئ النهار ولقاؤكم اشهى الامل وآثر الاوطار
فان قوى عزمكم والله يقويه ويعيننا من بركم على ما تنويه فالبلاد بلادكم وما فيها طريقكم
وتلادكم وكهولها اخوانكم وأحداثها أولادكم ونرجو أن تجدوا لذكركم الله في ربها
حلاوة زائدة ولا تعدوا من روح الله فيها فائدة وتكليف نفسك فيها تكيفات تقصر عنها
خلوات السلوك الى ملك الملوك حتى تغتبطوا بفضل الله الذي يوليكم وتروا أثر رجته فيكم
وتختلفوا في هذا الانقطاع الى الله في قبيلكم وبنيتكم وتحتموا العمر الطيب بالجهاد الذي
يعليكم ومن الله تعالى يد نيكم فنيكم العربى صلوات الله عليه وسلامه نبي الرحمة والملاحم
ومعمل الصوارم ووجهاد القرع ختم عمل جهاده والاعمال بالخواتم هذا على بعد بلادهم
من بلادهم وأنتم احق الناس باقتفاء جهاده والاستباق الى آماده هذا ما عندنا حثناكم
عليه وندينكم اليه وأنتم في ايثار هذا الجوار ومقارضة ما عندنا بقدر ومكم على بلادنا
من الاستبشار بحسب ما يخلق عنكم من يده مقادة الاختيار وتصريف الليل والنهار
وتقلب القلوب واجالة الافكار واذا تعارضت الحظوظ فما عند الله خير للابرار والدار
الآخرة دار القرار وخير الاعمال عمل أوصل الى الجنة وباعد من النار ولتعلموا أن نفوس
أهل الكشف والاطلاع بهذه الارزاء والاصقاع قد اتفقت أخبارها واتحدت أسرارها
على البشارة بفتح قرب أوانه واظلم زمانه فترجو الله أن تكونوا ممن يحضر مدعاه ويكرم
فيه مسعاه ويسلف فيه العمل الذي يشكره الله ويرعاه والسلام الكريم بخصتكم ورجة
الله وبركاته انتهى * ولما دخل الاندلس أمير المسلمين على بن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين
المتوفى ملك المغرب والاندلس وأمعن النظر فيها وتأمل وصفها وحالتها قال انها تشبه عقابا
مخالبه طليطلة ومصدره قلعة رياح ورأسه جبان ومنقاره غرناطة وجناحه الايمن باسطا الى
المغرب وجناحه الايسر باسطا الى المشرق في خبر طويل لم يحضر في الآن اذ تركته مع كتي
بالمغرب جمعني الله بها على أحسن الاحوال * ومع كون أهل الاندلس سباق حلبة الجهاد
مهطعين الى داعيه من الجبال والوهاد فكان لهم في الترف والتعيم والمجون ومداراة
الشعراء خوف الهجاء محل وتير المهاد وسيأتي في الباب السابع من هذا القسم من ذلك
وغیره ما يشق ويكفي ولكن سنخلى أن اذكر هنا حكاية أبي بكر الخزومي الهجاء المشهور الذي
قال فيه لسان الدين بن الخطيب في الاحاطة انه كان اعشى شديد الشر معروفا بالهجاء مسلطا
على الاعراض سريع الجواب ذكى الذهن فطنا للمعارض سابقا في ميدان الهجاء فاذا مدح
ضعف شعره (والحكاية هي) ما حكاها أبو الحسن بن سعيد في الطالع السعيد اذ قال حكاية
عن أبيه فيما أظن قدم المذكور يعني الخزومي على غرناطة أيام ولاية أبي بكر بن سعيد ونزل
قريبا مني وكنت اسمع به بنار صاعقة يرسلها الله على من يشاء من عباده ثم رأيت أن ابدأه
بالتأنيس والاحسان فاستدعيته بهذه الايات

يا ثانيا للمعزى * في حسن نظم ونثر
وفرط ظرف ونبل * وغوص فهم وفكر

صل ثم واصل حفيّا * بكل برّ وشكر
وليس الا حديث * كما زهاقة سدود
وشادن يتغنى * على رباب وزمر
وما يساح فيه الشغفور من ككاس خمر
وبينا عهد حلف * لياسر حلف كفر
نم فخذده عهدا * بطيب شكر ويسر
والكاس مثل رضاع * ومن كمثل يدرى

ووجه له الوزير أبو بكر بن سعيد عبد الصغير فاده فلما استقر به المجلس وأنعمنه روائح
النّد والعود والازهار وهزت عطفه الاوتار قال

دار السعيدى ذى ام دار رضوان * ما تشهى النفس فيها حاضر داني
سقت أباريقها للنّد سحب ندى * نخدى برعد لا وتار وعيدان
والبرق من كل دن ساكب مطرا * يحى به ميت أفكار وأشجان
هذا النعيم الذى كما نحتته * ولا سبيل له الا بأذان

فقال أبو بكر بن سعيد والى الآن لا سبيل له الا بأذان فقال حتى يبعث الله ولا زنى كلما
انشدت هذه الايات قال انها لاعى فقال اما انا فلا انطق بحرف فقال من صمت نجبا
وكك انت نزهون بنت القلاعى حاضرة فقالت وترالى يا استاذ قديم النعمة بجمرة ندى وغناء
وشراب فتعجب من تأنيبه وتشبهه بنعيم الجنة وتقول ما كان يعلم الا بالسماع ولا يبلغ اليه
بالعيان ولكن من يحى من حص المدور وينشأ بين تيوس وبقر من أين له معرفة بمجالس النعيم
فلما استوفى كلامها تنحى الاعمى فقالت له ذبحة فقال من هذه الفاضلة فقالت عجوز
مقام أمك فقال كذبت ما هذا صوت عجوز انما هذه نعمة فحبة مخزقة نشتم روائح ههنا
على فراخ فقال له أبو بكر يا استاذ هذه نزهون بنت القلاعى الشاعرة الادبية فقال سمعت
بها لا اسمعها الله خير ولا أراها الا أراف قالت له يا شيخ سوء تناقضت واى خير للمرأة مثل
ما ذكرت ففكر ساعة ثم قال

على وجه نزهون من الحسن مسحة * وان كان قد أسمى من الضوء عاريا
قواصد نزهون نوارك غيرها * ومن قعد البحر استقل السواقيا

فأعملت فكرها ثم قالت

قل للوضع مقالا * يتلى الى حين بمحشر
من المدور أنشئت والحرامنه اعطر
حيث البداوة أمست * فى مشيها تتبختر
لذاك أمست صبا * بكل شئ مدور
خلقت اعمى ولكن * تهيم فى كل اعور
لجازيت شعرا بشعر * فقل لعمرى من أشعر
ان كنت فى الخلق اتى * فان شعرى مذكر

مجلس أبي بكر الخزوي مع من
هون بنت القلاعى المروانية

فقال لها اسمي

الاقبل لزهونة مالها * تجز من التسيه أذياها

ولو أبصرت فيشة شمريت * كما عودتني سرباها

خلف أبو بكر بن سعيد أن لا يزيد أحدهما على الآخر في هجوة (فقال الخزومي) اكون هجاء الاندلس واكف عنهادون شي فقال انا اشترى منك عرضها فاطلب فقال بالعبد الذي ارسلته فقادني الى منزلك فانه لبن السيد رقيق المشي فقال أبو بكر لولا كونه صغيرا كنت ابلغك به من ادلك واهبه لك ففهم قصده وقال اصبر عليه حتى يكبر ولو كان كبيرا ما آثرني به على نفسك فضحك أبو بكر وقال ان لم تهج تطما هجوت ترافقال أيها الوزير لا تبدل خلق الله وانفصل الخزومي بالعبد بعد ما صلح الوزير بينه وبين زهون انتهى * وفي كتاب الدر المنضد في وفيات اعيان أمة محمد تأليف الامام صارم الدين ابراهيم بن دقاق قال أبو القاسم ابن خلف كان يعني الخزومي المذكور حيا بعد الاربعين وخمسائة انتهى * ونقل من كتاب قنط السمرور لابن الرقيق المغربي ما ملخصه ومعي أدركته وعاشرته عبد الوهاب ابن حسين بن جعفر الحاجب وذكرته هنا لانه ملحق بالامراء المتقدمين غير خارج منهم ولا يسمعونهم بل كان واحد عصره في الغناء الرائق والادب الرائع والشعر الرقيق واللفظ الانيق ورقة الطبع واصابة النادر والتشبيه المصيب والبديهة التي لا يخلق فيها مع شرف النفس وعلو الهمة وكان قد قطع عمره واقنى دهره في اللهو واللعب والفسكاكة والطرب وكان اعلم الناس بضرب العود واختلاف طرائقه وصناعة اللحون وكثيرا ما يقول المعاني اللطيفة في الايات الحسنة ويصوغ عليها الالخان المطربة البديعة المعجبة اختراعا منه وحذاقا وكانت له في ذلك قريحة وطبع وكان اذا لم يزره أحد من اخوانه احضر مائده وشرا به عشرة من أهل بيته منهم ولده وعبد الله ابن أخيه وبعض علمائه وكلهم يغني فيجيد فلا يزالون يغنون بين يديه حتى يطرب فيدعو بالعود ويغني لنفسه ولهم وكان بشارة الزاهر الذي يرعرع عليه من حذاق زمرة المشرق وكان بعيد الهمة سمعا بما يجد تغل عليه ضياعه كل عام أموالا جليلا فلا تحول السنة حتى يتقد جميع ذلك ويستسلف غيره فكان لا يطرأ من المشرق مغن إلا سأل من يقصد بهذا الشأن فيبدل عليه فن وصله منهم استقبله بصنوف البر والاكرام وكساه وخطبه بنفسه ولم يدعه الى أحد من الناس فلا يزال معه في صبوح وغبوق وهو مجدد له كل يوم كرامة حتى يأخذ جميع مامعه من صوت مطرب أو حكاية مادرة وجلس يوما وقد زاره رجلان من اخوانه وحضرا أقرباؤه فطعموا وشربوا وأخذوا في الغناء فارتج المجلس اذ دخل عليه بعض علمائه فقال بالبالب رجل غريب عليه ثياب السفر ذكر أنه ضيف فأمره بادخاله فاذا رجل اسمر سنا طرث الهيئة فسلم عليه قال أين بلد الرجل قال البصرة فرحب به وأمره بالجلوس فجلس مع الغلمان في صفة وأتى بطعام فاكل وسقى أقدا حاو دار الغناء في المجلس حتى انتهى الى آخرهم فلما سكتوا اندفع بغنى بصوت ندي وطبع حسن

الا يادار ما الهجر * لسكانك من شاني

حكاية عبد الوهاب الحاجب

فولانا ما بكسر الهمزة
وزنه هو الكونج لانه
أه لا وقيل غير ذلك انظر
التاموس اه صححه

سقيت الغيث من دار * وان هيجت أشجاني
ولو شئت لما استسقيت غينا غير اجفاني
بنفسي حل اهلاوك * وان بانوا بسلاوا ني
وما الدهر عامون * على تشيت خلان

فطرب عبد الوهاب وصاح وتبين الخدق في اشاوتة والطيب في طبعه وقال يا غلام خذ يده
الى الحمام وجعل على به فأدخل الحمام وتطف ثم دعا عبد الوهاب بمخلعة من ثيابه قال قيت
عليه ورفعه فأجلسه عن يساره وأقبل عليه وبسطه فغنى له

قوى امرجى التبر باللجين * واحتلى الرطل باليدين
واعتني غفلة اللبالي * فربما أيقظت لحين
فقد لعمرى أقزمتنا * هلال شوال كل عين
ذات الخلا خيل أبصرته * كنهف خلخالها اللجين

فطرب وشرب واستزاده فغناه

من لى على رغم الحسود بقهوة * بكر ريبية حانة عذراء
موج من الذهب المذاب نضجه * كاس كقشر الدرة البيضاء
والبحر في أفق السماء كأنه * عين تخال غفلة الرقباء

فشرب عبد الوهاب ثم قال زدني فغناه

وأنت الذى أشرقت عيني بعمائها * وعلمتها بالهجر أن تهجر الغمضا
وأغرقتها بالدمع حتى جفونها * لينكرن فقد الكرا بعضها بعضا

فتر يوم من أحسن الايام وأطيبها ووصله وأحسن اليه ولم يزل عنده مقربا مكرما وكان خليعا
ما جئنا مشتهرا بالنبيذ فخلاه وما أحب ثم وصف له الأندلس وطيبها وكثرة خورها فغضى اليها
ومات بها وعلى نحو هذه الحال كان يفعل بكل طارئ يطرأ من المشرق ولو ذكرتهم
لطال بهم الكتاب انتهى وغرضي من ايراد هذه الحكاية هنا كونه وصف للمشرقى الأندلس
وطيبها وذلك أمر لا يشك فيه ولا يرتاب والله المسؤول في حسن المتاب * ورأيت في بعض
كتب تاريخ الأندلس في ترجمة السلطان باديس الصنهاجى صاحب غرناطة مائنه وهو
الذى أكل ترتيب قصبة مالقة وكان أفرس الناس وأبلىهم ذامر وعة ونجدة وقصره بغرناطة
ليس يبلاد الاسلام والكفر مثله فيما قيل انتهى وهذا القصر هو الذى عناه لسان الدين بن
الخطيب في قصيدته السينية المذكورة في الباب الخامس من القسم الثانى من هذا الكتاب
فلتر اجمع غنة * وذكر غير واحد من المحققين والمؤرخين أن مدينة سرقسطة لا يدخلها الثعبان
من قبل نفسه واذا أدخله أحد لم يهترئ وتطير هذا المعنى في بعض الحيوانات بالنسبة الى
بعض البلاد كثيرا وذلك برصد أو طلسم وقد استورد بعض علماء أصول الدين ذلك عندما تكلموا
على السحر حسبا فتر في محله والله أعلم هكذا رأيت في كلام بعض علماء المشاركة والذى رأيته
لبعض مؤرخى المغرب في سرقسطة أنهم لا تدخلها عقرب ولا حية الامانت من ساعتها
ويؤتى بالحيات والعقارب اليها حية فبنفس ما تدخل الى جوف البلد تموت قال ولا يتسوس

قوله في قصيدته السينية
ومطلعها أدركت بنجيك خييل
الله أندلسا اه

فيها شيء من الطعام ولا يعفن ويوجد فيها القمح من مائة سنة والغنم المعلق من ستة أعوام
والتين والخوخ وحب الملوك والتفاح والاباح من اليابسة من أربعة أعوام والقول والحص
من عشرين سنة ولا يسوس فيها خشب ولا ثوب كان محسوقا أو حريرا أو كاتا وليس في بلاد
الاندلس أكثر فاكهة منها ولا أطيب طعما ولا أكبر مما والبساتين محدقة بها من كل ناحية
ثمانية أميال ولها أعمال كثيرة مدن وحصون وقرى مسافة أربعين ميلا وهي تضاهي
مدن العراق في كثرة الاشجار والانهار وبالجملة فأمرها عظيم وقد أسلفنا ذكرها وعلم
أن بأرض الاندلس من الخصب والنضرة وبحائب الصنائع وغرائب الدنيا ما لا يوجد
بمجموعه غالب في غيرها فمن ذلك ما ذكره الجباري في المسهب أن السمر الذي يعمل من وبره
الفراء الرفيعة يوجد في البحر المحيط بالاندلس من جهة جزيرة برطانية ويجلب الى سر قسطة
ويصنع بها ولما ذكر ابن غالب وبر السمر الذي يصنع بقراطية قال هذا السمر المذكور هنا
لم أتفق ما هو ولا ما عني به ان كان هو نباتا عندهم أو وبر الدابة المعروفة فان كانت الدابة
المعروفة فهي دابة تكون في البحر وتخرج الى البر وعندها قوة مير وقال حامد بن سميون
الطبيب صاحب كتاب الادوية المفردة هو حيوان يكون في بحر الروم ولا يحتاج منه الا
خصاه فيخرج الحيوان من البحر في البر فيؤخذ وتقطع خصاه ويطلق فربما عرض للقصاصين
مرة أخرى فاذا أحس بهم وخشى أن لا يقوتهم استلقى على ظهره وفزع بين نخذه ليري
موضع خصيه خاليا فاذا رآه القصاصون كذلك تركوه قال ابن غالب ويسمى هذا الحيوان أيضا
الجند بادستر والدواء الذي يصنع من خصيه من الادوية الرفيعة ومنافعه كثيرة وخاصيته
في العليل الباردة وهو حار يابس في الدرجة الرابعة والقليلة حيوان أدق من الارنب
وأطيب في الطعم وأحسن وبر او ككثيرا ما يلبس فراؤها ويستعملها أهل الاندلس من
المسلمين والنصارى ولا توجد في البر الا ما جلب منها الى سبتة فنشأ في جوانبها قال ابن
سعيد وقد جلبت في هذه المدة الى تونس حضرة اقريقية ويكون بالاندلس من الغزال
والابل وحمال الوحش وبقرة وغير ذلك مما لا يوجد في غيرها كثيرا وأما الاسد فلا يوجد فيها
البتة ولا الفيل والزرافة وغير ذلك مما يكون في أقاليم الحرارة ولها سبع يعرف باللب أكبر
بقليل من الذئب في نهاية من القعة وقد يفتس من الرجل اذا كان جائعا ويغال الاندلس
فأرهة وخبيلها ضخمة الاجسام حصون للقتال لجلها الدروع وثقال السلاح والعدو
في خيل البر الجنوبي ولها من الطيور الجوارح وغيرها ما يكثر ذكره ويطول وكذلك حيوان
البحر ودواب بحرها المحيط في نهاية من الطول والعرض قال ابن سعيد عابنت من ذلك
العجبر والمسافرون في البحر يحافون منها لا تقلب المراكب فيقطعون الكلام ولها نفخ
بالما من فيها يقوم في الجودا ارتفاع مفرط وقال ابن سعيد قال المسعودي في مروج
الذهب في الاندلس من أنواع الافاويه خمسة وعشرون صنفا منها السنبل والقرنفل
والصندل والقرقة وقصب الذريرة وغير ذلك وذكر ابن غالب أن المسعودي قال أصول
الطبيب خمسة أصناف المسك والكافور والعود والعنبر والزعفران وكلها من أرض الهند الا
الزعفران والعنبر فانها موجودان في أرض الاندلس ويوجد العنبر في أرض الشحر قال

السمر الذي يعمل منه الفراء

قوله والقليلة في نسخة القليلة
مالقاء والمائة القوقبية
وايتظراه

أصل الغنبر

ابن سعيد وقد تكلموا في أصل الغنبر فذكر بعضهم أنه عيون تنبع في قعر البحر يصير منها ما تلبسه الدواب وتقذفه قال الجباري ومنهم من قال أنه نبات في قعر البحر وقد تقدم قول الرازي أن المحلب وهو الملقم في الأفاويه والمفضل في أنواع الأشنان لا يوجد في شيء من الأرض إلا بالهند والاندلس قال ابن سعيد وفي الاندلس مواضع ذكرها أن النار إذا أطلقت فيها فاحت بروائح العود وما أشبهه وفي جبل شليرافا وبه هندية قال وأما الثمار وأصناف الفواكه فالاندلس أسعد بلاد الله بكثرتها ويوجد في سواحلها قصب السكر والموز ويوجدان في الأقاليم الباردة ولا يعدم منها إلا التمر ولها من أنواع الفواكه ما يعدم في غيرها أو يقل كالتين القوطي والتين السقري باشيلية قال ابن سعيد وهذا من صنفان لم ترعيني ولم أذق لهما منذ خرجت من الاندلس ما يفضلهما وكذلك التين المالح والزبيب المنكي والزبيب العسلي والرمثان السقري والخوخ والجوز واللوز وغير ذلك مما يطول ذكره وقد ذكر ابن سعيد أيضا أن الأرض الشمالية المغربية فيها المعادن السبعة وأنها في الاندلس التي هي بعض تلك الأرض وأعظم معدن للذهب بالاندلس في جهة شنت يا قور قاعدة الجلالة على البحر المحيط وفي جهة قرطبة الفضة والزئبق والحامس في شمال الاندلس كثير والفضة الذي يكاد يشبه الذهب وغير ذلك من المعادن المتفرقة في أماكنها والعين التي يخرج منها الزاج في ليله مشهورة وهو كثير مفضل في البلاد منسوب لجبل طليطلة جبل الطفل الذي يجهز إلى البلاد ويفضل على كل طفل بالشرق والمغرب وبالاندلس عدة مقاطع للرخام وذكر الرازي أن بجبل قرطبة مقاطع الرخام الأبيض الناصع اللون والجرى وفي ناشرة مقطع عجيب للعمود وبساعة من مملكة غرناطة مقاطع للرخام كثيرة غريبة موشاة في حرة وصفرة وغير ذلك من المقاطع التي بالاندلس من الرخام الحالك والجزع وحصى المرية يحمل إلى البلاد فإنه كالدر في رونقه وله ألوان عجيبة ومن عاداتهم أن يضعوه في كيزان الماء وفي الاندلس من الامنان التي تنزل من السماء القرمز الذي ينزل على شجر البلوط فيجمعه الناس من الشعري ويصغون به فيخرج منه اللون الأحمر الذي لا تفوقه حرة قال ابن سعيد وإلى مصنوعات الاندلس ينتهي التفضيل وللمتعصبين لها في ذلك كلام كثير فقد اختصت المرية ومالقة ومرسية بالموشي المذهب الذي يتعجب من حسن صنعته أهل المشرق إذا رأوا منه شيئا وفي تنالة من عمل مرسية تعمل البسط التي يغالي في ثمنها بالشرق ويصنع في غرناطة وبسطة من ثياب اللباس المحررة الصنف الذي يعرف بالمسبلد الختم ذو الألوان العجيبة ويصنع في مرسية من الاسرة المرصعة والخسر الفخانة الصنعة وآلات الصفر والحديد من السكاكين والامقاص المذهبة وغير ذلك من آلات العروس والجندي ما يهر العقل ومنها تجهز هذه الاصناف إلى بلاد إفريقية وغيرها ويصنع بها وبالمرية ومالقة الزجاج الغريب العجيب ونخار من يجهز مذهب ويصنع بالاندلس نوع من المفضض المعروف في المشرق بالفسيفساء ونوع يبسط به قاعات ديارهم يعرف بالزايي يشبه المفضض وهو ذو ألوان عجيبة يقيمونه مقام الرخام الملون الذي يصرفه أهل المشرق في زخرفة بيوتهم كالشاذروان وما يجري مجراه وأما آلات الحرب من الستراس والرماح والسروج والالجمل والدرع

والمخافون أكثرهم أهل الأندلس فيما حكى ابن سعيد كانت مصروفة إلى هذا الشأن ويصنع فيها في بلاد الكفر ما يهر العقول قال والسيوف البرذليات مشهورة بالجودة وبرذيل آخر بلاد الأندلس من جهة الشمال والشرق والقولاذ الذي بأشبيلية إليه النهاية وفي أشبيلية من دقائق الصنائع ما يطول ذكره وقد أفردين غالب في فرحة النفس للآثار الأولية التي بالأندلس من كتابه مكانا فقال منهما ما كان من جلبهم الماء من البحر الملح إلى الأرض التي بطرصة كونه على وزن لطيف وتدير محكم حتى طمعت به وذلك من أعجب ما صنع ومن ذلك ما صنعه الأول أيضا من جلب الماء من البحر المحيط إلى جزيرة قادس من العين التي في إقليم الأصنام جلبوه في جوف البحر في الصخر المجوف ذكر في أثني وشقوا به الجبال فاذا وصلوا به إلى المواضع المنخفضة بنوا له قناطر على حنايا فاذا جاوزها واتصل بالأرض المعتدلة رجعوا إلى البنين المذكور فاذا صادف سجة بنى له رصيف وأجرى عليه هكذا إلى أن انتهى به إلى البحر ثم دخل به في البحر وأخرج في جزيرة قادس والبنين الذي دخل عليه الماء في البحر ظاهر بين قال ابن سعيد إلى وقتنا هذا ومنها الرصيف المشهور بالأندلس قال في بعض أخبار رومية أنه لما ولي يوليس المعروف بجاشروا ابتدأ بتدريج الأرض وتكسيها كان ابتداءه بذلك من مدينة رومية إلى المشرق منها وإلى المغرب وإلى الشمال وإلى الجنوب ثم بدأ بفرض المبلة وأقبل بها على وسط دائرة الأرض إلى أن بلغ بها أرض الأندلس وركزها شرقي قرطبة يسارها المتطامن المعروف بباب عبد الجبار ثم ابتدأها من باب القنطرة قبلي قرطبة إلى شقنطة إلى استجة إلى قرمونة إلى البحر وأقام على كل ميل سارية قد نقش عليها اسمه من مدينة رومية وذكر أنه أراد تسقيها في بعض الأماكن راحة للخاطرين من وهج الصيف وهول الشتاء ثم توقع أن يكون ذلك فسادا في الأرض وتغيير الطرق عند انتشار اللصوص وأهل الشر فيها في المواضع المقطعة النائية عن العمران فتركها على ما هي عليه وذكر في هذه الآثار صنم قادس الذي ليس له نظير إلا الصنم الذي بطرف جليقية وذكر قنطرة طليطلة وقنطرة السيف وقنطرة ماردة وملعب هر بيطر (قال ابن سعيد) وفي الأندلس عجائب منها الشجرة التي لولا كثرة ذكر العامة لها بالأندلس ما ذكرناها فإن خبرها عندهم شائع متواتر وقد رأيت من يشهد بخبرها ورؤيتها وهم جثم غفير وهي شجرة زيتون تصنع الورق والنور والتمر من يوم واحد معلوم عندهم من أيام السنة الشمسية * ومن العجائب السارية التي بغرب الأندلس يزعم الجهور أن أهل ذلك المكان إذا أحبوا المطر أقاموها فمطر الله جهتهم * ومنها صنم قادس طول ما كان قائما كان يمنع الرياح أن تهب في البحر المحيط فلا تستطيع المراكب الكبار على الجرى فيه فلما هدم في أول دولة بني عبد المؤمن صارت السفن تجري فيه * وبكورة قبلة مغارة ذكرها الرازي وحكى أنه يقال إنها باب من أبواب الرياح لا يدرك لها قعر * وذكر الرازي أن في جهة قلعة ورد جبلا فيه شق في صخرة داخل كهف فيه فأس حديد متعلق من الشق الذي في الصخرة تراه العيون وتلمسه اليد ومن رام إخراجه لم يطق ذلك وإذا رفعته اليد ارتفع وغاب في شق الصخرة ثم يعود إلى حاله * وأما ما أورده ابن بشكوال من الأحاديث

ذكر عجائب الأندلس

والا تبار في شأن قتل الاندلس والمغرب فقد ذكرها ابن سعيد في كتابه المغرب ولم أذكرها
أنا والله أعلم بحقيقة أمرها وكذلك ما ذكره ابن بشكوال من أن فتح القسطنطينية إنما يكون
من قبل الاندلس قال وذكره سيف عن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه والله أعلم بحقيقة
ذلك ولعل المراد بالقسطنطينية رومية والله أعلم قال سيف وذلك أن عثمان ندب جيشا من
القيروان الى الاندلس وكتب لهم أما بعد فان فتح القسطنطينية إنما يكون من قبل الاندلس
فانكم ان فتحتموها كنتم الشركاء في الاير والسلام انتهى قلت عهدة هذه الامور على
ناقلها وانباري من عهدتها وان ذكرها ابن بشكوال وصاحب المغرب وغير واحد فانها
عندي لا أصل لها وأي وقت بعث عثمان الى الاندلس مع أن فتحها لا اتفاق إنما كان زمان
الوليد وإنما ذكرت هذا للتبسيه عليه لا غير والله أعلم (قال ابن سعيد) وميزان وصف الاندلس
أنها جزيرة قد أحاطت بها البحار فأكثر فيها الخصب والعمارة من كل جهة فتي سافرت
من مدينة الى مدينة لا تكاد تنقطع من العمارة ما بين قرى ومياها ومزارع والبحار فيها
معدومة ومما اختلفت به أن قراها في نهاية من الجمال لتصنع أهلها في أوضاعها وتبييضها
لئلا تنبر العيون عنها فهي كما قال الوزير ابن الجارة فيها

لاحت قراها بين خضرة أيكها * كالدرتين زبرجد مكنون

واقدر تعجب لما دخلت الديار المصرية من أوضاع قراها التي تكثر العين بسوادها وبضيق
الصدر بضيق أوضاعها وفي الاندلس جهات تقرب فيها المدينة العظيمة المحصورة من مثلها
والمثال في ذلك أنك اذا توجهت من اشبيلية على مسيرة يوم وبعض آخر مدينة شريش وهي
في نهاية من الحضارة والنضارة ثم يليها الجزيرة الخضراء كذلك ثم مالقة وهذا كثير
في الاندلس وهذا أكثر مدنها وأكثرها مسورة من أجل الاستعداد للعدو وفصلها بذلك
اتشديد والتزيين وفي حصونها ما يبق في محاربة العدو وما ينيف على عشرين سنة لا متنازع
معاقلها ودربة أهلها على الحرب واعتيادهم لمحاربة العدو بالطعن والضرب وكثرة ما تنحزن
الغلة في طاميرها فغناها ما يطول صبره عليها نحو ما من مائة سنة قال ابن سعيد ولذلك أدامها
الله تعالى من وقت الفتح الى الآن وان كان العدو قد نقصها من أطرافها وشارل في أوضاعها
ففي البقية منعة عظيمة فأرض بقي فيها مثل اشبيلية وغرناطة ومالقة والمرية وما ينضاف
الى هذه الحواضر العظيمة الممصرة الرجا فيها قوى بحول الله وقوته انتهى قلت قد خاب ذلك
الرجا وصارت تلك الارجا للكفر معرجا ونسأل الله تعالى الذي جعل اللهم فرجا وللضيق
مخرجا أن يعيد اليها كلمة الاسلام حتى يستنشق أهل منه فيها أرجا آمين (ومن غرائب
الاندلس البيلتان اللتان بطليطلة صنعهما عبد الرحمن لما سمع بخبر اطلسم الذي بمدينة أرين
من أرض الهند وقد ذكره المسعودي وانه يدور باصبعه من طلوع الفجر الى غروب الشمس
فصنع هو هاتين البيلتين خارج طليطلة في بيت مجوف في جوف النهر الاعظم في الموضع
المعروف بيلب الدباغين ومن عجبهما أنهما يمثلان وينحسران مع زيادة القمر ونقصانه وذلك
أن أول انهلال الهلال يخرج فيهما يسير ما فإذا أصبح كان فيهما سبعهما من الماء فإذا كان
آخر النهار كمل فيهما نصف سبع ولا يزال كذلك بين اليوم والليله نصف سبع حتى يكمل من

الشهر سبعة أيام وسبع ليال فيكون فيهما نصفهما ولا تزال كذلك الزيادة نصف سبع في اليوم والليله حتى يكمل امتلاؤهما بكال القمر فاذا كان في ليلة خمسة عشر وأخذ القمر في النقصان نقصتا بنقصان القمر كل يوم وليلة نصف سبع فاذا كان تسعة وعشرون من الشهر لا يبقى فيهما شيء من الماء واذا تكلف أحد حين ينقصان أن يملأهما وجلب لهما الماء ابتعدا ذلك من حينهما حتى لا يبقى فيهما الا ما كان فيهما في تلك الساعة وكذا لو تكلف عند امتلاؤهما افراغهما ولم يبق منهما شيئا ثم رفع يده عنهما خرج فيهما من الماء ما يملؤهما في الحين وهما أعجب من طلسم الهند لان ذلك في نقطة الاعتدال حيث لا يزيد الليل على النهار وأما هاتان فليست في مكان الاعتدال ولم تزالا في بيت واحد حتى ملك النصراني دمرهم الله طليطلة فأراد الفنس أن يعلم حركتهما فأمر أن تقلع الواحدة منهما لينظر من أين يأتي إليها الماء وكيف الحركة فيهما فقلعت فبطلت حركتهما وذلك سنة ٥٢٨ وقيل ان سبب فسادهما حين اليهودي الذي جلب حمام الاندلس كلها الى طليطلة في يوم واحد وذلك سنة ٥٢٧ وهو الذي أعلم الفنس ان ولده سيدخل قرطبة ويملكها فأراد أن يكشف حركة السيلتين فقال له أيها الملك أنا أفعلهما وأردتهما أحسن مما كانتا وذلك أني أجعلهما قنصلان بالنهار وتحتسرن في الليل فلما قلعت لم يقدروا على ردها وقيل انه قلع واحدة ليسرق منها الصنعة فبطلت ولم تزل الاخرى تعطى حركتها والله أعلم بحقيقة الجبال (وقال بعضهم) في اشبيلية انها قاعدة بلاد الاندلس وحاضرتها ومدينة الادب والاهو والطرب وهي على ضفة النهر الكبير عظمة الشان طيبة المكان لها البر المديد والبحر الساكن والوادي العظيم وهي قرية من البحر المحيط الى أن قال ولولم يكن لها من الشرف الاموضع الشرف المقابل لها المثل عليها المشهور بالزيتون الكثير الممتد فراسخ في فراسخ لكني وبها منارة في جامعها بناها يعقوب المنصور ليس في بلاد الاسلام أعظم بناء منها وعسل الشرف يبق حينئذ لا يترمل ولا يتبدل وكذلك الزيت والتين وقال ابن مفلح ان اشبيلية عروس بلاد الاندلس لان تاجها الشرف وفي عنقها سمط النهر الاعظم وايس في الارض اتم حسنا من هذا النهر يضاهي دجلة والفرات والنيل تسير القوارب فيه للترهة والسير والصيد تحت ظلال التمار وتغريد الاطيوار أربعة وعشرين ميلا ويتعاطى الناس السرح من جانبه عشرة فراسخ في عمارة متصلة ومنازل مرتفعة وأبراج مشيدة وفيه من أنواع السمك ما لا يحصى وبالجملة فهي قد حازت البر والبحر والزرع والضرع وكرة التمار من كل جنس وقصب السكر ويجمع منها القمر من الذي هو أجل من الاك الهندي وزيتونها يخزن تحت الارض أكثر من ثلاثين سنة ثم يعصر فيخرج منه أكثر مما يخرج منه وهو طري انتهى ملخصا * ولما ذكر ابن اليسع الاندلس قال لا يتزود فيها أحدا ما حيث سلك لكثرة انهارها وعيونها وربما لقي المسافر فيها في اليوم الواحد أربع مدائن ومن المعامل والقرى ما لا يحصى وهي بطاح خضر وقصور بيض قال ابن سعيد وأنا أقول كلاما فيه كفاية منذ خرجت من جزيرة الاندلس وطففت في بر العدو ورأيت مدنها العظيمة كراش وقاس وسلاوسية ثم طفت في أفريقية وما جاورها من المغرب الاوسط فرأيت بجاية وتونس ثم دخلت الديار المصرية فرأيت

الاسكندرية والقاهرة والقسطاط ثم دخلت الشام فرأيت دمشق وجلبا وما بينهما
لم أرمي به رونق الاندلس في مياهها وأشجارها المدينة قاص بالمغرب الأقصى ومدينة
دمشق بالشام وفي جماء مسحة أندلسية ولم أرمي شبيهها في حسن المباني والتشييد
والتصنيع الا ما شيد بمرآ كش في دولة بني عبد المؤمن وبعض أما كن في تونس وان كان
الغالب على تونس البناء بالجارية كالاسكندرية ولكن الاسكندرية أفسح شوارع وأبسط
وأبدع ومباني حلب داخلية فيما يستحسن لانها من حجارة صلبة وفي وضعها وترتيبها اتقان
اتمى ومن أحسن ما جاء من النظم في الاندلس قول ابن سفر المريني والاحسان له عادة

قوله بالعيش في نسحة للقلب ا

في أرض أندلس تلتذ نعيماء * ولا يفارق فيها القلب سراء
وليس في غيرها بالعيش منتفع * ولا تقوم بحق الانس صباه
وأين يعدل عن أرض تحض بها * على المدامه أمواه وأفياه
وكيف لا يبعج الابصار رؤيتها * وكل روض بها في الوشي صنعاء
أنهارها فضة والمسك تربتها * والخزروصتها والدر حياء
وللهواء بها لطيف يرقبه * من لا يرق وتبد منه أهواء
ليس التسمم الذي يفوقها سحرا * ولا انتشار لآتي الطلل آداء
وانما أوج النداستار بها * في ماء ورد قطابت منه أرجاء
وأين يبلغ منها ما أصفه * وكيف يحوى الذي حازته احصاء
قد ميزت من جهات الارض حين بدت * فريدة وتولى ميزها الماء
دارت عليها ناطقا بأجر خفقت * وجدابها اذ بدت وهي حسناء
لذلك يسم فيها الزهر من طرب * والطير يشدو وللأغصان اصغاء
فيها خلعت عذارى ما بها عوض * فهي الزياض وكل الارض صحراء

ولله در ابن خفاجة حيث يقول

ان الجنة بالاندلس * مجتلى مرأى ورياقش
فسنا صبحتها من شنب * ودجى ظلمتها من لعل
فاذا ما هبت الريح صبا * صحت واشوقى الى الاندلس

وقد تقدمت هذه الايات قال ابن سعيد قال ابن خفاجة هذه الايات وهو بالمغرب الأقصى
في بئر العدو ومنزله في شرق الاندلس بجزيرة شقر وقال ابن سعيد في المغرب مانصه قواعد
من كتاب الشهب الناقبة في الانصاف بين المشاركة والمغاربة أول ما تقدم الكلام على
قاعدة السلطنة بالاندلس فنقول انها مع ما بأيدي عباد الصليب منها أعظم سلطنة كثرت
بممالكها وتشعبت في وجوه الاستظهار للسلطان اعانتها وندع كلامنا في هذا الشأن وتقل
ما قاله ابن حوقل النصيبي في كتابه لما دخلها في مدة خلافة بني مروان بها في المائة الرابعة
وذلك انه لما وصفها قال وأما جزيرة الاندلس فجزيرة كبيرة طولها دون النهر في عرض
نيف وعشرين مرحلة تغلب عليها المياه الجارية والشجر والتمر والرخص والسعة
في الاحوال من الرقيق الفاخر والخشب الظاهر الى أسباب التملك الفاسية فيها ولما هي

به من أسباب رغد العيش وسعته وكمثرته يملك ذلك منهم مهينهم وأرباب صنتنا نعتهم لقتلة
 مؤنتهم وصلاح معاشهم وبلادهم ثم أخذ في عظم سلطانها ووصف وفور جباياتها وعظم
 مراقتة وقال في أثناء ذلك ومما يدل بالقليل منه على كثيره أن سكة دار ضربه على الدراهم
 والدنانير دخلها في كل سنة ما تئلف دينار وصرف الدينار سبعة عشر درهما
 هذا إلى صدقات البلد وجباياته ونجاراته وأعيانه وضمائنه والاموال المرسومة على
 المراكب الواردة والصادرة وغير ذلك وذكر ابن بشكوال أن جباية الاندلس بلغت
 في مدة عبد الرحمن الناصر خمسة آلاف ألف دينار وأربعمائة ألف وثمانين ألفا من السوق
 والمستخلص سبعمائة ألف وخمسة وستون ألف دينار ثم قال ابن حوقل ومن أعجب ما في هذه
 الجزيرة بقاؤها على من هي في يده مع صغر أحلام أهلها وضعة نفوسهم ونقص عقولهم
 وبعد هم من البأس والشجاعة والقروسية والبسالة وإلقاء الرجال وحراس الانجناد
 والابطال مع علم أمير المؤمنين بمحاربتها في نفسها ومقدار جباياتها ومواقع نعمها ولذاتها قال
 علي بن سعيد مكمل هذا الكتاب لم أربدا من اثبات هذا الفصل وإن كان على أهل بادي
 فيه من الظلم والتعصب ما لا يحتمل ولسان الحال في الرد أنطق من لسان البلاغة وليت شعري
 أذسلب أهل هذه الجزيرة العقول والآراء والهمم والشجاعة من الذين دبروها بأرائهم
 وعقولهم مع مرادة أعدائهم المجاورين لها من خمسمائة سنة ونيف ومن الذين جوها
 بيسالتهم من الأمم المتصلة بهم في داخلها وخارجها نحو ثلاثة أشهر على كلمة واحدة في نصرة
 الصليب وإنني لأعجب منه إذ كان في زمان قد دلقت فيه عباد الصليب إلى الشام والجزيرة
 وعاثوا كل العيث في بلاد الاسلام حيث الجمهور والقبعة العظمى حتى أنهم دخلوا مدينة
 حلب وما أدراك ففعلوا فيها ما فعلوا وبلاد الاسلام متصلة بها من كل جهة إلى غير
 ذلك مما هو مستور في كتب التواريخ ومن أعظم ذلك وأشدّه أنهم كانوا يتغلبون على
 الحصن من حصون الاسلام التي يتمكنون بها من بساط بلادهم فيسبون ويأسرون
 فلا يجتمع هم الملوك المجاورة على حسم الداء في ذلك وقد يستعين به بعضهم على بعض
 فيمكن من ذلك الداء الذي لا يطب رقد كانت جزيرة الاندلس في ذلك الزمان بالضد من البلاد
 التي ترك وراء ظهره وذلك موجود في تاريخ ابن حيان وغيره وانما كانت الفتنة
 بعد ذلك الاعلام بينة والطريق واضح فلترجع إلى ما نحن بسبيله كانت سلطنة الاندلس
 في صدر الفتح على ما تقدم من اختلاف الولاة عليها من سلاطين إفريقية واختلاف
 الولاة داع إلى الاضطراب وعدم تائل الاحوال وترتية الضمامة في الدولة ولما صارت
 الاندلس لبني أمية ونوارثوا ممالكها وانقاد اليهم كل أبي فيها وأطاعهم كل عصى
 عظمت الدولة بالاندلس وكبرت الهمم وترتبت الاحوال وترتبت القواعد وكانوا صدرا من
 دولتهم يخطبون لانفسهم بأبناء الخلافة ثم خطبوا لانفسهم بالخلافة وملكوا من بر
 العدو ما ضمنت به دولتهم وكانت قواعدهم اظهرها الهيبة وتكن الناموس من
 قلوب العالم ومراعاة احوال الشرع في كل الامور وتعظيم العلماء والعمل بأقوالهم
 واحضارهم في مجالسهم واستشارتهم ولهم حكايات في تاريخ ابن حيان منها ما هو مذكور

من توجه الحكم على خليفة ثم أوعى ابنه أو أجد جاشيته المختصين وانهم كانوا في نهاية من
الانقياد إلى الحق لهم أو عليهم وبذلك أنضبط لهم أمر الجزيرة ولما خرقوا هذا الناموس
كان أول ما تمتهك أمرهم ثم اضجع وكلفت القباب الأول منهم الأمراء أبناء الخلفاء ثم
الخلفاء أمراء المؤمنين إلى أن وقعت الفتنة بحسد بعضهم لبعض وابتغاء الخلافة من غير
وجهها الذي رتب عليه فاستبدت ملوك الممالك الاندلسية ببلادها وسبوا ملوك الطوائف
وكان فيهم من خطب للخلفاء المرؤسين وان لم يبق لهم خلافة ومنهم من خطب للخلفاء العباسيين
الجمع على إمامتهم وصار ملوك الطوائف يتباهون في أحوال الملوك حتى في القباب فآل
أمرهم إلى أن تلقوا بنعوت الخلفاء وترفعوا إلى طبقات السلطنة العظمى وذلك بما في جزيرتهم
من أسباب الترفه والنجاسة التي توزع على ملوك شتى فتكفيهم وتنهض بهم للمباهلة
ولا جل توثبهم على النعوت العباسية قال ابن رشيق القيرواني

بما زهدني في أرض اندلس * تلقب معتضد فيها ومعتد
القباب ملكة في غير موضعها * كاهتر يحكي اتقا خا صولة الاسد

وكان عباد بن محمد بن عباد قد تلقب بالمعتضد واقتفى سيرة المعتضد العباسي أمير المؤمنين
وتلقب ابنه محمد بن عباد بالمعتد وكانت لبني عباد ملكة اشبيلية ثم انضاف إليها غيرها
وكان خلفاء بني أمية ينظرون للناس في الاحيان على أبيه الخلافة وقانون لهم في ذلك
معروف إلى أن كانت الفتنة فازدرت العميون ذلك الناموس واستخفت به وقد كان
بنو حود من ولد ادريس العلوي الذين توثبوا على الخلافة في أثناء الدولة المروانية بالاندلس
يتعاطفون ويأخذون أنفسهم بما يأخذها خلفاء بني العباس وكانوا إذا حضروهم منشد
لمدح أو من يحتاج إلى الكلام بين أيديهم يتكلم من وراء حجاب والحاجب واقف عند
الستر يجاوب بما يقول له الخليفة ولما حضر ابن مقار بالاشبونية أمام حاجب ادريس بن يحيى
الجودي الذي خطب له بالخلافة في مالقة وأنشده قصيدته المشهورة النونية التي منها قوله
وكان الشمس لما أشرقت * فانتت عنها عميون الناظرين

وجه ادريس بن يحيى بن علي بن حود أمير المؤمنين

وبلغ فيها إلى قوله

انظرونا نقب من نوركم * انه من نور رب العالمين

رفع الخليفة الستر بنفسه وقال انظر كيف شئت وانبسط مع الشاعر وأحسن اليه ولما جاء
ملوك الطوائف صاروا يتبسطون للخاصة وكثير من العامة ويظهرون مداراة الخند
وعوام البلاد وكان أكثرهم يحاضر العلماء والادباء ويحب أن يشهر عنه ذلك عند مصاديه
في الرياسة ومذوقعت القبة بالاندلس اعتاد أهل الممالك المتفرقة الاستبداد عن إمام الجماعة
وصار في كل جهة مملكة مستقلة يتوارث أعيانها الرياسة كما يتوارث ملوكها الملك ومرنوا
على ذلك فصعب ضبطهم إلى نظام واحد وتمكن العدو منهم بالتفرق وعيد اوة بعضهم
لبعض بقبج المنافسة والطمع إلى أن انقادوا إلى عبد المؤمن وبنيته وتلك القواعد في رؤسهم
كامنة والتوار في المعامل نور وروم الكرة إلى أن ثار ابن هود وتلقب بالمتوكل ووجد

القلوب منحرفة عن دولة برّ العدو مهية للاستبداد فلكها بأيسر محاولة مع الجهل المفرط
وضعف الرأي وصكان مع العامة كأنه صاحب شعيرة يعيش في الاسواق ويضحك
في وجوههم ويبادرهم بالسؤال وجاء للناس منه ما لم يعتادوه من سلطان فأعجب ذلك
سفهاء الناس وعامتهم العمياء وكان كما قيل

أمور يضحك السفهاء منها * ويكي من عواقبها الخليم

فآل ذلك الى تلف القواعد العظيمة وتلك الامصار الجارية ونزوحها من يد الاسلام والضابط
فيما يقال في شأن أهل الاندلس في السلطان أنهم اذا وجدوا قارسا يبرع الفرسان او جوادا
يبرع الاجواد فتوا في نصرته ونصبوه ملكا من غير تدبير في عاقبة الامر الام يؤول وبعد
أن يكون الملك في مملكة قد تورثت وتدوروات ويكون في تلك المملكة قائد من قوادها
قد شهرت عنه وقائع في العدو وظهور منه كرم نفس للاجناد ومراعاة قدموه ملكا في حصن
من الحصون ورفضوا عيالهم وأولادهم ان كان لهم ذلك بكرمى الملك ولم يزالوا
في جهاد وتلاف أنفس حتى يظفر صاحبهم بطلبة وأهل المشرق أصوب رأيا منهم في مراعاة
نظام الملك والمحافظة على نصابه لتلايد دخل الخلال الذي يقضى باختلال القواعد وفساد
الترية وحل الاوضاع ولحق غم في ذلك بما شاهدناه لما كانت هذه الغنة الاخيرة
بالاندلس تخضت عن رجل من حصن يقال له أرجونة ويعرف الرجل بابن الاجر كان يكثر
مغاورة العدو ومن حصنه وظهرت له مخايل وشواهد على الشجاعة الى أن طاراسه
في الاندلس وآل ذلك الى أن قدمه أهل حصنه على أنفسهم ثم مضى فلك قرطبة العظمى
وملك اشبيلية وقتل ما كان بها الباسي وملك جيان أحسن بلد بالاندلس وأجله قدرا
في الامتناع وملك غرناطة ومالقة وسوءه بأمر المسلمين فهو الا ان المشاير اليه بالاندلس
والمعتمد عليه وأما قاعدة الوزارة بالاندلس فانها كانت في مدة بني أمية مشتركة في جماعة
يعينهم صاحب الدولة للاعانة والمشاورة ويختصهم بالجمالية ويختار منهم شخصا كان النائب
المعروف بالوزير فيسميه بالحاجب وكانت هذه المراتب اضبطها عندهم كالمناوثة في البيوت
المعلومة لذلك الى أن كانت ملوك الطوائف فكان الملك منهم لعظم اسم الحاجب
في الدولة المروانية وأنه كان نائباً عن خليفته يسمى بالحاجب ويرى أن هذه السمة أعظم
ماتنوفس فيه وظفريه وهي موجودة في أمداح شعرائهم ونوار يخهم وصار اسم الوزارة
عاما لكل من يجالس الملوك ويختص بهم وصار الوزير الذي ينوب عن الملك يعرف بذي
الوزارتين وأكثر ما يكون فاضلا في علم الادب وقد لا يكون كذلك بل عالما بأمور
الملك خاصة وأما الكتابة فهي على ضربين أعلاهما كاتب الرسائل وله حظ في القلوب
والعيون عند أهل الاندلس وأشرف أسمائه الكاتب وبه هذه السمة يخصه من يعظمه
في رسالة وأهل الاندلس كثير والانتقاد على صاحب هذه السمة لا يكادون يغفلون عن
عثراته لحظة فان كان ناقصا عن درجات الكمال لم ينفعه جاهه ولا مكانه من سلطانه من تسلط
اللسن في المحافل والطعن عليه وعلى صاحبه والكاتب الآخر كاتب الزمام هكذا يعرفون
كاتب الجهبذة ولا يكون بالاندلس وبرّ العدو لانصرانيا ولا يهوديا البتة اذ هذا الشغل

نبه يحتاج الى صاحبه عظماء الناس ووجوههم وصاحب الاشغال الخراجية في الاندلس
 أعظم من الوزير و أكثر اتباعا و أصحابا و احدى منفعة قاله قيل الاعتاق ونحوه تمتد
 الاكف والاعمال مضبوطة بالشهود والنظار ومع هذا ان تأملت حاله واعتد بكثرة البناء
 والاكتساب تكب وصوره و هذا راجع الى تقلب الاحوال وكيفية السلطان * وأما خطة
 القضاة بالاندلس فهي أعظم الخطط عند الخاصة والعامة لتعلقها بأموال الدين وكون
 السلطان لو توجه عليه حكم حضري بين يدي القاضي هذا و وصفها في زمان بني أمية ومن
 سلك مسلكهم ولا سبيل أن يتسم بهذه السمة الامن هو وال للحكم الشرعي في مدينة
 جليلة وان كانت صغيرة فلا يطلق على حاكمها الامتد خاصة وقاضي القضاة يقال
 له قاضي القضاة وقاضي الجماعة * وأما خطة الشرطة بالاندلس فانها مضبوطة الى الآن
 معروفة بهذه السمة ويعرف صاحبها في السن العاشرة بصاحب المدينة وصاحب الليل واذا
 كان عظيم القدر عند السلطان كان له القتل لمن وجب عليه دون استئذان السلطان وذلك
 قليل ولا يكون الا في حضرة السلطان الاعظم وهو الذي يحدد على الزنا وشرب الخمر وكثير
 من الامور الشرعية راجع اليه قد صارت تلك عادة تقرر عليها رضا القاضي وكانت خطة
 القاضي أوقروا في عهدهم من ذلك * وأما خطة الاحتساب فانها عندهم موضوعة في أهل
 العلم والفضل وكان صاحبها قاض والعادة فيه أن يمشي بنفسه راكبا على الاسواق وأعوانه
 معه وميزانه الذي يزن به الخبز في يده أحد الاعوان لان الخبز عندهم معلوم الاوزان للربع من
 الدرهم رقيق على وزن معلوم وكذلك للثمن وفي ذلك من المصلحة أن يرسل المبتاع الصبي
 الصغير أو الجارية الرعناء فيستويان فيما يأتياه به من السوق مع الحاذق في معرفة الاوزان
 وكذلك اللعم تكون عليه ورقة بسعره ولا يجسر الجزار أن يبيع بأكثر أو دون ما حمله
 المحتسب في الورقة ولا يكاد تخفى خيائته فان المحتسب يدس عليه صبي أو جارية يتتبع
 أحدهما منه ثم يختبر الوزن المحتسب فان وجد نقصا قاس على ذلك حاله مع الناس فلا تسأل
 عما يليق وان كثرت ذلك منه ولم يتب بعد الضرب والتجريس في الاسواق نفي من البلد وأهم
 في أوضاع الاحتساب قوانين يسدا ولونها ويتدارسونها كما تدارس أحكام الفقه لانها
 عندهم تدخل في جميع المبتاع وتنفذ الى ما يطول ذكره * وأما خطة الطواف بالليل وما
 يقابل من المغرب أصحاب ارباع في المشرق فانهم يعرفون في الاندلس بالدرابين لان بلاد
 الاندلس لها دروب بأغلاق تغلق بعد العتمة ولكل زقاق باب في فيه له سراج معلق وكلب يسهر
 وسلاح معه وذلك لشطارة عاقبتها وكثرة شرهم واعيانهم في أمور التلصص الى أن يظهر
 على المباني المشيدة ويقتحوا الاغلاق الصعبة ويقتلوا صاحب الدار خوف أن يقر عليهم
 أو يطالبهم بعد ذلك ولا تسكاد في الاندلس تخلو من سماع دار فلان دخلت البارحة وفلان
 ذبحه للصوص على فراشه وهذا يرجع التكثر منه والتقليل الى شدة الوالي وابنه ومع
 افراطه في الشدة وكون سيفه يقطر دما فان ذلك لا يعدم وقد آل الحال عندهم الى أن قتلوا
 على عنقود سرقة شخص من كرم وما أشبه ذلك ولم يته الصوص * وأما قواعدهم أهل الاندلس
 في ديانتهم فانها تختلف بحسب الاوقات والنظر الى السلاطين ولكن الاغلب عندهم اقامة

الحدود وانكار التهاون بتعطيلها وقيام العامة في ذلك وانكاره ان تهاون فيه أصحاب
السلطان وقد يلج السلطان في شيء من ذلك ولا ينكره فمدخلون عليه قصره المشيد ولا يعبون
بجيلة ورجله حتى يخرجوه من بلدهم وهذا كثير في أشبارهم وأما الرجم بالجبل للقضاء والولاية
للأعمال اذا لم يعدلوا فكل يوم * وأما طريقة الفقراء على مذهب أهل الشرق في الدورة
التي تكسل عن الكتبة وتخرج الوجوه للطلب في الأسواق تستقبضه عندهم الى النهاية واذا
رأوا شخصا قادوا على الخدمة يطلب سبوه وأهانوه فضلا عن أن يتصدقوا عليه فلا
يخجل بالاندلس سائلا الا أن يكون صاحب عذر * وأما حال أهل الاندلس في فنون العلوم
فحقائق الانصاف في شأنهم في هذا الباب أنهم أحرص الناس على التميز فبالأهل الذي
لم يوفقه الله للعلم يجهد أن يتميز بصنعة ويرى بنفسه أن يرى قارعا على الناس لان هذا
عندهم في نهاية القبح والعالم عندهم معظم من الخاصة والعامة يشار اليه ويحال عليه
ويثبه قدره وذكره عند الناس ويكرم في جوارأوا بتياع حاجة وما أشبه ذلك ومع هذا
فليس لأهل الاندلس مدارس تعينهم على طلب العلم بل يقرؤون جميع العلوم في المساجد
بأجرة فهم يقرؤون لأن يعملوا الا لأن يأخذوا جارا فالعالم منهم يارع لانه يطلب ذلك العلم
باعت من نفسه يحمله على أن يترك الشغل الذي يستفيد منه ويتفق من عنده حتى يعلم
وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء الا الفلسفة والتنجيم فان لهما حظا عظيما عند
خواصهم ولا يظهرون باخوف العامة فانه كلما قيل فلان يقرأ الفلاسفة أو يشتغل بالتنجيم
اطلقت عليه العامة اسم زنديق وقبضت عليه أنفاسه فان زل في شبهة رجوه بالجارة
أو حر قوه قيل أن يصل أمره للسلطان أو يقتله السلطان تقرب بالقلوب العامة وكثيرا ما يأمر
ملوكهم بإحراق كتب هذا الشأن اذا وجدت وبذلك تقرب المنصور بن أبي عامر لقلوبهم
أول نهوضه وان كان غير خال من الاشتغال بذلك في الباطن على ما ذكره الجاردي والله أعلم
وقراءة القرآن بالسبع ورواية الحديث عندهم رفيعة وللفقه رونق ووجاهة ولا مذهب لهم
الا مذهب مالك وخواصهم يحفظون من سائر المذاهب ما يباحثون به بمحاضره ملوكهم
ذوي الهمم في العلوم وسعة الفقيه عندهم جليلة حتى ان المسلمين كانوا يسمون الامير العظيم
منهم الذين يريدون تنويهه بالفقيه وهي الآن بالمغرب بمنزلة القاضي بالشرق وقد يقولون
للكتاب والنحو واللعوى فقيه لانهم عندهم أرفع السمات * وعلم الاصول عندهم متوسط
الحال والنحو عندهم في نهاية من علو الطبقة حتى انهم في هذا العصر فيه كأصحاب عصر
الخليل وسيبويه لا يزداد مع هرم الزمان الاجدة وهم كثير والبحث فيه وحفظ مذاهبه
كمذاهب الفقه وكل عالم في أي علم لا يكون متمكنا من علم النحو بحيث لا يتحقق عليه الدقائق
فليس عندهم بمستحق للتميز ولا سالم من الازدراء مع أن كلام أهل الاندلس الشائع
في الخواص والعوام كثير الانحراف عما تقتضيه أوضاع العربية حتى لو أن شخصا من
العرب سمع كلام الشلوبيتي أبي علي المشار اليه بعلم النحو في عصرنا الذي غربت تصانيفه
وشرقت وهو يرى درسه لضيحا بل فيه من شدة التحريف الذي في لسانه والخاص منهم
اذا تكلم بالاعراب وأخذ يجري على قوائين النحو استنقلوه واستبدوه ولكن ذلك مراعى

عندهم في القراءات والمحادثات في الرسائل وعلم الادب المشهور من حفظ التاريخ والنظم
والنثر ومستعارات الحكايات أنبل علم عندهم وبه يتقرب من مجالس ملوكهم وأعلامهم
ومن لا يكون فيه أدب من علمائهم فهو غفل مستغل * والشعر عندهم له حظ عظيم
وللشعراء من ملوكهم وجاهة ولهم عليهم حظ ووظائف والمجيدون منهم ينشدون في مجالس
عظماؤهم ملوكهم المختلفة ويوقع لهم بالصلوات على أقدارهم الآن يحتمل الوقت ويغلب الجهل
في حين ما ولكن هذا الغالب وإذا كان الشخص بالاندلس نحوياً أو شاعراً فانه يعظم
في نفسه لا محالة ويستحق ويظهر المحب عادة قد جبالوا عليها * وأما زى أهل الاندلس
فالغالب عليهم ترك العمامة لاسيما في شرق الاندلس فان أهل غربها لا تكاد ترى فيهم قاضيا
ولا فقيها مشارا اليه الا وهو بعمامة وقد تسامحوا بشرقها في ذلك ولقد رأيت عزيز بن خطاب
أ كبير عالم بعرسية حضرة السلطان في ذلك الاوان واليه الاشارة وقد خطب له بالملك في تلك
الجهة وهو حاكم الرأس وشيبه قد غلب على سواد شعره وأما الاجناد وسائر الناس فقليل
منهم من تراه بعمامة في شرق منها أو في غرب واين هو الذي ملك الاندلس في عصرنا رأيت
في جميع احواله يبلد الاندلس وهو دون عمامة وكذلك ابن الاسمر الذي عظم الاندلس
الآن في يده وكثيرا ما يتزيا سلاطينهم وأجنادهم بزي النصارى المجاورين لهم فسلحهم
كسلحهم وأقيمتهم من الاشكر لاط وغيره كاقبيتهم وكذلك أعلامهم وسروجهم * ومحاربتهم
بالتراس والرمح الطويلة للطعن ولا يعرفون الدبابيس ولا قسي العرب بل يعدون قسي
الافرج للعصا صراف في البلاد وتكون للرجال المصافقة للعرب وكثيرا ما تصبر
الليل عليهم أو تهلهم لان يوثروها ولا تجدي خواص الاندلس وأكثر عوامتهم من يشي
دون طيلسان الا انه لا يضعه على رأسه منهم الا الاشياخ المعظمون وغفائر اصوف كثيرا
ما يلبسونها جرا وخضرا والصفر مخصوصة باليهود ولا سبيل ليهودي أن يتعم البتة والذوابة
لا يرخيها الا العالم ولا يصرفونها بين الاكاف وانما يسد لونها من تحت الاذن اليسرى
وهذه الاوضاع التي بالشرق في العمامة لا يعرفها أهل الاندلس وان رأوا في رأس مشرق
داخل الى بلادهم شكلا منها أظهر والتجيب والاستظراف ولا يأخذون أنفسهم بتعليمها
لانهم لم يعتادوا ولم يستحسنوا غيرها وضاعهم وكذلك في تفصيل الثياب * وأهل الاندلس
أشد خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون وغير ذلك مما يتعاقبهم وفيهم من لا يكون
عنده الا ما يقوته يومه فيطويه صائما ويتعاقب ما يونا يغسل به ثيابه ولا يظهر فيها ساعة على
حالة تنبوا العين عنها * وهم أهل احتياط وتدبير في المعاش وحفظ لما في أيديهم خوف
ذل السؤال فلذلك قد ينسبون للجل ولهم مروءات على عادة بلادهم لو فطن لها حاتم لفضل
دقائقها على عظامته ولقد اجترأت مع والدي على قرية من قراها وقد نال منا البرد والمطر
أشد النيل فأويننا اليها وكنا على حال ترقب من السلطان وخالوا من الرفاهية قتلنا في بيت شيخ
من أهلها من غير معرفة متقدمة فقال لنا ان كان عندكم ما اشترى لكم فحما نسجنون به فاني
أمضى في حوايجكم وأجعل عيالي يقومون بشأ نكم فأعطيناه ما اشترى به فحما فأضرم
نارا وجاء ابن له صغير ليصطلي فضر به فقال له والدي لم ضربته فقال يتعلم استغنام أموال الناس

والخبر للبرد من الصغر ثم لما جاء النوم قال لابنه أعط هذا الشاب كساءك الغليظة يزيدها
على ثيابه قد دفع كساءه الى ثم لما قنا عند الصباح وجدت الصبي متبها ويده في الكساء فقلت
ذلك لو ادى فقال هذه مروتات أهل الاندلس وهذا احتياط لهم أعطالك الكساء وفضلت
على نفسه ثم أفكر في أنك غريب لا يعرف هل أنت ثقة أو أص فلم يطب له منام حتى يأخذ
كساءه خوفا من انفصالك بها وهو نائم وعلى هذا الشيء الحقيق فقس الشيء الجليل انتهى كلام
ابن سعيدي في المغرب باختصار يسير والله دره فانه أبدع في هذا الكتاب ما شاء وقسمه الى
اقسام منها كتاب وشي الطرس في حلي جزيرة الاندلس وهو ينقسم الى أربعة كتب الكتاب
الاول كتاب حلي العرس في حلي غرب الاندلس الكتاب الثاني كتاب الشفاة اللعس في حلي
موسطة الاندلس الكتاب الثالث كتاب الاتس في حلي شرق الاندلس الكتاب الرابع كتاب
لحظات المريب في ذكر ما جاء من الاندلس عباد الصليب والقسم الثاني كتابه الاخوان المسلمية
في حلي جزيرة صقلية وهو أيضا ذ وأنواع والقسم الثالث كتاب الغاية الاخيرة في حلي الارض
الكبيرة وهو أيضا ذ وأقسام وصور رجه الله تعالى أجزاء الاندلس في كتاب وشي الطرس
وقال أيضا ان كلام من شرق الاندلس وغربها ووسطها يقرب في قدر المساحة بعضها من بعض
وليس فيها جزء يجاوز طوله عشرة أيام ليصدق التثليث في القسمة وهذا دون ما بقي بأيدي
التصاري وقدم رجه الله كتاب حلي العرس في حلي غرب الاندلس لكون قرطبة قلب الخلافة
المروانية واشبيلية التي ما في الاندلس أجل منها فيه وقسمه الى سبعة كتب كل كتاب منها
يحتوي على مملكة متمايزة عن الاخرى الكتاب الاول كتاب الحلة المذهبة في حلي مملكة
قرطبة الكتاب الثاني كتاب الذهبية الاصلية في حلي المملكة الاشبيلية الكتاب الثالث
كتاب خدع الممالقة في حلي مملكة مالقة الكتاب الرابع كتاب الفردوس في حلي مملكة
بطلوس الكتاب الخامس كتاب الخلب في حلي مملكة شلب الكتاب السادس كتاب
الدياجة في حلي مملكة باجة الكتاب السابع كتاب الرياض المصونة في حلي مملكة أشبونة
وقد ذكر رجه الله تعالى في كل قسم ما يليق به وصور أجزاءه على ما ينبغي فانه يجازيه خيرا
والكلام في الاندلس طويل عريض وقال بعض المؤرخين طول الاندلس ثلاثون يوما
وعرضها تسعة أيام وبنوها أربعون نهرا كبارا وبنها من العيون والحمامات والمعادن مالا
يحصى وبنها ثمانون مدينة من القواعد الكبار وأزيد من ثمانمائة من المتوسطة وفيها من
الحصون والقرى والبروح مالا يحصى كثيرة حتى قيل ان عدد القرى التي على نهر اشبيلية
اثنا عشر ألف قرية وليس في معمور الارض صقع يجرد المسافر فيه ثلاث مدن وأربع من
يومه الا بالاندلس ومن بركتها أن المسافر لا يسافر فيها فرسخين دون ماء أصلا وحيثما سار
من الاقطار يجرد الحوانيت في القلوات والصحاري والادوية ورؤس الجبال لبيع الخبز
والقواكه والخبز واللحم والخوت وغير ذلك من ضرور الاطعمة * وذكر صاحب الجغرافيا
أن جزيرة الاندلس مسيرة أربعين يوما طولا في ثمانية عشر يوما عرضا وهو مخالف لما سبق *
وقال ابن سيدة أخذت الاندلس في عرض الاقليم الخامس والسادس من البحر الشامي في
الجنوب الى البحر المحيط في الشمال وبنها من الجبال سبعة وثمانون جبلا انتهى ولبعضهم

فله أندلس وما جمعت بها * من كل ما ضمت لها الا هواء
فكأنما تلك الديار كواكب * وكأنما تلك البقاع سماء
وبكل قطر جدول في الجنة * ولعت به الاقياء والانداء

وقال غيره

في أرض أندلس تلتذنعما * ولا يفارق فيها القلب سراً
وليس في غيرها بالعيش منتفع * ولا تقوم بحق الانس صهباء
وأين يعدل عن أرض يخص بها * على الشهادة أزواج وأبناء
وأين يعدل عن أرض تفتح بها * على المدامة امواه وأقياء
وكيف لا تهيج الابصار رؤيتها * وكل أرض بها في الوشي صنعاء
انهارها فضة والمسك تربتها * وانحزروا روضتها والدر حصباء
وللهبواء بها الطيف يرق به * من لا يرق وتبسد ومنه أهواء
ليس النسيم الذي يفوق بها صحرا * ولا انتشار لآل الابل أنداء
وانما أرج النسيم انتشار بها * في ماء ورد قطابت منه ارجاء
وأين يبلغ منها ما أصنفه * وكيف يحوى الذي حازته احصاء
قدمت من جهات الارض ثم بدت * فسريرة وبولي ميزها الماء
دارت عليها نطاف البحر خففت * وجدابها اذ تبتت وهي حسناء
لذلك يسم فيها الزهر من طرب * والطير يشد ووالاغصان اصغاء
فيها خلعت عذارى ما بها عروض * فهي الرياض وكل الارض صحراء
وقد تقدمت هذه القصيدة وقال آخر

حبذا أندلس من بلد * لم تزل تنسج لي كل سرور
طائر شاد وظل وارف * ومياه سائحات وقصور

وقال آخر

يا حسن أندلس وما جمعت لنا * فيها من الاوطار والاطوان
تلك الجزيرة لست أنسى حسنها * بتعاقب الاحيان والازمان
نسج الربيع نباتها من سندس * موشية بصدائع الالوان
وغد النسيم بها عليلاً هائماً * برؤوعها وتلاطم البحران
يا حسنها والطل يشرفوقها * درراخلال الورد والريحان
وسواعد الانهار قد مدت الى * ندمائها بشقاتي النعمان
وتجاوبت فيها شوادي طيرها * والتفت الاغصان بالاغصان
ما زرتها الا وحياني بها * حديق البهار وأغل السوسان
من بعدها ما أعجبتني بلدة * مع ما حلت به من البلدان

وحكى بعضهم أن بالجامع من مدينة اقلش بلاطافيه جوار من مشورة مربعة مستوية
الاطراف طول الجائزة منها مائة شبر وأحد عشر شبراً وفي الاندلس جبل من شرب من مائه

كثر عليه الاحتلام من غير ارادة ولا تفكر وفيها غير ذلك مما يطول ذكره والله أعلم وانفسك العنان في هذا الباب فان بجزر الاندلس طويل مديد وربما كثر ما للكلام لارتباط بعضه ببعض أو لنقل صاحبه المروى عنه أو لاختلاف ما أو غير ذلك من غرض شديد

❦ (الباب الثاني) ❦

في القضاء الاندلس للمسلمين بالقياد وقتهم معا على يد موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد وصيرورتها ميداناً للسبق الجياد ومحط رحل الارتياح والارتياح وما يتبع ذلك من خير حصل بازديانه ازدياد ونبا وصل اليه اعتياد وتقرر بمثله اعتياد

اعلم انه لما قضى الله سبحانه بتحقيق قول رسوله صلى الله عليه وسلم زويت لي مشارق الارض ومغاربها وسيلغ ملك أمي ما زوى لي منها وقع الخلاف بين لذيريق ملك القوط وبين ملك سبته الذي على مجاز الزقاق فكان مايدكر من فتح الاندلس على يد طارق وطريف ومولاهما الامير موسى بن نصير رحم الله الجميع * وذكر الجباري وابن حبان وغيرهما ان أول من دخل جزيرة الاندلس من المسلمين برسم الجهاد طريف البربري مولى موسى بن نصير الذي ينسب اليه جزيرة طريف التي على المجاز غزاها بمعونة صاحب سبته بليان النصراني لما قدمه على لذيريق صاحب الاندلس وكان في مائة فارس وأربع مائة راجل جاز البحر في أربعة من اصبغ في شهر رمضان سنة احدى وتسعين وانصرف بعزيمة جلية فعقد موسى بن نصير صاحب المغرب لمولاه طارق بن زياد على الاندلس ووجهه مع بليان صاحب سبته انتهى * وسيتأتى في أمر طريف وغيره ما يخالف هذا السياق وهي أقوال * وقال ابن حبان ان أول أسباب فتح الاندلس كان أن ولي الوايد بن عبد الملك موسى بن نصير مولى عمه عبد العزيز على إفريقية وما خلفها سنة ثمان وثمانين فخرج في نفر قليل من المطوعة فلما ورد مصر أخرج معه من جندها بعثا وفعل ذلك في إفريقية وجعل على مقدمته مولاه طارق فاقبل يقاتل البربر ويفتح مدائنهم حتى بلغ مدينة طنجة وهي قصبة بلادهم وأتم مدائنهم فحصرها حتى فتحها وأسلم أهلها ولم تكن فتحت قبله وقبل بل فتحت ثم استغلت * وذكر ابن حبان أيضا استصعب سبته على موسى بن نصير صاحبها الداهية الشجاع بليان النصراني وأنه في أثناء ذلك وقع بينه وبين لذيريق صاحب الاندلس ثم سرد ما يأتي ذكره * وقال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله وحديث الفتح وما من الله به على الاسلام من المنح وأخبار ما أفاء الله من الخير على موسى بن نصير وكتب من جهاد طارق بن زياد بمملول قصاص وأوراق وحديث افول واشراق وارعاد وابراق وعظم امتشاش وآلة معلقة في دكان قشاش انتهى * وقال في المغرب طارق بن زياد من إفريقية * وقال ابن بشكوال انه طارق بن عمرو فتح جزيرة الاندلس ودونها واليه نسب جبل طارق الذي يعرفه العامة بجبل الفتح في قبلة الجزيرة الخضراء ورحل مع سيده بعد فتح الاندلس الى الشام وانقطع خبره انتهى * وقال أيضا ان طارقا كان حسن الكلام يتظم ما يجوز كتبه وأما المعارف السلطانية فيكفيه ولاية ساطنة الاندلس وما فتح فيها من البلاد الى أن وصل سيده موسى بن نصير * ومن تاريخ ابن بشكوال احتل طارق

بالجبل المنسوب اليه يوم الاثنين تلمس خلون من رجب سنة اثنتين وتسعين في اثني عشر
 ألفا غير اثني عشر رجلا من البربر ولم يكن فيهم من العرب الاثنى عشر وانه لما ركب البحر رأى
 وهو قائم النبي صلى الله عليه وسلم وحوله المهاجرون والانصار قد تقلدوا السيوف وتكبدوا
 القسي فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا طارق تقدم لشأنك ونظر اليه والى أصحابه
 قد دخلوا الاندلس قد انه فهب من نومه مستبشرا وبشرا أصحابه وثابت نفسه ببشرا ولم
 يشك في الظفر فخرج من الجبل واقحم بسيط البلد شأن الغارة وأصاب عجوزا من أهل
 الجزيرة فقالت له في بعض قواها انه كان لها زوج عالم بالحديثان فكان يحدثهم عن أمير
 يدخل الى بلادهم هذا فيغلب عليه ويصف من نعمته أنه ضخم الهامة فأنت كذلك ومنها أن
 في كتفه الايسر شامة عليها شعر فأن كانت فيك فأنت هو فكشف ثوبه فاذا بالشامة في كتفه
 على ما ذكرت فاستبشر بذلك ومن معه * ومن تاريخ ابن حبان لما حرض يليان النصراني
 صاحب سبقة للامر الذي وقع بينه وبين صاحب الاندلس موسى بن نصير على غزو الاندلس
 جهزها مولا طارقالمذكور في سبعة آلاف من المسلمين جلهم البربر في أربع سفن وخط
 بجبل طارق المنسوب اليه يوم السبت في شعبان سنة ثمان مائة وكتب تعود حتى توافي
 جميع أصحابه عنده بالجبل قال ووقع على لذريق صاحب الاندلس الخبر وأن يليان السبب
 فيه وكان يومئذ غازيا في جهة البشكنش فبادر في جوعه وهم نحو مائة ألف ذوى عدة وعدد
 وكتب طارق الى موسى بأنه قد زحف عليه لذريق بما لا طاقة له به وكان عمل من السفن عدة
 فجهز له فيها خمسة آلاف من المسلمين فكمالوا عن تقدم اثني عشر ألفا ومعهم يليان صاحب
 سبقة في حشد يديهم على العورات ويتجسس لهم الاخبار وأقبل نحوهم لذريق ومعهم خيار
 العجم وأملأ كهنا وفرسانها وقلوبهم عليه فتلاقوا فيما بينهم وقالوا ان هذا الخبيث غلب على
 سلطاننا وليس من بيت الملك وانما كان من أتباعنا ولسنا نعدم من سيرته خيالا واضطرابا
 وهؤلاء القوم الذين طرقوا الاحاجة لهم في ايطان بلادنا وانما هم ادهم أن يملؤا أيديهم من
 الغنائم ويخرجوا عنا فاهل فلننهزم بآب الخبيثة اذا نحن لقينا القوم فلعلهم يكفوتنا أمره
 فاذا هم انصرفوا عنا أقعدنا في ملكنا من يستحقه فأجمعوا على ذلك انتهى * وقال ابن خلدون
 بعد ذكره أن القوطيين كان لهم ملك الاندلس وأن ملكهم لعهد الفتح يسمى لذريق مانسه
 وكانت لهم خطوة وراء البحر في هذه العدو الجنوبية خطوها من قرصة الجاز بطنجة ومن
 زقاق البحر الى بلاد البربر واستعبدوهم وكان ملك البربر بذلك القطر الذي هو اليوم جبال
 غمارة يسمى يليان فكان يدين بطاعتهم ويعلمهم وموسى بن نصير أمير العرب اذ ذاك عامل على
 افرقية من قبل الوليد بن عبد الملك ومنزله بالقيروان وكان قد أعزى لذلك العهد عساكر
 المسلمين بلاد المغرب الاقصى ودوخ أقطاره وأخضع في جبال طنجة هذه حتى وصل خليج
 الزقاق واستنزل يليان لطاعة الاسلام وخلف مولا طارق بن زياد الليثي واليا بطنجة وكان
 يليان ينقم على لذريق ملك القوط لعده بالاندلس فعلمها زعموا بابنته المناشئة في داره
 على عاداتهم في بنات بطارقتهم فغضب لذلك وأجاز الى لذريق وأخذ ابنته منه ثم لحق بطارق
 فكشف للعرب عورة القوط وداهم على عورة فيهم امكنت طارقالها القرصة فاتهزها لوقته

وأجاز البحر سنة ثنتين وتسعين من الهجرة بأذن أميره موسى بن نصير في نحو ثلثمائة من العرب واحتشد معهم من البربر زهاء عشرة آلاف قصيرهما عسكريين أحدهما على نفسه ونزل به جبل الفتح فسمى جبل طارق به والآخر على طريف بن مالك النخعي ونزل بمكان مدينة طريف فسمى به وأداروا الاسوار على انفسهم للتحصن وبلغ الخبر الى اندريق فنهض اليهم يجر أمم الاعاجم وأهل مله النصرانية في زهاء أربعين ألفاً ورحلوا اليه فالتقوا بفحص شريش فهزمه الله ونقلهم اموال أهل الكفر وورقايمهم وكتب طارق الى موسى بن نصير بالفتح والغنائم فتركته الغيرة وكتب الى طارق يتوعده ان توغل بغير اذنه وبأمره أن لا يتجاوز مكانه حتى يلحق به واستخلف على القيروان ولده عبد الله وخرج معه حبيب بن مندة النهري ونهض من القيروان سنة ثلاث وتسعين من الهجرة في عسكر فغنم من وجوه العرب الموالى وعرفاء البربر ووافى خليج الزقاق ما بين طنجة والجزيرة الخضراء فأجاز الى الاندلس وتلقاه طارق فانتقادوا تبع وأتم موسى الفتح وتوغل في الاندلس الى برشلونة في جهة الشرق وأربونة في الجوف وصنم قادس في الغرب ودوخ أقطارها وجمع غنائمها وأجمع أن يأتي المشرق من ناحية القسطنطينية ويتجاوز الى الشام دروبه ودروب الاندلس ويخوض اليه ما بينهما من أمم الاعاجم النصرانية مجاهداتهم مستلحما لهم الى أن يلحق بدار الخلافة ونهى الخبر الى الوليد فاشتمت قلقه بمكان المسلمين من دار الحرب ورأى أن ما هم به موسى غرر بالمسلمين فبعث اليه بالتوبيخ والانصراف وأسرت الى سفيره أن يرجع بالمسلمين ان لم يرجع وكتب له بذلك عهده ففت ذلك في عزم موسى وقفل عن الاندلس بعد أن انزل الرابطة والحامية بثغورها وأنزل ابنه عبد العزيز لستادها وجهاد عدوها وأنزله بقرطبة فاتخذها داراً مارة واحتل موسى بالقيروان سنة خمس وتسعين وارتحل الى المشرق سنة ست بعد هاجما كان معه من الغنائم والذخائر والاموال على العجل والظهر يقال ان من جملتها ثلاثين ألف رأس من السبي وولى على افريقية ابنه عبد الله وقدم على سليمان بن عبد الملك فسخطه ونكبه وثارت عساكر الاندلس بابنه عبد العزيز باغراء سليمان فقتلوه لستين من ولايته وكان خيرا فاضلا وافتتح في ولايته مدائن كثيرة * وولى من بعده أيوب بن حبيب النخعي وهو ابن اخت موسى بن نصير فولى عليها سنة اشهر ثم تابعت ولاية العرب على الاندلس تارة من قبل الخليفة وتارة من قبل عامله بالقيروان وأثخنوا في أمم الكفر وافتحوا برشلونة من جهة المشرق وحصون قشتالة وبساتنها من جهة الجوف وانقضت أمم القوط وأوى الجلالقة ومن بقي من أمم العجم الى جبال قشتالة وأربونة وأفواه الدروب فتحصنوا بها وأجازت عساكر المسلمين ما وراء برشلونة من دروب الجزيرة حتى احتلوا البساتن وراءها وتوغلوا في بلاد الفرنجة وعصفت ريح الاسلام بأمم الكفر من كل جهة وربما كان بين جنود الاندلس من العرب اختلاف وتنازع أوجد للعدو بعض الكرة فرجع الافرنج ما كانوا غلبوهم عليه من بلاد برشلونة لعهد ثمانين سنة من لدن فتحها واستقر الامر على ذلك وكان محمد بن يزيد عامل افريقية لسليمان ابن عبد الملك لما بلغه مهالك عبد العزيز بن موسى بن نصير بعث الى الاندلس الحر بن عبد الرحمن بن عثمان الثقفي فقدم الاندلس وعزل أيوب بن حبيب وولى سنتين وثمانية أشهر

ثم بعث عمر بن عبد العزيز على الاندلس السمع بن مالك الخولاني على رأس المائة من الهجرة
وأمره أن يخمس أرض الاندلس فخمسمها وبني قنطرة قرطبة واستشهد غازيا بأرض القرطبة
سنة ثنتين ومائة فقدم أهل الاندلس عليهم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي إلى أن قدم عنبة
ابن سحيم الكلبي من قبل يزيد بن أبي مسلم عامل إفريقية فقدمها في صفر سنة ثلاث ومائة
فأقام أمر الاندلس وغزا القرطبة ونوغل في بلادهم واستشهد سنة سبع ومائة لاربع
سنتين وأربعة أشهر ثم تابعت ولاية الاندلس من قبل أمراء إفريقية فكان أولهم يحيى
ابن سلمة الكلبي أنفذه بشر بن صفوان الكلبي وإلى إفريقية لما استدعى منه أهل الاندلس
والبابعد مقتل عنبة فقدمها آخر سنة سبع وأقام في ولايته سنتين ونصف ولم يغزو وقدم
إليه عثمان بن أبي نسعة اللخمي واليا من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السلي صاحب إفريقية
وعزله لخسة أشهر بحذيفة بن الأحوص القيسي فوافاه سنة عشر وعزل قريبا يقال لسنة
من ولايته واختلف هل تقدمه عثمان أو هو تقدم عثمان ثم ولى بعده الهيثم بن عبيد
الكلابي من قبل عبيدة بن عبد الرحمن أيضا قدم في المحرم سنة إحدى عشرة وغزا أرض
مقوشة فافتحها ووفى سنة ثلاث عشرة ومائة لستين من ولايته وقدم بعده محمد بن عبد الله
الاشجعي فولى شهرين ثم قدم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي من قبل عبيد الله بن الحجاب
صاحب إفريقية فدخلها سنة ثلاث عشرة وغزا الأفرنجية وكانت له فيهم وقائع وأصيب
عسكره في رمضان سنة أربع عشرة في موضع يعرف ببلاط الشهداء وبه عرفت الغزوة وكانت
ولايته سنة وثمانية أشهر ثم ولى عبد الملك بن قطن الفهري وقدم في رمضان سنة أربع عشرة
فولى سنتين وقال الواقدي أربع سنين وكان ظلوما جائرا في حكمته وغزا أرض البشكنش
سنة خمس عشرة ومائة فأوقع بهم وغنم ثم عزل في رمضان سنة ست عشرة وولى عقبه بن الحجاج
السلولي من قبل عبيد الله بن الحجاب فأقام خمس سنين محجودا السيرة مجاهدا مظفرا حتى بلغ
سكنى المسلمين أربونة وصار يبايهم على نهر ردونة ثم وثب عليه عبد الملك بن قطن الفهري
سنة إحدى وعشرين فخلعه وقتله ويقال أخرجه من الاندلس وولى مكانه إلى أن دخل بلج
ابن بشر ياهل الشام سنة أربع وعشرين فغلب عليه وولى الاندلس سنة أو نحوها وقال
الرازي ثار أهل الاندلس بأميرهم عقبه في صفر سنة ثلاث وعشرين في خلافة هشام بن
عبد الملك وولوا عليهم عبد الملك بن قطن ولايته الثانية فكانت ولاية عقبه سنة أعوام وأربعة
أشهر ونوفى بقرمونة في صفر سنة ثلاث وعشرين واستقام الأمر لعبد الملك ثم دخل بلج بن بشر
القشيري بجند الشام ناجيا من وقعة كاثوم بن عياض مع البربر علوية فثار على عبد الملك وقتله
وهو ابن سبعين سنة واستوثق له الأمر بعد مقتل عبد الملك وانحاز الفهريون إلى جانب
فامتنعوا عليه وكشفوه واجتمع اليهم من أنكر فعلته بآين قطن وقام بأمرهم قطن وأميه ابن
عبد الملك بن قطن والتفوا فكانت الدائرة على الفهريين وهلك بلج من الجراح التي نالته
في حربهم وذلك سنة أربع وعشرين لسنة أو نحوها من أمارته ثم ولى ثعلبة بن سلامة
الجذامي غلب على أماره الاندلس بعد مهلاك بلج وانحاز عنه الفهريون فلم يطيعوه وولى سنتين
أظهر فيهما العدل ودانت له الاندلس عشرة أشهر إلى أن مات به العصبية في عيانيته ففسد

أمره وهاجت القسنة وقدم أبو الخطار حسام بن ضرار الكبي من قبل حنظلة بن صفوان عامل إفريقية ركب إليها البحر من تونس سنة خمس وعشرين فدان له أهل الاندلس وأقبل إليه ثعلبة وابن أبي نسعة وابنا عبد الملك فلقبهم وأحسن إليهم واستقام أمره وكان شجاعا كريما إذا رأى وحزم وكثر أهل الشام عنده ولم تحملهم قرطبة ففرقهم في البلاد وأنزل أهل دمشق البيرة لشبهها بهم وأسماها دمشق وأنزل أهل حمص أشيلية وأسماها حمص وأهل قسرين جيان وأسماها قسرين وأهل الأردن رية وما لقة وأسماها الأردن وأهل فلسطين شدونة وهي شريش وأسماها فلسطين وأهل مصر تدمير وأسماها مصر وقفل ثعلبة إلى المشرق ولحق عمروان بن محمد وحضر حروبه وكان أبو الخطار أعرايا عصبيا أفرط عند ولايته في التعصب لقومه من اليمانية وتحامل على المضرية وأسطح قيسا وأمر في بعض الأيام بالصميل بن حاتم كبير القيسية وكان من طوالع بلج وهو الصميل بن حاتم بن شمر بن ذى الجوشن ورأس على المضرية فأقيم من مجلسه وتقعق فقال له بعض الحجاب وهو خارج من القصر أقم عمامتك يا أبا الجوشن فقال إن كان لي قوم فسيقومونهم ففسار الصميل بن حاتم أمرهم يومئذ فمهم وأب عليه قومه واستعان بالبحر فبين عنته من اليمانية فخلع أبو الخطار سنة ثمان وعشرين لأربع سنين وتسعة أشهر من ولايته وقدم مكانه ثوابه بن سلامة الجذاعي وهاجت الحرب المشهورة وخاطبوا بذلك عبد الرحمن بن حبيب صاحب إفريقية فكتب إلى ثوابه بعهد على الاندلس منسحل رجب سنة تسع وعشرين فقبض على الاندلس وقام بأمره الصميل واجتمع عليه الفريقان وهلك لسنة من ولايته ووقع الخلاف بإفريقية والثالث أمر بني أمية بالمشرق وشغلوا عن قاصية الثغور بكثرة الخوارج وعظم أمر المسودة فبقي أهل الاندلس فوضى ونصبوا للاحكام خاصة عبد الرحمن بن كثير ثم اتفق جند الاندلس على اقتسام الامارة بين المضرية واليمانية واد التها بين الجندين سنة لكل دولة وقدم المضرية على انفسهم يوسف بن عبد الرحمن الفهري سنة تسع وعشرين واستتم سنة ولايته بقرطبة دار الامارة ثم وافقه اليمانية لميعاد اداتهم واثقين بمكان عهدهم وتراضيههم واتفاقهم فبقيتهم يوسف بمكان نزولهم من شقندة في قرى قرطبة بمالاة من الصميل بن حاتم والقيسية وسائر المضرية فاستلموهم وثار أبو الخطار فقاتله الصميل وهزمه وقتله سنة تسع وعشرين واستبد يوسف بما وراء البحر من عدوة الاندلس وغلب اليمانية على أمرهم فاستكانوا الغلبة وتربصوا بالدوائر إلى أن جاء عبد الرحمن الداخل وكان يوسف ولي الصميل سر قسطة فلما ظهر أمر المسودة بالمشرق ثار الحباب الزهري بالاندلس داعيا لهم وحاصر الصميل بسر قسطة واستبد يوسف فلم يدم رجاءه هلا كدما كان يغص به وأمدته القيسية فأفرج عنه الحباب وفارق الصميل سر قسطة فلكها الحباب وولي يوسف الصميل على طليطلة إلى أن كان من عبد الرحمن الداخل ما كان انتهى كلام ولي الدين بن خلدون ببعض اختصار (وقال بعض المؤرخين) أن عبد الله بن مروان أخ عبد الملك كان واليا على مصر وإفريقية فبعث إليه ابن أخيه الوليد الخليفة بأمره بإرسال موسى بن نصير إلى إفريقية وذلك سنة ٨٧ للهجرة فامثل أمره في ذلك وقال الحميدي في جذوة المقتبس أن موسى بن نصير ولي إفريقية والمغرب سنة ٧٧

فقدوها ومعه جماعة من الجند فبلغه أن بأطراف البلاد من هو خارج عن الطاعة فوجه ولده
عبد الله فأتاه بمائة ألف رأس من السبائيا ثم ولده من وان الى جهة اخرى فأتاه بمائة ألف
رأس * وقال الليث بن سعد بلغ الخمس ستين ألف رأس وقال الصدفي ثم يسمع في الاسلام
يمثل سبائيا موسى بن نصير ووجد اكثر مدن افرريقية خالية لاختلاف أيدي البربر عليها وكانت
البلاد في حط شديد فأمر الناس بالصوم والصلاة واصلاح ذات البين وخرج بهم الى الصحراء
ومعه سائر الحيوانات وفرق بينها وبين أولادها فوقع البكاء والصراخ والضييق وأقام على ذلك
الى منتصف النهار ثم صلى وخطب الناس ولم يذكروا الوليد بن عبد الملك فقيل له ألا تدعو لأمير
المؤمنين فقال هذا مقام لا يدعي فيه لغير الله تعالى فسقوا حتى رءوا ثم خرج موسى غازيا
وتبع البربر وقتل فيهم قتلا ذريعا وسبي سبيا عظيما وسار حتى انتهى الى السوس الادنى
لا يدافعه أحد فلما رأى بقية البربر ما نزل بهم استأمنوا وبذلوا له الطاعة فقبل منهم وولى عليهم
واليا واستعمل على طنجة وأعمالها مولاه طارق بن زياد البربري ويقال انه من الصدف
وترك عنده تسعة عشر ألفا من البربر بالأسلحة والعدة الكاملة وكانوا قد أسلموا وحسن
اسلامهم وترك موسى عندهم خلقا يسير من العرب ليعلموا البربر القرآن وفرائض الاسلام
ورجع الى افرريقية ولم يبق بالبلاد من يتارعه من البربر ولا من الروم ولما استقرت له القواعد
كتب الى طارق وهو بطنجة يأمره بغزو بلاد الاندلس فغزاها في اثني عشر ألفا من البربر
خلال اثني عشر رجلا وصعد على الجبل المنسوب اليه يوم الاثنين خامس رجب سنة ٩٢
وذكر عن طارق أنه كان نائما في المركب وقت التعدي ف رأى النبي صلى الله عليه وسلم
وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد هكذا ذكر ابن بشكوال وقيل ان موسى ندم على تأخره
وعلم أن طارقا ان فتح شيئا نسب الفتح اليه دونه فأخذ في جمع العساكر وولى على القيروان
ابنه عبد الله وتبع طارقا فلم يدركه الا بعد الفتح وقال بعض العلماء ان موسى بن نصير
كان عاقلا شجاعا كريما تقيا لله تعالى ولم يهزم له قط جيش وكان والده نصير على جيوش
معاوية ومنزلته لديه مكينة ولما خرج معاوية لصفين لم يخرج معه فقال له ما منعك من الخروج
معي ولى عندك يد لم تكافئني عليها فقال لم يمكني أن اشكر بكفري من هو أولى بشكري منك
فقال من هو فقال الله عز وجل فأطرق مليا ثم قال استغفر الله ورضي عنه * (رجع الى
حديث طارق) قال بعض المؤرخين كان لذريق ملك الاندلس استخلف عليها شخصيا يقال له
تدمير واليه تنسب تدمير بالاندلس فلما نزل طارق من الجبل كتب تدمير الى لذريق
انه قد نزل بأرضنا قوم لا ندري أم من السماء هم أم من الارض فلما بلغ لذريق ذلك وكان
قصد بعض الجهات البعيدة لغزوله في بعض أعدائه رجع عن مقصده في سبعين ألف فارس
ومعه العجل يحمل الأموال والمتاع وهو على سريره بين دابتين وعليه مظلة مكاله بالدر
والياقوت والزبرجد فلما بلغ طارق قادته قام في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم
حث المسلمين على الجهاد وورعهم ثم قال أيها الناس أين المفر البحر من ورائكم والعدو أمامكم
وليس لكم والله الا الصدق والصبر واعلموا انكم في هذه الجزيرة اضيق من الايتام في مأدبة
الاثام وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته وأقواته وفورة وانتم لا وركم الاسيوفكم

ولا اقوات لكم الا ما تسخا صونه من أيدي عدوكم وان امتدت بكم الايام على اقتداركم ولم
تجزوا لكم أمرا ذهب ربحكم وتوشت القلوب من رعبها منكم الجراءة عليكم فادفعوا
عن انفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمنجرة هذا الطاغية فقد ألفت به اليكم
مد يته الحصينة وان اتها زال الفرصة فيه لممكن ان سمعتم لانفسكم بالموت واني لم احذركم
أمرا آيا عنه بنجوة ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس أبدأ بنفسى واعلموا
انكم ان صبرتم على الاشق قليلا استمتعتم بالارفة الا لظويلا فلا ترغبوا بانفسكم عن نفسى
فما حفظكم فيه بأوفى من حظى وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الخور الحسان من
بنات اليونان الراقلات فى الدر والمرجان والحلل المتسوجة بالعقبان المقصورات فى قصور
الملوك ذوى التيجان وقد اتخبتكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الابطال عربا
ورضيتكم لملوك هذه الجزيرة أصهارا وأختانا ثقة منه بارتياحكم للطعان واستماحكم بمجادلة
الابطال والفرسان ليكون حفظه منكم نواب الله على أعلاه كلمته واظهر دينه بهذه الجزيرة
ولكون مغنمها خالصة لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم والله تعالى ولى المجادكم على
ما يكون لكم ذكر فى الدارين واعلموا انى اول مجيب الى مادعوتكم اليه وأنى عند ملتقى
الجمعين حامل بنفسى على طاعة القوم لذريق فقاتله ان شاء الله تعالى فاحملوا معى فان
هلك بعد فقد كفيتكم أمره ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون امورك اليه وان هلك
قبل وصولى اليه فاخلقوني فى عزيمتى هذه واحملوا بانفسكم عليه واكتفوا اللهم من فتح
هذه الجزيرة بقتله فانهم بعده يخذلون فلما فرغ من تحريض أصحابه على الصبر فى قتال لذريق
وأصحابه وما وعدهم من الخير الجزيل انيسطت نفوسهم وتحققت آمالهم وهبت رياح النصر
عليهم وقالوا له قد قطعنا الآمال مما يخالف ما عزمنا عليه فاحضر اليه فالتامعك وبين يديك
فركب وأصحابه فبا تواليهم فى حرس الى الصبح فلما أصبح الفريقان تكتبوا وعبوا جيوشهم
وجل لذريق وهو على سريره وقد حمل على رأسه رواق ديباج وظلاله وهو مقبل فى غابة من
البنود والاعلام وبين يديه المقاتلة والسلاح وأقبل طارق فى أصحابه عليهم الرزد من فوق
رؤسهم العمام البيض وبأيديهم القسي العربية وقد تقلدوا السيوف واعتقلوا الرماح
فلما نظر اليهم لذريق حلف وقال ان هذه الصورة هى التى رأيناها بيت الحكمة ببلد نافد اخذه
منهم الرعب فلما رأى طارق لذريق قال هذا طاغية القوم فحمل وحمل أصحابه معه فتفرقت
المقاتلة من بين يدي لذريق فخلص اليه طارق فضر به بالسيف على رأسه فقتله على سريره
فلما رأى أصحابه مصرع صاحبهم اقتحم الجيشان وكان النصر للمسلمين ولم تقف هزيمة العدو
على موضع بل كانوا يسلمون ببلد ابدا ومعقلا معقلا ولما سمع موسى بن نصير بما حصل من
النصرة لطارق عبر الجزيرة بمن معه ولحق بمولاه طارق فقال له يا طارق انه ان يجازيك
الوليد بن عبد الملك على بلاك باكثر من أن ينجحك الاندلس فاستبجه هنيئا مريئا فقال له طارق
ايها الأمير والله لا أرجع عن قصدى هذا ما لم ات به الى البحر المحيط أخوض فيه بفرسى يعنى
البحر الشمالى الذى تحت بنات نعش ولم يزل طارق يفتح وموسى معه الى أن بلغ الى جليقية
وهى ساحل البحر المحيط انتهى * (وقال الحافظ الحميدى فى كتابه جذوة المقنيس) ان موسى

خبريت الحكمة

ابن نصير نقيم على مولاه طارق اذ غزا بغير اذنه وهم يقتله ثم ورد عليه كتاب الوليد باطلاقه
فأطلقه وخرج معه الى الشام انتهى وقول اذريق ان هذه الصورة هي التي رأيناها في بيت
الحكمة الخ أشار به الى بيت حكمة اليونان وكان من خبره فيما حكى بعض علماء التاريخ أن
اليونان وهم الطائفة المشهورة بالحكم كانوا يسكنون بلاد الشرق قبل عهد الاسكندر فلما
ظهرت الفرس واستولت على البلاد وزاحت اليونان على ما كان بأيديهم من الممالك انتقل
اليونان الى جزيرة الاندلس لكونها طرفا في آخر العمارة ولم يكن لها ذكر اذ ذاك ولا ملكها
أحد من الملوك المعبرة ولم تكن عامرة وكان أول من عرفها واختطها اندلس بن يافت بن
نوح عليه السلام فسميت باسمه ولما عمرت الارض بعد الطوفان كانت الصورة المعمورة منها
عندهم على شكل طائر رأسه المشرق والجنوب والشمال رجلاه وما بينهما بطنه والمغرب
ذنبه وكانوا يزدرون المغرب لتسبته الى أخس أجزء الطير وكانت اليونان لا ترى فناء الامم
الا بالحروب لما فيه من الاضرار والاشتغال عن العلوم التي كان الاشتغال بها عندهم من أهم
الامور فلذلك انما حازوا من بين يدي الفرس الى الاندلس فلما صاروا اليها أقبلوا على عمارتها
فشقوا الانهار وبنوا المعامل وغرسوا الجنان والكروم وشيدوا الامصار وملأوها حرمنا
ونسلا وبنينا فاعظمت وطابت حتى قال قائلهم لما رأى يهبتها ان الطائر الذي صورته هذه
العمارة على شكله وكان المغرب ذنبه كان طاووسا معظم جماله في ذنبه (وحكى) أن الرشيد
هرون رحمه الله لما حضر بين يديه بعض أهل المغرب قال الرشيد يقال ان الدنيا بمثابة طائر
ذنبه المغرب فقال الرجل صدقوا يا أمير المؤمنين وانه طاووس فضحك أمير المؤمنين الرشيد
وتعجب من سرعة جواب الرجل وانتصاه لقطره (رجع) قال فاعتبط اليونان بالاندلس
أتم اعتباط واتخذوا دار الحكمة والملك بها طليطة لانها أوسط البلاد وكان أهم الامور
عندهم تحصينها عن متصل به خبرها من الامم فنظروا فاذا هو أنه لا يحسدوهم على رغد العيش
الأرباب الشغف والشقاء والتعب وهم يومئذ طائفتان العرب والبربر يخافوهم على
جزيرتهم العامرة فعزموا على أن يتخذوا الهذين الجنسيتين من الناس طلسا فرصدوا ذلك
أرصادا ولما كان البربر بالقرب منهم وليس سوى تعدية البحر ويرد عليهم منهم طوائف منحرفة
الطباع خارجة عن الاوضاع ازدادوا منهم نفورا واكثر تحذره من نسب أو مجاورة حتى
نبت ذلك في طبائعهم وصار بعضهم مركبا في غرائزهم فلما علم البربر عداوة أهل الاندلس وبغضهم
لهم أبغضوهم وحسدوهم فلم تجد أندلسيا الا مبغضا بربريا وبالعكس الا أن البربر أخرج الى
أهل الاندلس لوجود بعض الاشياء عندهم وبقدها بلاد البربر وكان بنواحي غرب الاندلس
ملك يوناني بجيزة يقال لها فادس وكانت له ابنة في غاية الجمال فتسامع بها ملوك الاندلس
وكانت الاندلس كثيرة الملوك لكل بلدة أو بلدتين ملك فخطبوا وخشى أبوها ان زوجها من
واحد أسخط الباقيين فتخبروا وأحضروا ابنته وكانت الحكمة مركبة في طباع القوم ذكورهم
واناثهم ولذا قيل ان الحكمة نزلت من السماء على ثلاثة أعضاء من أهل الارض آدمغة
اليونان وأيدي أهل الصين والسنة العرب فقال لها يا ابنة اني أصبحت على حيرة في أمر لك من
يخطبك من الملوك وما أرضيت واحدا الا أسخطت الباقيين فقالت له اجعل الامر الى تتخلص

فقال وما تقترحين فقالت أن يكون ملكا حكيما فقال نعم ما اخترته لنفسك فكتب في أجوبة الملوك الخطاب أنها اختارت من الأزواج الملك الحكيم فلما وقفوا على الجواب سكنت من لم يكن حكيما وكان في الملوك الخاطبين حليمان فكتب كل واحد منهما أنا الملك الحكيم فلما وقف على كآبهما قال لهما يا بنية بقي الأمر على أشكال وهذان ملكان حليمان أيهما أرضيت أسخطت إلا أن فقلت سأقترح على كل واحد منهما أمر يأتي به فأيهما سبق إلى الفراغ مما التفتت كنت زوجته قال وما الذي تقترحين عليهما قالت أنا سأكون بهذه الجزيرة ومحتاجون إلى أرحى تدور بهما وإني مقترحة على أحدهما إدارتها بالماء العذب الجاري إليها من ذلك البر وهو مقترحة على الآخر أن يتخذ في طلسمات فنجو من به جزيرة الاندلس من البربر فأستظرف أبوها ذلك وكتب إلى الملكين بما قالت ابنته فأجاباه إلى ذلك وتقاسماه على ما اختارا وشرع كل واحد منهما في عمل ما أسند إليه من ذلك فأتم صاحب الرحى قائه عمدا إلى أشكال اتخذها من الحجارة ضد بعضها إلى بعض في البحر المالح الذي بين جزيرة الاندلس والبر الكبير في الموضع المعروف بزقاق سبتة وسد الفرج التي بين الحجارة بما اقتضت حكمته وأوصل تلك الحجارة من البر إلى الجزيرة وأتاه باقية إلى اليوم في الزقاق الذي بين سبتة والجزيرة الخضراء وأكثر أهل الاندلس يزعمون أن هذا أثر قنطرة كان الاسكندر قد عملها ليعبر عليها الناس من سبتة إلى الجزيرة والله أعلم أي القولين أصح غير أن الشائع إلى الآن عند الناس هو الثاني فلما تم تنضيد الحجارة للملك الحكيم جلب الماء العذب من جبل عال في البر الكبير وسلطه من ساقية محكمة وبني بجزيرة الاندلس رحى على هذه الساقية وأتم صاحب الطلسم قائه أبطأ عمله بسبب انقطاع الرصد الموافق لعمله غير أنه عمل أمره وأحكمه وايتنى بنيانا من حجار أبيض على ساحل البحر في رمل عال ج حفر أساسه إلى أن جعله تحت الأرض بمقدار ارتفاعه فوق الأرض ليثبت فلما انتهى البناء المربع إلى حيث اختار صوّر من النحاس الأحمر والحديد المعنى المخلوطين بأحكام الخلط صورة رجلا بربري وله طية وفي رأسه ذؤابة من شعر جعد قائمة في رأسه بلعودتها وهو متأبط بصورة كساة قد جمع طرفيه على يده اليسرى بالطف تصوير وأحكمه في رجلاه نعل وهو قائم من رأس البناء على مستهدف بمقدار رجليه فقط وهو شاهق في الهواء طوله ينف عن ستين أو سبعين ذراعا وهو محدودب الأعلى إلى أن ينتهي ما سمعته قدر ذراع وقدمه يده اليمنى بمفتاح قفل قابض عليه مشيرا إلى البحر كأنه يقول لا عبور وكان من تأثير هذا الطلسم في البحر الذي تجاهه أنه لم يرقط ساكنا ولا كانت تجرى فيه قط سفينة بربر إلا سقط المفتاح من يده وكان الملكان اللذان عملا الرحى والطلسم يتسابقان إلى قراع العمل إذ بالسبق يستحق زواج المرأة وكان صاحب الرحى فرغ أولا لكنه أخفى أمره عن صاحب الطلسم لئلا يترك عمله فيبطل الطلسم لتحظى المرأة بالرحى والطلسم فلما علم باليوم الذي يفرغ صاحب الطلسم في آخره أبحر الماء في الجزيرة من أوله وأدار الرحى واشتهر ذلك فاتصل الخبر بصاحب الطلسم وهو في أعلى القبة يصقل وجهه وكان الطلسم مذهبها فلما تحقق أنه مسبوق ضعفت نفسه فسقط من أعلى البناء ميتا وحصل صاحب الرحى على المرأة والرحى والطلسم وكان

من تقدم من ملوك اليونان يخشى على الاندلس من البربر السبب الذي قد مناد كره فاتفقوا
وجعلوا الطلسمات في أوقات اختاروا ارضها وأودعوا تلك الطلسمات تابوتاً من الرخام
وتركوه في بيت بطليطلة وركبوا على ذلك الباب قفلاناً كيد الحفظ ذلك البيت فاستقر أمرهم
على ذلك والمكان وقت انقراض دولة من كان بالاندلس ودخول العرب والبربر اليها وذلك
بعد مضي ستة وعشرين ملكاً من ملوكهم من تاريخ عمل الطلسمات بطليطلة وكان لذي ريق
المذكور آنفاً هو تمام السابع والعشرين من ملوكهم فلما اقتعد أريكة الملك قال لوزرائه
وخو اص دولته وأهل الرأي منهم قد وقع في نفسي من أمر هذا البيت الذي عليه ستة
وعشرون قفلاً شئ وأريد أن أقفحه لا تطر ما فيه لانه لم يعمل عبثاً فقالوا أيها الملك صدقت انه
لم يصنع عبثاً ولم يقفل سدى والرأي والمصلحة أن تلقى أنت أيضاً عليه قفلاً أسوة بمن تقدمك
من الملوك وكان آباؤك وأجدادك لم يهملوا هذا فلما تم له وسر سيرة هم فقال لهم ان نفسي
تسارعني الى فتحه ولا بد لي منه فقالوا له ان كنت تظن أن فيه مالا فقدره ونحن نجمع لك من
أموالنا نظيره ولا نتحدث علينا بفتح حاد نالنا نعرف عاقبته فأصر على ذلك وكان رجلاً مهيباً
فلم يقدر واعي ما راجعته وأمر بفتح الاقفال وكان على كل قفل مفتاحه معلقاً فلما فتح الباب
لم يبق في البيت شيئاً الا مائدة عظيمة من ذهب وفضة مكللة بالجوهر وعليها مكتوب هذه مائدة
سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ورأى في البيت ذلك التابوت وعليه قفل ومفتاحه
معلق ففتح فلم يجد فيه سوى رقي وفي جوانب التابوت صور فرسان مصورة بأصاغ محكمة
التصوير على أشكال العرب وعليهم الفراء وهم معتمون على ذوائب جعد ومن تحتهم الخيل
العربية وهم متقلدون السيوف المحلاة معقلون الرماح فأمر بنشر ذلك الرق فاذا فيه منى
فتح هذا البيت وهذا التابوت المقلان بالحكمة دخل القوم الذين صورهم في التابوت
الى جزيرة الاندلس وذهب ملكهم منها من أيديهم وبطلت حكمهم فلما سمع لذي ريق ما في الرق
ندم على ما فعل وتحقق انقراض دولتهم فلم يلبث الا قليلاً حتى سمع أن جيشاً وصل من المشرق
جهزه ملك العرب ليفتح بلاد الاندلس انتهى * فهذا هو بيت الحكمة الذي أشار اليه لذي ريق
والله أعلم بحقيقة الامر في ذلك كله على أن في هذا السياق مخافة ما سئذ كره عن بعض
ثقافت مؤرخي الاندلس وغيرهم في شأن المائدة وغيرها وما ذكر في هذه القصة من جلب الماء
من بر العدو الخ فيه بعد عندي لان بلاد الاندلس اكثر بلاد الله مياهاً وأنهاراً وأني تحتاج
الى جلب الماء اليها من العدو الاخرى الا أن يقال ان المرأة أرادت تجيز الرجل بذلك
أو اختيار حكمته حتى يفعل هذا الامر الغريب وعلم الله من وراء ذلك كله وفوق كل
ذي علم عليم ومنتهى العلم الى الله الحكيم (وقال ابن حبان في المقتبس) ذكرنا أن لذي ريق
لم يكن من أبناء الملوك ولا يصحح النسب في القوط وأنه انما نال الملك من طريق الغصب
والتسور عند ما مات غبطة الملك الذي كان قبله وكان أثير الديه مكينا فاستصغراً ولاده
لمكانه واستمال طائفة من الرجال مالوا معه فانتزع الملك من أولاد غبطة واستبقاهم فكانوا
هم الذين دبروا عليه فيما ذكر عند ما في رجال العرب المقتحمين عليه بالاندلس من تلقاء بحر
الزقاق وعليهم طارق بن زياد مولى موسى بن نصير طماعة منهم في أن يودي ويخلص اليهم ملك

أبيهم فالتقوا بموضع يدعى وادي لكه من أرض الجزيرة الخضراء من ساحل الاندلس القبلي
مكان عبورهم وذلك لسبع خلون من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين من الهجرة
فانهزم القوط أعظم هزيمة وقتل ملكهم لذريق وغلبت العرب على الاندلس فصارت أقصى
فتوحهم من أرض المغرب ومصدق موعدتهم صلى الله عليه وسلم الكفيل بفتح ما بين
المشرق والمغرب عليهم يوحى الله تعالى اليه أن يجزه لهم بفتح الاندلس والله القوة قال وقام
بأمر العرب بالاندلس منذ فتحت الأحرار المرسلون منهم عليها من قبل أئمة المسلمين بالمشرق
طوال دولة بني أمية رضى الله تعالى عنهم إلى أن طرأ اليها فلمهم عند غلبة بني العباس عليهم
ودخل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان فملكها وأعاد اليها الدولة
الأموية التي أورثها عقبه حقبة فكانت عدة هؤلاء الأحرار من لدن أولهم طارق بن زياد إلى
آخرهم يوسف بن عبد الرحمن الفهري عشرين عاملا وعدة سنين بالشمس خمس وأربعون
سنة وبالقمر سبع وأربعون سنة غير أشهر انتهى (وقال في موضع آخر) نقلا عن الرازي
وافتح الاندلس في أيام الوليد بن عبد الملك فكان فتحها من أعظم الفتوح الذهبية
بالصيت في ظهور الملة الحنيفة وكان عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليه متهمسا بما معتنيا
بشأنها وقد حوّلها عن تطرؤ إلى إفريقية وجرد اليها عاملا من قبله اختاره لها دلالة على
معنيته بها ووقعت المقاسم فيها عن أمره وبفضل رأيه انتهى (وفي الكتاب الخرائطي وغيره)
سياقة فتح الاندلس على أتم الوجوه فلنذكر ملخصه قالوا استعمل أمير المؤمنين الوليد بن عبد
الملك رحمه الله تعالى موسى بن نصير مولى عمه عبد العزيز بن مروان ويقال بل هو بكرى وذلك
أن أباه نصير أصله من علوج أصابهم خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه في عين التمر فادعواهم
رهن وأنهم من بكرى وائل فصار نصير وصيفا لعبد العزيز بن مروان فأعتقه من هذا يختلف
فيه وقيل أنه نجي وعقد له على إفريقية وما خلفها في سنة ثمان وثمانين فخرج إلى ذلك الوجه
في نفر قليل من المطوعة فلما ورد مصر أخرج معه من جندها بعثا وأتي إفريقية عمله فأخرج
من أهلها معه ذوى القوة والجلد وصير على مقدمته طارق بن زياد فلم يزل يقاتل البربر ويفض
جوعهم ويفتح بلادهم ومدائنهم حتى بلغ طنجة وهي قصبة ملك البربر وأم مدائنهم
فحصرها حتى اقتحها وقيل إنها لم تكن اقتحت قبله وقيل اقتحت ثم ارتجعت فأسلم أهلها
ونخطها قروا نال المسلمين ثم ساروا إلى مدائن على شط البحر فيها عمال لصاحب الاندلس قد غلبوا
عليها وعلى ما حولها ورأس تلك المدائن سبتة وعليها عجل يسمى بليان فآله موسى فألقاهم
في شجرة وقوة وعدة فلم يطقه فرجع إلى مدينة طنجة فأقام بمن معه وأخذ في الغارات على
ما حولهم والتضييق عليهم والسفن تحتلف اليهم بالميرة والامداد من الاندلس من قبل
ملكها غبطة فهم يذبون عن حريمهم ذبا شديدا ويحجمون بلادهم حامية تامة إلى أن هلك
غبطة ملك الاندلس وترك أولاد لم يرضهم أهلها الملك فاضطرب حبل أهل الاندلس
ثم تراضوا بعجل من كبارهم يقال له لذريق مجرب شجاع بطل ليس من بيت أهل الملك إلا أنه من
قوادهم وفرسانهم فولوه أمرهم وكانت طليطلة دار الملك بالاندلس حينئذ وكان بها بيت
مغلق محتاجي الفتح على الأيام عليه عدة من الأقفال يلزمه قوم من ثقات القوط قد وكلوا به

لشلا يشخ وقد عهد الاقل في ذلك الى الاشراف كما قعد منهم ملك اتاه اولئك الموكلون
 بالبيت فآخذوا منه قفلا وصبروه على ذلك الباب من غير أن يزبوا قفل من تقدته فلما قعد
 لذريق هذا وكان متهم بما يقظاذا فكري اتاه الحراس يسألونه أن يقفل على الباب فقال لهم
 لا أفعل أو أعلم ما فيه ولا بد لي من فتحه فقالوا له أيها الملك انه لم يفعل هذا أحد من قبلك
 وتناها عن فتحه فلم يلتفت اليهم ومشى الى البيت فأعظمت ذلك العجم وضرع اليه
 اكبرهم في الكف فلم يفعل وظن أنه بيت مال فقض الاقفال عنه ودخل فأصابه فادغالا شئ
 فيه الا تابوتا عليه قفل فأمر بفتحه بحسب أن مضونه يقتعه نفاسة فألقاه أيضا فارغ ليس
 فيه الا شقة مدرجة قد صورت فيها صور العرب عليهم العمام وتحتهم الخيول العرب متقلدى
 السوف منكبي القسي رافعي الرايات على الرماح وفي أعلاها أسطر مكتوبة بالعجمية
 فقرئت فاذا فيها اذا كسرت الاقفال عن هذا البيت وفتح هذا التابوت فظهر ما فيه من هذه
 الصور فان هذه الامة المصورة في هذه الشقة تدخل الاندلس فتغلب عليها وتملكها فوجم
 لذريق وندم على ما فعل وعظم غمه وغم العجم بذلك وأمر برذالا قفال واقرار الحراس على
 حالهم وأخذ في تدبير الملك وذهل عما أئذ به وقد كان من سيرا كبرا العجم بالاندلس
 وقوادهم أن يعيشوا أولادهم الذين يريدون منفعتهم والتزويج بهم الى بلاد الملك الا كبرا
 بطليطلة ليصيروا في خدمته ويتأدبوا بأدبه وينالوا من كرامته حتى اذا بلغوا أنكح بعضهم
 بعضا استلأقا لا بآبائهم وحمل صدقاتهم وولى تجهيزا ناثم الى أزواجهم فاتفق أن فعل ذلك
 يلبان عامل لذريق على سبته وكانت يومئذ في يد صاحب الاندلس وأهلها على النصرانية
 ركب الطريق بركة بانية له بارعة الجمال تكرم عليه فلما صارت عند لذريق وقعت عينه عليها
 فأعجبته وأحبها حباً شديدا ولم يملك نفسه حتى استكرهها واقتضاها فاحتالت حتى أعلمت آباها
 بذلك سرا بمكاتبة خفية فأحفظه شأنها جدا واشتدت حبه وقال ودين المسيح لازيلن ملكه
 وسلطانه ولا حفرن تحت قدميه فكان امتعاضه من قاحشة ابنته هو السبب في فتح الاندلس
 بالذي سبق من قدر الله تعالى ثم ان يلبان ركب ببحر الزقاق من سبته في أصعب الاوقات في صيف
 قلب الشتاء فصار بالاندلس وأقبل الى طليطلة نحو الملك لذريق فأنكر عليه مجيئه في مثل
 ذلك الوقت وسأله عما لديه وما جاء فيه ولم جاء في مثل وقته فذكر خيرا واعتل بذكر زوجته
 وشدة شوقها الى رؤية بنتها التي عنده وتمنيها لقاءها قبل الموت والخاصة عليها في احضارها وأنه
 أحب اسعافها ورجا بلوغها أميتها منه وسأل الملك اخراجها اليه وتجميل اطلاقه للمبادرة
 بها ففعل وأجاز الجارية وتوثق منها بالكتمان عليه وأفضل على أيها فانقلب عنه وذكروا أنه
 لما ودعه قال له لذريق اذا قدمت علينا فاستقره لنا من الشذات التي لم تزل تطرفنا بها فانها
 اثر جوارحنا لينا فقال له أيها الملك وحق المسيح لئن بقيت لادخلن عليك شذات ما دخل
 عليك مثلها قط عرض له بالذي أضمره من السعي في ادخال رجال العرب عليه وهو لا يظن
 فلم يتهنه يلبان عندما استقر بسبته عمله أن تها للمسير نحو موسى بن نصير الامير فضى نحو
 باقرية وكله في غزو الاندلس ووصف له حسناتها وفضلها وما جمعت من أشنات المنافع وأنواع
 المرافق وطيب المزارع وكثرة الثمار وثرارة المياه وعذوبتها وهون عليه مع ذلك حال رجالها

ووصفهم بضعف البأس وقلة الغناء فشوق موسى الى ما هناك وأخذ بالحزم فيما دعاه اليه
 بليان فعاقدوه على الاتخفاف الى المسلمين واستظهر عليه بأن سامه مكاشفة أهل ملته من
 الاندلس المشركين والاستخراج اليهم بالدخول اليها وشن الغارة فيها ففعل بليان ذلك وجمع
 جمعاً من أهل عمله قد خل بهم في مركبين وحل بساحل الجزيرة الخضراء فأغار وقتل وسبي
 وغنم وأقام بها أياماً ثم رجع بمن معه سالمين وشاع الخبر عند المسلمين فأنسوا بليان واطمأنوا
 اليه وكان ذلك عقب سنة تسعين فكتب موسى بن نصير الى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك
 يخبره بالذي دعاه اليه بليان من أهل الاندلس ويستأذنه في اقتحامها فكتب اليه الوليد
 أن خضها بالسرايا حتى ترى وتختبر شأنها ولا تغزو بالمسلمين في بحر شديد الا هو ال فراجع
 انه ليس بحر زخار وانما هو خليج منه بين للنظر ما خلفه فكتب اليه وان كان قلاباً من
 اختباره بالسرايا قبل اقتحامه فبعث موسى عند ذلك رجلاً من مواليه من البرابرة اسمه
 طريف يكنى أبا زرعة في أربع مائة رجل معهم مائة فرس سار بهم في أربع مراكب فنزل
 بجزيرة تقابل جزيرة الاندلس المعروفة بالخضراء التي هي اليوم معبر سفائهم ودار صناعتهم
 ويقال لها اليوم جزيرة طريف لنزوله بها وأقام بها أياماً حتى التام اليه أصحابه ثم مضى حتى
 أغار على الجزيرة فأصاب سبياً لم ير موسى ولا أصحابه مثله حسناً وما لاجسماً وأمتعته وذلك
 في شهر رمضان سنة إحدى وتسعين فلما رأى الناس ذلك تسرعوا الى الدخول وقيل دخل
 طريف في ألف رجل فأصاب غنائم وسبياً ودخل بعده أبو زرعة شيخ من البرابرة وليس
 بطريف في ألف رجل منهم أيضاً فأصابوا أهل الجزيرة قد تفرقوا عنها فضر مواشيها بالنار
 وحرقوا كنيسة بها كانت عندهم معظمة وأصابوا سبياً سيراً وقتلوا وانصرفوا سالمين وقال
 الرازي هو أبو زرعة طريف بن مالك المغافري الاسم طبق الكنية قالوا ثم عاود بليان
 القدوم على موسى بن نصير فحز كافي الاقتحام على أهل الاندلس وخبر بها كان منه ومن
 طريف وأبي زرعة وما نالوه من أهلها وباشروهم من طيبها فحمد الله على ذلك واستحضر عزمه
 في إخماد المسلمين فيها فقاموا على له كان على مقدمته يسمى طارق بن زياد بن عبد الله فارسي
 همدا نيا وقيل انه ليس بمولى لموسى وانما هو رجل من صدف وقيل مولى لهم وقد كان بعض
 عقبه بالاندلس يشكرون ولاء موسى انكاراً شديداً وقيل انه بربري من نقرة ففقد له موسى
 وبعثه في سبعة آلاف من المسلمين جلهم البربر والموالي وليس فيهم عرب الا قليل ووجه معه
 بليان فها هو بليان المراكب فركب في أربع سفن لاصناعة له غيرها وخط بجبل طارق
 المنسوب اليه يوم سبت في شعبان سنة اثنتين وتسعين في شهر أغسطس ثم صرف المراكب الى
 من خلفه من أصحابه فركب من بقي من الناس ولم تزل السفائن تختلف اليهم حتى نوافي
 جميعهم عنده بالجبل وقيل حل طارق بجبله يوم الاثنين لخمس خلون من رجب من السنة في
 اثني عشر ألفاً غير ستة عشر رجلاً من البرابرة ولم يكن فيهم من العرب الا سيراً جازهم بليان
 الى ساحل الاندلس في مراكب التجار من حيث لم يعلم بهم أولاً ولا وركب أميرهم طارق
 آخرهم قيل وأصاب طارق عجوزاً من أهل الجزيرة فقالت له في بعض قواها انه كان لها زوج
 عالم بالحدثان فيكان يحذتهم عن أمير يدخل الى بلدهم هذا ويغلب عليه ويصف من نعته انه

ضمهم الهامة فانت كذلك ومنها أن في كتفه الايسر شامة عليها شعرفان كانت بك هذه العلامة فانت هو فكشف طارق ثوبه فاذا بالشامة في كتفه على ما ذكرته العجوز فاستبشر بذلك هو ومن معه * وذكرك عن طارق أنه كان نائما في المركب فرأى في منامه النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الاربعة أصحابه عليه الصلاة والسلام يحشون على الماء حتى مروا به فيشره النبي صلى الله عليه وسلم بالفتح وأمره بالرفق بالمسلمين والوقار بالعهد * وقيل انه لما ركب البحر غلبته عينه فكان يرى النبي صلى الله عليه وسلم وحوله المهاجرون والانصار قد تقلدوا السيوف وتشكروا القسي فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا طارق تقدم لشألك وتطرا اليه والى أصحابه قد دخلوا الاندلس قدأمه فهب من ثوبه مستبشرا وبشر أصحابه وثابت اليه نفسه ثقة بشراه فتقويت نفسه ولم يشك في الظفر فخرج من البلد واقتحم بسيط البلاد شانا للغارة فالواو وقع على لذر يق الملك خبر اقحام العرب ساحل الاندلس وتوالى غاراتهم على بلد الجزيرة وأنت يلبان السبب فيها وكان يومئذ غابا بأرض بني لونة في غزاة له الى البشكنس لاهم كان استعجب عليه بناحيتهم فعظم عليه وفهم الامر الذي منه أتى وأقبل مبادرا للقتل في جموعه حتى احتل بمدينة قرطبة من المتوسطة ونزل القصر المدعوي بها يسلط لذر يق المنسوب اليه وليس لانه بناء أو اختراعه وهو بناء من تقدمه من الملوكة اتخذوا ملوكهم في قرطبة اذا أتوها الا أن العرب لما غلبوا لذر يق وهذا القصر من مواطنه نسبوه اليه اذ لم يعرفوا من بناء ويرغم العجم ان الذي بناء ملك منهم كان ساكنا بحصن المدور أسفل قرطبة وخرج يوما تصيد حتى انتهى الى مكان قرطبة وهي يومئذ خراب وكان في موضع قصرها غيضة عليق ملتفة أشبه فأرسل الملك باز ياله يكرم عليه على جملة عنت له من ناحية الكدية المنسوبة بعد الى أبي عبيدة فخبث في ذلك العليق وبلغ البازي في الانقضاض عليها فركض الملك خلفه حتى وقف على مكانه ليخرجه فأمر بقطعها لاستنفاد بازيه ضمامه به فقطعت وبدا له تحتها أساس قصر عظيم راقه رصه وقد كان ذاهمة فأمر بالكشف عنه وتقصى حدوده طولا وعرضا وتتبع أسسه وأصله فوجد مبنيا من وجه الماء بصم الحجارة فوق زرجون وضع بينها وبين الماء باحكم صناعة فقال هذا أثر ملك كريم وأنا أولى من جده فأمر بإعادته الى هيأته واتخذاه منزلا من منازل راحته فكان اذا طاف بعمله أو مضى في متصيد نزل فيه وصار السبب في بناء قرطبة الى جنبه ونزل الناس فيها وتوارث الملوكة قصرها من بعده ونزله لذر يق في زحفه الى العرب أياما والحشود من أعماله تتوالى اليه ثم مضى نحو كورة شدونة يخفى لقاءهم في حشوده الكثيرة * وقيل ان آخر ملوك الاندلس الذين تلتهم العرب غبطة وانه هلك عن أولاد ثلاثة صغار لم يصلحوا للملك فضبطت أمهم عليهم ملك والدم بطليطلة واشحرف لذر يق قائد الخيل والدم فبين تبعه عنهم فصار بقرطبة فلما اقتحم طارق الاندلس نفر اليه لذر يق واستنفر اليه أجناد أهل الاندلس وكسب الى أولاد غبطة وقد ترعرعوا وركبوا الخيل واتخذوا الرجال يدعوهم الى الاجتماع معه على حرب العرب ويحذروهم من القعود عنه ويحضهم على أن يكونوا على عدوهم يدا واحدة فلم يجدوا بدأ وحشدوا وقدموا عليه بقرطبة فنزلوا الكاف قرية شققة بعدوة نهرها قبالة القصر ولم

يطمئنوا الى الدخول على لذريق أخذ بالحزم الى أن استتب جهاز لذريق وخرج فانضموا
اليه ومضوا معه وهم مرصدون لمكروهه والاصح والله أعلم ما سبق أن ملك القوط اجتمع
للذريق واختلف في اسمه فقبل رذريق بالراء أوله وقيل باللام لذريق وهو الاشهر وقيل ان
أصله من أصبهان ويسمى الاشبيان والله أعلم قالوا وعسكر لذريق في نحو مائتا ألف ذوى
عدد وعدة فكتب طارق الى موسى يستعده ويعرفه أن فتح الجزيرة الخضراء فرضة الاندلس
وملك التجار اليها واستولى على أعمالها الى البحيرة وأن لذريق زحف اليه بما لا قبل له به الا أن
يشاء الله وكان موسى منذ وجه طارق قالوجه قد أخذ في عمل السفن حتى صار عنده منها علة
كثيرة فحمل الى طارق فيها خمسة آلاف من المسلمين مدداً كانت بينهم عدة من معه اثني عشر
ألفاً أقوا على المغانم حراصا على اللقاء ومعهم يلبسان المستأمن اليهم في رجاله وأهل عمله
يدلهم على العورات ويتجسس الاخبار وأقبل نحوهم لذريق في جوع العجس واهل كهها
وفرسانها قتلاة واقما بينهم وقال بعضهم لبعض ان هذا ابن الخبيثة قد غلب على سلطتنا وليس
من أهله وانما كان من أتباعنا فلما نعدم من سيرته خبالا في أمرنا وهؤلاء القوم الطارقون
لا حاجة لهم في استيطان بلدنا وانما هم أرادهم أن يملؤا أيديهم من الغنائم ثم يخرجوا عنا فهام
فلتنهزم بابن الخبيثة اذا نحن لقينا القوم لعلمهم يكفوننا ايام فاذا انصرفوا عنا أقعدنا في ملكنا
من يستحقه فأجمعوا على ذلك والقضاء يبرم ما ارتأوه وكان لذريق ولي ميمنة احد ابني
غبطشة وميسرته الآخر فكانا رأسي الذين أداروا عليه الهزيمة وأذاهما الى ذلك طمع
وجوع ملك والدهما اليهما * وقيل لما تقابل الجيشان أجمع أولاد غبطشة على الغدر بلذريق
وأرسلوا الى طارق يعلمونه أن لذريق كان تابعا وخادما لا يسيهم فطلبهم على سلطان به بعد مهلكه
وأنهم غير تاركى حقهم لديه ويسألونه الامان على أن يميلوا اليه عند اللقاء فيمن يتبعهم وأن
يسلم اليهم اذا طفر ضياع والدهم بالاندلس كلها وكانت ثلاثة آلاف ضيعة نفائس مختارة وهي
التي سميت بعد ذلك صفحايا الملوكة فأجابهم الى ذلك وعاقدهم عليه فالتقى الفريقان من الغد
فانحاز الاولاد الى طارق فكان ذلك أقوى أسباب الفتح وكان الاتقاء على وادى لكه من
كورة شدونة فهزم الله الطاغية لذريق وجوعه ونصر المسلمين نصرا لا كفاء له ورمى لذريق
نفسه في وادى لكه وقد أثقلته الجراح فلم يعلم له خبر ولم يوجد * وقيل نزل طارق بالمسلمين قريبا
من عسكر لذريق من سلخ شهر رمضان سنة فوجه لذريق عليا من أصحابه قد عرف بجده
ووثق بياسه ليصرف على عسكر طارق فيجزر عددهم ويعاين هياتهم ومراكبهم فأقبل ذلك
العج حتى طلع على العسكر ثم شدي وجوه من استشرفه من المسلمين فوثبوا اليه فولى منه صفا
راكضا وفاتهم بسبق فرسه فقال العج للذريق أتتلك الصورة التي كنت لك عنها التباوت
نخذ على نفسك فقد جاءك منهم من لا يريد الا الموت أو اصابة ما تحت قدميك قد حرقوا
مراكبهم اياها لانفسهم من العلوب بها وصرفوا في السهل موطنين أنفسهم على الثبات
اذ ليس لهم في أرضنا مكان مهرب فرعب وتضاعف جزعه والتقى العسكران بالبحيرة واقتتلوا
قتالا شديدا الى أن انهزمت ميمنة لذريق وميسرته انهزم بهما ابن غبطشة وثبت القلب
بعدهما قليلا وفيه لذريق فقد رأى أهله بشي من قتال ثم انهزموا ولذريق أمامهم فاستمرت

هزيمتهم وأذرع المسلمون القتل فيهم وخنق أثر لذريق فلا يدري أمره إلا أن المسلمين وجدوا
فرسه الأشهب الذي فقدوه هورا كبه وعليه سرج له من ذهب مكلل بالياقوت والزبرجد
ووجدوا أحد خفيه وكان من ذهب مكلل بالدر والياقوت والزبرجد وقد ساخ الفرس في
طين وسحاة وغرق العلي فثبت أحد خفيه في الطين فأخذ وخنق الآخر وغاب شخص العلي ولم
يوجد حيا ولا ميتا والله أعلم بشأنه (وقال الرازي) كانت الملاقاة يوم الأحد لليلتين يتسلمان
شهر رمضان فاتصلت الحرب بينهما إلى يوم الأحد لخمس خلون من شوال بعده تمة ثمانية أيام
ثم هزم الله المشركين فقتل منهم خلق عظيم أقامت عظامهم بعد ذلك بدهر طويل مليسة
بذلك الأرض قالوا وحاز المسلمون من ~~عسكرهم~~ ما يجبل قدره فكانوا يعرفون كبار العجم
وملوكتهم بخواتم الذهب يجذونها في أصابعهم ويعرفون من دونهم بخواتم الفضة ويميزون
عبيدهم بخواتم النحاس فجمع طارق النى وعجمه ثم اقسمه أهله على تسعة آلاف من المسلمين
سوى العبيد والاتباع وتسامع الناس من أهل بر العدو بالفتح على طارق بالاندلس وسعة
المغانم فيها فأقبلوا نحوهم من كل وجه وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب وقشر
فلحقوا بطارق وارتفع أهل الاندلس عند ذلك إلى الحصون والقلاع وتهاربوا من السهل
ولحقوا بالجبال ثم أقبل طارق حتى نزل بأهل مدينة شذونة فامتنعوا عليه فشد الحصر عليهم
حتى نهكهم وأضرهم فتهايل ففتحها عنوة فحاز منها غنائم ثم مضى منها إلى مدور ثم عطف
على قرمونة فربيعه المنسوبة إليه ثم مال على أشيلية فصالحه أهلها على الجزية ثم نازل أهل
استجة وهم في قوة ومعهم فل ~~عسكر~~ لذريق فقاتلوا قتالا شديدا حتى كثر القتل والجراح
بالمسلمين ثم إن الله تعالى أظهر المسلمين عليهم فأنكسروا ولم يلق المسلمون فيها عدوا يماثلها
وأقاموا على الامتناع إلى أن ظفر طارق بالعلي صاحبها وكان مغتراسي التدبير فخرج إلى النهر
لبعض حاجاته وحده فصادف طارقا هنالك قد أتى لمثل ذلك وطارق لا يعرفه فوثب عليه
طارق في الماء فأخذه وجاء به إلى العسكر فلما كاشفه اعترف له بأنه أمير المدينة فصالحه
طارق على ما أحب وضرب عليه الجزية وخلي سبيله فوفي بما عاهد عليه وقذف الله الرعب
في قلوب الكفرة لما رأوا طارقا يوغل في البلاد وكانوا يحسبون أنه غيبي المغنم عاملا على
القفل فسقط في أيديهم وتطايروا عن السهول إلى المعاقل وصعد ذوو القوة منهم إلى دار
ملكهم طليطلة قيل وكان من أرباب طارق لنصاري الاندلس وحيله أن تقدم إلى أصحابه
في تفصيل لحوم القتلى بحضرة أسراهم وطبخها في القدور يرونهم أنهم يأكلونها فجعل من
انطلق من الأسرى يتحدثون من وراءهم بذلك فتمتلى منه قلوبهم رعبا ويحفلون فرارا قالوا
وقال بليان لطارق قد فضضت جيوش القوم ورعبوا فاصمد لبيضتهم وهؤلاء أدلاء من
أصحابي مهرة ففرق جيوشك معهم في جهات البلاد واعمد أنت إلى طليطلة حيث معظمهم
فاشغل القوم عن النظر في أمرهم والاجتماع إلى أولي رأيهم ففرق طارق جيوشه معهم من
استجة فبعث مغينا الرومي مولى الوليد بن عبد الملك إلى قرطبة وكانت من أعظم مدائنهم في
سبع مائة فارس لأن المسلمين ركبوا جميعا خيل العجم ولم يبق فيهم راجل وفضلت عنهم الخيل
وبعث جيشا آخر إلى مالقة وآخر إلى غرناطة مدينة البيرة وسار هو في معظم الناس إلى كورة

جيان يريد طليطلة وقد قيل ان الذي سار لقرطبة طارق بنفسه لا مغيت قالوا فكمثروا بعدوة
نهر شقندة في غيضة ارض شامخة وأرسلت الادلاء فأمسكوا راعي غنم فستل عن قرطبة فقال
رجل عنها عظماء أهلها الى طليطلة وبقي فيها أميرها في اربع مائة فارس من جناتهم مع ضعفاء
أهلها وستل عن سورها فأخبرانه حصين عال فوق أرضها الا أنه فيه ثغرة ووصفها لهم فلما
أجنهم الليل أقبلوا نحو المدينة ووطأ الله لهم أسباب الفتح بأن أرسل السماء برذاذ أخفى
دقة حوافر الخيل وأقبل المسلمون رويدا حتى عبروا نهر قرطبة ليلا وقد أغفل حرس المدينة
احتراس السور فلم يظهر وأعليه ضيقا بالذي نالهم من المطر والبرد فترجل القوم حتى عبروا
النهر وليس بين النهر والسور الا مقدار ثلاثين ذراعا أو أقل وراموا التعلق بالسور فلم يجدوا
متعلقا ورجعوا الى الراعي في دلائلهم على الثغرة التي ذكرها فأرأهم اياها فاذا بها غير
متسهلة التسلق الا أنه كانت في أسفلها شجرة تين مكنت أقنانها من التعلق بها فصعد رجل
من أشداء المسلمين في أعلاها ونزع مغيت عما منه فتناول طرفها وأعان بعض الناس بعضا
حتى كثروا على السور وركب مغيت ووقف من خارج وأمر أصحابه المرتقين للسور بالهجوم
على الحرم ففعلوا وقتلوا نفرات منهم وكسروا أقفال الباب وفتحوه فدخل مغيت ومن معه
وملكوا المدينة عنوة فصعدوا الى البلاط منزل الملك ومعه أدلاءه وقد باغ الملك دخولهم
المدينة فبادر بالفرار عن البلاد في أصحابه وهم زهاء اربع مائة ونخرج الى كنيسة بقرب
المدينة وتحصن بها وكان الماء يأتيها تحت الأرض من عين في سفح جبل ودافعوا عن أنفسهم
وملك مغيت المدينة وما حولها وقال من ذهب الى أن طارقا لم يحضر فتح قرطبة وأن فاتحها
مغيت أنه كتب الى طارق بالفتح وأقام على محاصرة العلي بالكنيسة ثلاثة أشهر حتى ضاق
من ذلك وطال عليه فتقدم الى أسود من عبيده اسمه رباح وكان ذابأس وتجدد بالكمون
في جنان الى جانب الكنيسة ملتفة الاشجار لعله أن يظفر له بعلي يقف به على خير القوم ففعل
ودعاه ضعف عقله الى أن صعد في بعض تلك الاشجار وذلك أيام التوليحي ما ياكله فبصر به
أهل الكنيسة وشدوا عليه فأخذوه فلكوه وهم في ذلك هائبون له من كرون خلقه
اذ لم يكونوا عاينوا أسود قبله فاجتمعوا عليه وكثرا غطهم وتعجبهم من خلقه وحسبوا أنه
مصروع أو مطلق ببعض الاشياء التي تسود فجردوه وسط جماعتهم وأدنوه الى القناة التي منها
كان يأتيهم الماء وأخذوا في غسله وتدليك بالحبال الحرس حتى أدموه وأغتسوه فاستغلثهم
وأشار الى أن الذي به خلقه من بارئهم عز وجل ففهموا اشارته وكفوا عنه وعن غسله
واشتد فزعهم منه ومكث في اسارهم سبعة أيام لا يتركون التجمع عليه والنظر اليه الى أن
يسر الله له الخلاص ليلا ففروا في الامير مغيتا فخره بشأته وعرفه بالذي اطلع عليه من شأنهم
وموضع الماء الذي يتناولونه ومن اى ناحية يأتيهم فأمر أهل المعرفة بطلب تلك القناة في الجهة
التي أشار اليها الاسود حتى أصابوها فقطعوها عن بريتها الى الكنيسة وسدوا منافذها
فأبقوا بالهلاك حينئذ فدعاهم مغيت الى الاسلام والجزية فأبوا عليه فأوقد النار عليهم
حتى أحرقهم فسميت كنيسة الحرق والنصارى تعظمها الصبر من كان فيها على دينهم مع شدة
البلاء غير أن العلي أميرهم رغب بنفسه عن بليتهم عندا يقان الهلاك ففر عنهم وحده وقد

استخفهم وريام الحاق بطليطلة فبلغ خبره الى مغيث فبادر الركض خلفه وحده فلققه بقرب
قربة تطليطلة هارباً وحده وتحت فرس أصفر ذريع الخطو وحرك مغيث خلفه فالتفت العلي
ودهن لما رأى مغيثاً قد رقه وزاد في حث فرسه فقصر به فسقط عن الفرس وانفق عنقه
فقعد على ترسه مستأسراً قد هاضته السقطة فقبض عليه مغيث وسلبه سلاحه وحبسه
عنده ليقدّم به على أمير المؤمنين الوليد ولم يؤمر من ملوك الاندلس غيره لأن بعضهم استأمن
وبعضهم هرب الى جليقية وفي رواية أن مغيثاً استنزل أهل الكنيسة بعد أسر ملكهم
فضرب أعناقهم جميعاً فنأجل ذلك عرفت بكنيسة الاسرى وأن مغيثاً جمع يهود قرطبة
فضمهم الى مدينتها استئماناً اليهم دون النصارى للعداوة بينهم وأنه اختار القصر لنفسه
والمدينة لأصحابه * وأما من وجه الى مالقة ففتحوها وولجأ علوجها الى جبال هناك متمنعة
ثم لحق ذلك الجيش بالجيش المتوجه الى البيرة فحاصروا مدينتها غرناطة فافتحوها عنوة
وضموا اليهود الى قصبة غرناطة وصار ذلك لهم سنة في كل بلد يفتحونه أن يضموا يهوده الى
القصبة مع قطعة من المسلمين لحفظها ويحضى معظم الناس لغيرها وإذا لم يجدوا يهوداً وفروا
عدد المسلمين المخلفين لحفظ ما فتح ثم صنعوا عند فتح كورة رية التي منها مالقة مثل ذلك ومضى
الجيش الى تدمير وتدمير اسم العلي صاحبها سميت به واسم قصبتها اريولة ولها شأن في المنعة
وكان ملكها علياً داهية وقاتلهم مصيبتاً ثم استقرت عليه الهزيمة في شخصها فبلغ السيف في
أهلها مبلغاً عظيماً فنى أكثرهم ولجأ العلي الى اريولة في يسير من أصحابه لا يغنون شيئاً فأمر
النساء بنشر الشعور وجل القصب والطهور على السور في زى القتال متشبهات بالرجال
وتصدّقن داهن في بقية أصحابه يغالط المسلمين في قوته على الدفاع عن نفسه فكره المسلمون
مراسه لكثرة من عاينوه على السور وعرضوا عليه الصلح فأظهر الميل اليه ونكر زيه فقتل
اليهم بأمان على أنه رسول فصالحهم على أهل بلده ثم على نفسه وتوثق منهم فلما تم له من ذلك
ما أراد عرفهم بنفسه واعتذر اليهم بالبقاء على قومه وأخذهم بالوفاء بعهدهم وأدخلهم
المدينة فلم يجدوا فيها الا العيال والدرية فندموا على الذي أعطوه من الامان واسترجعوه
فيما احتال به ومضوا على الوفاء له وكان الوفاء عادتهم فسلمت كورة تدمير من معرفة المسلمين
بتدبير تدمير وصارت كلها صلحاً ليس فيها عنوة وكتبوا الى أميرهم طارق بالفتح وخلقوا
بقصبة البلاد رجالاً منهم ومضى معظمهم الى أميرهم لفتح طليطلة قال ابن حبان وانهى
طارق الى طليطلة دار ملكة القوط فألفاها خالية قد فر عنها أهلها ولجأوا الى مدينة بها
خلف الجبل فضم اليهود الى طليطلة وخلفهم رجالاً من أصحابه ومضى خلف من قر من
أهل طليطلة فسلك وادى الحجارة ثم استقبل الجبل فقطعه من فج سعى به بعد فبلغ مدينة
المائدة خلف الجبل وهي المنسوبة لسليمان بن داود عليها الصلاة والسلام وهي خضراء من
زبرجد حاقاتها منها وأرجلها وكان لها ثلثمائة وخمسة وستون رجلاً فأحرزها عنده ثم
مضى الى المدينة التي تحصنوا بها خلف الجبل فأصاب بها حلياً ومالاً ورجع ولم يتجاوزها
الى طليطلة سنة ثلاث وتسعين وقيل انه لم يرجع بل اقتحم أرض جليقية واخترقها حتى
اتهى الى مدينة استرقة فدوخ الجهة وانصرف الى طليطلة والله أعلم وقيل أن طارقاً دخل

الاندلس بغير أمر مولاه موسى بن نصير فالتفت إليه وأقامته في القنطرة
وتدويع البلاد إلى أن وصل سيده موسى بن نصير سنة وكن ما سيذكر وأنشد في المسهب
وإبن اليسع في المغرب لطارق من قصيدة قالها في الفتح

وكتبنا سفينا بالبحار مقيرا * عسى أن يكون الله منا قد اشترى

نفوسا وأموالا وأهلا بجنة * إذا ما اشتبهنا الشيء فيها تيسرا

ولسنا نبالي كيف سالت نفوسنا * إذا نحن أدركنا الذي كان أجدرا

قال ابن سعيد وهذه الأبيات مما كتب لمراعاة قائلها ومكاته لاعتق طبعها انتهى * وأما
أولاد غبطة فأنهم لما صاروا إلى طارق بالامان وكانوا سبب الفتح حسبا تقدم قالوا طارق
أنت أمير نفسك أم فوقك أمير فقال بل على رأسي أمير وفوق ذلك الأمير أمير عظيم
فاستأذنه في اللحاق بموسى بن نصير بأفريقية ليؤكده واسيهم به وسأله الكتاب إليه بشأنهم
معه وما أعطاهم من عهد ففعل وصاروا نحو موسى فتلقوه في المنجارية إلى الاندلس بالقرب
من بلاد البربر وعرفوه بشأنهم ووقف على ما خاطبه به طارق في ذمتهم وسابقتهم فأنفذهم إلى
أمير المؤمنين الوليد بالشام بدمشق وكتب إليه بما عرفه به طارق من جميل أثرهم فلما
وصلوا إلى الوليد أكرمهم وأنفذهم عهد طارق في ضياع والدهم وعقد لكل واحد منهم
سجلا وجعل لهم أن لا يقوموا والداخل عليهم فقدموا الاندلس وحازوا ضياع والدهم اجمع
واقسموها على موافقة منهم فصلوا منها لكبرهم ألف ضيعة في غرب الاندلس فسكن من
أجلها أشيلية مقربا منها وصار لارطب باش ألف ضيعة وهو تلو في السن وضياعه في موسطة
الاندلس فسكن من أجلها قرطبة وصار لثالثهم وقله ألف ضيعة في شرقي الاندلس وجهة
الثغر فسكن من أجلها مدينة طابطة فكانوا على هذه الحال صدر الدولة العربية إلى أن
هلك المندك كبيرهم وخلفايته سارة المعروفة بالقوطية وابن صغير بن قيسط يده ارتطباش
على ضياعهم وضمها إلى ضياعه وذلك في خلافة أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك فأنشأت
سارة بنت المندك بكياشيلية حصينا كامل العدة وركبت فيه مع أخويها الصغير بن يزيد
الشام حتى نزلت بعسقلان من ساحلها ثم قصدت باب الخليفة هشام بداره دمشق فأنهت
خبرها وشكت ظلامتها من عمها وتعتبه عليها واحتجت بالعهد المنعقد لآبيها وأخوته على
الخليفة الوليد بن عبد الملك فأوصلها هشام إلى نفسه وأجبه صورها وحزمها وكتب
إلى حنظلة بن صفوان عامله بأفريقية بانصافها من عمها ارتطباش وأما أخوتها على
سنة الميراث فيما كان في يد والدهما مما قاسم فيه أخويه فأنفذها الكتاب بذلك إلى عامله
بالاندلس أبي الخطار ابن عمه فتم لها ذلك وألحقها الخليفة هشام من عيسى بن مزاحم فآتينى
بها بالشام ثم قدم بها إلى الاندلس وقام لها في دفاع عمها ارتطباش عن ضياعها فقال بها نعمة
عظيمة وولده منها ولداه إبراهيم واسحق فادركا الشرف المؤثر والرياسة بأشيلية وشهرا
ونسلاهما بالنسبة إلى أمهم سارة القوطية وكانت أيام وفادتها على الخليفة هشام رأت
عنده حفيدة عبد الرحمن بن معاوية الداخل بعد إلى الاندلس وعرفها فتوسلت إليه لما ملك
الاندلس ووقدت إليه فاعترف بذمامها وأكرمها وأذن لها في الدخول إلى قصره متى جاءت

الى قرطبة فيجد تذكرتها ولا يجيب عياله منها وتوفي زوجها عيسى في السنة التي مات فيها
عبد الرحمن الاندلس فزوجها عبد الرحمن من غير بن سعيد ولكن لها ولا يها الممد وعها
ارطباش في صدر الدولة العربية بالاندلس اخبار ما وكية فيها ما حكاه الفقيه محمد بن عمر
ابن لبابة المالكي انه قصد ارطباش يوما الى منزله عشرة من رؤساء رجال الشاميين فيهم
الصميل وابن الطفيل وأبو عبدة وغيرهم فأجلسهم على الكراسي وبالغ في تكميمهم ودخل
على اثرهم ميمون العابد جدي حرم وكان في عداد الشاميين الا انه كان شديدا لانقباض
عنهم لهدوءه وورعه فلما بصربه ارطباش قام اليه دونهم اعظما ما ورعاه الى كرسيه الذي كان
يجلس عليه وكان ملبسا صفايح الذهب وجذبه ليجلسه مكانه فامتنع عليه ميمون وقعد على
الارض فقعد ارطباش معه عليها وأقبل عليه قبلهم فقال له يا سيدي ما الذي جاء بك الى مني
فقال له ما تسمعه انا قد مننا الى هذا البلد غزاة لحسب ان مقامنا فيه لا يطول فلم نستعد
للمقام ولا كثرنا من العدة ثم حدث بعدنا على مواليينا وفي اجنادنا ما قد ايسرنا معه من
الرجوع الى اوطاننا وقد وسع الله عليك فأحب ان تدفع الى ضياعا من ضياعك اعقرها
بيدي وأودى اليك الحق منها وأخذ الفضل لي طيبا اتعيش منه فقال لا ارضى لك بالمساهمة
بل اذهب لك هبة مسوعة ثم دعا بواكيل له فقال له سلم اليه المحشر الذي لنا على وادي شوش
بما لنا فيه من العبيد والدواب والبقر وغير ذلك وادفع اليه الضبعة التي بحيان فتسلم ميمون
الضبعين وورثهما ولده واليهم نسبت قلعة حرم فشكره ميمون وأثنى عليه وقام عنه وقد انف
الصميل من قيامه اليه فأقبل على ارطباش وقال له كنت اظنك أريج وزنا أدخل عليك وأنا
سيد العرب بالاندلس في أصحابي هؤلاء هم سادة الموالي فلا تريدنا من الكرامة على الاقصاد
على أعوادك هذه ويدخل هذا الصعلوك فتصير من اكرامه الى حيث ميرت فقال له يا أبا
جوشن ان اهل دينك يخبروننا ان أديهم لم يرهفك ولو كان لم تشكر علي ما فعلته انكم
اكرمكم الله انما تكرمون لديناكم وسلطانكم وهذا انما كرمته الله تعالى فقدر وبنينا
عن المسيح عليه السلام انه قال من اكرمه الله تعالى من عبادته بالطاعة له وجبت كرامته على
خلقه فكان انما ألقاه حجرا وكان الصميل أتميا فلذلك عرض به فقال له القوم دعنا من هذه
وانظر فيما قصدنا له فاجتانا حاجة الرجل الذي قصدك فاكرمته فانظر في شأننا فقال له
انتم مالوك الناس وليس برضيكم الا الكثيروها انا اذهب لكم مائة ضبعة تقسمونها عشرة
عشر اكتب لهم بها وأمر وكلاءه بتسليمها اليهم فكان القوم يرونها من أطيب املاكمهم
اتهي قال ابن حبان وغيره ولما بلغ موسى بن نصير ما صنع طارق بن زياد وما اتبع له من
الفتوح حسده وتم بالسير الى الاندلس فعسكر وأقبل نحوها ومعه جماعة الناس
وأعلامهم وقيل انهم كانوا ثمانية عشر ألفا وقيل اكثر فكان دخوله الى الاندلس في شهر
رمضان سنة ثلاث وتسعين وتشكيب الجبل الذي حله طارق ودخل على الموضع المنسوب
اليه المعروف الآن بجبل موسى فلما اجتل الجزيرة الخضراء قال ما كنت لاسيلا
طريق طارق ولا اقفوا أثره فقال له العلو ج الادلاء أصحاب بليان نحن نسلك طريقا
هو أشرف من طريقه وذلك علي مدائن هي أعظم خطرا وأعظم خطارا وأوسع غنا من

مدانسه لم تفتح بعد ففتحها الله عليك ان شاء الله تعالى فلي سرورا وكان شرف طارق قد نحه فساروا به في جانب ساحل شدونة فافتحها عنوة وألقوا بأيديهم اليه ثم ساروا الى مدينة قرمونة وايسر بالاندلس أحسن منها ولا أبعد على من يرومها بحصاراً وقتال قد دخلها بحيلة فوجهت بأصحاب يديان دخلوا اليهم كأنهم قلال وطرقهم موسى بخيلة ليلا فقصوا لهم الباب وأوقعوا بالاحراس فلكت المدينة ومضى موسى الى اشبيلية جارتها فحاصرها وهي اعظم مدائن الاندلس شأنها وأعجبها بنيانا واكثرها آثارا وكانت دار الملك قبل القوطيين فلما غاب القوطيون على ملك الاندلس حوّلوا السلطان الى طليطلة وبقي رؤساء الدين فيها اعنى اشبيلية فامتعت اشهر على موسى ثم فتحها الله عليه فهرب العلوج عنها الى مدينة باجة فضم موسى يهودها الى القصبة وخلف يها رجالا ومضى من اشبيلية الى القشت الى مدينة ماردة وكانت أيضا دار ملكة لبعض ملوك الاندلس في سالف الدهر وهي ذات عز ومنعة وفيها آثار وقصور ومصانع وكائنات جليلة القدر فأتته الوصف فحاصرها أيضا وكان في أهلها منعة شديدة وبأس عظيم فنالوا من المسلمين دفعات وآذوهم وعمل موسى دبابة دب المسلمون فتحها الى برج من أبراج سورها جعلوا يلقبونه قلمقلعوا الحضرة فاضوا بعده الى العمل المدعوق بلسان العجم ألا شه ما شه فثبت عنه معاوهم وعدتهم وثار بهم العدو على غفلة فاستشهد بأيديهم قوم من المسلمين تحت تلك الدبابة فسمى ذلك الموضع برج الشهداء ثم دعا القوم الى السلم فترسل اليه في تقريره قوم من أمثالهم اعطاهم الامان واحتال في توهيبهم في نفسه قد خلوا عليه أول يوم فاذا هو أبيض الرأس واللحية كأنه خضابه فلم يتفق لهم معه أمر وعادوه قبل الفطري يوم فاذا هو قد قنى لحية بالخنا فقامت كضرام عرق فمجبوا من ذلك وعادوه يوم الفطر فاذا هو قد سدّ سدّيته فازداد تعجبهم منه وكانوا لا يعرفون الخضايب ولا استعماله فقالوا القوم هم انا نقاتل أنبياء يتخلقون كيف شاؤوا ويتصوّرون في كل صورة احبوا كان ملكهم شيخا فقد صار شابا والراى أن نقاربه ونعطيه ما يساله فالتابه طاقة فأذعنوا عند ذلك واكبلوا صلحهم مع موسى على أن أموال القتلى يوم الكمين وأموال الهاربين الى جليقية وأموال الكائنات وحليم المسلمين ثم فتحوا له المدينة يوم الفطر سنة أربع وتسعين فلكها ثم ان عجم اشبيلية انتقضوا على المسلمين واجتمعوا من مدينتي باجة ولبلة اليهم فاقعوا بالمسلمين وقتلوا منهم نحو ثمانين رجلا وأتى فلهم الامير موسى وهو بماردة فلما أن فتحها وجه ابنه عبد العزيز بن موسى في جيش اليهم ففتح اشبيلية وقتل أهلها ونهض الى لبلة ففتحها واستقامت الامور فيها هنالك وعلا الاسلام وأقام عبد العزيز باشبيلية وتوجه الامير موسى من ماردة في عقب شوال من العام المؤرخ يريد طليطلة وباغ طارقا خبره فاستقبله في وجوه الناس فلقبه في موضع من كورة طليطلة وقيل ان موسى تقدم من ماردة قد دخل جليقية من فج نسب اليه نقرتها حتى وافى طارق بن زياد صاحب مقدمته بمدينة استرقة فغض منه علانية وأظهر ما بنفسه عليه من حقد والله أعلم وقيل لما وقعت عينه عليه نزل اليه اعظاما له فقتله موسى بالسوط ووجهه على استبداده عليه ومخالفته لرأيه وساروا الى طليطلة فطالبه موسى باداء ما عنده من مال النية وذخائر الملوك

واستجله بالمائدة فأتاه بها وقد خلع من أرجلها رجلان وخبأه عنده فسأله موسى عنه فقال لا أعلم لي به وهكذا أصبحتا فأمر موسى فجعل لها رجل من ذهب جاء به عبد الشبب من أرجلها يظهر عليه العمل ولم يقدر على أحسن منه فأخل بها * وقال ابن الفرضي موسى بن نصير صاحب فتح الاندلس نجي يكنى أبا عبد الرحمن يروي عن تميم الداري وروي عنه يزيد بن مسروق اليحصبي وقيل غزام موسى بن نصير في المحرم سنة ثلاث وتسعين فأتى طنجة ثم عبر على الاندلس فأدأخها لا يأتي على مدينة الافتحها ونزل أهلها على حكمه وسار إلى قرطبة ثم قفل عن الاندلس سنة أربع وتسعين فأتى إفريقية وسار عنها سنة خمس وتسعين إلى الشام يؤتم الوليد بن عبد الملك بجرا الدين باحتماله من غنائم الاندلس من الاموال والامتنعة بحملها على الجبل والظهور ومعه ثلاثون ألف رأس من السبي فلم يلبث أن هلك الوليد بن عبد الملك وولي سليمان فتكبد موسى نكباتا دام إلى المترية فهلك في نكبته تلك بوادي القرى سنة سبع وتسعين (قال ابن حبان) وهذه المائدة المنومة باسمها المنسوبة إلى سليمان النبي عليه الصلاة والسلام لم تكن له فيما يزعم رواية العجم وانما أصلها أن العجم في أيام ملكهم كان أهل الحسبة منهم إذا مات أحدهم أوصى بمال للكنايس فإذا اجتمع عندهم ذلك المال صاغوا منه الآلات الضخمة من الموائد والكراسي وأشياء ههنا من الذهب والفضة تحمل الشماسة والقسوس فوقها مصاحف الاناجيل إذا أبرزت في أيام المناسك ويضعونها على المذابح في الأعياد للمباهاة بزيئها فكانت تلك المائدة بطليطلة مما صيغ في هذه السيل وتأنقت الاملاك في تفخيمها يزيد الآخر منهم على الاول حتى برزت على جميع ما اتخذ من تلك الآلات وطار الذر مطاوه عنها وكانت مصوغة من خالص الذهب مرصعة بفاخر الدر والياقوت والزمر ولم تزل العين مثلهما وبولغ في تفخيمها من أجل دار المملكة وأنه لا ينبغي أن تكون بموضع آلة جمال أو متاع مباهاة الادون ما يكون فيها وكانت توضع على مذبح كنيسة طليطلة فأصابها المسلمون هنالك وطار النبا الفخم عنها وقد كان طارق ظن بموسى أميره مثل الذي فعله من غيرته على ما نهيأ له ومطابته له بتسليم ما في يده إليه فاستظهر باتتباع رجل من أرجل هذه المائدة خبأه عنده فكان من فلبه به على موسى عدوه عند الخليفة اذ تنازعا عنده بعد الاثر في جهادهما ما هو مشهور انتهى * وقال بعض المؤرخين ان المائدة كانت مصنوعة من الذهب والفضة وكان عليها طوق أولو وطوق ياقوت وطوق زمرد وكلها مكاله بالجوهر انتهى * وما ذكره ابن حبان من أن الذي نكبد موسى بن نصير هو سليمان بن عبد الملك صواب وأما ما حكاه ابن خلكان من أن المنكب له الوليد فليس بصحيح والله أعلم * رجع إلى كلام ابن حبان قالوا ثم ان موسى اصطليح مع طارق واطهر الرضا عنه وأقره على مقدمته على رسمه وأمره بالتقدم أمامه في أصحابه وسار موسى خلفه في جيوشه فارتقى إلى النغر الأعلى وافتتح سرقسطة وأعمالها وأوغل في البلاد وطارق أمامه لا يتران بموضع الافتح عليهم ما وغنهما الله تعالى ما فيه وقد ألقى الله الرعب في قلوب الكفرة فلم يعارضهما أحد الا بطلب صلح وموسى يحيى على أثر طارق في ذلك كله ويكمل ابتداءه ويوثق للناس ما عاهدوه عليه فلما صفا القطر كله وطامن نفوس من أقام على سلمه ووطأ لأقدام المسلمين في الحلول به أقام لتمييز ذلك وقتا

وأما المسلمون إلى أفرنجية ففتحوا وغنموا وسلموا وأغلوا وحتى انتهوا إلى وادي
ردونة فكان أقصى أنزل العرب ومنتهى موطنهم من أرض العجم وقد دوت بعوث طارق
وسراياه بلاد أفرنجية فلما كملت مدينتي برشونة وأريونة ومضرة أيبون وحسن لودون على
وادي ردونة فبعدوا عن الساحل الذي منه دخلوا جسدا وذكر أن مسافة ما بين قرطبة
وأريونة من بلاد أفرنجية ثلثمائة فرسخ وخمسة وثلاثون فرسخا وقيل ثلثمائة فرسخ وخمسون
فرسخا ولما أغل المسلمون إلى أريونة ارتاع لهم قارله ملك الأفرنجية بالارض الكبيرة وانزعج
لأنبأ طهم فحشد لهم وخرج عليهم في جمع عظيم فلما انتهى إلى حسن لودون علمت العرب
بكثرة جموعه زالت عن وجهه وأقبل حتى انتهى إلى مضرة أيبون فلم يجد بها أحدا وقد عسكر
المسلمون قد أمداه فيما بين الجبل المجاورة لمدينة أريونة وهم بحال غرة لا عيون لهم ولا طلائع
فما شعروا حتى أحاط بهم عدو الله قارله فاقطعهم عن النجا إلى مدينة أريونة ووضعهم
الحرب فقاتلوا قتالا شديدا استشهد فيه جماعة منهم وحمل بهودهم على صفوفه حتى
اخترقوها ودخلوا المدينة ولأذوا بخصائصها فقتلهم بها إياها ما أصيب له فيها رجال وتعذر
عليه المقام وخامره ذعر وخوف مدد للمسلمين فزال عنهم راحلا إلى بلده وقد نصب في وجوه
المسلمين حصونا على وادي ردونة ~~شكها~~ بالرجال فصيرها نغرا بين بلده والمسلمين وذلك
بالارض الكبيرة خلف الاندلس (وقال الجباري في المسهب) أن موسى بن نصير نصره الله
نصره ما عليه مزيده وأجفلت ملوك النصارى بين يديه حتى خرج على باب الاندلس الذي في
الجبل الحاجر بينها وبين الارض الكبيرة فاجتمعت الأفرنج إلى ملكها الأعظم قارله وهذه
سنة للمسلمين قتالت له ما هذا الخزي الباقي في الأعقاب كأنسمع بالعرب ونخافهم من جهة
مطلع الشمس حتى أنقوا من مغربها واستولوا على بلاد الاندلس وعظيم ما فيها من العدة
والعدد يجمعهم القليل وقلة عدتهم وكونهم لا دروع لهم فقال لهم ما معناه الرأي عندي
أن لا تعرضوهم في خرجتهم هذه فانهم كالسيل يحمل من يصادده وهم في اقبال أمرهم ولهم
نيات تغني عن كثرة العدد وقلوب تنفي عن حصانة الدروع ولكن أمهلوهم حتى غتلي أيديهم
من الغنائم ويتخذوا المسالك ويتنافسوا في الرياسة ويستعين بعضهم ببعض فيمنفذ
تتمكنون منهم بأيسر أمر قال فكان والله كذلك بالفتنة التي طرأت بين الشاميين والبلديين
والبربر والعرب والمضرية واليمانية وصار بعض المسلمين يستعين على بعض من يجاورهم
من الأعداء انتهى • وقيل أن موسى بن نصير أخرج ابنه عبدا الأعلى إلى تدمير ففتحها وإلى
غرناطة ومالقة وكوردونية ففتح الكل وقيل أنه لما حاصر مالقة وكان ملكها ضعيف الرأي
قليل التحفظ كان يخرج إلى جنان له بجانب المدينة طلبا للراحة من غمة الحصار ومن غير نصب
عين وتقديم طليعة وعرف عبدا الأعلى بأمره فآكن له في جنبات الجنة التي كان يتنابها قوما
من وجوه فرسانه ذوي رأي وحزم أرعدوا له ليلًا فظفروا به وملكوه فأخذ المسلمون
البلاد عنوة وملكوا أيديهم غنمية • وقيل ~~كانت~~ نفس موسى بن نصير في ذلك كله تنزعج
إلى دخول دار الكفر بما يقية فيمينا هو يعمل في ذلك ويعذل له إذا تاه مغيب الرومي رسول
الوايد بن عبد الملك ومولاه يأمره بالخروج عن الاندلس والاضراب عن الوغول فيها

ويأخذه بالقبول اليه فساء ذلك وقطع به عن ارادته اذ لم يكن في الاندلس بلد لم تدخله
العرب الى وقته ذلك غير جليقية فكان شديد الحرص على اقتحامها فإلطف موسى مغشاً
رسول الخليفة وسأله انظاره الى أن يتخذ عزمه في الدخول اليها والمسير معه في البلاد أياماً
ويكون شريكاً في الاجر والغنية ففعل ومشي معه حتى بلغ المفازة فافتتح حصن بارو وحصن
لك فاقام هناك وبث السرايا حتى بلغوا صخرة بلال على البحر الا خضر فلم يتبق ككنيسة
الاهدمت ولا ناقوس الا كسر وطاعت الاعاجم فلاذوا بالسلم وبذل الجزية وسكنت العرب
المفاوز وكان العرب والبربر كلما ترقوم منهم عوضع استجسئوه خطوا به ونزلوه فاطنين فأتبع
نطاق الاسلام بأرض الاندلس وخذل الشرك وبنما موسى كذلك في اشتداد الظهور وقوة
الامل اذ قدم عليه رسول آخر من الخليفة ~~بكنى~~ أبانصر أردف به الوليد مغشاً لما استبطأ
موسى في القبول وكتب اليه بوجبه وبأمره بالخروج وألزم رسوله ازعاجه فأنقذ حينئذ
من مدينة لك بجليقية وخرج على الفج المعروف بفج موسى وواقاه طارق في الطريق منصرفاً
من الثغر الاعلى فأقفل مع نفسه ومضاجيعاً ومعهما من الناس من اختار القبول وأقام من
آثر السكنى في مواضعهم التي كانوا قد اختطروها واستوطنوها وقل معهم الرسولان مغشاً
وأبو نصر حتى احتلوا بإشبيلية فاستخلف موسى ابنه عبد العزيز على إمارة الاندلس وأقره
بمدينة اشبيلية لاتصالها بالبحر نظر القرية من مكاره الجمار وركب موسى البحر الى المشرق
بذي الحجة سنة خمس وتسعين وطارق معه وكان مقام طارق بالاندلس قبل دخول موسى سنة
وبعد دخوله سنتين وأربعة أشهر وحمل موسى القنائم والسبي وهو ثلاثون ألف رأس
والمائدة منوهاها ومعهما من الذخائر والجواهر ونفيس الامتعة ما لا يقدر قدره وهو مع ذلك
متلهف على الجهاد الذي فاته أسف على ما لحقه من الازعاج وكان يؤمل أن يحترق ما بقي
عليه من بلاد افريقية ويقطم الارض الكبيرة حتى يصل بالناس الى الشام مؤتلاً أن يتخذ
مخترقه بتلك الارض طريقاً مهيأ يسلكه أهل الاندلس في مسيرهم ومجيئهم من المشرق
واليه على البر لا بحر ~~ك~~ يكون بحراً وقيل انه أوغل في أرض افريقية حتى انتهى الى مفازة
كبيرة وأرض سهلة ذات آثار فأصاب فيها صنماً عظيماً قائماً كالسارية مكتوباً فيه بالنقر
كتابة عربية قرئت فاذا هي يا بني اجمعيل اتهمتم فارجعوا فيها له ذلك وقال ما كتب هذا
الا لهنى كبير فشاووا أصحابه في الاعراض عنه وجوازهم الى ما وراءه فاختلفوا عليه فأخذ
برأى جهورهم وانصرف بالناس وقد أشرفوا على قطع البلاد وتقصى الغاية (وحكى الرازي)
أن موسى خرج من افريقية الى الاندلس في رجب سنة ثلاث وتسعين واستخلف على افريقية
حسن ولده عبد الله بن موسى وكان موسى في عشرة آلاف قال وكان عبد الملك بن مروان
هو الذي أغزى موسى المغرب في خلافة قنقح له في أهل البرابرة فتوح بكار حتى لقد بعث الى
عبد الملك في الخمس بعشرين ألف سبية ثم اردفها بعشرين ألفاً أخرى كل ذلك من البربر
فعجب عبد الملك يومئذ من كثرة ذلك * وزعم ابن حبيب أنه دخل الاندلس رجل واحد من
أصاغر الصحابة وهو المنذر قال ودخلها من التابعين ثلاثة موسى الأمير وعلي بن رباح
الخمى وحمزة بن رباح التميمي وقيل ان ثالثهم انما هو حسن بن عبد الله المعناني منعه

من دخل الاندلس من الصحابة
التابعين رضي الله تعالى عنهم

الشام وأنهم قفلوا عنها بقول موسى وأهل سر قسطة يزعمون أن حشامات عندهم ولم
 يقتل للمشرق وقبره لديهم مشهور بتركون به ولا يختلفون فيه فإله أعلم * وقيل إن التابعين
 أربعة بآبي عبد الرحمن الجبلي الأنصاري واسمه عبد الله بن يزيد والله أعلم وخمسهم بعضهم
 بحيان بن أبي جبلة مولى بني عبد الدار وكان في ديوان مصر فبعث به عمر بن عبد العزيز إلى
 أفرريقية في جماعة من الفقهاء ليفقهوا أهلها وكان روى عن عمرو بن العاص وابن عباس
 وابن عمر وحدث عنه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم وغيره وغزاه مع موسى حين اقتح الاندلس
 وانتهى معه إلى حصن من حصون العدو يقال له قرشونة وقيل بل قفل إلى أفرريقية فتوفي
 بها بعد العشرين ومائة * وقال بعضهم إن بين قرشونة وهذه وبين برشونة مسافة خمسة
 وعشرين يوماً وفيها الكنيسة العظيمة عند الفرج المسماة شنت مريه وقد حكى ابن حبان أن
 فيها سبع سوار من فضة خالصة لم ير إلا من مثلها لا يحيط الإنسان بذراعيه على واحدة
 منها مع طول مفروط * وحسن الصنعاني المذنب كورتا بعي جليل كان مع علي رضي الله
 عنه بالكوفة وقد م مصر بعد قتله فصار عداؤه في المصريين وكان فيمن قام مع ابن الزبير على
 عبد الملك بن مروان فغفاه عنه وكفى الاندلس شرفاً دخوله لها * وعلى بن رباح بصري تابعي
 يكنى أبا عبد الله وهو لحج ولد عام اليرموك سنة خمس عشرة قال ابن معين أهل مصر يقولونه
 بفتح العين وأهل العراق يقولونه بضمها وروى الليث عن ابنه موسى بن علي وكانت له علي بن
 رباح عند عبد العزيز بن مروان مكانة وهو الذي زف ابنته أم البنين لزوجها الوليد ثم عتب
 عليه عبد العزيز فأغزاه أفرريقية * وأما المنبذ الرحابي فلم ينسبه ابن حبيب وذكره ابن عبد
 البر في الصحابة وقال إنه المنبذ الأفرريقي وروى عنه أبو عبد الرحمن الجبلي قال حدثنا
 المنبذ الأفرريقي وكان سكن أفرريقية وكان يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سمعه
 صلى الله عليه وسلم يقول من قال رزيت بالله رباً وبالاسلام ديناً وجمعه صلى الله عليه
 وسلم نبياً فأنا الزعيم له فلا أخذت يده فلا دخلته الجنة ورواه عنه ابن عبد البر بسنده إليه
 وسأني إن شاء الله تعالى في حق المنبذ مزيد بيان * ولما قفل موسى بن نصير إلى المشرق
 وأصحابه سأل مغشاً أن يسلم إليه العلي صاحب قرطبة الذي كان في أساره فامتنع عليه وقال
 لا يؤذيه الخليفة سواي وكان يدل بولائه من الوليد فهجم عليه موسى فانتزعه منه فقبل له
 إن مرت به حيا معك ادعاه مغش والعلي لا يشكر قوله ولا يكتن أضرب عنقه فتعل
 فاضطغها عليه مغش وصاراً لباع طارق الساعى عليه واستخلف موسى على طنجة وما يليها
 من المغرب ابنه الآخر عبد الملك وقد كان كأمراً استخلف بأفرريقية كبراً ولده عبد الله
 فصار جميع الاندلس والمغرب بيد أولاده وابنه عبد الله الذي خلفه بأفرريقية هو الفاتح
 لجزيرة ميورقة وسار موسى فورد الشام واختلف الناس هل كان وروده قبل موت الوليد أو
 بعده فن يقول الثاني قال قدم علي سليمان حين استخلف وكان منحرفاً عليه فسمي إليه طارق
 ومغش بالشككية منه ورمياه بالخيانة وأخبراه بما صنع بهما من خبر المائدة والعلي صاحب
 قرطبة وقال له أنه قد غل جواهر أعظم القدر أصابه ولم تحو الملوكة من بعد فتح فارس مثله
 فلما وافي سليمان وجده ضغينة عليه فأغلظ له واستقبله بالتأنيب والتوبيخ فاعتذره

قوله المنبذ هكذا في بعض
 النسخ وفي بعض المندرجين

ببعض العذر وسأله عن المائدة فأحضرها فقال له زعم طارق انه الذي أصابها دونك قال
 لا وما رأيها قط الا عندى فقال طارق فليسأله أمير المؤمنين عن الرجل التي تنقصها فسأله
 فقال هكذا أصبتها وعوضتها رجلا صنعتها لها فقول طارق يده الى قبائه فأخرج الرجل فعلم
 سليمان صدقه وكذب موسى فحقق جميع ما روى به عنده وعزله عن جميع أعماله وأقصاه
 وحبسه وأمر بتقصي حسابها فأغرمه غرما عظيما كشفه فيه حتى اضطر الى أن يسأل العرب
 معوته فيقال انك اجملت عنه في أعطيتها تسعين ألفا ذهبا وقيل حمله سليمان غرم ما أتى
 ألف فأدى مائة ألف وعجز فاستجار بيزيد بن المهلب أمير سليمان فاستوهبه من سليمان فوهبه
 اياه الا انه عزل ابنه عبد الله عن افریقیة (وقال الرازي) ان الذي ازعم موسى عن الاندلس
 أبو نصر رسول الوليد فقبض على عنانه وثناء فافلا وقفل معه من أحب المشرق وكان أكثر
 الناس قطنوا به لاد الاندلس لطيبها فأقاموا فيها * وذهب جماعة من أهل التاريخ الى
 أن موسى انما قدم على الوليد وأن سليمان ولي العهد لما سمع بقرب موسى بن نصير من دمشق
 وكان الوليد حريضا كتب أي سليمان الى موسى يأمره بالتربص بربا أن يموت الوليد قبل
 قدوم موسى فيقدم موسى على سليمان في أول خلافة يترك الغنائم الكثيرة التي مارق ولا سمع
 مثلها في عظم ذلك مقام سليمان عند الناس فأبى موسى من ذلك ومنعه دينه منه وحدث في السير
 حتى قدم والوليد حتى قسّم له الاخماس والمغانم والتحف والذخائر فلم يمكث الوليد الا يسيرا
 بعد قدوم موسى وتوفي واستخلف سليمان فخذ عليه وأهانته وأمر باقامته في الشمس حتى
 كاد يهلك وأغرمه أموالا عظيمة ودس الى أهل الاندلس بقتل ابنه الذي استخلفه على
 الاندلس وهو عبد العزيز بن موسى وكان تولى الاندلس بعد قتل أبيه عنها باستخلافه اياه
 كما سبق فقبض سلطانها وضم نشرها وسد ثغورها وافتتح في ولايته مدائن كثيرة مما كان قد
 بقي على أبيه موسى منها وكان من خير الولاة الا أن مدته لم تطل لو ثوب الجند به وقتلهم اياه
 عقب سنة خمس وتسعين في خلافة سليمان الموقعة بأبيه موسى لاشياء تقومها عليه منها زعموا
 تزوجه لزوجته لذر بقى المكّة أم عاصم وكانت قد صالحت على نفسها وأموالها وقت الفتح
 وباعت بالجزيرة وأقامت على دينها في ظل نعمتها الى أن نكحها الأمير عبد العزيز فخطبت
 عنده ويقال انه سكن بها في كنيسة باشييلية وانها قالت له لم لا يسجد لك أهل مملكته كما
 كان يسجد للذريق زوجها الاول أهل مملكته فقال لها ان هذا حرام في ديني فلم تقنع منه
 بذلك وفهم لكثرة شغفه بها أن عدم ذلك مما يري بقدره عندها فالتفت باصغير اقباله يجلسه
 يدخل عليه الناس منه فينحنون وأقهمها أن ذلك ان فعل منهم تحية له فرضيت بذلك ففنى الخبر
 الى الجند مع ما انضم الى ذلك من دسيسة سليمان لهم في قتله وقتلوه ما محمدا لله تعالى * وذكر
 بعض المؤرّخين أنهم وجدوا في الخبر بعد ما تقدم من الكتابة التي هي ارجعوا يا بني اسمعيل الخ
 ما معناه وان سألتهم لم ترجعون فاعلموا انكم ترجعون ليضرب بعضكم رقاب بعض انتهى
 (قال ابن حبان) وليحيي بن حكم الشاعر المعروف بالغزال في فتح الاندلس ارجوزة حسنة
 مطولة ذكر فيها السبب في غزوها نظما وتفصيل الوقائع بين المسلمين وأهلها وعداد الامراء
 عليها وأسماءهم فأجاد وتقصي وهي بأيدى الناس موجودة انتهى وقد عرفت بما سبق

تفصيل ما أجمله ابن خلدون والروايات في فتح الاندلس مختلفة وقد ذكرنا نحن بحسب ما اقتضاه الوقت ما فيه كفاية وأشرنا الى بعض الاختلاف في ذلك ولو بسطنا العبارة في الفتح لكان وحده في مجلد أو أكثر وعلم مما ألعنا به من كلام ابن خلدون السابق ذكر الولاية للاندلس من لدن الفتح وهم من قبل بن مروان بالشرق المنفردين بإمامة المسلمين أجمعين قبل تفرقهم الى أن انقضت دولتهم العظيمة التي هي ألف شهر فاقطع الاندلس عن بن العباس الدائنين على بن مروان الناسخين لهم قل الروايتين عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ابن مروان واقعه هادار مملكة مستقلة لنفسه ولا عقابه وجع به شمل بن أمية ومواليهم وأورثها بنيه حقيقة من الدهر بعد أن قاسى في ذلك خطوباً واجتمع عليه ثم على ذريته من بعده أهل الاندلس أجمعون رضاهم دون بن العباس بعد أن حاول بنو العباس ملكها بأن ولو لبعض رؤساء العرب وأمرهم بالقيام على عبد الرحمن والدعاء للعباسيين القاطعين برثومة دولة بن مروان فلم يتيسر ذلك وظفر عبد الرحمن بن نصب له الحرب في ذلك وقتل منهم آلافاً وذلك في مدة المنصور كما سيأتي إن شاء الله تعالى عند ذكر عبد الرحمن الداخل في موضع آخر وسند كرقرياً ولاية الاندلس من حين الفتح الى اماره الداخل وان سبق في كلام ابن خلدون * وقال بعضهم كانت ولادة موسى بن نصير في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٩ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأجل السلام وعلى آله وصحبه اجمعين انتهى * وقال الجحاري في المسهب يحكى أن موسى بن نصير أتى بنفسه على يزيد بن المهلب لمكانه من أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك وطلب منه أن يكلمه في أن يخفف عنه فقال له يزيد أريد أن أسألك فأصغ الى قال سل عما بدا لك فقال له لم ازل أسمع عنك أنك من أعقل الناس وأعرفهم بمكايد الحروب ومداراة الدنيا فقل لي كيف حصلت في يد هذا الرجل بعد ما ملكك الاندلس وألقيت بينك وبين هؤلاء القوم البحر الزخار وتيقنت بعد المرام واستصعابه واستخلصت بلاداً أنت اخترعتها واستملكك رجالاً لا يعرفون غير خيلك وشرك وحصل في يدك من الذخائر والاموال والمعاقل والرجال ما لو أظهرت به الامتناع ما ألقيت عنك في يد من لا يرجحك ثم انك علمت أن سليمان ولي عهد وانه المولى بعد أخيه وقد أشرف على الهلاك لا محالة وبعد ذلك خالفته وألقيت بيدك الى التهلكة وأصبحت مالكاً ومملوكاً قال يعنى سليمان وطارفاً ومارضاً هذا الرجل عنك الا بعيد ولكن لا ألوجهدا فقال موسى يا ابن الكرام ليس هذا وقت تعديداً ما سمعت اذا جاء الحين غطى على العين فقال ما قصدت بما قلت لك تعديداً ولا تبكيكنا وانما قصدت تلقح العقل وتنبه الرأي وأن أرى ما عندك فقال موسى أما رأيت الهدد يرى الماء تحت الارض عن بعد ويقع في الفخ وهو يرى عينه ثم كلم فيه سليمان فكان من جوابه انه قد اشتغل رأسه بما تمكن له من الظهور واتقياد الجهور والتحكم في الاموال والابشار على ما لا يجمعوه الا السيف ولكن قد وهبت لك دمه وأنا بعد ذلك غير رافع عنه العذاب حتى يرتد ما غل من مال الله قال وآلت حاله الى أن كان يطاف به يسأل من أحياء العرب ما يقتل به نفسه وفي تلك الحال مات وهو من أفقر الناس وأذلهم بوادي القرى سائلاً من كان نازلاً به وقال أحد علمائه ممن وفي له في حال الفقر

وانجول بقدر أيتناطوف مع الامير موسى بن نصير على أحياء العرب فراحدا يجيبنا وآخر
يحتجب عنا ولربما دفع اليه على جهة الرجة درهمين والدرهمين فيفرح بذلك الامير ليدفعه
الى الموكلين به فيخففون عنه من العذاب ولقد رأيتنا أيام الفتوح العظام بالاندلس نأخذ
السلوب من قصور النصارى فتفصل منها ما يكون فيها من الذهب وغير ذلك ونرحى به ولاناخذ
الا لدر القاصر فسبحان الذي يبدد العز والذل والغنى والفقر قال وكان له مولى قد وفى له
وصير عليه الى أن ضاق ذرعه بامتداد الحال فعزم على أن يسلمه وهو بوادى القرى في أسوأ
حال وشعر بذلك موسى فخضع للمولى المذكور وقال له يا فلان أتسلمنى في هذه الحالة فقال له
المولى من شدة ما كان فيه من الضجر قد أسلمك خالقك وما لك الذى هو أرحم الراحمين
فدمعت عيناه وجعل يرفعهما الى السماء خاضعا مهيننا بشقيقته فأسفرت تلك الليلة الا عن
قبض روحه رحمة الله عليه فقد كان له من الاثر ما يوجب أن يترحم عليه وأن فعل سليمان به
وبولده وكونه طرح رأس ابنه عبد العزيز الذى تركه نائبا عنه بالاندلس وقد جى به من أقصى
المغرب بين يديه من وصماته التى تعد عليه طول الدهر لاجرم أن الله تعالى لم يمتعه بعده بملكه
وشبابه * وذكر ابن حبان أن موسى كان عربيا فصيحاً وقد سبق من هراجة يزيد بن المهلب
ما يدل على بلاغته ويكفى منها ما ذكره ابن حبان أنه كتب الى الوليد بن عبد الملك فيما هاله
من فتوح الاندلس وغنائمها انها ليست الفتوح ولكنها الحشر * وقال الجارى ان منازعة
جرت بينه وبين عبد الله بن يزيد بن أسيد بمحضر عند عبد الملك بن مروان أبلغاته الى أن قال
شعرا منه

جارت غير سوء في مطاولة * لو نازع الحقل لم ينزع الى حضر

وتقدم ما ذكره غير واحد كابن حبان أن موسى مولى عبد العزيز بن مروان
وكذا ذكره الجارى تجهز مع أم البنين بنت عبد العزيز حين ابنتى بها الوليد بن عبد الملك
فكانت تنمى مكاته عند الوليد الى أن بلغ ما بلغ وأشهر من كان في صحبة موسى بن نصير من
مواليه طارق المشهور بالفتوح العظيمة وطريف وقد جرى ذكرهما في كتابنا هذا بما
اقتضاه الاختصار * وقال ابن سعيد بعد ذكره الخلاف في أن موسى هل هو نجل صريح
أو بالولاء أو بربرى أو مولى لعبد العزيز بن مروان ما صورته وكان في عقبه نياهة في السلطنة
ولى ابنه عبد العزيز سلطنة الاندلس وعبد الملك سلطنة المغرب الاقصى وعبد الله سلطنة
افريقية وذكر الجارى أن أصله من وادى القرى بالجواز وأنه خدم بنى مروان بدمشق
وتنبه شأنه فصرفتوه في ممالكهم الى أن ولى افريقية وما وراءها من المغرب في زمن الوليد بن
عبد الملك فدوخ اقاصى المغرب ودخل الاندلس من جبل موسى المنسوب اليه المجاور لسبتة
ودوخ بلاد الاندلس ثم أوفده الوليد الى الشام فوافق مرضه ثم موته وخلافة أخيه سليمان
فغذبه واستصغى أمواله وآل أمره الى أن وجهه الى قومه بوادى القرى لعلمهم يعطفون
عليه ويؤدون عنه فوات بهم او قد نص ابن بشكوال على انه مات بوادى القرى * أما معارفه
السلطانية فيكفيه ولاية ما خلف مصر الى البحر المحيط بين برى البربر والاندلس وأما الادبية
فقد جاءت عنه بلاغة في النثر والنظم تدخله مع زارته في أصحاب در الكلام وذكر

ابن بشكوال انه من التابعين الذين رووا الحديث وان روايته عن تميم الاداري وذكره في كتب الائمة من المصنفين ابنه وأوعب من أن يخص بذكره واحد منهم وهو غرة التواريخ الاندلسية وذكره الى الآن جديدي في السنن الخاصة والعامة من أهلها ومن مسهب الجاري مكان قد جمع وجه الله من خلال الخير ما اعانه الله سبحانه به على ما بنى له من المجد المشيد والذكر الشهير المخلد الذي لا يليه الليل والنهار ولا يعنى جديده بى الا عصار الا انه كان يغلب عليه ما لا يكاد رئيس يسلم منه وهو الحقد والحسد والمنافسة لا تخالو من ذلك وأنشد بعض الرؤساء وليس رئيس القوم من يحمل الحقد فقلبه الرئيس وقال من يترك الحقد اثم قال ان السيد اذا ترك اضماد الخير والشر والمجازاة عليهما اجترى عليه ونسب للضعف والعقله وهل رأيت صفقة أخسر من غفلة رئيس احقده غيره فتنبى ذلك أو تناساه وعدوه لا يغفل عنه وحاسده لا يتفقه عنده الا الراحة منه وهو فى واد آخر عنه والله در القائل

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا * مضر كوضع السيف فى موضع الندى ولكن الا صوب أن يكون الرأى ميزانا لا يزن الوافى لنقص ولا يزن الناقص لو اف ويدبر أمره على ما يقتضيه الزمان ويقدّر فيه حسن العاقبة * ونص ابن بشكوال على أن موسى ابن نصير مات بوادى القرى سنة سبع وتسعين وغزا الاندلس سنة احدى وتسعين ودخلها سنة ثلاث وتسعين وقفل عنها الى الوليد بن عبد الملك بالغنائم سنة أربع وتسعين وذكر أن ولايته على الاندلس بالمباشرة منذ دخلها الى حين خروجه منها سنة واحدة ومكث فيها مولاة طارق سنة انتهى وقد تقدم شئ من ذلك * وذكر ابن بشكوال أيضا أن ابن حبيب قال عن ربيعة غل الناس كلهم يوم فتح الاندلس الا أربعة نفر فقط كانوا من التابعين حنشر الصنعاني وأبو عبد الرحمن الجبلى وابن شماسه وعياض بن عقبة انتهى * قال ابن سعيد وعن دخل الاندلس من غير هؤلاء الأربعة من التابعين على بن رباح اللخمي وموسى بن نصير فاقع الاندلس وجيان بن أبي جبلة القرشي مولاهم وعبد الرحمن بن عبد الله الغافقي صاحب الاندلس المذكور فى سلاطينها ومحمد بن أوس بن ثابت الانصارى وزيد بن قاصد السكسكى والمغيرة بن أبي بردة الكنانى وعبد الله بن المغيرة الكنانى وحيوة بن رجاء التميمي وعبد الجبار ابن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ومنصور بن خزامة وعلى بن عثمان بن خطاب * وذكر ابن حبيب أن عدة من دخل الاندلس من التابعين سوى من لا يعرف نحو عشرين رجلا * وفى كتاب ابن بشكوال انه دخل الاندلس من التابعين ثمانية وعشرون رجلا وهم اسسوا قبله المسجد الجامع بقرطبة وسمى الجارى فى المسهب هؤلاء المتقدمين * وذكر ابن سعيد أنه لم يتحقق المواضع التى تختص بهؤلاء التابعين من بلاد الاندلس مع جزمه بأنهم هم دخلوا الاندلس وسكنوا بها وسأنى ذكر التابعين الداخلين الاندلس بما هو أشمل من هذا وقد تقدم غلول من عد التابعين من الغنائم * وقال الليث بن سعد بعد ذكره أن طارقا أصاب بالاندلس مغنم كثيرة من الذهب والفضة ان كانت الطنفسة لتوجد منسوجة بقضبان الذهب وتنظم السلسلة من الذهب بالؤلؤ والياقوت والزبرجد وكان البربر رجلا وجدوها فلا يستطيعون

خلوها حتى ياتوا بالقاس فيضربون به وسطها قتيلاً خذاً حدهم نصفها والآخر النصف الآخر
 لنفسه ويسير معهم جماعة والناس مستغلون بعذر ذلك * وعن يحيى بن سعيد لما افتتحت
 الاندلس أصاب الناس فيها غنائم فقلوا منها غلوا كثيراً حمله في المراكب وركبوا البحر
 فسمعوا منادياً يقول اللهم غرق بهم وتقلدوا المصاحف فانشبوا أن أصابتهم ريح عاصف
 وضربت المراكب بعضها بعضاً حتى تكسرت وغرق بهم وأهل مصر يشكرون ذلك ويقولون
 أهل الاندلس ليس هم الذين غرقوا وإنما هم أهل سردانية قاله أعلم بحقيقة الحال * ورأيت
 في بعض كتب التاريخ أنه وجد في طليطلة حين فتحت من الذخائر والاموال ما لا يحصى فمن
 ذلك مائة وسبعون تاجاً من الذهب الأحمر من صعة بالدر وأصناف الحجارة الثمينة ووجد فيها
 ألف سيف ملوكي ووجد فيها من الدر والياقوت الكيال ومن أواني الذهب والفضة
 ما لا يحصى به وصف ومائة سليمان وكانت فيما يذكر من زمردة خضراء وزعم بعض العجم أنها
 لم تكن لسليمان وإنما أصلها أن العجم أيام ملكهم كان أهل الحسنة في دينهم إذا مات أحد
 منهم أوصى بـمال للكائن فإذا اجتمع عندهم مال له قدر صاغوا منه الآلة من الموائد
 العجيبة والكراسي من الذهب والفضة تحمل الشماسة والقسوس فوقها الأناجيل
 في أيام المناسك ويضعونها في الأعياد للمباهاة فكانت تلك المائدة بطليطلة مما صنع
 في هذا السيل وتأنق الملوك في تحسينها يزيد الآخر منهم فيها على الأول حتى برزت على جميع
 ما اتخذ من تلك الآلات وطار الذكر بها كل مطار وكانت مصوغة من الذهب الخالص
 من صعة بفاخر الدر والياقوت والزبرجد وقيل أنها من زبرجدة خضراء حاقاتها وأرجلها
 منها وكان لها ثلثمائة وخمس وستون رجلاً وكانت توضع في كنيسة طليطلة فأصابها طارق
 انتهى وقد ذكرنا فيما مر عن ابن حبان ما فيه نظير هذا وذكرنا فيما مضى من أمر المائدة
 وغيرها ما فيه بعض تخالف وما ذلك إلا لانتقل كلام المؤرخين وإن خالف بعضهم بعضاً
 وحسب أن ذلك كثير الفائدة وبالجملة فالمائدة جليلة المقدار وإن حصل الخلاف في صفتها
 وجنسها وعدد أرجلها وهي من أجل ما غنم بالاندلس على كثرة ما حصل فيها من الغنائم
 المتنوعة الأجناس التي ذكرها إلى الآن شائع بين الناس فأعلم أنه لما استقر قدم أهل
 الاسلام بالاندلس وتنام قوتها صرف أهل الشام وغيرهم من العرب همهم إلى الحلول بها
 فنزل بهم من جرائم العرب وساداتهم جماعة أورثوها أعتابهم إلى أن كان من أمرهم ما كان
 فأما العدائون منهم خندف ومنهم قريش وأما بنوهاشم من قريش فقال ابن غالب في فرجة
 النفس بالاندلس منهم جماعة كلهم من ولد ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي
 ابن أبي طالب ومن هؤلاء بنو جود ملوك الاندلس بعد انتشار ملك بني أمية وأما بنو أمية فمنهم
 خلفاء الاندلس قال ابن سعيد ويعرفون هنالك إلى الآن بالقرشيين وانما عموانهم
 إلى أمية في الآخر لما انصرف الناس عنهم وذكروا أفعالهم في الحسين رضي الله عنه
 وأما بنو زهرة فمنهم باشيلية أعيان مقبزون وأما الخزوميون فمنهم أبو بكر الخزومي الأعمى
 الشاعر المشهور من أهل حصن المدور ومنهم الوزير الفاضل في النظم والنثر أبو بكر بن
 زيد بن ووالده الذي هو أعظم منه أبو الوليد بن زيد بن وزير معتضد بن عباد * قال

ابن غالب وفي الاندلس من ينسب الى جح والى بنى عبد الدار وكثير من قریش المعروفون
 بالفهرين من بنى محارب بن فهر وهم من قریش الطواهر ومنهم عبد الملك بن قطن سلطان
 الاندلس ومن ولده بنو القاسم الامراء الفضلاء وبنو الجدة الاعيان العلماء ومن بنى محارب
 ابن فهر يوسف بن عبد الرحمن الفهرى سلطان الاندلس الذى غلبه عليها عبد الرحمن الاموى
 الداخل وجد يوسف عتبة بن قافع الفهرى صاحب الفتوح يافريقية قال ابن حزم ولهم
 بالاندلس عدد وثروة وأما المنتسبون الى عموم كنانة فكثير وجعلهم فى طائفة وأعمالها ولهم
 ينسب الوقشيون الكنايون الاعيان الفضلاء الذين منهم القاضي أبو الوليد والوزير أبو
 جعفر ومنهم أبو الحسين بن جبير العالم صاحب الرحلة وقد ذكرناه فى محله وأما هذيل بن
 مدركة بن الياس بن مضر فذكر ابن غالب أن منزلهم بجهة أريولة من كورة تدمير وأما عيم
 ابن مرة بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر فذكر ابن غالب أيضا أنهم خلق كثير بالاندلس ومنهم
 أبو الطاهر صاحب المقامات اللزومية وأما ضبة بن أد بن طابخة فذكر أنهم قليلون بالاندلس
 فهؤلاء خندف من العدنانية وأما قيس عيلان بن الياس بن مضر من العدنانية فى الاندلس
 كثير منهم ينتسبون الى العموم ومنهم من ينتسب الى سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة
 ابن قيس كعبد الملك بن حبيب السلمى الفقيه صاحب الامام مالك رضى الله عنه وكالقاضي
 أبي حفص بن عمر قاضي قرطبة ومن قيس من ينتسب الى هوازن بن منصور بن عكرمة
 قال ابن غالب وهم بآشيلية خلق كثير ومنهم من ينتسب الى بكر بن هوازن قال ابن غالب ولهم
 منزل بجوفى بالنسبة على ثلاثة أميال منها وبآشيلية وغيرها منهم خلق كثير ومنهم بنو حزم وهم
 بيت غير البيت الذى منه أبو محمد بن حزم الحافظ الطاهرى وهو فارسى الاصل ومنهم من
 ينتسب الى سعد بن بكر بن هوازن وذكر ابن غالب أن منهم بغرناطة كثيرا كبنى جودى
 وقد رأيت بعض بنى جودى ومنهم من ينتسب الى ساول امرأة نسب اليها بنوها وأبوهم مرة بن
 صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ومنهم من ينتسب الى كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة
 ابن معاوية بن بكر بن هوازن ومنهم من ينتسب الى غير بن عامر بن صعصعة قال ابن غالب وهم
 بغرناطة كثير ومنهم من ينتسب الى قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ومنهم بلج بن
 بشر صاحب الاندلس وآله وبنو رثيق ومنهم من ينتسب الى فزارة بن ذبيان بن بغيض بن
 ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان ومنهم من ينتسب الى اشجع بن ريث بن غطفان ومن
 هؤلاء محمد بن عبد الله الاشجعى سلطان الاندلس وفى ثقيف اختلاف فمنهم من قال انها
 قيسية وأن ثقيفا هو قيس بن منبه بن بكر بن هوازن ومنهم بالاندلس جماعة واليه ينتسب
 الحزبن عبد الرحمن الثقفى صاحب الاندلس وقيل انها من بقايا غودا تهى قيس بن عيلان
 وجميع مضر وأما ربيعة بن زارة فمنهم من ينتسب الى أسد بن ربيعة بن زار قال فى فرجة
 الانفس ان اقليم هؤلاء مشهور باسمهم بجوفى مدينة وادى آش انتهى والاشهر بالنسبة
 الى أسد أبدا بنو أسد بن خزاعة بن مدركة بن الياس بن مضر ومنهم من ينتسب الى محارب
 ابن عمرو بن وديعة بن بكر بن اقصى بن دعى بن جسد بن أسد بن ربيعة قال ابن غالب
 فى فرجة الانفس ومنهم بنو عطية اعيان غرناطة ومنهم من ينتسب الى النمر بن قاسط بن

هنب بن اقصى بن دعي بن جديلة بن أسد كبنى عبد البر الذين منهم المواقظ أبو عمر بن عبد البر
 ومنهم من ينتسب الى تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب كبنى حمديس أعيان قرطبة ومنهم من
 ينتسب الى بكر بن وائل كالبكر بن أصحاب أوتنة وشلطيش الذين منهم أبو عبيد البكري
 صاحب التصانيف انتهت ربيعة * وأما إباد بن زاروق فيقال انه ابن معد والصحيح الاول
 فينتسب اليهم بنو زهر المشهورون بأشيلية وغيرهم انتهت العدنانية وهم الصريح من ولد
 اسمعيل عليه السلام واختلف في القحطانية هل هم من ولد اسمعيل أو من ولد هود على ما هو
 معروف وظاهر صنيع البخاري الاول والاكثر على خلافه والقحطانية هم المعروفون
 باليمانية وكثيرا ما يقع بينهم وبين المضرية وسائر العدنانية الحروب بالاندلس كما كان يقع
 بالمشرق وهم الاكثربالاندلس والملك فيهم ارسخ الاما كان من خلفاء بني أمية فان القرشبة
 قدمتهم على الفرقتين واسم الخلافة لهم بالمشرق وكان عرب الاندلس يتميزون بالعصائر
 والقبائل والبطون والاخذ الى أن قطع ذلك المنصور بن أبي عامر الداهية الذي ملك سلطنة
 الاندلس وقصد بذلك تشتيتهم وقطع التحامهم وتعضيمهم في الاعتزاء وقدم القواد على الاجناد
 فيكون في جند القائد الواحد فرق من كل قبيل فانحسبت مادة القن والاعتزاء بالاندلس
 الاما جاءت على غير هذه الجهة قال ابن حزم جماع أنساب اليمن من جرم بن كهلان وسهير
 ابن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر بن صالح بن أرغش بن سام بن نوح وقيل قحطان ابن
 الهميسع بن تيهان بن نابت بن اسمعيل وقيل قحطان ابن هود بن عبد الله بن رباح بن جارف بن
 عاد بن عموص بن ارم بن سام والخلف في ذلك مشهور ففهم كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب
 ابن قحطان ومنهم الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان واليهم ينتسب محمد بن هاني
 الشاعر المشهور بالبيري وهو من بني المهلب ومن الازد من ينتسب الى غسان وهم بنو مازن
 ابن الازد وغسان ماء شربوا منه وذكر ابن غالب أن منهم بني القليعي من أعيان غرناطة وكثير
 منهم بصالحية قرية على طريق مالقة ومن الازد من ينتسب الى الانصار على العموم وهم الجتم
 الغفير بالاندلس * قال ابن سعيد والعجب أنك تعدم هذا النسب بالمدينة وتجد منه بالاندلس
 في اكثر بلدانها ما يشذ عن العدد كثرة ولقد أخبرني من سأل عن هذا النسب بالمدينة فلم
 يجد منه الا شيخان من الخزرج وبجوزا من الاوس قال ابن غالب وكان جزء الانصار بناحية
 طليطلة وهم اكثر القبائل بالاندلس في شرقها ومغربها انتهى ومن الخزرج بالاندلس
 أبو بكر عباد بن عبد الله بن ماء السماء من ولد سعد بن عباد صاحب رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وهو المشهور بالموشحات والى قيس بن سعد بن عباد ينتسب بنو الاحمر سلاطين
 غرناطة الذين كان لسان الدين بن الخطيب أحد وزراءهم وعليهم انقرض ملك الاندلس من
 المسلمين واستولى العدو على الجزيرة جميعا كما يذكر ومن أهل الاندلس من ينتسب الى الاوس
 أخي الخزرج ومنهم من ينتسب الى عافق بن عك بن عدنان بن ازان بن الازد وقد يقال عك
 ابن عدنان بالنون فيكون أخا معد بن عدنان وليس بصحيح قال ابن غالب من عافق أبو عبد الله
 ابن أبي الخصال الكاتب واكثر جهات شقورة ينتسبون الى عافق ومن كهلان من ينتسب
 الى همدان وهو اوسله بن مالك بن زيد بن اوسله بن الحيار بن مالك بن زيد بن كهلان ومنزل

يحمدان مشهور على ستة أميال من غرناطة ومنهم أصحاب غرناطة بنو أضحى ومن كهلان من
يتنسب إلى مذبح ومذبح اسم الكهنة حرام باليمن وقيل اسم أم مالك وطاي بن ادد بن زيد
ابن كهلان قال ابن غالب بنوسراج الأعيان من أهل قرطبة يتنسبون إلى مذبح ومنزل طاي
بقلي مرسية ومنهم من يتنسب إلى مراد بن مالك بن ادد وحسن مراد بن أشيلية وقرطبة
مشهور قال ابن غالب وأعرف بمراد منهم خلقا كثيرا ومنهم من يتنسب إلى عيسى بن مالك
ابن ادد ومنهم بنو سعيد مصنفو كتاب المغرب وقلعة بني سعيد مشهورة في ملكة غرناطة
ومن مذبح من يتنسب إلى زيد قال ابن غالب وهو من بني سعد العشيرة بن مالك بن ادد
ومن كهلان من يتنسب إلى مرة بن ادد بن زيد بن كهلان قال ابن غالب منهم بنو المتصر
العلماء من أهل غرناطة ومنهم من يتنسب إلى عاملة وهي امرأة من قضاة ولدت للحريث
ابن عدي بن الحريث مرة بن ادد فنسب ولدها منه إليها قال ابن غالب منهم بنو مالك القضاة
من أهل غرناطة وقوم زعموا أن عاملة هو ابن سبابة بن شبيب بن يعرب بن حطان وقيل هم من
قضاة ومن كهلان خولان بن عمرو بن الحريث بن مرة وقلعة خولان مشهورة بين الجزيرة
الناضرة وأشيلية ومنهم بنو عبد السلام أعيان غرناطة ومنهم من يتنسب إلى المعافر بن
يعفر بن مالك بن الحريث بن مرة منهم المتصور بن أبي عامر صاحب الأندلس ومنهم من يتنسب
إلى تلح بن عدي بن الحريث بن مرة منهم بنو عباد أصحاب أشيلية وغيرها وهم من ولد النعمان
ابن المنذر صاحب الحيرة ومنهم بنو الباجي أعيان أشيلية وبنو واقد الأعيان ومنهم من
يتنسب إلى جذام مثل ثوابة بن سلامة صاحب الأندلس وبنو هود ملوك شرق الأندلس
ومنهم المتوكل بن هود الذي صحت له سلطنة الأندلس بعد الموحدين ومنهم بنو مردنيش
أصحاب شرق الأندلس قال ابن غالب وكان بلذام جزء من قلعة رباح واسم جذام عامر واسم
تلح مالك وهما ابنا عدي ومن كهلان من يتنسب إلى كندة وهو ثور بن عفير بن عدي بن
مرة بن ادد ومنهم يوسف بن هرون الرمادي الشاعر ومنهم من يتنسب إلى نجيب وهي امرأة
أشروس بن السكون بن أشروس بن كندة ومن كهلان من يتنسب إلى خشم بن أنمار بن أراش
ابن هرون الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ومنهم عثمان بن أبي نسعة سلطان الأندلس
وقد قيل أنمار بن نزار بن معد بن عدنان انتهت كهلان وأما جبر بن سبابة بن شبيب بن يعرب
ابن حطان فمنهم من يتنسب إلى ذي رعين قال ابن غالب وذو رعين هم ولد عمرو بن جبر في بعض
الأقوال وقيل هو من ولد سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل
ابن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهيثم بن جبر قال ومنهم أبو عبد الله
الحساط الأعشى الشاعر قال الحارثي في كتاب النسب واسم ذي رعين عريم بن زيد بن سهل
ووصل النسب ومنهم من يتنسب إلى ذي أصبح قال ابن حزم هو ذو أصبح بن مالك بن زيد من
ولد سبابة الأصغر بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس ووصل النسب وذكر الحارثي أن ذا أصبح
من كهلان وأخبر أن منهم مالك بن أنس الإمام والمشهور أنهم من جبر والأصمعيون من
أعيان قرطبة ومنهم من يتنسب إلى يحيى قال ابن حزم أنه أخو ذي أصبح وهم كثير بقلعة
بني سعيد وقد تعرف من أجلاهم في التواريخ الأندلسية بقلعة يحيى ومنهم من يتنسب

قوله الحساط في بعض النسخ
أبو عبد الله بن الحياط اهـ

الى هواز بن عوف بن عبد شمس بن وائل بن القوث قال ابن غالب ومنزلهم بشرق اشبيلية
والهواز بنون من أعيان اشبيلية * ومنهم من ينتسب الى قضاة بن مالك بن حيدر وقد قيل
لله قضاة بن معاذ بن عدنان وابس برضى * ومن قضاة من ينتسب الى مهرة كالوزير أبي
بكر بن عمار الذي وثب على ملك مرسية وهو مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاة
* ومنهم من ينتسب الى خشين بن تنوخ قال ابن غالب وهو ابن مالك بن فهم بن بخر بن وبرة
ابن تغلب قال الحارمي تنوخ هو مالك بن فهم بن تيم الله بن اسد بن وبرة * ومنهم من
ينتسب الى بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاة ومنهم البلويون الاشبيلية * ومنهم من ينتسب
الى جهينة بن اسود بن أسلم بن عمرو بن الحاف بن قضاة قال ابن غالب وبقرطبة منهم
جماعة * ومنهم من ينتسب الى كاب بن وبرة بن تغلب بن حلوان كبنى أبي عبدة الذين منهم
بنو جهور وملوك قرطبة ووزراؤها * ومنهم من ينتسب الى عذرة بن سعد هذيم بن زيد بن
اسود بن أسلم بن عمرو بن الحاف بن قضاة * ومنهم أعيان الجزيرة الخضراء بنو عذرة * ومن
أهل الاندلس من ينتسب الى حضرموت منهم الحضرميون بمرسية وغرناطة واشبيلية
وبطلموس وقرطبة قال ابن غالب وهم كثير بالاندلس وفيه خلاف قيل ان حضرموت
هو ابن قحطان وقيل هو حضرموت بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن
القوث بن حيدان بالجسيم بن قطن بن العريب بن الفرز بن نبت بن أيمن بن الهبيس بن حيدر
كذا نسق النسب الحارمي * ومن أهل الاندلس من ينتسب الى سلمان ومنهم الوزير لسان
الدين بن الخطيب حسان كوفي محله * وقد رأيت أن أسرد هنا أسماء ملوك الاندلس من لدن
الفتح الى آخر ملوك بني أمية وان تقدم ويأتي ذكر جملة منهم بما هو أتم مما هنا فنقول طارق
ابن زياد مولى موسى بن نصير ثم الامير موسى بن نصير وكلاهما لم يتخذ مريرا للسلطنة
ثم عبد العزيز بن موسى بن نصير ومريه اشبيلية ثم أيوب بن حبيب اللخمي ومريه قرطبة
وكل من يأتي بعده فيسريه قرطبة والزهراء والزاهرة بجانيها الى أن انقضت دولة
بني مروان على ما ينسب عليه ثم الحارث بن عبد الرحمن الثقفي ثم السمع بن مالك الخولاني
ثم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي ثم عنبسة بن محميد الكلبي ثم عذرة بن عبد الله الفهري
ثم يحيى بن سلمة الكلبي ثم عثمان بن أبي نسعة الخثعمي ثم حذيفة بن الاحوص القيسي
ثم الهيثم بن عبيد الكلبي ثم محمد بن عبد الله الاشجعي ثم عبد الملك بن قطن الفهري ثم بلج
ابن بشر بن عياض القشيري ثم ثعلبة بن سلامة العاملي ثم أبو الخطار بن ضرار الكلبي
ثم ثوابة بن سلامة الجذامي ثم يوسف بن عبد الرحمن الفهري وههنا انتهى الولاة الذين
ملكوا الاندلس من غير موارثة افراد اعددهم عشرون فيما ذكر ابن سعيد ولم يتعدوا
في السجدة لفظ الامير * قال ابن حبان مدهم منذ تاريخ الفتح من اذريق سلطان الاندلس
النصراني وهو يوم الاحد لخمس خلون من شوال سنة اثنتين وتسعين الى يوم الهزيمة على
يوسف بن عبد الرحمن الفهري وتغلب عبد الرحمن بن معاوية المرواني على مريه الملك قرطبة
وهو يوم الاضحى لعشر خلون من ذي الحجة سنة ثمان وثلاثين ومائة ست وأربعون سنة
وخسة أيام انتهى * ثم كانت دولة بني أمية أولهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد

مطلبه
في ذكر أسماء ملوك الاندلس
من لدن الفتح الى آخر ملوك
بني أمية اجمالا

الملك ثم ابنه هشام الرضى ثم ابنه الحكم بن هشام ثم ابنه عبد الرحمن الاوسط ثم ابنه محمد بن عبد الرحمن ثم ابنه المنذر بن محمد ثم أخوه عبد الله بن محمد ثم ابن ابنه عبد الرحمن الناصر ابن محمد بن عبد الله ثم ابنه الحكم المستنصر وكرسيهما الزهراء ثم هشام بن الحكم وفي أيامه بن حاجبه المنصور بن أبي عامر الزهراء ثم المهدي محمد بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر وهو أول خلفاء الفتن وهدمت في أيامه الزهراء وعاد السريبر إلى قرطبة ثم المستعين سليمان بن الحكم بن سليمان بن الناصر ثم تخلت دولة بني جود العلويين وأولهم الناصر علي بن جود العلوي الادويسي ثم أخوه المأمون القاسم بن جود ثم كانت دولة بني أمية الثانية وأولها المستظهر عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر ثم المستنفي محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله ثم المعتمد هشام بن محمد بن عبد الملك بن الناصر وهو آخر خلفاء الجماعة بالاندلس وحين خلع اسقط ملوك الاندلس الدعوة للخلافة المروانية واستبدت ملوك الطوائف كابن جهور في قرطبة وابن عباد باشبيلية وغيرهما ولم يعد نظام الاندلس إلى شخص واحد إلى أن ملكها يوسف بن تاشفين الملقب من بر العدو وقتل في ملوك الطوائف وبعد ذلك ما خلاصت له ولا لولده علي بن يوسف لأن بني هود نازعوه في شرقها بالتغري إلى أن جاءت دولة عبد المؤمن وبنه فاصفت لعبد المؤمن بمحمد بن مردنيش الذي كان ينازعه في شرق الاندلس ثم صفت ليوسف بن عبد الرحمن بموت ابن مردنيش ثم لمن بعده من بنيه وحضرته ثم مراكش وكانت ولايتهم تتردد على الاندلس وممالكها ولم يولوا على جميعها شخصا واحدا العظم بمالكها إلى أن انقرضت منها دولتهم بالمتوكل محمد بن هود من بني هود ملوك سرقسطة وجهات تلك معظم الاندلس بحيث يطلق عليه اسم السلطان ولم ينازعه فيها الازيان بن مردنيش في بلنسية من شرق الاندلس وابن هلال في طليطلة من غرب الاندلس ثم كثرت عليه الخوارج قريب موته ولما قتله وزيره ابن الرميى بالمريية زاد الامر إلى أن ملك بنو الاحمر وكان غرب أهل الاندلس في المائة السابعة يخطبون لصاحب افريقية السلطان أبي زكرياء يحيى بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص ثم تقلصت تلك الظلال ودخل الجزيرة الانحلال إلى أن استولى عليها حزب الضلال والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين * (وقد ذكرت) في هذا الكتاب جملة من أخبار ملوك الاندلس مما يصلح للمذاكرة وربما سرحت طرف القلم في بعضهم وبنو جهور المشار اليهم قريبا كانوا وزراء الامويين ثم انما انت رسل الخلافة استبدت بقرطبة الوزير أبو الحزم بن جهور من غير أن يتعدى اسم الوزارة * قال في المطمح الوزير الاجل جهور بن محمد بن جهور أهل بيت وزارة اشتهروا كاشتهار ابن هبيرة في وزارة وأبو الحزم امجدهم في المكرمات وأنجدهم في الملمات ركب متون الفنون فراضها ووقع في بحور المحن فخاضها منبسط غير منهك مش لا طائش اللسان ولا رعش وقد كان يزر في الدولة العاصرية فتعرفت بجلاله واعترفت باستقلاله فلما انقرضت وعاقبت الفتن واعترضت تحيز عن التدبير مدتها وخلي خلافة أعباء الخلافة وشدها وجعل يقبل مع أولئك الوزراء ويدبر ويدبر الامر معهم ويدبر غير مظهر للانفراد ولا متصرف في ميدان ذلك الطراد إلى أن بلغت الفتن مداها

وسوغت ماشاءت رداها وذهب من كان يجتدي الرياسة ويحب ويسعى في الفتنة ويدب
ولما ارتفع الوبال وأدبر ذلك الاقبال رأى أهل التقوى مستعذابهم ومعتدا على بعضهم
تحيلا منه وتغويها وتداها على أهل الخلافة وذويها وعرض عليهم تقديم المعقد هشام
وأومض منه لاهل قرطبة برق خلب بشام بعد سرعة التباثها وتجميل اتسكاها فأجابوا
الى الاجابة وأجابوا الى استرعائه الوزارة والحجابة وتوجهوا مع ذلك الامام والمراية قرطبة
أحسن المام فدخلوها بعد قن كثيرة واضطرابات مستثيرة والبلد مفر والجلد مسفر
فلم يبق غير يسير حتى حيد واضطرب أمره فخلع واختطف من الملك وانتزع وانقرضت
الدولة الاحوية وارتفعت الدولة العلوية واستولى على قرطبة عند ذلك أبو الحزم ودبر
أمرها بالجد والعزم وضبطها ضبطا من خائفها ورفع طارق تلك الفتنة وطائفها وخلاها
الوقوف طار وقضى اللبانات والاول طار فعدت له قرطبة الى أكمل حالتها وانجلى به نور
جلالاتها ولم تنزل به مشرقة وغصون الآمال فيها مورقة الى أن توفي (سنة ٣٤٥)
فاتقل الامر الى ابنه أبي الوليد واشتمل منه على طارف وتلد وكان لابي الحزم
أديب ووقار وحلم سارت به الامثال وعدم فيها المثال وقد أثبت من شعره ما هو لائق
وفي سماء الحسن رائق وذلك قوله في تفضيل الورد

الورد أحسن ما رأيت عيني وأز * كى ماسقى ماء السحاب الجائد
خضعت نواوير الرياض لحسنه * فتذلت تنقاد وهي شوارد
واذا تبدي الغصن في أغصانه * يزهر فذاميت وهذا حاسد
واذا أتى وفد الربيع مبشرا * بطاوع وفدته قتم الوافد
ليس المبشر كما لمبشر باسمه * خبر عليه من النبوة شاهد
واذا تعدي الورد من أوراقه * بقيت عوارفه فيهن خوالد

انتهى المقصود منه وكأنه عارض بهذه الايات في تفضيل الورد قول ابن الرومي في تفضيل
الترجس عليه من قصيدة

لترجس الفضل المين وان أبي * آب وحاد عن الحقيقة حائد

وهي مشهورة ورد على ابن الرومي بعضهم بقوله

يا من يشبهه نرجسا بنواظر * دعج تنبه ان فهمك فاسد الخ

وهي أيضا مشهورة * (رجع الى ما سكتنا فيه) وكانت لاهل الاندلس بين زمان
الفتح وما بعده وقائع في الكفار شفت الصدور من أمراضها ووفت النفوس بأغراضها
واستوات على ما كان لمة الكفر من جواهرها وأعراضها ثم وقع الاختلاف بعد
ذلك الائتلاف فعصفت ريح العدو والحروب سجال وأعبا العلاج حكاء الرجال فصار
أهل الاندلس يتذكرون موسى بن نصير وطارق ومن بعدهما من ملوك الاندلس الذين
راعت العدو الكافر منهم طوارق * وما أحسن ما أعرب الامام الكاتب القاضي
أبو المطرف بن عمير عما يشمل هذا المعنى وغيره في كتاب بعث به الى الشيخ أبي جعفر بن
أمية حين حل الرزييل نسبية وهو

... ألا أيها القلب المصريح بالوجد * أمالك من بادي الصبابة من بد
وهل من سلق يرتجى لتسليم * لهلوعة الصادي وروعة ذي الصدة
يحن الى شجيد وهيئات حرمت * صروف الليالي أن يعود الى شجيد
فيا جيل الريان لاري بعد ما * عدت غير الايام عن ذلك الورد
ويا أهل ودى والحوادث تقتضى * خاوى عن أهل يضاف الى الود
ألا متعة يوما بعارية المني * قانا تراها كل حين الى الرد
امن بعد رزء فى بلنسية نوى * بأحنائنا كالنار مضجرة الوقود
يرجى اناس جنة من مصائب * تطاع عن فيهم بالمشقة المله
ألا ليت شعري هل اهلها من مطالع * معاد الى ما كان فيها من السعد
وهل أذن الأبناء ذنب أيهم * فصاروا الى الانحراج من جنة الخلد

مرحبا بالسحابة وما أعارت افق من الاضياء وردت تسحر النهى وتسحب ذيل
على السها وتمز من المسرة أعطاها وترد من نجوم المجرة نطافا عامت من الظلمة
فى موجهها ثم غلبت الشهب على أوجهها فقلب العقب يجب ومهيل يداره يحجب
والطرف غفيض وجناح الطائر يبيض وصاحب الاخبية يقرض والذابح عن
ذبيحته يعرض وراح السماكين تحونه السلاح وواقع التسرين يود لو أنه يخفيه الصباح
بلاغة تفتن كل لبيب وترعى روض كل أديب وتغض على رغم العدو من حبيب ان من
البيان لسحرا ويا أيها الجواد وجدناك نجرا أدريت أى يرى برية ويأى قر
اقتديت ليله سرية افتحت بآياتك الحسان وتطمها نظم الجمان فعوذت سننها
بالبيع وعرفت منها براعة ذلك الطبع ثم ثرت على القرطاس شذورا الثور يل من
جواهر النحور ما استوقف النظار وبهرج اللجين والنضار ورأيتك استمددت ولك
الباع الامتد وأعرت محاسنك والعارية تزد وجئت باللائمة تروق أربعها وتخرس بها
قعة الاشعار وجمعها فأدت من حسنهما يسر واجتمع لمن روى القطعتين ما نظم فيهما
وهو الدر وأجريت خبر الحادثة التى محقت يد التمام وذهبت بضارة الايام فيامن
حضر يوم البطشه وعزى فى انسه بعد تلك الوحشه احقا انه دكت الارض ونزف المعين
والبرض وصوح روض المني وصرح الخطب وما كفى أبزلى كيف فقدت راحة
الاحلام وعقدت مناخة الاسلام وجاء اليوم العسر وأوقدت نار الحزن فلا تزال
تستعر حلم ما ترى بل ما رأى ذا عالم طوفان يقال عنده لا عاصم من يصفنا من الزمان
الطالم الله بما يلقى الفؤاد عالم بالله أى تحوتحو ومسطور تثبت وتمحو وقد حذف
الاصلى والزائد وذهب الصلة والعائد ولبب التعجب طال وحال البائس لا تخشى
الاتقال وذهبت علامة الرفع وقعدت سلامة الجمع والمعتل اعدى الصبح والمثلث
اردى الفصح وامتنعت العجبة من الصرف وأمنت زيادتها من الحذف ومالت
قواعد المله وصرنا الى جمع القلة والشر لضيال وتخط ولقرنه فى شركة تخط وقد عاد
الدين الى غربته وشرق الاسلام بكرته كأن لم يسمع بنصر بن نصر وطرق طارق

بكل خير ونهشات حنن وكيف أعيت الرقي وأذالت بلبيل السليم يوم الملتقى ولم تخبر عن
 الرواية وصوائفها وفقى معافى وتعفيرة للاوثان وطوائفها لله ذلك السلف لقد طال
 الأسى عليهم والأسف وبقي الحكيم العدل والرب الذى قوله الفصل ويده الفضل رينا
 أمرت فعصينا ونهيت فماتتهينا وما كان ذلك جزاء احسانك الينا أنت العليم بما أعلننا
 وما أخفيناه والمحيط بما لم نأت وما أتينا لو أتنا فيك أحيينا وقلينا لم ترنا من الفرقة ما رأينا
 ولم تسلط عدوك وعدونا علينا لكن أنت أرحم من أن تؤاخذنا بما جنينا وأكرم من
 أن لا تهب حقوقك الينا وأشرت أيها الاخ الكريم الى استراحة الى وتنسم بما لذي
 لتبرد كذا عمت حزن قيس وتقدح زناد قيس وهيات صلد الزند وذوى العرار والرند وأقشع
 الشوبوب وركدما كان يظن به الهبوب فالقلم دفين لا يحشر وميت لا ينشر والطبع
 قد نكص القهقري وقل منزله أن يدعى له النقرى فيها هو لا يملك ميبتنا ولا يجد لقلبه تنبينا
 وأنت أبقاك الله عز وجل بمقتبل الآداب طائر هبة الشباب وأين بين السمو من سن
 الانحطاط ووقت الكسل من وقت النشاط وقد راجعتك لاداخل فى حلفتك بل قاضيا
 حق رغبتك والله تعالى يجعلك بوسيلة العلم متوقيا وبهجنة الطاعة متوقيا ولهتاء الانفس
 مستقبلا ومتلقيا بئنه والسلام انتهى * (وكتب) رحمه الله الى سلطان افريقية الواوثر
 ملك بنى عبد المؤمن بتلك انواحي المستولى على البلدان والضواحي وقد كان لاهل
 الاندلس امل فى أخذهم بشارهم وضم آثارهم ماصورته

شاقه غب الخيال الوارد * بارق هاج غرام الهاجد
 صدق وعد للتلاقى ثم ما * طرقا الا بخلف الواعد
 وكلا الزورين من طيف ومن * وافد تحت الدباجى وارد
 لم يكن بعد السرى مستمتع * فيه للرائى ولا للرائد
 وشديد بث قلب هائم * يشتكى عند ربيع هائم
 بالامر المرتضى عز الهدى * وثنى عظم الملى الواجد
 وبه أحب ما كان يرى * حاملا أنف الابى الشارد
 انما الفخر لـ — ولا ناأبى * زكرياء بن عبد الواحد
 ملك لولا حلاه الغم — رلم * يجرب الجدل لسان الحامد
 ولو أن العذيب أبدى رغبة * عنه لم يشف غليل الوارد
 فضله مثل سنى الشمس وهل * لسنى الشمس يرى من جاحد
 قهر البغى بجدة صاعد * مانعذاه وجدة صاعد
 انما آل ابى حفص هدى * للورى من غائب أو شاهد
 قعدوا فوق النجوم الزهر عن * همم نبهن عزم القاعد
 وعن الاسلام ذادوا عندما * فل طول العهد غرب المذاند
 أى نخر عمرى المنقى * ورثوه ماجدا عن ماجد
 ما الفتوح الغر الا لهم * بين ماض بادى أو عائد

في محيا لاحق من سابق * وعلى المولود سيما الوالد
 وإحيي راجح الحلم الذي * ترك الطود بعطفي مائد
 فقد أحسبهم — تم به * كمثل ماتم حساب العاقد
 أيها الجامع ما قد أحرزوا * جمع من همته في الزائد
 هذه الامة قد أوسعها * قطرا يكلل ليل الراقد
 لم تزل منك بخير طارف * ريشه تال قد ادى تالد
 ولهم منك ليوم حاضر * وغدا رأى البصير الناقد
 ارشد الله لاولى نظر * بالورى رأى الامام الراشد
 وتولا به بتوفيق الالى * سعدوا من عاقد أو عاهد
 وله في الله أوفى كافل * بالذى يبقى واكنى عاضد

نصر الله تعالى مولانا وأيده وشده ملكه وشيده وأبقى للفضل أيامه وللفضل أحكامه
 وأنظر بأعناق الاشقياء حسامه ووفر من اتساق النعم والآلاء حظوظه وأقسامه
 والحمد لله ثم الحمد لله على أن جعل به حرم الامة آمنا ووهج الفتنة ساكنا وأبواب الصلوة
 والمعروف لا تعرف الا واصلا وآذنا وتلا في قل الاسلام منه نبيا ته التي منها ينتظرون
 الكثر وبها يوعدون الفتح الاعز والنص الاعز فهم بين جدة قبضوها وعدة رضوها
 وارتقاب للفتح اكبر همهم منه درك النار وانتصاف لاهل الجنة من اهل النار فأما
 الاوطان فقد أسلمتهم عنها جهة تبت العز فيما تبت وتبقى من الضيم ما تلك تبتة وما ذكر
 الساخط على المحل الساخط منازل عادت على مبانيها اطلالا ومعالينها امحالا وللعبد
 حال يستقبل بهم من النظر الكريم ادامه الله تعالى ما أعين الاتصال اليه صور ورجاء
 الجميع عليه مقصور انتهى * والغاية في هذا الباب ما كتب به رحمه الله من جملة كتاب
 لبعض ذوى الالباب ونص محل الحاجة منه نخص الجهة البعيدة للصيت والاسم
 الشهيرة العمل والعلم درة تاجنا وضوء سراجنا ونكتة احتياجنا أبقياها الله تعالى
 في اعيننا منارا ولاندلسنا فخارا على أنه وان بقيت المفاخر فقد أودى المفاخر وان
 اضاء الطالع فقد درجت المطالع وغلب عليها عداوة زووا عنها وجوهنا وأروافها
 مكروهنا حتى اني أتيت بشعر فيه استبقاء للديار على عادة الاشعار فقلت

زدنا على النائن عن أوطانهم * وان اشتهر كافي الصباية والبحرى
 انا وجدناهم قد استسقوا لها * من بعد أن شطت بهم عنها النوى
 ويصدنا عن ذل في أوطاننا * مع حيل الشرك الذي فيها نوى
 حسناء طاعتها استقامت بعدنا * لعدونا أفيستقيم لها الهوى انتهى

(قلت) وما رأيت ولا سمعت مثل هذه الايات في معناها العالية في مبناها فان فيها الاشارة
 الى استيلاء النصارى دمرهم الله على تلك الديار وثبوت قدمهم فيها على طبق ما حصل
 لهم فيه اختيار مع ادماج حبه لها الذي لا يشك فيه ولا يرتاب واشتمالها على المحاسن
 التي هو بغية الرائد ونجعة المتاب ولكل أجل كتاب واذا نفذهم المقيدور فلا عتاب

قوله أبا الحسن في نسفه
أبا الخزم وليعزرا

• (وما يستولى على الخواطر • و يروى رياض الافكار بسحب بلاقته المواطر •
قوله رحمه الله تعالى يخاطب أبا الحسن الرعيني سنة ٢٢٢)

بأصاحبي والدهر لولا كرم • منه على حفظ الذمام ذمير
أمنار عي أنت الحديث فانه • ما في لافو ولا تأني
ومروض مرعي مناي فنبته • من طول اخلاف الغيوم هشيم
طال اعتباري بالزمان وانما • داء الزمان كما علمت قديم
يجفوق حظ لا ينادي ثم لا • ينفل عنه الحذف والترخيم
وأرى امالته تدوم وقصره • فعلام باقى المذ والتفخيم
وعلام أدعو والجواب كأنما • فيه بنص قد أتي التحريم
لم ألق الامم بعدا غير الاسبى • فلدى منه مقعد ومقيم
وشراى الهم المعتقد خالصا • فتى يساعدى عليه نديم
غاران أيام على جوارح • فعد بها فى طبعه التحكيم
ولواعج يحتاج صالى حزها • امرأه قد خص ابراهيم
ولقد أقول لصاحب هو بالذى • أدركت من علم الزمان عليم
لا بأس من روح الإله وان قست • يوما قلوب الخلق فهو رحيم

وهمزنى ويستغزنى ما كتبته رحمه الله تعالى من رسالة • كتبته الى سيدى وهو السيد
حقيقه وأنى وقد كتب الدهر بذلك وثيقه • أبى الله تعالى جلاله محروسا وربع وقائه
لا يخشى دروسا من رباط الفتح وأنا بحقه عليم وعلى عهده مقيم وشأنى توقيره وتعظيم
وحب فيه خالص كريم ووصلى خطابه الخطير المبرور • فكنت به كالصائم رأى الهلال
والهائم عين ماء الزلال علق لبري واثقه علق وسحر لكنه حلال طلق وتظم لذكر الطائفة
طاو وصنعة لم يرها ولم يروها رامولا راو • رمى ابن الرومى بالحوول وبشرت اسم بشار
من النحول وحكمت بأن النجوى فى غمرة الهوان مدرج والسرى عن سراويل الاحسان
مخرج فاما الترفه مهمل لا يجاوبه الرغاء وطرا لا يحسب فيه البلاء ونقد تزييف معه
النقود ومدى تنقطع دونه الضمير القود غادر الصابي ومباه غير ذات هبوب والصاحب
وهو من العجز مع شر مصوب والميكالى وميكاله مرفوض والخريرى وسحره فى سوق
الكسياد معروض فأتى ببحر رئيس أرتجان فقد استخرج منه الأول والمربان وأبقاه
فى ضحضاح بلى تركه يعيش بأذرح ضباح فن ذاب بجارى فارس الصفيين وامام الصنفين
أبلغ من خط بقلم وأشهر من نار على علم وماذا يقال فى أنامل تطرزهها الصنف وخائل
تفخر بها الروضة الانقب واسم فى شرق البلاد وغرب اظاهر ووسم بالسكابة والنجابة لم يكن
لبنى وهب وآل طاهر فالزمان بأثر ما يثر ويعظم ما ينظم ولو أن الازمنية قبيله غمرت
المحاضر بكل ناجم ونشرت المقابر عن الصنوبرى وكشاجم وجاءت بالكتاب من كل جبل
والشعراء رعبلا بعد رعبل لطال هذا العصر بواحدة آلافها وأنسى بخلقها أسلافها
انتهى • وكتب رحمه الله تعالى الى صاحبين له فى معنى ما ألقناه آنفا ماصورته

قصية منكما أتتني • طابت كما طاب مرسلها
ويا لها اذ كرت عهدا • قلبي والله ما سالاها
حالتما في البلاد أرضا • ربح صباها عني سلاها
لم يصب قلبي الى سواها • يوما ولم يسل في سلاها
كأبي أيها الاخوان اللذان بؤدهما أقول وعن عهدهما لا أحول أنزل كما الله تعالى
خير منزل وجه لهما من الثواب والشواب بعزل من رباط الفتح ولبي قديما ملكما
رقه وقلبي تعلموا وتعلموا عرفتما صدقه كيف حالهما من سفر طوي وما خبره حين نجشمتما
مخرجه وكيف سمعت نفوسكما يأتان الحصون وذات الظلال والعيون تربة الآباء ومنزلة
الجميعين النجباء حتى صرتمما حبلها وهجرتمما عزيمها وسهلها وخضقتمما الفجاج وخضر
الأمواج وما ذاك الا لتغلب الحوادث النكر وتألب المعشر القدر ومن أجل الداهية
النكاد والحادثة الشنيعة على البلاد لزجتمكم حين أرجعتمنا وأنرجتكم كما أنرجتنا
وطوت بنا طوائفها واجتاحت ثمرنا وشجرنا جوائفها فشكر الله تعالى على فضائه
ونضرت ما نرفعه من دعائه وهنيأ لتساو لكم معشر الشرداء المنطوين من الشجن على
شرداء ذلك الطود الذي اليه أوتيتما وفي ظله ثويتما وعن رأيه تزيان وبسعيه تسعيان
فوجهه المبارك لا يعدم رأيته فنجما ولا يبعد ولصحه اذا دجا ليل الهم صبحا انتهى • وكان
أبو المطرف بن عميرة المذكور كما قال فيه بعض علماء المغرب قدوة البلغاء وعمدة العلماء
وصدر الجلة الفضلاء وهو أحمد بن عبد الله بن عميرة الخزومي ونسبته البلاغة التي
قد أمرزها وأودعها وشتمها التي أخفت ثواب كواكبها حين أبدعها مبدع البدائع
التي لم يحظ بها قبله انسان ولا ينطق عن تلاوتها لسان اذ كان ينطق عن قريحة صحيحة
أوروبية بدرر العلم فصحة ذلت له صعب الكلام وصدقت رؤياه حين وضع سيد المرسلين
صلى الله عليه وسلم وهو الذي أوتي جوامع الكلام في يديه الاقلام وأصل مله من جورة
شقر وولد بدينة بانسية وروى عن أبي الخطاب بن واجب وأبي الربيع بن سالم وابن نوح
والشاذلي بن النحوي وابن عات وابن حوط الله وغيرهم من الحفاظ وأجازته من أهل المشرق
بجاعة وكان شديد العناية بشأن الرواية فكثر من سماع الحديث وأخذ عنه عن مشايخ أهل
ثم نعتن في العلوم ونظر في المعقولات وأصول الفقه ومال الى الادب فبرع براءة عذقيها
من مجيدي النظم فأما الكتابة فهو فارسها الذي لا يجاري وماحب عينها الذي لا يباري
وله وعظ على طريقة ابن الجوزي ورسائل خاطب بها الملوك وغيرهم من الموحدين
والفصيين وله تأليف في كاتبة مبرورة وتغلب الروم عليها فخاف الخبر عنها مني الامام
الاصمعياني في الفتح القدسي وله كتاب تهقب فيه على الفخر الرازي في كتاب المعالم
وله كتاب درقه على كمال الدين الانصاري في كتابه المسمى بالبيان في علم البيان المطلع على
أخبار القرآن وجماله بالتبسيهات على ما في البيان من التوبيهات وله اختصار نبيل من
تاريخ ابن صاحب الصلاة وغير ذلك ودرسه الله حضرة الامامة حرا كش محبة أمير
المؤمنين الرشيد حين قفوله من مدينة سلا واستكتبه مدة يسيرة ثم صرفه عن الكتابة

ترجمة أبي المطرف

وقلده قضاء هبلانة ثم نقله الى قضاء سلا ثم نقله السعيد الى قضاء مكناسة الزيتون ثم قصد
سبتة وأخذ ماله في قافلة بنى مرين ثم توجه الى بلاد افرريقية ووصف حاله في رسالة خاطب بها
ابن السلطان ابا زكريا الحفصي وهو ابو زكريا ابن السلطان أبي زكرياء وكان صاحب
بجاية لا ييه ولم يزل وجه الله تعالى مذقارق الاندلس متطلعا للسكنى افرريقية معمورا القلب
بسكناها ولما قدم تونس مال الى صحبة الصالحين والزهاد وأهل الخير برهة من الزمان
ثم استقضى بالاريس من افرريقية ثم بقابس مدة طويلة ثم استدعاه أمير المؤمنين المستنصر
بالله الحفصي وأحضره بمجالس انسه وداخله مداخلة شديدة حتى تغلب على أكثر أمره
ومولده بجزائر شقري شهر رمضان المعظم سنة ٥٨٠ و توفي ليلة الجمعة الموفية عشرين
من ذي الحجة سنة ٦٥٨ ألقه الله رضوانه وجدد عليه غفرانه * قال ابن الأبار في تحفة
القادم في حق أبي المطرف المذکور فائدة هذه المائة والواحديني بالفتة الذي اعترف
باتحاده الجميع واتصف بالابداع فاذا يتصف به البديع ومعاذ الله أن احاييه بالتقديم لماله
من حق التعليم كيف وسبقه الاشهر ونطقه الباقوت والجوهر تحلت به الصفات
والمهارق وما تحلت عنه المغارب والمشارق فحسبي أن أجهدي في أوصافه ثم اشهد بعدم
انصافه هذا على تناول الخصوص والعموم لذكره وتناوب المنشور والمنظوم على شكره
ثم أورده بجملة منها قوله

وأجلت فكري في وشاحك فائتي * شوقا اليك يجول في جوال
انصفت غصن البان اذ لم تدعه * لتأودمع عطفك الميال
ورجت در العقد حين وضعته * متواريا عن ثغرك المتلالى
كيف اللقاء وفعل وعدك سينه * أبدا تخلصه للاستقبال
وكما قومك نارهم ووقيدها * للطارقين اسنة وعوال

وله مما يكتب على قوس قوله

ما أنا دمعتل الفتى الا لأن * يحكي تأطرقا متي العوجاء
تحنوا الضلوع على القلوب واتني * ضلع نوى فيها بأعضدا

وله وقد أهدى وردا

خذها اليك أبا عبد الله فقد * جاءتك مثل خدود زانها الخفر
اتتك تحكي حجابا منك قد عذبت * لكن تغير هذا دونه الغير
ان شئت منها بروق الغيث لامعة * فسوف يأتيتك من ماء لها مطر

قال وكتب الى مع تحفة اهداها مكافئا عن مثلها

يا واحد الادب الذي قد زانه * بمناقب جعلته فارس منصبه
بالفضل في الهبة ابتدأت فان تعر * طرف القبول لما وهبت خقت به

قال وله ارجى الا بقصر الامارة من بالنسبة وأنا حاضر في صبيحة بعض الجمع وقد ججم صاحب
لنا من أهل النظم والنثر وأحسن الى الحجام بالخصوص

أرى من جاء بالموسى موسى * وراحة ذى القريض تعود صفرا

فهذا تخفى ان قص شعرا * وهذا من جميع ان قص شعرا

وله ايضا

هو ما علمت من الاميرفا الذي * تردد منه وفيه لا يرتاب
لاتسقى الاجناد في أيامه * فقرا ولا يرجو الغنى الكتاب

وله بعد انفصاله من بلنسية عن وحشة في ذي القعدة سنة ٦٢٨

أسير بأرجاء الرجاء وانما * حديث طريق طارق الحدثان
وأحضر نفسي ان تقدمت خيفة * لغض عنان أو لعرض زمان
أترك حظي للضيض وقد سرى * لا مكانه فوق الذرى جيلان
وأخبط في ليل الحوادث بعدما * اخلاء لعيني منهما القصران
فكسبي لا مالي حياة معادة * وان عزيزا عزه لم يكن
وقالوا اقترح ان الاماني منهما * وان كن فوق النجم تحت ضمان
فقلت اذا ناجاهما بقضيتي * ضميري لم احفل بشرح لسان

وله أيضا

سلب الكرى من مقلتي فلم يجيئ * منه على نأي خيال يطرق
اهضوا رتيا حال التسميم اذا سرى * ان الغريق بما يرى يتعلق
اتتهى ما تلخص من تحفة القادم في ذكر ابن عميرة أبي المطرف * وما كتب أبو المطرف رحمه
الله وفي اثنا عشر إشارة الى الكفار القائلين على بلاد الاندلس مانصه
الا ان شخصينا على القطع واحد * وجاحد هذا الضرورة جاحد
فان لم تصدق ما نطق بصدقه * فانك لي لاح وللو لا حند

ومعاذ الله عز وجل أن تلحاني أو تمنع أنفك ريح ريحاني وكيف تصدق بوجهك
أو تشد لي غرب نجحك وأنا على غيبك أمين ولشمالك يمين ولكم دعوت بي فأجبت
واسـتـغـنيت عني فحجبت وأردت الاستبداد فما استطعت ونعت الوداد فما أحسنت
النعت وانما تحمد فراهة الاعوجج ان يرى وتذكر فضيلة ابن السرى اذا سرى
فأما الاقتصار على عظم باد والانتظار لعين عدمت السواد نخطأ من القائل وتخطل عند
العاقل والله درة أخيك من مغمض طرف التطرف قارئ أدب العصبية على السبعة
الاحرف كرع في أعزم مورد وتواضع في شرف مولد وسما بنفسه عن أن يستخفه نسب يرفعه
وحسب ما أنا أحد يدفعه وكذلك الكرام يرون عليهم حقاً ويتوقون من لم يكن من
الكبر موقى ولعهدي به وظل الثروة بارد وشيطان الشيبة مارد وبشره في الملمات
يرف وقدمه الى الحاجات تحف يصون عرضه بماله ويخفى صدقة يمينه عن شماله
ويقسم جسمه في جـسـوم ويقوم بالحقوق غير ملول ولا ملوم تلك المكارم لا قبحان
وما تستوى البدنة المهيضة مع غيرها في القربان وعرضت بكرا العصر الخالي والقصور
العالي وظل من فنن وريق وعيش مع اكرم فريق وما تذكر من زمن نولى وعهد على
أن لا يعود تألى فارقنا أحسن ما كان وودعنا به الاطيين الزمان والمكان فعفت

الرسوم وأقلت تلك النجوم ورمتها عن قوسها الروم ثم خلقتنا في المغاني وقسمتنا بين
الاسير والعاني فأردى القل والكفر واشتق من الاسلام الكفر فحكم كاس أنس أرقنا
ومنزل فرقة الابد فارقنا وذكرنا اجتيازك بين العليين وقطعت من اليم في يومين وانك
انتقلت من ذوات الالواح الى عذبات الادواح ومن متهافت الشراع الى منابت
البراع ومن سكنى بيت السكان الى منزل به الفلاح والملاح بشر كان حيث اجتمع الضب
والنون وأينع التين والزيتون وظلت الساحات وذلت الثمار المباحات فلا تشرقنا
يا أصيل ولا تم تلك الارض الويل انتهى ووصل هذا الكلام بالآيات التي تقدمت قريبا
وهي قوله زدنا على النائن عن أوطانهم الخ * وكتب رحمه الله عن أهل شاطبة أيام كان
قاضيا بها مهنتا أمير المسلمين ابن هود المستولي على الاندلس آخر دولة الموحدين بوصول
الكتاب العباسي الكريم اليه من بغداد بولاية الاندلس اذ كان ابن هود حينئذ على
الموحدين يدعو الى الخليفة العباسي الذي كان أكثر الملوك في ذلك الزمان يدعون بطاعته
بما نصه بعد الصدر (أما بعد) فكتب العبيد كتب الله تعالى الى المقام العلي المجاهدي
المتوكلي سعادة لا تبلغ أمد الاخطائه ويداعلوها أثبتته أيدي الاقدار وخطته من
شاطبة وبركات الامر المجاهدي المتوكلي والعهد الوافي المعصمي تنسكب كالمطر
وتنسحب على البشر وتقضي بعبادة النصر والظفر وسعادة الورد والصدر والحمد لله
وعند العبيد من اداء فروض الخدم والقيام بحقوق النعم ما عقدت عليه ضمائرهم
وسمت اليه فواظروهم واشترك فيه بآديهم وحاضروهم بخباب أملهم فسيح ومتجر خدمتهم
ربح وحديث طاعتهم حسن صحيح وبسئ النظر العلي اهتدوا بهم وفي الباب الكريم
رجاؤهم وبصدق العبودية اعتزازهم واليها اعتزازهم والله تعالى ينهضهم بوظائف
المثابة العلية ويحملهم على المناهج السوية ووصل الكتاب الكريم متجليا برواء الحق
ناطقا بلسان الصدق واصفا من التشریف والفخار المنيف ما صدر عن امام الخلق
فلا يبان أعجب من ذلك البيان ولا يوم كذلك اليوم تبتدى نظره للبيان أو تاذى خبره
في أخبار الزمان نثرت فيه انطلع العباسية في أعلى الصور وبرز منها العيون ما يثمر التبليغ
عند وصفه في ذيل الحصر ويهدى سواده سواد القلب والبصر فيا لشهداهما ما أعجب
ما كان وراها الذي راع الكفر وراق الايمان واشبه يومه بالاندلس يوم خرجت
الرايات السود من خراسان وكفى به ذائخارا لا يحتلج ثابته مشبها أن باشرت بردا بأشرف
البدن الذي طاب حيا وميتا فهو علو في الاسناد ولا نظيره في العوالي ونخارضت عن
مشله العصور الخوالي وجلت بهجته أن تخلق جدهم الايام والليالي ودل الكتاب
العزير على التسمية المستتقة من الجهاد والسمة من سيف أمير المؤمنين بما لا يدخل
في جنس ذوات الانعام وخير الاوصاف ما صدقه الموصوف والكريم التسبب نسبه
بهاهي بها الدين وترهى السيوف

فان نحن هميناك خلنا سيوفنا * من اليه في انعمادها تنسب
وما أفقده الكتاب المبهج بطيب أنبائه نص علامة سيدنا صاوات الله عليه وعلى

آبائه فانها تضمنت صفته لله عز وجل من صفات الكمال ودلت على مذهب أهل السنة
 في خلق الله عز وجل الاعمال وأشعرتنا معشر العبيد بعناية سبقت بالمقام المجاهدي
 المتوكلي أحسن الله تعالى اليه حين تولى خلافة أمير المؤمنين صلوات الله عليه فانه لما
 شايعه بعزيمة مساعده ونية في مشارع الصفاء والاخلاص وارده ألهم زيادة في العلامة
 شاركت الامامة في صفة واحدة فهذه كرامة في العلامة هي علامة الكرامة وهبة من
 مواهب الكشف يجدها من امثال قوله فاستقم كما أمرت فكان من أهل الاستقامة
 وتضمن الكتاب الكريم بيعة أهل جيان ومامعها وان هذه البشائر وما تبعها لفروع
 عن هذا الاصل الصحيح وأقضية من هذا النص الصريح بادلة الخلاف قد استقلت
 وشبهة الخلاف قد بطلت واضمحلت والحمد لله على أن منح جزيل النعماء وشرح باليقين
 صدور الاولياء وشرف هذه الامة بامامة نجل الائمة الخلفاء وابن عم سيد الرسل وخاتم
 الانبياء والعبيد يهتدون بهذه النعم التي لا يستقل بذكرها قل ولا يقطع علم من وصفها
 الابداعم وبهم من الاشواق الى مشاهدة المعالم السنية ولثم اليمين الطاهرة العلية
 ما اكده دتو الدار وجدده ما تجدد للمقام العالي المتوكلي من نعم الله تعالى الجليلة
 المقدار والشاهدة له باسعاد الايام واسعاف الاقدار فلو أمكنهم الاقدام لا قدموا
 ولو وجدوا رخصة في السير لعزموا وهم يستلمون البساط الاشرقي فوهما ومن أملاهم انهم
 في الحقيقة قد استلموا انتهى وبه تعلم أن الدولة العباسية خطب لها يلاذ الاندلس أعادها
 الله للاسلام ولا يخفى أن ما جلبناه من ذلك وغيره مناسب للمقام فلا انتقاد ولا ملام
 (وقد رأيت) أن اذكر هنا مخاطبة صدرت من الغنى بالله صاحب الاندلس الى
 السلطان المنصور أحمد ابن السلطان الناصر محمد بن قلاوون من انشاء الوزير الكبير
 لسان الدين بن الخطيب رحمه الله لما اشتملت عليه من أحوال الاندلس ونصها الابواب
 التي تفتح انصرها أبواب السماء وتستدر من آفاقها أصحاب النعماء وتبجلي بانوار
 سعادها دياجى الظلماء وتعرف نكرة البلاد والعباد بالانتساب الى محبتها والانتفاء
 على اختلاف العروض وتباين الحدود وتعدد الاسماء ويجتزأ من صلوات صلاتها عند
 الموانع من كمال حالان صفاتها بالالاماء وتحمل لها التحية ذوات الدر والالواح طاعنة
 فجر الصباح على كتف الماء أبواب السلطان الكبير الجليل الشهير الطاهر الظاهر
 الاوحد الاسعد الامجد الامجد الاعلى العادل العالم الفاضل الكامل سلطان
 الاسلام والمسلمين عماد الدنيا والدين رافع ظلال العدل على العالمين جلال الاسلام
 علم الاعلام نخسر الليالى والايام ملك البرين والبحرين امام الحرمين مؤمن
 الامصار والاقطار غاصب تاج الفخار هازم الفرج والترك والتار الملك المنصور ابن
 الامير الرفيع الجادة الكريم الولاده الطاهر الظاهر الكبير الشهير المعظم المعجده
 الاسمى الموقر الاعلى نقر الجلة سيف الملة تاج الامارة عز الاسلام مستظل الانام
 قر الميسدان أسد الحرب العوان المقدس المطهر الامير أحمد ابن والى السلاطين
 ومالك المسكين وسيف خلافة الله على العالمين وولى المؤمنين سلطان الجهاد والحج

ومقيم رسم العج والتج محي معالم الدين قاصع المعتدين قاهر الخوارج والمقردين قاصر
 السنه محي الله ملك البرين والبحرين سلطان الحرمين الملك العادل العالم العامل
 المنصور المؤيد المعان المرفع المعظم الميجل المؤتمل المجاهد المرباط المغازي المعبد
 المكمل المطهر الكبير الشهيد المقدس الملك الناصر أبي عبد الله محمد بن قلاوون الصالح
 جعل الله فسطاط دعوته معمودا وعمود الصبح وحركات عزمه مبنية على الفتح وجميل
 سعادته غنياء عن الشرح وحياد أوصافه متبارية في ميدان المدح وزناد رأيه وارية على
 القدح من موجب حقه وجوب الشعائر الخس المرحب لاجل أفقه الشرقية بوقادة
 الشمس المجتد في اليوم حكم ما تقر بين السلف رحمة الله بالامس أمير المسلمين بالاندلس
 عبد الله الغني بالله الغالب به محمد بن يوسف بن اسمعيل بن فرج بن نصر سلام كريم
 كما زحفت راية الصبح تقدمها طلائع مبشرات الرياح يفاوح أرجحها زهير الادواح
 ويحاسن طسر الوجوه الملاح يخص أبوتكم التي رتب العزفصولها وعضدت نصوص
 النصر نصولها ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله الذي جعله فاتحة القرآن وخاتمة
 دعاء أهل الجنات وشكره على ما أولى من مواهب الاحسان جدا وشكرا يستخدامان من
 الانسان ملكي القلب واللسان والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله زهرة
 كرامة الاكوان وسيد ولد آدم على اختلاف اللغات والالوان الذي أذل بعزة الله نفوس
 أهل الطغيان وغطى يدينه الحق على الاديان وزويت له الارض فرأى ملك أمته يبلغ
 ما زوى له فكان الخير وفق العيان والرضا عن له من الاصحاب والاحباب والاعمام
 والاخوان والاخوان صلاة يجتدها بالجديدان ويعلمها الملوان وتزاحم على تربته
 المقدسة مع الاحيان ما سمجت طيور البراعة من أعواد البراعة على الافنان والتفتت
 عيون المعاني ما بين أجفان البيان والدعاء لا بوابكم الشريفة جعل الله تعالى عصمته تقسيم
 بها وظيفتي الحجابة والاستئذان وضرب بدعوتها التي هي لذة الإقامة والاذان على الاذان
 واستخدم بروج الفلك الدوار في أمرها العزيز استخدام الانصار والاعوان حتى يعلم
 ما في المدافعة عن جماها مخالب السرحان وفي الاشادة بعديلها كفتي الميزان ويهدي لها
 من الزهرة ككرة الميدان ومن الهلال عوض الصوبان وأبقى في عواملها ضمير الامر
 والشان الى يوم تغنوا وجوه الملوك الى الملك الديان فانا كتبناه الى تلك الابواب كتب الله
 لعبتها النصر الداخلة كما انجبل بكمارها السحب الباخله وجعل مفارق مناصلها
 المختصبة من شجيع عداها غير ناصله وقرن بكل سبب من اخدادها فاصله من دار ملك
 الاسلام بالاندلس حراء غرناطة وصل الله سبحانه عادة الدفاع عن ارجائها وشدا بأيدي
 اليقين عرى أملها في الله ورجائها حيث المصاف المعقود وثن النفوس المنقود ونار
 الحرب ذات الوقود حيث الافق قد تردى بالقتام وتعمم والسيف قد تجرد وتيمم وغبار
 الجهاد يقول انا الامان من دخان جهنم حيث الاسلام من عدوه كالشامة من جلد البعير
 والقررة من أوسق العير حيث المصارع تتزاحم الحور على شهدائها والابطال يعلو بالتكبير
 مسمع ندائها حيث الوجوه الضاحكة المستبشرة قد زينتها الكلوم بدمائها وان هذا القطر

الذي مهدت اسيا سقنا كوا ومطايام وجعلت يدينا والمسة عياب عطايام قطر مستقل
 بنفسه حرب يومه في البر على امسه زكى المنايت عذب المشارب متم الما مل مكمل
 الما رب قارم الحيوان معتدل السحن والالوان وسيطة في الاقاليم السبعة شاهدة لله
 باحكام الصنعة اما خيله فماره والى الركض شارحه واما سيوفه فلمواطن الغمود
 كارهه واما اسله فقد اركه الخلف واما عوامله فيينة الخدف واما نباله فمذورة القذف
 الا ان الاسلام به في سقط مع الحيات وذريعة للمنيات الوحيلات وهدف للنبال واكله
 للنبال تطوهم الغارات المتعاقبة وتخيفهم الحدود المصاقبة ونحوس خللهم العيون
 المراقبه وتريب من اشكال محتطهم الا ان يفضل الله بحسن العقاقبه فليس الا الصبر
 والضرب الهير والهمز والنبر والمقابلة والجبر وقد حال البحر بينهم وبين اخوان ملتهم
 واساة عاتم يقومون بهذا الفرض عن اهل الارض ويقرضون ملك يوم العرض احسن
 القرص فلولا بعد المدى وغول الردى ولغظ العدا وما عدا ما بدا السمعة تكبير الحلات
 وزئير تلك الفلات ودوى الخوافر وصليل السيوف من فوق المغافر وصراخ التكالى
 وارتفاع الادعية الى الله تعالى ولوارتفع هذا المكان وهو لا ويا مثلكم من حيز
 الامكان لمقلتم مقل الاسنة الرق حالة من اطراف قصب الرماح محال الورق وابصرتم
 القنا الخطار قد عاد أخله والسيوف قد صارت فوق بدور الخود أهله وعقود الشهادة
 عند قاضي السعادة مستقلة وكان كما تحصره علومكم الشريفة حدق سور القتح وآخر
 ولا ذلك المنح عرض على الفاروق فاحتاط وأغرى به من بعده فاشتاط وسرحت
 خيل ابن أبي سرح في خبر يدعو الى شرح حتى اذا ولدهم وان تقلدوا كرتها التي هوت
 وقضموا ما انضجت ورثة الحق وشوت ويدهم على الامر اختوت وفازت منه بمانوت
 نقل ولائده الوليد وجلب له الطريف والتليد وطرفت خيل طارق وضافت عن أخباره
 المهارق وجلت الفائده وظهر على الذخيرة التي منها المائده ثم استرسل المهيب ونصر
 الرب ويكثر الطير حين ينثر الحب وصرفت أشرف الشام أعنتها الى القاس خيره
 وطلرت بأجنحة العزائم تيمنا بطيره وقصدته الطلائع صحبة بلج بن بشر وغيره ففتحت الاقفال
 ونفتت الاقفال ونجح الفال ووسمت الاغفال واقتحت البلاد الشهيرة وانتقيت
 العذارى الخيرة واقتنت الذخيرة وتجاووا الاسلام الدروب وتخطى وخضد الارطى
 وأركب وأعطى واستوثق واستوطا وتشاءب وعطى حتى تعددت مراحل البريد
 وسخت عين الشيطان المرید واستوثق للاسلام ملك ضخم السراشق من هوب البوارق
 رفيع العمدة بعيد الامد تشهد بذلك الآثار والاخبار والوقائع الكبار والادواق
 والامطار وهل يخفى النهار ولكل هبوب ركود والاهر حشود لمن يسود فراجعت
 الفرج كزتها واستدركت معرتها فدوخت جوارحها وحلقت وأومضت بوارقها
 وتألقت وتشبنت وتعلقت وأرسلت الاعنة وأطلقت وراجعت العقائل التي طلقت
 حتى لم يبق من الكتاب الا الحاشيه ولامن الليل الا الحاشيه وسقطت الغاشيه وأخلدت
 الفئة المتلاشيه وتلاصت الظلال الفاشيه الا ان الله تدارك يقوم ربح من سلفنا اثبتوا

في مستنقع الحرب أقدامهم وأخلصوا الله بأسهم وأقدامهم ووصلوا سيوفهم بالبارقة
بخطاهم وأعطاهم منشور العز من أعطاهم حين تعين الدين وتحيز واشتد المدافعة
وتحيز وعادت الحروب سجيلا وعلم الروم أن الله رجلا وقد أوفد جند تارضى الله عنه على
أبواب سلمكم من وقائعته في العدو كل مبشره ووجودية منتشرة ~~فمكت~~ لها ثغور
الثغور وسرت بها في الاعطاف جبال السرور وكانت المراجعة عنها شفاء للصدور وتماثل
في درر النور وخفرا في وجود البدور فان ذمام الاسلام موصول وفروعه تجمعها
في الله أصول وما أقرب الحزن من داره موصول والمسلة والمنتهى لله واحد والنفوس
لامتكرة للحق ولا باحده والاقدار معروفه والآمال الى ما يوصل الى الله مصروفة
فاذا لم يكن الاستدعاء أمكن الدعاء والنحو اطر فعالة والكل على الله عالة والدين غريب
والغريب يحسن الى أهله والمرء كثير بأخيه على بعد محله انتهى المقصود من الخطابية
عما يتعلق بهذا الباب والله الموفق للصواب

* (الباب الثالث) *

في سرد بعض ما كان للدين بالاندلس من العز السامي العماد والقهر للعدو في الروح
والغدو والعتك والهدو والارتياح البالغ غاية الآمال وأعمال أهلها للجهاد بالجد
والاجتهاد في الجبال والوهاد بالاستسنة المشرعة والسيف المستلة من الانحداد

(اقرل) قد قدما في الباب قبل هذا ما كان من نصر المسلمين وفتحهم الاندلس وما حصل
اهم من السلطان بها الى محي الداخل فتقررت القواعد السلطانية وعلت الكلمة الايمانية
كما سرد ههنا ان شاء الله تعالى (وذ كرفير واحد) منهم ابن حزم أن دولة بني أمية بالاندلس
كانت أنبل دول الاسلام وأنسكاها في العدو وقد بلغت من العز والنصر ما لا يحصى عليه
كما سترى بعضه (وأصل هذه الدولة) كما قال ابن خلدون وغير واحد أن بني أمية لما نزل بهم
بالمشرق ما نزل وغلبهم بنو العباس على الخلافة وأزالوهم عن كرسيها وقتل عبد الله بن علي
مروان بن محمد بن مروان بن الحكم آخر خلفائهم سنة ثنتين وثلاثين ومائة وتبع بنو مروان
بالقتل فطلبوا بطن الارض من بعد ظهرها وكان ممن أفلت منهم عبد الرحمن بن معاوية بن
هشام بن عبد الملك بن مروان وكان قومه يتحينون له ملكا بالمغرب ويرون فيه علامات
لذلك ياثرونها عن مسلمة بن عبد الملك وكان هو قد سمعها منه مشافهة فكان يحدث نفسه
بذلك فخلص الى المغرب ونزل على اخواله بقرية من برابرة طرابلس وشعر به عبد الرحمن بن
حبيب وكان قد قتل ابني الوليد بن يزيد بن عبد الملك ابا دخلا فريضة فالحق ببليلة وقيل
بمكاسة وقيل يقوم من زناته فأحسنوا قبوله وأطمأن فيهم ثم لحق ببليلة وبعث بدرامولا الى
من بالاندلس من موالى المروانيين وأشياهم فاجتمع بهم وبشواله في الاندلس دعوة
ونشروا له ذكرا ووافق قدومه ما كان من الاحسن بين اليمنية والمضربة فاصفقت اليمنية على
أمره ليكون الامر كان ليوسف بن عبد الرحمن الفهري وصاحبه الصميل ورجع بدرامولا
اليه بالخبر فأجاز البحر سنة ثمان وثلاثين ومائة في خلافة أبي جعفر المنصور ونزل بساحل

المنكب وأتاه قوم من أهل أشيلية فبايعوه ثم انتقل إلى كورة رية فبايعه عاملها عيسى بن مساور ثم إلى شدونة فبايعه عتاب بن علقمة اللخمي ثم إلى مورور فبايعه ابن الصباح ونهد إلى قرطبة فاجتمعت إليه الهبة ونحى خبره إلى وإلى الأندلس يوسف بن عبد الرحمن القهري وكان غازي بجليقية فانقض عسكره ورجع إلى قرطبة وأشار عليه وزيره الصميل بن حاتم بالتلطف له والمكر به لكونه صغير السن حديث عهد بنعمة فلم يتم ما أراد وأرسل عبد الرحمن من المنكب فاحتل بمالقة فبايعه جند هاتم برندة ثم بشر يش كذلك ثم بأشيلية فتوافقت إليه جنود الأمصار وتسايلت المضريه إليه حتى إذا لم يبق مع يوسف بن عبد الرحمن غير القهري والقيسية لمكان الصميل منه زحف حيث أخذ عبد الرحمن الداخل وباجرهم الحرب بظاهر قرطبة فأنكشف يوسف وبلغ إلى غرناطة فتحصن بها وأتبعه الأمير عبد الرحمن فتنازله ثم رغب إليه يوسف في الصلح فعقد له على أن يسكن قرطبة ثم أقفله معه ثم نقض يوسف عهده وخرج سنة إحدى وأربعين ومائة وخلق بطليطلة واجتمع إليه زهاء عشرين ألفاً من البربر وقدم الأمير عبد الرحمن للاقائه عبد الملك بن عمر المرواني وكان وقد عليه من المشرق وكان أبوه عمر بن مروان بن الحكم في كفالة أخيه عبد العزيز بن مروان بمصر فلما دخلت المسودة أرض مصر خرج عبد الملك يومئذ إلى الأندلس في عشرة رجال من قومه مشهورين بالبأس والنجدة حتى نزل على عبد الرحمن سنة أربعين فعقد له على أشيلية ولابنه عمر بن عبد الملك على مورور وسار يوسف إليهما وخرجا إليه ولقياه وتناجرا لقرى كان فكتات الدائرة على يوسف وأبعد المقتز وأغتاله بعض أصحابه بناحية طليطلة واحتز رأسه وتقدم به إلى الأمير عبد الرحمن فاستقام أمره واستقر بقرطبة وثبت قدمه في الملك وبني المسجد الجامع والقصر بقرطبة وأنفق فيه ثمانين ألف دينار ومات قبل تمامه وبني مساجد ووفد عليه جماعة من أهل يته من المشرق وكان يدعو للمنصور ثم قطع دعوته ومهد الدولة بالأندلس وأثل بها الملك العظيم لبني مروان والسلطان العزيز ووجد ما طمس لهم بالمشرق من معالم الخلافة وآثارها واستلهم الثوار عليه على كثرتهم في النواحي وقطع دعوة آل العباس من منابر الأندلس وسد المذاهب منهم دونها وهلك سنة ثنتين وسبعين ومائة وكان يعرف بعبد الرحمن الداخل لأنه أقول داخل من ملوك بني مروان إلى الأندلس وكان أبو جعفر المنصور يسميه صقر قريش لما رأى أنه فعل بالأندلس ما فعل وماركب إليها من الاخطار وأنه نهد إليها من أن أي ديار المشرق من غير عصابة ولا انصار فغلب أهلها على أمرهم وتناول الملك من أيديهم بقوة شكية ومضاء عزم حتى انقاد له الأمر وجرى على اختياره وأورثه عقبه * وكان يسمى بالأمير وعليه جرى بنوه من بعده فلم يدع أحد منهم بأمير المؤمنين تأدباً مع الخلافة بعقر الاسلام ومنتدى العرب حتى كان من عقبه عبد الرحمن الناصر وهو ثامن بني أمية بالأندلس فتسمى بأمير المؤمنين على ما سئذ كرم لما رأى من ضعف خلفاء بني العباس بعد الثمناة وغلبة الأعاجم عليهم وكونهم لم يتركوا لهم غير الاسم وتوارث التلقب بأمير المؤمنين بنو عبد الرحمن الناصر واحد بعد واحد (قال ابن حبان) وكان لبني عبد الرحمن الداخل بالعدوة الأندلسية ملك ضخم ودولة تسعة أئمت إلى ما بعد المائة أربعة

وعند ما شغل المسلمون بعبد الرحمن وتمهيد أمره قوى أمر الخلافة واستفعل سلطانهم
وعمد فرويله بن ادفونش ملكهم الى ثغور البلاد فأخرج المسلمين منها وملكها من أيديهم
فلك مدينة لك وبرتقال وسورة وقشتالة وشقوية وصارت للبلاد حتى افتتحها المنصور
ابن أبي عامر آخر الدولة ثم استعادوها بعده فيما استعادوا من بلاد الاندلس واستولوا
على جميعها حسبا يذكرونه سبحانه الامراتى وخاطب عبد الرحمن قارله ملك الافرنج
وكان من طغاة الافرنج بعد أن تمزق به مدة فأصابه صلب المكر تامة الرجولية فقال معه
الى المداراة ودعاه الى المصاهرة والسلم فاجابه للسلم ولم تتم المصاهرة قال ابن حيان ولما
ألقى الداخل الاندلس ثغرا فاصبه اغفلا من حلية الملك عاطلا أرهف أهلها بالطاعة
السلطانية وحنكهم بالسيرة الملوكية وأخذهم بالآداب فأكسبهم عما قليل المروءة
وأقامهم على الطريقه وبدأ فدقن الدواوين ورفع الأثوابين وفرض الأتعطيه
وعقد الأثويه وجند الاجناد ورفع العماد وأوثق الاوتاد فأقام للملك آله وأخذ
للسلطان عذته فاعترف له بذلك اكابر الملوكة وحذروا جانبته وتحاموا حوزته ولم يلبث
أن دانت له بلاد الاندلس واستقل له الامر فيها فلذلك ما ظل عدوه أبو جعفر المنصور
بصدق حسه وبعد غوره وسعة احاطته يسترجع عبد الرحمن كثيرا ويعده بنفسه
ويكثر ذكره ويقول لا تجبوا الامتداد أمر ناعم طول مراسه وقوة أسبابه فالشان
في أمر فتى قريش الاحوذى الفذ في جميع شؤنه وعدمه لآله ونشبهه وتسلية عن
جميع ذلك بعد مرقى همته ومضاء عزيمته حتى قذف نفسه في لجج المهالك لابتلاء مجده
فاقتحم حريرة شاسعة المحمل نائية المطمع عصية الجند ضرب بين جندها بخصوصيته
وقع بعضهم ببعض بقوة حيلته واستمان قلوب رعيته بأفضية سياسته حتى انقاده
عصيتهم وذل له أيهم فاستولى فيها على أريكته ملكا على قطيعته فأمره لاعدائه
حاصبا لدماره مانعا لحوزته خالطا الرغبة اليه بالرغبة منه ان ذلك لهو الفتى كل الفتى
لا يكذب مادحه وجعل ابن حيان من النوادر العجيبة موافقة عبسد الرحمن هذا لا ي
جعفر المنصور في الرجولية والاستيلاء والصرامة والاجترأ على الكائن والقساوة فان
أتم كل واحد منهم ما بربرية وكان الداخل يقعد لاعامة ويسمع منهم وينظر بنفسه فيما
ينهم ويتوصل اليه من أراد من الناس فيصل الضعيف منهم الى رفع ظلامته اليه دون
مشقة وكان من عادته أن يأكل معه من أصحابه من أدرك وقت طعامه ومن وافق ذلك
من طلاب الحوايج أكل معه * (وفي كتاب ابن زيدون) انه كان أصهب خفيف العارضين
بوجهه خال طويل القامة نحيف الجسم له ضفيرتان أعور أخشم والأخشم الذى
لا يشم وكان يلقب بصقر قريش لكونه تغرب وقطع البر والبحر وأقام ملكا قد أدبر وحده
ولما ذكر الجبارى انه أعور قال ما أنشد فيه الا قول امرئ القيس
لكن عور يروى بدمته * لا عور شأنه ولا قصر

(وقال ابن خلدون) وفي سنة ست وأربعين سار العلاء بن مغيث اليحصبي من افريقية
الى الاندلس ونزل بياجة الاندلس داعيا لابي جعفر المنصور واجتمع اليه خلق فسار عبد

الرحمن اليه واقبىه بنواحي اشيلية فقتله أياما ثم انهم زعم العلاء وقتل في سبعة آلاف من
أصحابه وبعث عبد الرحمن برؤس كثير منهم الى القيروان ومكة فألقيت في أسواقها سرا
نومعها اللواء الاسود وكتاب المنصور للعلاء فارتاع المنصور لذلك وقال ما هذا الا شيطان
والحمد لله الذي جعل بيننا وبينه البحر وكلاما هذا معناه وقد مر ذكر ذلك وكثرت ثورة
رؤساء العرب بالاندلس على عبد الرحمن الداخل وناقسوه ملكه واتي منهم خطوب باعظيمة
وكانت العاقبة له واستتراب في آخر أمره بالعرب لكثرة من قام عليه منهم فرجع الى
اصطناع القبائل من سواهم واتخاذ الموالي ثم غزا بلاد الافرنج والبشكنس ومن وراءهم
ورجع بالظفر وكان في نيته أن يجتهد دولة بني مروان بالمشرق فبات دون ذلك الأمل
وكانت مدة ملكه ثلاثا وثلاثين سنة وأربعة أشهر اذ دخل الاندلس سنة ثمان وثلاثين
ومائة ومات سنة اثنين وسبعين وقيل احدى وسبعين ومائة في خلافة الرشيد وأمه
آم ولد ببرية اسمها راح ومولده سنة ثلاث عشرة ومائة بدير حنا من أرض دمشق وقيل
بالعليان تدمير ومات أبوه في أيام أبيه هشام سنة ثمان عشرة عن احدى وعشرين سنة
وصكفه واخوته جدهم هشام ووهب لعبد الرحمن هذا جميع الانعام التي اجتمعت
للخلفاء بالاندلس وأقطعه اياها ووجه لحيارته من الشام سعيد بن أبي ليلى وقيل انه لما قصد
المغرب من فلسطين خرج معه أربعة بدرمولى أبيه وأبو شجاع وزباد وعمرو وقيل ان
بدر الحقة ولم يخرج معه فأنه أعلم وخلف من الولد عشرين منهم احدى عشر رجلا وتسع
امات * (وحكى غير واحد) انه لما هرب من الشام الى افريقية فاصدا الاندلس نزل بمغيلة
فصار بها عند شيخ من رؤساء البربر يدعى وانسوس ويكنى أباقرة فاستتر عنده وقتا ولحق به
بدرمولى أبيه بجوهر وذهب انفذته اخته اليه فلما دخل الاندلس واستتب أمره به سار
اليه أبوقرة وانسوس البربري فأحسن اليه وحظي عنده واكرم زوجته تكفات البربرية
التي خباته تحت ثيابها عند ما فتشت رسل ابن حبيب ينها عنه فقال لها عبد الرحمن مداعبا
حين استظلت بظله في الاندلس لقد عذبتني بريح ابطيك يا تكفات على ما كان بي من الخوف
وسطعتني بأنني من ريح الجيف فكان جوابه له بسرعة بل ذلك كان والله يا سيدي منك
خرج ولم تشعر به من فرط فزعك فاستظرف جوابا وأغضى عن مواجعتها بمثل ذلك
وهذا من آفات المزاح * ومن محاسنه انه أدار السور بقرطبة رحمه الله (وتولى الملك
بعده ابنه هشام بعهد منه اليه) وأمه آم ولد اسمها حلال وأنضى اليه الملك وهو بماردة
والعليها وكان أبوه يوليه في صباه ويرشحه للأمر وكان الداخل كثيرا ما يسأل عن ابنه
سليمان وهشام فيذكر له ان هشاما اذا حضر مجلسا امتلا أدبا وتاريخا وذكرا لأمور
الحرب ومواقف الأبطال وما أشبه ذلك واذا حضر سليمان مجلسا امتلا سخفا وهذيانا
فيكبر هشام في عينه بمقدار ما يصغر سليمان وقال يوما له هشام لمن هذا الشعر
وتعرف فيه من أبيه شمائل * ومن خاله أو من يزيد ومن حجر
سميحة ذامع برذا ووفاء ذا * ونازل ذا اذا صحا واذا سكر
فقال له ياسيدي لا مرئ القيس ملك كندة وكأنه قاله في الأمير أعزم الله فضمه اليه استحسانا

بما سمع منه وأمر له بأحسن كثير وزاد في عينه ثم قال لسليمان على انفراد لمن هذا الشعر
 وأنشده البيتين فقال لعلهما لا حسد أجلاف العرب أما لي شغل غير حفظ أقوال بعض
 الاعراب فأطرق عبد الرحمن وعلم قدر ما بين الاثنين من المزية * ولما ولي هشام شخص
 المنجم المعروف بالضيبي من وطنه الجزيرة الخضراء الى قرطبة وكان في علم النجوم والمعرفة
 بالحركات العلوية بظلموس زمانه حذقا واهابا فلما أتاه خلابه وقال له يا ضيبي لست أشك
 أنه قد عتاك من أمرنا اذ بلغك ما لم ندع تحديد النظر فيه فأنشدك الله الامانيات بما ظهر لك
 فيه فليج وقال اعفني أيها الامير فاني ألمت به ولم أحقق النظر فيه لجلالته في نفسي
 فقال له قد أجلتك لذلك فتفرغ للنظر فيما بقي عليك منه ثم أحضره بعد أيام فقال ان الذي
 سألتك عنه جئتني مع اني والله ما أتق بحقيقته اذ كان من غيب الله الذي استأثر به
 ولكني أحب أن أسمع ما عندك فيه فالنفس طلعة وألمه الصلة أو العقوبة فقال اعلم أيها
 الامير انه سوف يستقر ملكك سعيدا جتلك قاهرا لمن عاداك الا ان مدتلك فيه فيمادل عليه
 النظر تكون ثمانية أعوام أو نحوها فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال يا ضيبي ما أخوفني
 أن يكون النذير كلني بلسانك والله لو أن هذه المدة كانت في سجدته لله تعالى لقلت طاعة له
 ووصلة وخلق عليه وزهد في الدنيا ولزم أفعال الخير والبر (ومن حكاياته في الجود) انه كان
 قاعد الراحة في عليه على النهر في حياة والده فنظر الى رجل من قدماء صنائعه من أهل
 جيان قد أقبل يوضع السير في الهاجرة فأنكر ذلك وقد شررا وقع به من قبل أخيه سليمان
 وكان واليا على جيان فأمر بإدخاله عليه فقال له مهيم يا كناني فلا مرما وما أحسبك الا
 مزج بالشئ دهمك فقال نعم يا سيدي قتل رجل من قومي رجلا خطأ فحملت الدية على العاقلة
 فأخذ بهم من كثافة عامة وحملنا على من بينهم خاصة وقصدني أخوك بالاعتداء اذ عرف
 مكانك منك فهد هشام يده الى جارية كانت وراء الستر وقطع قلادة عقد نفيس كان في شعرها
 وقال له دونك هذا العقد يا كناني وشراؤه على ثلاثة آلاف دينار فلا تتخذ عن عنه وبعه
 وأدعن نفسك وعن قومك ولا تمنكن الرجل من اهتضامك فقال يا سيدي لم آتتك مستجديا
 ولا لضيق المال عما جلت له ولكني لما اعتمدت بظلم صراح أحبيت أن يظهر عني عز نصرتك
 وأثر ذكرك وامتعاذك فأعجب بذلك عنده من يحسدني على الانتماء اليك فقال هشام فما وجه
 ذلك فقال ان تكتب الى أخيك في الامسال عني والقيام بذمتك لي فقال امسك العقد وركب
 من حينه الى والده الداخل واستأذن عليه في وقت أنكره فانزعج وقال ما آتني بأبي الوليد
 في هذا الوقت الا أمر مقلق اندنوا له فلما دخل سلم عليه ومثل قائما بين يديه فقال له اجلس
 يا هشام فقال اصلي الله الامير سيدي وكيف جالوسى بهم وذل مزعج وحق لمن قام مقامى
 أن لا يجلس الامم طمنا ولن يقعدني الا طيب نفسي باسعاف الامير لحاجتي والارجعت
 على عقي فقال له حاش لك من انقلابك ثانيا فاقعد مجابا مشفعا فجلس فقال له أبوم
 فما حدث المقلق فأعلمه فأمر بحمل الدية عنه وعن عشيرته من بيت المال فسر هشام
 وأطنب في الشكر وكتب الامير الى والده سليمان في ترك التعرض لهذا الكنانى بما لم يدور
 في خلده * ولما دخل الكنانى لوداع هشام قال له يا سيدي قد تجاوزت بك حد الامنية

وبانت غاية النصر وقد أغنى الله عن العقد المبدول بين يدي العناية الكريمة فتعيده الى صاحبه فأبى من ذلك وقال لا سبيل الى رجوعه اليها * وكان هشام يذهب بسيرته مذهب عمر بن عبد العزيز وكان يبعث بقوم من ثقاته الى الكور فيسألون الناس عن سير عماله ويخبرونه بحقا تقها فاذا انتهى اليه حيف من أخذهم أوقع به وأسقطه وانصف منه ولم يستعمله بعد ولما وصفه زياد بن عبد الرحمن لمالك بن أنس قال نسأل الله تعالى أن يزين موصنا مثل هذا وفي أيامه فتحت اريوننة الشهيرة واشترط على المعاهدين من أهل جليقية من معاصب شروطه انتقال عدد من أجال التراب من سور اريوننة المفتحة يحملونها الى باب قصره بقرطبة وبني منه المسجد الذي قدام باب الجنان وفضلت منه فضله بقيت مكومة وقامى مع المخالفين له من أهل بيته وغيرهم حروبا ثم كانت الدائرة له وقصد الى بلاد الحرب غازيا وقصد ألبه والقلاع فلقى العدو وظفريهم وفتح الله عليه سنة خمس وسبعين وبعث العساكر الى جليقية مع يوسف بن نجبة فلقى ملكها ابن منده وهزمه وأثنى في العدو وفي سنة ست وسبعين بعث وزيره عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث لغزاة العدو وفيلح ألبه والقلاع فأثنى في نواحيها ثم بعثه في العساكر سنة سبع وسبعين الى اريوننة وجريدة فأثنى فيها ووطئ أرض برطانية وتوغل عبد الملك في بلاد الكفار وهزمهم ثم بعث العساكر مع عبد الكريم بن عبد الواحد الى ألبه والقلاع سنة ثمان وسبعين ومع أخيه عبد الملك بن عبد الواحد الى بلاد جليقية فأنتهى الى استرقه فجمع له ملك الجلالة واستمد ملك البشكنس ثم خام عن اللقاء ورجع ادراجا واتبعه عبد الملك وكان هشام قد بعث الجيوش من ناحية أخرى فالتقوا بعبد الملك وأثنى وافي البلاد واعترضتهم عساكر الفريخ فثالوا منهم بعض الشيء ثم خرجوا سالين ظافرين * ومن محاسنه انه جدد القنطرة التي يضرب بها المثل بقرطبة كما سبق وكان بناها السبع الخولاني عامل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فأحكم هشام بناها الى الغاية وقال يوما لأحد وزرائه ما يقول أهل قرطبة فقال يقولون ما بناها الامير الا يمضى عليها الى صيده وقنصه قال هشام على نفسه أن لا يسلك عليها فلم يمر عليها بعد ووفي عياد خلف عليه ثم توفي سنة ثمان ومائة لسبع سنين وتسعة أشهر من امارته وقبل اثمان وكان من أهل الخير والصلاح كثير الغزو والجهاد * ومن محاسنه أيضا كمال بناء الجامع بقرطبة وكان أبوه شرع فيه * ومن محاسنه انه أخرج المصدق لاخذ الزكاة على الكتاب والسنة رحمه الله وعمره أربعون سنة وأربعة أشهر وولد في شوال سنة ١٢٧ (وولي بعده ابنه الحكم بعهد منه اليه) فاستكثر من المال بك وارتبط الخليل واستفحل ما ~~كان~~ وباشر الامور بنفسه وفي خلال قتيمة كانت بينه وبين عمه اغتنم العدو الكافر القرصة في بلاد المسلمين وقصد يرشاونة فليكوها سنة خمس وثمانين وتأخرت عساكر المسلمين الى مادونتها وبعث الحكم العساكر مع الحاجب عبد الكريم بن مغيث الى بلاد الجلالة فأثنى وافيها وخالفهم العدو الى المضائق فرجع على التعبية وظفريهم وخرج الى بلاد الاسلام ظافرا وكانت له الوقعة الشهيرة مع أهل الرض من قرطبة لانه في صدر ولايته كان قد انهمك في لذاته فاجتمع أهل العلم والورع بقرطبة مثل

يحيى بن يحيى اللبتي صاحب مالك وأحد رواة الموطأ عنه وطالوت النقيب وغيرهما فتاروا به
 وخلعوه وبأيعوا بعض قرابته وكانوا بالر بضع الغربي من قرطبة وكان محله متصلاً بقصره
 فقالتهم الحكم فغلبهم واقتروا وهدم دورهم وساجدهم ولحقوا بفاس من أرض العدو
 وبالأسكندرية من أرض المشرق ونزل بها جمع منهم ثم ناروا بها فزحف اليهم عبد الله بن
 طاهر صاحب مصر لأمون بن الرشيد وغلبهم وأجازهم إلى جزيرة أفریطس فلم يزلوا بها إلى
 أن ملأها الأفرنج من أيديهم بعد مدة * وكانت في أيام الحكم حروب وقتن مع الثوار
 المخالفين له من أهل طليطلة وغيرهم (وفي سنة ثنتين وتسعين) جمع لذريق بن قارله ملك
 الأفرنج جوعه وصار إلى حصار طرسونة فبعث الحكم ابنه عبد الرحمن في العساكر فهزمه
 وفتح الله على المسلمين وعاد ظافراً ولما كثرت الفريجات في الثغور بسبب اشتغال الحكم
 بالخارجين عليه سار بنفسه إلى الأفرنج سنة ست وتسعين فافتتح الثغور والحصون وخرّب
 النواحي وأفحش في القتل والسبي والنهب وعاد إلى قرطبة ظافراً * (وفي سنة مائتين) بعث
 العساكر مع ابن مغيث إلى بلاد الأفرنج فخرّب وهدم عدة حصون وأقبل عليه أليط ملك
 الجلالة في جوع عظيمة وتنازلوا على نهر وافتتلوا عليه أياماً وبال المسلمون منهم أعظم النبل
 وأقاموا كذلك ثلاث عشرة ليلة ثم كثرت الأمطار ومدا النهر وقل المسلمون ظافرين
 ظاهرين وهو أول من جند الأجناد واتخذ العدة وكان أخفى بن أمية بالاندلس وأشدّهم
 اقرباً وأما وتجدد وكان يشبهه بأبي جعفر المنصور ومن خلفاء بني العباس في شدة الملك وتوطيد
 الدولة وقع الأعداء وكان يؤثر الفقيه زياد بن عبد الرحمن وحضر يوماً عنده وقد غضب
 به على خادم له لا يصاله إليه كتاباً كره وصوله فأمر بقطع يده فقال له زياد أصليح الله الأمير فان
 مالك بن أنس حدثني في خبر رفعه أن من كظم غيظاً يقدر على إنفاذه ملاه الله تعالى أمنا
 وإيماناً يوم القيامة فأمر أن يمسل عن الخادم ويمني عنه فسكن غضبه وقال آله ان الله ان مالكا
 حدثني بذلك فقال زياد آله ان مالكا حدثني بهذا وكانت الجماعة الشديدة سنة سبع وتسعين
 ومائة فأكثف فيها مواساة أهل الحاجات وفي ذلك يقول عباس بن ناصح الجزيري فيه

نكد الزمان فأمنت أيامه * من ان يـكون بعصره عصر

ظلع الزمان بأزمة فجلت له * تلك الكريمة جوده الغمر

وكان نقش خاتمته بالله يشق الحكم ويعتصم * وذ كور ولده عشرون وانا ثم عشرون واقه
 جارية اسمها زخرف وكان أسمر طوالاً أشم نحيفاً ومدة ملكه ست وعشرون سنة ساجحه
 الله * وقال غير واحد انه أول من جعل للملك بأرض الاندلس أجرة واستعد بالممالك حتى
 بلغوا خمسة آلاف منهم ثلاثة آلاف فارس وألفاً راجل ثم توفي الحكم بن هشام آخر سنة ست
 ومائتين لسبع وعشرين سنة من ولايته ومولده سنة ١٥٤ * وقال ابن خلدون وغير
 واحد انه أول من جند بالاندلس الأجناد والمرزقة وجمع الأسلحة والعدد واستكثر من
 الخدم والحواشي والحشم وارتبط الخيول على يابه واتخذ الممالك وكان يسميهم الخرس
 ليجتهدهم وحكى في عهدهم ما تقدم ثم قال وكانت له عيون يطالعونه بأحوال الناس وكان
 يباشر الامور بنفسه ويقرب الفقههاء والعلماء والصالحين وهو الذي وطأ الملك لعقبه

بالاندلس انتهى وكان له فيما حكي غير واحد ألفا فرس مرتبة على شاطئ البحر قبلي قصر
يجمعها داران وهو القاتل لما قتل أهل الرض وهدم ديارهم وحرقها
رأيت صدوع الأرض بالسيف راقعا * وقد مالا مت الشعب مذ كنت يافعا
فساتل تغوري هل به اليوم ثغرة * أبادرها مستنضى السيف دارعا
تبيك اني لم أكن في قراعهم * بوان وقد ما كنت بالسيف فارعا
وهل زدت اذوفيتهم صاع قرصهم * فوافوا منايا قد رت ومصارعا
فهذي بلادى اني قد تركتها * مهبادا ولم أترك عليها منازعا
* وقال ابن حزم في حقه انه كان من المجاهدين بالمعاصي السافكين للدماء ولذلك قام عليه
الفقهاء والصلحاء وقال غير واحد انه تنصل أخيرا وتاب ما محبه الله ومن تظلمه قوله متغزلا
قضب من البان ماست فوق كشبان * وابن عني وقد أزمع من هجراني
ومنها

من لي بمقتضيات الروح من بدني * يغضبني في الهوى وسلطاني
وقيل انه كان يملك أولاد الناس ويخصمهم ونقلت عنه ام ورواه له تاب منها كما قدمنا
والله أعلم بحقيقة أمره * (ومن يدعي أخبار الحكيم) أن العباس الشاعر توجه الى الثغر
فلما نزل بوادي الجحارة سمع امرأة تقول واغوثا بك يا حكيم لقد أهملتنا حتى كاب العدو
لمينا فأيمنا وأيتنا فسألها عن شأنها فقالت كنت مقبلة من البادية في رفقة فخرجت علينا
خيل عدو فقتلت وأسرت فصنع قصيدته التي أولها

تلمات في وادي الجحارة مستدا * اراعي شجوما ما يرون تغيرا
اليك ابا العاصي نصيت مطيتي * تسير بهم ساريا ومهجرا
تدارك نساء العالمين بنصرة * فانك أخرى ان تغيت وتنصرا

فلما دخل عليه أنشده القصيدة ووصف له خوف الثغروا استصراخ المرأة باسمه فأنف
ونادى في الحين بالجهاد والاستعداد فخرج بعد ثلاث الى وادي الجحارة ومعه الشاعر وسأل
عن الخيل التي أغارت من أي أرض العدو كانت فأعلم بذلك فغزاتلك الناحية وأثنى فيها
وفتح الحصون وخرّب الديار وقتل عددا كثيرا وها الى وادي الجحارة فأمر بإحضار المرأة
وجميع من أسره أحد في تلك البلاد فأحضر فامر بضرب رقاب الأسرى بحضورته ما وقال
للعباس سلها هل أغاثها الحكيم فقالت المرأة وكانت نبيلة والله لقد شني الصدور وأنكي
العدو وأغاث الملهوف فأغاثه الله وأعز نصره فارناح لقولها وبدا السرور في وجهه وقال

ألم تر يا عباس أني أجبتها * على البعد أقتاد الخيس المطفرا
فأدركت أوطارا وبردت غلة * ونفست مكروبا وأغنيت معبرا

فقال عباس نعم حزالله خيرا عن المسلمين وقبل يده * (ومما عيب به) انه قتل
الفقيه أبازكريا يحيى بن مطر الغساني وكان قدوة في الدين والورع سمع من سفيان ومالك
ابن أنس وروى عنه مالك وقال حشد ثنائي يحيى بن مطر عن سفيان النوري ان الطلح المنضود
هو الموز وكان قتل المذكور مع جماعة من العلماء وغيرهم * (وقام بأمره من بعده

ابنه عبد الرحمن بعهد منه اليه ثم لآخيه المغيرة بعدهم) فغزا عبد الرحمن لاؤل ولايته الى جليقية وأبعد وأطال المغيب وأثنى في أمم النصرانية هناك ورجع وقدم عليه سنة ست ومائتين زوياب المغني من العراق وهو مولى المهدي ومتعلم ابراهيم الموصلي وأمنه على ابن نافع فركب بنفسه لتلقيه على ما حكاه ابن خلدون وبالع في أكرامه وأقام عنده بخير حال وأورث صناعة الغناء بالاندلس وخلف أولاداً خلفه كبيرهم عبد الرحمن في صناعته وحظوته * وفي سنة ثمان أعزى حاجبه عبد الكريم بن عبد الواحد الى البية والقلاع فحزب كثيرا من البلاد واتسفها وفتح كثيرا من حصونهم وصالح بعضها على الجزية واطلاق أسرى المسلمين وانصرف ظافرا * وفي سنة أربع وعشرين بعث قرييه عبيد الله بن البلدي في العساكر لغزو ألبية والقلاع فساروا في العدو فهزمهم واكثر القتل والسبي ثم خرج لاذريق ملك الجلائقة وأغار على مدينة سالم بالثغر فسار اليه فرؤن بن موسى وقاتله فهزمه وأكثر القتل والسبي في العدو والاسر ثم سار الى الحصن الذي بناه أهل ألبية بالثغر نكاية للمسلمين فاقتحمه وهدمه ثم سار عبد الرحمن في الجيوش الى بلاد جليقية فدوقها وافتتح عدة حصون منها وجال في أرضهم ورجع بعد طول المقام بالسبي والغنائم * وفي سنة ست وعشرين بعث عبد الرحمن العساكر الى أرض الفرنجة واتهوا الى أرض برطانية وكان على مقدمة المسلمين موسى بن موسى عامل تطيلة ولقيهم العدو وقصبر حتى هزم الله عدوهم وكان لموسى في هذه الغزاة مقام محمود * وفي سنة تسع وعشرين بعث ابنه محمد بالعساكر وتقدم الى نبلونة فأوقع بالمشركين عندها وقتل غرسية صاحبها وهو من أكبر ملوك النصارى وفي أيامه ظهر المجوس ودخلوا اشيلية فأرسل اليهم عبد الرحمن العساكر مع القواد من قرطبة فنزل المجوس من مراكبهم وقتلهم المسلمون فهزموهم بعد مقام صعب ثم جاءت العساكر مددا من قرطبة فقاتلهم المجوس فهزمهم المسلمون وغنموا بعض مراكبهم وأحرقوها ورحل المجوس الى شذونة فأقاموا عليها يومين وغنموا بعض الشيء ووصلت مراكب عبد الرحمن الى اشيلية فأقلع المجوس الى لبللة وأغاروا وسبوا ثم الى باجة ثم اشبونة ثم انتطح خبرهم حين أقبلوا من اشبونة وسكنت البلاد وذلك سنة ثلاثين وتقدم عبد الرحمن باصلاح ما خرّبوه من البلاد واكتف حاميتهما * (وفي سنة احدى وثلاثين بعث العساكر الى جليقية فدوقها وحاصروا مدينة ايون ورموها بالجانيق وهرب أهلها عنها وتركوها فغنم المسلمون ما فيها وأحرقوها وأرادوا هدم سورها فلم يقدر واعلمه لان عرضه كان سبعة عشر ذراعا فقتلوا فيه ثلثة ورجعوا ثم أعزى عبد الرحمن حاجبه عبد الكريم في العساكر الى بلاد برشالونة فعاث في نواحيها وأجاز الدروب التي تسمى البرت الى بلاد الفرنجة فدوقها قتلا وأسرا وسيدا وحاصروا مدنتها العظمى برندة وعاث في نواحيها وقفل وقد كان ملك القسطنطينية من ورائهم فوفلس بعث الى الامير عبد الرحمن سنة خمس وعشرين يهدي به يطلب مواصلته ويرغبه في ملك سلفه بالمشرق من أجل ما ضيق به المأمون والمعتصم حتى انه ذكر هـماله في كتابه له وعبر عنه بما يابى من اجل وماردة فكافاه الامير عبد الرحمن عن الهدية وبعث اليه يحيى الغزال من كبار أهل الدولة وكان مشهورا

في الشعر والحكمة فأحكم بينهما الوصلة وارتفع لعبد الرحمن ذكر عند مناغيه من بني
العباس ويعرف الأمير عبد الرحمن بالوسط لأن الأول عبد الرحمن الداخل والثالث
عبد الرحمن الناصر ثم توفي عبد الرحمن الأوسط سنة ثمان وثلاثين ومائتين بربيع الآخر
لاحدى وثلاثين سنة من امارته ومولده بطليطلة في شعبان سنة ست وسبعين ومائة وكان
عالمًا بعلوم الشريعة والفلسفة وكانت أيامه أيام هدهد وسكون وكثرت الاموال عنده
واتخذ القصور والمنتزهات وجلب اليها المياه من الجبال وجعل لفضله مصنعا اتخذ
الناس شريعة وأقام الجسور وبنيت في أيامه الجوامع بكورا لاندلس وزاد في جامع قرطبة
رواقين ومات قبل أن يستتمه فأتمه ابنه محمد بعده وبني بالاندلس جوامع كثيرة ورتب رسوم
المملكة واحتجب عن العامة * وعدد ولده مائة وخمسون من الذكور وخمسون من
الاناث ونقش خاتمه عبد الرحمن بقضاء الله راض * وفي ذلك قيل

خاتم للملك أضحى * حكمه في الناس ماضى

عابد الرحمن فيه * بقضاء الله راضى

وهو أول من أحدث هذا النقش وبقي وراثته لمن بعده من ولده (قال ابن سعيد) وفي أيامه
انتهى مال الجلباية الى ألف ألف دينار في السنة وكان قبل لا يزيد على ستمائة ألف وقد
ذكرنا في غير هذا الموضع ما يخالف هذا فراجع والله أعلم ومن توقيعاته من لم يعرف
وجه طلبه فالحرمان أولى به ومن شعر عبد الرحمن المذكور قوله

ولقد تعارض أوجه لا واصل * فيقودها التوفيق نحو صوابها

والشيخ ان يحو النهى بتجارب * فشباب رأى القوم عند شبابها

وفي زيادته في جامع قرطبة يقول ابن المثنى رحمه الله تعالى

بنيت لله خيريت * يخرم عن وصفه الانام

يج اليه بكل أوب * كانه المسجد الحرام

كان محرابه اذا ما * حفر به الركن والمقام

وقال آخر

بني مسجد الله لم يك مثله * ولا مثله الله في الارض مسجد

سوى ما ابتنى الرحمن والمسجد الذي * بناء بني المسلمين محمد

له عمد حرو وخضر كأنما * تلوح يواقيت بها وزبرجد

ألا يا أميين الله لازات سالما * ولا زات في كل الامور تسدد

فيما يتنافديك من كل حادث * وأنتك للدنيا ولدين تخلصد

وكان كثير الميل للنساء وولع بجاريته طروب وكلف بها كلفا شديدا وهي التي بنى عليها الباب
بيد المال حين تجنت عليه وأعطاه حليا قيمته مائة ألف دينار فقل له ان مثل هذا لا ينبغي
أن يخرج من خزانة الملك فقال ان لا يسه أنف من خلمرا وأرفع قدرا واكرم جوهرها
وأشرف عنصرا وفيها يقول

اذا ما بدت لي شمس النها * رطالعة ذكرتني طسروبا

انا ابن الميامين من غالب * أشبه حروبا وأطفي حروبا

وخرج غازيا الى جليقية فطالت غيبته فمكتب اليها

عداني عنك مرازا العدا * وقودي اليهم بما مصيبا

فكم قد تخطيت من سبب * ولايت بعد دروب دروبا

ألاقي بوجهي سموم الهجيب * كاذمته الحصى أن يذوبا

تداركني الله دين الهدى * فأحييته وأمت الصايبا

وسرت الى الشريك في جحفل * ملأت الحزون به والسهوبا

(وساق) بعض المؤرخين قضية طروب هذه بقوله ان السلطان المذكور أغضبها فهجرت
وصدت عنه وأبت أن تأتيه ولزمت مقصورتها فاشتد قلقه لهجرها وضاق ذرعه من شوقها
وجهد أن يترضاها بكل وجه فأعياء ذلك فأرسل من خاصة خصيانه من ~~يكرها~~ ~~يكرها~~ على
الوصول اليه فأغقت باب مجلسه في وجوههم وآت أن لا تخرج اليهم طائفة ولواتهم
الامر الى القتل فانصرفوا اليه وأعلموه بقولها واستأذنوه في كسر الباب عليها فنهاه
وأمرهم بسد الباب عليها من خارجه بيدرا لدرهم ففعلوا وبنوا عليها باليدرو وأقبل حتى
وقف بالباب وكلها مسترضيا راغبا في المراجعة على أن لها جميع ما سئله الباب فأجاب
وفتحت الباب فانهالت البدر في بيتها فأكبت على رجلاه تقبلها وحازت المال وكانت تبرم
الامور مع مضر الحصى فلا يرتشأ مما تبرمه * وأحب أخرى اسمها مدثرة فأعتقها وترجوها
وأخرى كذلك اسمها الشفاء وأما جارية قلم فكانت أدبية حسنة الخط راوية للشعر حافظه
للاخبار عالمة بضروب الادب وكان مولعا بالسمع مؤثرا له على جميع لذاته وله أخبار
كثيرة رجع الله * ولما مات ولي مكانه ابنه محمد فبعث لاقول ولايته عسا كرمع موسى بن
موسى صاحب طليطلة فعثا في نواحي ألبه والقلاع وفتح بعض حصونها ورجع وبعث
عسا كرا أخرى الى نواحي برشلونة وما وراءها فعاثوا فيها وفتحوا حصونا من برشلونة ورجعوا
* ولما سقدا أهل طليطلة الخالفون من أهل بلاد الامير محمد عليه بملكى جليقية والبشكنس
لقبهم الامير محمد على وادى سليطة وقد أكن لهم فأوقع بهم وبلغت عدة القتلى من أهل
طليطلة والمشركين عشرين ألفا * (وفي سنة خمس وأربعين) ظهرت مراكب الجوس وعاثوا
في الاندلس فلقبهم مراكب الامير محمد فقاتلوههم وغنوا منهم من كمين واستشهد جماعة من
المسلمين * (وفي سنة سبع وأربعين) اغزى محمد الى نواحي ببلونة وصاحبها حينئذ غربية
ابن وبة وكان يظاها راردين بن أدقش فعثا في نواحي ببلونة ورجع وقد دقوها وفتح
كثيرا من حصونها وأسر فرقون ابن صاحبها فقي أسير بقرطبة عشرين سنة ثم بعث سنة
احدى وخسين أخاه المندري العسا كرا الى نواحي ألبه والقلاع فعاثوا فيها وجمع لاذريق
للقائم فلقبهم وانهمزم وأثنى المسلمون في المشركين بالقتل والاسرف كان فتحا لا كفاء له * ثم
غزا الامير محمد بنفسه سنة احدى وخسين بلاد الجلالة فأثنى وخرب * (وفي سنة ثلاث
وستين) اغزى الامير محمد ابنه المندري الى دار الحرب وفي السنة التي بعدها الى بلاد
ببلونة فدقوها ورجع * وفي سنة ثمان وستين أغزاه أيضا الى دار الحرب فعاث

في نواحيها وفتح حصونا * وفي ايام الامير محمد حربت ماردة وهدمت ولم يبق لها أثر *
وذكر بعضهم انه رأى بالمشرق هذه الايات قبل أن تخرب ماردة بأعوام ولم يعلم قائلها
وذلك سنة ٢٥٤

ويل لماردة التي مردت * وتكبرت عن عدوة النهر
كانت ترى لهم بهار زهر * نخلت من الزهرات كالقفر
قالويل ثم الويح حين غزا * بجميعهم من صاحب الامر
ثم توفي الامير محمد في شهر صفر سنة ثلاث وسبعين ومائتين لخمس وثلاثين سنة من امارته
ومولده سنة سبع ومائتين * وولي بعده ابنه المنذر ولم تطل مدته وأقام في الملك سنتين
الانصف شهر وتوفي منتصف صفر سنة خمس وسبعين ومائتين وفيه قيل
بالمنذر بن محمد * صلت بلاد الاندلس
ثم ولي أخوه عبد الله قال ابن خلدون كان خراج الاندلس قبله ثلثمائة ألف دينار مائة
ألف للجيش ومائة ألف للنفقة في النوايب وما يعرض ومائة ألف ذخيرة ووفر فأفق
الوفر حين اضطربت عليه نواحي الاندلس بالشوار والمتغلبين في تلك السنين وقل الخراج
انتهى * ومن نظم الامير عبد الله قوله

يا مهجة المشتاق ما أوجعك * ويا أسير الحب ما أختعك
ويا رسول العين من لحظها * بالرد والتبليغ ما أسرعك
تذهب بالسرى فتأق به * في مجلس يخفى على من معك
كم حاجة انجزت ابرازها * تبارك الرحمن ما أطوعك

وهذه الايات عنوان فضله وبراعة استهلال نبه * وكان الوزراء يطالعون بأرائهم
الخليفة في بطاقة فطالعه وزيره النضر بن سلمة برأيه في أمر في ورقة فلما وقف عليها لم يعجبه
ذلك الرأي فكتب

أنت يا نضر آبد * ليس ترجى لفائده
انما أنت عتة * لكيف ومائده

وتوفي الامير عبد الله سنة ثلثمائة ومدة ملكه نحو من خمس وعشرين سنة * وولي حاقده
عبد الرحمن الناصر ابن ابنه محمد قتيل أخيه المطرف وكانت ولايته من الغرب لانه كان
شابا وأعمامه وأعمام أبيه حاضرون فتصدى اليها واحتارها دونهم ووجد الاندلس
مضطربة بالمخالفين مضطربة بيران المتغلبين فأطفأ ذلك النيران واستنزل أهل العصيان
واستقامت له الاندلس في سائر جهاتها بعد نصف وعشرين سنة من ايامه ودامت ايامه
نحو خمسين سنة استعمل فيها ملك بن امية بتلك الناحية وهو أول من تسمى منهم بلانندلس
بأمر المؤمنين عند ما التاث أمر الخلافة بالمشرق واستبد موالي التلع علي بن العباس
وبلغه أن المقتدر قتله مؤنس المظفر مولاه سنة سبع عشرة وثلثمائة فملقب باللقاب
الخلاقة وكان كثير الجهاد بنفسه والغزو إلى دار الحرب إلى أن هزم عام الخندق سنة ثلاث
وعشرين ومحمد الله فيها المسلمين ففقد عن الغزو بنفسه وصار يرد الطوائف في كل

سنة فأوطأ عسا كرا المسلمين من بلاد الافرنج ما لم يطؤوه قبل في أيام صلفه ومدت اليه
أم النصرانية من وراء الدروب يد الأذعان وأوفدوا عليه رسلهم وهذا يا هم من رومة
والقسطنطينية في سبيل المهادنة والسلام والاعتقال فيما بعثت في مرضاته ووصل الى سدة
الملوك من أهل جزيرة الاندلس المتأخين لبلاد المسلمين بجهات قشتالة وبنبلونة وما ينسب
اليها من الثغور الخوفية فقبلاوا يده والتمسوا رضاه واحتقبوا جوائزه وامتطوا مركبه
ثم سما الى ملك العدو قسناول سبعة وثقل الفرضه من ايدي أهلها سنة سبع عشرة وثلثمائة
وأطاعه بنو ادريس امراء العدو وملوك زناتة والبربر وأجاز اليه الكثير منهم كما يعلم من
اجناده وبدأ أمره اقول ولايته بتخفيف المغارم عن الرعايا انتهى كلام ابن خلدون وفيه
يقول ابن عبد ربه صاحب العقد يوم تولى الملك

بدا الهلال جديدا * والملك غض جديدا

يا نعمة الله زيدي * ان كان فيك مزيد

ان كان للصوم فطر * فانت للدهر عيب

وأراد بأول الايات انه ولي مستهل ربيع الاول كما علم * وما أشار اليه ابن خلدون
في غزوة الخندق فصله المسعودي فقال بعد أن أجرى ذكر مخالفة امية بن اسحق على الناصر
ودخوله أرض النصارى ودلالته اياهم على عورات المسلمين ما ملخصه وغزا عبد الرحمن
صاحب الاندلس مسمورة دار الجلالة وكان عبد الرحمن في مائة ألف أو يزيدون وكانت
الوقعة بينه وبين ردمير ملك الجلالة في شوال سنة ٣٢٧ بعد الكسوف الذي كان في هذا
الشهر بثلاثة أيام فكانت للمسلمين عليهم ثم ثابوا بعد أن حوصروا وألجئوا الى المدينة
فقتلوا من المسلمين بعد عبورهم الخندق خمسين ألفا وقبل ان الذي منع ردمير من طلب من
نجاة من المسلمين امية بن اسحق وخوفه الكمين ورغبه فيما كان في عسكر المسلمين من
الاموال والعتة والخزائن ولولا ذلك لاقى على جميع المسلمين ثم ان امية استأمن بعد ذلك الى
عبد الرحمن وتخلص من ردمير وقبله عبد الرحمن احسن قبول * وقد كان عبد الرحمن بعد
هذه الوقعة بجهز عساكره مع عتة من قواده الى الجلالة فكانت لهم بهم عدة حروب هلك
فيها من الجلالة ضعف ما قتل من المسلمين في الوقعة الاولى وكانت للمسلمين عليهم الى هذه
الغاية ورد مير ملك الجلالة الى هذا الوقت وهو سنة ٣٢٦ انتهى * وقال في موضع آخر
ما ملخصه ان عبد الرحمن غزا في أزيد من مائة ألف من الناس فنزل على دار ملكة الجلالة
وهي مدينة مسمورة وعليها سبعة أسوار من أعجب البنيان قد أحكمته الملوك السالفة وبين
الاسوار فصلات وخنادق ومياه واسعة واقتح منها سورين ثم ان أهلها ثابوا على المسلمين
فقتلوا منهم من ادركه وعن غرق أربعون ألفا وقيل خمسون ألفا وكانت
للجلالة والبشكنس على المسلمين انتهى كلام المسعودي * (رجع الى اخبار الناصر)
فنعول ان الناصر رحمه الله كان له نظم ومما نسب اليه بعضهم قوله

لا يضرك الصغير حدثان سن * انما الشأن في سعاد الصغير

كم مقسيم فازت يداه بغنم * لم تسله بالرخص كف مغير

قوله سنة ٣٢٦ سنة لعلة
سنة ٣٢٩ سنة لما أن تاريخ
الوقعة الاولى كان سنة ٣٢٧
وليحذر اه
كذا يابض بالاصل
وليراجع اه

هدية ابن شهيد للناصر

هكذا ألقيت البيتين منسوبين إليه بخط بعض الأكابر ثم كتب بإثره مانصه الصحيح انتهى
لغيره والله أعلم انتهى * وكان الناصر رحمه الله قد استعجب موسى بن محمد بن حدير
واستوزر عبد الملك بن جهور وأحمد بن عبد الملك بن شهيد * وأهدى له ابن شهيد
هدية المشهورة المتعددة الاصناف وقد ذكرها ابن حبان وابن خلدون وغيرهما
بن المؤرخين قال ابن خلدون وهي مما يدل على ضخامة الدولة الاموية واتساع أحوالها
وكان ذلك سنة سبع وعشرين وثلثمائة لثمان خلون من شهر جمادى الاولى وهي هدية
عظيمة الشأن واشتهر ذكرها الى الآن واتفق على انه لم يهاد أحد من ملوك الاندلس
بمثلها وقد أعجبت الناصر وأهل مملكته جميعا وأقروا أن تفصلهم تسريح بانخراج مثلها ضريبة
عن يدها وكتب معها رسالة حسنة بالاعتراف للناصر بالنعمة والشكر عليها فاستحسنها
الناس وكتبوها وزاد الناصر وزيره هذا حظوة واختصاصا واسمى منزلة على سائر الوزراء
جميعا وأضعف له رزق الوزارة وبلغه ثمانين ألف دينار أندلسية وبلغ معروفه الى ألف دينار
وثني له العظمة لثنيته له الرزق فسمي ذا الوزيرين لذلك وكان أول من تسمى بذلك بالاندلس
امتثالاً لاسم صاعد بن مخلد وزير بنى العباس ببغداد وأمر بتصدير فراشه في البيت وتقديم
اسمه في دفتر الارتزاق أول التسمية فعظم مقداره في الدولة جدا * وتفسير هديته المذكورة
على ما ثبت في كتاب ابن خلدون على ما يفسر خمسمائة ألف مثقال من الذهب العين
وأربعمائة رطل من التبرود صارفة خمسة وأربعون ألف دينار من سبائك الفضة في مائتي
بدره * واقصر ابن الفرضي على خمسمائة ألف دينار فقط واشاع رطل من العود
الهندي الذي يختم عليه كالشمع ومائة وثمانون رطلا من العود المختير ومائة رطل من العود
الشبه المنتقى هكذا ذكره ابن خلدون * وقال ابن الفرضي مستندا الى الكتاب الذي
وجهه ابن شهيد مع الهدية ان العود العالي من ذلك أربعمائة رطل منها قطعة واحدة
مائة وثمانون رطلا * وقال ابن خلدون ومائة أوقية من المسك الذكي المفضل في جنسه
انتهى * وقال ابن الفرضي نقلا عن الكتاب المصنوع مع الهدية ان المسك مائتا أوقية
واثنتا عشرة أوقية ومن العنبر الاشهب الباقي على خلقته بغير صناعة خمسمائة أوقية منها
قطعة عجيبه مائة الشكل وزن مائة أوقية هكذا في تاريخ ابن خلدون وفي ابن الفرضي
ان الكل مائة أوقية وأن هذه القطعة أربعون أوقية ومن الكافور المرتفع النقي الذكي
ثلثمائة أوقية * قال ابن خلدون ومن اللباس ثلاثون شقة من الحرير المختم المرقوم
بالذهب كلباس الخلفاء المختلف الالوان والصنائع وعشرة أفرية من عالي جلود الفئك
الخراسانية * وخالفه ابن الفرضي اذ قال ومن أنواع الثياب ثلاثون شقة وخنج خاصية
لللباسه بيضاء وملونة وخمس ظهائر شعيبية خاصية له وعشرة فراء من عالي الفئك منها سبعة
بيض خراسانية وثلاث ملونة وستة مطارف عراقية خاصية له وثمان وأربعون ملحفة
زهريه لكسوته ومائة ملحفة زهريه لرقاده ولم يذكر ابن خلدون ذلك وابن الفرضي
أعرف لاسيما وقد استند الى كتاب المهدي وصاحب البيت ادري * قال ابن
خلدون وعشرة قناطر شدة فيها مائة جلد سمور وقاله ابن الفرضي أيضا وزاد ابن خلدون

وسنة من السراقات العراقية وثمانية وأربعون من الملاحف البغدادية لزينة الخليل
من الحرير والذهب ثم قالوا معا وأربعة آلاف رطل من الحرير المغزول وألف رطل من لون
الحرير المتقي للاستغزال وزاد ابن خلدون وثلاثون شقة من القربون لسروج الهبات
وزاد ابن الفرضي في الحرير المذكور قيل أنه قبضه منه صاحب الطراز ولم يأت به مع
الهدية وانما دفعه لصاحب الطراز وأثبتته في الدفتر قالوا وثلاثون بساطا من الصوف
مختلفة الصناعات طول كل بساط منها عشرون ذراعا وقال ابن خلدون من صناعة مختلفة
الالوان قالوا ومائة قطعة مصليات من وجوه الفرس المختلفة زاد ابن الفرضي الصناعات
من جنس البسط قالوا وخمسة عشر نوخا من عمل الخز المقطوع شطرها قال ابن الفرضي
وسائرهما من جنس البسط قال ابن خلدون ومن السلاح والعدة ثمانمائة من التجانيف
المزينة أيام البروز والمواكب وقال ابن الفرضي مائة تجفاف بأيدع الصناعات
وأغربها وأكملها قالوا وألف ترس سلطانية ومائة ألف سهم زاد ابن خلدون من التبال
البارعة الصنعة قال ابن خلدون ومن الظهر خمسة عشر فرسا من الخيل العرب المتخيرة
لركاب السلطان فائقة النعوت وقال ابن الفرضي ومن الخيل مائة فرس منها من الخيل
العرب المتخيرة لركابه خمسة عشر فرسا وخمس من عرض هذه الخيل مسرجة ملحمة
لراكب الخلافة بحال سروجها خز عراقي وثمانون فرسا يصلح للوصفاء والحشم
وقال ابن خلدون مائة فرس من الخيل التي تصلح للركوب في التصرف والغزوات وقال
ابن الفرضي وخمسة أبحل عالية الركاب وقال ابن خلدون وعشرون من بغال الركاب
مسرجة ملحمة براكب خلافة بحال سروجها خز عراقي قال ومن الرقيق
أربعون وصيفا وعشرون جارية من متخير الرقيق بكسوتهم وجميع آلاتهم وقال ابن
خلدون في الجوارى متخيرات بكسوتهم وزينتهم وقال ابن خلدون ومن سائر الاصناف
قرية تغل آلافا من امداد الزرع ومن الصخر للبنيان ما انفق عليه في عام واحد ثمانون ألف
دينار وعشرون ألف عود من الخشب من أجمل الخشب وأصيله وأقومه قيمتها خمسون
ألف دينار انتهى وقال ابن الفرضي نعلان كتاب ابن شهيد المصنوع مع الهدية
عندما ذكر الرقيق ما صورته وكان قد اربى أيده الله باتباعهم من مال الانجاس فابتعتهم من
نعمته عندي وصيرتهم من بعثي ومع ذلك عشر قنطار سكر طبرزد لا يحاق فيه وفي آخر
الكتاب والماعيات تطلع مولاي أيده الله تعالى الى قرية كذابا لقينا نيسة المنقطة الغرس
شرفها وترداد أيده الله تعالى لذكرها لم أهنأ بعيش حتى أعلمت الحيلة في اتباعها
بأحوازها وأكتبت وكيده ابن بقرية الوثيقة فيها باسمه وضمها الى ضياعه وكذلك صنعت
في قرية شيرة من نظرجيان عندما اتصل بي من وصفه لها وتطلعه اليها فارتأت ان تصدى
لمسرتها حتى ابتعتها الآن بأحوازها وجميع منازلها وربوعها واحتاز ذلك كله الوكيل
ابن بقرية وما رفي يده له أبقاه الله سبحانه وأرجوانه سيرفع فيها في هذه السنة آلاف
أمداد من الاطعمة ان شاء الله تعالى ولما علمت نافذ عزمه أبقاه الله تعالى في البنيان
وكلفه به وفكرت في عدد الاماكن التي تطلع نفسه الكريمة الى تخليد آثاره في بنيانها

مد الله تعالى في عمره وأوفى به على أقصى أماله علمت أن أسسه وقوامه الصخر والاستقرار منه
فأثارت لي همتي ونصحتني حكمة حيلة أحكمها سعدك ووجدتك الأذان يبعثان ما لا يتوهم
عليه حيلة أقيم لك فيها بعام واحد عددا ما كان يقوم على يدي عبدك ابن عاصم في عشرين
عاما وينتهي تحصيل النفقة فيه إلى نحو الثمانين ألفا بحمل شأنه في عام سوى التوفير
العظيم الذي يديه العيان قبل أن شاء الله تعالى وكذلك ما ناب إلى في أمر الخشب لهذه
المنية المكرمة فإن ابن خليل عبدك المجتهد الدؤب انتهى في تحصيل عدد ما تحتاج إليه
ثلاثمائة ألف عود ونيف على عشرين ألف عود على أنه لا يدخل منه في السنة إلا نحو الألف
عود ففتح لي سعدك رأيا أقيم له بتمامه جميع هذا الخشب العام على كماله بورد الجليبة لوقتها
وقيته على الرخص ما بين الخمسين ألفا والستين ألفا انتهى * ومن غريب ما يحكي عن
أمير المؤمنين الناصر المذكور أنه أراد الفصد فعد بالهوف في المجلس الكبير المشرف بأعلى
سد ينته بالزهراء واستدعى الطبيب لذلك وأخذ الطبيب الآلة وجس يد الناصر فبينما هو
إذا طل زر زور قصه على أناء ذهب بالمجلس وأنشد

أيها الفاصد رفقا * بأمر المؤمنين

أنما تفصد عرقا * فيه يحي العالمينا

وجعل يكرر ذلك المرة بعد المرة فاستظرف أمير المؤمنين الناصر ذلك غاية الاستظراف
وسرته غاية السرور وسأل عن اهتدي إلى ذلك وعلم الزر زور فذكر له أن السيدة الكبرى
مرجانة أم ولده ولي عهد الحكم المستنصر بالله صنعت ذلك واعدته لذلك الأمر فذهب
إليها ما ينيف على ثلاثين ألف دينار * وذكر ابن بسام أن أبا عامر بن شهيد أحمد بن عبد
المالك الوزير أهدى له غلام من النصارى لم تقع العيون على شبهة فلعنه الناصر فقال لابن
شهيد أفي لك هذا قال هو من عند الله فقال له الناصر تحفوننا بالنجوم وتستأثرون بالقمر
فاستعذروا احتفل في هدية بعثها مع الغلام وقال يا بني كن مع جملة ما بعثت به ولولا
الضرورة ما سمحت بك نفسي وكتب معه هذه الايات

أمولاي هذا البدر سار لا فكم * وللافق أولى بالبدور من الأرض

أرضيكم بالنفس وهي نفيسة * ولم أرقب لي من عهجة يرضى

فحسن ذلك عند الناصر وأتحفه بمال جزيل وتمكنت عنده مكانته ثم انه بعد ذلك أهدى
إليه جارية من أجل نساء الدنيا فخاف أن ينتهي ذلك إلى الناصر في طلبها فتكون قصة
الغلام فاحتفل في هدية أعظم من الأولى وبعثها معها وكتب له

أمولاي هذي الشمس والبدر اقولا * تقدم كيما يلتقي القمران

قران لعمري بالسعادة قد أتى * قدم منهما في كوث ورجزان

فما لهما والله في الحسن ثالث * ومالك في ملك البرية ثاني

فتضاغت مكانته عنده ثم ان أحد الوشاة رفع للملك أنه بقي في نفسه من الغلام حرارة وأنه
لا يزال يذكره حين تحرك الشمول ويقرع السن على تعذر الوصول فقال للوأي
لا تحزن لذه لسانك والاطار راسك وأعمل الناصر حيلة في أن كتب على لسان الغلام

رقعة منها يامولاي تعلم انك كنت لي على انفرادي ولم أزل معك في نعيم واني وان كنت عند الخليفة مشارك في المنزلة محاذر ما يسد ومن سطوة الملك فتحييل في استمدائي منه وبعثها مع غلام صغير السن وأوصاه أن يقول من عند فلان وأن الملك لم يكلمه قط ان سأله عن ذلك فلما وقف أبو عامر على تلك الرسالة واستخبر الخادم علم من سؤاله ما كان في نفسه من الغلام وما تكلم به في مجالس المدام فكتب على ظهر الرقعة ولم يزد حرفا .

أمن بعد احكام التجارب ينبغي * لدى سقوط الطير في غابة الاسد
وما أنا من يغلب الحب قلبه * ولا جاهل ما يدعيه أولو الحسد
فان كنت روي قد وهبتك طائعا . * وكيف يرد الروح ان فارق الجسد

فلما وقف الناصر على الجواب ^{فقطته ولم يعد الى استماع واش به ودخل عليه بعد} ذلك فقال له كيف خلصت من ^{في} فقال لان عقلي بالهوى غير مشترك فأنعم عليه وزادت محبته عنده وعن ذكر هذه الحكاية صاحب مطالع البدور في منازل السرور * وأخبار الناصر طويلا جدا وقد منح الظفر على الثوار واستترأهم من معاقلمهم حتى صفاه الوقت وكانت له في جهاد العدو واليد البيضاء فن غزواته انه غزا سنة ثمانية وثلاثمائة الى جليقية وملكها أردون بن أدفونش فاستجبد بالبشكنس والافرنجة وظاهر شانجة بن فرويلة صاحب بنبلونة أمير البشكنس فهزمهم ووطئ بلادهم ودوخ أرضهم وفتح معاقلمهم وخرّب حصونهم ثم غزا بنبلونة سنة ثلثي عشرة ودخل دار الحرب ودوخ البساط وفتح المعاقل وخرّب الحصون وأفسد العمارات ورجال فيها وتوغل في قاميتها والعدو يحاذيه في الجبال والاورع ولم يظفر منه بشي ثم بعد مدة ظفر به بض الثوار عليه وسكان استمدت بالنصارى فقتل الناصر من كان مع الثائر من النصارى أهل ألبه وفتح ثلاثين من حصونهم وبلغه انتفاض طوطة ملكة البشكنس فغزاها في بنبلونة ودوخ أرضها واستباحها ورجع الى قرطبة ثم غزا غزوة الخندق سنة سبع وعشرين الى جليقية فانهزم وأصيب فيها المسلمون وقعد بعدها عن الغزو بنفسه وصار يردد البعوث والطوائف الى الجهاد وبعث جيوشه الى المغرب فلك سبعة وقاسا وغيرهما من بلاد المغرب وطار صيته وانتشر ذكره كما سبق ولما هلك شانجة بن فرويلة ملك البشكنس قام بأمرهم بعده أمة طوطة وكفلت ولده ثم انتقضت على الناصر سنة خمس وعشرين فغزا الناصر بلادها وخرّب نواحي بنبلونة وردد عليها كما مر الغزوات وكان قبل ذلك سنة ثنتين وعشرين غزا الى خشمة ثم رحل الى بنبلونة فجاءته طوطة بطاعتها وعقد لابنها غرسية على بنبلونة ثم عدل الى ألبه وبساطها فدوخها وخرّب حصونهم اثم اقمهم جليقية وملكها يومئذ مردمير بن اردون فخام عن لقائه ودخل خشمة فنأزله الناصر فيها وهدم برغش وكثيرا من معاقلمهم وهزمهم صارا ورجع ثم كانت بعدها غزوة الخندق السابقة وهابته امم النصرانية ثم وفدت عليه سنة ست وثلاثين رسل صاحب قسطنطينية وهديته وهو يومئذ قسطنطين واحتفل الناصر لقدومه في يوم مشهود قال ابن خلدون رسمت في ذلك اليوم العساكر بالاسلح في أكمل شكة وزين القصر الخلابي بأنواع الزينة وأصناف السطور وحل السرى بالخلاف

بمساعدة الأبناء والأخوة والأعمام والقراية ورتب الوزراء والخدمة في مواقفهم ودخل
الرسول فهاهم ماراً ووقر بواحي أذوار سالتهم وأمر يومئذ الأعلام أن يخطبوا في ذلك
المحفل ويعظموا من أمر الإسلام والخلافة ويشكروا نعمة الله على ظهور دينه وأعزازه
وذلة عدوه فاستعدت والذات ثم بهرهم هول المجلس فوجدوا وشرعوا في القول قارحهم عليهم
وكان فيهم أبو علي القالي وأقد العراق كان في جملة الحكماء والى العهد ونده لذلك استشارا
فحجز فلما وجدوا كلهم قام منذرين سعيد البلوطي من غير استعداد ولا روية ولا تقدم له أحد
بشيء من ذلك فخطب واستحضر ورجل في ذلك القصد وأنشد شعرا طويلا ارتجله في ذلك
الغرض فثار في فخر ذلك المجلس وحبب الناس من شأنه أكثر من كل ما وقع وأعجب به الناصر
وولاء القضاء بعدها وأصبح من رجالات المعالي وأخباره مشهورة وخطبته في ذلك اليوم
منقولة في كتب ابن حبان وغيره ثم انصرف هؤلاء الرسل وبعث الناصر معهم هشام بن
سديك بديانة حافلة ليؤكد المودة ويحسن الأجابة ورجع بعد سنتين وقد أحكم من ذلك
ما شاء وجاءت معه رسل قسطنطين ثم جاء رسول من ملك الصقالية وهو يومئذ دوفوة
ورسل آخر من ملك الألمان ورسول آخر من ملك الأفرنجية وراء البرت وهو يومئذ دوفوة
ورسل آخر من ملك الأفرنجية بقاصية المشرق وهو يومئذ كدة واحتفل الناصر لاقدهم
وبعث مع رسول الصقالية ربيعة الأسقف إلى ملكهم دوفوة ورجع بعد سنتين * (وفي سنة
أربع وأربعين جاء رسول أردون يطالب السلم فعهده ثم بعث في سنة خمس وأربعين يطلب
ادخال فردلند قومس قشتيلة في عهده فأذن له في ذلك وأدخل في عهده وكان غرسية
ابن شانجة قد استولى على جليقية بعد أبيه شانجة بن فرويلة ثم انتقض عليه أهل جليقية
وقوى بهم قومس قشتيلة فردلند المذكور ومال إلى أردون بن ردمير وكان
غرسية بن شانجة حاقدا الطوطة ملكة البشكنس فامتعضت لحاقدها غرسية ووفدت على
الناصر سنة سبع وأربعين ملقية بنفسها في عقد السلم لها ولولدها شانجة بن ردمير الملك
واعانة حاقدها غرسية بن شانجة على ملكه ونصره من عدوه وجاء الملكان معها فاحتفل
الناصر لاقدهم وعقد الصلح لشانجة وأمه وبعث العساكر مع غرسية ملك جليقية
فرد عليه ملكه وخلع الجلالة طاعة أردون إليه وبعث إلى الناصر يشكره على فعلته
وكتب إلى الامم في النواحي بذلك وبما ارتكبه فردلند قومس قشتيلة في نكته ووثوبه
ويعير به بذلك عند الامم ولم يرل الناصر على موالاته واعانته إلى أن هلك ولما وصل رسول
كدة ملك الأفرنجية بالشرق كما تقدم وصل معه رسول ملك برشلونة وطرق كونة راغبا
في الصلح فأجابه الناصر ووصل بعده رسول صاحب رومة يخطب المودة فأجيب انتهى
كلام ابن خلدون ببعض اختصار ولنقص بعض ما أجب له فنقول ذكر ابن حبان
وغير واحد أن ملك الناصر بالاندلس كان في غاية الضخامة ورفعة الشأن وهادته الروم
وازدانته إليه تطالب مهادنته ومتاحفته بعظيم الذخائر ولم تبق أمة سمعت به من ملوك
الروم والأفرنجية والنجوس وسائر الامم الا وفدت عليه خاضعة راغبة وانصرفت عنه
راضية ومن جاءهم صاحب القسطنطينية العظمى فانه هاداه ورغب في موادعته

وكان وصول ارساله في صفر سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة وتقدم في كلام ابن خلدون انها
ست وثلاثون فانه أعلم أيها الأصح وتأهب الناصر لورودهم وأمر أن يتلقوا أعظم تلق
وأخفه وأحسن قبول وأكرمه وأخرج الى لقائهم بجاية يحيى بن محمد بن الليث
وغیره خادمة اسباب الطريق فلما صاروا بأقرب المحلات من قرطبة خرج الى لقائهم
الفراد في العدد والعدة والتعبية فتلقوهم قائداً بعد قائداً وكل اختصاصهم بعد ذلك بأن
أخرج اليهم الفتيين الكبيرين الخصيين ياسرا ونما ما ابلاغ في الاحتفال بهم فلقياهم بعد
القوادف استبان لهم بخروج الفتيين اليهم بسط الناصر وكرامه لان الفتيان حينئذ هم
عظماء الدولة لانهم أصحاب الخلوة مع الناصر وحرمة ويدهم القصر السلطاني وأنزلوا
بمنية ولي العهد الحكم المنسوبة الى نصير بعدوة قرطبة في الرض ومنعوا من لقاء الخاصة
والعامة بجهة ومن ملبسة الناس طرا ورتب لحجبتهم رجال تخيروا من الموالى ووجوه
الحشم فصيروا على باب قصر هذه المنية ستة عشر رجلا لاربع دول لكل دولة أربع
منهم ورحل الناصر لدين الله من قصر الزهراء الى قصر قرطبة لدخول وفود الروم عليه
فبعد لهم يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول من السنة المذكورة
في يوم المجلس الزاهر قعودا حسنا بديلا وقعد عن يمينه ولي العهد من بني الحكم ثم عبد الله ثم
عبد العزيز ثم الاصبغ ثم مروان وقعد عن يساره المنذر ثم عبد الجبار ثم سليمان وتختلف
عبد الملك لانه كان عليه لم يطق الحضور وحضر الوزراء على مراتبهم عينا وشمالا ووقف
الحجاب من أهل الخدمة من أبناء الوزراء والموالى والوكلاء وغيرهم وقد بسط صحن الدار
اجمع بعناق البسط وكرائم الدرائك وظللت أبواب الدار وحناياها بظلم الديباج ورفيع
الستور فوصل رسل ملك الروم حاترين مزاراً ومن بهجة الملك ونخامة السلطان ودفعوا
كتاب ملكهم صاحب قسطنطينية العظمى قسطنطين بن ليون وهو في رق مصبوغ لوناً سماوياً
مكتوباً بالذهب بالخط الاغريق ودخل الكتاب مدرجة مصبوغة أيضاً مكتوبة بفضة بخط
اغريق أيضاً فيها وصف هديته التي ارسل بها وعددها وعلى الكتاب طابع ذهب وزنه أربعة
مناقيل على الوجه الواحد منه صورة المسيح وعلى الآخر صورة قسطنطين الملك وصورة
ولده وكان الكتاب بداخل درج فضة منقوش عليه غطاء ذهب فيه صورة قسطنطين الملك
معمولة من الزجاج الملون البديع وكان الدرج داخل جعبة ملبسة بالديباج وكان في ترجمة
عنوان الكتاب في سطر منه قسطنطين ورومان المؤمنين بالمسيح الملكان العظيمان ملكا
الروم وفي سطر آخر العظيم الاستحقاق الفخر الشريف التسبب عبد الرحمن الخليفة الحاكم
على العرب بالاندلس أطال الله بقاءه ولما احتفل الناصر لدين الله هذا الاحتفال أحب
أن يقوم الخطباء والشعراء بين يديه لتذكر جلالة مقعده وعظيم سلطانه وتصف ماتياً من
توطيد الخلافة في دولته وتقدم الى الامير الحكم ابنه ولي عهده بأعداد من يقوم بذلك من
الخطباء ويقدمه أمام نشيد الشعراء فأمر الحكم منيعه الفقيه محمد بن عبد البر الكسبياني
بالتأهب لذلك وأعداد خطبة بليغة يقوم بها بين يدي الخليفة وكان يدعى من القدرة على
تأليف الكلام ما ليس في وسع غيره وحضر المجلس السلطاني فلما قام يحاول التكلم بما

رأى حاله وبهره هول المقام وأبهة الخلافة فلم يمتد إلى لفظة بل غشى عليه وسقط إلى الأرض
فقبل لابي علي البغدادي اسمعيل بن القاسم القالي صاحب الامالي والنوادر وهو حينئذ
ضيف الخليفة الوافد عليه من العراق وأمير الكلام وبجهر اللغة قم فارقع هذا الوهي فقام
فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم فكذا ذكر ابن حبان
وغیره وكلام ابن خلدون السابق يقتضي أن القالي هو المأمور بالكلام أولا والمعد لذلك
ونحوه في المطمح والخطب سهل ثم انقطع القول بالقالي فوقف ساكنا فذكر في كلامه يدخل به
إلى ذكر ما يريد منه وقال في المطمح ان أبا علي القالي انقطع وبهت وما وصل الا قطع
ووقف ساكنا تفكرا لانا سبوا ولا متذكرا فلما رأى ذلك منذر بن سعيد وكان ممن حضر
في زهرة الفقهاء قام من ذاته بدرجة من مراقبته فوصل افتتاح أبي علي لأول خطبته بكلام
عجيب وفادي من الاحسان في ذلك المقام كل عجيب يسبحه سبحا كأنما كان يحفظه قبل
ذلك بمدة وبدأ من المكان الذي انتهى إليه أبو علي البغدادي فقال أما بعد حمد الله والثناء
عليه والتعداد لآلته والشكر لنعمائه والصلاة والسلام على محمد وصفيه وخاتم أنبيائه
فإن لكل حادثة مقاما ولكل مقام مقال وليس بعد الحق الا الضلال وإني قد دقت في مقام
كريم بين يدي ملك عظيم فاصغوا إلى معشر الملأ بأسماعكم وأتقوا عني بأفئدتكم ان
من الحق أن يقال للعق صدقت وللمبطل كذبت وإن الجليل تعالى في سمائه وتقدس
بصفاته وأسمائه أمر كلمه موسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى جميع أنبيائه أن يذكر
قومه بأيام الله جل وعز عندهم وفيه وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة وإن
أذكركم بأيام الله عندهم وتلافية لكم بخلافة أمير المؤمنين التي امت شعنكم وأتت
سربكم ورفعت قوتكم بعد أن كنتم قايلا فكثركم ومستضعفين فقواكم ومستذلين
فصرركم ولما الله رعايتكم وأسند اليه امامتكم أيام ضربت الفتنة سرادقها على الآفاق
وأحاطت بكم شعل النفاق حتى صرتم في مثل حدقة البعير من ضيق الحال ونكد العيش
والتغير فاستبدتم بخلافتهم من الشدة بالرءاء وانتقلتم بين سياسته إلى تمهيد كنف
العافية بعد استيطان البلاء أنشدكم بالله معاشر الملا ألم تكن الدماء مسفوكه فحقها
والسبل مخوفة فأتمها والاموال منتهبة فأحرزها وحصنها ألم تكن البلاد خرابا فعمرها
وثغور المسلمين مهتزمة فمهاها ونصرها فازكروا آلاء الله عليكم بخلافتهم وتلافية
جمع كلمتكم بعد اقتراقها بامامته حتى اذهب الله عنكم غيظكم وشفي صدوركم وصرتم
يداعلي عدوكم بعد أن كان بأسكم بينكم فأنشدكم الله ألم تكن خلافتهم قفل الفتنة بعد
انطلاقتها من عقالها ألم يتلاف صلاح الامور بنفسه بعد اضطراب أحوالها ولم يكل
ذلك إلى القواد والاجناد حتى يأسره بالقوة والمهجة والاولاد واعتزل الفسوان وهجر
الاطمان ورفض الدعة وهي محبوبه وترك الركون إلى الراحة وهي مطلوبه بطوية
صحيحة وعزيمة صريحة وبصيرة ثابتة نافذة ثابتة وريح هابية غالبة ونصرة من الله واقعة
واجبه وساطن قاهر وجند ظاهر وسيف منصور تحت عدل مشهور متحملا للنصب
مستقلا لما ناله في جانب الله من التعب حتى لانت الاحوال بعد شدتها وانكسرت

شوكه القننة عند حديثها ولم يبق لها غارب الا جبهه ولا نبح لاهلها قرن الاجده فأصبحتم
 بنعمة الله اخوانا وبلغ أمير المؤمنين يستعنتكم على أعدائه أعوانا حتى لو اترت اديكم
 الفتوحات وفتح الله عليكم بخلافته أبواب الخيرات والبركات وصارت وفود الروم واقفة
 عليه وعليكم وآمال الاقصين والادنين مستخدمة اليه واليكم يأتون من كل فج عميق
 وبلد سحيق لاخذ حبل بينه وبينكم بحلة وتفصيلا ليقتضى الله أمرا كان مفعولا ولن
 يخلف الله وعده ولهذا الامر ما بعده وتلك اسباب ظاهرة بادية تدل على امور باطنة
 خافية دلائها قائم وجفنها غير قائم وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم
 في الارض كما استخلف الذين من قبلهم الآية وليس في تصديق ما وعد الله ارتياب ولكل
 بناء مستقر ولكل أجل كتاب فاجدوا الله ايها الناس على آياته واسألوه المزيد من نعمائه
 فقد أصبحتم بين خلافة أمير المؤمنين أيده الله بالعصمة والساد وألهمه خالص التوفيق
 الى سبيل الرشاد احسن الناس حالا وأنعمهم بالا وأعزهم قرارا وأمنعهم دارا
 وأكثرهم جمعا وأجلهم صنعا لا تهاجون ولا تذاذون وأنتم بحمد الله على أعدائكم
 ظاهرون فاستعينوا على صلاح أحوالكم بالمناصحة لامامكم والتزام الطاعة للخليفة متمكم
 وابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم فان من نزع يدا من الطاعة وسعى في تفريق الجماعة
 ومرق من الدين فقد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين وقد علمتم أن في التعلق
 بعصمتها والتسك بعروتها حفظ الاموال وحقق الدماء وصلاح الخاصة والاهماء وأن
 يقوم الطاعة تقام الحدود وتوفي العهود وبها وصلت الارحام ووضعت الاحكام
 وبها ساد الله الخلل وأمن السبل ووطأ الاكاف ورفع الاختلاف وبها طاب لكم
 القرار واطمأنت بكم الدار فاعتصموا بما أمركم الله بالاعتصام به فانه تبارك وتعالى
 يقول أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم الآية وقد علمتم ما أحاط بكم
 في جزيرتكم هذه من ضروب المشركين وصنوف الملحدين الساعين في شق عصاكم
 وتفريق ملاكم الاخذين في مخاذلة دينكم وهتك حريمكم وتوهين دعوة نبيكم
 صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع النبيين والمرسلين أقول قولي هذا وأختم بالحمد لله رب
 العالمين مستغفرا الله الغفور الرحيم فهو خير الغافرين * وساق ابن سعيد في المغرب
 هذه الحكاية فقال ما صورته منذ بن سعيد البلوطي قاضي الجماعة بقرطبة خطيب
 مصقع وله كتب مؤلفة في القرآن والسنة والورع والرد على أهل الأهواء والبدع شاعر
 بليغ ولد سنة خمس وستين ومائتين وأول سببه في التعلق بعبد الرحمن الناصر لما احتفل
 لدخول رسول ملك الروم صاحب قسطنطينية بقصر قرطبة الاحتفال الذي اشتهر ذكره
 أحب أن يقوم الخطباء والشعراء بين يديه لذكر جلالة مقعده ووصف ما تهبأله من توطيد
 الخلافة ورعى ملوك الامم يسهم بأسه ونجدته وتقدمه الى الامير الحكيم ابنه وولي عهده
 باعداد من يقوم لذلك من الخطباء ويقدمه أمام انشاد الشعراء فتقدم الحكم الى أبي علي
 البغدادي ضيف الخليفة وأمير الكلام وبجر اللغة أن يقوم فقام وحده الله وأثنى عليه
 وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم انقطع وبهت فها وصل ولا قطع ووقف ساكنا

مفكر افلما رأى ذلك منذرين سعيد قام قائما بدرجة من حرقة أبي علي ووصل افتتاحه بكلام عجيب بهر العقول جزالة وملا الاسماع وحلالة ثم ذكر الخطبة كما سبق وقال بعد ايرادها ما صورته فصاحب العلي وغلب على قلبه وقال هذا كبير القوم أو كبش القوم وخرج الناس يتحدثون عن حسن مقامه وثبات جنانته وبلاغة لسانه وكان الناصر أشدهم تعجبا منه وأقبل على ابنه الحكم ولم يكن يثبت معرفته فسأله عنه فقال له هذا منذرين سعيد البلوطي فقال والله لقد احسن ما شاء ولئن أخرني الله بعد لا رفعت من ذكره فضع يدنيا حكم عليه واستخلصه وذكرني بشأنه فقال الصنعة مذهب عنه ثم ولاد الصلاة والخطابة في المسجد الجامع بالزهاء ثم توفي محمد بن عيسى القاضي فولاد قضاء الجماعة بقرطبة وأقره على الصلاة بالزهاء * ومن شعره في هذه الواقعة قوله

مقالى كذا السيف وسط المحافل * فرقت به ما بين حق وباطل
بقلب ذكى ترعى جراته * بكارق رعد عند ريش الانامل
فما دحضت رجلى ولازل مقولى * ولا طاش عقلى يوم تلك الزلازل
وقد حذقت حولى عيون احوالها * كمثل سهام أثبتت فى المقاتل
لغير امام كان أو هو كائن * لمقتبل أوفى العصور الاوائل
ترى الناس أفواجا يؤثرون بابه * وكلهم ما بين راج وآمل
وفود ملوك الروم وسطفتائه * مخافة بأس أورجاء لنائل
فعمش سالما اقصى حياة مؤتلا * فأنت رجا الكمل حاف وناعل
ستملكها ما بين شرق ومغرب * الى درب قسطنطين أو أرض بابل

اتتهى كلام ابن سعيد وهو يؤيد كلام ابن خلدون أن المأمور بالخطبة هو القالى وذكر أن الناصر قال لابنه الحكم بعد أن سأله عنه لقد احسن ما شاء فلئن كان حبر خطبته هذه وأعدتها مخافة أن يدور مادار فيتلافى الوهى فانه ليدبىع من قدرته واحتياطه ولئن كان أتى به على البديهة لوقته فانه لا يهيب وأغرب قال ابن سعيد ولما فرغ منذر من خطبته أنشد

هذا المقام الذى ما عابه فند * لكون قائله ازرى به البلد
لو كنت فيهم غريبا كنت طرفا * لكننى منهم فاعتلانى السكد

ويروى بدل هذا الشطر ولادها نى اهم بغى ولا حسد

لولا الخلافة ابى الله حرمتها * ما كنت ارضى بارض ما به أحد

اتتهى قلت كانه عرّض بأبي على القالى وتقديعهم اياه فى هذا المقام والله أعلم ومن نظم منذر بن سعيد قوله

الموت حوض وكلنا نرد * لم يسج مما يخافه أحد
فلا تكن مغرما برزق غد * فليست تدرى بما يجي غد
وخذ من الدهر ما أتاك به * ويسلم الروح منك والجسد
والخير والشر لا تدعهما * فى الناس الا التشيع والחסد
وله وقد اذاه شخص فخطبه بالكنية فقبل له أيؤذيك وأنت تخاطبه بالكنية فقال

لا تعجبوا من أنى كنيته * من بعد ما قد سبنا وأدانا

قاله قد كنى أبالهب وما * كناه الانزوية وهو أنا

وقال في المطمح منذرين سعيد الباطني آية حركة وسكون وبركة لم تكن معذرة ولا تكون
وآية سفاهة في تحلم وجهامة ورع في طي تبسم اذا جئت وجد واذا هزل نزل وفي كلتا
الحالتين لم ينزل الورع من حرقب ولا اكتسب اغما ولا احتقب ولي قضاء الجماعة
بقرطبة أيام عبد الرحمن ناهيك من عدل أظهر ومن فضل أشهر ومن جور قبض ومن
حق رفع ومن باطل خفض وكان مهيبا صليبا صارما غير جبان ولا عاجز ولا مراقب لاحد
من خلق الله في استخراج حق ورفع ظلم واستمر في القضاء الى أن مات الناصر لدين الله
ثم ولي ابنه الحكم فأقره وفي خلافته استعفى مرارا فإعفا أعنى وتوفي بعد ذلك لم يحفظ عنه مدة
ولايته قضية جور ولا عدت عليه في حكمته زلة وكان غزير العلم كثير الادب متكلما
بالحق متينا بالصدق له كتب مؤلفة في السنة والورع والرد على اهل الاهواء والبدع
وكان خطيبا بليغا وشاعرا محسنا ولد عند ولاية المنذر بن محمد وتوفي سنة ٣٥٥
ومن شعره في الزهد قوله

كم نصابي وقد علاك المشيب * وتعاشى عمدا وانت اللبيب
كيف تلهو وقد أتاك التذير * أن سياق الحمام منك قريب
يا سفيها قد حان منه رحيل * بعد ذلك الرحيل يوم عصيب
ان للموت سكرة فارتقبها * لا يدأوى اذا أتاك طيب
كم تواني حتى نصير رهينا * ثم تأتينا دعوة فتجيب
بأمر المحاد أنت عليم * فاعلمن جاهدا له يارب
وتذكر يوما تحاسب فيه * ان من يدكر فسوف ينيب
ليس من ساعة من الدهر الا * للمنايا بهاعليك رقيب

ولعلنا ندكر شيئا من أحوال منذر في غير هذا الموضع (رجع لاخبار الناصر لدين الله)
سكى انه لما أعذر لاولاد ابنه أبي مروان بمبيد الله اتخذ لذلك منبعا عظيما بقصر الزهراء
لم يخلف أحد عنه من أهل مملكته وأمر أن ينذر لشهوده الفقهاء المشاورون ومن يلهم
من العلماء والعسود ووجوه الناس فتخلف من بينهم المشاور أبو ابراهيم واقفة مكانه
لا ارتفاع منزلته فسأل في ذلك الخليفة الناصر اذا أبو ابراهيم من أكابر علماء المالكية الذين
عليهم المدار ووجد الناصر بسبب ذلك على أبي ابراهيم وأمر ابنه ولي العهد الحكم
بالكتاب اليه والتفنيده فكتب اليه الحكم رقعة نسختها باسم الله الرحمن الرحيم حفظك الله
وتوكلك وستدرك ورعاك لما امتحن أمير المؤمنين مولاي وسيدى أبقاه الله الاولياء الذين
يستعنت بهم وجدك متقدما في الولاية متأخرا عن الصلة على انه قد أندر لك أبقاه الله خصوصا
للمشاركة في السرور الذي كان عنده لا أعده الله تعالى المسرة ثم أذرت من قبل ابلاغها
في المرمة فكان منك على ذلك كله من التخلف ما ضاقت عليك فيه المعدرة واستبلاغ

أمير المؤمنين في انكاره ومعاذتك عليه فأعيت عليك عنك الحجة فعزفتي أسكر من الله
 ما العذر الذي أوجب توقفك عن اجابة دعوته ومشاهدة السرور الذي سرت به ورغب
 المشاركة فيه لتعرفه أبقاء الله بذلك فتسكن نفسه العزيزة اليه ان شاء الله تعالى فأجابه أبو
 ابراهيم سلام على الامير سيدي ورحمة الله قرأت أبق الله الامير سيدي هذا الكتاب وفهمته
 ولم يكن يوقى لنفسى انما كان لامير المؤمنين سيدنا أبق الله سلطانه لعلى بمذهبه وسكوني
 الى تقواه واقتفائه لا ترسله الطيب رضوان الله عليهم فاتهم يستبقون من هذه الطبقة بقية
 لا يمتنونها بما يشيئونها ولا بما يغض منها ويطلق الى تنقيصها يستعدون به الدينهم ويتزينون
 بها عند رعاياهم ومن يفد عليهم من قصادهم فلهذا انحلفت ولعلى بمذهبه توقفت
 ان شاء الله تعالى فلما أقرأ الحكم أباه الناصر لدين الله جواب أبي ابراهيم اسحق اعجبه
 واستحسن اعتذاره وزال ما بنفسه عليه وكان الفقيه أبو ابراهيم المذكور معظما عند
 الناصر وابنه الحكم وحق لهما أن يعظما وقد حكى الفقيه أبو القاسم بن مفرج قال
 كنت أختلف الى الفقيه أبي ابراهيم رحمه الله تعالى فيم يختلف اليه للفتوة والرواية فاني
 لعنده في بعض الايام في مجلسه بالمسجد المنسوب لابي عثمان الذي كان يصلي به قرب داره
 بجوف قصر قرطبة ومجلسه حافل بجماعة الطلبة وذلك بين الصلاتين اذ دخل عليه
 خصي من أصحاب الرسائل جاء من عند الخليفة الحكم فوقف وسلم وقال له يا فقيه أعجب
 أمير المؤمنين أبقاء الله فان الامر خرج فيك وهما وقاعد يتظرك وقد أمرت بأجلك
 قال الله فقال له سمعنا وطاعة لامير المؤمنين ولا بجملته فارجع اليه وعرفه وفقه الله عنك أنك
 وجدتني في بيت من بيوت الله تعالى معي طلاب العلم اسمعهم حديث ابن عمه رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فهم يقيدونه عنى وليس يكفني ترك ما أنا فيه حتى يتم المجلس
 المعهود لهم في رضا الله وطاعته فذلك أؤكد من مسيرى اليه الساعة فاذا انقضى امر
 من اجتمع الى من هؤلاء المحتسبين في ذات الله الساعين لرضائه مشيت اليه ان شاء الله
 تعالى ثم أقبل على شأنه ومضى الخصى يبين متضا جرا من توقفه فلم يك الاريتما أدى جوابه
 وانصرف سريعا ساكن الطيش فقال له يا فقيه أنهيت قولك على نصه الى أمير المؤمنين
 أبقاء الله فأصغى اليه وهو يقول لك جزاك الله خيرا عن الدين وعن أمير المؤمنين وجماعة
 المسلمين وأمتهم بك واذا أنت أوعيت قاض اليه راشدا ان شاء الله تعالى وقد أمرت
 أن أبقى معك حتى ينقضى شغلك ونمضى معي فقال له حسن جيل والله كفى أضعف عن
 المشي الى باب السدة ويصعب على ركوب دابة لشيوخى وضعف أعضائى وباب الصنعة
 الذي يقرب الى من أبواب القصر المكرم أحوط الى وأقرب وأرفق بي فان رأى أمير
 المؤمنين أيده الله تعالى أن يأمر بفتحه لا دخل اليه منه هون على المشي وودع جسمي
 وأحب أن تعود وتنهى اليه ذلك عنى حتى تعرف رأيه فيه وكذلك تعود الى فاني أرا
 فتى شديدا فكأن على التدبير معنا ومضى عنه الفتى ثم رجع بعد حين وقال يا فقيه
 قد أجابك أمير المؤمنين الى ما سألت وأمر بفتح باب الصنعة وانتظارك من قبله ومنه خرجت
 اليك وأمرت بسلامتك مذكرا بانهم وض عند فراغك وقال افعل راشدا وجلس

الخصى جاسبا حتى أكمل أبو ابراهيم مجلسه باكل وأصبح ما جرت به عادته غير منزج ولا قلق فلما انفضضنا عنه قام الى داره فأصلح من شأنه ثم مضى الى الخليفة الحاكم فوصل اليه من ذلك الباب وقضى حاجته من لقائه ثم حفره على ذلك الباب فأعبد اغلاقه على اثر خروجه قال مفترج ولقد تعمدا في تلك العشيبة اثر قيا مناعن الشيخ أبي ابراهيم المرور بهذا الباب المعهود اغلاقه بدير القصر الذي تجشم الخليفة له فوجدناه مفتوحا كما وصف الخصى وقد حفره الخدم والاعوان منزجين ما بين كنفاس وقراش متأهبين لا يتظار أبي ابراهيم فاشتد بحبنا لذلك وطال تحت ثناعه انتهى فهكذاته ككون العلماء مع الملوك والملوك مع العلماء قدس الله تلك الارواح * ثم تولى الناصر لدين الله ثاني أو ثالث شهر رمضان من عام خمسين وثلثمائة أعظم ما كان سلطاناه وأعز ما كان الاسلام بملكه (قال ابن خلدون) خلف الناصر في بيوت الاموال خمسة آلاف ألف ألف ثلاث مرات انتهى وقال غير واحد انه كان يقسم الجباية اثلاثا ثلث للجند وثلث للبناء وثلث مذكروا كانت جباية الاندلس يومئذ من الكور والقرى خمسة آلاف ألف وأربعمائة ألف وثمانين ألف دينار ومن السوق والمستخلص سبعمائة ألف وخمسة وستين ألف دينار وأما أخماس الغنائم العظيمة فلا يحصى هاد يوان وحكي انه وجد بخط الناصر روجه الله ايام السرور التي صفت له دون تقدير يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا ويوم كذا من كذا وعدت تلك الايام فكانت أربعة عشر يوما فأعجب أيها العاقل لهذه الدنيا وعدم صفاتها وبخلها بكال الاحوال لاوليائها هذا الخليفة الناصر خلف السعود المضروب به المثل في الارتقاء في الدنيا والصعود ملكها خمسين سنة وستة أو سبعة أشهر وثلاثة أيام ولم تصف له الا أربعة عشر يوما فسبحان ذي العزة القائمة والمملكة الدائمة لا اله الا هو * وما ينسب للناصر من الشعر وقيل لابنه الحاكم قوله

ما كل شيء فقدت الا * عوضني الله منه شيا
اني اذا ما منعت خيري * تباعدت لي من يديا
من كان لي نعمة عليه * فانها نعمة عليا

ومما زين الله به دولة الناصر ووزرائه الذين من جللتهم ابن شهيد قال في المطمح أحمد بن عبد الملك بن عمر بن شهيد مفخر الامامة وزهر تلك الحكامة وصاحب الناصر عبد الرحمن وحامل الوزارتين على سواها في ذلك الزمان استقل بالوزارة على ثقلها وتصرف فيها كيف شاء على حد نظرها والتفات مقلها فظهر على أولئك الوزراء واشتهر مع كثرة النظراء وكانت اماره عبد الرحمن أسعدا مارم بعد عنها كل نفس بالسوء أماره فلم يطررها صرف ولم يرمهها محذو ويطرف فقرع الناس فيها هضاب الاماني ورباها ورتعت ظباؤها في ظلال ظباها وهو أسد على برائته رابض وبطل أبدأ على قائم سيفه قابض يروع الروم طيفه ويجوس خلال تلك الديار خيفه ويروى بل يحسم كل آونة سيفه وابن شهيد ينج الآراء ويلقيها وينقد الالاف الانبياء وينقحها والدولة مشتملة بغنائها متجمله بسنانه وكرمه منتشر على الآمال ويكسو الاولياء بذلك الاجمال وكان له أدب تزهري لوجه

وتبهر حججه وشعره رقيق لا ينقد ويكاد من الطاقة يعقد فمن ذلك قوله
 ترى البدر منها طالعا فأنا • يجول وشاحها على لؤلؤ رطب
 بعيدة مهوى القرط مخطفة الحشى • ثم مفعمة الخنخال مفعمة القلب
 من اللاء لم يرحلن فوق رواحل • ولا سرن يوما في ركاب ولا ركب
 ولا أبرزهن المدام لتسوة • وشدوكا نشدوا القيان على الشرب
 وكان ينسبه وبين الوزير عبد الملك بن جهور متولى الامر معه ومشاركه في التدبير
 اذا حضر مجتمعه منافسه لم تنفصل له عما به امد اخلة ولا ملابسه وكلاهما يتربص
 بصاحبه دائرة السوء ويغص فيه غصه من الاقرب بالنوء فاجتاز يوما الى ربه ومال الى
 زيارته ولم يكن من غرضه فلما استأمر عليه تأخر خروج الاذن اليه فثقي عنانه حنقا
 من حجابيه وضجرا من اجابيه وكتب اليه معترضا وكان يلعب بالحجار
 أتيناك لآعن حاجة عرضت لنا • اليك ولا قلب اليك مشوق
 ولكننا زنا بفضل جلودنا • فكيف تلاقى بزنا بهقوق
 فراجعه ابن جهور بغض منه بما كان يشيع عنه بان جسد ابا هشام كان يطار ابا الشام
 بقوله

حجبتك لما زرتنا غير تائق • بقلب عدو في ثبات صديق
 وما كان يطار الشام بموضع • يا شرفيه بزنا بخليق

ومن شعره قوله يتغزل

حلفت بمن رمى فأصاب قلبي • وقلبه على حجر الصدود
 لقد أودى تذكرة بقلبي • ولست أشك أن النفس تودى
 فقيده وهو موجود بقلبي • فواجبنا لموجود فقيده انتهى
 وقد تقدم الكلام على هدية ابن شهيد وبهض أخباره راحة الله عليه ولما توفي الناصر
 لدين الله تولى الخلافة بعده ولى عهد الحكم المستنصر بالله فجرى على رسمه ولم يفقد
 من ترتيبه الا شخصه وولى حجابته جعفر الصقابي وأهدى له يوم ولايته هدية كان
 فيها من الاصناف ما ذكره ابن حبان في المقتبس وهي مائة عمال من الافرنج ناشبة
 على خيول صافنة كاملو الشكة والاسلحة من السيوف والرماح والدرق والتراس
 والقلانس الهندية وثلاثمائة ونيف وعشرون درعا مختلفة الاجناس وثلاثمائة خودة
 كذلك ومائة بيضة هندية وخسون هندية خشبية من بيضات القرشجة من غير الخشب
 يسمونها الطشطانة وثلاثمائة حربة افرنجية ومائة ترس سلطانية وعشرة جواشن فضة مذهب
 وخمسة وعشرون قرنا مذهب من قرون الجماموس انتهى • قال ابن خلدون ولاول وفاة
 الناصر طمع الجلالقة في الثغور ففر الحكم المستنصر بنفسه واقبحم بلاد فرداندين
 غنم شباب فنارل شنت اشته بين وقتيها عنوة واستباحها وقفل فبادروا الى عقد السلم معه
 وانقبضوا عما كانوا فيه ثم أغزى غالبامولا بلاد جليقية وسار الى مدينة سالم لدخول

دار الحرب فجمع له الجلالة ولقيهم فهزمهم واستباحهم وأوطأ العساكر بلاد فردلند ودوخها وكان شانجة ابن ردمير ملك البشكنس قد انتقض فأغزاه الحكيم التجيبي صاحب سمرقطة في العساكر وجاء ملك الجلالة لنصره فهزمهم وامتنعوا بقورية وعاثوا في نواحيها وقتل ثم أغزى الحكيم أحمد بن بعلي ويحيى بن محمد التجيبي إلى بلاد برشلونة فعاثت العساكر في نواحيها وأغزى هذيل بن هاشم ومولاه غالباً إلى بلاد القومس فعاثا فيها وقتلوا وعظمت فتوحات الحكيم وقواد الثغور في كل ناحية وكان من أعظمها فتح قلرية من بلاد البشكنس على يد غالب فعمرها بالحكم واعتنى بها ثم فتح قطونية على يد قائد وشقة وغنم فيه من الأموال والسلاح والاقوات والاثاث وفي بسيطه من الغنم والبقر والرمك والاطعمة والسبي ما لا يحصى (وفي سنة أربع وخمسين) سار غالب إلى بلد البية ومعه يحيى بن محمد التجيبي وقاسم بن مطرف بن ذى النون فابتنى حصن عرماج ودوخ بلادهم وانصرف وظهرت في هذه السنة هراكب المجوس في البحر الكبير وأفسدوا بساطة اشبونة وناشبههم الناس القتال فرجعوا إلى مراكبهم وأخرج الحكيم القواد لاحتراق السواحل وأمر قائد البحر عبد الرحمن وماحس بتجديد حركة الاسطول ثم وردت الاخبار بأن العساكر نالت منهم من كل جهة من السواحل ثم كانت وقادة اردون بن أدفونش ملك الجلالة وذلك أن الناصر لما أعان عليه شانجة بن ردمير وهو ابن عمه وهو الملك من قبل اردون وجعل النصرانية على طاعته واستظهر اردون بصهره فردلند قومس قشتالة توقع مظاهرة الحكيم لشانجة كما ظاهره أبوه الناصر فبادر إلى الوفاة على الحكيم مستجيابه فاحتفل لقده ووعى العساكر ليوم وفاته وكان يوم مشهودا وصفه ابن حبان كما وصف أيام الوفاة قبله ووصل إلى الحكيم وأجلسه ووعده بالنصر من عدوه ومخاع عليه وكتب بوصوله ملقياً بنفسه وعاقده على موالاة الاسلام ومقاطعة فردلند القومس وأعطى على ذلك صفقة عينية وورهن ولده غرسية ودفعت الصلوات والحلات له ولاحيابه وانصرف معه وجوه نصارى الذمة ليوطدوا له الطاعة عند رعيته ويقبضوا رهنه وعند ذلك بعث ابن عمه شانجة بن ردمير ببيعته وطاعته مع قواميس أهل جليقية وسمورة وأساقفتهم يرغب في قبوله ويمت بما فعل أبوه الناصر معه فتقبل بيعتهم على شروط شرطها كان منها هدم الحصون والابراج القرية من ثغور المسلمين ثم بعث ملكا برشلونة وطر كونة وغيرهما يسألان تجديد الصلح واقراره ما كانا عليه وبعثاهم بدية وهي عشرون صبيان الخصالبة وعشرون قنطارا من صوف السمور وخمسة قنطير من القصدير وعشرة أذرع مقلية ومائتا سيف فرنجية فتقبل الهدية وعقد على أن يهدموا الحصون التي تضر بالشغور وأن لا يظاهروا عليه أهل ملتهم وأن يندروا بما يكون من النصارى في الاجلاب على المسلمين ثم وصلت رسل غرسية بن شانجة ملك البشكنس في جماعة من الاساقفة والقواميس يسألون الصلح بعد أن ان توقف وأظهر المكر فعداهم الحكيم فاغبطوا ورجعوا ثم وفدت على الحكيم أم لزيق بن بلاشك القومس بالقرب من جليقية وهو القومس الاكبر فأخرج الحكيم لتلقيها أهل دولته

واحتفل لقدومها في يوم مشهود مشهور فوصلت وأسعفت وعقد السلم لايتها كما رغبت
ودفع لها مالا تقسمه بين وقد هادون ما وصلت به هي وصلت على بغلة فارقة بسرج
وبلحام مثقلين بالذهب ومحفة ديباج ثم عاودت مجلس الحكم للوداع فعاودها بالصلوات
لسفرها وانطلقت ثم أوطأ عساكره أرض العدو من المغرب الأقصى والوسط وتلقى
دعوتهم ملوك زناتة من مغراوة ومكاسة فبثوها في أعمالهم وخطبوا بها على منابرهم
وزاجواهم بدعوة الشيعة فيما بينهم ووقد عليه من بني الحرزوبني أبي العافية فأبزل صلتهم
واكرم وقادتهم وأحسن منصرفهم واستنزل بني ادريس من ملكهم بالعدوة
في ناحية الريف وأجازهم البحر إلى قرطبة ثم جلاهم إلى الاسكندرية وكان محبا
للعلوم **م**كرمالاها جماعا للكتب في أنواعها يعلم بجمعها أحد من الملوك قبله قال
أبو محمد بن حزم أخبرني تليد الخمي **و**كان على خزانة العلوم والكتب بدار بني
مروان أن عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة وفي كل فهرسة
عشرون ورقة ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين لا غير وأقام للعلم والعلماء سوتا نافقة
جلبت إليه بضائع من كل قطر ***** قال أبو محمد بن خالدون ولما وفد على أبيه أبو علي القالي
صاحب كتاب الامالي من بغداد أكرم مشواه وحسنت منزلته عنده وأورث أهله
الاندلس علمه واختص بالحكم المستنصر واستفاد علمه وكان يبعث في شراء الكتب
إلى الاقطار رجالا من التجار ويرسل اليهم الاموال لشراؤها حتى جاب منها إلى الاندلس
ما لم يعهدوه وبعث في كتاب الاغانى إلى مصنفه أبي الفرج الاصفهاني **و**كان نسبه
في بني أمية وأرسل اليه فيه بألف دينار من الذهب العين فبعث اليه بنسخة منه قبل
أن يخرج إلى العراق وكذلك فعل مع القاضي أبي بكر البهري المالكي في شرحه لمختصر
ابن عبد الحكم وأمثال ذلك وجع بداره الحذاق في صناعة النسخ والمهرة في الضبط
والاجادة في التجليد فأوعى من ذلك كله واجتمعت بالاندلس خزان من الكتب لم تكن لاحد
من قبله ولا من بعده الا ما يذكر عن الناصر العباسي بن المستنصر ولم تزل هذه الكتب
بقصر قرطبة إلى أن بيع أكثرها في حصار البربر وأمر باخراجها وبيعها الحاجب واضح
من موالى المنصور بن أبي عامر ونهب ما بقى منها عند دخول البربر قرطبة واقتحامهم إياها
عنوة انتهى كلام ابن خالدون ببعض اختصار ***** (ولنبسط الكلام على الحكم فنقول)
ان الحكم المستنصر اعتلى سرير الملك ثاني يوم وفاة أبيه يوم الخميس وقام بأعباء الملك
أتم قيام وأنفذ الكتب إلى الآفاق بتمام الامر له ودعا الناس إلى بيعته واستقبل من يومه
النظر في تهديد سلطانه وتثقيف ملكته وضبط قصوره وترتيب أجناده وأول ما أخذ البيعة
على مقابلة قصره الفتيان المعروفين بالخلفاء **ال**كبار كجعفر صاحب الخيل والطراز
وغیره من عظمائهم وشكفوا بأخذها على من وراءهم وتحت أيديهم من طبقتهم وغيرهم
وأوصل إلى نفسه في الميل دون هؤلاء الا كبار من الكتاب والوصفاء والمقدمين والعرفاء
فبايعوه فلما اكملت بيعة أهل القصر تقدم إلى عظيم دولته جعفر بن عثمان بالنهوض
في أخيه شقيقه أبي مروان عبيد الله المتخلف بأن يلزمه الحضور للبيعة دون معذرة

وتقدم الى موسى بن أحمد بن حدير بالتهوض ايضا عن ابي الاصمغ عبد العزيز شقيقه
 الثاني فمضى اليهما كل واحد منهما في قطيع من الجند وأتيا بهما الى قصر مدينة الزهراء
 ونفذ غيرهما من وجوه الرجال في الخيل لا تبيان غيرهما من الاخوة وكانوا يومئذ ثمانية
 فوافي جميعهم الزهراء في الليل فنزلوا في مراتبهم بفصلان دار الملك وقعدوا في المجلسين
 الشرقي والغربي وقعد المستنصر بالله على سرير الملك في البهو الاوسط من الابواب المسددة
 القبلية التي في السطح المبرد فاقول من وصل اليه الاخوة قبا بعونه وأنصروا الصحيفة
 البيعة والتزموا الايمان المنصوصة بكل ما انعقد فيها ثم بايع بعدهم الوزراء وأولادهم
 وأخوتهم ثم أصحاب الشرطة وطبقات أهل الخدمة وقعد الاخوة والوزراء والوجوه
 عن يمينه وشماله الاعشى بن فطيس فانه كان قائما يأخذ البيعة على الناس وقام الترتيب
 على الرسم في مجالس الاحتفال المعروفة فاصطف في المجلس الذي قعد فيه أكبر الفتيان
 عينا وشمالا الى آخر البهو كل منهم على قدمه في المنزلة عليهم الظهائر البيض شعار الخزن
 قد تقلدوا فوقها السيوف ثم تلاهم الفتيان الوصفاء عليهم الدروع السابعة والسيوف
 الحالية صفين منتظمين في السطح وفي الفصلان المتصلة به ذور الاسنان من الفتيان
 الصقالبة الخصيان لابسين البياض بأيديهم السيوف يتصل بهم من دونهم من طبقات
 الخصيان الصقالبة ثم تلاهم الرماة تنكبهم قسيهم وجعابهم ثم وصلت صفوف هؤلاء
 الخصيان الصقالبة صفوف العبيد الفحول شاكين في الاسلحة الرائقة والعدة الكاملة
 وقامت التعبئة في دار الجند والترتيب من رجاله العبيد عليهم الجواشن والاقبية البيض
 وعلى رؤسهم البيضات الصقلية وبأيديهم التراس الملونة والاسلحة المزينة انتظموا صفين
 الى آخر الفصل وعلى باب السدة الاعظم القوابون وأعوانهم ومن خارج باب السدة فرسان
 العبيد الى باب الاقباء واتصل بهم فرسان الخشم وطبقات الجند والعبيد والرماة موكبا اثر
 موكب الى باب المدينة الشوارع الى الصحراء فلما تمت البيعة أذن للناس بالانقضاء
 الا الاخوة والوزراء وأهل الخدمة فانهم مكثوا بقصر الزهراء الى أن احتل جسد الناصر
 رحمه الله الى قصر قرطبة للدفن هنالك في تربة الخلفاء (وفي ذي الحجة من سنة خمس
 تكاثرت الوفود بسباب الخليفة الحبيبكم من البلاد للبيعة والتماس المطلب من أهل
 طليطلة وغيرها من قواعد الاندلس وأقاصيها فاقبلوا الى مجلس الخليفة بمحض
 الوزراء والقاضي منذر بن سعيد والملا فأخذت عليهم البيعة ووقعت الشهادات في نسخها
 (وفي آخر صفر من سنة احدى وخمسين) أخرج الخليفة الحكم المستنصر بالله مولاه محمد
 وزيد ابني أفلح الناصري بكتيبة من الخشم لتلقي غالب الناصري الذي خرجوا اليه صاحب
 مدينة سالم المورد للطاغية أريدون بن أدفونش الخبيث في الدولة المتيك عبيلى طوائف من
 أم الجلالة والمنازع لابن عمه الملك قبلد شافجة بن ردمير وتبرع هذا اللعين اريدون بالمسير
 الى باب المستنصر بالله من ذاته غير طالب اذن ولا مسمي يظهر بعهد وذلك عند ما بلغه اعتراف
 الحكم المستنصر بالله في عامه ذلك على الغزو اليه وأخذته في التأهب له فاحتال في تأميل
 المستنصر بالله والارتماء عليه وخرج قبل أمان يعقده له أو ذمة تعصم في عشرين رجلا من

وجوه أصحابه تكندهم غالب الناصري الذي خرجوا اليه بجأه نحو مولا الحكم وتلقاهم
 ابنا أفلح بالبيش المذكور فانزلاهم ثم تحرر كاهنهم ثاني يوم نزولهم الى قرطبة فأخرج
 المستنصر بالله اليهم هشام المصني في جيش عظيم كامل التعبئة وتقدموا الى باب قرطبة فزوا
 بساب قصرها فلما انتهى اردون الى ما بين باب السدة وباب الجنان سأل عن مكان ومن
 الناصر لدين الله فاشير الى ما به اذى موضعه من داخل القصر في الروضة نخل قنسوته
 وخضع نحو مكان القبر وودعاه ثم ردت قنسوته الى رأسه وأمر المستنصر بانزال اردون في دار
 الناعورة وقد كان تقدم في فرشها بضروب الغطاء والوطاء وانتهى من ذلك الى الغاية وتوسع
 له في الكرامة ولاصحابه فأقام بها الخميس والجمعة فلما كان يوم السبت تقدم المستنصر بالله
 باستدعاء اردون ومن معه بعد اقامة الترتيب وتعبئة البليوش والاحتفال في ذلك من
 العدد والاسلحة والزينة وقعد المستنصر بالله على سرير الملك في المجلس الشرقي من مجالس
 السطح وقعد الاخوة وبنوهم والوزراء وتطراؤهم صفافي المجلس فيهم القاضي منذر بن سعيد
 والحكام والفقهاء فاتي محمد بن القاسم بن طميس بالملك اردون وأصحابه وعالي لبوسه ثوب
 ديباجي رومي أبيض ولبوان من جنسه وفي لونه وعلى رأسه قنسوة رومية منظومة
 بجوهر وقد حفته جماعة من نصاري وجوه الذمة بالاندلس يونسونه ويصرونه فيهم
 وليد بن حيزون قاضي النصارى بقرطبة وعبيد الله بن قاسم مطران طليطلة وغيرهم
 فدخل بين صفى الترتيب بقلب الطرف في تقدم الصفوف ويحيط السكر في كثرتها وتظاهر
 أسلحتها ورائق حليتها فراعهم ما أبصروه وصلبوا على وجوههم وتأملوا ما كسى رؤسهم
 غاضين من اجفانهم قد سكرت أبصارهم حتى وصلوا الى باب الاقباء اول باب قصر الزهراء
 فترجل جميع من كان خرج الى لقائه وتقدم الملك اردون وخاصة قوامه على دوابهم حتى
 انتهوا الى باب السدة فأمر القوامس بالترجل هنالك والمشي على الاقدام فترجلوا ودخل
 الملك اردون وحده راكبا مع محمد بن طميس فانزل في برطل البه والاطراف من الابهاء القبلية
 التي بدار الجند على كرسي مرتفع مكسو الاوصال بالفضة وفي هذا المكان بعينه نزل قبله
 عدوه ومناوئه شاتجة بن ردمير الوافد على الناصر لدين الله رحمه الله تعالى فتقدم اردون على
 الكرسي وقعد أصحابه بين يديه وخرج الاذن لاردون الملك من المستنصر بالله بالدخول
 عليه فتقدم عشي وأصحابه يتبعونه الى أن وصل الى السطح فلما قابل المجلس الشرقي الذي
 فيه المستنصر بالله وقف وكشف رأسه وخلع برنسه وبقى حاسرا اعظاما لما بان له من الدتو
 الى السرير واستنفض فضي بين الصفيين المرتين في ساحة السطح الى أن قطع السطح وانتهى
 الى باب البه فلما قابل السرير خر ساجدا سويعة ثم استوى قائما ثم نهض خطوات وعاد
 الى السجود ووالى ذلك حرارا الى أن قدم بين يدي الخليفة وأهوى الى يده فناولاها
 وكررا بما مقهقرا على عقبه الى وساد ديباج مثقل بالذهب جعل له هنالك ووضع على قدر
 عشرة أذرع من السرير فجلس عليه والبه رقد علاه وأنهم خلفه من استندى من قوامه
 وأتباعه قد نوا ممتثلين في تكرير الخنوع وناولهم الخليفة يده فقبلوها وانصرفوا مقهقرين
 فوقفوا على رأس ملكهم ووصل بوجههم وليد بن حيزون قاضي النصارى بقرطبة

فكان التبرجان عن الملك اردون ذلك اليوم فأطرق الخليفة بالحكم عن تكليم الملك اردون
 اترقنوده أمامه وقتا كيمما يقرح زوجه فلما رأى أن قد خفض عليه اقتسح تكليمه فقال
 ليس لك اقبالك ويغبطك تأميلك فليدنا لك من حسن رأينا ورحب قبولنا فوق بما قد طلبته
 فلما ترجم له كلامه ايام تطلق وجه اردون وانحط عن رتبته فقبل البساط وقال أنا عبد أمير
 المؤمنين مولاي المتورك على فضله القاصد الى مجده المحكم في نفسه ورجاله حيث وضعني
 من فضله وعوضني من خدمته رجوت أن اتقدم فيه بنية صادقة ونصيحة خالصة فقال له
 الخليفة أنت عندنا بمحل من يستحق حسن رأينا وسينالك من تقد بمنالك وتفضيلنا اياك على
 أهل ملتك ما يغبطك وتتعرف به فضل جنوحك الينا واستطالناك بطول سلطتنا فعاد
 اردون الى السجود عند فهمه مقالة الخليفة وابتهل داعيا وقال ان شائجة ابن عني تقدم
 الى الخليفة الماضي مستجير ايه مني فكان من اعزازه اياه ما يكون من مثله من اعظم الملوكة
 وأكرم الخلفاء لمن قصدهم وأملهم وكان قصده قصد مضطر قد شئنه رعيتيه وأنكرت سيرته
 واختارتني لمكانه من غير سعي مني علم الله ذلك ولادعاء اليه فخلعته وأخرجته عن ملكه
 مضطرا مضطهدا فتطول عليه رحمه الله بأن صرفه الى ملكه وقوى سلطانه واعز نصره ومع
 ذلك فلم يقم بفرض النعمة التي اسديت اليه وقصر في أداء المفروض عليه وحققه وحق
 مولاي أمير المؤمنين من بعده وأنا قد قصدت باب أمير المؤمنين لغير ضرورة من قرارة
 سلطاني وموضع أحكامي محكمه في نفسي ورجالي ومعالي ومن تحويه من رعيتي
 فشتان ما بيننا بقوة الثقة ومطرح الهمة فقال الخليفة قد سمعنا قولك وفهمنا مقالك
 وسوف يظهر من اقراضنا اياك على الخصوصية شأنه ويترادف من احساننا اليك اضعاف
 ما كان من أي نارضي الله تعالى عنه الى ذلك وان كان له فضل التقدم بالجنوح الينا والقصد
 الى سلطتنا فليس ذلك مما يؤثر لك عنه ولا ينقصك مما أنلناك وسنصرفك مغبوطا الى بلدك
 ونشدأ وأخى ملكك ونملكك جميع ما انحاش اليك ونعقد لك بذلك كتابا يهدون بيدك
 ونقرره حتما بينك وبين ابن عمك ونقبضه عن كل ما يتصرفه من البلاد الى يدك وسيترادف
 عليك من افضالنا فوق ما احتسبته والله على ما نقول وكيل فكرر اردون الخضوع
 وأسهب في الشكر وقام للانصراف مقهقرا لا يولي الخليفة ظهره وقد تكلفه الفتيان من
 جملة الفتيان فأخرجوه الى المجلس الغربي في السطح وقد علا البهروا ذله الروع من هول
 ما باشره وجلالة ما عاينه من فخامة الخليفة وبهاء العزة فلما أن دخل المجلس ووقعت عينه
 على مقعد أمير المؤمنين خالبا منه انحط ساجدا اعظاما له ثم تقدم الفتيان به الى البهو الذي
 يجوفي هذا المجلس فأجلسوه هنالك على وساد مثقل بالذهب وأقبل نحوه الحاجب جعفر
 فلما بصربه قام اليه وخضع له وأومأ الى تقبيل يده فقبضها الحاجب عنه وانحنى اليه فعانقه
 وجلس معه فغبطه ووعد من انجاز عداات الخليفة له بما ضاعف سروره ثم أمر الحاجب
 جعفر فصب عليه الخلع التي أمر له بها الخليفة وكانت دراعة منسوجة بالذهب وبرنسا
 مثلها له لوزة مفرغة من خالص التبرمر صعة بالجواهر والياقوت ملأت عين العلي فجعله نفخر
 ساجدا وأعان بالدعاء ثم دعا الحاجب أصحابه رجلا رجلا فخلع عليهم على قدر استحقاقهم

فكامل جميع ذلك بحسب ما يصلح لهم وختر جميعهم خاضعين شاكرين ثم انطلق الملك اوردون
وأصحابه وقدم لركابه في اول البهو الاوسط فرس من عتاق خيل الركاب عليه سرج حلي
ولجام حلي مفرغ وانصرف مع ابن طميمس الى قصر الرصافة مكان تضييفه وقد أعد له
فيه كل ما يصلح لئله من الآلة والمرش والماعون واستقر أصحابه فيما لا كماء له من سعة
التضييف وارغاد المعاش واستشعر الناس من مسرة هذا اليوم وعزة الاسلام فيه
ما أقاضوا من التبيج والتحدث عنه اياما وكانت للخطباء والشعراء يجلس
الخليفة في هذا اليوم مقامات حسان وانشادات لاشعار محكمة مثان يطول القول
في اختيارها فن ذلك قول عبد الملك بن سعيد المرادي من قصيدة حيث يقول

ملك الخليفة آية الاقبال * وسعوده موصولة بنوال
والمسلمون بعزة وبرفعه * والمشركون بذلة وسفال
ألفت بأيديها الاعاجم نحوه * متوقعين لصوله الريال
هذا أميرهم آتاه آخذا * منه أواصر ذمّة وحبال
متواضعا لجلاله متخشعا * متبرعا لما يرفع بقتال
سينال بالتأميل للملك الرضا * عزابهم عداها بالاذلال
لا يوم أعظم لاولاة مسرة * وأشد غمظا على الاقبال
من يوم اوردون الذي اقباله * امل المدى ونهاية الاقبال
ملك الاعاجم كلها ابن ملوكها * والى الرعاة الى الاعاجم وال
ان كان جاء ضرورة فلقداً * عن عز ملكه وطوع رجال
قاله الله المنيل امامنا * حظ الملوك بقدره المتعال
هو يوم حشر الناس الا انهم * لم يسألوا فيه عن الاعمال
أضحى الفضاء مخفيا بجيوشه * والافق أقم أغبر السربال
لا يمدى السارى ليل قمامه * الابضوء صوارم وعوال
وكان اجسام الحكمة تسربات * مدعزيت عنه جسوم ضلال
وكانما العقبان عقبان الفلا * منقضة لتخطف الضلال
وكان مقتضب القمامهزة * اشطان نازحة بعيدة جال
وكانما قيل التجافيف اكتست * نارا تؤججها بلا اشعال

وقال بعض المؤرخين في حق الحكم المستنصر عن قتاة تليد صاحب خزائنه العلمية فيما
حدث عنه الحافظ أبو محمد بن حزم ان عدة الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربع وأربعون
فهرسة في كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها الا ذكر الدواوين فقط انتهى وقد قدمناه
عن ابن خلدون ونقله ابن الابار في التكملة * وقال بعض المؤرخين في حق الحكم انه كان
حسن السيرة مكرما للقادمين عليه جمع من الكتب ما لا يحصى ولا يوصف كثرة ونفاضة حتى
قيل انها كانت أربع مائة ألف مجلد وانهم لما نقلوها أقاموا ستة أشهر في نقلها وكان
عالمانيها صافي السيرة وسمع من قاسم بن أسبغ وأحمد بن رحيم ومحمد بن عبد السلام

الخشى وزكريا بن خطاب وأكثر عنه وأجاز له ثابت بن قاسم وكتب عن خلق كثير سوى هؤلاء وكان يستجلب المصنفات من الأقاليم والنواحي بأذلافها ما أمكن من الأموال حتى ضاقت عنها خزائنه وكان ذا غرام بها قد أثر ذلك على لذات الملوك فاستوسع علمه وودق نظره وبحث استفادته وكان في المعرفة بالرجال والأخبار والأنساب أحوزاً يأنسج وحده وكان ثقة فيما ينقله بهذا وصفه ابن الأبار وبأضعافه وقال بجبا لابن الفرضي وابن يشكوال كيف لم يذكره وقلما يوجد كتاب من خزائنه الأولى فيه قراءة أو نظرية في أي فن كان ويكتب فيه نسب المواقف ومولده ووفاته ويأتي من بعد ذلك بغرائب لا تكاد توجد إلا عنده لعنايته بهذا الشأن ومما ينسب إليه من النظم قوله

إلى الله أشكرو من شمائل مسرف * — إلى ظلوم لا يدين بمادنت
نأت عنه داري فاستزاد صدوده * وإني على وجدى القديم كما كنت
ولو كنت أدري أن شوقي بالغ * من الوجد ما بلغته لم أكن بنت

وقوله

هجبت وقد ودعتها كيف لم أمت * وكيف اثنت بعد الوداع يدي معي
فيا مفاقي العبر اعلمها أسكبي دما * ويا كبدى الحزاع عليها تقطعي
وتوفي رحمه الله تعالى بقصر قرطبة ثاني صفر سنة ست وستين وثلثمائة لست عشرة سنة من خلافته وكان أصابه الفالج فلزم الفراش إلى أن هلك رحمه الله تعالى وكان قد شد في إبطال الخمر في مملكته تشديدا عظيما (وولي بعده ابنه) هشام صغير أسننه تسع سنين ولا ينأفبه قول ابن خلدون قد ناهز الحلم وكان الحكم قد استوزر له محمد بن أبي عامر ونقب له من خطة القضاء إلى وزارته وفرض إليه أموره فاستقل قال ابن خلدون وترقت حال ابن أبي عامر عند الحكم فلما توفي الحكم وبويع هشام واقب المؤيد بعد أن قتل ليلثما المغيرة أخو الحكم المرشح لأمه تناول الفتك به محمد بن أبي عامر هذا بمالاً من جعفر بن عثمان المصفي صاحب أبيه وغالب مولى الحكم صاحب مدينة سالم ومن خصيان القصر يومئذ ورؤساؤهم فائق وجود رقتل ابن أبي عامر المغيرة بمالاً من ذكركرومات البيعة له هشام ثم سما لابن أبي عامر أمل في التغلب على هشام لمكانه في السن وثاب له رأي في الاستبداد ففكر بأهل الدولة وضرب بين رجالها وقتل بعضها ببعض وكان من رجال البينية من معافد دخل جده عبد الملك مع طارق وكان عظيمياً في قومه وكان له في الفتح أثر وعظم ابن أبي عامر هذا وغلب على المؤيد ومنع الوزراء من الوصول إليه إلا في النادر من الأيام يسلمون ويصرفون وأرضخ للجند في العطاء وأعلى مراتب العلماء ووقع أهل البدع وكان ذا عقل ورأي وشجاعة وبصر بالحروب ودين متين ثم تجرد لرؤساء الدولة عن عانده وزاحمه فقال عليهم وخطهم عن مراتبهم وقتل بعضها ببعض كل ذلك عن هشام وخطه ونوحيه حتى استأصلهم وفرق بجوعهم وأقول ما يبدأ بالصقالبية الخصيان الخدام بالقصر فجعل الحاجب المصفي على نكبتهم فنكبتهم وأخرجهم من القصر وكانوا غلماناً أو يزدون ثم أصهر إلى غالب مولى الحكم وبالف في خدمته والتصح له واستعان به على المصفي فنكبه ومحا أثره من الدولة

ثم استعان على غالب بجعفر بن احمد بن علي بن جندون صاحب المسئلة وقائد الشيعة
مدوح ابن هاني بالفاتية المشهورة وغيرها وهو النازع الى الحكم اول الدولة وبين كان معه
من زناتة والبربر ثم قتل جعفر اجمالا ابن عبد الودود وابن جهور وابن ذي النون
وامثالهم من اولياء الدولة من العرب وغيرهم ثم لم يخلو الجحيم من اولياء الخلافة والمرشحين
للملك فاجتمع الى الجند فاستدعى اهل العدو من رجال زناتة والبرابرة فرتب منهم جندا
واصطنع اولياء وعرف عرفاء من صنهاجة ومغراوة وبني يعزوز وبني يرزال ومكاسة وغيرهم
فتغلب على هشام وجبره واستولى على الدولة وملا الدنيا وهو في خوف يتسه من تعظيم
الخلافة والخضوع لها ووردت الامور اليها وترديد الغزو والجهاد وقدم رجال البرابرة وزناتة
واخرج رجال العرب واسقطهم عن مراتبهم فتم له ما اراد من الاستقلال بالملك والاستبداد
بالامر وبني لنفسه مدينة لتزله سماها الزاهرة ونقل اليها خزانة الاموال والاسلحة وقعد
على سرير الملك وامر ان يحيا بتحية الملوك وتسمى بالحاجب المنصور ونفذت الكتب
والخطابات والاوامر باسمه وامر بالاعمال على المنابر باسمه عقب الدعاء للخليفة
ومحارسم الخلافة بالجملة ولم يبق له هشام المؤيد من رسوم الخلافة أكثر من الدعاء على
المنابر وكتب اسمه في السكة والطارز وأغفل ديوانه مما سوى ذلك وجند البرابرة والمماليك
واستكثر من العبيد والعلاج للاستيلاء على تلك الرتبة وقهر من طاول اليها من العلية
فظفر من ذلك بما اراد وورد الغزو بنفسه الى دار الحرب فغزاستا وخسين غزوة في سائر
ايام ملكه لم تنكس له فيها راية ولا قل له جيش وما أصيب له بعث وما هلك له سرية وأجاز
عساكره الى العدو وضرب بين ملوك البرابرة وضرب بعضهم ببعض فاستوثق له ملك
المغرب وأخبت له ملوك زناتة وانقادوا لحكمه وأطاعوا سلطانه وأجاز ابنه عبد الملك
الى ملوك مغراوة بفاس من آل خزر والاسخط زيري بن عطية ملكهم ما بلغه ما بلغه من
اعلانه بالنيل منه والغض من منصبه والتأفف لحر الخليفة هشام أوقع به عبد الملك سنة
ست وثمانين ونزل بفاس وملاها وعقد الملوك زناتة على ممالك المغرب وأعماله من
سجلماسة وغيرها وشرذم زيري بن عطية الى تاهرت فأبعد المقر وهلك في مقره ذلك ثم قفل
عبد الملك الى قرطبة واستعمل واضحا على المغرب وهلك المنصور أعظم ما كان ملكا
وأشد استيلاء سنة أربع وتسعين وثلثمائة بمدينة سالم منصرفه من بعض غزواته ودفن
هناك وذلك لسبع وعشرين سنة من ملكه انتهى كلام ابن خلدون وبعضه بالمعنى وزيادة
يسيرة ولا بأس أن نزيد عليه فنقول مما حكى أنه مكتوب على قبر المنصور رحمه الله تعالى

آثاره تنبئك عن أخباره * حتى كأنك بالعيان تراه

فأله لا ياتي الزمان بمثله * أبدا ولا يحصى الثغور وسواه

وعن شجاع مولى المستعين بن هود لما توجهت الى آدفونش وجسده في مدينة سالم وقد
نصب على قبر المنصور بن أبي عامر سريره وامرأته متكئة الى جانبه فقال لي يا شجاع أما
تراني قد ملكت بلاد المسلمين وجلست على قبر ملكهم قال فحملتني الغيرة أن قلت له لو تنفس
صاحب هذا القبر وأنت عاينه ما سمع منك ما يكرهه جماعة ولا استقر بك قرار فهم بي فحالت

امرأته يني وينه وقالت له صدق فيما قال ايغفر مثلك بمثل هذا * وهذا الخبيص ترجية المنصور من كلام ابن سعيد قال رحمه الله ترجية الملك الاعظم المنصور أبي عامر محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري من قرية تركش وعبد الملك جده هو الوافد على الاندلس مع طارق في اول الداخلين من العرب واما المنصور فقد ذكره ابن حبان في كتابه المخصوص بالدولة العاصرية والفتح في المظم والجحاري في المسهب والقشندى في الطرف وذكر الجميع أن أسلافه من قرية تركش وأنه رحل الى قرطبة وتأذب بها ثم اقتعد كاتنا عند باب القصر يكتب فيه لمن يعن له كتب من الخدم والمرافعين للسلطان الى أن طلبت السيدة صبيح أم المؤيد من يكتب عنها فعرها به من كان يأمن اليه بالجلاوس من قتيان القصر فترقى الى أن كتب عنها فاستجسته ونبهت عليه الحكم ورغبت في نشر بقمه بالخدمة فولاه قضاء بعض المواضع فظهرت منه نجابة فترقى الى الزكاة والمواريث باشيلية وتمكن في قلب السيدة بما استمالها به من التحف والخدمة ما لم يتمكن لغيره ولم يقصر مع ذلك في خدمة المصحفي الحاجب الى أن توفي الحكم وولى ابنه هشام المؤيد وهو ابن اثني عشرة سنة فجاشت الروم فجهاز المصحفي ابن أبي عامر لدفاعهم فنصر ما لله عليهم وتمكن حبه من قلوب الناس وكان جوادا عاقلا ذكيا استعان بالمصحفي على الصقالية ثم بغالب على المصحفي وكان غالب صاحب مدينة سالم وتزوج ابن أبي عامر ابنته اسماء وكان أعظم عرس بالاندلس ثم بجوهن بن الاندلسي عمود ابن هاني على غالب ثم بعبد الرحمن بن محمد بن هشام التجيبي على جعفر وله في الحزم والكيد والجلد ما افرد له ابن حبان تأليفا وعدد غزواته المنشأة من قرطبة ينف ونخسون غزوة ولم تهزم له راية وقبره بمدينة سالم في أقصى شرق الاندلس ومن شعره

رمت بنفسي هول كل عظمة * وحاطرت والحر الكريم بخاطر
وما صاحبي الا جنات مشيع * وأسم سبر خطي وأيض باثر
فسدت بنفسي أهل كل سيادة * وعانرت حتى لم أجدر من افاخر
وما شددت بنيانا ولكن زيادة * على ما بنى عبد الملك وعامر
رفعنا العوالي بالعوالي مثلها * وأورثناها في القديم معافر

وجوده مع صاعد البغدادى اللغوى مشهور وصدر عن بعض غزواته فكتب اليه عبد الملك بن شهيد وكان قد تخلف عنه

أنا شيخ والشيخ يهوى الصبا * يا بنفسي افيك كل الزايا
ورسول الاله أمهم في الفضي لمن لم يحب فيه المطايا
فبعث اليه بثلاث جوار من أحسن السبي وكتب معهم وكانت واحدة أجهلن قوله
قد بعثنا بها كشمس الهار * في ثلاث من المها أبكار
وامتنابعد ذرة البكران كنهت ترجى بوادر الأعدار
فاجتهدوا بتدريقاتك شيخ * قد جلا ليله بياض النهار
صانك الله من كلالك فيها * فن العار كاله المسمار

فاقتضه من ليلته وكتب له بكرة

قد قضينا ختام ذاك السوار * واهط بغنا من النجيع البخاري
وصبرنا على دفاع وحرب * فلعيننا بالدر أو بالدراري
وقضى الشيخ ما قضى بحسام * ذي مضاء عذب الطبا بنار
فاهطنعه فليس يجزيك كفرا * واتخذ فخلا على الكفار

(وقدم بعض التجار ومعه كيس فيه يا قوت نفيس فتجرد ليسج في النهر وترك الكيس وكان
أجر على ثيابه فرفعته - دأة في مخايلها أخرى تابعا لها وقد ذهل فتغلغل في البساتين
وانقطعت عن عينه فرجع متجرا فشكا ذلك الى بعض من يأنس به فقال له صف حالت لابن
أبي عامر فتلطف في وصف ذلك بين يديه فقال تنظر ان شاء الله تعالى في شأنك وجعل يستدعي
أصحاب تلك البساتين ويسأل خدامها عن ظهر عليه تبديل حال فأخبروه أن شخصا ينقل
الزبل اشترى حمارا وظهره من حاله ما لم يكن قبل ذلك فأمر بحمله فلما وقعت عينه عليه
قال له أحضر الكيس الآخر فتلك الرعب قلبه وارتعش وقال دعني آتي به من منزلي فوكل به
من حمله الى منزله وجاء بالكيس وقد نقص منه ما لا يقدر في مسرة صاحبه فخره ودفعه الى
صاحبه فقال والله لا حدثتني في مشارق الارض ومغاربها أن ابن أبي عامر يحكم على
الطيور وينصف منها والتفت ابن أبي عامر الى الزبال فقال له لو أتيت به أغنيينا لكن تخرج
كفا فالأعقابا ولا ثوابا وتوفي رحمه الله في غزاته لا فرج بصفر سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة
وحمل في سريره على أعناق الرجال وعسكره يحف به وبين يديه الى أن وصل الى مدينة
سالم ودامت دولته ستا وعشرين سنة غزا فيها اثنتين وخمسين غزوة واحدة في الشتاء
وأخرى في الصيف انتهى كلام ابن سعيد وفي بعضه مخالفة لبعض كلام ابن خلدون * وقال
الفتح في المظفر في حق المصطفى الحماجب جعفر بن عثمان المصطفى ما صورته تجردا لعليا
وتعزدي طالب الدنيا حتى بلغ المني وتزوج ذلك الجني ووصل الى المنتهى وحصل على
ما انتهى دون مجد فقرع من دوحته ولا نخر نشأ بين مغداه وروحته فسمادون سابقة
ورمى الى رتبة لم تكن لنفسه مطابقة فبلغ بنفسه ونزع عن جنسه ولم يزل يستقل
ويطلع وينتقل من مطلع الى مطلع حتى التماح في افق الخلافه وارتاح اليه معظمها
كنشوان السلافة واستوزره المستنصر وعنه قد كان يسمع وبه يصبر وحجب الامام
وأسكب برأيه ذلك الغمام فأدرك ذلك ما أدرك ونصب لامانيه الحباثل والشرك فافتق
اقتناء مدخر وأزرى بمن سواه وحضر واستعطفه ابن أبي عامر ونجيه غائر لم يلج وسرته
مكتوم لم يبح فاعطف ولا جنى من روضة دنياء ولا قطف وأقام في تدبير الادلس ما أقام
وبرهانه مستقيم ومن الفتن عقيم وهو يجري من السعد في ميدان رحب وباع من العز في
منرب عذب ويقض ختام السرور وينهض من الملك على ابنة مزور وكان له أدب
بارع وخاطر الى نظام القريض مسارع في محاسنه التي بعثها ايناس دهره واسعاده
وقاله حين ألهمه سلباه وسعاده قوله

لعينيك في قاي عليك شجون * وبين ضلوعي للشجون قنون

فصبي من الدنيا هو الدوانه * غذائي ولكني عليه ضنين
وستأتي هذه الترجمة من المطمح الصغير ان شاء الله تعالى بما فيه بعض زيادة ونقصان
في الباب الرابع * وقال في المطمح في حق ابن أبي عامر انه تترس ببلاد الشريك أعظم تترس
ومحامن طواغيتها كل تعجرف وتعطرس وغادرهم صرعى البقاع وتركهم أذل من وجد
بقاع ووالى على بلادهم الوقائع وستدالى أبكادهم سهام الفجائع وأغص بالخمام
أرواحهم ونقص بتلك الآلام بكورهم ورواحهم ومن أوضح الامور هنالك وأفصح
الاخبار في ذلك أن أحدهم له كان كثيرا لانتباب لذلك الجنب فسار في بعض مسيراته
الى غرسية صاحب البشكندر قوالى في اكرامه وتناهى في ربه واحترامه فطالت مدته
فلامتزه الامر عليه متفرجا ولا منزل الاسار عليه معرجا فخل في ذلك اكثر الكائنات
هنالك فينا هو يجول في ساحتها ويجيل العين في ساحتها اذ عرضت له امرأة قديمة
الاسر قوية على طول الكسر فكلمته وعرفته بنفسها وأعلمته وقالت له أيرضى
المنصور أن ينسى يتنعمه بوسها ويتمتع بلبوس العافية وقد نضت لبوسها وزعت أن لها
عدة سنين بتلك الكنيسة محبة وبكل ذل ومغار ملبسه وناشدته الله في انها قصتها
وابراء غصتها واستخلفتها بأغظ الايمان وأخذت عليه في ذلك أو كدموا ثيق الرحمن
فلما وصل الى المنصور عرفه بما يجب تعريفه واعلامه وهو مصغ اليه حتى تم كلامه
فلما فرغ قال له المنصور هل وقفت هنالك على أمر أنكرته أم لم تنف على غير ما ذكرته
مأعلم بقصة المرأة وما خرجت عنه اليه وبالمواثيق التي أخذت عليه فعبه ولامه
على أن لم يبدأ بها كلامه ثم أخذ للجهد من فوره وعرض من اجناد في شجده وغوره
واصبح غازيا على سرجه مباهايا مروان يوم مرجه حتى وافى ابن شاذبة في جمعه
فأخذت مهابته يبصره وسعته فبادر بالكتاب اليه يتعرف ما بالجلية ويخاف له بأعظام
ألمة انه ما جنى ذنبا ولا جفعا عن مضيع الطاعة جنبا فعنف أرسله وقال لهم كان
قد عاقدني أن لا يبق ببلادهم ماسورة ولا مارة ولوجنته في حواصلها التهور وقد بلغتني
بعد بقاء فلانة المسلمة في تلك الكنيسة ووافقه لا انتهى عن أرضه حتى اكتمها فأرسل
اليه المرأة في اثنتين معها وأقسم انه ما يبصره ولا يسمع بهن وأعلمه أن الكنيسة التي
أشار بعلمها قد بانخ في هدمها تحققة بالقوله وتضرع اليه في الاخذ فيه بطوله فاستحي
منه وصرف الجيش عنه وأوصل المرأة الى نفسه وألحق توحشها بأنسه وغير من
حالها وعاد بسواكب نعماء على جذبها ومحالها وحملها الى قومها وكلها بما كان
شرد من نومها انتهى * وقال في المطمح أيضا في حقه مانصه فزدنا به على من تقدمه
وصوبه واستحزمه فانه كان امضا هم سنانا واذكاهم جنانا وأتمهم جلالا وأعظمهم
استقلالا فالأمره الى ما آل وأوهم العقول بذلك المال فانه كان آية الله
في اتفاق سنده وقربه من الملك بعد بعده بهر برفعة القدر واستظهر بالاناة وسعة
الصدر وتحررك فلاح بحجم الهدق وتلك فما خفق بأرضه لواءه قدو بعد دخول كابد منه
غصا وشرقا وبعد رما مول طارد فيه سهر او أرقا حتى أنجز له الموعد وفر تحسه

أمام تلك السعود فقام بتدبير الخلافة وأقعد من كان له فيها ناقة وسام الامور أحسن سياسة وداس الخطوب بأحسن دياسة فانتظمت له الممالك واتفحت به المسالك وانتشر الامن في كل طريق واستشعر اليمين بكل فريق وملك الاندلس بضعا وعشرين حجة لم تدحض لسعادتها حجة ولم تزخر ~~لكرامتها~~ ورومها بالجة لبست فيه البلاد الاشراف وتنفست عن مثل أنفاس العراق وكانت ايامه أجدا أيام وسهام بأسه أشد سهام غزا الروم شاتيا وصاتقا ومضى فيما يروم زاجرا وعاتقا فحاصر له غير سنج ولا قازا لا بالمعل لا بالمنيح فأوغل في تلك الشعاب وتغلغل حتى راع ليث الغاب ومشى تحت ألويته صيد القبائل واشتجرت في ظاهها يرض الطباوس والذوايل وهو يقتضى الارواح بغير سوم وينتضى الصفاح على كل روم ويتلف من ينساق للخلافة وينقاد ويخطب منهم كل كوكب وقاد حتى استبدوا نفرد وأنس اليه من الطاعة ما نفروا شرده وانتظمت له الاندلس بالعدوة واجتمعت في ملكه اجتماع قريش بدار الندوة ومع هذا لم يخلع اسم الجبابرة ولم يدع السمع لخليفته والاجابة ظاهري خالفه الباطن واسم تناثره مواقع الحكم والمواطن وأذل قبائل الاندلس بإجازة البرابر وأدخل بهم اولئك الاعلام الا كابر فانه قاوهم بأضدادهم واستكثر من أعدادهم حتى تعلبوا على الجمهور وسلبوا عنهم الظهور ووثبوا عليهم الوثوب المشهور الذي أعاد كثر الاندلس قفرا يابا وملاها وحشا وذئابا وأعراها من الامان برهة من الزمان وعلى هذه الهيئة فهو وابنه المطفر كانا آخر سعد الاندلس وحدث السرور بهما والتأنس وغزواته فيها شائعة الاثر رائعة كالسيف ذي الاثر وحسبه وافر ونسبه معافر ولذا قال يفخر رميت بنفسى الايات وزاد هنا بعد قوله وأبيض باتريتا وهو

وانى لزجاء الجيوش الى الوغى * أسودت لاقها أسود خوادر
وكانت امة تميمية فخازا الشرق بطريقه والتحف بطريقه ولذا قال القسطلي فيه
تلاقت عليه من تميم ويعرب * شمس تلالا في العـلا وبـدور
من الحسيريين الذين أكفهم * محائب تهمى بالنسدى وبحور
وتصرف قبل ولايته في شتى الولايات وجاء من التحدث بمنتهى أمره بايات حتى صح
زبره وجاء بصحه فخره توتر عنه في ذلك أخبار فيها عجب واعتبار وكان أديبا محسنا
وعالما متفنا في ذلك قوله يفتى نفسه بملك مصر والحجاز ويستدعى صدور تلك الاعجاز
منع العين أن تذوق المناما * حبها أن ترى الصفا والمقاما
لى ديون بالشرق عند أناس * قد أحلوا بالمشعرين الحراما
ان قضاها نالوا الامانى والا * جعلوا دونها رقابا وعاما
عن قريب ترى خيول هشام * يبلغ النيل خطوها والشاما

اتتهى ما نقلته من المطمح * وفي المصور المذكور أيضا قال بعض مؤرخي المغرب ما زجا
كلامه ببعض كلام الفتح بعد ذكر استعانت به بعض الناس على بعض وذكر قتله بلعفرن
عثمان فقال بعده ما صورته ثم انفرد بنفسه وصار ينادى هل من مبارز فلما لم يجد له

الدهر على حكمه فانقاده وساعده فاستقام أمره منفردا بمملكة لا سلف له فيها ومن
أوضح الدلائل على سعده انه لم ينسكب قط في حرب شهدها وما توجهت عليه هزيمة
وما انصرف عن موطن الا قاهرا غالبا على كثرة ما زاول من الحروب وما من من الاعداء
وواجه من الامم وانها خلاصة ما أحسب أحدا من الملوك الاسلاميه شاركه فيها ومن أعظم
ما اعين به مع قوة سعده وتمكن بجدته سعة جوده وكثرة بذله فقد كان في ذلك أبحوبة
الزمان وأقول ما اتسكا على ارائك الملوك وارتفق وانتشر عليه لواء السعد وخفق خط
صاحبه المحيى وأثار له كل من حقه الخلق حتى اصار له هموم ليسا وفي غايات
السجن حبيسا فكتب اليه يستعطفه بقوله

هبتى أسأت قأين العفو والكرم * اذ قاذنى نحوك الاذعان والندم
ياخير من مدت الايدي اليه أما * ترى لشيخ رماه عندك القلم
بالغت في الخط فاصفح صفح مقتدر * ان الملوك اذا ما استرحوا رجوا
فما زاده ذلك الاحتقا وحقدا وما أفادته الايات الا تضر ما ووقدا فراجع بما يأسه
وأراه مرعسه وأطبق عليه محبسه وضيق تروحه من المحنة وتنفسه

الآن يا جاهلا زلت بك القدم * تبغى التكرم لما فاذك المكرم
أغريت بي ملامكا لولا تيبته * ما جازى عنده نطق ولا كلم
فياأس من العيش اذ قد صرت في طبق * ان الملوك اذا ما استنقموا انقموا
نفسى اذا سخطت ليست براضية * ولو تشفع فيك العرب والعجم
وكان من أخباره المداخلة في أبواب البر والقربة ببيان المسجد الجامع الى أن قال ومن ذلك
بناء قنطرة على نهر قرطبة الاعظم ابتدأ بناءها المنصور سنة ثمان وسبعين وثلثمائة وفرغ
منها في النصف من سنة تسع وسبعين وانتهت النفقة عليها الى مائة ألف دينار وأربعين
ألف دينار فعظمت بها المنفعة وصارت صدرا في مناقبة الجليله وكانت هنالك قطعة أرض
لشيخ من العاقبة ولم يكن للقنطرة عدول عنها فأمر المنصور أمنا بارضائه فيها فحضر الشيخ
عندهم فساوموه بالقطعة وعرفوه وجه الحاجة اليها وأن المنصور لا يريد الا انصافه فيها
فرماهم الشيخ بالغرض الاقصى عنده فيما ظنه أنها لا تخرج عنه بأقل من عشرة دنانير ذهبا
كانت عنده أقصى الامنية وشرطها صحاحا فاعتنم الامناء عقلته ونقدوه الثمن وأشهدوا
عليه ثم أشبروا المنصور بخبره فضحك من جهالته وألف من غيبه وأمر أن يعطى عشرة
أمشال ماسأل وتدفع له صحاحا كما قال فقبض الشيخ مائة دينار ذهبا فكاد أن يخرج من
عقله وأن يحرق عند قبضها من الفرح وجاء محفلا في شكر المنصور وصارت قصته خيرا سائرا
(ومن ذلك أيضا) بناء قنطرة على نهر أستجة وهو نهر شليل وتجشم لها أعظم مؤنة وسهل
الطريق الوعرة والشعاب الصعبة (ومن ذلك أيضا) انه خط يسده مصحفا كان يحمله معه
في أسفاره وغزواته يدرس فيه ويتبرك به ومن قوة رجائه أنه اعتنى بجمع ما علق بوجهه من
الغبار في غزواته ومواطن جهاده فكان الخدم يأخذونه عنه بالناديل في كل منزل من
منازله حتى اجتمع له منه صرة ضخمة عهد بتصبيره في حنوطه وكان يحملها حيث سار مع

اكفانه توقع الحول منيته وقد كان اتخذ الا كفان من أطيب مكسبه من الضيعة الموروثة
عن أبيه وغزل بناته وكان يسأل الله تعالى أن يتوفاه في طريق الجهاد فكان كذلك وكان
متسماً بصحة باطنه واعترافه بذنبه وخوفه من ربه وكثرة جهاده وإذا ذكره الله ذكره وإذا
خوف من عقابه ازدجر ولم يزل مستزهاً عن كل ما يفتن به الملوك سوى التجر لكنه أقلع عنها
قبل موته بسنتين وكان عدله في الخاصة والعامة وبسط الحق على الأقرب فالأقرب من
خاصته وحاشيته أمرامضروياً به المثل * (ومن عدله أنه وقف عليه رجل من العاقبة بجلسه
فنادى يا ناصر الحق ان لي مظلة عند ذلك الوصيف الذي على رأسك وأشار إلى الفتى صاحب
الدرقة وكان له فضل محل عنده ثم قال وقد دعوتك إلى الحاكيم فلم يأت فقال له المنصور أو
عبد الرحمن بن القطيس بهذا العجز والمهانة وكناظنه أمضى من ذلك إذ كر مظلتك يا هذا
فذكر الرجل معاملة كانت جارية بينهم ما قطعها من غير نصف فقال المنصور ما أعظم
بليتنا بهذه الحاشية ثم نظر إلى الصقلي وقد ذهل عقله فقال له ادفع الدرقة إلى فلان وانزل
صاغراً وسأوخصمك في مقامه حتى يرفعك الحق أو يضعك ففعل ومثل بين يديه ثم قال
إصاحب شرطته الخالص به خذ بيد هذا الفاسق الظالم وقد مره مع خصمه إلى صاحب المظالم
لينفذ عليه حكمه بأغلط ما يوجب الحق من سجن أو غيره ففعل ذلك وعاد الرجل إليه شاكرًا
فقال له المنصور قد انتصفت أنت اذهب لسيدك وبقي انتصافي أنا بمن تهان بمنزاتي فتناول
الصقلي بأنواع من المذلة وأبعده عن الخدمة * (ومن ذلك) قصة فتاة الكبيرة المعروفة
بالبورقي مع التاجر المغربي فأنهم ما تنازعا في خصومة توجهت فيها اليمين على الفتى
المذكور وهو يومئذ أكبر خدام المنصور وإلى أمر داره وحرمه فدافع الحاكيم ووطن أن
جاءه يمنع من أحلافه فصرخ التاجر بالمنصور في طريقه إلى الجامع متظلماً من الفتى
فوكّل به في الوقت من حمله إلى الحاكيم فأوقفه منه وسخط عليه المنصور وقبض نعمته منه
ونفاه * (ومن ذلك) قصة محمد فصاد المنصور وخدامه وأمينه على نفسه فان المنصور
احتاجه يوماً إلى الفصد وكان كثير التعهد له فانفذ رسوله إلى محمد فألقاه الرسول محبوساً
في سجن القاضي محمد بن روب لحيف ظهر منه على امرأته قد رأت سبيله من الخدمة بحميه
من العقوبة فلما عاد الرسول إلى المنصور بقصته أمر بإخراجه من السجن مع رقيب من رقباء
السجن يلزمه إلى أن يفرغ من عمله عنده ثم يرده إلى محبسه ففعل ذلك على ما رسمه وذهب
القاصد إلى شوكوى ما ناله فقطع عليه المنصور وقال له يا محمد إنه القاضي وهو في عدله
ولو أخذني بالحق ما أطق الامتناع منه عد إلى محبتك واعتق بالحق فهو الذي يطلقك
فانكسر الحاجم وزالت عنه ريح العناية وبغت قصته للقاضي فصالحه مع زوجته وزاد
القاضي شدة في أحكامه * وقال ابن حبان أنه كان جالساً في بعض الليالي وكانت ليلة
شديدة البرد والريح والمطر فدعاه أحد الفرسان وقال له انهمض الآن إلى فج طيالس وأقم
فيه فأقول خاطر يخطر عليك سقه إلى قال فنهض الفارس وبقي في الفج في ليرد والريح
والمطر واقفاً على فرسه اذ وقع عليه قرب القبر شيخ هرم على حماره ومعه آلة الخطب
فقال له الفارس إلى أين تريد يا شيخ فقال وراء خطب فقال الفارس في نفسه هذا شيخ

مسكين نفض الى الجبل يسوق خطبا فماذا عسى أن يريد المنصور منه قال فترى كنهه
فسار عني قلبا ثم فكرت في قول المنصور ونفخت سطوته فنفضت الى الشيخ وقلت له ارجع
الى مولانا المنصور فقال له وماذا عسى أن يريد المنصور من شيخ مثلي سألتك بالله أن
تتركني أذهب لطلب معيشتي فقال له الفارس لا افعل ثم قدم به على المنصور ومثله بين يديه
وهو جالس لم يتم ليلته تلك فقال المنصور للصقالبة قدشوه ففتشوه فلم يجدوا معه شيئا فقال
قدشوا برذعة حمارة فوجدوا داخلها كتابا من نصارى كانوا قد نزعوا الى المنصور
يخدمون عنده الى أصحابهم من النصارى ليضربوا ويقتلوا في إحدى النواحي الموطومة
فلما انبل الصبح أمر باخراج أولئك النصارى الى باب الزاهرة فضربت أعناقهم وضربت
رقبة الشيخ معهم ثم ذكر هذا المؤرخ قصة الجوهري التي قد منازعتها من مغرب ابن
سعيد ولكننا أعادتها بلفظ هذا المؤرخ لأنه أتم مساقا إذ قال عطفوا على دهائه ومن
ذلك قصة الجوهري التاجر وذلك أن رجلا جوهريا من تجار المشرق قصد المنصور من
مدينة عدن بجوهر كثير وأججار نفيسة فأخذ المنصور من ذلك ما استحسنته ودفع الى
التاجر الجوهري صرته وكانت قطعة يمانية فأخذ التاجر في انصرافه طريق الرملة على شط
النهر فلما توسطها واليوم فأنظ وعرقه من صب دعت به نفسه الى التبر في النهر فوضع ثيابه
وتلك الصرّة على الشط فزرت حداة فاختطف الصرّة تحسبها الحما وصاعدت في الافق بها
ذاهبة فقطعت الافق الذي تنظر اليه عين التاجر فقامت قيامته وعلم انه لا يقدر أن يستدفع
ذلك بحيلة فأسر الحزن في نفسه ولحقه لاجل ذلك علة اضطرب فيها وحضر الدفع الى التجار
فحضر الرجل لذلك بنفسه فاستبان للمنصور ما بالرجل من المهانة والكآبة وفقد ما كان
عنده من النشاط وشدة العارضة فسأله المنصور عن شأنه فأعلمه بقصته فقال له هلا أتيت
الينا بحدثان وقوع الامر فكانت تظهر على الحيلة فهل هديت الى الناحية التي أخذ
الطائر اليها قال مزمشر فاعلى سميت هذا الجبل الذي يلي قصر لكيعني الرملة فدعا المنصور
شرطيه الخاص به فقال له جئني بمشيمة أهل الرملة الساعة فضى وجاء بهم سر يعافأ مرهم
بالبحث عن غير حال الاقلال منهم سر يعافأ وانتقل عن الاضاعة دون تدريج فتناظروا
في ذلك ثم قالوا يا مولانا ما نعلم الا رجلا من ضعفائنا كان يعمل هو وأولاده بأيديهم
ويتناولون السبق بأقدامهم عجزا عن شراء دابة فابتاع اليوم دابة واكتسى هو وولده
كسوة متوسطة فأمر باحضاره من الغد وأمر التاجر بالغدوا الى الباب فحضر الرجل بعينه
بين يدي المنصور فاستدناه والتاجر حاضر وقال له سبب ضاع منا وسقط اليك ما فعلت به
قال هوذا يا مولاي وضرب بيده الى حجرة سر اويله فأخرج الصرّة بعينه فاصاح التاجر طربا
وكاد يطير فرحاً فقال له المنصور صف لي حديثها فقال بينا أنا أعمل في جنائي تحت نخلة اذ
سقطت أمانتي فأخذتها وراقني منظرها فقلت ان الطائر اختلسها من قصر لكيعني لقرب الجوار
فاجتزت بها ودعتني فاقتني الى أخذ عشرة مثاقيل عيوننا كانت معها ضرورة وقلت أقل
ما يكون في كرم مولاي أن يسمح لي بها فأعجب المنصور ما كان منه وقال للتاجر خذ صرّةك
وانظرها واصلدني عن عدوها ففعل وقال وحق رأسك يا مولاي ما ضاع منها شيء سوى

قوله يا قبا الذي في تقويم
البلدان لابي القضاة يا قبا
له معجزة

الذي انير التي ذكرها وقد وهبته له فقال له المنصور نحن أولى بذلك منك ولا تنقص عليك فرحك
ولو لا جعه بين الاصرار والقرار لكان ثوابه موفورا عليه ثم أمر للتاجر بعشرة دنانير عوضا
من دنانيره وللعناني بعشرة دنانير ثوابا لتأنيبه عن فساد ما وقع بيده وقال لو بدنا بالاعتراف
قبل البحث لا وسعنا جراء قال فأخذ التاجر في الثناء على المنصور وقد عاوده نشاطه وقال
والله لا يئس في الاقطار عظيم ملكك ولا يئس أنك تلك طير أعمالك كما تلك أنفسها فلا تعصم
منك ولا تمنع ولا تؤذي جارك ففعلك المنصور وقال اقصد في قولك يغفر الله لك فحجب الناس
من تلاف المنصور في أمره وحيثه في تفريج كربته * (ومن ذلك) غزوة المنصور لمدينة
سنت يا قبا فاصبة غليسية وأعظم مشاهد النصارى الكائنة ببلاد الاندلس وما يتصل بها من
الارض الكبيرة وكانت كنيسة عندهم بمنزلة الكعبة عندنا والكعبة المثل الأعلى فيها
يحفون واليه يهجون من أقصى بلاد رومة وما وراءها ويرغمون أن القبر المزور فيها قبر
يا قبا الحواري أحد الاثنى عشر وكان أخوهم يعيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام
وهم يسمونه أخا لازومه اياه ويا قبا بلسانهم يعقوب وكان أسقفا بيت المقدس فجعل
يستقرى الارضين داعيا لمن فيها حتى انتهى الى هذه القاصية ثم عاد الى أرض الشام فمات
بها وله مائة وعشرون سنة شمسية فاحتمل أصحابه رقبته فدفنوها بهذه الكنيسة التي كانت
أقصى أثره ولم يطعم أحد من ملوك الاسلام في قصدها ولا الوصول اليها الصعوبة مدخلها
وخشونة مكانها وبعد شقتها فخرج المنصور اليها من قرطبة غازيا بالصائفة يوم السبت است
بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وثلثمائة وهي غزوة الثامنة والاربعون
ودخل على مدينة قورية فلما وصل الى مدينة غليسية واقام عدد عظيم من القوامس
المتسكين بالطاعة في رجالهم وعلى أتم احتفالهم فصاروا في عسكر المسلمين وركبوا في المفاوز
سبلهم وكان المنصور تقدم في انشاء اسطول كبير في الموضع المعروف بقصر أبي وانس من
ساحل غرب الاندلس وجهزه برجال البحريين وصنوف المترجلين وحمل الاقوات والاطعمة
والعدة والاسلحة استظهارا على نفوذ العزيمة الى أن خرج بموضع يرتقال على نهرويرة
فدخل في النهر الى المكان الذي عمل المنصور على العبور منه فعقد هناك من هذه الاسطول
جسرا يقرب الحصن الذي هناك ووجه المنصور ما كان فيه من الميرة الى الجند فتوسعوا
في التردد منه الى أرض العدو ثم نهض منه يريد سنت يا قبا فقطع أرضين متباعدة الاقطار
وقطع بالعبور عدة أنهار كبار وخطبان يمتد بها البحر الاخضر ثم أقضى العسكر بعد ذلك الى
بساتط جليلة من بلاد فرطارس وما يتصل بها ثم أقضى الى جبل شامخ شديد الوعر لا مسلك
فيه ولا طريق لم يمتد الادلاء الى سواء فقدم المنصور القسعة بالمديد لتوسعة شعابه
وتسهيل مسالكه فقطعه العسكر وعبروا بعده وادي منية وانبط المسلمون بعد ذلك
في بساتط عريضة وأرضين وانتهت مغيرتهم الى دير قشان وبساتط بلنبوع على البحر المحيط
وفتحوا حصن سنت بلالاه وغنموه وعبروا بساحته الى جزيرة من البحر المحيط لجأ اليها خلق
عظيم من أهل تلك النواحي فسيبوا من فيها من لجأ اليها وانتهى العسكر الى جبل مراسية
المتصل من أحد طرفيها بالبحر المحيط ففخلوا اقطاره واستخرجوا من كان فيه وحازوا

غنائمهم ثم أجاز المسلمون بعدهم هذا خليجاً في معبرين أرشد الادلان اليهما ثم نهرا ببله ثم أقضوا
 الى بساط واسعة العمارة كثيرة الفائدة ثم انتهوا الى موضع من مشاهد ياقب صاحب
 القبر تلو مشهد قبره عند النصارى في الفضل يقصدون سالكهم له من أقاصى بلادهم ومن
 بلاد القبط والنوبة وغيرهما فغادره المسلمون قاعاً وكان النزول بعده على مدينة شنت ياقب
 البائسة وذلك يوم الاربعاء لليلتين خلتا من شعبان فوجدوها المسلمون خالية من أهلها
 فجاز المسلمون غنائمها وهدموا مصانعها وأسوارها وكنيستها وعفوا آثارها وكل المنصور
 بقبر ياقب من يحفظه ويدفع الأذى عنه وكانت مصانعها بدعة محكمة فغودرت هشيماً كأن
 لم تكن بالأمس وانتسفت بعد ذلك سائر البساط وانتهت الجيوش الى مدينة شنت ما نكش
 منقطع هذا الصقع على البحر المحيط وهي غاية لم يبلغها قبلهم مسلم ولا وطنها غير أهلها قدم فلم
 يكن بعدها الخيل مجال ولا وراءها انتقال وانكفاً المنصور عن باب شنت ياقب وقد بلغ غاية
 لم يبلغها مسلم قبله فجعل في طريقه القصد على عمل بر من دبره دون يستقر به عائداً ومصدداً
 حتى وقع في عمل القوامس المعاهدين الذين في عسكره فأمر بالكف عنها ومرت مجتازاً حتى
 خرج على حصن بليقية من افتتاحه فأجاز هنالك القوامس بجملتهم على أقدارهم وكسائهم
 وكسار جالهم وصرفهم الى بلادهم وكتب بالفتح من بليقية وكان مبلغ ما كساه في غزاته هذه
 ملوك الروم ولبن حسن غنائم من المسلمين ألفين ومائتين وخمسين ثمانين شقة من صوف الخز
 الطرازي واحد وعشرين كساء من صوف البحر وكساءين عنبريين وأحد عشر سقلاطونا
 وخمس عشرة مريشا وسبعة انماط ديباج وثوب ديباج رومي وفروى قنك ووافي جميع
 العسكر قرطبة غانماً وعظمت النعمة والمنة على المسلمين ولم يجد بشنت ياقب الا شيخاً من
 الرهبان جالساً على القبر فسأله عن مقامه فقال ارنس يعقوب فأمر بالكف عنه قال وحدث
 شعلة قال قلت للمنصور ليلة طال سهره فيها قد أفرط مولانا في السهر وبدنه يحتاج الى أكثر
 من هذا النوم وهو أعلم بما يحتركه عدم النوم من علة العصب فقال يا شعلة الملك لا ينام
 اذا نامت الرعية ولو استوفيت نومي لما كان في دور هذا البلد العظيم عين نائمة انتهى ما نقلته
 من الكتاب المذكور * وقد رأيت أن أذكر هنا أخباراً نقلتها من كتاب الازهار المنشورة
 في الاخبار الماثورة * (قال في الزهرة التاسعة والعشرين) تقدم الى المنصور واطرمار بن أبي
 بكر البربري والى أحد جنود المغاربة وقد جلس للعرض والتميز والميدان غاص بالناس
 فقال له بكلام يضحك الشكلى يا مولاي مالي ولك أسكني فاني في الفحص فقال وما ذاك
 يا واطرمار وأين دارك الواسعة الا قطار فقال أخرجتني عنها والله نعمتك اعطيتني من الضياع
 ما انصب على منها من الاطعمة ما دلاً يوتي وأخرجني عنها وأنا ببربري مجوع حديث عهد
 بالبوؤس اتراني أبعد القمح عنى ليس ذلك من رأيي فتطلق المنصور وقال لله ذلك من فذعي
 لعينك في شكر النعمة ابلغ عندنا وأخذ بقلوبنا من كلام كل اشدق متزيد وبلغ متفنن وأقبل
 على من حوله من اهل الادلان فقال يا أصحابنا هكذا قلت شكر الايادي وتستندام النعم
 لا ما انتم عليه من الجحداً اللازم والتشككى المبرح وأمر له بأفضل المنازل الخالية
 * (وفي الموقية ثلاثين) مانعه أصبح المنصور صبيحة أحد وكان يوم راحة للخدمة الذي

أعذوا فيه من قصد الخدمة في مطروا بل غيب أيام مثله فقال هذا يوم لا عهد بمثله ولا حيلة
للمواطنين لقصدنا في مكابدة نه فليت شعري هل شئاً أحد منهم عن التقرير فأغرب في البكور
أخرج وتأتل يقوله لحاجبه فخرج وعاد إليه ضاحكاً وقال يا مولاي علي الباب ثلاثة من
البرابرة أبو الناس بن صالح واشتاق معه وهم بحال من الليل انما توصف بالمشاهدة فقال
أوصلهم الي ويحل قد دخلوا عليه في حال الملاح بلا وندوة فضحك اليهم وأدنى مجلسهم وقل
خبروني كيف جئتم وعلى أي حال وصاتم وقد استكان كل ذي روح في كنهه ولا ذك كل طائر
بوكه فقال له أبو الناس بكلامه يا مولانا ليس كل التيارات قعد عن سوقه واذا عذرا التجار
على طلب الربح بالقولوس فنحن أعذربا دراكها بالبدرو من غير رؤس الاموال وهم
يتأوون الاسواق على أقدامهم ويتأوون في قصدها ثيابهم ونحن تأتلك على خيلك
ونذيل على صهواتهم لا بسك ونجعل الفضل في قصدك مضموننا اذ جعله اوائك طمعاً ورجاء
قري لنا أن نجلس عن سوقنا هذا فضحك المنصور ودعا بالكسار والصلوات فدفعت لهم
وانصرفوا مسرورين بعدوتهم * (وفي الزهرة الرابعة والاربعين) مانصه كن بقرطبة
على عهد الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر قتي من أهل الادب قدرقت حاله في الطلب
فتعاق بكتاب العمل واختلف الى الخزنة مدة حتى قلده بعض الاعمال فاستهلك كثيراً من
المال فلما ضم الى الحساب ابرز عليه ثلاثة آلاف دينار فرفع خبره الى المنصور فأمر
باحضاره فلما مثل بين يديه ولزم الاقرار بما ابرز عليه قال له يا فاسق ما الذي جرتا على مال
السلطان تنهيه فقال قضاء غلب الرأي وفقر أفسد الامانة فقال المنصور والله لا جعلتك
نكالا لغيرك ليحضر كبل وحداد فأحضر فكبيل الفتى وقال اجلوه الى السجن وأمر الضابط
بامتحاناه والشدة عليه فلما قام انشأ يقول

أقواه أقواه وكما اري * أكثر من تكرار أقواه

مالا امرئ حول ولا قوة * الحول والقوة لله

فقال المنصور ردوه فلما رد قال أعتات أم قلت قال بل قلت فقال حلوا عنه كبيله فلما حل
عنه انشأ يقول

أما ترى عفو أبي عامر * لا بد أن يتبعه منه

كذلك الله اذا ما عفا * عن عبده أدخله الجنة

فأمر بإطلاقه وسوغه ذلك المال وأبرأه من التبعة فيه * (وفي الخامسة والاربعين) عرض
على المنصور بن أبي عامر اسم أحد خدمه في جملة من طال سجنه وكان شديداً لحد عليه
فوقع على اسمه بأن لا يسبيل الى اطلاقه حتى يلحق بأمة الهاوية وعرف الرجل بتوقيعه
فأهتم واغتم وأجهد نفسه في الدعاء والمناجاة فأرق المنصور اثر ذلك واستدعى النوم فلم
يقدر عليه وكان يأتيه عند تنويمه آت كربه الشخص عنيف الاخذ يأمره بإطلاق الرجل
ويتوعد على حبسه فاستدفع شأنه مراراً الى أن علم انه تدير من ربه فانتقاد لا مره وودعا
بالدواة في مرقد فكتب بإطلاقه وقال في كتابه هذا طليق الله على رغم اتف ابن أبي عامر
وتحدث الناس زماناً بما كان منه * (وفي السادسة والاربعين) مانصه انتهت هبة المنصور بن

أبي عامر وضبطه للبيد واستخدام ذكور الرجال وقوام الملك الى غاية لم يصلها ملك قبله
فكانت موافقهم في الميدان على احتفاله مثلاً في الاطراق حتى ان الخيل لتقتل اطراق
فرسانها فلا تكثر الصهيل والجمعة ولقد وقعت عينه على بارقة سيف قد حمله بعض الجنود
بأقصى الميدان اهزل أوجد بحيث ظن أن لحظ المنصور لا يناله فقال على - بشاهر السيف
قتل يزيد به لوقته فقال ما حملك على أن شهرت سيفك في مكان لا يشهر فيه الا عن اذن
فقال اني أشرت به الى صاحبي محمد اذ لقي من محمد فقال ان مثل هذا لا يسوغ بالادعوى
وأمر به فضربت عنقه بسيفه وطيف برأسه وفودى عليه بذنبه * (وفي السابعة والاربعين)
ان المنصور كان به داء في رجله واحتاج الى الكي فأمر الذي يكويه بذلك وهو قاعد
في موضع مشرف على أهل مملكته بفعل بأمر وينهى ويفرى الفرى في أموره ورجله
تكوى والناس لا يشعرون حتى شمو رائحة الجلد واللحم فتعجبوا من ذلك وهو غير مكترث
* (وأخباره رحمه الله تعالى) تحتمل مجلدات فلتملك العنان على أناذ كرنا في الباب
الرابع والسادس من هذا الكتاب جملة من أخباره رحمه الله تعالى فلتراجع الى آخره
* (وفي الثامنة والاربعين) وكان مما عيّن به المنصور وعلى المصطفى - ميسر الوزراء اليه
واينارهم له عليه وسعيهم في ترقيه وأخذهم بالعصية فيه فانها وان لم تكن حجة أعرايه
فقد كانت سلفية سلطانية يقتنى القوم فيها سبيل سلفهم ويحفلون بها ابتذال شرفهم
غادروها سيرة وتحلقوها عادة أثيرة تشاح الخلف فيها تشاح سلفهم - أهل الديانة
وصانوا بها امرأتهم أعظم صيانة ورأوا ان أحد الا يلحق فيها غاية ولا يتعاقد لها راية فلما
اصطفى الخلف المستنصر بالله جعفر بن عثمان واصطنعه ووضع به من أثره حيث
وضعه وهو نزيع بينهم وتابغ فيهم حسدوه وذقوه وخصوه بالمطالبة وعموه وكان أسرع
صنف الطائفة من أعالي الوزراء وأعظم الدولة على معاودة المنصور عليه والافتخار عنه
آل أبي عبيدة وآل شهيد وآل فطيس من الخلفاء واصحاب السدانة من اولى الشرف
والامانة وكانوا في الوقت ازمة الملك وقوام الخدمة ومصايح الامة وأغبر الخلق على جاه
وحرمه فأحظوا محمد بن أبي عامر مشايعة ويبيع أسبابه الجامعة متابعة وشادوا بناءه
وقادوا الى عنصره سناء حتى بلغ الامل والتحف بمناه وكنحل وعند التثام هذه
الامور لابن أبي عامر استكان جعفر بن عثمان للحادثة وأيقن بالنكبة وزوال الحال
واتقال الرتبة وكف عن اعتراض محمد وشركته في التدبير وانقبض الناس من الرواح
اليه والتبكير واشالوا على ابن أبي عامر نخف موكبه وغار من سماء العز كوكبه وتوالى
عليه سعي ابن أبي عامر وطلبه الى أن صار يفتدوا الى قرطبة وروح وليس يده من الحجابة
الاجتراد - ابن أبي عامر مشتمل على رسمها حتى حماء وفتك ظله وأضواء قال ابن
اسماعيل رأيت - يساق الى مجلس الوزارة للمعاسية راجلاً فأقبل يدرم وجوارحه
باللواعج تضطرم وواثق الضاغطينه - الزمعة يهـره واليهرو النفس قد هاضاه
وقصر اخطاه فسمعته يقول رفيقاي فستدرل ما تحبه وتشتبه وترى ما كنت تربيته
ويا ليت أن الموت يساع فأغلى سوره حتى يرده من اطلال عليه حومه

لا تأمن من الزمان تقلبا * ان الزمان بأهله يتقلب
ولقد اراني والليوث تخافني * فأخافني من بعد ذلك الشعب
حسب الكريم مذلة ومهانة * أن لا يزال الى لثيم يطلب

فلما بلغ المجلس جلس في آخره دون أن يسلم على أحد أو يوحي اليه بعين أو يد فلما أخذ مجلسه
تسرع اليه الوزير محمد بن حفص بن جابر فعنفه واستخفاه وأنكر عليه ترك السلام وجفاه
وجعفر معرض عنه الى أن كثر القول منه فقال له يا هذا جهلت المسيرة فاستجھلت معلما
وكفرت النعم فقصدت بالاذى ولم ترهب مقدمها ولو أتيت نكرا لكان غيرك أدري
وقد وقعت في أمر ما أظنك تخلص منه ولا يسعك السكوت عنه ونسيت الايادي الجسيمة
والمبرات الجليدة فلما سمع محمد بن حفص ذلك من قوله قال هذا البهت بعينه وأى اياديك
الغزالي منتبها وعنت اداء واجبها أيد كذا أم يد كذا وعين اشياء أنكرها منه أيام
امارته وتصرف الدهر طوع اشارته فقال جعفر هـ ذاما لا يعرف والحق الذي لا يرد
ولا يصرف رفعي القطع عن يمينك وتبلغني لك الى منالك فأصر محمد بن حفص على الجحد
فقال جعفر أنشد الله من له علم بما أذكره الا اعترف به فلا ينكره وأنا أحوج الى
السكوت ولا تحجب دعوتي فيه عن الملك سكوت فقال الوزير أحمد بن عباس قد كان
بعض ما ذكرته يا أبا الحسن وغير هذا اولي بك وأنت فيما أنت فيه من محنتك وطلبك فقال
أخرجني الرجل فتكلمت وأحوجني الى ما به اعلمت فأقبل الوزير ابن جهور على محمد
ابن حفص وقال اسأت الى الحاجب وأوجبت عليه غير الواجب أو ما علمت أن منكوب
السلطان لا يسلم على أوليائه لانه ان فعل الزمهم الرد لقوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا
بأحسن منها أو ردوها فان فعلوا طاف بهم من انكار السلطان ما يخشى ويخاف لانه
تأنيس لمن أوحش وتأمين لمن أخاف وان تركوا الرد انحطوا الله فصار الامساك أحسن
ومثل هذا لا يخفى على أبي الحسن فانكسر ابن حفص وخجل مما أتى به من النقص
وبلغه أن قوما توجهوا له وتفجعوا بما وصله فكتب اليهم

أحن الى أنفاسكم فأظنهم * بواعث انفاس الحياة الى نفسي

وان زمانا صرت فيه مقيدا * لا تنقل من رضوى وأضيق من أمس انتهى
ما ترجم به المنصور بن أبي عامر ولترجع فنقول ولما توفي المنصور قام بالامر بعده ابنه
عبد الملك المظفر أبو عمرو وان جرى على سنن أبيه في السياسة والغزو وكانت أيامه اعيادا
دامت مدة سبع سنين وكانت تسمى بالسابع تشبها بسابع العروس ولم يزل مثل اسمه مظفرا
الى أن مات سنة تسع وتسعين وثلثمائة في المحرم وقيل سنة ثمان وتسعين وكان به المعز بن
زيري ملك مغراوة بعد أن استرجع فاسا والمغرب اثر موت أبيه فكتب اليه العهد على
المغرب ونارت الطوائف في ممالكهم وتحركت الجلالة لاسترجاع معاقلهم وحصونهم
(قال ابن خلدون) ثم قام بالامر بعده أخوه عبد الرحمن وتلقب بالناصر لدين الله وقيل
بالمأمون وجرى على سنن أبيه وأخيه في الجبر على الخليفة هشام والاستبداد عليه
والاستقلال بالملك دونه ثم تاب له رأى في الاستئثار بما بقي من رسوم الخلافة فطلب

المظفر عبد الملك بن المنصور

الناصر لدين الله

من هشام المؤيد أن يوليه عهده فأجاب وأحضر لذلك الملامن أرباب الشورى وأهل
الحل والعقد فكان يوم مشهودا فكتب عهده من انشاء أبي حفص بن برد عايناه
هذا ما عهد به هشام المؤيد بالله أمير المؤمنين إلى الناس عامة وعاهد الله عليه من نفسه
خاصة وأعطى به صفقة يمينه بيعة تامة بعد أن آمن النظر وأطال الاستخارة وأهمه
ما جعل الله اليه من الامامة وعصب به من أمر المؤمنين واتقوا حلول القدر بما لا يؤمن
وخاف نزول القضاء بما لا يصرف وخشى أن هجم محتوم ذلك عليه ونزل مقدوره ولم يرفع
لهذه الامة علما تأوى اليه وملجأ تنعطف عليه أن يكون يلقي ربه تبارك وتعالى مفترطا
ساهيا عن أداء الحق اليها ونقص عند ذلك من أحياء قريش وغيرها من يستحق أن يسند
هذا الأمر اليه ويقول في القيام به عليه بمن يستوجبه دينه وأمانته وهدية وصيائمه
بعد اطراح الهوى والتجري للحق والزاني إلى الله جل جلاله بما يرضيه وبعد أن قطع
الأواصر وأسخط الأقارب فلم يجد أحدا أجدر أن يوليه عهده ويفوض اليه الخلافة
بعده لفضل نفسه وكرم خيمه وشرف مرتبته وعلو منصبه مع تقواه وعفافه ومعرفة
وحزمه من المأمون الغيب الناصح الجيب أبي المظفر عبد الرحمن بن المنصور أبي عامر محمد
ابن أبي عامر وفقه الله إذ كان أمير المؤمنين أيده الله تعالى قد ابتلاه واختبره ونظر في شأنه
واعتمده قرآه مسارع في الخيرات سابقا في الحلبات مستوليا على الغايات جامعاً
للمأثرات ومن كان المنصور أباه والمظفر أخاه فلا غرو أن يبلغ من سبل البر مداه ويحوى
من خلال الخير ما حواه مع أن أمير المؤمنين أيده الله بما طالع من مكنون العلم ووعاء من
مخزون الاثر يرى أن يكون ولي عهده القحطاني الذي حدث عنه عبد الله بن عمرو بن
الناصبي وأبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من
قحطان يسوق الناس بعصاه فلما استوى له الاختبار وتقابلت عنده فيه الآثار ولم يجد
عنه مذهباً ولا إلى غيره معد لا يخرج اليه من تدبير الامور في حياته وفوض اليه الخلافة
بعد وفاته طائعا راضيا مجتهدا وأمضى أمير المؤمنين هذا وأجازته وأثجزه وأنفذه ولم يشترط
فيه مشاورة ولا خياراً وأعطى على الوفاء به في سره وجهره وقوله وفعله عهد الله وميثاقه
وذمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وذم الخلفاء الراشدين من آبائه وذمة نفسه أن لا يتدل
ولا يغير ولا يحول ولا يزول وأشهد الله على ذلك والملائكة وكفى بالله شهيدا وأشهد وهو
حاضر الأمر ماضى القول والفعل بحضور من ولي عهده المأمون أبي المظفر عبد الرحمن بن
المنصور وفقه الله تعالى وقبوله ما قلده والزامه نفسه ما ألزمه وذلك في شهر ربيع الأول
سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة وكتب الوزراء والقضاة وسائر الناس شهاداتهم بخطوط أيديهم
وتسمى بعدها بولي العهد * ونقم عليه أهل الدولة ذلك فكان فيه حنقه وانقراض دولته
ودولة قومه وكان أسرع الناس كرامة لذلك الامويين والقرشيين فغصوا بامرء واسفوا
من تحويل الامر جلة من المضربة إلى اليمنية فاجتمعوا لشأنهم وتمشت من بعض إلى
بعض رجالاً لهم وأجمعوا أمرهم في غيبة من المذكور يلاذ الجلالة في غزاة من صوائفه
ووثبوا بصاحب الشرطة فقتلوه بمقعده من باب قصر الخلافة بقرطبة سنة تسع وتسعين

وثلاثمائة وخلعوا هشاما المؤيد * وبايعوا محمد بن هشام بن عبد الجبار ابن أمير المؤمنين الناصر لدين الله من أعقاب الخلفاء ولقبوه المهدي بالله وطار الخبر الى عبد الرحمن الحاجب ابن المنصور بمكانه من الثغر فانقض جمعهم وقفل الى الحضرة مدلا بمكانه زعيما بنفسه حتى اذا قرب من الحضرة تسال عنه الناس من الجند ووجوه البربر وطلقوا بقرطبة وبايعوا المهدي القائم بالامر وأغروه بعبد الرحمن الحاجب ليكونه ما يحتاج مستترا غير صالح للامر فاعترضه منهم من قبض عليه واحتز رأسه وسجله الى المهدي والى الجماعة وذهبت دولة العاصريين كأن لم تكن والله عاقبة الامور وفي المهدي يقول بعضهم

قد قام مهدينا ولكن * بحلة الفسق والجون
وشارك الناس في حريم * لولاه ما زال بالمصون
من كان من قبل ذا اجا * فاليوم قد صار ذا قرون

وكان رؤساء البربر وزناة لحقوا بالمهدي لما رأوا من سوء تدبير عبد الرحمن وانه قاض أمره وكانت الاموية تعتد عليهم ما كان من مظاهرهم العاصريين وتنسب تغلب المنصور وغيره على الدولة اليهم فسخطتهم القلوب وخزرتهم العيون ولولا ما لهم من العصية لاستأصلهم الناس ولقظت السنة الدهماء من أهل المدينة بكراهتهم وأمر المهدي أن لا يركبوا ولا يتسلحوا ورد بعض رؤسائهم في بعض الايام من باب القصر فانهبت العامة دورهم وشكا بعضهم الى المهدي ما أصابهم فاعتذر وقتل من اتهم من العامة في أمرهم وهو مع ذلك مظهر باغضهم مجاهر بسوء النشاء عليهم وبلغهم انه يريد القتل بهم فمشت رجالا منهم وأسروا ونجواهم واشتوروا في تقديم هشام بن سليمان ابن أمير المؤمنين الناصر وفشا في الخاصة حديثهم فعوجلوا عن مرامهم ذلك وأغرى بهم السواد الاعظم فثاروا بهم وأزعجوه عن المدينة وتقبض على هشام وأخيه أبي بكر وأحضر ابن يدي المهدي فضرب أعناقهما ولحق سليمان ابن أخيهما بالحكم بجنود البربر وقد اجتمعوا بظاهر قرطبة ونواصرها فبايعوه ولقبوه المستعين بالله ونهضوا به الى ثغر طليطلة فاستجاب ابن ادقونش ثم نهض في جوع البرابرة والنصرانية الى قرطبة وبرز اليه المهدي في كافة أهل البلد وخاصة الدولة فكانت الدائرة عليهم واستلحم منهم ما يزيد على عشرين ألفا وهلك من خيار الناس وأئمة المساجد وسدنتها ومؤذنيها عالم ودخل المستعين قرطبة ختام المائة الرابعة ولحق المهدي بطليطلة واستجاب ابن ادقونش ثانية فنهض معه الى قرطبة وهزم المستعين والبرابرة بعقبة البقر من ظاهر قرطبة ودخل قرطبة أعنى المهدي وملكها وخرج المستعين مع البربر وتفرقوا في البساتين يتهبون ولا ييقون على أحد ثم ارتحلوا الى الجزيرة الخضراء فخرج المهدي ومعه ابن ادقونش لاتباعهم فكثروا عليهم فانهم زعم المهدي وابن ادقونش ومن معه من المسلمين والنصارى واتبعهم المستعين الى قرطبة فأخرج المهدي هشاما المؤيد للناس وبايع له وقام بأمر حجابته ظنا منه ان ذلك يتقعه وهيئات وحاصرهم المستعين والبربر فحشي أهل قرطبة من اقتحامهم عليهم فأغروا أهل القصر وحاشية المؤيد بالمهدي وان الفتنة انما جاءت من قبله وتولى كبر ذلك واضح العاصري فقتلوا المهدي واجتمع

الكافة على المؤيد وقام واضح بجبابته واستمر الحصار ولم يغن عن أهل قرطبة ما فعلوه شيئا
الى أن هلكت القرى والبساتين بقرطبة وهدمت المرافق وجهدهم الحصار وبعث المستعين
الى أهل ادقونش يستعذبهم لمظاهرة فبعث اليهم هشام وحاجبه واضح يكفونهم عن ذلك
بأن ينزلوا لهم عن ثغور قشتالة التي كان المنصور اقتحمها فسكن عن مظاهرة ثم عزم ادقونش
ولم يزل الامر حتى دخل المستعين قرطبة ومن معه من البربر عنوة سنة ثلاث وأربعمائة
وقتل هشام سرا ولحق بيوتات قرطبة معزة في نسايتهم وأبنائهم وظن المستعين أن قد
استحكم أمره وتوثبت البرابرة والعبيد على الاعمال فولوا المدن العظيمة وتقلدوا البلاد
الواسعة مثل رباديس بن حيوس في غرناطة والبرزالي في قرمونة والبرقي في رندة وهوزون
في شريش واقترب شمل الجماعة بالاندلس وصار الملك طوائف في آخرين من أهل الدولة مثل
ابن عباد باشيلية وابن الافطس بيطليوس وابن ذى النون بطليطلة وابن أبي عامر بيلنسية
وابن هود بقرطبة ومجاهد العامري بدانية والجزائري قال ابن خلدون وكان ما تلاه في
جود يهجو سليمان المستعين

لأرحم الله سليمانكم * فإنه ضل سليمان

ذالك به غلت شياطينها * وحل هذا كل شيطان

فباسمه ساحت على أرضنا * لهلك سكان وأوطان

* (وكان من أعظم الاسباب) في فساد دولة المستعين انه قال هذه الايات مستريحها
الى خواصه وهي قوله

حلفت بمن صلى وصام وكبرا * لا نغدها فيمن طغى وتجبيرا

وأبصر دين الله تحيارسومه * فبذل ما قد كان منه وغيرا

فوا عجبنا من عبثي مملك * برغم العوالي والمعالي تبريرا

قلوا أن أمرى بالظلماء نبتهم * وحاكمهم للسيف حكما محورا

فأما حياة تستلذبة قد همم * وأما حجام لا ترى فيه مأزرا

وقد سلك هذا المسلك المرتضى المرواني فقال

قد بلغ البربر فينا بنا * ما أفسد الاحوال والنظما

كالهم للطائر لولا الذي * فيه من الريش لما أصمى

قوموا بنا في شأنهم قومة * تزيل عنا العار والرغما

أما بها نملك أولانرى * ما يرجع الطر فبه أعمى

وكان علي بن جود الحسنى وأخوه قاسم من عقب ادريس ملك فارس وبانيها قد أجازوا
مع البربر من العدو الى الاندلس فدعوا لانفسهم واعصوب عليهم البربر فملكوا قرطبة
سنة سبع وأربعمائة وقتلوا المستعين ومحووا ملك بني أمية واتصل ذلك في خلف منهم
سبع سنين ثم رجع الملك الى بني أمية وكان المستعين المذكور أديبا بليغا ومن شعره
يمارض هرون الرشيد في قوله ملك الثلاث الانسات عناني الايات قوله
عجبا يهاب الليث حد سناني * وأهاب لفظ فواتر الا جفان

وأقارع الأهوال لامتيسا • منها سوى الاعراض والهجران
 وتلكت نفسى ثلاث كالدى • مذهب الوجوه نواعم الابدان
 ككواكب الظلمات لناظرى • من فوق أغصان على كثران
 حاكمت فيهن السلوق الى الهوى • فقضى بسطبان على سلطانى
 هذى الهلال وتلك بنت المشتري • حسنا وهذى اخت غصن البان
 فأبحسن من قلبى الحى وتركنى • فى عز ملكى الاسير العانى
 لاتعدلوا ملكا تذلل فى الهوى • ذل الهوى عز وملاك ثانى
 ماضرت أنى عبدهن صبابة • وبنو الزمان وهن من عبدانى
 ان لم اطع فيهن سلطان الهوى • كلفاهن فلست من مروان

(وولى الامر بعده ابن جود الحسنى) تلقب بالناصر وخرج عليه العبيد وبعض المغاربة
 وبايعوا المرتضى أخا المهدي ثم اغتيل المرتضى واستقام الملك لعل بن جود نحو عامين
 الى أن قتله صقالبة بالجام سنة ثمان وأربعمائة فولى مهنا أخوه القاسم وتلقب
 بالأمأون ونازعه الامر بعد أربع سنين من خلافته يحيى ابن أخيه وكان على سببة فأجاز
 الى الاندلس سنة عشر واحتل بمالقة وكان أخوه ادريس بها منذ عهد أبيهما فبعثه
 الى سببة ثم زحف يحيى الى قرطبة فملكها سنة ثنى عشرة وأربعمائة وتلقب المعتلى وفرعه
 المأمون الى اشبيلية وبايع له القاضي ابن عباد واستجاش بعض البرابرة ثم رجع الى قرطبة
 سنة ثلاث عشرة وملكها ثم لحق المعتلى بمكانه من مالقة وتغلب على الجزيرة الخضراء
 وتغلب أخوه ادريس على طنجة من وراء البحر وكان المأمون يعتد بها حصنا لنفسه وفيها
 ذخائره فلما بلغه الخبر اضطرب وثار عليه أهل قرطبة ونقضوا طاعته وخرج فحاصروهم
 فدافعوه ولحق بأشبيلية فنعوه وكان بها ابنه فأخرجوه اليه وضبطوا بلدهم واستبدوا ابن عباد
 بملكها ولحق المأمون بشريش ورجع عنه البربر الى يحيى المعتلى ابن أخيه فبايعوه سنة خمس
 عشرة وزحف الى عمه المأمون فتغلب عليه ولم يزل عنده أسيرا وعند أخيه ادريس بمالقة
 الى أن هلك بمحبسه سنة سبع وعشرين وقيل انه خنق كما سيأتى واستقل المعتلى بالامر
 واعتقل بنى عمه القاسم وكان المستكنى من الامويين استولى على قرطبة في هذه المدة عند
 ما أخرج أهلها العلوية ثم خلع أهل قرطبة المستكنى الاموى سنة ست عشرة وصاروا
 الى طاعة المعتلى واستعمل عليهم ابن عطف من قبله ثم نقضوا سنة سبع عشرة وصرفوا
 عاملهم وبايعوا المعتلى الاموى أخا المرتضى وبقي المعتلى يرقد لحصارهم العساكر الى
 ان اتفقت الكافة على اسلام الحصون والمدائن له فعلاسلطانه واشتد أمره الى أن هلك
 سنة تسع وعشرين اغتاله أصحابه بدسيسة ابن عباد الناصر بأشبيلية فاستدعى أصحابه أخاه
 ادريس بن على من سببة وملكوه واقتبوه المتأيد وبايعته رنذة وأعمالها والمريّة والجزيرة
 الخضراء وبعث عساكره لحرب ابي القاسم اسمعيل بن عباد والدامعتضد بن عباد فجاؤه
 برأسه بعد حروب وهلك ليومين بعد ذلك سنة احدى وثلاثين وبويع ابنه يحيى ولم يتم له امر
 وبويع حسن المستنصر بن المعتلى وقري يحيى الى قارش فهلك بها سنة أربع وثلاثين

ويقال انه قتله نجا وهلك حسن مسموما بيد ابنة عمه ادريس ثارت منه بأخيها وكان
ادريس بن يحيى المعتلى معتقلا بالقة فأخرج بعد خطوب وبويع بها فأطاعته غرناطة
وقرمونة ولقب العالى وهو المدوح بالقصيدة المشهورة بالمغرب التي قالها فيه أبو زيد عبد
الرحمن بن مقاننا الفنداقى الاشبونى من شعراء الذخيرة وهي

البرق لأشع من أندرين * ذرفت عيناك بالماء المعين .
لعبت أسيا فيه عارية * كخاريق بأيدى اللاعبين
ولصوت الرعد زجروحين * ولقبي زفرات وأنين
وأناجى فى الدجى عاذلتى * ويك لا أسمع قول العاذلين
عيرتى بسقام وضئى * ان هذين لدين العاشقين
قد بدالى وضع الصبح المبين * فاسقنيها قبل تكبير الاذنين
اسقنيها مرة مشمولة * لبثت فى دنهم ما بضع سنين
نثر المزج على مفرقها * دروا عامت فعاتت كالبرين
مع قيان ككرام نجيب * يتهادون رياحين المجون
شربوا الراح على خدرشا * نور الورد به والياسمين
وجالست آياته عامرة * سيج الشعر على عاج الجبين
لوت الصدغ على حاجبه * ضمة اللام على عطفة فون
فقرى غصنا على دعص نقلا * وترى لبلا على صبح مبين
وسيسقون اذا ما شربوا * بأباريق وكأس من معين
ومصاييح الدجى قد طفتت * فى بقايا من سواد الليل جون
وكان الظل مسك فى الثرى * وكان الطل در فى الغصون
والندى يقطر من نرجسه * كدموع اسكتنهون الجفون
والثريا قد هون من افقها * كقضب زاهر من ياسمين
وانبرى جنح الدجى عن صبحه * كغراب طار عن بيض كنين
وكان الشمس لما اشرفت * فاشتت عنما عيون الناظرين
وجهه ادريس بن يحيى بن على بن حمود أمير المؤمنين
ملك ذوهيصة لى كنه * خاشع لله رب العالمين
خط بالمسك على أبوا به * ادخلوها بسلام آمنين
فاذا ما رفعت رايانه * خفت بين جناحي جبرتين
واذا اشكل خطب معضل * صدع الشك بمصباح اليقين
فيسراه يسار المعسرين * ويمناه لواء السابقين
يا بنى أحمد يا خير الورى * لا يكتم كان وفد المسلمين
نزل الوحي عليه فاحتبى * فى الدجى فوقهم الروح الامين
خلقوا من ماء عدل ونقا * وجميع الناس من ماء وطين

قوله من ماء وطين فى نسخة من
ما مهيئ اه

انظرونا نقب من نوركم * انه من نور رب العالمين
وقيل انه أنشده اياها من وراء حجاب اقتضا لطريقة خلفاء بني العباس فلما بلغ الى قوله
انظرونا نقب من نوركم * انه من نور رب العالمين أمر حاجبه أن يرفع الحجاب
وقابل وجهه وجه الشاعر دون حجاب وأمر له باحسان جزيل فكان هذا من انبل ما يحكى
عنه وتخلع الى سنة ثمان وثلاثين وولى ابن عمه محمد بن ادريس بن علي وتلقب بالمهدي
وتوفي سنة أربع وأربعين وبويع ادريس بن يحيى بن ادريس ولقب الموفق ولم يخطب له
بالخلافة وزحف العالي ادريس المخلوع المدوح بالقصيدة السابقة وكان بقمارش
فدخل عليه مالقة وأطلق ايدي عبيده عليها بحقه عليهم فقر كثير منهم وتوفي العالي سنة
ست أو سبع وأربعين وبويع محمد بن ادريس ولقب المستعلي ثم سار اليه باديس بن
حيوس سنة تسع وأربعين وأربع مائة فتغلب على مالقة وسار محمد الى المرية فمخلوعا ثم
استدعاه أهل المغرب الى مليلة وبايعوه سنة ست وخمسين وتوفي سنة ستين وكان محمد بن
القاسم بن حود لما اعتقل أبوه القاسم بمالقة سنة أربع عشرة فتر من الاعتقال ولحق
بالجزيرة الخضراء وملكها وتلقب بالمعتمصم الى أن هلك سنة أربعين ثم ملكها بعده ابنه
القاسم الوائق الى أن هلك سنة خمسين وصارت الجزيرة للمعتضد بن عباد ومالقة لابن
حيوس من احمال ابن عباد وانقرضت دولة الاشراف الجوديين من الاندلس بعد أن كانوا
يدعون الخلافة وأما قرطبة فان أهلها لما قطعوا دعوة الجوديين بعد سبع سنين من
ملكهم وزحف اليهم القاسم بن حود في البر فهزمهم أهل قرطبة ثم اجتمعوا واتفقوا على رد
الامر لبني امية واختاروا لذلك عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار أخا المهدي وبايعوه
في رمضان سنة أربع عشرة وأربع مائة ولقبوه المستظهر وقاموا بأمره ومن شعره قوله

طال عمر الليل عندي * قد تولعت بصدي
يا غز الانقض العهد * ولم يوف بوعد
انسيت العهد اذ بتنا على مفرش ورد
واجتمعنا في وشاح * واتنظمنا نظم عقدة
ونجوم الليل تحكي * ذهبنا في لازورد
قال الجباري لو قال أولوا في لازورد لكان أحسن تشبيها وأنشد مقتلا
انا عصاةك الاولى * كنا نكابك ما تكابد
هذا أوان غنا الشنعمي وانجاز المواعد

وكان حسان بن أبي عبيدة من وزراء المستظهر ولما أكثر المستظهر دونه الاستبداد كتب
اليه بقوله

اذا غبت لم أحضر وان جئت لم أسأل * فسيبان مني مشهد ومغيب
فأصبت تيبا وما كنت قبلها * لتيم ولكن الشبه نسيب
يشير الى قول الأول

ويقتضي الامر حين يغيب تيم * ولا يستأذنون وهم شهود

وعاتبه أيضا بقوله

إذا كان مثلي لا يجار بصيرة * فن ذا الذي بعدى يجار على الصبر
وكم شهد جاريت فيه عدوكم * وأقلت في حربي له راحة الدهر
أخوض إلى أعدائكم بلج الوغى * وأسرى إليهم حيث لا أحد يسرى
وقد نام عنهم كل مستبطن الحشى * أكل إلى الممسي نؤوم إلى الظهر
فما بال هذا الأمر أصبح ضائعا * وأنت أمين الله تحكهم في الأمر

وسياقنى ان شاء الله تعالى من كلام الوزير المذكور ما يدل على عظيم قدره وهنالك تذكر تحلية
الفتح له ثم سار عليه لشهرين من خلافته محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله ابن أمير المؤمنين
الناصر لدين الله فاتبعه الغوغاء وقتل بالمستظهر وتلقب بالمستكنى واستقل بأمر قرطبة
وهو والد الادبية الشهيرة ولادة واعلمنا ان بعض أخبارها ان شاء الله تعالى فيما بعد وكان
أبو عبد الرحمن قتله المنصور بن أبي عامر لسعيه في الخلافة ثم بعد ستة عشر شهرا من بيعة
المستكنى وجع الأمر إلى المعتلى يحيى بن علي بن جود سنة ست عشرة وخلع أهل قرطبة
المستكنى وولى عليهم المعتلى من قبله وفر الماستكنى إلى ناحية الثغور ومات في فتره ثم يد الأهل
قرطبة فخلعوا المعتلى بن جود سنة سبع عشرة وبابيع الوزير أبو محمد جهور بن محمد بن جهور
عبد الجماعة وكبير قرطبة له شام بن محمد أخى المرتضى وكان بالثغر في لاردة عند ابن هود وذلك
سنة ثمان عشرة وتلقب المعتد بالله وأقام مترددا في الثغر ثلاثة أعوام واشتدت الفتن بين
رؤساء الطوائف واتفقوا على أن ينزل دار الخلافة بقرطبة فاستقدمه ابن جهور والجماعة
ونزل آخر سنة عشرين وأقام بها يسيرا ثم خلعه الجند سنة ثنتين وعشرين وفر إلى لاردة فهلك
بها سنة ثمان وعشرين وانقطعت الدولة الاموية من الأرض وانتشر سلك الخلافة بالمغرب
وقام الطوائف بعد انقراض الخلافة وانتزى الأحرار والرؤساء من البربر والعرب والموالي
بالجهات واقتسموا خطتها وتغلب بعض على بعض واستقل أخيرا بأمرها منهم ملوك استفحل
أمرهم وعظم شأنهم ولادوا بالجزى للطاغية أن يظاهر عليهم أو يبتزهم ملكهم وأقاموا على
ذلك برهة من الزمان حتى قطع عليهم البحر ملك العدو وصاحب مرا كش أمير المسلمين
يوسف بن تاشفين اللامتوني فخلعهم وأخلى منهم الأرض فن أشهرهم بنو عباد ملوك اشبيلية
في غرب الاندلس الذين منهم المعتد بن عباد الشهير الذي كان بالمغرب والشرق وفي الذخيرة
والقلائد من أخبار ما هو كاف شاف و منهم بنو جهور كانوا بقرطبة في صورة الوزارة حتى
استولى عليهم المعتد بن عباد وأخذ قرطبة وجعل عليها ولده ثم كانت له وعليه حروب
وخطوب وفرق أبناءه على قواعد الملك وأنزلهم بها واستفحل أمره بغرب الاندلس وعلت
يده على من هنالك من ملوك الطوائف مثل ابن باديس بغرناطة وابن الاقطس بيطليوس
وابن صمادح بالمريّة وغيرهم فكانوا يخطبون سلمه ويغنون في مرضاته وكاهم يد ارون
الطاغية ويقوته بالجزى إلى أن ظهر يوسف بن تاشفين واستفحل ما كرهه فمعلقت أعمال
الاندلس باعائه وضايقههم الطاغية في طلب الجزية فقتل المعتد اليهودي الذي جاء في طلب
الجزية للطاغية بسبب كلمة قالها آسفهم بها ثم أجاز البحر صر يحا إلى يوسف بن تاشفين فأجاز

معه البحر والتقوامة الطاغية في الرلاقة فكانت الهزيمة المشهورة على النصاري ونصر الله
 تعالى الاسلام نصر الا كفاءه حتى قال بعض المؤرخين انه كان عدد النصاري ثلثمائة
 ألف ولم ينج منهم الا القليل وصبر فيها المعتمد صبر الكرام وكان قد أعطى يوسف بن تاشفين
 الجزيرة الخضراء ليتمكن من الجواز متى شاء ثم طلب الفقهاء بالاندلس من يوسف بن تاشفين
 رفع المكوس والظلمات عنهم فتقدم بذلك الى ملوك الطوائف فأجابوه بالامتنان حتى
 اذ ارجع من بلادهم رجعو الى حالهم وهو خلال ذلك يرد دعسا كره للجهاد ثم أجاز اليهم
 وخلع جميعهم ونازلات عسا كره جميع بلادهم واستولى على قرطبة واشبيلية وبطليوس
 وغرناطة وغيرها ومار المعتمد بن عباد كبير ملوك الاندلس في قبضته أسيرا بعد حروب
 ونقله الى انغمات قرب مر اكش سنة أربع وثمانين وأربعمائة واعتقله هنالك الى أن مات
 سنة ثمان وثمانين وسلم بما قاله الوزير لسان الدين بن الخطيب فيه لما زار قبره وللمعتمد
 هذا أخبار ما أثورة خصوصاً مع زوجته أم أولاده الرميكية الملقبة باعتماد وقد روى أنها
 رأت ذات يوم باشبيلية نساء البادية يعن اللين في القرب وهن رافعات عن سوقهن في الطين
 فقالت له ياسيدي أشتهى ان أفعل أنا وجواري مثل هؤلاء النساء فأمر المعتمد بدبالعنبر
 والمسك والكافور وماء الورد وصير الجميع طينا في القصر وجعل لها قريبا وحبالا من ابريسم
 وخرجت هي وجواريها تخوض في ذلك الطين فيقال انه لما خلع وكانت تتكلم معه مرة
 فخرى بينهما ما يجري بين الزوجين فقالت له والله ما رأيت منك خيرا فقال لها ولا يوم الطين
 تذكريا لها بهذا اليوم الذي أباد فيه من الاموال ما لا يعلمه الا الله تعالى فاستحييت وسكتت
 وولى بعده غير من تقدم بنور زين أصحاب السهلة وبنو الفهري أصحاب البوننت وتغلب
 عليهم ما أخيرا يوسف بن تاشفين * ومن أعظم ملوك الطوائف بنو ذى النون ملوك طليطلة
 من الثغرا الجوفى وكانت لهم دولة كبيرة وبلغوا في البذخ والترف الى الغاية ولهم الاعذار
 المشهورة والذى يقال له الاعذار الذنوبى وبه يضرب المثل عند أهل المغرب وهو عندهم بمثابة
 عرس بوران عند أهل المشرق والمأمون من بنى ذى النون هو صاحب ذلك وهو الذى عظم
 بين ملوك الطوائف سلطانه وكان يئسه وبين الطاغية مواقف مشهورة وغلب على قرطبة
 وملكها من يد ابن عباد المعتمد وقتل ابنه أبا عمرو وغلب أيضا على بلنسية وأخذها من
 يد بنى أبى عامر * وفي أيام حافد المأمون وهو القادر بن ذى النون كان الطاغية بن
 أدفونش قد استفحل أمره لما خلا الجوف من مكانة الدولة الخلافة وخف ما كان على كاهله
 من اصر العرب فاكسح البساط وضائق ابن ذى النون حتى اخذ من يده طليطلة فخرج له
 عن سنة ثمان وسبعين وأربعمائة كما سبق وشرط عليه أن يظاهره على أهل بلنسية
 فقبل شرطه وتسلمها القونش ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم زحف على الموالى
 العامرين مثل خيران وزهير وأشبا ههما وأخبار الجميع تطول * ومن ملوك الطوائف
 بالاندلس بنو هو ودمولك سرقسطة وما اليها ومن أشهرهم المقتدر بالله وابنه يوسف المؤتمن
 وكان المؤتمن قاعا على الامور الرياضية وله فيها تاليف ومنها كتاب الاستكمال والمنظر
 وولى بعده ابنه المستعين أحد سنة أخذ طليطلة وعلى يده كانت وقعة وشقة وكان زحف

سنة تسع وثمانين في آلاف لا تحصى من المسلمين ليدافع الطاغية عن وشقة وكان محاصرا لها
 ذلكم الطاغية وهزمه وهلك من المسلمين نحو عشرة آلاف وهلك هو شهيدا سنة ثلاث
 وخمسمائة بظاهر سرقسطة في زحف الطاغية اليها وولى ابنه عبد الملك عماد الدولة وأخرجه
 الطاغية من سرقسطة سنة ثلثي عشرة وتولى ابنه سيف الدولة وبالغ في النكابة بالطاغية
 ثم اتفق معه وانتقل بحشمه الى طليطلة فكان فيها حمامه * ومن شعر المقتدر بن هود
 قوله رحمه الله في مبادئه

قصر السرور ومجلس الذهب * بكما بلغت نهاية الارب

لوم يحجز ملكي خلافا * كانت لذي كفاية الطلب

ومن مشاهير ملوك بني الاقطن أصحاب بطليوس وما اليها والمظفر منهم هو صاحب التأليف
 المسمى بالمظفر في نحو الخمسين مجلدا والمتوكل منهم قتل على يد جيش يوسف بن تاشفين
 وفيه قال ابن عبدون قصيدته المشهورة

الدهر يفجع بعد العين بالآثر * فما البكا على الاشباح والصور

وهي من غرر القصائد الاندلسية وأزالوا ملوك الطوائف منها وبقيت عمالهم ثم تتردد اليها
 وبنوهم حتى فشلت ريجهم وهبت ريح الموحدين أعنى عبد المؤمن بن علي وبنيته فخاربوا
 لمتونة واستولوا على ملكهم بالمغرب بعد حروب كثيرة ثم جازوا البحر الى الاندلس وملكوا
 أكثر بلاد الاندلس وملك بنو مردنيش شرق الاندلس وملخص ذلك أن الاندلس كان ملكها
 مجموعا لمتونة بعد خلعهم ملوك الطوائف فلما اشتغل لمتونة في العدو بجرب الموحدين
 اضطربت عليهم الاندلس وعادت الى الفرقة بعض الشيء ثم خلاص أكثرها لعبد المؤمن وبنيته
 بعد حروب ومنها ما حصل بين عبد المؤمن وبين ابن مردنيش وقائده ابن همشك ففحص
 غرناطة وقد استعان ابن مردنيش بالنصارى على الموحدين فهزمهم عبد المؤمن وقتلهم
 أبرح قتله واستخلص غرناطة سنة سبع وخمسين وخمسمائة من يد ابن مردنيش * وولى
 الامر بعد عبد المؤمن ابنه يوسف وأجاز الى الاندلس وكانت له مواقف في جهاد العدو *
 وولى بعده ابنه يعقوب المنصور الطائر الصيت وكانت له في النصارى بالاندلس نكابة كبيرة
 ومن أعظمها غزوة الارل التي تضاهى وقعة الزلاقة أو تزيد والارل موضع بنواحي
 بطليوس وكانت سنة احدى وتسعين وخمسمائة وغنم فيها المسلمون ما عظم قدره وكان
 عدة من قتل من الفرنج فيما قيل مائة ألف وستة وأربعين ألفا وعدة الاسارى ثلاثين ألفا
 وعدة الخيام مائة ألف وخمسين ألف خيمة والخيول ثمانين ألفا والبغال مائة ألف والحمير
 أربع مائة ألف جاء بها الكفار ليجعل أثقالهم لانهم لا ابل لهم وأما الجواهر والاموال
 فلا تحصى ويبيع الاسير بدرهم والسيف بنصف درهم والفرس بخمسة دراهم والجار بدرهم
 وقسم يعقوب الغنائم بين المسلمين بمقتضى الشرع ونحى الفتن ملك النصارى الى طليطلة
 في أسوأ حال فخلق رأسه ولحيته ونكس صليبه وآلى أن لا ينام على فراش ولا يقرب النساء
 ولا يركب فرسا ولا دابة حتى يأخذ بالتارومار يجمع من الجزائر والبلاد البعيدة ويستعد
 ثم لقيه يعقوب وهزمه وساق خلفه الى طليطلة وحاصره ورمى عليها بالمجانيق وضيق عليها

قوله وستة وأربعين في بعض
 النسخ وخمسين فليحذر اه

ولم يبق الا فتحها فخرجت اليه والدلة الادفونش وبناته ونساؤه وبكين بين يديه وسألته ابقا
البلد عليهن فرق لهن ومن عليهن بها ووهب لهن من الاموال والجواهر ما جل ورد هز
مكرمات وعفا بعد القدرة وعاد الى قرطبة فأقام شهرا يقسم الغنائم وجاءته رسل القنسر
بطاب الصلح فصالحه وأمن الناس مدته وفيه يقول بعض شعراء عصره

أهل بأن يسعي اليه ويرتجى * ويزار من أقصى البلاد على الرجا

من قد غدا بالمكرمات مقلدا * وموشحاً رخصاً ومتمسكا

عمرت مقامات الملوك بذكره * وتعطرت منه الرياح تأرجا

ولما أرسل له السلطان صلاح الدين بن أيوب شمس الدين بن منقذ يستجديه على القرنج
الخارجين عليه بساحل البلاد المقدسة ولم يخاطبه بأمر المؤمنين فلم يجبه الى ما طلبه
وكل ذلك في سنة ٥٨٧ و مدحه ابن منقذ بقوله من قصيدة

سأشكر بجزا إذا عباب قطعت * الى بحر جود ما لا خراء ساحل

الى معدن التقوى الى كعبة الندى * الى من سمى بالذكور منه الا وائل

اليك أمير المؤمنين ولم تزل * الى بابك المأمول تزجي الرواحل

قطعت اليك البر والبحر موقنا * بأن ذاك الغمر بالنجح كافل

وحزت بقصدك العلا فبلغتها * وأدنى عطاياك العلا والفواضل

فلازات للعلاء والجود بانبا * تبلغك الآمال ما أنت آمل

وعدها أربعون بيتا فأعطاه بكل بيت ألفا وقال له انما أعطيناك الفضل ولييتك وكان
عنوان الكتاب الذي أرسله صلاح الدين الى أمير المسلمين وفي أوله الفقير الى الله تعالى
يوسف بن أيوب وبعده من انشاء الفاضل الحمد لله الذي استعمل على الملة الحنيفة من
استعمر الارض وأغنى من أهلها من سأله القرض وأجرى من أجرى على يده النافلة
والقرض وزين سماء الملة بدرارى الذرارى التى بعضها من بعض وهو كتاب طويل
سأله فيه أن يقطع عنه مادة البحر واستجده على الافرنج اذ كانت له اليد عليهم وعاد ابن منقذ
من هذه الرسالة سنة ٥٨٨ بغير فائدة وبعث معه هدية حقيرة وأما ابن منقذ فانه أحسن
اليه وأغناه لاجل صلاح الدين بل لبيته وفضله كما مر وما وقع من يعقوب في صلاح الدين
انما هو لاجل انه لم يوفه حقه في الخطاب * (رجع) ولما استفحل أمر الموحدين
بالاندلس استعملوا القرابة على الاندلس وكانوا يسمونهم السادة واقتسموا ولايتها
بينهم ولهم مواقف في جهاد العدو مذكورة وكان صاحب الامر بجزا كش يأبى الاندلس
للجهاد وهزم يعقوب المنصور كما سبق قريبا بالاول ابن ادفونش ملك الجلالة الهزيمة
الشنعاء وأجاز ابنه الناصر الوالى بعده البحر الى الاندلس من المغرب سنة تسع وستمائة
ومعه من الجنود ما لا يحصى حتى حكي بعض الثقات من مؤرخى المغرب انه اجتمع معه
من أهل الاندلس والمغرب ستمائة ألف مقاتل فخص الله المسلمين بالوضع المعروف بالعقاب
واستشهد منهم عدة وكانت سبب ضعف المغرب والاندلس أما المغرب فنجلاء كثير من قراه
وأقطاره وأما الاندلس فبطاب العدو عليها لانه لما التاث أمر الموحدين بعد الناصر

ابن المنصور انتزى السادة بنو احي الاندلس كل في عمله وضعف ملكهم بمرا كس فصاروا الى الاستجاشة بالطاغية بعضهم على بعض واسلام حصون المسلمين اليه في ذلك فشت رجالان الاندلس وأعقاب العرب منذ الدولة الاموية وأجمعوا على اخراجهم فصاروا به حين واحد واخرجوهم وتولى كبر ذلك محمد بن يوسف بن هود الجذامي الشاذلي بالاندلس وابن مردنيش وثوار آخرون * وقال ابن خلدون ثم خرج علي بن هود في دولته من أعقاب دولة العرب أيضا وأهل نسبهم محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاخر وتلقب محمد هذا بالشيخ فجاذبه الحبل وكانت لكل واحد منهم دولة أورثها بنوه انتهى * وكان ابن هود يخطب للعباسي صاحب بغداد ثم حصلت لابن هود وأعقاب حروب وخطوب الى أن كان آخرهم الواثق ابن المتوكل فضايقه القنش والرشاق فبعث بالطاعة لابن الاخر فبعث اليه ابن اشقيلاولة وتسلم مرسية منه وخطب لابن الاخر بها ثم خرج منها راجعا الى ابن الاخر فأتى وقعه به النصاري في طريقه ثم رجع الواثق الى مرسية نالته فلم يزل بها الى أن ملكها العدو ومن يده سنة ثمان وستين وستمائة وعوضه عنها حصنا يسمى يسر وهو من عملها فبقى فيه الى أن هلك وانقرضت دولة ابن هود والله وارث الارض ومن عليها (رجع) الى ذكر دولة اولاد الاخر لان لسان الدين وزير أحدهم ولانهم آخر ملوك الاندلس ومن يدهم استولى النصاري على جميعها كما سنده ذكره وقيل أصلهم من أرجونة من حصون قرطبة ولهم فيهم سلف من أبناء الجند ويعرفون ببني نصر ويتسمون الى سعد بن عبادة سيد الخزرج وكان كبيرهم لآخر دولة الموحدين نصر بن يوسف بن نصر ويعرف بالشيخ وأخوه اسمعيل وكانت له وجاهة في ناحيتهم * ولما فشت ربح الموحدين وانتزى الثوار بالاندلس وأعطى السادة حصونها للطاغية واستقل بأمر الجماعة محمد بن يوسف بن هود المائر بمرسية بدعوة العباسية وتغلب على شرق الاندلس أجمع فتصدى الشيخ هذا للثورة عليه وبويع له سنة تسع وعشرين وستمائة ودعاه لابي زكريا صاحب افريقية وأطاعته جيان وشريش سنة ثلاثين بعدها واستظهر على أمره بقرابته من بني نصر وأصهاره بنى اشقيلاولة ثم بايع لبني هود سنة إحدى وثلاثين عندما بلغه خطاب الخليفة من بغداد ثم ثار بأشبيلية أبو مروان الباجي عند خروج ابن هود عنها ورجوعه الى مرسية فدخله محمد بن الاخر في الصلح على أن يزوجه ابنته فأطاعه ودخل اشبيلية سنة اثنين وثلاثين ثم قتل بابن الباجي فقتله وتناول البطش به على بن اشقيلاولة ثم راجع أهل اشبيلية بعد هدايتهم بدعوة ابن هود وأخرج ابن الاخر ثم تغلب على غرناطة سنة خمس وثلاثين بما جاة أهلها حين ثار ابن أبي خالد بدعوته فيها ووصلته يعمتها وهو بجيان فقدم اليها على بن اشقيلاولة ثم جاء على أثره ونزلها وابتنى بها حصن الجمراء لنزوله ثم تغلب على مالقة ثم تناول المربة من يد ابن الرميي وزير ابن هود المائر بها سنة ثلاث وأربعين ثم بايعه أهل لورقة سنة ثلاث وستين وكان ابن الاخر أول أمره وصل يده بالطاغية استظهرها على أمره فعضده وأعطاها ابن هود ثلاثين حصنا في كف عربه بسبب ابن الاخر وابعينه على ملك قرطبة وتسلمها ثم تغلب على قرطبة سنة ثلاث وثلاثين وستمائة أعادها الله ثم نازل اشبيلية

سنة ست وأربعين وابن الأحمر معه ثم دخلها صالماً ومالك أعمالها ثم ملك مرسية سنة خمس وستين ولم يزل الطاغية يقطع ممالك المسلمين كورة وكورة وثغراتها إلى أن ألبأ المسلمين إلى سيف البحر ما بين رندة من المغرب إلى شرق الأندلس نحو عشر مراحل ثم سخط ابن الأحمر وطمع في الاستيلاء على سائر الجزيرة فامتنعت عليه وتلاحق بالأندلس الغزاة من بني مرين وغيرهم وعقد ملك المغرب يعقوب بن عبد الحق نحو الثلاثين ألف منهم فأجازوا في حدود الستين وستمائة وتقبل ابن الأحمر أجازتهم ودفع بهم في فخر عدوهم ورجعوا ثم تناسلوا إليه بعد ذلك ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن هلك الشيخ بن الأحمر سنة إحدى وسبعين وستمائة وولي بعده ابنه محمد الفقيه وأوصاه باستصراخ بني مرين ملوك المغرب بعد الموحدين أن طرقه أمر أن يعتصم بهم فأجاز الفقيه إلى يعقوب بن عبد الحق سلطان فاس والمغرب سنة ثنتين وسبعين فأجاب صريحه وأرسل ابنه وعساكره معه ثم أجاز على أثره وتسلم الجزيرة الخضراء من ثائر كان بها وخطها ركاباً بالجهاد ونزل إليه ابن الأحمر عن طريق وما إليه من الحصون وهزم هو وابن الأحمر زعيم النصرانية دية وفرق جمعهم وأوقع بجموع الطاغية من كل جهة وبث سراياه وبعوثه في أرض النصرانية ثم خاف ابن الأحمر على ملكه وصالح الطاغية ثم عاد انتهى كلام ابن خلدون ملخصاً وثبتت عقب ابن الأحمر بالأندلس واستولوا على جميع ما بأيدي المسلمين من ملكها مثل الجزيرة وطريف ورندة التي كانت بيد بني مرين وقعد مدة ألب ملوك النصارى سنة تسع عشرة وسبعمائة على غرناطة وجاءها الطاغية دون بطرة في جيش لا يحصى ومعه خمسة وعشرون ملكاً وكان من خبر هذه الواقعة أن الأفرنج حشدوا وجعوا وذهب سلطانهم دون بطرة إلى طليطلة ودخل على مرجعهم الذي يقال له البابا وسجد له وتضرع وطلب منه استئصال ما بقي من المسلمين بالأندلس وأككده عزمه فعلق المسلمون بغرناطة وغيرها وعزموا على الاستجداء بالمريني أبي سعيد صاحب فاس ونفذوا إليه رسلاً فلم ينجمع ذلك الدوا فرجعوا إلى أعظم الأدوية وهو اللجأ إلى الله تعالى وأخلصوا النيات وأقبل الأفرنج في جوع لا تحصى فقضى ناصر من لناصر له سواء بهزم أم النصرانية وقتل طاغيتهم دون بطرة ومن معه وكان نصراً عزيزاً ويوما مشهوراً مشهوداً وكان السلطان اذذاك بالأندلس الغالب بالله أبو الوليد اسمعيل ابن الرئيس أبي سعيد فرج بن نصر المعروف بابن الأحمر رغب أن يحصن البلاد والثغور فلما بلغ النصارى ذلك عزموا على منازلة الجزيرة الخضراء فانتدب السلطان ابن الأحمر لردهم وجهز الأساطيل والرجال فلما رأوا ذلك طلبوا إلى طليطلة وعزموا على استئصال المسلمين وبلادهم وتأهبوا لذلك غاية الأبهة ووصلت الأتقال والمجانيق وآلات الحصار والاقوات في المراكب ووصل العدو إلى غرناطة وامتلات الأرض بهم فتقدم السلطان إلى شيخ الغزاة الشيخ العالم أبي سعيد عثمان بن أبي العلاء المريني بالخروج إلى لقائهم بأنجاد المسلمين وشجعانهم فخرج إليهم يوم الخميس الموافق في العشرين من ربيع الأول ولما كانت ليلة الأحد أغارت سرية من العدو على سرية من المسلمين فخرجت إليهم جماعة من فرسان الأندلس الرماة فقطعوه عن الجيش وفرت تلك السرية أمامهم

الى جهة سلطانهم فتيههم المسلمون الى الصبح فاستأصلوهم وكان هذا اول النصر
ولما كان يوم الاحد ركب الشيخ أبو سعيد لقتال العدو في خمسة آلاف من أبطال المسلمين
المشهورين فلما شاهدهم الفرنج عجبوا من اقدامهم مع قلتهم في تلك الجيوش العظيمة
فركبوا وحملوا بجملتهم عليهم فانهم زعم الفرنج أقبح هزيمة وأخذتهم السيوف وتبعهم
المسلمون يقتلون ويأسرون ثلاثة أيام وخرج أهل غرناطة لجمع الاموال وأخذ الأسرى
فاستولوا على أموال عظيمة منها من الذهب فيما قبل ثلاثة وأربعون قنطارا ومن الفضة
مائة وأربعون قنطارا ومن السبي سبعة آلاف نفس حسبا كتب بذلك بعض الغرناطين
الى الديار المصرية وكان من جملة الأسارى امرأة الطاغية وأولاده فبذلت في نفسها بمدينة
طريف وجبل الفتح وثمانية عشر حصنا فيما حكى بعض المؤرخين فلم يبق للمسلمون ذلك
وزادت عدة القتلى في هذه الغزوة على خمسين ألفا ويقال انه هلك منهم بالوادي مثل هذا
العدد لعدم معرفتهم بالطريق وأما الذين هلكوا بالجبال والشعاب فلا يحصون وقتل المملوك
الخمس والعشرون جميعهم واستمر البيع في الأسرى والاسباب والدواب ستة أشهر
ووردت البشائر بهذا النصر العظيم الى سائر البلاد ومن العجب انه لم يقتل من المسلمين
والاجناد سوى ثلاثة عشر فارسا وقيل عشرة أنفس وقيل كان عسكرا لاسلام نحو ألف
وخمسمائة فارس والرجال نحو من أربعة آلاف راجل وقيل دون ذلك وكانت الغنيمة
تفوق الوصف وسلخ الطاغية دون بطرء وحشى جلده قطننا وعلق على باب غرناطة وبقي
معلقا سنوات وطلبت النصارى الهدنة فعقدت لهم وبعد أن ملكوا جبل الفتح الذي كان
من أعمال فاس والمغرب وهو جبل طارق لم يزل بأيديهم الى أن ارتجعه أمير المسلمين
أبو الحسن المريني صاحب فاس والمغرب بعد أن أنفق عليه الاموال وصرف اليه الجنود
والخشود ونازلته جيوشه مع ولده وخواصه وضيقوا به الى أن استرجعوه ليسد المسلمين
واهتم ببنائه وتحصينه وأنفق عليه أجمال مال في بنائه وحصنه وسوره وأبراجه وجامعه
ودوره ومحاريبه ولما كاد يتم ذلك نازله العدو بـ أو بجراف صبر المسلمون وخيب الله سبي
الكافرين فأراد السلطان المذكور أن يحصن سفح الجبل بسور محيط به من جميع جهاته
حتى لا يطمع عدو في منازلته ولا يجد سبيلا للتضييق عند محاصرته ورأى الناس ذلك من
المحال فأنفق الاموال وأنصف العمال فأحاط بمجموعه احاطة الهائلة بالهلال وكان بقاء
هذا الجبل بيد العدو نيفا وعشرين سنة وحاصره السلطان أبو الحسن ستة أشهر وزاد
في تحصينه ابنه السلطان أبو عنان ولما أجاز السلطان أبو الحسن المذكور الى الاندلس
واجتمع عليه ابن الأحمر وقائلهم الطاغية هزمهم في وقعة طريف واستولى على الجزيرة
الخصراء حتى قبض الله من بني الأحمر الغنى بالله محمد الذي كان لسان الدين بن الخطيب
وزيره فاسترجعها وجملة بلاد كجيان وغيرها وكانت له في الجهاد مواقف مشهورة وامتد
ملكه حتى محاذ دولة سلاطين فاس وما وراء البحر وملك جبل الفتح ونصر الله الاسلام على يده
كما ستقف عليه في بعض مكاتبات لسان الدين رحمه الله في مواضع من هذا الكتاب وسعد
هذا الغنى بالله من العجائب وبقي ملك الاندلس في عقبه الى أن أخذ ما بقي من الاندلس

العدو الكافر واستولى على حضرة الملك غرناطة أعادها الله للإسلام كما بين ذلك ان شاء الله وملت جزيرة الاندلس من أهل الاسلام فأبدلت من النور بالظلام حسبما اقتضته الاقدار النافذة والاحكام والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين قال ابن خلدون واتفق بينه والاحمر سلاطين غرناطة أن يجعلاوا مشيخة الغزاة لو احدى يكون من أقارب بني مرين سلاطين المغرب لانهم أول من ولي الاندلس عند استيلاء بني عمهم على ملك المغرب لما يتهم من المنافسة وكان لهؤلاء في الجهاد مواقف مشهورة منها ما كتب على قبر شيخ الغزاة عثمان بن أبي العلاء لتستدل عند ذلك على ما ذكرناه بحمد الله تعالى هذا قبر شيخ الجهاد وصدر الابطال والكه والحد الجلاله لبث الاقدام والبساله علم الاعلام حامى دمار الاسلام صاحب الكتاب المنصوره والافعال المشهوره والمغازى المسطوره وامام الصفوف القائم بباب الجنة تحت ظلال السيوف سيف الجهاد وقاصم الاعاد وأسد الآساد العالى الهمم الثابت القدم الهمام المجاهد الارضى البطل الباسل الامضى المقدس المرحوم أبي سعيد عثمان ابن الشيخ الجليل الهمام الكبير الاصيل الشهير المقدس المرحوم أبي العلاء ادريس بن عبد الله بن عبد الحق كان عمره ثمانيا وثمانين سنة أنفسته ما بين راحة في سبيل الله وغدوه حتى استوفى في المشهور سبع مائة واثنين وثلاثين غزوه وقطع عمره مجاهداً مجتهداً في طاعة الرب محتسباً في ادارة الحرب ماضى العزائم في جهاد الكفار مصادماً بين جوعهم تدفق التيار ومنع الله تعالى له فيهم من الصنائع الكبار ما سار ذكره في الاقطار أشهر من المثل السيار حتى توفي رحمه الله وغبار الجهاد طي أثوابه وهو مراقب لطاغية الكفار وأحزابه فأت على ما عاش عليه وفي ملحمة الجهاد قبضه الله تعالى اليه واستأثر به سعيد امرئضى وسيفه على رأس ملك الروم منتضى مقدمة قبول واسعاد ونتيجة جهاد وجلا دلبلا على نيته الصالحة وتجارته الراجحة فاربحت الاندلس بعده أنحفه الله تعالى رحمة من عنده توفي يوم الاحد الثاني لذي الحجة من عام ثلاثين وسبعمائة انتهى * ومنها ما كتب به لسان الدين بن الخطيب رحمه الله في تولية على بن بدر الدين مشيخة الغزاة مانحه هذا شيخ الغزاة الذى فتح على الاسلام أبواب السراء وراق طرازاً مذهباً على عاتق الدولة الفراء وأعمل عوامل الجهاد في طاعة رب العباد شارة لاهل الكفر والعناد من باب الاعمال والاغراء أمر به فلان صدر صدوراً وذاته وحسامه المشهور على أعدائه وولاه الذى خبر صدق وفائه وجلى في مضمار الخلوص له مغبراً في وجوه اكفائه شيخ شيوخ المجاهدين وقائد كاتبة المنصورة الى غزو الكافرين والمعتدين وعثرته التى يدافع بها عن الدين وسابق وده المبرور فى الميادين الشيخ الاجل الى آخر ما وصفه به مما ضاق الوقت عن مثله والله ولى التوفيق

(الباب الرابع)

في ذكر قرطبة التى كانت الخلافة بمصرها للاعداء قاهره وجامعها الاموى ذى البدائع

الباهية الباهرة والاماع بحضرة الملك الناصرية الناصره والعاصرية الزاهرة ووصف
 بجله من منتزهات تلك الاقطار ومصانعها ذات المحاسن الباطنة والظاهرة وما يجترأ اليه
 شجون الحديث من أمور تقضى بحسن ادايتها القرائح الوفادة والافكار الماهرة قال ابن
 سعيد رحمه الله * (مملكة قرطبة في الاقليم الرابع واياته للشمس وفي هذه المملكة مدن
 الفضة الخالصة في قرية كرتش ومعدن الزئبق والزنجفر في بلد بسطائسه ولاجزائها
 خواص مذكورة في متفرقاتها وأرضها أرض كريمة النبات انتهى وقدم رحمه الله
 في المغرب الكلام عليها على سائر أقطار الاندلس وقال انما قد منا هذه المملكة من بين سائر
 الممالك الاندلسية لكون سلاطين الاندلس الاول اتخذوها سيرا السلطنة الاندلس
 ولم يعدلوا عن حضرتها ثم سلاطين بني أمية وخلفاؤهم لم يعدلوا عن هذه المملكة وتقلبوا منها
 في ثلاثة أقطار أداروا فيها خلافتهم قرطبة والزهراء والزاهرة وانما اتخذوها لهذا
 الشأن لما رأوها لذلك أهلا وقرطبة أعظم علما وأكثر فضلا بالنظر الى غيرها من الممالك
 لاتصال الحضارة العظيمة والدولة المتوارثة فيها ثم قسم ابن سعيد كتاب الحلة الذهبية
 في حلي ممالك قرطبة بالنظر الى الكور الى أحد عشر كتابا الكتاب الاول كتاب الحلي
 الذهبية في حلي الكورة القرطبية الكتاب الثاني كتاب الدرر المصونة في حلي كورة
 بلكونة الكتاب الثالث كتاب محادثة السير في حلي كورة القصير الكتاب الرابع كتاب
 الوثني المصور في حلي كورة المدور الكتاب الخامس كتاب نيل المراد في حلي كورة مراد
 الكتاب السادس كتاب المزنة في حلي كورة كزنة الكتاب السابع كتاب الدرر النافق
 في حلي كورة غافق الكتاب الثامن كتاب النخعة الارجه في حلي كورة استجه الكتاب
 التاسع كتاب الكواكب الدرية في حلي الكورة القبرية الكتاب العاشر كتاب رقة
 المحبة في حلي كورة استبه الكتاب الحادي عشر كتاب السوسانة في حلي كورة
 البسانة انتهى قال رحمه الله تعالى ان العمارة اتصلت في مبانى قرطبة والزهراء والزاهرة
 بحيث انه كان يمشى فيها لضوء السرج الممتدة عشرة أميال حسباد كره الشقندى
 في رسالته ثم قال ولكل مدينة من مدن قرطبة وأعمالها ذكر مختص به ثم ذكر المسافات
 التي بين ممالك قرطبة المذكورة فقال بين المدور وقرطبة ستة عشر ميلا وبين قرطبة
 ومراد خمسة وعشرون ميلا وبين قرطبة والقصير ثمانية عشر ميلا وبين قرطبة وغافق
 مرحلتان وبين قرطبة واستبه ستة وثلاثون ميلا وبين قرطبة وبلكونة مرحلتان
 وبين قرطبة والبسانة أربعون ميلا وبين قرطبة وقيرة ثلاثون ميلا وبين قرطبة وبيانة
 مرحلتان وبين قرطبة واستجه ثلاثون ميلا وكورة رندة كانت في القديم من عمل قرطبة
 ثم صارت من مملكة اشيلية وهي أقرب وأدخل في المملكة الاشيلية انتهى (ثم قسم رحمه الله
 كتاب الحلة الذهبية في حلي الكورة القرطبية الى خمسة كتب) * الكتاب الاول كتاب
 النغم المطربة في حلي حضرة قرطبة الكتاب الثاني كتاب الصيحة القراء في حلي حضرة
 الزهراء الكتاب الثالث كتاب البدائع الباهرة في حلي حضرة الزاهرة الكتاب الرابع
 كتاب الوردية في حلي مدينة شقندة الكتاب الخامس كتاب الجرعة السيغة في حلي كورة

وزعة وقال رحمه الله تعالى في كتاب النغم المطربة في حلى حضرة قرطبة ان حضرة قرطبة
احدى عرائس ملكتها وفي اصطلاح الكتاب ان للعروس الكاملة الزينة منصة وهي
مختصة بما يتعلق بكرا المدينة في نفسها وتاجا وهو مختص بالايالة السلطانية وملكها
وهو مختص بأصحاب درر الكلام من النثر والنظام وحلة وهي مختصة بأعلام العلماء
المصنفين الذين ليس لهم نظم ولا نثر ولا يجب اهل مال تراجمهم وأهدابا وهي مختصة
بأصحاب فنون الهزل وما ينحو منحاه انتهى ثم فصل رحمه الله ذلك كله بما تعددت منه
الاجزاء وقد تلخصت منه هنا بعض ما ذكرتم أردفته بكلام غيره فأقول قال في كتاب ايجاز
قرطبة بالطاء المعجمة ومعناه أجرسا كنها يعني عرتب بالطاء ثم قال ودور مدينة قرطبة
ثلاثون ألف ذراع انتهى وقال غيره ان تكسيرا ومساحتها التي دار السور عليها دون
الارباض طولها من القبة الى الجوف ألف وستمئة ذراع واتصلت العمارة بها أيام بنى أمية
ثمانية فراع طولا وفسحين عرضا وذلك من الاميال أربعة وعشرون في الطول والعرض
سنة وكل ذلك ديار وصور ومساجد وبساتين بطول ضفة الوادي الكبير وليس
في الاندلس وادي يسمى باسم عربي غيره ولم ترل قرطبة في الزيادة منذ الفتح الاسلامي الى
سنة أربع مائة فانتحط واستولى عليها الخراب ~~بمكة~~ ثمرة الفتن الى أن كانت الطامة
التي يرى عليها بأخذ العدو والكافر لها في ثاني وعشرى شوال سنة ستمائة وثلاث
وعشرين * ثم قال هذا القائل ودور قرطبة المصور منها دون الارباض ثلاثة وثلاثون ألف
ذراع ودور قصر امارتها ألف ذراع ومائة ذراع انتهى وعدد أرباضها احد وعشرون
في كل ربض منها من المساجد والاسواق والحمامات ما يقوم بأهلها ولا يحتاجون الى غيره
وبخارج قرطبة ثلاثة آلاف قرية في كل واحدة منبر وفقية مقلص تكون القضا في الاحكام
والشرائع له وكان لا يجعل القضا منهم على رأسه الامن حفظ الموطأ وقيل من حفظ
عشرة آلاف حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وحفظ المدونة وكان هؤلاء
المقلصون المجاورون لقرطبة يأفون يوم الجمعة للصلاة مع الخليفة بقرطبة ويسلمون عليه
ويطالعونه بأحوال بلدهم انتهى قال وانتهت ببلدية قرطبة أيام ابن أبي عامر الى ثلاثة
آلاف ألف دينار بالانصاف وقد ذكرنا في موضع آخر ما فيه مخالفة لهذا قاله أعلم
وما أحسن قول بعضهم

دع عنك حضرة بغداد وبيجتها * ولا تعظم بلاد الفرس والصين

نخاع الأرض قط مثل قرطبة * وما مشى فوقها مثل ابن حدين

(وقال بعضهم) قرطبة قاعدة الاندلس ودار الملوك التي يجي لها غارات كل جهة وخيرات
كل ناحية واسطة بين الكور موفية على النهر زاهرة مشرفة أهدقت بها المنى فحسن مرآها
وطاب جناها وفي كتاب فرحة الانفس لابن غالب أما قرطبة فانها لقط ينحو الى لقط
اليونانيين وتأويله القلوب المشككة وقال أبو عبيد البكري انها في لفظ القوط بالطاء
المعجمة وقال الجاردي الضبط فيها بهمال الطاء وضمها وقد يكسرهما المشرقيون في الضبط
كما يجهمها آخرون انتهى (وقال بعض العلماء) أما قرطبة فهي قاعدة الاندلس وقطبها

وقطرها الاعظم وأتم مداتها ومساكنها ومستقراتها عودا والمملكة في النصرانية
والاسلام ومدينة العلم ومستقر السينة والجماعة نزاهة من التابعين وتابع التابعين
ويقال نزاهة بعض العداية وفيه كلام * وهي مدينة عظيمة ازلية من بنيان الاوائل طيبة
الماء والهواء أحدت بها البساتين والزيتون والقرى والحصون والمياه والعيون من
كل جانب وبها المحرث العظيم الذي ليس له في بلاد الاندلس نظير ولا أعظم منه بركة *
وقال الرازي قرطبة أم المداين وسرة الاندلس وقرارة الملك في القديم والحديث والجاهلية
والاسلام ونهرها أعظم أنهار الاندلس وبها القنطرة التي هي إحدى غرائب الارض
في الصنعة والاحكام والجامع الذي ليس في بلاد الاندلس والاسلام أكبر منه * وقال
بعضهم هي أعظم مدينة بالاندلس وليس بجميع المغرب لها عندى شبيه في كثرة أهل وسعة
محال وفسحة أسواق وتظافة محال وعمارة مساجد وكثرة حمامات وفنادق ويزعم قوم
من أهلها انها كأحد جانبي بغداد وان لم تكن كأحد جانبي بغداد فهي قرية من ذلك
ولا حقة به وهي مدينة حصينة ذات سور من حجارة ومحال حسنة وفيها كان سلاطينهم
قديما ودورهم داخل سورها المحيط بها وأكثراً أبواب القصر السلطاني من البلد وجنوب
قرطبة على نهرها قال وقرطبة هذه بائمة عن مستأكن ارباضها ظاهرة ودرت بها في غير يوم
في قدر ساعة وقد قطعت الشمس خمس عشرة درجة ماشيا * وقال وكانت قرطبة في الدولة
المروانية قبة الاسلام ومجمع علماء الانام الاعلام بها استقر سرير الخلافة المروانية
وفيهما تحضت خلاصة القبائل المعتدية والمانية واليهما كانت الرحلة في رواية الشعر
والشعراء اذ كانت مركز الكرماء ومعدن العلماء ولم تزل غلا الصدور منها والحقائب
ويأري فيها أصحاب الكتب أصحاب الكتاب ولم تبرح ساحاتها محيطة عوالي ومجمرى سوابق
ومحط معالي وحى حقائق وهي من بلاد الاندلس بمنزلة الرأس من الجسد والزور من
الاسد ولها الداخل الفسيح والخارج الذي يمتع البصر بامتداده فلا يزال مستريحاً وهو
من تردد النظر طليح * وقال الجباري حضرة قرطبة منذ افتتحت الجزيرة وهي كانت الغاية
ومركز الراية وأتم القرى وقرارة اولى الفضل والتقى ووطن اولى العلم والتهى وقلب
الاقليم وينبوع متفجر العلوم وقبة الاسلام وحضرة الامام ودار صوب العقول
وبستان غرائط وطر وبجود رر القرائح ومن ألقها طلعت نجوم الارض وأعلام العصر
وفرسان النظم والنثر وبها أنشئت التأليفات الرائقة وصنفت التصنيفات الفائقة
والسبب في تبرز القوم حديثاً وقد يما على من سواهم أن أفقههم القرطبي لم يشغل قط الاعلى
البحث والطلب لانواع العلم والادب انتهى * (وقال علي بن سعيد) أخبرني والدي
أن السلطان الاعظم أبي يعقوب بن عبد المؤمن قال لو اولد محمد بن عبد الملك بن سعيد
ما عندني في قرطبة قال فقلت له ما كان لي أن أتكلم حتى أسمع مذهب أمير المؤمنين فيها
فقال السلطان ان ملوك بني أمية حين اتخذوها حضرة ملكهم اعلى بصيرة الديار الكثيرة
المنفحة والشوارع المتسعة والمباني الخنمة والنهر الجاري والهواء المعتدل
والخارج النضر والمحرث العظيم والشعري الكافية والتوسط بين شرق الاندلس

وغربها • قال فقلت ما أبقى لي أمير المؤمنين ما أقول • ثم قال ابن سعيد ومن كلام والدي
 في شأنها هي من أحسن بلاد الأندلس مبانى وأوسعها مسالك وأبرعها ظاهرا وباطنا
 وتفضل أشيطة بسلامتها في فصل الشتاء من كثرة الطين ولاهلها رياسة ووقار ولا تزال سعة
 العلم متوارثة فيهم الآن عامتها أكثر الناس فضولا وأشدهم تشجيعا وتشغيبا ويضرب بهم
 المثل ما بين أهل الأندلس في القيام على الملوك والتشجيع على الولاة وقلة الرضا بأموالهم
 حتى أن السيد أبي يحيى بن يعقوب بن عبد المؤمن لما انفصل عن ولايتها قيل له كيف
 وجدت أهل قرطبة قال مثل الجمل أن خفت عنه الجمل صاح وإن أثقلت به صاح ما ندري
 أين رضاهم فتقصده ولا أين سخطهم فتجتبه وما سلط الله عليهم حجاج الفتنة حتى كان
 عامتها شرا من عامة العراق وإن العزل عنها لما فاسيت من أهلها عندي ولاية وإن
 كلفت العود إليها لقاتل لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين • (قال والدي) ومن محاسنها
 ظرف اللباس والتظاهر بالدين والمواظبة على الصلاة وتعظيم أهلها لجامعها الأعظم وكسر
 أواني الخمر حيثما وقع عين أحد من أهلها عليها والتستر بأنواع المنكرات والتفاخر
 بإصالة البيت وبالهندية وبالعلم وهي أكثر بلاد الأندلس كتباً وأشد الناس اعتناءً بمخزائن
 الكتب صار ذلك عندهم من آلات التعيين والرياسة حتى أن الرئيس منهم الذي
 لا تكون عنده معرفة يحتفل في أن تكون في بيته خزانة كتب ويتخب فيها ليس إلا
 لأن يقال فلان عنده خزانة كتب والكتاب الفلاني ليس عنده أحد غيره والكتاب الذي
 هو بخط فلان قد حصه وظفربه • (قال الحضرمي) أتت مرة بقرطبة ولازمت سوق
 كتبها مدة أترقب فيه وقوع كتاب كان لي بطلبه اعتناء إلى أن وقع وهو بخط فصيح وتفسير
 مليح ففرحت به أشد الفرح فجعلت أزيد في ثمنه فخرجت إلى المنادى بالزيادة على أن بلغ
 فوق حده فقلت له يا هذا أرني من يزيد في هذا الكتاب حتى بلغه إلى ما لا يساوي قال فأراني
 شخصاً عليه لباس رياسة فدنوت منه وقلت له أعز الله سيدنا الفقيه إن كان لك غرض في هذا
 الكتاب تركته لك فقد بلغت به الزيادة بيننا فوق حده قال فقال لي لست بفقيه ولا أدري
 ما فيه ولكني أتت خزانة كتب واحتفلت فيها لا تجمل بها بين أعيان البلد وبقي فيها موضع
 يسع هذا الكتاب فلما رأيته حسن الخط جيد التجليد استحيسته ولم أبال بما أزيد فيه
 والحمد لله على ما أنعم به من الرزق فهو كثير قال الحضرمي فأخرجني وعلني على أن
 قلت له نعم لا يكون الرزق كثيراً إلا عند من لا يعطى الجوز من لاله أسنان وأنا الذي أعلم
 ما في هذا الكتاب وأطلب الانتفاع به يكون الرزق عندي قليلاً وتحول قلة ما بيدي يفي
 وينه • (قال ابن سعيد) وبرت مناظرة بين يدي منصور بن عبد المؤمن بين الفقيه العالم
 أبي الوائدي بن رشد والرئيس أبي بكر بن زهر فقال ابن رشد لابن زهر في كلامه ما أدري
 ما أقول غير أنه إذا مات عالم بأشياء فأريد بيع كتبه جلت إلى قرطبة حتى تباع فيها
 وإذا مات مطرب بقرطبة فأريد بيع تركته جلت إلى أشبيلية • (وسئل ابن بشكوال) عن
 قصر قرطبة فقال هو قصر أولي تداراته ملوك الأمام من لدن عهد موسى النبي صلى الله
 على نبينا وعليه وسلم وفيه من المباني الأولية والآثار الحجيبة لليونانيين ثم للاروم والقوط

والامم السالفة ما يعجز الوصف ثم ابتدع الخلفاء من بني مروان منذ فتح الله عليهم الاندلس بما فيها في قصرها البساتين الحسنات وأزوا فيه الآثار العجيبة والرياض الانيقة وأجروا فيه المياه العذبة المجلوبة من جبال قرطبة على المسافات البعيدة وعمّروا المون الجسمية حتى أوصلوها الى القصر الكريم وأجروها في كل ساحة من ساحاته وفاحشة من نواحيه في قنوات الرصاص تؤذيها منها الى المصانع صور مختلفة الاشكال من الذهب الابريز والقضة الخالصة والنحاس الممّوء الى البصيرات الهائلة والبركة البديعة والصهاريج الغريبة في احواض الرخام الرومية المنقوشة العجيبة قال وفي هذا القصر القصاب العالية السمى المنيفة العلق التي لم ير الراؤن مثلهما في مشارق الارض ومغاربها * (قال) ومن قصوره المشهورة وبساتينه المعروفة الكامل والمجدد والخائر والروضة والزاھر والمعشوق والمبارك والرسوق وقصر السرور والتاج والبديع * (قال) ومن أبوابه التي فتحها الله لنصر المظالمين وغيث الملهوفين والحكم بالحق الباب الذي عليه السطح المشرف الذي لا نظير له في الدنيا وعلى هذا الباب باب حديد وفيه حلق لاطون قد أثبتت في قواعدها وقد صورت صورة انسان فتح فيه وهي حلق باب مدينة أريونة من بلاد الافرنج وكان الامير محمد قد افتتحها بقلب حلقها الى هذا الباب وله باب قبلي أيضا وهو المعروف بباب الجنان وقد اقام هذين البابين المذكورين على الرصيف المشرف على النهر الاعظم مسجدان مشهوران بالفضل كان الامير هشام الرضى يستعمل الحكم في المظالم فيهما ابتغاء ثواب الله الجزيل وله باب ثالث يعرف بباب الوادي وله باب شماليه يعرف بباب قورية وله باب رابع يدعى بباب الجامع وهو باب قديم كان يدخل منه الخلفاء يوم الجمعة الى المسجد الجامع على الساباط وعدد أبوابها بعد هذا طمست أيام قسنة المهدي بن عبد الجبار * (وذكر ابن بشكوال رحمه الله) أن أبواب قرطبة سبعة أبواب باب القنطرة الى جهة القبلة ويعرف بباب الوادي وبباب جزيرة الخضراء وهو على النهر وباب الحديد ويعرف بباب سرقسطة وباب ابن عبد الجبار وهو باب طليطلة وباب رومية وفيه تجتمع الثلاثة الرصيف التي تشق دائرة الارض من جزيرة قادم الى فرمونة الى قرطبة الى سرقسطة الى طركونة الى أريونة مارة في الارض الكبيرة ثم باب طليطلة وهو أيضا باب ليون ثم باب عاصم القرشي وقد اقامه المقبرة المنسوبة اليه ثم باب الحور ويعرف بباب بطليوس ثم باب العطارين وهو باب اشيلية انتهى وذكر أيضا أن عدد أرياض قرطبة عنداتها في التوسع والعمارة احدى وعشرون ريبضا منها القبلية بعدوة النهر ريبض شقندة وريبض منية عجب وأما الغربية فتسعة ريبض حوائت الريحاني وريبض الرقاقين وريبض مسجد الكهف وريبض بلاط مغيث وريبض مسجد الشفا وريبض حمام الابري وريبض مسجد السرور وريبض مسجد الروضة وريبض السجن القديم وأما الشمالية فتلاثة ريبض باب اليهود وريبض مسجد أم سلمة وريبض الرصافة وأما الشرقية فسبعة ريبض سبلار وريبض قرن بريل وريبض البرج وريبض منية عبد الله وريبض منية المغيرة وريبض الزاهرة وريبض المدينة العتيقة قال ووسط هذه الارياض قصبة قرطبة التي تختص بالسور وبنائها

وكانت هذه الارياض بدون سور فلما كانت أيام الفتنه صنع لها خندق يدور بجميعها وحائط مانع * (وذكر ابن غالب) انه كان دور هذا الحائط أربعة وعشرين ميلا وشقنة معدودة في المدينة لانهم مدينة قديمة كانت مسورة * (قال ابن سعيد) في المغرب ولند كرا لا من منتزهات قرطبة ومعاهدها المذكورة في الاسن نظاما ونثرا ما انتهى اليه الضبط من غير تغلغل في غير المشهور منها والاهم ونوشى ذلك بجميع ما يحضر في من مختار النظم في قرطبة وما يحتوي عليه نطاقها المذكور فأول ما ذكر من المنتزهات منتزهات الخلفاء المرؤانية وهو قصر الرصافة فنقول كان هذا القصر لما ابتناه عبد الرحمن بن معاوية في أول أيامه لتزجه وسكناه أكثر أوقاته منية الرصافة التي اتخذها بشمال قرطبة منحرفة الى الغرب فاتخذ بها قصرا حسنا ودحا جناحا واسعة ونقل اليها غرائب الغروس وأكارم الشجر من كل ناحية وأودعها ما كان استجلبه يزيد وسفر رسولاه الى الشام من النوى المختارة والحبوب الغريبة حتى تمت بين البلد وحسن التربة في المدة القريبة أشجارا معتمة أثرت بغرائب من الفواكه انتشرت عما قليل بأرض الاندلس فاعترف بفضلها على أنواعها قال وسماها باسم رصافة جده هشام بأرض الشام الاثرة لديه ولم يلب في اختبار هذه وكافه بها وكثرة تردده عليها وسكناه أكثر أوقاته بها طارها المذكور في أيامه واتصل من بعده في ايثارها قال وكاهم فضلها وزاد في عمارتها واتبري أوصاف الشعراء لها قسنا زعوا في ذلك فيما هو الى الآن مشهور ما تورعهم مستجباد منهم * وقال ابن سعيد والرمان السقري الذي قاض على أرجاء الاندلس وصاروا لا يفضلون عليه سواء أصله من هذه الرصافة وقد ذكر ابن حيان شأنه وأفرده فصلا فقال انه الموصوف بالفضيلة المقدم على أجناس الرمان بعد ذوبة الطعم ودقة الحجم وغزارة الماء وحسن الصورة وكان رسوله الى الشام في توصيل اخته منها الى الاندلس قد جلب طرائف منها من رمان الرصافة المنسوبة الى هشام قال فعرضه عبد الرحمن على خواص رجاله مباهاية وكان فيمن حضره منهم سفر بن زيد الكلاعي من جنود الاردن ويقال هو من الانصار الذين كانوا يحملون ألوية رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزواته قال وهم يحملون الألوية بين يدي الخلفاء من بني أمية فأعطاه من ذلك الرمان جزءا فراقه حسنه وخبره فسار به الى قرية بكورة ربة فعالج بحمه واحتال لغرسه وغذائه وتنقيله حتى طلع شجرا أغر وأينع فنزع الى عرقه وأغرب في حسنه فجاء به عما قليل الى عبد الرحمن فاذا هو أشبه شيء بذلك الرصافي فسأله الأمير عنه فعرفه وجه حيلته فاستبزع استبيا طه واستبيل همته وشكر صنعه وأجرل صلته واعتس منه بمنية الرصافة وبغيرها من جناته فانتهش نوعه واستوسع الناس في غراسه ولزمه النسب اليه فصار يعرف الى الآن بالرمان السقري قال وقد وصف هذا الرمان محمد بن روح الشاعر في أبيات كتب بها الى بعض من أهداه له فقال

ولا بسة صدفا أجرا * أشك وقد ملئت جوهر
كأنك فاتح حق لطيف * تضمن مرجانه الاجرا
حبوبا كمثل لثات الحبيب * رضاها اذا شئت أو منظر
وللسفر تعزى وما سافرت * فتشكو والنوى أو تقاسى السرى

بلى فارت يا ~~هنا~~ هنا * رطيبا وأغصانها انضرا
وجاءتك معتاضة اذ أتتك * بأكرم من عودها عنصرا
بعود ترى فيه ماء الندى * ويورق من قبل أن يثرا
هدية من لو غدت نفسه * هدية ظنه قصرا

(وقال ابن سعيد) وأخبرني والدي قال أخبرني الوشاح المبرز المحسن أبو الحسن المريخي قال بينما أنا أشرب مع ندماني بأزاء الرصافة أذبانسان رث الهيئة يحفوا الطلعة قد جاء مجلس معنا فقلنا له ما هذا الاقدام على الجلوس معنادون سابق معرفة فقال لا تجلوا على ثم فكر قليلا ورفع رأسه فأنشدنا

اسقنيها ازاء قصر الرصافة * واعتبر في مآل أمر الخلافة
وانظر الافق كيف بدّل ارضا * كي يطيل اللبيب فيه اعترافه
ويرى أن ~~كل~~ ما هو فيه * من نعيم وعز أمر يخافه
~~كل~~ شيء رأيت غير شيء * ما خلا لذة الهوى والسلافة

قال المريخي فقبلت رأسه وقت له بالله من تكون فقال قاسم بن عبيد الرياحي الذي يزعم الناس انه موسوس أحق قال فقلت له ما هذا شعرا حق وان العلاء لتجز عنه فبالله الا ما تممت مسرّتنا وأنتك ومنادمتك ومناشدة طرف أشعارك فتادم وأنشد وما زانا معه في طيبة عيش الى أن ودّعناه وهو يتلاطم مع الجيطان سكرًا ويقول اللهم غفرا انتهى (قال) ومن قصور خارج قرطبة * قصر السيد أبي يحيى بن أبي يعقوب بن عبد المؤمن وهو على متن النهر الاعظم تحمله أقواس وقيل للسيد كيف تأنقت في بنيان هذا القصر مع انحرافك عن أهل قرطبة فقال علمت انهم لا يذكرون واليا بعد عزله ولاله عندهم قدر لما بقي في رؤسهم من الخلافة المروانية فأحييت أن يبقى لي في بلادهم أثر إذ كره به على رغبهم * قال ابن سعيد وأخبرني والدي أن ناهض بن ادريس شاعر وادي آش في عصره أنشد لنفسه في هذا القصر

الأحيد القصر الذي ارتفعت به * على الماء من تحت الحواجب اقواس
هو المصنع الاعلى الذي انبث الثرى * ورفعته عن ائمه المجد والساس
فأركب متن النهر عزا ورفعته * وفي موضع الاقدام لا يوجد الراس
فلأزال معمور الجنب وبابه * يغص وحلت أفقه الدهر أعراس

وقال الفتح في قلائده لما ذكر الوزير ابن عمار وتغزى بالدمشق بقرطبة وهو قصر شيده بنو أمية بالصفاح والعمد وجرى في اتقانه الى غير أمد وأبدع بناؤه ونحت ساحاته وقناؤه واتخذوه ميدان مراحمهم وضمائر أفراسهم وحكموا به قصرهم بالمشرق وأطلعوه كالكوكب المشرق وأنشد فيه لابن عمار

كل قصر بعد الدمشقي ذم * فيه طاب الجنى ولذا المسم
منظر رائق وماء نعيم * وثرى عاطر وقصر أشم
بت فيه والليل والفجر عندي * غير أنهم ومسلك أحمر

وهي منسوبة للحاجب أبي عثمان جعفر بن عثمان المصنفي * وذكر الجباري في المسهب أن
الرئيس أبا بكر محمد بن أحمد بن جعفر المصنفي اجتاز بالمنية المصنفية التي كانت ببلده أيام
حجابه للخليفة المصنفي المستنصر فاستعبر حين تذكر ما آل إليه حال جده مع المنصور بن أبي
عاصم واستبلاه على ملكه وأملأه فقال

قف قلباً باليا مصنفية واندب * مقلة أصبحت بلا انسان
واسألها عن جعفر وسطاه * ونداء في سالف الا زمان
جعفر مثل جعفر حكم الدهر عليه * بعزة وهوان
ولكم حذر الردي نصمنا * لأمان لصاحب السلطان
ينما يعتلى غدا خافضاً منه * اكتساب ككفة الميزان

ومنية الزبير منسوبة الى الزبير بن عزم الملقب بقرطبة (قال ابن سعيد أخبرني والدي عن
أبيه قال خرج معي الى هذه المنية في زمان فتح النوار أبو بكر بن بقي الشاعر المشهور
فجلسنا تحت سطر من أشجار اللوز قد تورت فقال ابن بقي

سطر من اللوز في البستان قابلي * مازادني على شيء ولا نقصا
أنما كل غصن كم جارية * اذا التسم ثني اعطافه رقصا

ثم قال شعر امه

عجبت ان أبقى على خردنه * غداة رأى لون الحديقة تورا
ولا أذكر بقية الايات قال جدي ثم اجتمعت به بعد ذلك بقرطبة فذكرت باجتماعه في منية
لزبير فتشهد وفكر ساعة وقال اكتبوا عني فكتبنا

سقى الله بستان الزبير ودام في * ذرام سبيل النهر ما غنت الورق
فكائن انما من نعمة في جنابه * كبرته الخضراء طالعها طلق
هو الموضع الزاهي على كل موضع * أما ظله ضاف أماماؤه دقق
أهيم به في حالة القرب والنوى * وحوله مني التذكر والعشق
ومن ذلك النهر الخفوق فواده * بقلي ما غيت عن وجهه خفق

قال فقامت له جمع الله بينك وبينه على الحيلة التي تشتهي قال ذلك لك قلت وكيف ذلك قال
تدفع لي هذا السيف الذي تقلدت به أترؤديه اليه وأنفق الباقي فيه على ما تعلم قال فقلت له
هذا السيف شرفني به السلطان أبو بكر بن غانية وما لعطائه سبيل ولكن أعطينك قيمته
نخرج وأتى بشخص يعرف قيمة السيوف فقدره وجعل يقول انه سيف السلطان ابن غانية
ليعظم قدره في عينه فيزيد في قيمته ثم قبض ما قدره وأنشداً رجباً لا

أطال الله عمر فتى سعيد * ويقاه ورقته السعود
غدا الى جوده سبيل العودي * الى وطني فيها أما ذا أعود
وألتم كفه شكرا وياو * طريق آي نعماء النشيد
حباني من ذخائره بسيف * به لم يبق للاحزان جيد

* والقصر الفارسي من اقصور المقصودة للنزاهة بجارج قرطبة وقد ذكره الوزير أبو الوليد

ابن زيدون في قصيد ضمنه من منتزهات قرطبة ماتت عليه وكان قد قرأ من قرطبة أيام
بني جهور فحضره في فراره عيد ذكره بأعياد وطنه ومعا هذه الانسية مع ولادة التي كان
يهواها ويتغزل فيها فقال

خليلي لا فطرس ولا أضحي * فحال من أمسى مشوقاً كما أضحي

وسأتي هذه القصيدة في هذا الباب كما سأتي قصيدة أبي القاسم بن هشام القرطبي التي
أولها * يا هبة باكرت من فحودارين * وفيها كثير من منتزهات قرطبة * قال ابن سعيد
كان والدي كثيراً ما يأمرني بقراءة ما عليه ويقول والله لقد أنبأت عن فضل لهذا الرجل
قال وكان أبو يحيى الحضرمي يحفظها ويرين بها بحالسه ويحلف أن لا ينشدها بمحضر
جاهل لا يفهم أو حاسد لا ينصف في الاهتزاز لها وأنه بلدي بذلك وانهم المكنوز الادب ثم قال
والمرج النضير المذكور بها هو مرج الخبز أخبرني والدي أنه حضر في زمان الصبا بهدا
المرج على راحة ومعه الرئيس الفاضل أبو الحسين ابن الوزير أبي جعفر الوقيشي والمسني ابن
دويدة المشهور بخفة الروح قال فسبغت أمامنا أوزوجاً جعلت قرح وتثر ما عليها من الماء
فوق المرج والمرج قد أحرق به الوادي والشمس قد مالت عليه للغروب فقال لي أبو الحسين
بالله صف يومنا وحسن هذا المنظر فقلت لا أضغه أو تصفه أنت ولك مني ذلك فأفكر كل منا
على انفراد بعد ما ذكرنا ما نصف نثراً فقال أبو الحسين الوقيشي

لله يوم بسرج الخبز طاب لنا * فيه النعيم بحيث الروض والنهر
وللا وزع على أرجائه لعب * اذا جرت بددت ما بيننا الدور
والشمس تجنح نحو الدين مائلة * كأن عشتقها في الغرب ينتظر
والسكاس جائلة باللب حائرة * وكلنا غفلت الدهر يبتدر

قال فقلت

ألا حب هذا يوم ظفرونا بطيبه * بأكتاف مرج الخبز والنهر يتسم
وقد مرحت فيه الاوز وأرسلت * على سند من دراهبه يظلم
ومد به للشمس فهو كانه * لثام لها ملق من النور معصم
أدركنا عليه الكوسا بعثت به * من الانس ميتا عاد وهو يكلم
غدوننا اليه صامتين سكينه * فسرحننا وكل بالهوى يترنم
فأظهر كل منا صاحبه استحيان ما دل تشبهاً وتقيماً للمسرة ثم قلنا لمن ما عندك
أنت تعارض به هاتين القطعتين قال بهذا ورفع رجلاه وحبى حبيقة فرفعت منها أرجاؤه
فقال له أبو الحسين ما هذا يا شيخ السوء فقال الطلاق يلزمه ان لم تكن أوزن من شعركما
وأطيب رائحة وأعغن صوتاً وأطرب معنى فضحك كما منه أشد ضحك وجعلنا نترغاية الاهتزاز
لموقع نادرتة فقال والدليل على ذلك أنكم طرستم لما جئت به أكثر مما طرستم من شعركم * ثم
قال ابن سعيد ومن منتزهات قرطبة المشهورة فخص السراشق مقصوداً للفرجة يسرح فيه
البصر وتبتهج فيه النفس أخبرني والدي عن أخيه أبي جعفر بن عبد الملك بن سعيد قال
خرجت مع الشريف الاصم القرطبي الى بسميط الجزيرة الخضراء وقد تدبج بالنوار فلما

حرّ كذا حسن المكان وتشوقنا الى الاركان قال الشريف لقد ذكرني هذا البسيط
 بسيط فخص السراقد فقلت له فهل ثار في خاطركم نظم فيه قال نعم ثم أشد
 ألفاء عواذ كرا العذيب وبارق * ولاتسأموا من ذكر فخص السراقد
 مجرّ ذبول السكر من كل مترق * ومجرى الكؤوس المترعات السوابق
 قصرت عليه اللحظ ما دمت حاضرا * وفكري في غيب لمرآة شائق
 أيا طيب أيام تقضت بروضة * على لمح غدران وشمّ حدائق
 اذا غرّدت فيها حمام دوحها * تخيلتها الكتاب بين المهاريق
 وما باختيار الطرف فارقت حسنها * ولكن بكيد من زمان منافق
 قال أبو جعفر فلما سمعت هذا الشعر لم أتمالك من الاستعبار وحرّ كفى ذلك الى أن قلت
 في حوز مؤمل سيد منتزهات غرناطة ولم يذكروا ما قاله فيه وذكره في موضع آخر لم يحضرني
 الآن حتى أوردته هنا والله أعلم * ومن منتزهات قرطبة السيد قال ابن سعيد أخبرني والدي
 أن الشاعر المبرّز أبا شهاب المالح أنشده لنفسه واصفا يوم راحته بهذا السيد
 ويوم لنا بالسيد لورد عيشه * يعيشه أيام الزمان رددناه
 بكرنا له والشمس في خدر شرقها * الى أن أجابت اذ دعا الغرب دعواه
 قطعناه شدوا واغتيا فاونشوة * ورجع حديث لورق الميت أحياء
 على مثل من منزّه يتبغى المنى * فله ما أحلى وأبدع مرآه
 شدتنا به الارحا وألقت ثارها * علينا فأصغينا له وقبلنا
 لن بان انا بالانين لنقصده * وبالدمع في اثر الفسراق حكينا
 وأنشدني والدي موشحة لأبي الحسن المبرّز معاصره وصاحبه يذكرونها هذا السيد وهي

(مطلع)

في نعمة العود والسلافه * والروض والنهر والنديم
 أطال من لامي خلافة * فظل في نصحه سليم

(دور)

دعني على منهج التصابي * ما قام لي العذر بالشباب
 ولا تطبل في المنى عتابي * فلبست اصغى الى عتاب
 لا ترج ردّي الى جواب * والكاس تفتّر عن حباب
 والغصن يبدى لنا انعطافه * اذا هفا فوقه النسيم
 والروض أهدي لنا انعطافه * واختال في برده الرقيم

(دور)

يا حذر عهدي القديم * ومن به همت مسعدي
 ريم عن الوصل لا يريم * مولى بالتمودد
 ماتم الابه النعيم * طوعا على رغم حسدي
 معتدل القد ذو نخافه * أسقم في طرفه السقيم

ورام طرفي به اتصافه * نخذ في خداه الكلم
(دور)

غصن الصبا عاطر المقبل * أحلى من الأمن والأمل
نظامي الحشا مغم الخليل * حلوا للهي ساحر المقل
لكل من رامه توصل * لم يخش ردأ بما فعـل
أشكو فيبدي لي اعترافه * ان حاد عن نهجه القويم
لا أهدم الدهر فيه رافه * فحق لي فيه أن أهيم
(دور)

لله عصـر لنا تقضى * بالسدة والمنبر البهيج
أرى إذ كاري إليه فرضا * وشوقه دائما بهيج
فكم خلعنا عليه غمضا * وللصبا مسرح أريج
ورد أطلال المني ارتشافه * حتى انقضى شربه الكريم
لله ما أسرع انصرافه * وهـكـذا الدهر لا يديم
(دور)

يامن يحث المطيّ غربا * عرج على حضرة المملوك
وانثر بها ان سفحت غربا * من مدمع عاطل سالوك
واسمع الى من أقام صبا * واحك صداه لافض فوك
بلغ سلامي قصر الرصافه * وذكره عهدى القديم
وحى عني دار الخـلافه * وقف بها وقفـة الغريم

قال ابن سعيد والمنبر المذكور في هذه الموشحة من منتزهات قرطبة والسدة هو الارحاء التي
ذكرها في زجله قاسم بن عبود الرياحي رويته عن والدي عن قائله وهو

(مطلع)

بالله أي نصيب * من ليس لي فيه نصيب
محبوباً مخالف * ومعه ورقيب

(دور)

حين نقصد مكانو * يقم في المقام
ويبخل علينا * برد السلام
أدخات يا قلبي * روحك في زحام
سلامك عندي * هي شي عجيب
وكيف بالله يسلم * من هو في لهيب

(دور)

بالله يا حبيبي * اترك ذا التفار
واعمد أن نطيب * في هذا النهار

واخرج معي للوادي * لشرب العقار
 اتنسم نهارنا * في لذة وطيب
 في الارحاح والا * في المرج الخصب

(دور)

او عند النواعير * والروض الشريق
 او قصر الرصافه * او وادي العقيق
 سرق والله دونك * هو عندى الحريق
 وفي حبك اميت * في أهلى غريب
 وما الموت عندي * الا حين تغيب

(دور)

اتكل على الله * وكن قط جصور
 وان ريت فضولى * فقل أى عمور
 كمش عنى وجهك * فان رأك تفور
 يهرب عنك خائف * ويقي مررب
 وامش انت موقر * كما نك خطيب

(دور)

ما أعجب حديتى * ايش هذا الجنون
 فطلب ونذر * أمرا لا يكون
 وصكم ذانقون * شيا لا يهون
 وايش مقدار ما نصبر * لبعده الحبيب
 رب اجعنى معو * عاجلا قريب

قال ابن سعيد وأما نهر قرطبة فانه يصغر عن عظمه عند اشبيلية بحيث منع عليه قنطرة من
 ججارة لا يتأتى مثلها في نهر اشبيلية ومنبعه من جهة شقورة يمر النصف منه الى مرسية
 مشرقا والنصف الى قرطبة واشبيلية مغربا ولما ذكر الرازى قرطبة قال ونهرها الساكن
 في جريه اللين في انصبابه الذى تؤمن مغبة ضرره في حله وقال هذا لانه يعظم عند اشبيلية
 فاذا حان حله في أيام الامطار أشفت اشبيلية على الغرق وتوقع أهلها الهلاك والقنطرة التى
 على هذا النهر عند قرطبة من أعظم آثار الاندلس وأعجبها اقواسها سبع عشرة قوسا وبانيها
 على ما ذكره ابن حبان وغيره السمح بن مالك الخولاني صاحب الاندلس بأمر عمر بن عبد
 العزيز رضي الله عنه وشيدها بنو أمية بعد ذلك وحسنوها قال ابن حبان وقيل انه قد
 كانت في هذا المكان قنطرة من بناء الاعاجم قبل دخول العرب بنحو مائتى سنة أثرت
 فيها الا زمان بمكابدة المدد حتى سقطت حناياها ومحييت أعاليها وبقيت أرجلها وأسافلها
 وعليها بنى السمح في سنة احدى ومائة انتهى وقال في مناهج الفكر ان قنطرة قرطبة احدى
 أعاجيب الدنيا بنيت زمن عمر بن عبد العزيز على يد عبد الرحمن بن عبد الله الغافق وطولها

ثمانية ذراع وعرضها عشرون باعا وارتفاعها ستة وثلاثون ذراعا وعدد حناياها ثمان عشرة
 حنية وعدد أبراجها تسعة عشر برج انتهى * (رجع الى قرطبة) * ذكر ابن حيان والرازي
 والجباري أن التبان ثاني قياصرة الروم الذي ملك أكثر الدنيا وصفح نهر روميسة بالصقر
 فأرخت الروم من ذلك العهد وكان من قبل ميلاد المسيح عليه السلام بثمان وثلاثين سنة
 أمر ببناء المدن العظيمة بالاندلس فبنيت في مدته قرطبة واشيلية وماردة وسرقسطة وانقرند
 الجباري بأن التبان المذكور وجه أربعة من أعيان ملوك الاندلس فبنى كل واحد منهم
 مدينة في الجهة التي ولدها عليها واسماها باسمه وان هذه الاسماء الاربعة كانت أسماء لاولئك
 الملوك وغير الجباري جعل أن هذه المدن مشتقة مما تقتضيه أوضاعها كما مر وذكرنا
 انه قد تداولت على قرطبة ولادة الروم الاخيرة الذين هم بنو عيصوبن اسحق بن ابراهيم على
 بنينا وعليهم الصلاة والسلام الى أن انتزعها من أيديهم القوط من ولديا فت المتغلبون على
 الاندلس الى أن أخذها منهم المسلمون ولم تكن في الجاهلية سريرا السلطنة الاندلس بل
 كرسيا لخاص مملكتها وسعدت في الاسلام فصارت سريرا للسلطنة العظمى الشاملة وقطبها
 للخلافة المروانية وصارت اشيلية وطليلة تعالها بعد ما كان الامر بالعكس والله يفعل
 ما يشاء بيد الملك والتدبير وهو على كل شيء قدير لا اله الا هو العلي الكبير وقال صاحب
 نشق الازهار عند ما تعرض لذكر قرطبة هي مدينة مشهورة دار خلافة وأهلها أعيان
 ناس في العلم والفضل وبها جامع ليس في الاسلام مثله انتهى ومن الاسباب في سلب محاسن
 قرطبة عيث البربر في دخولهم مع سليمان المستعين الاموي حين استولى على قرطبة
 في دولته التي افتتحت بالقهر وسفك الدماء وكان من أمراء البربر المعاضدين لسليمان
 علي بن جود من بني علي بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب
 رضي الله عنهم أجمعين وجده ادريس هرب من هرون الرشيد الى البربر فببر ولده
 وبني ابنه ادريس مدينة فاس وكان المؤيد هشام يشتغل بالملاحم ووقف على أن دولة
 بني أمية تنقرض بالاندلس على يد علوي أقول اسمه عين فلما دخل سليمان مع البربر قرطبة
 ومحو كثيرا من محاسنها ومحاسن أهلها كان من أكبر أمرائهم علي بن جود وبلغ هشاما
 المؤيد وهو محبوب وخبره واسمه ونسبه قدس اليه ان الدولة صائرة اليك وقال له ان خاطري
 يحدثني أن هذا الرجل يقتلني يعني سليمان فان فعل فخذ بشاري وكان هذا الامر هو الذي
 جرى نفس ابن جود على طلب الامامة وجعله على الاخذ بشار هشام المؤيد فكان المؤيد
 أمس من أخذ بشاره بعد موته وتولى بعد ذلك علي بن جود ويبيع بقرطبة في قصرها
 في اليوم الذي قتل فيه سليمان المستعين وأخذ الناس بالارهاب والبطوة وأذل رؤس
 البربر وبرقت للعدل في أيامه يارقة خلب لم تكذبته حتى خبت وجلس للمظالم وقدمت له
 جماعة من البربر في اجرام فضرب رقابهم وأهلهم وعشائرهم ينظرون وخرج يوما على باب
 عامر فالتقى فارسا من البربر وأمامه جل عنب فاستوقفه وقال له من أين لك هذا فقال
 أخذته كما يأخذ الناس فأمر بضرب عنقه ووضع رأسه وسط الجبل وطيف به في البلد
 واستقر على هذا مع أهل قرطبة في أحسن عشرة نحو ثمانية أشهر حتى بلغه قيام الاندلسيين

بالمريض المرواني في شرق الاندلس فتغير عما كان عليه وعزم على اخلاء قرطبة وابادة اهلها
فلا يعود لاعتهم بها سلطان آخر الدهر وأغضى البربر عن ظلمهم فعاد البلاء الى حاله وانتزع
أهل قرطبة وهدم المنازل واستهان بالأكابر ووضع المغارم وقبض على جماعة من أعيانهم
وألزمهم بما لم يملأوا من مواسمهم فلما جرى اليهم بدوهم لم يركبوا أحدا من أخذ الدواب
وتركهم ينزلون الى منازلهم على أرجلهم وكان منهم أبو الحزم الذي ملك قرطبة بعد
وصارت دولته بوراثته ولده معدودة في دول الطوائف فاجتمعت عن عليّ النفوس ونوالى
عليه الدعاة فقتله صبيان أغمار من صقالبة بنى مروان في الحمام وكان قتله غرة ذي القعدة
سنة ثمان وأربع مائة وكان الصقالبة ثلاثة فهربوا واختفوا في أماكن يعرفونها وصرح
عند الناس موته ففرحوا وكانت مدته كما مرّ نحو عامين وحققتها بعض فقهاء أحد
وعشرون شهرا وستة أيام وكان الناصر عليّ بن جود عليّ بحمته وبعده من الفضائل يصغي
الى الامداح ويثيب عليها ويظهر في ذلك آثارا للنسب العربي والكرم الهاشمي ومن
شعرائه المختصين به ابن الخطيب القرطبي ومن شعره قوله

راحت تذكر بالنسيم الراحا * وطفاء تكسر للجنوح جناحا

أخفى مسالكها الظلام فأوقدت * من برقها كى تهتدى مصباحا

وعباد بن ماء السماء وكان معروفا بالتشيع وفيه يقول من قصيدة

أبوكم عليّ كان بالشرق بدأما * ورثتم وذا بالغرب أيضا سمي

فصلوا عليه أجمعون وسالوا * له الامر اذولاء فيكم وليه

ومدحه ابن دراج القسطلي بقوله

لعلك يا شمس عند الاصيل * شجيت لشجوا الغريب الذليل

فكوني شفيهي لابن الشفيع * وكوني رسولي لابن الرسول

وكان أخوه القاسم بن جود أكبر منه بعشر سنين وأمه واحدة وهي علوية ولما قتل
الناصر كان القاسم والبايعي اشيلية وكان يحيى بن عليّ والبايعي سبته فاختلف هؤلاء البربر
فقال أكثرهم الى القاسم اكونه غيب أولا وقدم عليه أخوه الاصغر وكونه
قريباً من قرطبة وبينهم وبين يحيى البحر فلما وصلت رسالته الى القاسم لم يظهر فرحاً بالامامة
وخاف أن تكون حيلة من أخيه عليه فتقهقر الى أن اتضح له الحق فركب الى قرطبة
وبويع فيها بعد ستة أيام من قتل أخيه وأحسن السيرة وأحسن من البربر الميل الى يحيى ابن
أخيه عليّ صاحب سبته فتهالك في اقتناء السودان وابتاع منهم كثيرا وقودهم على
أعماله فأنفت البربر من ذلك واشتد فواجته وفي سنة تسع وأربع مائة قام عليه بشرق
الاندلس المرتضى عبد الرحمن من أعقاب الناصر لان أهل الاندلس صعب عليهم ملك بني
جود العلويين بسبب البربر فأرادوا رجوع الامامة الى بني مروان واجتمع له أكثر ملوك
الطوائف وكان معه حين أقبل لقرطبة منذر التجيبي صاحب سرقسطة وخيران
العامري الصقلي صاحب المريّة وانضاف اليهم جمع من الفرج وتأهب القاسم والبربرة
للقائهم فكان من الاتفاق العجيب أن فسدت نية منذر وخيران على المرتضى وقالوا أنا

في الاول وجهها ليس بالوجه الذي نراه حين اجتمع اليه الجثم الفقير وهذا ما كرر غير صافي النية
فكتب خيران الى ابن زيري الصنهاجي المتغلب على غرناطة وهو داهية البربر وضمن له
أنه متى قطع الطريق على المرتضى عند اجتيازه عليه الى قرطبة خذل عن نصرته الموالي
العاصريين أعداء المروانيين وأصحاب رئاسة الثغور فأمنى ابن زيري الى ذلك وكتب
المرتضى الى ابن زيري يدعو له طاعته فقلب الكتاب وكتب في ظهره قل يا أيها الكافرون
السورة فأرسل اليه كتاباً ثانياً يقول فيه جئتكم بجميع أبطال الاندلس وبالفرنج فاذا تصنع
وختم الكتاب بهذا البيت

ان كنت منا أشتر بخير * أولاً فابقن بكل شر

فأمر الكاتب أن يحول الكتاب ويكتب في ظهره ألهاكم التكاثر السورة فإزداد حنقه
وجله الغيظ الى أن ترك السير الى حضرة الامامة قرطبة وعدل الى محاربته وهو يرى أن
يصطلمه في ساعة من نهار ودامت الحرب أياماً وأرسل ابن زيري الى خيران يستعجزه وعده
فأجابه انما توقفت حتى ترى مقدار حربي واصبرنا ولو كنا يواطينا معك فأثبت جعلنا
ونحن تهزم عنه ونخذله في غد ولما كان من الغد رأى أعلام خيران وأعلام منذر
وأصحاب الثغور قد ولت عنه فحسب في يد المرتضى وثبت حتى كادوا يأخذونه واستحضر القتل
وصرع كثير من أصحابه فلما خاف القبض عليه ولي فوضع عليه خيران عيوناً فلقوه بقرب
وادي آش وقد جاوز بلاد البربر وأمن على نفسه فجمعوا عليه فقتلوه وجاؤا برأسه الى
المرية وقد حل بها خيران ومنذر فحدث الناس أنهم ما اصطجعا عليه سروراً به لانه وبعد
هذه الواقعة أذن أهل الاندلس للبرابرة ولم يجتمع لهم بعدها جمع ينهضون به اليهم وضرب
القاسم بن جودس رادق المرتضى على نهر قرطبة وغشيه خلق من النظارة وقلوبهم تتقطع
حسرات وأنشد عبادة بن مائة السماء قصيدته التي أولها

لن الخير خيران مضي لسيله * وأصبح أمر الله في ابن رسوله

ونمكنت امور القاسم وولى وعزل وقال وفعل الى أن كشف وجهه في خلع طاعته ابن أخيه
يحيى بن علي وكتب من سبته الى كبار البرابر بقرطبة ان عي أخذ ميراثي من أبي ثم انه قدم
في ولاياتكم التي أخذتموها بسب وفدكم العبيد والسودان وأنا أطلب ميراثي وأولايكم
مناصبكم وأجعل العبيد والسودان كما هو عند الناس فأجابوه الى ذلك فجمع ما عنده
من المراكب وأعانه أخوه ادريس صاحب مالقة بخاز البحر بجمع واخر وحصل
بمالقة مع أخيه وكتب له خيران صاحب المرية مذكراً بما أسلفه في اعانة أبيه وأكد
المودة فقال له أخوه ادريس ان خيران رجل خذاع فقال يحيى ونحن متخذون فيما
لا يضرنا ثم ان يحيى أقبل الى قرطبة واثقاً بأن البرابر معه فقر القاسم الى اشبيلية في خمسة
فرسان من خواصه ليلة السبت ٢٨ شهر ربيع الآخر سنة ٤١٣ وحل يحيى بقرطبة
فبايعه البرابر والسودان وأهل البلد يوم السبت مستهل جمادى الآخرة وكان يحيى من
النجباء وأمه فاطمية وانما كانت آفته العجب واصطباع السفلة واشتطاً كبار البرابر
عليه وطلبوا ما وعدهم من اسقاط مراتب السودان فبذل لهم ذلك فلم يقنعوا منه وصاروا

يفعلون معه ما يخرق الهيبة ويفرغ بيت المال وفر السودان الى عمه باشيلية ومن البرابرو من
 جند الانداس من احتجب عنهم يحيى وتسكبر عليهم ولم يل اليه ملوك الطوائف وبقي منهم كثير
 على الخطبة لعمه القاسم الى أن اختلف الحال بحضرة قرطبة وأيقن يحيى انه متى أقام بها
 قبض عليه وكان قد ولي على ستة أخاه ادريس وبلغه أن أهل مالقة خاطبوا خيران وكاتبوه
 فطمع خيران فيها وفر يحيى في خواصه تحت الليل الى مالقة والمبلغ القاسم فراره ركب
 من اشيلية الى قرطبة فخطب له بها يوم الثلاثاء ١٢ ليلة بقيت من ذى القعدة سنة ٤١٣
 ولم يصلح الحال للقاسم منذ وصل الى الحضرة ووقع الاختلاف وكان هوى السودان معه
 وهوى كثير من البرابرة مع يحيى وهوى أهل قرطبة مع قائم من بني أمية يشيعون ذكره
 ولا يظهر وكثر الارجاف بذلك ووقع الطلب على بني أمية فتفرقوا في البلاد ودخلوا في أنحمار
 الناس وأخفوا زيارتهم ثم ان الخلاف وقع بين البربر وأهل قرطبة وتسكثروا البلديون وأخرجوا
 القاسم وبرابرة فضرب خيمة بغريتها وقتلهم مدة خمسين يوما قتلا شديدا وبني
 القرطبيون أبواب مدينتهم وقتلوا القاسم من الاسوار الى أن طال عليهم الحصار فهدموا
 بابا من الابواب وخرجوا خروجة رجل واحد وصفر واغتمهم الله تعالى الطفر وفر السودان
 مع القاسم الى اشيلية وفر البرابرة الى يحيى وهو بمالقة وكان فرار القاسم من ظاهر قرطبة
 يوم الخميس ١٢ ليلة خلت من شعبان سنة ٤١٤ وكان ابنه محمد بن القاسم واليا
 على اشيلية وثقته المدبر لاهره محمد بن زيري من أكابر البرابرة وقاضيهما محمد بن عباد فعمل
 القاضي لنفسه وهو جند المعتمد بن عباد وأطمع ابن زيري في القلعة فأغلق الابواب في وجه
 مصطنعه وحاربه فقتل من البرابرو والسودان خلق كثير وابن عباد يضحك على الجميع فيئس
 القاسم وقنع أن يخرجوا اليه ابنه وأصحابه ويسير عنهم فأخرجوهم اليه فسار بهم الى
 شريش وعندما استقر بهم اوصل اليه يحيى ابن أخيه من مالقة ومعه جمع عظيم وحاصره
 في المدينة عشرين يوما كان فيها حروب معصاة وقتل من الفريقين خلق كثير وأجلت
 الحرب عن قهر يحيى لعمه واسلام أهل شريش له وفر سودانه وحصل القاسم وابنه في يد
 يحيى وكان قد أقسم أنه ان حصل في يده ليقتلنه ولا يتركه حتى يلى الامامة بقرطبة مرة ثالثة
 فرأى التربص في قتله حتى يرى رأيه فيه فحدث عنه بعض أصحابه انه حمله بقيد الى مالقة
 وحبسه عنده وكان كلما سكر وأراد قتله رغبه نداءؤه في الابقاء عليه لانه لا قدرة له على
 الخلاص وكان كلما نام رأى والده عليا في النوم ينهاه عن قتله ويقول له أخي أكبر مني وكان
 محسنا الى في صغري ومسلما الى عندا مارى الله الله فيه واستدت الحال على ذلك الى أن قتله
 خنقا بعد ١٣ سنة من حين القبض عليه لانه قد كان حبسه في حصن من حصون مالقة
 فبنى اليه انه قد تحدث مع أهل الحصن في القيام والعصيان فقال أوبقى في رأسه حديث
 بعد هذا العمر فقتله سنة ٤٢٧ وبقي أهل قرطبة بعد فرار القاسم ينفذون عن عشرين يرون
 رأيهم فيمن يبايعونه بالامامة ولما كان يوم الثلاثاء نصف شهر رمضان سنة ٤١٤ حضر
 المستظهر وسليمان بن المرتضى وأموى آخر معه فبايعا المستظهر وقبلا يده بعدما كان قبل
 البيعة باسم سليمان بن المرتضى على ما ارتضاه الاماثل فيشر اسمه وكتب اسم المستظهر

وركب الى القصر وحل معه ابني عمه المذكورين فحسبهما وكان قد رفع جماعة من الاتباع
ذهب بهم العجب كل مذهب كافي عامر بن شهيد المنهمك في بطالته وأبي محمد بن حزم المشهور
بالرد على العلماء في مقالاته وابن عمه عبد الوهاب بن حزم الغزل المترف في حالته فأحقد
بذلك مشايخ الوزراء والاكابر وبادر المستظهر باصطناع البرابر وأكرم مشواهم
وأحسن ماواهم واشتغل مع ابن شهيد وابني حزم بالمباحثة في الآداب ونظم الشعر
والتمسك بتلك الأهداب والناس في ذلك الوقت أجهل ما يكون وكان جماعة من أهبل
الشر في السجون يتعين أن لا يخرج منهم انسان فأخرج منهم شخصاً يقال له أبو عمران
وقد كان أشار بعض الوزراء عليه بعدم اخراجه فأخرجه وخالفه في ذلك ولم يقبل النصيحة
وفعل ما أذاه الى الفضيحة فسعى القوم الذين خرجوا من الحبوس على افساد دولته
وابدال فرجه بالحبوس لما اشتغل عنهم بالادباء والشعراء حسبما اقتضاه رأيه المعكوس
فسعوا في خلعه مع البرابر وقتل في ذي القعدة من السنة التي يبيع فيها وصار كأمس
الداير بعد سبعة واربعين يوماً من يوم يبيع بالخلافة واذا أراد الله امرأ فلا يقدر أحد
أن يأتي خلافة وعمره ثلاث وعشرون سنة كأنها سنة ومن شعر المستظهر
المذكور وهو من القريض الممدوح صاحبه بالبلاغة المشكور

طال عمر الليل عندي * مذ تولعت بصدي

باغزالا نقض العهد * ولم يوف بوعدي

أنسيت العهد اذ بئتنا على مفرش ورد

واعتقنا في وشاح * واتظمتا نظم عقد

ونجوم الليل تسرى * ذهباً في لازوردي

وكتب اليه شاعر في طرس مكشوط السطر مشور وفيه بشارة ببقاء الامام الفاضل
المستظهر

ملك أعاد العيش غضا ملكه * وكذا يكون به طوال الأعصر

فأجرل صلاته وكتب في ظهر الورقة

قبلنا العذر في بشر الكتاب * لما أحكمت في فصل الخطاب

وقد قدما في الباب الثالث شيأ من هذه الاخبار وما حصل بعد ذلك بقرطبة الى أن تولى
الامر ابن جهور في صورة الوزارة ثم ابنه الى أن أخذ قرطبة منه المعتمد بن عباد حسبما
ذكر في أخباره ثم آل الامر بعد ذلك كله الى استيلاء ملوك العدو من المثلثين والموحدين
على قرطبة الى أن تسلمها النصارى أعادها الله تعالى للإسلام كما يذكر في الباب الثامن *
وقال صاحب مناهج الفكر في ذكر قرطبة ما ملخصه فأما ما اشتغل عليه غرب الجزيرة
من البلاد الخطيرة فتحها قرطبة وكانت مقر الملك ودار الامارة وأتم ما عداها من البلاد منذ
افتتحها المسلمون سنة ٩٢ زمن الوليد بن عبد الملك الى أن خرجت عن أيديهم وتنقلت
في أيدي ملوك المسلمين الى أن وصلت الى الناصر عبد الرحمن فبنى في تجاهها مدينة سماها
الزهراء يجري بينهم مانهر عظيم انتهى * واعلم أن المباني دالة على عظم قدرها فيها كما ذكرناه

في كلام الناصر الذي طابت له من الزهراء مجانيها ولم يزل البلغاء يصفون المباني بأحسن
الالفاظ والمعاني ورأينا أن تذكرها بعض ذلك زيادة في توسيع المسالك فمن ذلك
قول ابن حديس الصقلي في دار بناها المعتمد على الله

ويا حبذا دار قضى الله أنها * يجتدقها كل عز ولا يبلى
مقدسة لو أن موسى كليمه * مشى قدما في أرضها خلع النعلا
وما هي الا خطبة الملك الذي * يخط اليه كل ذي أمل رجلا
إذا قحت أبوابها خلت أنها * تقول بترحيب لداخلها أهلا
وقد نقلت صناءها من صفاته * إليها افانينا فأحسنت النعلا
فمن صدره رحبا ومن نوره سنى * ومن صيته فرعا ومن حلمه أصلا
فأعلت به في رتبة الملك ناديا * وقل له فوق السما كين أن يعلى
نسبت به ايوان كسرى لانتى * أراه له مولى من الحسن لامثلا
== ان سليمان بن داود لم تبع * محافته للجن في صنعه مهلا
ترى الشمس فيه ليقة تسعدها * أكف أقامت من تصاويرها شكلا
لها حركات أودعت في سكونها * فالتبعت في نقله ن يد رجلا
ولما عشي بنا من نورها * اتخذنا سناء في نواظـرنا كخلا

وقال من أخرى يصف دارا بناها المنصور بن أعلى الناس بجاية

أعمر بقصر الملك ناديك الذي * أضفى بجدارك يته معمورا
قصر لو أنك قد سككت بنوره * أعمى لعدا إلى المقام بصيرا
واشتق من معنى الجنان نسيه * فيكاد يحدث بالعظام نشورا
نسى الصبيح مع الفصح بذكره * وسما ففاق خورنقا وسديرا
لو أن بالايوان قوبل حسنه * ما كان شيئا عنده مذكورا
أعيت مصانعه على الفرس الالى * رفعوا البناء وأحكموا التدويرا
ومضت على الروم الدهور وما بنوا * لمساو كههم شهباله وتظيرا
أذكرتنا الفردوس حين أريتنا * غرقا رفعت بناءها وقصورا
فالمحسنون تريدوا أعمالهم * ورجوا بذلك جنسة وحريرا
والمذنبون هددوا الصراط وكفرت * حسناهم لذنوبهم تكفيرا
فلك من الافلاك الا انه * حقا البس دور فأطلع المنصورا
أبصرته فرأيت أبداع منظر * ثم اقتنيت بناظري محسورا
فظننت أني حالم في جنسية * لما رأيت الملك فيه كبرا
وإذا الولا تد فتحت أبوابه * جعلت ترحب بالعفاة صريرا
عشت على حلقائهن ضراغم * فغرت بها أفواهها تكبرا
فكأنها البسدت لهمصر عندها * من لم يكن بدخوله مأمورا
تجري الخواطر مطلقات أعنة * فيه فتكوعن مداه قصورا

بمرخم الساحات تحسب أنه * فرش الماء وتوشح الكافورا
 ومحسب بالدر تحسب تربه * مسكاتنوع نشره وعبير
 تستخلف الابصار منه اذا أتى * صجعا على غسق الظلام منيرا
 ثم ذكر بركة فيه عالمها أشجار من ذهب وفضة ترى فروعها المياه وتغنن فذ كراسودا على
 حافاتها قاذفة بالمياه أيضا فقال

وضرا غم سكنت عرين رياسة * تركت خرب الماء فيه زئيرا
 فكأنما غشى النصار جسومها * وأذاب في أفواهها البلورا
 أسد كان سكونها متحرلا * في النفس لو وجدت هنالك منيرا
 وتذكرت فتكاتها فكأنما * أفتت على أدبارها لتثورا
 وتخالها والشمس تجلجلونها * نارا وألسنها اللواحي نورا
 فكأنما سلت سيف جداول * ذابت بلانار فعدن غديرا
 وكأنما نسج التسييم لمائه * درعا فقدر سردها تقديرا
 وبديعة الثمرات تعبر فحوها * عيناى بحمر عجائب مسجورا
 شجرية ذهبية نزعنت الى * سحر يؤثر في النهى تأثيرا
 قد صوبحت أغصانها فكأنما * قبضت بين من الفضاء طيورا
 وكأنما تأبى لوقع طيرها * أن تستقل ينهضها وتطيرا
 من كل واقعة ترى منقارها * ماء كسلسال اللجين غيرا
 خرس تعد من الفصاح فان شدت * جعلت تغرد بالمياه صفيرا
 وكأنما في كل غصن فضة * لانت فأرسل خيطها مجرورا
 وتريك في الصهر يج موقع قطرها * فوق الزبرجد لوأوا منشورا
 ضحكك محاسنه اليك كأنما * جعلت لها زهر النجوم تغورا
 ومصفح الابواب تبرا نظروا * بالنقش فوق شكوله تنظيرا
 تبدو مسامير النصار كما علت * تلك النهود من الجنان صدورا
 خلعت عليه غلا لا ووشيه * شمس تزد الطرف عنه حسيرا
 واذا نظرت الى غرائب سقفه * أبصرت روضا في السماء نصيرا
 وعجبت من خطاف عسجده التي * حامت لتبني في ذراه وكورا
 وضعت به صناعاتها أقلامها * فأرتك كل طريدة تصورا
 وكأنما للشمس فيه ليقه * مشقوا بها الترويق والتشجيرا
 وكأنما اللازورد فيه مخرم * بالخط في ورق السماء سطورا
 وكأنما وشوا عليه ملاة * تركوا مكان وشاحها مقصورا

ثم مدح المنصور بعد ذلك وختم القصيدة بقوله

يا مالک الارض الذى أضحى له * ملك السماء على العداة نصيرا
 كم من قصور للملوك تقدمت * واستوجب بقصورك التأخيرا

فعمرتها وملك كل رياسة * منها ودمرت العدا تدميرا
قلت لم أر له هذه القصيدة من تظهر في معانيها البائع النضير ولفظها العذب النير الذي شعر
فيه قائلها عن ساعد الاجادة أي تشمير غير أن فيها عندي عيبا واحدا وهو ختمها بلفظ
التمهير وعلى كل حال فالحسن والاحسان يقادان في أرسان لعبد الجبار بن حمديس
المذكور ذي المقاصد الحسان وخصوصا في وصف المباني والبرك فما أبقى لسواه في ذلك
حسنا ولا ترك * (ومن ذلك) قوله في وصف بركة تجري اليها المياه من شاذروان من أفواه
طيور وزرافات وأسود وكل ذلك في قصر أظن في وصفه في قصيدة طويلة

والماء منه سبائك من فضة * ذابت على درجات شاذروان
وكانما سيف هنالك مشطب * ألقته يوم الحرب كف جبان
كم شاخص فيه يطيل نحيبا * من دوحة نبتت من العتيان
عجبا لها تسقى الرياض ينابيعها * تبت من الثمرات والاغصان
خصت بطائرة على فنانها * حسنت فأفرد حسنها من ثمان
قس الطيور الخاشعان بلاغة * وفصاحة من منطق وبيان
فاذا أتيج لها الكلام تكلمت * بخبرير ماء دائم الهملان
وكان مما نفعها استبد بصنعة * نخر الجهاد بها على الحيوان
أوفت على حوض لها فكانها * منها على العجب العجائب رواني
فكانتها طنت حلاوة ماؤها * شهدا فذاقته بكل لسان
وزرافة في الجوف من أنبوبها * ماء يريك الجرى في الطيران
مر كوزة كالرح حيث ترى له * من طعنة الخلق انعطاف سنان
وكانها ترمى السماء يندق * مستنبط من لؤلؤ وجمان
لوعاد ذال الماء نغطا أحرقت * في الجوق منه قيص كل عنان
في بركة قامت على حافاتها * أسد تذلل لعزة السلطان
ترعت الى ظلم النفوس نعوسها * فلذلك انتزعت من الابدان
وكان برد الماء منها مطفى * نارا مضرمة من العدوان
وكانما الحيات من أفواهها * بطرحن أنفسهن في الغدران
وكانما الحيتان اذ لم تخننها * أخذت من المنصور عقد أمان
وها تان القصيدتان لابن حمديس كما في المناهج مع طولهما تدلان على الابداع الذي اشتهره
والاختراع الذي ما وجع سمع أحد من الفضلاء الا شكره لما اشكره وقال أبو الصلت أمية
ابن عبد العزيز الاندلسي يصف قصرا بمصر يسمى منزل العزيز بن حسن بن علي بن تميم
ابن المعز العبيدي

منزل العزيز كما سمع معناه * لاعداء العزيز من به سماه
منزل ودت المنازل في اعالي ذراه لو صيرت اياه
فأجل فيه لحظ عينيك تبصر * أي حسن دون القصور حواه

سال في سقفه النصار ولكن * جمدت في قراره الامواه
 وبأرجائه مجال طراد * ليس تنفك من ونى خياله
 تبصر الفارس المدجج فيه * ليس تدعى من الطعان قتاه
 وترى النابل الموصل للز * ع بعيدا من قرنه مرماه
 وصفو قامن الوحوش وطير الجوق * كل مستحسن مرآه
 سكات تخالها حركات * واختلاف كانه اشباه
 كحيا الحبيب حرفا بحرف * مانعتى صفاته اذ حكاه
 ورده وجنتاه نرجسه الفتان عيناها آسسه عارضاه
 وكان الكافور والمسك في الطيب وفي اللون صبحه ومساءه
 منظر يبعث السرور ومرأى * يذكر المرء طيب عصر صباه
 وقال أبو الصلت أمية الاندلسي المذكور يذكر بناء بناء على بن تميم بن المعز العبدي

لله مجلسك المنيف قبا به * يؤطد فوق السماك مؤسس
 موفى على حبل الجرة تلتقى * فيه الجوارى بالجوارى الكنس
 تتقابل الانوار من جنباته * فالليل فيه كالنهار المشمس
 عطفت حناياه روين سمائه * عطف الالهة والحوارب والقصى
 واستشرقت عمد الرخام وظوهرت * بأجل من زهر الربيع وأنفس
 فهو واؤه من كل قدأهيف * وقراره من كل خدأ ملبس
 فلك تحير فيه ككل نجم * وأقرب بالتقصير كل مهندس
 فبد اللط العين أحسن منظر * وغدا الطيب العيش طيب معرس
 فاطلع به قرا اذا ما أطلعت * شمس الحدور عليك شمس الاكؤس
 فالناس أجمع دون قدر لرتبه * والارض أجمع دون هذا المجلس
 ويعجبني من قول أبي الصلت أمية المذكور يصف حالى زيادة النيل ونقصانه

والله مجرى النيل منها اذا الصبا * أرتنا به من مرها عسكرا مجرا
 اذا زاد يحكى الورد لونا وان صفا * حكي ماءه لونا ولم يحكه مزا
 وقال رحمه الله تعالى يصف الرصد الذى بظاهر مصر

يانزهة الرصد التي قد اشتملت * من كل شئ خلافى جانب الوادى
 فذا غدير وذا روض وذا جبل * والضب والنون والملاح والحادى
 وهو ما خوذ من قول الاقل يصف قصر أنس بالبصرة

زروادى التصنيع القصر والوادى * لا بد من زورة من — برصعاد
 زره فليس له ندى يشاكه * من منزل حاضر ان شئت أربادى
 تلقى به السفن والظلمان حاضرة * والضب والنون والملاح والحادى

وقال رحمه الله تعالى يذكر الهرميين

بعيشك هل أبصرت أحسن منظرا * على طول ما عاينت من هرمى مصر

أنا قاباً كفاف السماء وأشرقاً * على الجواشرف السماء على التبر
وقد وافيا نشز من الأرض عاليا * كأنهما نهدان قاما على صدر
وسمائي ترجته أن شاء الله تعالى في الباب الخامس * وعلى ذكر النهار والبرك فما أحسن
قول بعض الأندلسيين يصف بركة عليها عدة قوارات

غضبت بحجارها فأظهر غيظها * ما في حشاها من خفي مضمير
وكان ينبع الماء من جنباتها * والعين تنظر منه أحسن منظر
قضب من البلور أثمر فسرعها * لما اتهمت باللوأ المتصدر

وقال ابن صارة الأندلسي يصف ماء بالركة والصفاء يجري على الصفا

والنهر قد رقت غلالة خصره * وعليه من صبغ الأصيل طراز
تترقق الأمواج فيه كأنها * عكن الخصور تهزها الأبحار

وما أحسن قول بهض الأدباء ولم يحضرني إلا أن اسمه

والنهر مكسوة غلالة فضة * فإذا جرى سبلا فتوب نضار
وإذا استقام رأيت صفحة منصل * وإذا استدارت رأيت عطف سوار

وقال ابن جديس المغربي يصف نهر بالصفا

ومطر دالأمواج يصقل منه * صبا أعلنت للعين ما في ضميره

جريح باطراف الحمى كلما جرى * عليها شكاً أوجاعه بخريه

وهذا النهج متسع ولم نطلي السير في هذه المهامه وانما ذكرنا بهض كلام المغاربة ليتنبه به
منتقصهم من سنة أو هامه ولأن في أمرها عبرة لمن عقل إذا صدأ امرأة حسنها ولطالما
كان مثلها مقل وقد وقفت على كلام صاحب المناهج في هذا المعنى فأحييت ذكره ملخصا
وهو ونحوه يذكر المنازل التي راق منظرها وفاتح مخبرها وارتفع بناؤها واتسع فناؤها
طرفا من الكلام على ما عفاه الدهر من رسومها ومحام من محاسن صور كانت أرواحا
لرسومها * وصف أعرابي محلة قوم ارتحلوا عنها فقال نثرا ارتحلت عنها ربات الخدور
وأقامت بها أثافي القدور ولقد كان أهلها يعفون آثار الرياح فعفت الرياح آثارهم
وذهبت بأبدانهم وأبقت أخبارهم والعهد قريب واللقاء بعيد وقال عمر بن أبي ربيعة
فأحسن

بادار أمسي دار سارهما * وحشا قفار ما بها أهل

قد جرت الرياح بها ذيلها * واستن في أطلالها الوابل

ومن كلام الفتح بن خاقان في قلائد العقبان يذكر آل عباد من فصل أكثر فيه التفجع
وأطال به التوجع والقصور تحتال في أدواحها والازاهر يحي ميت الصبابة شذا
أرواحها وأطيار الرياض كشكالي يخن على خرابها وانقراض أترابها والوهي بمشيدها
لاعب وعلى كل جدار منها غراب ناعب وقد عمت الحوادث ضياءها وقلصت ظلالها
وأفباءها ولطالما أشرقت بالظلائق وابتهجت وفاحت من شذاهم وتأرجت أيام زلوا
خلالها وتقيوا ظلالها وعمر واحد ألقها وجنائها ونهبوا الآمال من سناتها وراعوا

اليوث في آجامها وأخجلوا الغيوث عند انسجامها فأصبحت ولها تلفع واعتجار
ولم يبق من آثارها الا نوى وأحجار قد هوت قبايها وهرم شبابها وقد طين الحديد
ويلى على طيه الحديد * وقال أبو نصر القرطبي يذ ك ذلك من آيات ينعمها بها
ديار عليها من بشاشة أهلها * بقايا تسر النفس أنسا ومنظرا
ربوع كساها المزن من خلع الحيا * برودا وحلاها من النور جوهرها
تسر لطورا ثم تشجيك تارة * فترتاح تأنيسا وتشجى تذكر
(ومن كلام أبي الحسن القاشاني) يصف نادى رئيس خلا من ازدحام الملا وعوضه الزمان
عن تواصل أحياءه هجرا وقللا قد كان منزله مآلف الاضياف ومانس الاشراف
ومتجع الركب ومقصد الوفد فاستبدل بالانس وحشة وبالأضياف ظلمة واعتاض من
تراخم المواكب قلاطم النوادب ومن ضجيج النداء والصهيل عجيج البكاء والعويل
*) (ومن رسالة لابن الاثير الجزري يصف دمنة لعبت بها أيدي الزمن وفترت بين المسكن
والسكن كانت مقاصير جنة فأصبحت وهي ملاعب جنة وقد عمت أخبار قطانها
وأثار أوطانها حتى شابهت احداها في الخفاء الاخرى في العفاء وكنت أظن أنها
لا تبقى بعدهم بغمام ولا يرفع عنها جلباب ظلام غير أن السحاب بكاهم فأجرى بها
هوامع دموعه والليل شق عليهم جيوبه فظهر الصباح من خلال صدوعه * وقد لمح
في بعض كلامه قول الشريف من آيات يصف فيها ما كان في الحيرة من منازل
النعمان ابن المنذر

ما زلت أطرق للمنازل بالوى * حتى نزلت منازل النعمان
بالحيرة البيضاء حيث تقابلت * شم العمد عريضة الاعطان
شهدت بفضل الراقعين قبايها * ويسين بالبنيان فضل الباني
ما ينفع الماضين ان بقيت لهم * خطط معمرة بعمر قاني

يقول فيها

ولقد رأيت بدير هند منزلا * ألمان الضراء والحدثان
يغضى كسـتمع الهوان تغيب * أنصاره وخلا من الاعوان
بالي المعالم أطرقت شرفاته * اطراق مذبذب القرينة عان
أم قاصر الغزلان غيرك البلا * حتى غدوت مرايض الغزلان
وملاعب الانس الجميع طوى الردى * منهم قصرت ملاعب الجنان

ومنها

مسكية النفحات تحسب تربها * برد الخليلع معطر الاردان
وكأنماني التجار لطيفة * جرت الرياح بها على العقيان
ماء كيب الدرع يصف له الصبا * وبقى بدو حشيه النسيم الواني
زفر الزمان عليهم فتفرقوا * وجلوا عن الاقطار والاطوان
وقال أبو اسحق الصابي ووارده مع الشريف الرضي في المعنى والقافية يصف قصر روح

بالبصرة

أحبب الى بقصر روح منزلا * شهدت بنية بفضل الباني
سور عـلا وتمعت شرفاته * فكان احدا من هضب أبان
وكأنما يشكو الى زواره * بين الخليط وفرقة الجيران
وكأنما يديهم من نفسه * اطراق محزون المشاحران

ولاحد بن فرج الالبيري من أبيات

سألت بها غارقت جوابا * عليك وكيف تخبرك الطلول
ومن سـفه سـؤالك رسم دار * مضى لعفاته زمن طـويل
فان تلك أصبحت قفرا خلاء * لعينك في مغايتها همـول
فقد ما قد نعمت قرير عين * بها وبربعها الرشأ الكحيل

وقال أبو عبد الله بن الخطيب الاندلسي الاغمي

لو كنت تعلم ما بالقلب من نار * لم توقد النار بالهندي والقار
بادار عـلاوة قد هيئت لي شجنا * وزدتني حرقا حيث من دار
كم بت فيك على المذاذات معتكفا * والليل مـدرع نوباً من القار
كأنه راهب في المسح ملتحف * شد المجدة له وسطا بزوار
يدبر فيه كؤوس الراح ذو حور * يدبر من لحظة الحافظ سحر

ولامزيد في التجميع على الديار والتوجع للدم والآنار على قول البحري من قصيدة
يرثي بها المتوكل

محل على العاطول أخلق دائره * وعادت صروف الدهر جيشا تغادره
كان الصبا نوفي ندورا اذا انبرت * تراوحه أذيالها وتبا كره
ورب زمان ناعم تم عهد * ترق حواشيه ويونق فاضره
تغير حسن الجعفري وأنسه * وقوض بادي الجعفري وحاضره
تعمل عنه ساكنوه بقاءة * فعادت سواد دوره ومقامه
اذا نحن زرناء أجد لنا الامسى * وقد كان قبل اليوم يبهج زائره
ولم أنس وحش القصر اذ ربع سربه * واذا دعرت أطلاؤه وجاذره
واذ صبح فيه بالرحيل فهتكت * على عجل أستاره وستاره
وأوحشه حتى كأن لم يكن به * أنيس ولم تحسن لعين مناظره
كان لم تب فيه الخلافة طلاقة * بشاشتها والملك يشرق زاهره
ولم تجمع الدنيا اليه بهاءها * وبهجتها والعيش غص مكاسره
فأين الحجاب الصعب حيث تمتعت * بهيبتها أبوابه ومقامه
وأين عبيد الناس في كل نوبة * تنوب وناهي الدهر فيهم وآمره

وعلى قول أبي اسحق بن خفاجة الاندلسي

ومرتبع حططت الرجل فيه * بحيث الظل والماء القراح

تخترم حسن منظره مليك * تخترم ملكه القدر والمناح
 فخرية ماء جدد وله بكاء * عليه وشد وطائر نواح
 وهذا النوع من البكاء على الدمن والتأسف على ما فعلت بها أيدي الزمن كثير جدا
 لا يعرف الباحث عنه له حدا وذلك لشدة ولوع النفوس بذكر أحبابها وحنينها الى
 أماكنها التي هي موطن أطرابها ولهذا اقتصرنا على هذه التبعة القليلة وجعلنا هاتبة
 يشقى المشوق بها غليله وقد ذكره بعض العقلاء التأسف على الديار لعلمهم انه لا يجدي ولا يدفع
 عادية الدهر الخون ولا يعدي ونموا عنه لما فيه من تجديد المصائب المجرع لصاحبه
 الصاب والاوصاب قال أبو عمر بن عبد البر

عفت المنازل غير أرسى دمنة * حبيتها من دمنة ورسوم
 كم ذا الوقوف ولم تقف في منسك * كم ذا الطواف ولم تطف بحريم
 فكل الديار الى الجنائب والصبا * ودع القفار الى الصدى واليوم

اتمى كلامه رحمه الله تعالى بأكثر لفظه مع بعض اختصار * (رجع الى قرطبة فنقول) وقد
 أتم لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى بذكر قرطبة وبعض أوصافها في كتاب له كتبه
 على لسان سلطانه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكرناه بجملة في الباب الخامس
 من القسم الثاني فليراجع ثم ونص محل الحاجة منه هنا ثم كان الغزو الى أم البلاد
 ومثوى الطارف والتلاد قرطبة وما قرطبة المدينة التي على عمل أهلها في القديم بهذا
 الاقليم كان العمل والكرسى الذي بعصاه رعى الهمل والمصر المعمور الذي في خطه
 الناقة والجل والافق الذي هو لشهر الخلافة العثمانية المحل تخيم الاسلام في عهدها
 المستباحه وأجاز نهرها المغنى عن السباحه وعم دوحها الاشب بوارا وأدار المحلات
 بسورها سوارا وأخذ بمخنتها حصارا وأعمل النصر بشجرة أصلها اجتناعا ماشاء واحتصارا
 وجندل من أبطالها من لم يرض ان يجرأ فأعمل الى المسلمين احصارا حتى قرع بعض
 جهاتها غلا بجاهارا ورفعت الاعلام اعلا ما بعز الاسلام واطهارا فلولا استهلال
 الغوادي وان آتى الوادي لافضت الى فتح الفتوح تلك المبادى ولقضى نفسه العاكف
 والبادى انتهى * (ومما كتب به لسان الدين رحمه الله تعالى في وصف هذه الغزوة لسلطان
 بنى مرين على لسان صاحب الاندلس ماضوته * المقام الذى نطالعه بأخبار الجهاد
 ونهذى اليه عوالى العوالى صحيحة الاسناد ونبشره بأخبار الفتح البعيد الاماد ونسأل
 الله تعالى دوام الاسعاد والامداد ونرتقب من منيع الله تعالى على يديه تكييفا بخسرق
 حجاب المعتاد وامتعاضا بطلع بافاق البلاد نجوم غرر الجياد ويفتح أبواب الفتوح
 بأقاليد السيوف الحداد وينبئ عن مكارم من سلف من الآباء الكرام والاجداد
 مقام محل اخينا الذى نستفتح له بالفتح الظهور ونهذى الى مجده لما نعلم من فضل نيته
 وحسن قصده لطائف السرور ونستظهر بملكه المؤيد المؤمل ونجده المتهور وتوعد
 منهم العمد والحيث المدخور والولى المنصور السلطان الكذا ابن السلطان الكذا
 ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى على القدر قرير العين منشرح الصدر ولا زال

حديث غرر من غرر السير الشمر والبدر عظم سلطانه الخلق بالتعظيم الوائق منه بالذخر
الكريم المتقى على مجده العقيم وفضله العقيم أمير المسلمين عبد الله الغنى بالله محمد بن أمير
المسلمين أبي الحجاج بن أمير المسلمين أبي الوليد اسمعيل بن فرج بن نصر سلام كريم برعميم
يخص مقامكم الاعلى واخوتكم الفضلى ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله رب العباد
وملهم الرشاد ومكيف الاسعاف والاسعاد الولي النصير الذي نلقى الى التوكل عليه
مقابل الاعتماد ونغذ الى التجادة وامداده أيدي الاعتماد ونرفع اليه أكف الاعتماد
ونخصر لوجهه الكريم عمل الجهاد فنعرف عوارف الفضل المزداد ونجتني ثمار النصر
من أغصان القنا المناد ونجتلي وجوه الصنع الوسيم أيهم من وجه الصباح الباد وتظفر
بالنعيم العاجل في الدنيا والنعيم الآجل يوم قيام الاشهاد وتتفيا ظلال الجنة من تحت
اوراق السيوف الحداد والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله النبي الهادي رسول
المهمة المؤيد باللائكة الشداد ونبي الرحمة الهامية العهد أكرم الخلق بين الراعي
والغاد ذي اللواء المعقود والحوض المورد والشفاعة في يوم التناد الذي يجياه
نجدع أنوف الاساد يوم الجلال ويبركته تال أقصى الامل والمراد وفي مرضاته نصل
أسباب الوداد فنعود بالتجر الرابع من مرضاة رب العباد ونستولى في ميدان السعادة
المعادة على الآماد والرضى عن آله وصحبه وأنصاره وحزبه الكرماء الاجداد دعائم الدين
من بعده وهداة العباد أنجاد الانجاد وآساد الاساد الذين ظاهروا في حياته بالعلوم
الراجعة الاطواد والبسالة التي لا تنال بالعدد في سبيل الله والاعداد حتى بوق الاسلام
في القواعد الشهيرة والبلاد وأرغوا أنوف أهل الجحد والاحاد فأصبح الدين رفيع
العماد منصور العساكر والاجناد مستصحب العز في الاصدار والاراد والدعاء
لما لكم الاعلى بالسعد الذي يغنى عن اختيار الطواع وتقويم المبلاد والنصر الذي تشرق
أنبأؤه في جنح ليل المسداد والصنع الذي تشرع له أبواب التوفيق والسداد من حراء
غرناطة حرسها الله واليسر قد وطأ المهاد والخير واضح الاشهاد والحمد لله في المبدأ
والمعاد والشكر له على آلائه المتصلة الترداد ومقامكم الذخر الكافي العناد والمردد
المتكفل بالانجاد والى هذا وصل الله سعدكم وحرس مجدكم ووالى نصركم وعضدكم
وعددكم وعددكم وبلغكم من فضله العقيم أملككم وقصدكم فائنا نؤثر تعريفكم بتافه
الترديدات ونورد عليكم أشنات الاحوال المتجددات اقامة لرسم الخلوص في التعريف
بما قل ومودة خالصة في الله عز وجل فكيف اذا كان التعريف بما تهتز له منابر الاسلام
ارتياح الوروده وتنشرح الصدور منه لواقع فضل الله وجوده والمكيفات البديعة الصفات
في وجوده وهو أنساقنا اعلامكم بما نؤيناه من غزو مدينة قرطبة أم البلاد الكافرة
ومقر الحامية المشهودة والخيرات الوافرة والقطر الذي عهد به بالمام الاسلام متقاد
والركن الذي لا يتوقع صدمة صادم وقد اشتعل شوره من زعماء مله الصليب على كل
رئيس رئيس وهز برئيس وذي مكرو تليس ومن له سمعة تذيب مكانه وتشيعه وأتباع
على المنشط والمكروه تطيعه فاستدعينا المسلمين من أقاصى البلاد وأذعنا في الجهات

نفير الجهاد وتقدمنا الى الناس بسعة الازواد وأعطينا الحركة التي يخلف المسلمون فيها ورأى هم جهـور الكفر من الاقطار والاعداد حقهـا من الاستعداد وأقصينا العطاء والاستلحاق والاستركاب في أهل الغناء وأبطال الجهاد والجلاد فحشرنا خلق في سعيد وأخذوا الالهية والزينة في عيد سعيد وشمل الاستدعاء كل قريب وبعيد عن وعد ووعد ورحلتنا وفضل الله شامل والتوكل عليه كاف كافل وخيما بظاهر الحضرة حتى استوفى الناس آراهم واستكملوا أسرارهم ودسنا منهم بلاد النصارى بجموع كثرها الله وله الحمد وأنعمها وأبعد في القماس ما عنده من الابحر منقماها وعشد ما حللنا قاشرة وجدنا السلطان دون بطرة مؤمل نصرنا وانجنادنا ومستعيد حظه من مواقع جهادنا ومقتضى دين كدحه باعائتنا اياه وانجنادنا قد نزل بظاهرها في محلات من استقر على دعوته وتمسك بطاعته وشمله حكم جماعته فكان لقائنا اياه على حال أقرت عيون المسلمين وتكفلت باعزاز الدين ومجملها يغنى عن التعيين والشرح والتبيين ورأى هو ومن معه من وفور جيش الله ما هالهم وأشك في حال البيقظة خيالهم من جموع تسد الفضا وأبطال تقارع أسد الغضى وكاتب منصوره ورايات منشورة وأم محشورة تفضل عن مرأى العين وتردى العدو في مهاوى الحين فاعترفوا بما لم يكن في حسابهم واعتبر في عزة الله سبحانه أولوا الباهم وإذا كثر الله تعالى العدو غماوزكا وإذا أزاح العلل ما اعتذر غار ولا شكا وسالت من الغد الاباطح بالاعتراف وسمت الهواذى الى الاستشراف وأخذ الترتيب حقه من المواصل الجهادية والاطراف وأحكمت التعيين التي لا ترى العين قيم اخلا ولا يجد الاعتبار عند هاد خلا وكان النزول على فرسخ من عدوة النهر الاعظم من خارج المدينة أنجز الله تعالى وعد دمارها وأعادها الى عهدا في الاسلام وشعارها ومحافظ الام الكفر من آفاقها لاله الاسلام وأنوارها وقد برزت من حاميتها شوكة سابعة الدروع وافرة الجوع واستحمت من أسوار القنطرة العظمى بجمي لا يخفى وأخذ عقابها من الحماة والكافة العدو الاوفر فبادر اليهم سرعان خيل المسلمين فصدقوهم الدفاع والقراع والمصال والمصاع وخالطوهم هـبـا بالسيوف ومباكرة بالحتوف فتركوهم حصيدا وأذاقوهم وبالاشديدا وجدلوا منهم بجملة وافرة وأتت ككافرة وملكوا بعض تلك الاسوار فارتفعت بها راياتهم الخافقة وظهرت عليها عزما تهم الصادقة واقبح المسلمون الوادى سيما في غمره واستهانة في سبيل الله بأمره وخالطوا حامية العدو في ضفته فاقبلعوها وتعلقوا بها وائل الاسوار ففرعوها فلو كفى ذلك اليوم على عزم من القتال وتيسير الآلات وترتيب الرجال لدخل البلد وملأت الاهل والولد لكن أجاز الكفار من الليل ككافر وقد هلك منهم عدد وافر ورجع المسلمون الى محلاتهم ونصر الله سافر والعزم ظافر ومن الغد خضنا البحر الذي جعلنا العزم فيه سفين والتوكل على الله للبلاغ ضمينا ونزلنا من صفوة القوى العزيز منزلا عزيزا مكنينا بحيث يجاوز سورها طنب القباب وتصيب دورها من بين الخيمات بوارق النشاب وبرزت حاميتها على متعددات الابواب مقيمة أسواق

الطعان والضراب فآتت بصفقة الحسر والتباب ولما شرعنا في قتالها وربنا أشتات
 النكبات لنكالها وان كالم نبق على مطاولة نزالها أنزل الله المطر الذي قدم بهاده
 العهد وسأوى النجد من طوفانه الوهد وعظم به الجهد ووقع الابقاء على السلاح
 والكف بالضرورة عن الكفاح وبلغ المقام عليها والاخذ بمنحنتها والثواء لديها خسة
 أيام لم تخل فيها الاسوار من اقتراع ولا الابواب من دفاع عليها وقراع وأنفذت مقاتل
 الستائر أنقبا وارقب الفتح الموعود ارتقبا وفشت في أهلها الجراح والعيث
 الصراح وساء لهم المساء بعزة الله والصبح ولولا عائق المطر كان الاجهاز
 والاستفتاح والله بعدها الفتح وصرفت الوجوه الى تخريب العمران وتسلط
 النيران وعقر الاشجار وتعقبة الآثار وأتى منها العفاء على مصر الشهير في الامصار
 وترك زروعها المائحة عبرة للابصار ورحلنا عنها وقد ألبسها الدخان حدادا ونكس
 من طغاتها أجيادا فاعتادت الذل اعتيادا وألفت الهون قيادا وكادت أن تستباح
 عنوة لولا أن الله تعالى جعل لها ميعادا وأتى القتل من أبطالها ومشاهير رجالها
 بمن يارزويناطح ويماسي بالناس ويصاح على عدد جثم أخبرت سيماهم المشهورة
 بأسمائهم ونبهت علاماتهم على نباهاتهم وظهر اقدام المسلمين في المعارك وبروزهم
 بالحدود المشتركة وتنفيذهم الاسلاب وقودهم الخيل المسومة قود الغلاب وكان
 القبول وقد شمل الامن والقبول وحصل الجهاد المقبول وراع الكفر العز الذي
 يهول والاقدام الذي شهدت به الرماح والخيول وخاض المسلمون من ذرع الطرق التي
 ركبوها والمنازل التي استباحوها واتهبوها بجواربعدها الساحل وفلاحة مورة
 تتعد فيها المراحيل فصبروها صريحا وسلطوا عليها النار غريحا وحاولوا بظاهر حصن
 اندجرو قد أصبح ما لف ادمار غير أو شاب ووكر طير شاب فلما بلونا مراسه صعبا
 وابراجيه ملئت حرسا شديدا وشبها ضننا بالنفوس أن تفيض دون افتتاحه فسلطنا
 العفاء على ساحه وأغرينا الغارات باستيعاب ما باحوا زهواكتساحه وسلطنا النار على
 حزنه وبطاحه وألصقنا بالرغام ذواتب أدواحه وانصرقنا بفضل الله والمناجل داميه
 والاجور فاميه وقد وطمنا المواطئ التي كانت على الملوك قبلنا بسلا ولم نترك بها حرقا
 يرفد ولا نسلا ولا ضرعا يرسل رسلا والحمد لله الذي يتم النعيم بحمده ونسأله حله النصر
 فما النصر الامن عنده عرفناكم بهذه الكيفيات الكريمة الصفات والصنائع الروائع
 التي بعد العهد بمنزلها في هذه الاوقات علما بأنها لديكم من أحسن الهديات الوديات
 ولما نعلمه لديكم من حسن النيات وكرم الطويات فانكم سلاة الجهاد المقبول والرفد
 المبذول ووعد النصر المفعول ونرجوا الله عز وجل أن ينتقل خيالكم للمعاهد
 الجهادية الى المعايمة ونصر الملة المحمدية وأن يجمع الله بكم كلمة الاسلام على عبدة
 الاصنام ويتم النعمة على الانام وودنا لكم ما علمتم يزيد على عمر الايام والله يجعله
 في ذاتكم متصل الدوام مبلغا الى دار السلام وهو سبحانه يصل سعدكم ويحرس
 محكم ويضاعف الالاء عندكم والسلام الكريم يحبككم ورحمة الله وبركاته انتهى

* (ومن هذا المنحى ما كتب به لسان الدين رحمه الله تعالى عن سلطانه ونصه المقام الذى
أحاديث سعادته لا تقل على الاعادة والتكرار وسيل مجادته الشهيرة أوضع من شمس
الظهيره عند الاستظهار وأخبار صنائع الله الملكة وتظم فرأى الآمال فى سلكه تحلدها
أقلام الاقدار بمداد الليل فى قرطاس النهار وترسمها بذهب الاسفار فى صفحات
الاقار وتجعلها هجى حلاء الاسفار وحداة القطار فى مسالك الاقطار مقام محل
أخينا الذى نلذعة هنائه مع الاعادة وتلقى أنباء عسلاته بالاذاعة والاشادة ونطرز
بأعلام ثنائه صحائف المجادة ونشكر الله أن وهب لنا من اخوته المضافة الى المحبة والودادة
ما يرجح فى ميزان الاعتبار أخوة الولادة وعرفنا بين ولايته عوارف السعادة السلطان
الكذاب السلطان الكذاب السلطان الكذاب الله تعالى فى أعلام الملك السعيد بيت
القصيد ووسطى القلادة ومجلى الكمال الذى بارى عيوان بأسه وجوده جنس الأباداة
والافادة ولا زالت آماله القاصية تنشال طوع الارادة وبين نقيته يجمع من أشنات
الفتوح والعز الممنوح بين الحسنى والزيادة معظم سلطانه العالى المتنى على مجده
المرفوع اسناده فى عوالى المعالى المسرور بما يسنيه الله له من الصنع المتوالى والفتح
المقدم والتالى أمير المسلمين عبد الله الغنى بالله محمد بن أمير المسلمين أبى الحجاج بن أمير
المسلمين أبى الوليد بن فرج بن نصر أيد الله امره وأسعد نصره سلام كريم يتأرجح فى الافاق
شد أطيبه وتسمع فى ذروة الود بلاغة خطيبه ويتضمن نوره سواد المداد عند مراسلة
الوداد فيكاد يذهب بعبوسة الجهول وتقطيبه ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله فأنح
الابواب بمقاليد الاسباب مهمما استصعبت وميسرا الامور بحكم المقدور اذا
أجهدت الحيل وأنعت مخدعير ان القن ما التهب وجامع كلمة الاسلام وقد تصدعت
وتشعبت ومسكن رجفان الارض بعدما اضطربت ومحبيها بعهاد الرحمة مهما اهتزت
وربت اللطيف الخبير الذى قدرت حكمته الامور وربت منى كل نفس الى ما خطت
الاقلام عليها وكتبت ونفت وأوجبت وشأت وأبت ومجازيها يوم العرض بما كتبت
والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسول الله هارم الاحزاب لما تألفت وتألقت
وجاب الخنف اليها عندما أجلبت رسول المحمة اذا اللبث وثبت ونبي الرحمة التى
هيأت النجاة وسيت وأبلغت النفوس المطمئنة من السعادة ما طلبت ومدادى القلوب
المريضة وقد انتكبت وانقلبت بلطائفه التى راضت وهذبت وقادت الى الجنة العليا
واستجلبت وأدت عن الله وأدت الذى يجباهه نستكشف الغماء اذا أطنبت
ونستوكف النعماء اذا أخلفت البروق وكذبت وتحاب فى طاعته ابتغاء الوسيلة
الى شفاعته فنقول وجبت حسبائيت والرضاعن آله وأصحابه وأنصاره وأحزابه
التي استحققت المزية المرضية واستوجبت لما انتهت الى كماله واتسبت ويذل نفوسها
فى الله وممرضاته تقربت والى نصرته فى حياته اتسدت والمناصل قد رويت من دماء
الاعداء وأخضبت وخلفته فى أمته بعد مماته بالهمم التى عن صدق اليقين أعربت
قد اعث لجهاذة الكفار واتسدت وأبعدت المعار وادرت حتى بلغ ملك أمته

قوله وأخضبت هكذا فى نسخة
وهى أنسب بقوله رويت وفى
أخرى واخضبت اه

أقاصي البلاد التي نبت فكسرت الصلب التي نصبت ونعلت التيجان التي عصبت ماهمت
السحب وانسحبت وطلعت الشمس وغربت والدعاء لمنابة لكم العليا بالنصر العزيز كلما
جهزت الكتاب وتكثرت والفتح المبين كلما ركنت عقائل القواعد اذا خطبت والصنائع
التي مهمما حدثت فيها العميون تعجبت أوجالت في لطائفها الأفكار فاستطابت مذاق
الشكر واستعذبت حتى تنجز لكم مواعيد النصر فقد اقترت فانا كتبنا اليكم
كتب الله لكم أغيا ما سألت اللسان السائلة واستوعبت من جرائع غرناطة حرسها الله
تعالى وجنود الله بفضل الله تعالى ونعمته قد غلبت وفقت وسلبت وأسود جهاده
قد أردت الأعداء بعدما كلبت ومراعى الآمال قد أخضبت والحمد لله جدا يجالو
وجوه الرضا بعدما احتجبت ويفتح أبواب المزيد كلما استقبلها الأمل رحبت
والشكر لله شكرا يقيده شوارد النعم بما أبقت وما هربت والى هذا وصل الله لمقامكم
أسباب الظهور والاعتلاء وعرفكم عوارف الآلاء على الولاء فأتنا ما ورد
علمنا كتابكم البر الوفاة الجمة الافادة الجامع بين الحسن والزيادة جالى غرة الفتح
الاعظم من ثنایا السعادة وواهب المن المتاحه وواصف النعم المعادة فأوقفنا من رقه
المنشور على تحف سنیه وأمانی هنیة وقطاف للنصر جنية ضمنت سكون البلاد وقرارها
وأن الله قد أذهب الفتن وأوارها وأخذ نارها ونضح عن وجه الاسلام عارها وجمع
الاهواء على من هو به السعادة بعد أن أجهد اختيارها فاصبح الشيت مجتمعا وجنح
الجناح مرتفعا والجبل الخفاف خاشعا منصدا وأصبح في القياد من كان مقنعا
فاستوثقت الطاعة وتبججت السنة والجماعة وارتفعت الشناعة وتمسكت
البلاد المكروه بأذيال ولهم المارأته وعادت الاجياد العاطلة الى حليها بعدما أنكرته
أجلنا جيا د الاقلام في ملعب الهناء وميدانه لا قول أوقات امكانه على بعد مكانه
وأجهدنا عبارة الكلام في اجلال هذا الصنع وتعظيم شأنه وأغرينا الشناء بشيم
مجدكم في شرحه لنا وبيانه رأينا أن لا تمك ذلك الى المبراع ونفرد فيه بالاجتماع
وما يعم طاه من منة الذراع وأن نشد تبرده من المشافهة أزره ونعقد بين من اللسان
أمره فعيننا ذلك من يفسر منه الجمل ويمهد المقصد المعمل حتى يجمع بين اغراض البر
والعلن منه والسر ويقيم شتى الأدلة على الوداد المستقر ووجهنا في عرض الرسالة به
اليكم واخترنا لشرح به بين يديكم خطيب الوفود وبركة المشايخ في هذا المقام
المجود الشيخ الجليل الشهير الكبير الصالح الفاضل أبا البركات ابن الحاج وصل
الله حفظه وأجزل من الحمد والالطف حفظه وهو البطل الذي لا يعلم الا جالة في الميدان
ولا يصبر بوظائف ذلك الشأن ومرادنا منه أن يطيل ويطيب ويجيل في وصف محاسنكم
اللسان الرطيب ويقرر ما عندنا لمقامكم من التشيع الذي قام على الحب المتوارث
أساسه واطرد حكمه وأنتج قياسه وليجعل تلوم مقصد الهناء بمجلسكم الباهر السناء
الصارف الى الجهاد في سبيل الله والفناء وجه التهم والاعتناء على مزايا الآثاء ما يتجدد
لدينا من الانباء في جهاد الأعداء وان كان رسولكم أعزه الله تعالى قد شاركت في السرى

والسير وعن الطير وأغنى في الحكاية عن الغير فلا سرف في الخير وهو أثم لما انصرفنا
 من منازلة قرطبة نظر اللشود التي نفذت معدات أزوادها وشابت به شيم الغلة
 المستغلة مفارق بلادها واشفاقا لفساد أقواتها بقوات أوقاتها رحلتا عنها وقد
 انطوي بنا من اعفاء أكثر تلك الزروع المائلة الفروع المائلة الروح على هم مض وأسف
 للمضاجع مقص إذا كان عاذل المطري كنف السنة النار عن المبالغة في التهايب وخلاق
 اهايبها ونفض أغوارها ونهب شوارها واذاعة أسرارها وهي البحور المظلمة
 اذا حطمتها الرياح الحاطمة واللجج الزائرة اذا تركتها السواقي الماخرة نود العيون
 أن تتحدى حدودها القاصية فلا تطيق والركائب الراسكة أن تشرف على غاياتها
 فيفضل عن مرادها الطريق قد جعلها الريح أرزاقا تغص بها الخزائن والاطباق
 وحبوبها مفضلة لا يرزوها الانفاد والاتفاق ولواعصت على اتسافها الاتفاق
 نخفنا في سبيل الله لتعقيب غزواتك الاقطار المخالفة بحق الصائفة واعانة تلك الطائفة
 يكوم الجماع الحائفة خفوا لم تقنع فيه بالاستنابة حرصا على استئصال الصباية وأعفينا
 الرحل من اتصال الكد وقابلنا قبولهم على استصحابنا فيها بالرد وأطللنا على
 قرطبة بمحلاتنا نسف الجبال نسفا ونم الأرض زلا لا وخسفا ونستقرى مواقع
 البذر احتراقا ونحترق أجوابها المحترقة بحب الحصيد احتراقا ونسلط عليها من شرر النار
 أمثال الجبال الصفر مدت من الشواظ أعناقها ونوسع القرى الواسعة قتلا واسترقاقا
 وندير على مستديرها كؤس الخوف دهاقا وأخذت النيران واديها الاعظم من كلا جانبيه
 حتى كأن العيون أحت سبيكته فاستحالت وأذابت صفحته فسالت وأتت الكفار
 سماؤهم بالدخان المبين وصارت الشمس من بعد سفورها وعموم نورها منقبة المحيا
 معصبة بالبين وخضنا أحشاء الغريرة نعم أشتات النعم اتسافا وأقوات أهلها اتلافا
 وآمال سكانها اخلافا وقديمتها السرعة الرجوع ودهش والوقوع الجوع وتسبيب
 تخريب الربوع فن المنكر البعيد أن يتأني بعد عمرانها المعهود وقد اصطم الزرع واجتث
 العود وصار إلى العدم منها الوجود ورأوا من عزائم الاسلام خوارق تشذ عن نطاق
 العوائد وعجائب تستريب فيها عين المشاهد اذا شمل هذا العام المتعرف فيه من الله
 تعالى الانعام على غرفات أربع دمرت فيها القواعد الشهيرة تدميرا وعلا فوق مراقبها
 الاذان عزيزا جهيرا وضويقت كرامى الملك تضيقا كبيرا وأذيق وبلا مبيرا ورياح
 الادالة ان شاء الله تعالى تستأنف هبوبا وبأسا مشبوبا والثقة بالله قد ملأت نفوسا
 مؤمنة وقلوبا والله سبحانه المسؤول أن يوزع شكر هذه النعم التي أثقلت الاكباد وأيهظت
 الطواق المعتاد وايهجت المشيم والمرتاد فبالشكر يستدر فريدها ويتوالى تجديدها
 وقطعنا في محبوبته تلك العمالة المستجرة العماره والفلج المغنى وصفها عن الشرح والعبارة
 مرادنا ختمنا بالتعريج على حرب جيان حربها فقللنا ثمانية غربها وجددنا كربها
 واستوعبنا حرقها وخربها ونظمنا البلاد في سلك البلاء وحششنا في أنجادها وأغوارها
 ركائب الاستيلاء فلم نتركها ملقطا طير فضلا عن معاف غير ولا أسأرنا لغلها المحروب بلالة

خير وقفنا وقد تركنا بلاد النصارى التى منها لكادنا المدد والعتدة والعدد وفيها الخصاص
واللدد قد لبست الحداد حريقا وسلكت الى الخلاء والجلاء طريقا ولم تترك لهما مضغة
تخال طريقا ولا نعمة تصون من الفراق فريقا وما كانت تلك النعم لولا أن أعان الله
تعالى من عنصري النار والهواء بجنود كونه الواسع ومدركة البعيد الشاسع لتولى
الأيدي البشرية تغريها ولا ترزا كثيرها الالتحاح بالاعتراف غديرها بل لله القدرة
جميعا فقدرته لا تصاحى ريعا ولا حتى مريعامنيها وعدنا والعود في مثلها أحمد وقد بعد
من شفاء النفوس الأمد ونسخ بالسرور الكمد ورفعت من عز الاسلام العمدة والحمد لله
جد الشاكرين ومنه نلتس عادة النصر على أعدائه فهو خير الناصرين عرفناكم به
ابسم ربكم المتين ومحمدكم الذى راقى منه الجبين والله يصل سعدكم ويحرس مجدكم
ويبلغكم أملاككم من فضله وقصدكم بمنه وطوله والسلام الكريم بخصكم ورحمة الله تعالى
وبركاته انتهى * (رجع الى ما كتابي له) من أخبار قرطبة الجليلة الوصف وذكر جامعها
البديع الاتقان والرصف فنقول قد شاع وذاع على ألسنة الجمل الغفير من الناس
في هذه البلاد الشرقية وغيرها أن في جامع قرطبة ثلثمائة وثمستين طاقا على عدد أيام
السنة وأن الشمس تدخل كل يوم من طاق الى أن يتم الدور ثم تعود وهذا شئ لم ألق عليه
في كلام المؤرخين من أهل المغرب والاندلس ولو كان كما شاع لذكروه وتعرضوا له لانه من
أعجب ما يستطرع انهم ذكروا ما هو دون ما الله أعلم بحقيقة الحال في ذلك وستأتى
في الباب السابع رسالة الشقندي الطويلة وفيها من محاسن قرطبة وسائر بلاد الاندلس
الظم والرم وقد ذكرنا في الباب الاول جملة من محاسن قرطبة فأغنى ذلك عن اعادة ما هنا
على أن رسالة الشقندي تكثر فيها بعض ما ذكرناه لاننا لم نرد أن نخجل منها بحرف فأتينا بها
بلفظها وان تكثر بعض ما فيها مع بعض ما أسلفناه والعذر واضح للمنصف المقتضى
والله نسأل سلوك السبيل الذى يرضى عنه وكرمه * وقال صاحب نشق الازهار ان
في جامع قرطبة تنورا من نحاس أصفر يحمل ألف مصباح وفيه أشياء غريبة من المصناعات
الحجبية يجز عن وصفها الواصفون قبل أحكم عمله في سبع سنين وفيه ثلاثة أعمدة من
رخام أحمر مكتوب على الواحد اسم محمد وعلى الآخر صورة عصا موسى وأهل الكهف
وعلى الآخر صورة غراب نوح عليه الصلاة والسلام الثلاثة خلقها الله تعالى ولم يصنعها
صانع انتهى قلت لم أر أحدا من محققى المؤرخين للاندلس وثقاتهم ذكروا هذا على قلة
اطلاعى وهو عندى بعيد لانه لو كان ذكروه الأئمة * وقد حكى عباس في الشفاء
أشياء وجد عليها اسم نبينا صلى الله عليه وسلم ولم يذكر هذا ويستبعد أن يكون بجامع
قرطبة ولا يذكره والله تعالى أعلم بحقيقة الامر * وقال في موضع آخر من هذا الكتاب
ان دوو قرطبة أربعة عشر ميلا وعرضها ميلان وهى على النهر الكبير وعليه جسران وبها
الجامع الكبير الاسلامى وبها الكنيسة المعظمة بين النصارى وبهذه المدينة معدن الفضة
ومعدن الشاذنج وهو حجر من شأنه أن يقطع الدم وكان يجلب منها البغال التى تباع كل
واحدة منها بخمسة مائة دينار من حسناتها وعلوها الزائد انتهى * (رجع الى أخبار

البنيان) ولا خفاء أنه يدل على عظم قدرانيه ولذلك قال أمير المؤمنين الناصر المرواني -
باني الزهراء رجه الله تعالى حسبا نسبهم ماله بعض العلماء وبعض ينسبهم ما لغيره وسيأتي بيان
في ترجمة نور الدين بن علي - منسوين

هم الملوك اذا أرادوا ذكرها * من بعدهم فبالسن البنيان
ان البناء اذا تعظم قدره * أضحي يدل على عظيم الشأن
وتذكر هنا قصيدة قالها بعض الشاميين وهو الاديب الفاضل الشيخ أسد بن معين الدين
مما يكتب على أبراج دار الحسيب النسيب الشهير البيت الكبير الحى والميت القاضي
عبد الرحمن بن الفرفور الدمشقي - وضمنها بيتي الناصر المذكورين

زرجلسا أضحي أعز مكان * وحمل أهل العلم والعرفان
المجد خيم في ذرى أبراجه * والسعد عبيد الباب طول زمان
كانلدم رفوع البناء وأرضه * مفروشة بالدر والعقبان
بيت به نخر البيوت لانه * بيت القصيد ومنزل الضيفان
مغنى فسيح فيه معنى مقصم * عن قدرانيه بغير لسان
قد قال بعض ذوى الفضائل قبلنا * قولا بدعا واضح التبيان
هم الملوك اذا أرادوا ذكرها * من بعدهم فبالسن البنيان
ان البناء اذا تعظم قدره * أضحي يدل على عظيم الشأن
قد شاده من ساد أهل زمانه * بالاصل والافضال والرحمان
ورث السيادة كبرا عن كابر * وسما برفعته على كميوان
قاضي القضاة ومفخر العصر الذي * قد جاء فيه سابق الاقران
في العلم بحر لا ينال قراره * في الحكم مثل مهند وسنان
يروي عطاء عن يديه قد اقتنى * آثار آباء ذوى احسان
لا زال يبق شأنايت العلا * وعس دوره في الوهن والنقصان
يا أيها المولى الذي يجري مع الاقبال والاسعاد طلق عنان
دم شاخ المقدار مرتفع البنا * والناس تحت رضاك كالغلمان
مقتعا بينك سادات الورى * في عـزوب دائم السلطان
ما رجع القهـرى في تغريده * في الروض فوق منابر الاغصان

وكان القاضي عبد الرحمن بن فرفور المذكور عالى الهمة تضيق يده عما يريد فلذلك
كان كثيرا ما يث شكواه في الطروس والدفاتر ويعتب على الزمان الذي أخنى على
أهل الادب وقطع آمالهم بحسامه الباتر ويرحم الله القتائل

هذا زمان دريهى لا غيره * قدع الدفاتر للزمان القاتر
فن نظم المذكور وقد أبطأ بجزء استعاره من بعض اخوانه فكتب اليه معتذرا وأدج
شكوى الزمان الذى كان من شناعة الاعداء به حذرا

أبطأت في ذا الجزء ياسيدي * كتابة من جورده ر بغيض

صبرته فالجسم متى لقي * تجلدا والقلب متى مريض
 فاذا أبي الا تسلا في وقد * أحلى منى منه محل النقيض
 واقتادني قسرا الى مصرع * قد رقى منه اللحم والعظم هيض
 سلت للاقدار مستسرعا * لباب مولى ذى عطاء عريض
 جوم صبر كنت أسطوبه * على روايا الدهر بالهم غيوض
 فلانلم يا صاح من بعد ذا * اذا تاملت بحال الجريض
 ورأيت بخطه رحمه الله تعالى مما نسبته جده القطب الخيضرى الحافظ لبراهيم بن نصر
 الجوى ثم المصرى المعروف بابن الفقيه

يا زمانا كلما * ولت أمرا يتنزع
 ان تعصبت فاني * يا صطبارى أقتنع

وهذه تورية بديعة للغاية فى التعصب والتقنع مع حلاوة النظم وجودة السبك وخفة الوزن
 والله سبحانه يروح تلك الارواح فى الجنان ويعاملنا واياهم بمحض الفضل والامتنان
 ويكفيننا شجون دهر جري بنا طلق العنان (رجع الى ما كنا فيه) وكنت وقفت فى كلام
 بعض العلماء على أن البيتين السابقين المنسوبين الى أمير المؤمنين الناصر المروانى رحمه
 الله تعالى قالهما فى الزهراء التى بناها وسيأتى ذكرها قريبا وقال الشيخ سيدي
 محي الدين بن العربى فى المسامرات قرأت على مدينة الزهراء بعد خرابها وصيرورتها
 ماوى الطير والوحش وبنائها بحبيب فى بلاد الاندلس وهى قرية من قرطبة أياتا تذكر
 العاقل وتنبيه الغافل وهى

دياربا كاف الملاعب تلعب * وما ان بهامن ساكن وهى بلقعب
 ينوح عليها الطير من كل جانب * فيصمت احياها وحينما يرجع
 نقاطبت منها طائرا متغردا * له شجن فى القلب وهو مروع
 فقلت على ما ذات نوح وتشتكى * فقال على دهر مضى ليس يرجع

(ثم قال) وأخبرنى بعض مشايخ قرطبة عن سبب بناء مدينة الزهراء أن الناصر مات له
 سرية وتركت مالا كثيرا فأمر أن يفك بذلك المال اسرى المسلمين وطلب فى بلاد الافرنج
 أسيرا فلم يوجد فشكل الله تعالى على ذلك فقالت له جارية الزهراء وكان يحبها حباشيدا
 اشتميت لو بنيت لى به مدينة تسميها باسمى وتكون خاصة لى فينساها تحت جبل العروس من
 قبله الجبل وشمال قرطبة وبينها وبين قرطبة اليوم ثلاثة اميال أو نحو ذلك وأتقن بناءها
 وأحكم الصنعة فيها وجعلها مستنزا ومسكنا للزهراء وحاشية أرباب دولته ونقش صورتها
 على الباب فلما قعدت الزهراء فى مجلسها انطرت الى بياض المدينة وحسنها فى حجر ذلك
 الجبل الاسود فقالت يا سيدي ألا ترى الى حسن هذه الجارية الحسناء فى حجر ذلك
 الزنجبى فأمر بزوال ذلك الجبل فقال بعض جلسائه أعيد أمير المؤمنين أن يخطر له ما يشين
 العقل سماعه لو اجتمع الخلق ما أزالوه حفرا ولا قطعوا ولا يزيله الا من خلقه فأمر بقطع
 شجره وغرسه تينا ولوزا ولم يكن منظرا أحسن منها ولا سيما فى زمان الازهار وتفتح

الاشجار وهي بين الجبل والسهل انتهى ببعض اختصار وقال ابن خلكان في ترجمة المعتمد بن عباد ما صورته الزهراء بفتح الزاي وسكون الهاء وفتح الراء بعدها همزة مدودة وهي من عجائب آنية الدنيا أنشأها أبو المظفر عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الملقب بالناصر أحمد مولد بني أمية بالاندلس بالقرب من قرطبة في أول سنة خمس وعشرين وثلثمائة ومسافة ما بينهما أربعة أميال وثلثمائة ميل وطول الزهراء من الشرق الى الغرب ألفان وسبعمائة ذراع وعرضها من القبلة الى الجنوب ألف وخمسمائة ذراع وعدد السوارى التي فيها أربعة آلاف سارية وثلثمائة سارية وعدد أبوابها يزيد على خمسة عشر ألف باب وكان الناصر يتقسم جباية البلاد أثلاثا فثلث للجند وثلث مدخر وثلث يتفقه على عمارة الزهراء وكانت جباية الاندلس خمسة آلاف ألف ألف دينار وأربعمائة ألف ألف وثمانين ألف دينار ومن السقوق المستخلصة سبعمائة ألف دينار وخمسة وستون ألف دينار وهي من أهول ما ابتلاه الانس وأجله خطرا وأعظمه شأنا ذلك كله ابن بشكوال في تاريخ الاندلس انتهى كلامه * وحكى في المطمح أن الوزير الكبير الشهير بالحزم بن جهور قال وقد وقف على قصور الامويين التي تقوضت أبنيتها وعوضت من أنيسها بالوحش أفنيها

قلت يوما لدار قوم تفانوا * أين سكانك العزاز علينا

فأجابت هنا أقاموا قليلا * ثم ساروا ولست أعلم أيننا

وفيه أن أبا عامر بن شهيد بات ليلة يا حدى كنائس قرطبة وقد فرشت بأضغاث آس وعزشت بسرور واتتناص وقرع النواقيس بهيج سمعه وبرق الجيا يسرع لعه والقس قد برز في عبدة المسج متوشح بالزنا وأبدع توشيح قد هجر والافراح واطرحوا النعم كل اطراح لا يعمدون الى ما بايلة الا اعترا فامن الغدران بالراح وأقام بينهم يعملها حيا كأنما يرشف من كأسها شفة لبيا وهي تتفتح له بأطيب عرف كلما رشفها أعذب رشف ثم ارتحل بعدما ارتحل فقال

ولرب حان قد شمت بديره * خرا الصبا من جت بصرف عصيره

في قسية جعلوا السرور شعارهم * متصاغر من تحت ما لك كبيره

والقس عما شاء طول مقامنا * يدعو بعود حو لنا بزورمه

يهدى لنا بالراح كل مصفر * كالخشف خفزه التماح خفيره

يتناول الظرفاء فيه وشربهم * لسلافهم والا كل من خنزيره انتهى

* (رجع الى آتباء الزهراء قال بعض من أرخ الاندلس كان يتصرف في عمارة الزهراء كل يوم من الخدام والفعلة عشرة آلاف رجل ومن الدواب ألف وخمسمائة دابة وكان من الرجال من له درهم ونصف ومن له الدرهمان والثلاثة وكان يصرف فيها كل يوم من الصخر المنحوت المعدل ستة آلاف صخرة سوى الآجر والصخر غير المعدل انتهى وسيأتى في الزهراء مزيد كلام وقال ابن حبان ابتداء الناصر بناء الزهراء أول يوم من محرم سنة ٣٢٥ وجعل طواها من شرق الى غرب ألفين وسبعمائة ذراع وتكبيرها تسعمائة

ألف ذراع وتسعون ألف ذراع كذا نقله بعضهم وللتنظير فيه مجال قال وكان يشيب على كل رخامة كبيرة أو صغيرة عشرة دنانير سوى ما كان يلزم على قطعها ونقلها ومونة حملها وجلب اليها الرخام الأبيض من المرية والمجوع من رية والوردى والآخر من افر يقية من اسفاقس وقرطاجنة والحوض المنقوش المذهب من الشام وقيل من القسطنطينية وفيه نقوش وتماثيل وصور على صور الانسان وليس له قيمة ولما جلبه أحد الفلاسوف وقيل غيره أمر الناصر بنصبه في وسط المجلس الشرقي المعروف بالمؤنس ونصب عليه اثني عشر تمثالا وبني في قصرها المجلس المسمى بقصر الخلافة وكان سمكه من الذهب والرخام الغليظ الصافي لونه المتلونة أجناسه وكانت حيطان هذا المجلس مثل ذلك وجعلت في وسطه البتمة التي أتحف الناصر بها أليون ملك القسطنطينية وكانت قرامدها هذا القصر من الذهب والفضة وهذا المجلس في وسطه صهريج عظيم مملوء بالزئبق وكان في كل جانب من هذا المجلس ثمانية أبواب قد انعقدت على حنايا من العاج والابنوس المصع بالذهب وأصناف الجواهر قامت على سوارى من الرخام الملون والبلور الصافي وكانت الشمس تدخل على تلك الابواب فيضرب شعاعها في صدر المجلس وحيطانه فيصير من ذلك نورا يأخذ بالابصار وكان الناصر إذا أراد أن يفرع أحدا من أهل مجلسه أو مأ إلى أحد صقالبته فيحرك ذلك الزئبق فيظهر في المجلس كلعان البرق من النور ويأخذ بمجامع القلوب حتى يحيل لكل من في المجلس ان المحلل قد طار بهم ثم مادام الزئبق يتحرك وقيل ان هذا المجلس كان يدور ويستقبل الشمس وقيل كان ثابتا على صفة هذا الصهريج وهذا المجلس لم يتقدم لاحد بناؤه في الجاهلية ولا في الاسلام وانما تهيأ له لكثرة الزئبق عندهم وكان بناء الزهراء في غاية الاتقان والحسن وبها من المرمر والعمد كثير وأجرى فيها المياه وأحرق بها البساتين وفيها يقول الشاعر الشيمس

وقفت بالزهراء مستعبدا * معتبرا أندب أشناتا

فقلت يا زهرا الافارجي * قالت وهل يرجع من ماتا

فلم أزل أبكي وأبكي بها * هيات يغنى الدمع هياتا

كأنما آثار من قدمضي * نوادب يندبن أمواتا

انتهى كلام هذا المؤرخ ملخصا وسيأتي ما يوافق جله ويخالف قلبه والله سبحانه يعلم الامر كله فانه ربما ينظر المتأمل هذا الكتاب فيجد في بعض الاخبار تخالفا فيحمل ذلك على الغلط وليس كذلك وانما السبب الحامل لذلك جلب كلام الناس بعبارةاتهم والناقد البصير لا يخفاه مثل هذا وربما يقع التكرار وذلك من أجل ما ذكر والله أعلم * وتذكرت بما وصفه من مجلس الناصر غير واحد ما حكاه غير واحد عن القصر العظيم الذي شاده ملك طليطلة المأمون بن ذي النون بها وذلك انه أتقنه الى الغاية وأنفق عليه أموالا طائلة وصنع في وسطه بحيرة وصنع في وسط البحيرة قبة من زجاج ملون منقوش بالذهب وجلب الماء على رأس القبة بتدبير أحكمه المهندسون فكان الماء ينزل من أعلى القبة على جوانبها محيطا بها ويتصل ببعضه ببعض فكانت قبة الزجاج في غلالة مما سكب خلف الزجاج

لا يفتر من الجرى والمأمون قاعد فيها لا يحسه من الماء تنق ولا يصله وتوقد فيها الشموع فيرى
لذلك منظر بديع عجيب وينفاه وفيها مع جواريه ذات ليلة اذ سمع منشدا ينشد
أتبني بناء الخالدين وانما * مقامك فيها لو علمت قليل
لقد كان في ظل الأثر الكفاية * لمن كل يوم يقتضيه رحيل
فغص عليه حاله وقال ان الله وانا اليه راجعون اظن أن الاجل قد قرب فلم يلبث بعدها غير
شهر وتوفي ولم يجلس في تلك القبة بعدها وذلك سنة ٤٦٤ هـ تجاوز الله تعالى عنه هكذا
حكاه بعض مؤرخي المغرب * وقد ذكر في غير هذا الموضع من هذا الكتاب حكاية
هذه القبة بلفظ ابن يدرون شارح العبدونية فليراجع وتذكرت هنا قول أبي محمد
المصري في صفة قصر طليطلة

قصر يتصر عن مداها الفرقد * عذبت مصادره وطاب المورد
نشر الصباح عليه ثوب مكارم * فعليه ألوية السعادة تعقد
وكأنما المأمون في أرجائه * بدر تمام قابله أسعد
وكأنما الاقداح في راحاته * درجان ذاب فيه العجيد

وله في صفة البركة والقبة عليها

شمسية الانساب بدرية * يحار في تشبيهها الخاطر
كأنما المأمون بدر الدجى * وهي عليه الفلك الدائر

وكان ملوك الاندلس في غاية الاحتفال بالمجالس والقصور وللوزير الجزيري رحمه الله
تعالى في وصف مجلس المنصور بن أبي عامر ما يشهد لذلك وهو قوله

وتوسطتها لجة في قعرها * ثبت السلاح ما تزال تنفق
تنساب من فلكي هزيران يكن * ثبت الجنان فائق فاه آخرق
صاغوه من ندى وخلق صفحتي * هاديه محض الدر فهو مخلق
للباسمين تطلع في عرشه * مثل المليك غداة وهو مطوق
ونضائد من زرجس وبنفسج * وجنتي خيري وورد يعبق
ترنو بسحر عيونها وتكاد من * طرب اليك بلالسان تنطق
وعلى عيئك سوسنات أطلعت * زهر الربيع فهن حسنا تشرق
فكأنما هي في اختلاف رقومها * رايات نصرك يوم باسك تحقق
في مجلس جمع السرور لاهله * ملك اذا جمعت قناه يشرق
حازت بدولته المغارب رفعة * فغدا ليجسدها عليه المشرق

ومن هذه القصيدة

أما القمام فشاهدك انه * لاشك صنوك وأخوك الا وثق
وافي الصنيع فحين تم تعلمه * في الصحو انشاودقه يتدفق
وأظنه يحكيك جودا الذراى * في اليوم بحرك زائرا يتفهق

وصكان السبب في هذه الايات أن المنصور صنع في ذلك الاوان صنيعا لتطهير ابنه
عبد الرحمن وكان عام حط فارتفع الشعر بقرطبة وبلغ ربع الدقيق الى ديارين فجلا
الناس من قرطبة فلما كان يوم ذلك الصنيع نشأت في السماء سحابة عمت الافق ثم أتى
المطر الوابل فاستبشر الناس ومن المنصور بن أبي عامر فقال الجزيري يديها أما الغمام
الخ وهو القائل على لسان ترجس العامرية

حيثك يا قر العلاء والمجلس * أزكى تحيتها عيون الترجس
زهر ترين بحسنها وبلونها * زهر النجوم الجاريات الكس
ملكنا قنطرة النداءى كلما * دارت بمجلسهم مدارا لا كؤوس
ملك الهمام العامري محمد * للمكرمات وللهي والانفس

قال ابن بسام ومن شعر الجزيري ما اندرج له أثناء مدحه الذي ملح فيه مخاطبته للمنصور
على السنة أسماء كرائمه بزهر رياضه فن ذلك عن بهار العامرية

حديق الحسان تقرلى وتغار * وتضل في صفى النهى وتحدار
طلعت على قضبي عيون تملأنى * مثل العيون تحفها الاشجار
وأخص ثنى بي اذا شبهتني * درر تنطق سلكها ديار
أهدى له قصب الزمر دساقه * وحياء أنفاس عطره العطار
أنا ترجس حقابهم عقولهم * يديع تركيبي فصيل بهار

ومن أخرى عن بنسج العامرية اذا تدافعت الخصوم أيد الله مولانا المنصور في مذاهبها
وتعاقرت في مفاخرها قال به مفرزها وهو المقتنع في فصل القضية بينهما لاستيلائه على
المقاخر بأسرها وعلمه بأسرها ووجهها وقد ذهب البهار والترجس في وصف محاسنها
والمفخر بمشابهها كل مذهب وماتهما الاذ وفضيلة غير أن فضلى عليهما ما أوضح من
الشمس التي تعلونا وأعذب من الغمام الذي يسقينا وان كانا قد تشبها في شعرهما
بعض ما في العالم من جواهر الارض ومصابيح السماء وهى من الموات الصامت فاني
أتشبه بأحسن ما زين الله به الانسان وهو الحيوان الناطق مع أنى أعطر منه ما عطرنا
وأجود خبرا وأكرم امتا شاهدا وغائبا ويانعا واذابلا وكلاهما لا يجمع الا ربنا
ينبع ثم اذا ذبلت تذكرو النفوس شمه وتستدفع الا كف ضيمه وأنا أمتع يا بسا
ورطبا وتدخرني الملوكة في خزائنها وسائر الاطبا وأصرف في منافع الاعضا فان
نفر اباسه تقلا لهما على ساقى هي أقوى من ساقى قلا غروا أن الوشى ضعيف والهوى
لطيف والمسك خفيف وليس الجسد يدرك بالصراع وقد أودعت أيد الله مولانا قوا في
الشعر من وصف مشابهي ما أودعاه وحضرت بنفسى لئلا أغيب عن حضرة ما فقدما
فضل الحاضر وان كان مفضولا ولذا قالوا الذ الطعم ما حضر لوقته وأشعر الناس من
أنت في شعره فلمولانا أتم الحكم في أن يفصل بحكمه العدل وأقول

شهدت لنوار البنسج السن * من لونه الاحوى ومن ايتاعة
لمشابه الشعير الاعم أعاره القمر المنير الطلق نور شعاعه

ولربما جمع التجميع من الطلى * من صارم المنصور يوم قراعه
فحكاه غير مخائف في لونه * لافي رواثحه وطيب طباعه
ملاث جهلنا قبله سبل العلا * حتى وضحن بنهجه وشراعه
في سيفه قصر اطول ثجاده * وتغام ساعده ومسحة باعه
ذوهمه كالبرق في اسراعه * وعزيمته كالخيل في ايقاعه
تلقى الزمان له مطيعا سامعا * وترى الملوكة الشيم من اتباعه

وما أحسن قول بعض الاندلسيين يصف حديقة

وحديقة مخضرة أتواها * في قضبها للطير كل مغرد
نادمت فيها فتية صفحاتهم * مثل البدور تنير بين الاسعد
والجدول النضى يضحك ماؤه * فكأنه في العين صفح مهند
واذا تجعد بالنسيم حسبه * لما تراه مشبهها للمبرد
وتناثرت نقط على حافاته * كالعقد بين مجمع ومبتد
وتدحرجت للناظرين كأنها * درتير في بساط زبرجد
وكان بحمام الشطارة باشيلية صورة بديدة الشكل فوصفها بعض أهل الاندلس بقوله

ودمية مرمر ترهب ويجيد * تناهى في التوردد والبياض
لها ولد ولم تعرف ليللا * ولا ألت بأوجاع المخاض
ونعلم أنها حجر ولكن * تيمنا بألحاظ مراض

وكان بسر قسطة في القصر المسمى بدار السور ومجلس الذهب أحد قصور المقتدر بن هود
وفيه يقول ذو الوزارتين بن عبد شلب يمجو وزيرا كان ينز بتحقون

ضحج من تحقون بيت الذهب * ود عايماء به واحري
رب طهرني فقد دنسني * عار تحقون ألوف الذنب

(وكتب) بعض كبراء الاندلس الى اخواته كتابي هذا من وادي الزيتون ونحن فيه
مختلفون يبتغى اكتست من الهندس الاخضر وتحت بأنواع الزهر وتخيالت بأنهار
تحللها وأشجار تطلها تحجب أدواهما الشمس لا تظافها وتأذن للنسيم فيميل من
أعطافها وما شئتم من محاسن تروق وتعجب وأطيار تجاوب بألحان تلهم وتطرب
في مثلها يعود الزمان كله صبا وتجري الحياة على الأمل والمنى وانا فيها أبقاكم الله سبحانه
بحال من طاب غذاؤه وحسن استقراؤه وصحان جنون العقار واستراح من مضض الخمار
وزايلته وساوسه وخلت من الخياط هواجسه ثم ذكر كلاما من هذا النمط في وصف
الخمار والدعاء الى العقار * فراجعهم ابو الفضل بن حشداى برفدة قال في صدرها الى
سيدنا الذي الزمانا بامتثانه الشكر وكبيرنا الذي علمنا بيبانه السحر وعيدنا الذي عقدنا
بحرمه الخل ورمنا ببدائه وانسل أبقا الله تعالى لتوبة نصوح عمرها وعين غموس تبرها
ورد أبقا الله تعالى كتابك الذي أنقذته من معرسل بوادي الزيتون ووقفه على ما لقت
في أوصافه من حجة المقتون وأعجابك بالتفاف شجره ودوحاته واحترازك باطيف بواكره

وروحانه وسرور لذه وهو جوتلعه مورودة هضابه وأجراعه وكل المشارب ما خلاه
 ذميم رماؤه الدهر خصر والمياه حميم وتلك عادة تلوثك وسجية تحضرمك وشاكلة ملاك
 وسامك وأشعر الناس عندك من أنت في شعره وأحب البلاد إليك ما أنت في عفره فأين
 منك بساتين جلق وجنانه ورياضه المونقة وخبجانه وقبايه البيض في حدائقه الخضر
 وجون العطر في جنانه النضر وما تظمه حيطانه وتمججه أنجاده وغيظانه من أمهات
 الراح التي هجرتها بزعمك ومورد الشمول التي طلقها برغمك وهيئات فوالله ما فارقك
 تلك الاجارع والمجاني ولا شاقك تلك المنازل والمغاني الا تذكر لما لدينا من طيب
 المعاهد وحنينا لما عندنا من جيل المشاهد وأين من مشتاق عنقاء مغرب * ثم
 ذكر كلاما في جواب ما مر من الخمار لم يتعلق به غرض * (وما أحلى) ما كتب به
 أبو اسحق بن خفاجة من رسالة في ذكر منتهى ولما أكتب الغمام اكبا لم أجده منه
 اغيابا واتصل المطرات اتصالا لم ألف منه انفصالا أذن الله تعالى للصحو أن يطلع صفحته
 وينشر صحيفته فقشعت الريح السحاب كما طوى السجل الكتاب وطفقت السماء تخلع
 جلبابها والشمس تبيض نقابها وطلعة الدنيا تبهج كأنها عروس تجلت وقد تجلت
 ذهبت في لمة من الاخوان نستبق الى الراحة ركضا ونطوى التفرج أرضا فلا ندفع
 الا الى غد ير غير قد استدارت منه في كل قرارة سماء سحابة عماء واتاب في تلعه حباب
 فتردنا بتلك الاباطح تهادي تهادي أغصانها وتضاحك تضاحك اخوانها وللنسيم
 أثناء ذلك المنظر الوسيم ترسل مشي على بساط وشي فاذا مر بغدير نسجه درعا
 وأحكمه صنعا وان عثر يجردول شطب منه نصلا وأخلصه صفلا فلا ترى الا بطاحا
 ملوءة سلاحا كأنما انهم زمت هنالك كاتب فألت بما ليست من درع مصقول وسيف
 مسلول * ومن فصل منها فاحتل لنا قبة خضراء ممدودة اشطان الاغصان سندسية
 رواق الاوراق ومازلنا نتلحف منها ببرد ظل طليل ونشقل عليه برداء نسيم عليل
 ونجبل الطرف في نهر مصقول صافي بلين الماء كأنه حجرة السماء مؤلق جوهر الحباب
 كأنه من تغور الاحباب وقد حضرنا مسمع يجري مع النفوس لطافة فهو يعلم غرضها
 وهواها ويغني لها مقترحها ومناها فصيح لسان النقر يشق من الوقر كأنه كاتب
 حاسب تمشق يميناه وتعقد يسراه

يحرل حين يشد وساكنات * وتنبعث الطبائع للسكون

انتهى * (وكانت) بين أبي اسحق وبعض اخوانه مقاطعة فاتفق أن ولي ذلك الصديق
 حصنا فخاطبه أبو اسحق برقعة منها أطال الله بقاء سيدي النبيهة أو صافه التزيهة عن
 الاستثناء المرفوعة امارته الكريمة بالابتداء ما انخذلت يا يرى للجزم واعتلت
 واو يغزو وواضع الضم كتبت عن ودقديم هو الحال لم يلحقها اتقال وعهد **كريم**
 هو الفعل لم يدخله اعتلال والله يجعل هاتيك من الاحوال الثابتة اللازمة ويعصم
 هذا بعد من الحروف الجازمة وانما استتمض طولك الى تجديد عهدك بمطالعة ألف
 الوصل وتعدية فعل الفصل وعدوك عن باب ألف القطع الى باب الوصل والجمع

حتى يسقط لدرج الكلام بيننا هاء السكت ويدخل الالتفال حال الصمت فلا تتخيل أعزل
الله أن رسم الخاتك عندى دوحه قد درس عقاء ولا أن صدرى دارمية أمسى من ودد
خلاء وانما أنا فعل اذا تننى ظهر من ضمير وذك ما بطن وبدا منه ما كمن وهنيت أعزل الله
أن فعل وزارتك حاضر لا يلحق رفعه تغيير وأن فعل سيفك ماض ما به للعوامل تأثير وأنت
بمجدك جماع ابواب الظرف تأخذ نفسك العلية بمطالعة باب الصرف ودرس حروف
العطف وتدخل لام التبرئة على ما حدث من عتبك وتوجب بعد النقي ما سلف من عبتك
وتدع ألف الالفه أن تكون بعد من حروف اللين وترقع بالاضافة بيننا وجود التنوين
وتسوم ساكن الود أن يتحرك ومعتل الاخاء أن يصح وكأبى هذا حرف صلة فلا تحذفه
حتى تعود الحال الاولى صفة وتصير هذه ~~الذ~~ مرة معرفة فأنت أعزل الله مصدر
فعل السرور والنيل ومنك اشتقاق اسم السوود والفضل وانك وان تأخر العصر بك
كالفاعل وقع مؤخر وعدوك وان تكبر كالكميت لم يقع الا مصغرا وللأيام علم بسيط
وتقبض وعوامل ترفع وتخفض فلا تدخل عروضك قبض ولا عاقب رفعك خفض
ولازات مرتبة بالفضل شرطك وجراؤك جاريا على الرفع سرورك الكريم وسناؤك حتى
يخفض الفعل وتبقى على الكسر قبل ان شاء الله * وكتب رحمه الله تعالى يستدعي
عود غناء * انتظم من اخوانك أعزل الله تعالى عقد شرب يتساقون في وذك ويتعاطون
ريحانة شكرك وحمدك ومامنهم الاشره المسامع الى رنة حمامة ناد لاجامة بطن واد
والطول لك في صلتها يجما دنا طق قد استعار من بيان لسانا وصار لضمير صاحبه ترجانا
وهو على الاساءة والاحسان لا يتفك من ايقاع به من غير ايجاع له فان هفاعركت أذنه
وأدب وان تأبى واستوى بعج بطنه وضرب لازلت منتظم الجذل ملتئم الأمل انتهى
* (ومن نظمهم رحمه الله تعالى يتفجع ويتوجع

شراب الاماني لو علمت سراب * وعتي الليالي لو عرفت عتاب
وهل مهجة الانسان الا طريدة * يحوم عليها للعمام عقاب
يخب بها في كل يوم وليلة * مطايا الى دار البلى وركاب
وكيف يغيبض الدمع أو يبرد الحشا * وقد باد أقران وفات شباب
أقلب طرفي لأوى غير ليلة * وقد حط عن وجه الصباح نقاب
كأنى وقد طار الصباح حمامة * يمد جناحيه على غراب
دعاهم داعي الردى فكانما * تبارت بهم خيل همالك عراب
فها هم وسلم الدهر حرب كأنما * جثا بينهم طعن اهرم وضراب
هجوم ولا غير التراب حشية * لجنب ولا غير القبور قباب
ولست بناس صاحب من ربيعة * اذا نسبت رسم الوقاء صحاب
ومما شجاني أن قضى حنف أنفه * وما اندق رشح دونه وكعاب
وانا تجارينا ثلاثين حقة * فبات سباقا والجمام قصاب
كأن لم يبت في منزل القصف ليلة * يحيب به داعي الصبا ويحباب

اذا قام منا قائم حز عطفه * شسباب أرقناه بها وشراب
 ولما تراءت للمشيب بريقة * وأقشع من ظل المشباب سحاب
 نهضنا بأعباء الليالي جزالة * وأرست بها في التائبات هضاب
 فباطنا قد حط في ساحة البلى * بسنزل بين ليس عنه ما تب
 كفى حزنا أن لم يزرنى على النوى * رسول ولم ينقذ اليك كتاب
 وأنى اذا عمت قبرك زائرا * وقفت ودوني للتراب حجاب
 ولو أن حيا كان جاور ميتا * لطال كلام بيننا وخطابه
 وأعرب عما عنده من جلية * فأقشع عن شمس هناك طباب
 وقد أبعدنا عما كنا بصده من ذكر قرطبة أعادها الله للإسلام فتقول * قال بعض من أرتخ
 الاندلس اتهمت مساجد قرطبة أيام عبد الرحمن الداخل الى أربع مائة وتسعين مسجدا
 ثم زادت بعد ذلك كثيرا كما سيأتي ذكره * وقال بعضهم كانت قرطبة قاعدة الاندلس وأتم
 المدائن وقرارة الملك وكان عدد شرفاتها أربعة آلاف وثلثمائة وكانت عدة الدور في القصر
 الكبير أربع مائة دار ونيفا وثلاثين وكانت عدة دور الرعايا والسواد بها الواجب على
 أهلها المبيت في السور مائة ألف دار وثلاثة عشر ألف دار حاشا دور الوزراء وأكابر
 الناس والبياض * ورأيت في بعض الكتب أن هذا العدد كان أيام لموتونه والموحدين قال
 وكانت ديار أهل الدولة اذ ذاك ستة آلاف دار وثلثمائة دار انتهى وعدد أرباضها ثمانية
 وعشرون وقيل أحد وعشرون ومبلغ المساجد بها ثلاثة آلاف وثمانمائة وسبعة
 وثلاثون مسجدا وعدد الحمامات المبرزة للناس سبع مائة حمام وقيل ثلثمائة حمام
 وقال ابن حيان أن عدة المساجد عند تناسلها في مدة ابن أبي عامر ألف وسقائة مسجد
 والحمامات تسع مائة حمام وفي بعض التواريخ القديمة كان بقرطبة في الزمن السالف
 ثلاثة آلاف مسجد وثمانمائة وسبعة وسبعون مسجدا منها بشقنة ثمانية عشر مسجدا
 وتسعمائة حمام وأحد عشر حماما ومائة ألف دار وثلاثة عشر ألف دار للرعية خصوصا
 وربما نصف العدد أو أكثر لأرباب الدولة وخاصتها هكذا نقله في المغرب وهو أعلم بما يأتي ويذر
 رحمه الله تعالى * وقال بعض المؤرخين بعد ذكره فحوما تقدم ووسط الأرباض قبة قرطبة
 التي تحيط بالسور دونها وأما اليتيمة التي كانت في المجلس البديع فابها كانت من تحف
 قصر اليونانيين بعث بها صاحب القسطنطينية الى الناصر مع تحف كثيرة سنية انتهى
 ونحوه لابن الفرضي وغير واحد لكن خالفهم صاحب المسالك والممالك فذكر أن عدد
 المساجد بقرطبة أربع مائة مسجد وأحد وسبعون مسجدا وهو بعيد وقال قبله أن دور
 قرطبة في كمالها ثلاثون ألف ذراع * وتفسيرها باللسان القوطي القلوب المختلفة وهي
 بالقوطية بالطاء المسألة وقيل إن معنى قرطبة أجزا سكرها قال وبقرطبة أقاليم كثيرة
 وكور جليلة * وكانت جبايتها في أيام الحكم بن هشام مائة ألف دينار وعشرة آلاف
 دينار وعشرين دينارا وسبق ما يخالف هذا من القديح أربعة آلاف مدي وستمائة
 مدي ومن الشعير سبعة آلاف مدي وستمائة مدي وسبعة وأربعين مديا وقال بعض

العلماء أخصيت دور قرطبة التي بها وأرباضها أيام ابن أبي عامر فكانت مائتي ألف دار
وسبعة وسبعين دارا وهذه دور الرعية وأما دور الأكابر والوزراء والكتّاب
والاجناد وخاصة الملك فستون ألف دار وثلاثمائة دار سوى مصارى الكراء والجماعات
والحمامات وعدد الخوانيت ثمانون ألف حانوت وأربعمائة وخمسة وخمسون ولما كانت
الفتنة على رأس المائة الرابعة غيرت رسوم ذلك العمران ومجيت آثار تلك القرى
والبلدان انتهى ملخصا * وسيأتى فى رسالة الشقندى ما هو أشمل من هذا * ولما رقت
حال أبي القاسم عامر بن هشام القرطبي بقرطبة وزين له بعض أصحابه الرحلة الى حضرة
ملك الموحد بن مرا كش قال وذكر المستزهاة القرطبية

يا هبة يا كرت من نحو دارين * وافت الى على بعد تحييني
سرت على صفحات النهر ناشرة * جناحها بين خيبرى ونسرين
ودت الى جسدى روح الحياة وما * خلت التسيم اذا مات يحييني
لولا تنسها عن نشر أركم * ما أصبحت من أليم الوجد تبريني
مرت على عقيدات الرمل حاملة * من سر كم خبر بالوحي يشفيني
عرفت من عرفه ما كنت أجهله * لما تبسم فى تلك الميادين
نزوت من طرب لما هفا سحرا * وظل ينشرنى طورا وبطوبى
خلت الشمال شمالا اذ سكرت بها * سكرنا بمالست أرجوه يميني
أهدت الى أريج من شمائلكم * فقلت قتر بنى من كان يقصيني
وخلت من طمع أن اللقاء على * اثر التسيم وأضحى الشوق يحدوني
فقلت ألثم من تعظيم حقكم * حجر أذيا لها والوجد يغريني
مسارح كم به سرت من كمد * قلبى وطرفى ولاسلوان يثني
بين المصلى الى وادى العقيق وما * يزال مثل اسمه ان بان يكي
الى الرصافة فالمرج النضير فوا * دى الدير فالعطف من بطحاء عبدون
لباب عبد سقته السحب وأبها * فلم يزل بهكؤس الانس يسقيني
لأبعد الله عيني عن منازحه * ولا يقرب لها أبواب جبرون
حاشا لها من مجلات مفارقة * من شيق دونها فى القرب محزون
أين المسير ورزق الله أدركه * من دون جهد وتأميل يعينني
يا من يزى الى الترحال عن بلدى * كم ذا تحاول نسلا عند عني
وأين يعدل عن أرجاء قرطبة * من شاء يظفر بالدينا وبالدين
قطر فسيح ونهر ما به كدر * حفت بشطبيه ألقاف البساتين
بالتلى عمر فوح فى اقامتها * وأن مالى فيه كثر قارون
كلاهما كنت أفتيه على نشوا * ت الراح نهبا ووصل الحور والعين
وانما أسنى أنى أهيم بها * وأن حظى منها حظ مغبون
أرى بعيني ما لا تستطيع يدى * له وقد حازه من قدره دوني

وأنكد الناس عيشا من تكون له * نفس الملوكة وحالات المساكين
 يغض طرف التصابي حين يهته * قضبان نعمان في كشان بيرين
 قالوا الكفاف مقيم قلت ذاك لمن * لا يستخف الى بيت الزاجين
 ولا يلبله هب الصبا محرا * ولا يلطفه عرف الرياحين
 ولا يهيم بتقاع المسدود ورمات الصدور وترجيع السلاحين
 لا تجتنى راحة الاعلى تعب * ولا تتال العلا الامن الهون
 وصاحب العقل في الدنيا أخوكدر * وانما الصفو فيها للمجانين
 يا أمري أن أحت العيس عن وطني * لما رأى الرزق فيه ليس يرضيني
 نصحت لكن لي قلبا ينزعني * فلو ترحلت عنه حله دوني
 لا زمن وطني طورا نطاوعني * قود الاماني وطور انيسه تعصيني
 مذلا بين عرفاني وأضرب عن * سير لارض بهم امن ليس يدريني
 هذا يقول غريب ساقه طمع * وذلك حين أريد البري يحضوني
 اليك عنى آمالي فبعدك * ديني وقربك يطغيني ويغويني
 يا لحظ كل غزال لست أملكه * يدنو ومالي حال منه تدنيني
 ويا مدامة دير لا ألم به * لولا كما كان ما أعطيت يكفيني
 لا صيرت على ما كان من كدر * لمن عطايله بين الكاف والنون
 وتسمى هذه القصيدة عند أهل الاندلس كنز الادب وقد أشرنا في الفصل الاول الى كثير مما
 يتعلق بقرطبة أعادها الله تعالى الى الاسلام فأغنى عن اعادته وان كل من ذكره هنا أنسب لأن
 ما تقدم انما هو في ذكرها مع غيرها من بلاد الاندلس وهذا الفصل لها بالاستقلال وأنشد
 أبو العاصي غالب بن أمية المروزي لما جلس على نهر قرطبة بإزاء الرض ملتفتا الى القصر
 بدية

يا قصركم حويت من نعم * عادت ابق بعوارض السكك
 يا قصركم حويت من ملك * دارت عليه دوائر الفلك
 ما شئت فابق فكل متخذ * يوما يعود بجبال مسترك

وقال القاضي أبو الفضل عياض عند ارتحاله عن قرطبة

أقول وقد جد ارتحالي وغردت * حداثي وزمت للفراق ركابي
 وقد غمضت من كثرة الدمع مقاتي * وصارت هواء من قوادي تراثي
 ولم يبق الا وقفة يستحبها * وداعي للاحباب لا للعبائب
 رعى الله جيرانا بقرطبة العلا * وجادر باها بالعهاد السواكب
 وحيار مانا بينهم قد ألفتهم * طلبق الحيام مستلان الجوانب
 أخواتنا بالله فيها تذكروا * مودة جار أو مودة صاحب
 غدوت بهم من برهم واحتفالهم * كأنني في أهلي وبين أقاربي
 (وأما) مسجد قرطبة فشهرته تغني عن كثرة الكلام فيه ولكن نذكر من أوصافه ونشر من

أحواله ما لا بد منه فنقول قال بعض المؤرخين ليس في بلاد الاسلام أعظم منه ولا أعجب
بناؤه وأتقن صنعة وكلما اجتمعت منه أربع سوارى كان رأسها واحدا ثم صف رخام منقوش
بالذهب واللازورد في اعلاه وأسفله انتهى وكان الذي ابتدأ بناء هذا المسجد العظيم عبد
الرحمن بن معاوية المعروف بالداخل ولم يكمل في زمانه وكمل ابنه هشام ثم توالى الخلفاء من بني
أمية على الزيادة فيه حتى صار المثل مضروبا والذي ذكره غير واحد أنه لم يزل كل خليفة
يزيد فيه على من قبله الى أن كل يد نحو الثمانية من الخلفاء * وقال بعض المؤرخين
ان عبد الرحمن الداخل لما استقر أمره وعظم بنى القصر بقرطبة وبني المسجد الجامع وأنفق
عليه ثمانين ألف دينار وبني بقرطبة الرصافة تشيها برصافة جده هشام بدمشق وقال بعض
أنه أنفق على الجامع ثمانين ألف دينار واشترى موضعه اذ كان كنيسة بمائة ألف دينار فأنه
تعالى أعلم * وقال بعض المؤرخين في ترجمة عبد الرحمن الداخل ما صورته انه لما عهد ملكه
شرع في تعظيم قرطبة فجند مغانيها وشييد مبانيها وحصنها بالسور وابتنى قصر الامارة
والمسجد الجامع ووسع فناءه وأصلح مساجد الكور ثم ابتنى مدينة الرصافة منتزعا له واتخذ
بها قصر احسن ما وجنانا واسعة نقل اليها غرائب الغراس وكرائم الشجر من بلاد الشام وغيرها
من الاقطار انتهى وكانت أخته أم الاصبع ترسل اليه من الشام بالغرائب مثل الرمان
الحبيب الذي أرسلته اليه من دمشق الشام كما روي سائق كلام ابن سعيد بما هو أتم من هذا
* ولما ذكر ابن بشكوال زيادة المنصور بن أبي عامر في جامع قرطبة قال ومن أحسن ما عاينه
الناس في بنيان هذه الزيادة العامرية أعلاج النصارى مصفدين في الحديد من أرض
قشتالة وغيرها وهم كانوا يتصرفون في البنيان عوضا من رجال المسلمين اذ لا للشرية
وعزة للاسلام ولما عزم على زيادته هذه جلس لارباب الدور التي نقل أصحابها عنها نفسه
فكان يؤتى بصاحب المنزل فيقول له ان هذه الادارة التي لك يا هذا أريد أن أبتاعها بالجماعة
المسلمين من مالهم وفيتهم لا زيد هاني جامعهم وموضع صلاتهم فشططوا طلب ما شئت
فاذا ذكر له أقصى الثمن أمر أن يضاعف له وأن تشتري له بعد ذلك دار عوضا منها حتى أتى
بأمرأة لها دار بجن الجامع فيها نخلة فقالت لا أقبل عوضا الادارة بنخلة فقال تبتاع لها
دار بنخلة ولو ذهب فيها بيت المال فاشتريت لها دار بنخلة وبواغ في الثمن وحكى ذلك
ابن حبان أيضا * وقيل ان اتفاق الحكم في زيادة الجامع كان مائة ألف وواحد وستين
ألف دينار ونيفا وكره من الانحاس * وقال صاحب كتاب مجموع المفقوق كان سقف البلاط
من المسجد الجامع من القبلة الى الجوف قبل الزيادة مائتين وخمسا وعشرين ذراعا
والعرض من الشرق الى الغرب قبل الزيادة مائتا ذراع وخمسة أذرع ثم زاد الحكم في طوله
مائة ذراع وخمسة أذرع فأكمل الطول ثلاثمائة ذراع وثلاثين ذراعا وزاد محمد بن أبي
عامر بأمر هشام بن الحكم في عرضه من جهة المشرق ثمانين ذراعا فتم العرض مائتي ذراع
وثلاثين ذراعا وكان عدد بلاطه أحد عشر بلاطا عرض أوسطها ستة عشر ذراعا وعرض
كل واحد من اللذين يليانه غربا واللذين يليانه شرقا أربع عشرة ذراعا وعرض كل واحد
من الستة الباقية إحدى عشرة ذراعا وزاد ابن أبي عامر فيه ثمانية عرض كل واحد

عشرة أذرع وكان العمل في زيادة المنصور ستين ونصفا وخدم فيه بنفسه وطول الصحن من المشرق الى المغرب مائة ذراع وثمان وعشرون ذراعا وعرضه من القبلة الى الجوف مائة ذراع وخمس أذرع وعرض كل واحدة من السقائف المستديرة بصحنه عشرة أذرع ~~فكسيرة~~ ثلاثة وثلاثون ألف ذراع ومائة وخسون ذراعا وعدد أبوابه تسعة ثلاثة في صحنه غربا وشرقا وجوفا وأربعة في بلاطاته اثنان شرقيان واثنان غربيان وفي مقاصير النساء من السقائف بابان وجميع ما فيه من الأعمدة ألف عمود ومائتا عمود وثلاثة وتسعون عمودا رخاما كلها وباب مقصورة الجامع ذهب وكذلك جدار المحراب وما يليه قد أجرى فيه الذهب على القسيقساء وثرى بالمقصورة فضة محضنة وارتفاع الصومعة اليوم وهي من بناء عبد الرحمن بن محمد ثلاث وسبعون ذراعا الى اعلى القبة المتفحة التي يستدبرها المؤذن وفي رأس هذه القبة تفافيج ذهب وفضة ودور كل تفاحة ثلاثة اشبار ونصف فائتان من التفافيج ذهب ابريز وواحدة فضة وتحت كل واحدة منها وفوقها سوسنة قد هندست بأبدع صنعة ورمانة ذهب صغيرة على رأس الزج وهي إحدى غرائب الارض * وكان بالجامع المذكور في بيت منبره مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه الذي خطه يده وعليه حلقة ذهب مكاله بالدر والياقوت وعليه أغشية الديباج وهو على كرسي العود الرطب بمسامير الذهب (رجع الى المنارة) وارتفاع المنارة الى مكان الاذان أربع وخسون ذراعا وطول كل حائط من حيطانها على الارض ثمان عشرة ذراعا انتهى بحروفه وفيه بعض مخالفة لما ذكره ابن الفرضي وبعضهم اذ قال في ترجمة المنصور بن أبي عامر ما صورته وكان من أخبار المنصور الداخلة في أبواب البر والقرب نيلان المسجد الجامع والزيادة فيه سنة سبع وسبعين وثلثمائة وذلك انه لما زاد الناس بقرطبة وانجلب اليها قبائل البربر من العدو وافر يقية وتناهى حالها في الجلالة ضاقت الارياض وغيرها وضاق المسجد الجامع عن حمل الناس فشرع المنصور في الزيادة بشرقيه حيث تتمكن الزيادة لاتصال الجانب الغربي بقصر الخلافة فبدأ ابن أبي عامر في هذه الزيادة على بلاطات تمتد طولا من أول المسجد الى آخره وقصد ابن أبي عامر في هذه الزيادة المبالغة في الاتقان والوثاقة دون الزخرفة ولم يقصر مع هذا عن سائر الزادات جودة ما عدا زيادة الحكم وأول ما عمله ابن أبي عامر تطيب نفوس أرباب الدور الذين اشترى منهم للهدم لهذه الزيادة بانصافهم من الثمن وصنع في صحنه الجب العظيم قدره الواسع فناؤه وهو أعنى ابن أبي عامر هو الذي رتب اسراق الشمع بالجامع زيادة للزيت قطابق بذلك النوران وكان عدده سوارى الجامع الحاملة لسمائه واللاصقة بمبانيه وقبابه ومناره بين كبيرة وصغيرة ألف سارية وأربع مائة سارية وسبع عشرة سارية وقيل أكثر وعدد ثريات الجامع ما بين كبيرة وصغيرة مائتان وثمانون ثريا وعدد الكؤوس سبعة آلاف كأس وأربع مائة كأس وخمسة وعشرون كاما وقيل عشرة آلاف وثمانمائة وخمس كؤوس وزنة مشاكي الرصاص للكؤوس المذكورة عشرة أرباع أونصوها وزنة ما يحتاج اليه من الكنان للفتائل في كل شهر رمضان ثلاثة أرباع القنطار وجميع ما يحتاج

اليه الجامع من الزيت في السنة خمسمائة ربيع أو نحوها يصرف منه في رمضان خاصة نحو نصف العدد. ومما كان يختص برمضان المعظم ثلاثة قناطير من الشمع وثلاثة أرباع القنطار من البكان المقطن لأقامة الشمع المذكور والكبيرة من الشمع التي تؤخذ بجانب الامام يكون وزنها من خمسين الى ستين رطلا يحترق بعضها بطول الشهر ويحترق الحرق لجمعها ليلة الختم. وكان عددهم من يخدم الجامع المذكور بقرطبة في دولة ابن أبي عامر ويتصرف فيه من اثني عشر ومقرئين وامناء ومؤذنين وسدنة وموقدين وغيرهم من المتصرفين مائة وتسعة وخمسين شخصا. ويوقد من البخور ليلة الختم أربعة أواق من العنبر الاشهب وثمان أواق من العود الرطب انتهى. وقال بعض المؤرخين كان للجامع كل ليلة جمعة رطل عود وربع رطل عنبر يتخبر به انتهى. وقال ابن سعيد نقلا عن ابن بشكوال طول جامع قرطبة الاعظم الذي هو بداخل مدینتها من القبلة الى الجوف ثلثمائة وثلاثون ذراعا الصحن المكشوف منه ثمانون ذراعا وغير ذلك مقرم وعرضه من الغرب الى الشرق مائتان وخمسون ذراعا وعدد أبوابها عيدا كتمالها بالشمال التي زادها المنصور بن أبي عامر بعد هذا تسعة عشر بابا وتسمى البلاطات وعدد أبواب الكبار والصغار أحد وعشرون بابا في الجانب الغربي تسعة أبواب منها واحد كبير للنساء يشرع الى مقاصيرهن وفي الجهة الشرقية تسعة أبواب منها دخول الرجال ثمانية أبواب وفي الجهة الشمالية ثلاثة أبواب منها دخول الرجال بابان كبيران وباب لدخول النساء الى مقاصيرهن وليس لهذا الجامع في القبلي سوى باب واحد بداخل المقصورة المتخذة في قبلته متصل بالسباط المفضي الى قصر الخليفة منه كان السلطان يخرج من القصر الى الجامع لشهود الجمعة وجميع هذه الابواب ملبسة بالبخام الاصفر بأغرب صنعة وعدد سوارى هذا المسجد الجامع الحاملة لسمائه والاصقة بمبانيه وقبائه ومناره وغير ذلك من أعماله بين كبار وصغار ألف وأربعمائة سارية وتسع سوارى منها بداخل المقصورة مائة وتسعة عشرة سارية وذكر المقصورة البديعة التي صنعها الحكيم المستنصر في هذا الجامع فقال انه خطر بها على خمس بلاطات من الزيادة الحكيمية وأطلق حفافها على الستة الباقية ثلاثة من كل جهة فصار طواها من الشرق الى الغرب بخساوس سبعين ذراعا وعرضها من جدار الخشب الى سور المسجد بالقبلة اثنين وعشرين ذراعا وارتفاعها في السماء الى حد شرافاتها ثمان أذرع وارتفاع كل شرافة ثلاثة أشبار. ولهذه المقصورة ثلاثة أبواب بديعة الصنعة عجيبه النقش شارة الى الجامع شرقي وغربي وشمالى ثم قال وذرع المحراب في الطول من القبلة الى الجوف ثمان أذرع ونصف وعرضه من الشرق الى الغرب سبعة أذرع ونصف وارتفاع قبوه في السماء ثلاث عشرة ذراعا ونصف والمئبر الى جنبه مؤلف من أكارم الخشب ما بين أبنوس وصندل وتبعه وبقي وشوخط وما أشبه ذلك ومبلغ النفقة فيه خمسة وثلاثون ألف دينار وسبع مائة دينار وخمسة دنانير وثلاثة دراهم وقيل غير ذلك وعدد درجه تسع درجات صنعة الحكم المستنصر رجه الله وذكر أن عدد ثريات الجامع التي تسرج فيها المصابيح بداخل البلاطات خاصة سوى ما منها على الابواب مائتان وأربع وعشرون ثريا جميعها من لاطون

مختلفة الصنعة منها أربع ثريات كبار معلقة في البلاط الاوسط أكبرها الضخمة المعلقة في القبة الكبرى التي فيها المصاحف حيال المقصورة وفيها من السرج فيما زعموا ألف وأربعمائة وأربعة وخمسون تستوقد هذه الثريات الضخام في العشر الاخير من شهر رمضان تسقى كل ثرياء منها سبعة ارباع في الليلة وكان مبلغ ما يتفق من الزيت على جميع المصابيح في هذا المسجد في السنة أيام تمام وقوده في مدة ابن أبي عامر مكملة بالزيادة النسوية ألف ربيع منها في شهر رمضان سبعمائة وخمسون ربعاً قال وفي بعض التواريخ القديمة كان عدد القومة بالمسجد الجامع بقرطبة في زمن الخلفاء وفي زمن ابن أبي عامر ثمانمائة انتهى وفيه مخالفة لبعض ما تقدم وذكر بعضهم الزيت ولكن قوله أولى بالاتباع انقله عن ابن بشكوال ولعرفة ابن سعيد يمثل هذا وتحقيقه فيه أكثر من غيره والله سبحانه أعلم فقال ألف ربيع وثلاثون ربعاً منها في رمضان ثمانمائة ربيع وفي الثريات التي من الفضة وهي ثلاثة اثنان وسبعون رطلا لكل واحدة ثمانية عشر في ليلة وقدها وقال في المنبراته مركب من ستة وثلاثين ألف وصل قام لكل واحد منها بسبعة دراهم فضة وسمرت بمسامير الذهب والفضة وفي بعضها نفيس الاجار واتصل العمل فيه تسعة ثم قال ودور الثريا العظيمة خمسون شبراً وتحتوي على ألف كاس وأربعة وثمانين كاهاً موشاة بالذهب الى غير ذلك من الغرائب * وكتب الفقيه الكاتب أبو محمد ابراهيم ابن صاحب الصلاة الولي بن يصف جامع قرطبة بما نصه عمر الله سبحانه بشمول السعادة رسمك ووفر من جزيل الكرامة قسمك ولا برحت بحائب الانعام تهني عليك ثراه وأنامل الايام تهدي اليك كل مسرته ان كان أعز الله طريق الوداد بيننا عامراً وسبيل المحبة عامراً لوجب أن نفخر ختمه ونرفض كتمه لاسيما فيما يدرأ خلف الفضائل ويبرز أعظاف السماائل واني شخصت الى حضرة قرطبة حرمها الله تعالى منشرح الصدر لحضور ليلة القدر والجامع قدس الله تعالى بقعته ومكانه وثبت أساسه وأركانها قد كسى ببردة الازدهاء وحل في معرض البهاء فكانت شرفاته فلول في سنان أو أشرف في أسنان وكأنما ضربت على سمائه كال أو خلعت على أرجائه حلال وكان أن الشمس خلقت فيه ضياءها ونسجت على أقطاره اقباءها فترى نهاراً قد أحرق به ليل كما أحرق بريرة سبيل ليل دامس ونهار شامس وللذبال تألق كنضضة الحيات أو إشارة السبابات في التحيات قد أترعت من السليط كؤوسها ووصلت بحاجن الحديد رؤسها ونيطت بسلاسل كالجذوع القائمة أو كالشعابين العائمة عصبت بها تفاح من الصفر كاللحاح الصقر بولغ في صقلها وجلالها حتى بهرت بحسنها ولا لائها كأنها جللت بالذهب وأشربت ماء الذهب ان سمها طولاً رأيت منها سبائك عسجد أو قلاند زبرجد وان أتينها عرضاً رأيت منها أفلا كاولكنها غير دائره ونجومها ولكنها ليست بسائره تتعلق تعلق القرط من الذفرى وتبسط شعاعها بسط الاديم حين يفرى والشمع قد رفعت على المنار رفع البنود وعرضت عليها عرض الجنود ليحتلي طلاقة رواثها القريب والبعيد ويستوى في هداية ضيائها الشقي والسعيد وقد قوبل منها مبيض بحمر

وعورض مخضر بمصفر تضحك يسكتها وتبكي يضحكها وتلك بحياتها وتحياتها لكها
والطيب تغم أفواحه وتتسم أرواحه وقتال الانجوج والتد يسترجع من روح
الحياة مانتد وكلمات صاعده وهو محاسر أطال من العمر ما كان تقاصر في صفوف مجامر
ككعوب مقامر وظهور القباب مؤله وبطونها مهله كأنها تيجان رصع فيها
ياقوت ومرجان قد قوس محرابها أحكم تقويس ووشم بمثل ريش الطواويس حتى
كأنه بالجمرة مقسوط وبقوس قزح منطوق وكان اللزور دخول وشومه وبين
رسومه تنف من قوادم الحمام أو كسف من ظلال الغمام والناس أخفاف في دواعيهم
وأرزاع في اغراضهم ومرامهم بين ركع وسجد وأيقاظ وهجد ومزدحم على الرقاب
يتظاهروا ومقحم على الظهور يتظاهروا كأنهم يردخلون قطر أو حروف في عرض
سطر حتى اذا قرعت أسماعهم روعة التسليم تبادروا بالتكليم وتجادوا بالاثواب
وتساقوا بالاكواب كأنهم حضور طال عليهم غياب أو سفر أتيح لهم اياك وصفبك مع
اخوان صدق تنسكب العلوم بينهم انسكاب الودق في مكان كوكرا العصفور أسـ تغفر الله
أو ككنا من البعفور كأن اقليد من قد قسم بيننا مساحتها بالموازين وارتبطنا فيه
ارتباط السبادق بالقرابين حتى صار عقدنا لا يحل وحدنا لا يفل بحيث نسمع سور
التنزيل كيف تتلى وتطلع صور التفصيل كيف تجلي والقومة حوائنا يجهدون
في دفع الضرر ويعمدون الى قرع العمدة بالدرر فاذا سمع بها الصبيان قد طبقت الخافقين
وسرت نحوهم سرى القين وتوهموا انها الى أعطافهم واصلت وفي أخفافهم حاصلة
فقر وابين الاساطين كما تفر من النجوم الشياطين كأنما ضربهم أبوجهم بعصاه أو حصيهم
عين بن صاف بمصاه فأكرم بها من مساع تسوق الى جنة الخلد وترون في السبي اليها
الطوارف والتلد تعظيما لشعائر الله وتنبها لكل ساء ولاء حكمته تشهد الله تعالى
بالربوبية وطاعة تذلل بها كل نفس أيـه فلم أر أدام الله سبحانه عزك منظر منها أبهى
ولا مخبر أشهى واذا لم تتأمله عيانا فتخيله بيانا وان كان حظ منطقي من الكلام حظ
السفح من الازلام لكن ما بيننا من مودة أكدنا وسائلها وذمة تقلدنا حائلها يوجب
قبول التحافي سميئا وغنا ولبس الطافي جديدا ورثا لازلت لرناد النبل موريا والى آماد
الفضل مجريا والتحية العبة الريا المشرقة المحيا عليك ما طلع قر وأبسع ثمر ورحمة
الله تعالى وبركاته انتهى * (وذكر ابن بشكوال) أن الحكم المستنصر هدم الميضاة
القديمة التي كانت بفناء الجامع التي يستقي لها الماء من بئر السانية وبني موضعها أربع
مبضات في كل جانب من جانبي المسجد الشرقي والغربي منها ثقتان كبيرى للرجال وصغرى
للنساء اجرى في جميعها الماء من قناة اجتلبها من سفح جبل قرطبة الى أن صبت ماءها
في احواس رخام لا ينقطع جريانه الليل والنهار وأجرى فضل هذا الماء العذب الى
سقايات اتخذت على أبواب هذا المسجد بجهاته الثلاث الشرقية والغربية والشمالية
اجراها هنالك الى ثلاث جوانب من حياض الرخام استقطعتها بمقطع المنستير بسفح
جبل قرطبة بالممال كثير وألقاه الرخاميون هنالك واحتفروا أجوافها بمناقبهم

في المسئلة الطويلة حتى استوت في صورها البديعة لا عين الناس تخفف ذلك من ثقلها
وأمكن من اهياطها الى أما كن نصيبها بكاف المسجد الجامع وأمد الله تعالى على ذلك
بعونه فتهياكل الواحدة منها فوق عجلة كبيرة اتخذت من ضخام خشب البلوط على قلل
موثقة بالحديد المثقف محفوفة بوئاق الحبال قرن بقرها سبعون دابة من أشد الدواب
وسهلت قدامها الطرق والمسالك وسهل الله تعالى حملها واحدة بعد أخرى على هذه الصفة
في مدة اثني عشر يوما فنصب في الاقباء المعقودة لها قال وايتنى المستنصر في غربي الجامع
دار الصدقة واتخذها معهدا لتفريق صدقاته المتوالية وايتنى للفقراء البيوت قبالة باب
المسجد الكبير الغربي انتهى واعلم انه لعظم أمر قرطبة كان عملها حجة بالمغرب حتى انهم
يقولون في الاحكام هذا مما جرى به عمل قرطبة وفي هذه المسئلة نزاع كثير ولا بأس أن
نذكر ما لا يثبت منه من ذلك قال الامام ابن عرفة رحمه الله تعالى في اشتراط الامام على القاضي
الحكم بذهب معين وان خالف معتقدا المشتراط اجتهادا وتقليدا ثلاثة أقوال * الصحة
للأباضي ولعمل أهل قرطبة واطا هر شرط يحضون على مذهب من ولاد الحكم بذهب أهل
المدينة قال المأزري مع احتمال كون الرجل مجتهدا * الثاني البطلان للطروثي
اذ قال في شرط أهل قرطبة هذا جهل عظيم * الثالث تصح التولية ويذهب الشرط تخريجا
على أحد الأقوال في الشرط الفاسد في البيع للمأزري عن بعض الناس انتهى مختصرا
* (قال ابن غازي) ان ابن عرفة نسب للطروثي البطلان مطلقا وابن شاس انما نسب له
التفصيل انتهى ولما ذكر مولاي الجدا الامام قاضي القضاة بالاندلس ثم انتقل الى المغرب
يفاس سيدي أبو عبد الله المقرئ التلمساني في كتابه القواعد شرط أهل قرطبة المذكور
قال بعده مانصه وعلى هذا الشرط ترتب عمل القضاة بالاندلس ثم انتقل الى المغرب فبينما
نحن تنازع الناس في عمل المدينة ونصح بأهل الكوفة مع كثرة من نزل بها من علماء الامة
كعلي وابن مسعود ومن كان معهم ليس التكامل في العينين كالتكامل سنخ لي بعض الجود
ومعدن التقليد

الله أنرمدي فتأخرت * حتى رأيت من الزمان عجائبا

يا لله وللمسلمين ذهبت قرطبة وأهلها ولم يبرح من الناس جهلها ما ذاك الا لان الشيطان
يسعى في محو الحق فينسب إليه والباطل لا زال يلقيه ويلقيه ألا ترى خصال الجاهلية
كالنباحة والتفاخر والتكاثر والطعن والتفضيل والكهانة والتجور والخط
والتشاؤم وما أشبه ذلك وأماؤها كالعمدة وينرب وكذا التنازع بالاقاب وغيره
عما نهى عنه وحذر منه كيف لم تزل من أهلها وانتقلت الى غيرهم مع تبسرها حتى
كانهم لا يرفعون بالدين رأسا بل يجعلون العادات القديمة أسسا وكذلك حجة الشعر
واللعين والنسب وما انفخرط في هذا السلك ثابتة الموضع من القلوب والشرع فينا منذ
سبع مائة سنة وسبع وستين سنة لا نحفظه الا قولا ولا نحملة الا كلا انتهى * (وقال
الحافظ ابن غازي) بعد ذكر كلام مولاي الجدا مانصه وحدثني ثقة عن لقيت انه لما
قدم مدينة فاس العلامة أبو يحيى الشريف التلمساني وتصدى لاقراء التفسير بالبلد

الجد يد وأمر السلطان أبو سعيد المريني الحفيد أعيان الفقهاء بحضور مجلسه كان مما ألقاه
اليهم مشرع المقرئ هذا فبالغوا في انكاره ورأوا أنه لا معدل عما قول عليه زعماء
الفقهاء كابن رشد وأصحاب الوثائق كالتبطين من اعتماد عمل أهل قرطبة ومن في معناهم
انتهى * (وقال بعض المؤرخين) حين ذكر قرطبة ما ملخصه هي قاعدة بلاد الاندلس
ودار الخلافة الاسلامية وهي مدينة عظيمة وأهلها أعيان البلاد وسراة الناس في حسن
الماكل والمشارب والملابس والمراكب وعلو الهيم وبها أعلام العلماء وسادات الفضلاء
وأجلاد الغزاة وأنجاد الحروب وهي في تقسيمها خمس مدن يتلو بعضها بعضا وبين
المدينة والمدينة سور عظيم حصين حجاز وكل مدينة مستقلة بنفسها وفيها ما يكفي
أهلها من الحمامات والأسواق والصناعات وطول قرطبة ثلاثة أميال في عرض ميل
واحد وهي في سفح جبل مطل عليها وفي مدينتها الثالثة وهي الوسطى القنطرة والجامع
الذي ليس في معمور الأرض مثله وطوله مائة ذراع في عرض ثمانين وفيه من السواري
الكبار ألف سارية وفيه مائة وثلاثة عشر ثريا للوقود أكبرها تحمل ألف مصباح وفيه
من النقوش والرقوم ما لا يقدر أحد على وصفه وبقبلته صناعات تدهش العقول وعلى
فرجة المحراب سبع قسي قائمة على عمد طول كل قوس فوق القامة قد تحير الروم
والمسلمون في حسن وضعها وفي عضادتي المحراب أربعة أعمدة اثنتان أخضران واثنتان
لازوردان ليس لها قيمة لنفاستها وبه منبر ليس على معمور الأرض أنفاس منه ولا مثله
في حسن صنعه وخشبه ساج وابنوس وبقم وعود قاقلي ويذكر في تاريخ بخني
أمية أنه أحكم عمله ونقشه في سبع سنين وكان يعمل فيه ثمانية صناعات لكل صانع في كل يوم
نصف مثقال حمدي فكان جملة ما صرف على المنبر لا غير عشرة آلاف مثقال وخسون
مثقالا وفي الجامع حاصل كبير ملائ من آية الذهب والفضة لاجل وقوده وبهذا
الجامع مصنف يقال أنه عثماني وللجامع عشرون بابا مصنفات بالتحاس الاندلسي مخترعة
تخرى بما عجبها بديعها بجز البشر ويهرهم وفي كل باب حلقة في نهاية الصنعة والحكمة وبه
الصومعة العجيبة التي ارتفاعها مائة ذراع بالمكن المعروف بالرشاشي وفيها من أنواع
الصنائع الدقيقة ما يعجز الواصف عن وصفه ونعته وبهذا الجامع ثلاثة أعمدة حجر مكتوب
على الواحد اسم محمد وعلى الآخر صورة عصام موسى وأهل الكهف وعلى الثالث صورة
غراب نوح والجميع خلقه ربانية وأما القنطرة التي بقرطبة فهي بديعة الصنعة عجيبة المرأى
فاقت قناطر الدنيا حسنا وعدة قسبها سبعة عشر قوسا سعة كل قوس منها خسون
شبرا وبين كل قوسين خسون شبرا وبالجملة فخاسن قرطبة أفضل المحاسن وأعظم من
أن نخطبها ووصفنا انتهى ملخصا وهو وإن تكرر بعضه مع ما قدمته فلا يخلو من فائدة زائدة
والله الموفق * وما ذكره في طول المسجد وعرضه مخالف لما مر ويمكن الجواب بأن هذا
الذراع أكبر من ذلك كما أشار إليه هو في أمر الصومعة وكذا ما ذكره في عدد السواري
الأن يقال ما تقدم باعتبار الصغار والكبار وهذا العدد الذي ذكره هنا إنما هو للكبار
فقط كما صرح به والله تعالى أعلم * وأما الثريان فقد خالف في عددها ما تقدم مع أن المتقدم

هو قول ثقات مؤرخي الاندلس ونحن جلبنا النقل من مواضعه وان اختلفت طرقه ومضموناته وقال في المغرب عند تعرضه لذكر جامع قرطبة مانصه اعتمدت فيما نقلته في هذا الفصل على كتاب ابن بشكوال فقد اعتمدتني بهذا الشأن اتم اعتناء وأعني عن الاستطلاع الى كلام غيره عن الرازي انه لما افتتح المسلمون الاندلس امتثلوا ما فعله أبو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد عن رأي عمر رضي الله تعالى عنه من مشاطرة الروم في كنائسهم مثل كنيسة دمشق وغيرها مما أخذوه صلحا فشا طر المسلمون أعاجم قرطبة كنيسة كنيسة العظمى التي كانت داخل مدينتها تحت السور وكانوا يسمونها بسنت تيجنت وايتنوا في ذلك الشطر مسجدا جامعاً وبقي الشطر الثاني بأيدي النصارى وهدمت عليهم سائر الكنائس بحضرة قرطبة واقتنع المسلمون بما في أيديهم الى أن كثروا وتزايدت عمارة قرطبة ونزلها أمراء العرب فضاقت عنهم ذلك المسجد وجعلوا يعلقون منه سقيفة بعد سقيفة يستكنون بها حتى كان الناس يسألون في الوصول الى داخل المسجد الاعظم مشقة لتلاصق تلك السقائف وقصر أبوابها وتطامن سقفها حتى ما يمكن أكثرهم القيام على اعتدال لتقارب سقفها من الارض ولم يزل المسجد على هذه الصفة الى أن دخل الأمير عبد الرحمن بن معاوية المرواني الى الاندلس واستولى على امارتها وسكن دار سلطانها قرطبة وعمدت به فنظر في أمر الجامع وذهب الى توسعته واتقان بنيانه فاحضر أعظم النصارى وسامهم يبيع ما بقي بأيديهم من كنائسهم لصق الجامع ليدخل فيه وأوسع لهم البذل وقاء بالعهد الذي مولوا عليه فأبوا من يبيع ما بأيديهم وسألوا بعد الجلبهم أن يباحوا ببناء كنائسهم التي هدمت عليهم بخارج المدينة على أن يتخلوا للمسلمين عن هذا الشطر الذي طوابقه فتمت الامر على ذلك وكان ذلك سنة ثمان وستين فابتنى عند ذلك عبد الرحمن المسجد الجامع على صفة ذكرها الحاجة الى تفسير الزيادة فيه وانما الحاجة في وصفه لكماله وفي بنائه لهذه الزيادة يقول دحية بن محمد البلوي من قصيدة

وأنفق في دين الاله ووجهه * ثمانين ألفاً من بلخ وعسجد
توزعها في مسجد اسسه التقى * ومهجه دين النسي محمد
ترى الذهب الناري فوق سموكه * يلوح كبرق العارض المتوقد

قال وكل سنة سبعين ثم ذكر زيادة ابنه هشام الرضا وما جدد فيه وأنه بناه من خمس في أربونة ثم زيادة ابنه عبد الرحمن الاوسط لما تزايد الناس قال وهلك قبل أن يتم الزخرفة فأتمها ولده محمد بن عبد الرحمن ثم رمت المنذر بن محمد ما وهي منه وذكر ما جدد خليفته الناصر ونقضه للصومعة الاولى وبنائه للصومعة العظيمة قال ولما ولي الحكم المستنصر بن الناصر وقد اتسع نطاق قرطبة وكثر أهلها وتبين الضيق في جامعها لم يقدم شيأ على النظر في الزيادة فبلغ الجهد وزاد الزيادة العظمى قال وبها كملت محاسن هذا الجامع وصار في حد يقصر الوصف عنه وذكر حضوره مشاورة العلماء في تحريف القبلة الى نحو المشرق حسب ما فعله والده الناصر في قبلة جامع الزهراء لان اهل التعديل يقولون بانحراف قبلة الجامع القديمة الى نحو الغرب فقال له الفقيه أبو ابراهيم يا أمير المؤمنين انه قد صلى الى هذه

القبلة خيار هذه الامة من أجساد الاثمة وصلحاء المسلمين وعلمائهم منذ افتتحت
الاندلس الى هذا الوقت متأسين بأول من نصبها من التابعين كرمي بن نصير وحنش
الصنعاني وأمثالهم رحمهم الله تعالى وانما فضل من فضل بالاتباع وهلك من هلك بالابتداع
فأخذ الخليفة برأيه وقال نعم ما قلت وانما مذهبنا الاتباع قال ابن بشكوال وتقلت من خط
أمير المؤمنين المستنصر أن النفقة في هذه الزيادة وما اتصل بها انتهت الى مائتي ألف دينار
وأحد وستين ألف دينار وخمس مائة دينار وسبعة وثلاثين ديناراً ودرهمين ونصف ثم ذكر
الصومعة نقلاً عن ابن بشكوال فقال أمر الناصر عبد الرحمن بهدم الصومعة الاولى سنة
٣٤٤ وأقام هذه الصومعة البديعة فخفر في أساسها حتى بلغ الماء مدة من ثلاثة وأربعين يوماً
ولما كملت ركب الناصر اليها من مدينة الزهراء ومعد في الصومعة من أحد درجتيها
ونزل من الثاني ثم خرج الناصر وصلى ركعتين في المقصورة وانصرف قال وكانت الاولى
ذات مطلع واحد فصير هذه مطلعين فصل بينهما البناء فلا يلتقي الراقون فيها إلا بأعلاها تزيد
مراقى كل مطلع منها على مائة سبعة * قال وخبر هذه الصومعة مشهور في الارض
وليس في مساجد المسلمين صومعة تعدلها * قال ابن سعيد قال ابن بشكوال هذا لأنه لم ير
صومعة مرا كش ولا صومعة اشيلية اللتين بناهما المنصور من بني عبد المؤمن فهما أعظم
وأطول لأنه ذكر أن طول صومعة قرطبة الى مكان موقف المؤذن أربعة وخمسون ذراعاً
والى أعلى الرمانة الأخيرة بأعلى الزج ثلاثة وسبعون ذراعاً وعرضها في كل تربع ثمانية
عشر ذراعاً وذلك اثنان وسبعون ذراعاً قال ابن سعيد وطول صومعة مرا كش مائة وعشر
أذرع * وذكر أن صومعة قرطبة بضخام الحجارة الفظيعة منجدة غاية التجديد وفي أعلى
ذروتها ثلاث شمسات يسمونها رمانة ملصقة في السفود البارز في أعلاها من النحاس الثتان
منها ذهب ابريز والثالثة منها وسطى بينهما من فضة اكسير وفوقها سوسنة من ذهب
مستدسة فوقها رمانة ذهب صغيرة في طرف الزج البارز بأعلى الجوف * وكان تمام هذه الصومعة
في ثلاثة عشر شهراً * وذكر ابن بشكوال في رواية أن موضع الجامع الأعظم بقرطبة كان
حفرة عظيمة يطرح فيها أهل قرطبة قمامتهم وغيرها فلما قدم سليمان بن داود صلى الله وسلم
عليه ما ودخل قرطبة قال للجن ارموا هذا الموضع وعدلوا مكانه فسيكون فيه بيت يعبد
الله فيه ففعلوا ما أمرهم به وبني فيه بعد ذلك الجامع المذكور قال ومن قضا الله أن الدارات
المائلة في تراويق سمائه مكتوبة كلها بالذكور والدعاء الى غيره بأحكام صنعة انتهى * وذكر
مصنف عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه الذي كان في جامع قرطبة وصار الى بني
عبد المؤمن فقال هو مصنف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه مما خطه
بينه وله عند أهل الاندلس شأن عظيم انتهى وسند كرفيه زيادة على هذا * وأما الزهراء
فهي مدينة الملك التي اخترعها أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر لدين الله وقد تقدم ذكره
وهي من المدن الجليلة العظيمة القدر قال ابن الفرضي وغيره كان يعمل في جامعها حين
شرع فيه من حذاق الفعلة كل يوم ألف نسمة منها ثلثمائة بناء ومائتا تجار وخمسمائة من
الاجراء وسائر الصنائع فاستتم بنيانه واتقانه في مدة من ثمانية وأربعين يوماً وجاء في غاية

الاتقان من خمسة أبها بحجبة الصنعة وطوله من القبلة الى الجوف حاشا المقصورة ثلاثون
 ذراعا وعرض ابها والاوسط من أبها من الشرق الى الغرب ثلاث عشرة ذراعا وعرض
 كل ابها من الاربعة المكتنفة له اثنا عشرة ذراعا وطول صحنه المكشوف من القبلة الى
 الجوف ثلاث وأربعون ذراعا وعرضه من الشرق الى الغرب احدى وأربعون ذراعا
 وجميعه مفروش بالرخام النجدي وفي وسطه قوارة يجري فيها الماء فطول هذا المسجد أجمع
 من القبلة الى الجوف سوى المحراب سبع وتسعون ذراعا وعرضه من الشرق الى الغرب تسع
 وخمسون ذراعا وطول صومعته في الهواء أربعون ذراعا وعرضها عشرة أذرع في مثلها
 وأمر الناصر لدين الله بالتخاذ منبر بديع لهذا المسجد فصنع في نهاية من الحسن ووضع
 في مكانه منه وحظرت حوله مقصورة بحجبة الصنعة وكان وضع هذا المنبر في مكانه من هذا
 المسجد عند اكمل يوم الخميس لسمع بقين من شعبان سنة تسع وعشرين وثلاثمائة * قال
 وفي صدر هذه السنة كمل للناصر بنيان القناة الغربية الصنعة التي أجزاها وجرى فيها الماء
 العذب من جبل قرطبة الى قصر الناعورة غربي قرطبة في المناهر المهندسة وعلى الحنايا
 المعقودة يجري ماؤها بتدبير عجيب وصنعة محكمة الى بركة عظيمة عليها أسد عظيم الصورة
 بديع الصنعة شديد الروعة لم يشاهد أبهى منه فيما صور الملوك في غابر الدهر مطلي بذهب
 ابريز وعيناها جوهرتان اهما ويص شديد يجوز هذا الماء الى بحر هذا الاسد فيمجه في تلك
 البركة من فيه فيبهر الناظر بحسنه وروعة منظره وثجاجة صبه فتسقى من مجا جه جنان
 هذا القصر على سعتها ويستفيض على ساحاته وجنباته ويمد النهر الاعظم بما فضل منه
 فكانت هذه القناة وبركتها والقنال الذي يصب فيها من أعظم آثار الملوك في غالب الدهر
 لبعده مسافتها واختلاف مسالكها ونخامة بنيانها وسمو أبراجها التي يرقى الماء منها
 ويتصوب من أعاليها وكانت مدة العمل فيها من يوم ابتدئت من الجبل الى أن وصلت أعنى
 القناة الى هذه البركة أربعة عشر شهرا وكان انطلاق الماء في هذه البركة الانطلاق الذي
 اتصل واستقر يوم الخميس غرة جمادى الآخرة من السنة وكانت للناصر في هذا اليوم
 بقصر الناعورة دعوة حسنة أفضل فيها على عامة أهل مملكته ووصل المهندسين والقوام
 بالعمل بصلات حسنة جليلة جريئة * وأقام مدينة الزهراء فاستمر العمل فيها من عام
 خمسة وعشرين وثلاثمائة الى آخر دولة الناصر وابنه الحكم وذلك نحو من أربعين سنة
 ولما فرغ من بناء مسجد الزهراء على ما وصف كانت أول جماعة صليت فيه صلاة المغرب
 من ليلة الجمعة لثمان بقين من شعبان وكان الامام القاضي أبا عبد الله محمد بن عبد الله
 ابن أبي عيسى ومن الغد صلى الناصر فيه الجمعة وأول من خطب به القاضي المذكور
 ولما بنى الناصر قصر الزهراء المتناهي في الجلالة والفخامة أطبق الناس على انه لم يكن مثله
 في الاسلام البتة وما دخل اليه أحد من سائر البلاد النائية والنحل المختلفة من ملك وارسول واد
 وتاجر وجهيد وفي هذه الطبقات من الناس تكون المعرفة والفطنة
 الا وكاهم قطع انه لم ير له شهابا بل لم يسمع به بل لم يتوهم كونه مثله حتى انه كان أعجب ما يوصله
 القاطع الى الاندلس في تلك العصور التطر اليه والتحدث عنه والاخبار عن هذا اتسع

لم يذكر في هذه العبارة جواباً
ولعل ذلك لظهوره من المقام
أى لكفى مثلاً اهـ صححه

قوله هو لعل مرجعه قصر
الزهراء اهـ صححه

جدا والادلة عليه تكثر ولو لم يكن فيه الا السطح المرد المشرف على الروضة المباحي بمجلس
الذهب والقبه وعجيب ما تضمنه من اتقان الصنعة ونخامة الهمة وحسن المشرف
وبراعة الملبس والحلة ما بين من مر مسنون وذهب مصون وعمد كأنما أفرغت في القوالب
ونقوش كالرياض وبركة عظيمة محكمة الصنعة وحياض وتماثيل عجيبه الاشخاص لا تهدي
الاوهام الى سبيل استغناء التعبير عنها فسبحان الذي أقدر هذا المخلوق الضعيف على
ابداعها واختراعها من أجزاء الارض المخلقة كيما يرى الغافلين عنه من عباده مثالا لما
أعده لاهل السعادة في دار المقامة التي لا تسلط عليها الفناء ولا تحتاج الى الرتم لا اله الا هو
المنفرد بالكرم * (وذكر المؤرخ أبو مروان بن حبان صاحب الشرطة أن مباني الزهراء
اشتملت على أربعة آلاف سارية ما بين كبيرة وصغيرة حاملة ومحمولة ونيف هو على ثلثمائة
سارية وستة عشر قال منها ما جلب من مدينة رومة ومنها ما اهداه صاحب القسطنطينية
وان مصاريح أبوابها صغارها وبكارها كانت تنيف على خمسة عشر ألف باب وكما ملبسة
بالحديد والنحاس المحوة والله سبحانه أعلم فانها كانت من أهول ما بناه الانس وأجله خطرا
وأعظمه شأنا انتهى قلت فسر بعضهم ذلك النيف في كلامه بثلاث عشرة والله أعلم
(وقال بعض من أرخ الاندلس) كان عدد القبان بالزهراء ثلاثة عشر ألف فتى وسبع مائة
وخسين فتى ودخلتهم من اللحم كل يوم طاشا أنواع الطير والحوث ثلاثة عشر ألف رطل
وعدة النساء بقصر الزهراء الصغار والجار وخدم الخدمة ستة آلاف وثلثمائة امرأة وأربع
عشرة انتهى وقيل ان عدد الصبيان الصقالبة ثلاثة آلاف وسبع مائة وخمسون وجعل
بعض مكان الخمسين سبعة وثمانين (وقال آخر) ستة آلاف مقلبي وسبعة وثمانون
والمرقب من الخبز الحيتان بحيرة الزهراء اثنا عشر ألف خبزة كل يوم وينقع لها من الخبز
الاسود ستة أقمصة كل يوم انتهى ثم قال الاول وكان لهؤلاء من اللحم ثلاثة عشر ألف
رطل تقسم من عشرة ابطال للشخص الى مادون سوى الدجاج والحجل ومنوف الطير
وضروب الحيتان انتهى (وقال ابن حبان) ألقبت بخط ابن دجون العقبه قال مسلمة
ابن عبد الله العريق المهند من بدأ عبد الرحمن الناصر لدين الله بعمارة الزهراء أول
سنة خمس وعشرين وثلثمائة وكان مبلغ ما يتفق فيها كل يوم من الصخر النحوت المتجور
المعدل ستة آلاف صخرة سوى الصخر المصروف في التليط فانه لم يدخل في هذا العدد
وكان يخدم في الزهراء كل يوم ألف وأربعمائة بغل وقيل أكثر منها أربعمائة زوامل
الناصر لدين الله ومن دواب الراكبة للخدمة ألف بغل لكل بغل منها ثلاثة مثاقيل
في الشهر يجب لها في الشهر ثلاثة آلاف منقال وكان يرد الزهراء من الحبر والجص في كل
ثالث من الايام ألف ومائة جل وكان فيها حمامان واحدة للقصر وثانية للامانة * وذكر
بعض أهل الخدمة في الزهراء انه قدر البقعة فيها في كل عام بثلثمائة ألف دينار ومدة خمسة
وعشرين عاما التي بقيت من دولة الناصر من حين ابتدأها لانه توفي سنة خمسين فحصل
جميع الانفاق فيها فكان مبلغه خمسة عشر بيت مال * قال وجلب اليها الرخام من
قرطاجنة وافر يقية ونونس وكان الذين يجلبونه عبد الله بن يونس عريق البنائين

وحسن وعلى بن جعفر الاسكندراني وكان الناصر يصلهم على كل رخامة صغيرة وكبيرة
بعشرة دنانير انتهى وقال بعض ثقات المؤرخين انه كان يصلهم على كل رخامة صغيرة
بثلاثة دنانير وعلى كل سارية بثمانية دنانير قيل وكان عدد السواري المجلوبة من افريقية
ألف سارية وثلاث عشرة سارية ومن بلاد الافرنج تسع عشرة سارية وأهدى اليه
ملك الروم مائة وأربعين سارية وسائرهما من مقاطع الاندلس تر كونه وغيرها قال رخام
المجزع من رية والايض من غيرها والوردى والاخضر من افريقية من كنيسة اسفاقس
وأما الخوض المنقوش المذهب الغريب الشكل الغالي القيمة فخلبه اليه أحمد اليوناني من
القسطنطينية مع ربيع الاسقف القادم من ايليا وأما الخوض الصغير الاخضر المنقوش
بتمثيل الانسان فخلبه أحمد من الشام وقيل من القسطنطينية مع ربيع الاسقف أيضا
وقالوا انه لا قيمة له لفرط غرابته وجماله وحمل من مكان الى مكان حتى وصل في البحر ونصبه
الناصر في بيت المنام في الجحاس الشرقي المعروف بالمؤنس وجعل عليه اثني عشر تمثالا من
الذهب الاحمر مرصعة بالدر النفيس الغالي مما عمل بدار الصناعة بقرطبة صورة أسد الى
جانبه غزال الى جانبه تمساح وفيما يقابله ثعبان وعقاب وقيل وفي الجانبين حمامة وشاهين
وطاوس ودجاجة وديك وحدأة ونسر وكل ذلك من ذهب مرصع بالجواهر النفيس ويخرج
الماء من أفواهها وكان المتولى لهذا البنيان المذكور ائنه الحكم لم يتكلم فيه الناصر
على أمين غيره وكان يخبر في أيامه في كل يوم برسم حيطان البحيرات ثمانمائة خبزة وقيل
أكثر الى غير ذلك مما يطول تتبعه * وكان الناصر كما قد مناقسم الجباية أثلاثا ثلث للجند
وثلث للبناء وثلث مذكر وكانت جباية الاندلس يومئذ من الكور والقرى خمسة آلاف
ألف ألف وأربعمائة ألف وثمانين ألف دينار ومن السوق والمستخلص سبعمائة ألف
 وخمسة وستين ألف دينار وأما أخماس الغنمة فلا يحصى هاديوان وقد سبق هذا كله
وانما كثرته لقول بعضهم اثر كايتيه له ما صورته وقيل ان مبلغ تحصيل النفقة في بناء
الزهراء مائة مدي من الدراهم القاسمية بكيل قرطبة وقيل ان مبلغ النفقة فيها بالكيل
المذكور ثمانون مديا وسبعة أقدرة من الدراهم المذكورة واتصل بنيان الزهراء أيام
الناصر خمسا وعشرين سنة شطرا خلافته ثم اتصل بعد وفاته خلافة ائنه الحكم كلها وكانت
خمس عشرة عاما وأشهر افسحان الباقي بعد فناء الخلق لا اله الا هو انتهى (وقال ابن البديع
الهمداني والفتح في المطمع) كان الناصر كفا بعمارة الارض واقامة معالمها وانبساط
مجاهلها واستجلائها من أبعاد بقاعها وتخليد الآثار الدالة على قوة الملك وعزة السلطان
وعلاوة الهمة فأفضى به الاغراق في ذلك الى أن ابنتى مدينة الزهراء البناء الشائع ذكره
الزائد المنتشر صيته في الارض واستقر غ جهده في تنميةها واتقان قصورها وزخرفة
مصانعها وانهمك في ذلك حتى عطل نهود الجمعة بالمسجد الجامع الذي اتخذ ثلاث جمع
متواليات فاراد القاضي منذر أن يغض منه بما يتناول من الموعظة بفصل الخطاب
والحكمة والتذكير بالانابة والرجوع فابتدأ في أول خطبته بقوله تعالى أتيتون بكل ريع
الى قوله من الواعظين ثم وصله بقوله فتاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى وهي دار القرار

ومكان الجزاء ومضى في ذم تشييد البنيان والاستغراق في زخرفته والاسراف في الانفاق عليه بكل كلام جزل وقول فصل فخرى فيه طلقا وانتزع فيه قوله تعالى افن أسس بنيانه الى آخر الآية وأتى بما يشا كل المعنى من التخويق بالموت والتحذير من فجائه والدعاء الى الزهد في هذه الدار الفانية والحض على اعتزالها والرفض لها والتدب الى الاعراض عنها والاقصاء عن طلب اللذات ونهى النفس عن اتباع هواها فأسهب في ذلك كله وأضاف اليه من آتى القرآن ما يطابقه وجلب من الحديث والاثر ما يشا كله حتى اذكر من حضره من الناس وخشعوا ورعوا واعترفوا وبكوا ونجوا ودعوا وأعلنوا التضرع الى الله تعالى في التوبة والابتهال في المغفرة وأخذ خليفتهم من ذلك بأوفر حظ وقد علم انه المقصود به فبكى وندم على ما ناله من فرطه واستعاذ بالله من خطئه الا انه وجد على منذر لغلظ ما نقرعه به فشكا ذلك لولده الحكم بعد انصراف منذر وقال والله لقد تعمدي منذر بخطيئة وما عني بها غيري فأسرف على وأفرط في تقرعي وتفزيعي ولم يحسن السياسة في وعظي فزعزع قلبي وكاد بعصاه يقرعني واستشاط غيظا عليه فأقسم أن لا يصلي خلفه صلاة الجمعة خاصة فجعل يلتزم صلاته وراء أحمد بن مطرف صاحب الصلاة بقرطبة ويجانب الصلاة بالزهراء وقال له الحكم فما الذي يمنعك من عزل منذر عن الصلاة بك والاستبدال بغيره منه اذ كرهته فزجره واتهره وقال له أمثل منذر بن سعيد في فضله وخيره وعلمه لا أم لك يعزل لارضاء نفسنا كبة عن الرشدا سالكة غير القصد هذا ما لا يكون واني لاستحي من الله أن لا أجعل بيني وبينه في صلاة الجمعة شقبةا مثل منذر في ورعه وصدقه ولكنه أخرجني فأقسمت ولوددت اني أجده سبيلا الى كفارة عيني بملكى بل يصلي بالناس حياته وحياتنا ان شاء الله تعالى فما أظننا نعتاض منه أبدا وقيل ان الحكم اعتذر عما قال منذر وقال يا أمير المؤمنين انه رجل صالح وما أراد الا خيرا ولورأى ما أنفقت وحسن تلك البنية لعذرنا فأمر حينئذ الناصر بالقصور وفقرشت وفرش ذلك المجلس بأصناف فرش الديباج وأمر بالاطعمة وقد أحضر العلماء وغص بهم المجلس فدخل منذر في آخرهم فأومأ اليه الناصر أن يقعد بقر به فقال يا أمير المؤمنين انما يقعد الرجل حيث انتهى به المجلس ولا يتخطى الرقاب فجلس في آخر الناس وعليه ثياب رثة ثم ذكر هذا القائل بعد هذا كلاما من كلام المنذري أتي قريبا وخط الناس آخر مدة الناصر فأمر القاضي منذر المذكور بالبروز الى الاستسقاء بالناس فتأهب لذلك وصام بين يديه أياما ثلاثا تنفلا واناية ورهبة واجتمع له الناس في مصلى الرض بقرطبة بارزين الى الله تعالى في جمع عظيم وصعد الخليفة الناصر في أعلى مصانعه المرتفعة من القصر ليشرف الناس ويشاركهم في الخروج الى الله تعالى والضراعة له فأبطأ القاضي حتى اجتمع الناس وغصت بهم ساحة المصلى ثم خرج نحوهم ماشيا متضرعا مخبتا متخشعا وقام ليخطب فلما رأى بدار الناس الى ارتقائه واستكاثهم من خيفة الله واخباتهم له وابتهالهم اليه رقت نفسه وغلبته عيناه فاستعير وبكى حينئذ افتتح خطبته بان قال يا أيها الناس سلام عليكم ثم سكت ووقف شبه الحصر ولم يك من عادته فنظر الناس بعضهم الى بعض لا يدرون ما عراه ولا ما أراد بقوله ثم اندفع

تاليا قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة الى قوله رحيم ثم قال استغفروا ربكم انه كان
 غفارا استغفروا ربكم ثم توبوا اليه وتزلفوا بالاعمال الصالحة اليه قال الحاكمي فضج
 الناس بالبكاء وجأروا بالدعاء ومضى على تمام خطبته ففرع النفوس بوعظته وانبعث
 الاخلاص بتذكيره فلم ينقض التهارج حتى أرسل الله السماء بماء منهمر روى الثرى وطرد المحل
 وسكن الازل والله لطيف بعباده وكان لمنذر في خطب الاستسقاء استفتاح عجيب ومنه
 أن قال يوما وقد سرح طرفه في ملا الناس عندما شخضوا اليه بأبصارهم فتهتف بهم
 كالمنادي يا أيها الناس وكثرها عليهم مشيرا بيده في نواحيهم أنتم الفقراء الى الله الى
 بعزير فاشتد وجد الناس وانطلقت أعينهم بالبكاء ومضى في خطبته * وقيل ان الخليفة
 الناصر خرج مرة للاستسقاء وأسرع عزمه عليه فتسابق الناس للمصلى فقال للرسول وكان
 من خواص الناس ليت شعري ما الذي يصنعه الخليفة سيدنا فقال له مارأيتناه قط أخشع
 منه في يومنا هذا انه منتبذ حائر منكرد بنفسه لابس أخس الثياب مفترش التراب وقد
 رمد به على رأسه وعلى لحيته وبكى واعترف بذنوبه وهو يقول هذه ناصيتي بيدك اترك
 تعذب بي الرعية وأنت أحكم الحاكمين ان يفوتك شيء متى قال الحاكمي فتهلل وجهه
 القاضي منذر عندما سمع قوله وقال يا غلام احمل المطر معك فقال أذن الله تعالى بالسقيا
 اذا خشع جبار الارض فقد رحم جبار السماء وكان كما قال فلم ينصرف الناس الا عن
 السقيا وكان منذر شديد الصلابة في أحكامه والمهابة في أقضيته وقوة الحكومة والقيام
 بالحق في جميع ما يجري على يده لا يهاب في ذلك الامير الاعظم من دونه (وقال ابن الحسن
 النباهي) وأصله في المطمح وغيره ومن أخبار منذر المحفوظة له مع الخليفة الناصر
 في انكاره عليه الاسراف في البناء أن الناصر كان اتخذ لسطح القيدية المصغرة الاسم
 للخصوصية التي كانت مائلة على الصرح المحررد المشهور شأنه بقصر الزهراء قراميد ذهب
 وفضة أنفق عليها ما لا يحصى وقرمده سقفا به وجعل سقفا صفراء فاقعة الى بيضاء ناصعة
 تستتاب الابصار بأشعة نورها وجلس فيها اثر تمامها يوما لاهل مملكته فقال لقرايته ومن
 حضر من الوزراء وأهل الخدمة مفتخرا عليهم بما صنعه من ذلك مع ما يصل به من البدائع
 الفتانة هل رأيتم أو سمعتم ملكا كان قبلي فعل مثل هذا أو قدر عليه فقالوا لا والله يا أمير
 المؤمنين وانك لا واحد في شأنك كله وما سبقك الى مبتدعاتك هذه ملك رأيناه ولا آتاهي
 البنا خبره فأبهره قوله وسرته وبينما هو كذلك اذ دخل عليه القاضي منذر بن سعيد واهما
 ناكس الرأس فلما أخذ مجلسه قال له كاذبي قال لوزرائه من ذكر السقف المذهب واقتداره
 على ابداعه فأقبلت دموع القاضي تتحد رعى لحيته وقال له والله يا أمير المؤمنين ما ظننت
 أن الشيطان لعنه الله يبلغ منك هذا المبلغ ولا أن تتمكن من قيادك هذا التمكن مع ما آتاك الله
 من فضله ونعمته وفضلك به على العالمين حتى ينزلك منازل الكافرين قال فأنفع عبد الرحمن
 لقوله وقال له انظر ما تقول وكيف أزلني منزاتهم قال نعم أليس الله تعالى يقول ولولا أن يكون
 الناس أمة واحدة الآية فوجم الخليفة وأطرق مليا ودموعه تتساقط خشوعا لله تعالى
 ثم أقبل على منذر وقال له جازاك الله يا قاضي عما وعنت نفسك خيرا وعن الدين والمسلمين

أبيل يخرأه وكثر في الناس أمثالك فالذي قلت هو الحق وقام عن مجلسه ذلك وهو يستعقر
الله تعالى وأمر بنقض سقف القبية وأعاد قرمدها تراها على صفة غيرها انتهى ما حكاه ابن
الحسن التباهي ولندكر هذه الحكاية وغيرها وان خالف السياق ما سبق وهذا منقول
من كلام الجباري في المسهب في أخبار المغرب فانه أتم فائدة اذ قال رحمه الله دخل
منذر بن سعيد يوماء إلى الناصر بن الزهراء وهو مكب على الاشتغال بالبيان فوعظه
فأنشده عبد الرحمن الناصر

هم الملوك اذا أرادوا ذكرها • من بعدهم قبل السن البنيان

أوما ترى الهرم من قد بقيا وكم • ملك محام حوادث الا زمان

ان البناء اذا تعاضم شأنه • أضحي يدل على عظيم الشأن

(قال فما أدري أهذا شعر أم مثل به) فان كان شعره فقد بلغ به غاية الاحسان وان كان
تمثل به فقد استحقه بالمثل به في هذا المكان وكان منذر يكثر تعنيفه على البنيان ودخل
عليه مرة وهو في قبة قد جعل قرمدها من ذهب وفضة واحتفل فيها احتفالا ظن أن أحدا
من الملوك يصل اليه فقام خطيبا والمجلس قد غص بأرباب الدولة قلا قوله تعالى ولولا
أن يكون الناس أمة واحدة لفلننا من يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج لها
يظهرون الآية وأتبعها بما يليق بذلك فوجم الملك وأظهر الكآبة ولم يسعه الا الاحتمال
لمنذر بن سعيد لعظم قدره في علمه ودينه • وحضر معه يومافى الزهراء فقام الرئيس أبو عثمان
ابن ادريس فأنشد للناصر قصيدة منها

سيتهد ما أبقيت أنك لم تكن • مضيعا وقد مكنت للدين والدنيا

فبالجامع المعمور العلم والتقى • وبالزهرة الزهراء للعلى والعليا

فاهز الناصر وايتهمج وأطرق منذر بن سعيد ساعة ثم قام منشدا

يا باني الزهراء مستغرفا • أوقاته فيها أمانهم

لله ما أحسنها رونقا • لو لم تكن زهرتها تذب

فقال الناصر اذهب عليها نسيم التذكار والحنين وسقتهامد امع الخشوع يا أبا الحكم
لا تذبل ان شاء الله تعالى فقال منذر اللهم اشهد أني قد بشت ما عندي ولم آل نصحا انتهى
ولقد صدق القاضي منذر رحمه الله تعالى فيما قال فانما ذبلت بعد ذلك في القسنة وقبل كان
فيها من منحة محنة وذلك عند ما ولي الجباية عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر الملقب
بسنجول ونصرف في الدولة مثل ما تصرف أخوه المظفر وأبوهما المنصور ما ساء التدبير
ولم يميز بين القبيل والنقيب فدخل إلى المؤيد هشام بن الحكم من خوفه منه حتى ولاعه عهده
كما ينال العهد فيما سبق فأطبق الخاصة والعامة على بغضه واضمار السوء له وذلك
سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة فعند ذلك خرج عليه محمد بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر
سنة تسع وتسعين وتلقب بالمهدي وخلع المؤيد وجسه وأسلمت الجيوش سنجول فأخذ
وأسر وقتل (قال ابن الرقيق) ومن أعجب ما روي انه من نصف نهار يوم الثلاثاء لاربع
بقي من جمادى الآخرة إلى نصف نهار يوم الأربعاء فتحت قرطبة وهدمت الزهراء وخلع

قوله القبيل والنقيب في نسخة
القبيل والدبير ٨١

خليفة وهو المؤيد وولي خليفة وهو المهدي وزالت دولة بني عامر العظيمة وقتل وزيرهم محمد بن علاجة وأقيمت جيوش من العامة ونكب خلق من الوزراء وولي الوزارة آخرون وكان ذلك كله على يد عشرة رجال فحامين وجزارين وزيالين وهم جند المهدي انتهى وقد تقدم بعض الكلام على المهدي هذا وقد قيل فيه لما قام على الدولة

قد قام مهدينا ولكن * بلة الفسق والمجون

وشارك الناس في حريم * لولاه ما زال بالمصون

من كان من قبل ذا أجا * فاليوم قد صار ذا قرون

(ومن شعر المهدي هذا وقد حياه في مجلس شرا به غلام بقضيب آس

أهديت شبه قوامك المباس * غصنار طيبا ناعما من اسن

وكأنما يحكيك في حركاته * وكأنما تحكيه في الانفاس

(وقد ذكرنا فيما سبق في الفصل الثالث خبر المهدي هذا ووقته واقد كان قيامه مشوفا على الدين والدنيا فانه فتح أبواب الفتنة بالاندلس وما حى معالمها حتى تفرقت الدولة واتثر السلك وكثر الرؤساء وتطاول العدو اليها وأخذها شيئا فشيئا حتى محي اسم الاسلام منها أعادها الله تعالى وقد ألم الولي بن خلدون في تاريخه بذكر الزهراء في جملة مباني الناصر فقال مانصه ولما استفعل ملك الناصر صرف نظره الى تشييد القصور والمباني وكان جده الامير محمد وأبوه عبد الرحمن الاوسط وجده الحكم قد احتفلوا في ذلك وبشوا قصورهم على أكمل الاتقان والضخامة وكان فيها المجلس الزاهر والبهور والكامل والمنيف فبنى هو الى جانب الزاهر قصره العظيم وسماه دار الروضة وجلب الماء الى قصورهم من الجبل واستدعي عرفاء المهندسين والبنائين من كل قطر فوفدوا عليه حتى من بغداد والقسطنطينية ثم أخذ في بناء المستزعات فاختذ منية الناعورة خارج القصور وساق لها الماء من أعلى الجبل على أبعد مسافة ثم اختط مدينة الزهراء واتخذها منزله وكرسيه الملك وأنشأ فيها من المباني والقصور والبساتين ما عفا على مبانيهم الاولى واتخذ فيها محلات للوحش فسجحة القناص متباعدة السباح ومسارح للطيور ومظلة بالشباب واتخذ فيها دور الصناعة الآلات من آلات السلاح للحرب والحلى للزينة وغير ذلك من المهن وأمر بعمل الطلبة على صحن الجامع بقرطبة وقاية للناس من حر الشمس انتهى وأما الزاهرة فبني من مباني المنصور محمد بن أبي عامر (قال ابن خلدون) أثناء كلامه على المنصور ما صورته وايتنى لنفسه مدينة لئلا يراها الزاهرة ونقل اليها جزأ من الاموال والاسلحة انتهى (وقال غيره) وأظنه صاحب المطمع وفي سنة ثمان وستين وثلاثمائة أمر المنصور بن أبي عامر ببناء الزاهرة وذلك عندما تكامل واستفعل أمره واتقد حجره وظهر استبداده وكثر حساده وأضداده وأنداده وخاف على نفسه في الدخول الى قصر السلطان وخشى أن يقع في أشطان فتوثق لنفسه وكشف له ما ستر عنه في أمسه من الاعتزاز عليه ورفع الاستناد اليه وسما الى ما سميت اليه المولود من اختراع قصر ينزل فيه ويحمله بأهله وذويه ويضم اليه رياسته ويتم به تدبيره وسياسته ويجمع فيه قتيانه وعلمائه فارتاد موضع مدينته المعروفة بالزاهرة الموصوفة

بالقصور الباهرة وأقامها بطرف البلد على نهر قرطبة الأعظم ونسق فيها كل اقتدار
معجز وتظم وشرع في بنائها في هذه السنة المؤرخة وحشد الصناع والفعلة وجلب إليها
الآلات الجليلة وسربها لها بريد الأعين كيلة وتوسع في اختطاطها وتوابع باتسارها
في البسيطة وانبساطها وبالغ في رفع أسوارها وثابر على تسوية أنجادها وأغوارها
فاتسعت هذه المدينة في المدة القرية وصارت مأوى من الأنبياء الغريبة وبني معظمها
في عامين * وفي ستة سبعين وثلثمائة انتقل المنصور إليها ونزلها بخاصته وعامته فقبواها
وشكنها بجميع أسلحته وأمواله وأمتعته واتخذ فيها الدواوين والأعمال وعمل في داخلها
الأهراء وأطلق بساحتها الأرحاء ثم أقطع ما حولها للوزرائه وكتابه وقواده وجبابه
فابتنوا بها ككبار الدور وجليلات القصور واتخذوا خلالها المستغلات المفيدة
والمنازل المشيدة وقامت بها الأسواق وكثرت فيها الأرفاق وتنافس الناس بالتزول
بأكافها والخلول بأطرافها للدق من صاحب الدولة وتناهي العلوق في البناء حوله حتى
اتصلت أرباضها بأرباض قرطبة وكثرت بحوزتها العمارة واستقرت في محبوبتها الأمانة
وأفرد الخليفة من كل شيء الأمن الاسم الخلفي وصير ذلك هو الرسم العافي ورتب فيها
جلوس وزرائه ورؤس أمراءه وندب إليها كل ذي خطة بخطته ونصب بيابها كرمي
شرطته وأجلس عليها والياعلى رسم كرمي الخليفة وفي سنة تلك المرتبة الخليفة وكتب
إلى الأقطار بالاندلس والعدوة بأن تحصل إلى مدينته تلك أموال الجبايات وتقصدها
أصحاب الولايات ويتابعها بطلاب الخوايج وحذر أن يعوج عنها إلى دار الخليفة عائج
فاقتضيت إليها اللبانات والأوطار والمحدث الناس إليها من جميع الأقطار وتم لمحمد بن أبي
عامر ما أراد وانتظم بلمبة أمانته المراد وعطل قصر الخليفة من جميعه وصيره بمعزل من
سامعه ومطيعه وسد باب قصره عليه وجعد في خبر لا يصل إليه وجعل فيه ثقة من
صنائه يضبط القصر ويسط فيه النهي والأمر ويشرف منه على كل داخل ويمنع
ما يحذره من الدواخل ورتب عليه الحراس والبوابين والسمار والمتابين يلازمون
حراسة من فيه ليلا ونهارا ويراقبون حركاتهم سرا وجهارا وقد جرع على الخليفة كل
تدبير ومنعه من تلك قبيل أودير وأقام الخليفة هشام بمحجور القناء محجوز القناء
خفي الذكر عليل الفكر مسدود الباب محجوب الشخص عن الاحباب لا يراه خاص
ولا عام ولا يخاف منه بأس ولا يرجي منه انعام ولا يهد فيه إلا الاسم السلطاني
في السكة والدعوة وقد نسخته ولبس أبهته وطمس بهجته وأغنى الناس عنه وأزال
أطماعهم منه وصيرهم لا يعرفونه وأمرهم لا يذكرونه واشتد ملك محمد بن أبي عامر
من نزل قصر الزاهرة وتوسع مع الأيام في تشييد بنيته حتى كملت أحسن كمال وجاءته
في نهاية الجمال تفاوت بناء وسبعة قناء واعندال هو ورق أدبته وصقالة جواعته
نسيمه ونضرة بستان وبهجة للنفوس فيها اثنان وفيها يقول صاعد اللغوى
يا أيها الملك المنصور من يمن * والمبني نسبا غير الذي اتسبا
بغزوة في قلوب الشرك رائعة * بين المنايا تنافى السحر والقضا

أما ترى العين تجري فوق مرمرها • هوى فيجري على أخفافها الطربا
أجريتها قطرها الزاهي بجريتها • كما طموت فسدت العجم والعربا
تخال فيه جنود الماء رافلة • مستلزمات تريك الدرع واليلبا
تحفها من فنون الالك زاهرة • قدأورقت فضة اذا أورقت ذهبها
بدبعة الملك ما ينقل ناظرها • يتلوع على السمع منها أية عجا
لا يحسن الدهر أن ينشئ لها مثلا • ولو تعنت فيها نفسه طلبا
ودخل عليه ابن أبي الحبيب في بعض قصوره من المنية المعروفة بالعامرية والروض قد
تفتحت أنواره وتوشت أنجاده وأغواره وتصرف فيها الدهر متواضعا ووقف بها
السعد خاضعا فقال

لا يوم كالיום في أيامك الأول • بالعامرية ذات الماء والظل
هواؤها في جميع الدهر معتدل • طيبا وان حل فصل غير معتدل
ما ان يبالي الذي يحتل ساحتها • بالسعد أن لا تحل الشمس بالحل
وما زالت هذه المنية رائقة والعود بلبتها متناسقة تراوحها الفتوح وتغادها
وتجلب إليها منكسرة أعادها لا تزحف عنها راية الا الى فتح ولا يصدر عنها تدبير الا الى
نجح الى أن حان يومها العيب وقبض لها من المكروه أو فر نصيب فتولت فقيدة
حلت من بهجتها كل عقيدة انتهى (وقد حكى الحميدى في جذوة المقتبس) هذه
الحكاية الواقعة لابن أبي الحبيب بزيادة فقال بعد أن ذكر هذه المنية العامرية وهى الى
جانب الزهراء أن أبا المطرف بن أبي الحبيب الشاعر دخل الى المنصور في هذه المنية فوقف
على روضة فيها ثلاث سوسنات ثنتان منها قد فتحتا وواحدة لم تفتح فقال

لا يوم كاليوم في أيامنا الأول • بالعامرية ذات الماء والظل
هواؤها في جميع الدهر معتدل • طيبا وان حل فصل غير معتدل
ما ان يبالي الذي يحتل ساحتها • بالسعد أن لا تحل الشمس في الحل
كانما غرست في ساعة وبدا السوسن من حينه فيها على عمل
أبدت ثلاثا من السوسن ماثلة • أعناقهن من الاعياء والكسل
فبعض توارها للبعض متفتح • والبعض منغلق عنهن في شغل
كانها راحة ضمت أناملها • من بعد ما ماتت من جودك الخضل
وأختها بسطت منها أناملها • ترجو نوال كما عودتها فصل انتهى
وقد ذكر ابن سعيد أن ابن العريف النحوى دخل على المنصور بن أبي عامر وعنده صاعد
اللقوى البغدادى فأنشده وهو بالوضع المعروف بالعامرية من آيات
فالعامرية تزهى • على جميع المباني
وأنت فيها كسيف • قد حل في غمدان

فقام صاعد وكان مناقضه فقال أسعد الله تعالى الحاجب الاجل ومكن سلطانة هذا الشعر
الذى قد أعده وترقى فيه أقدر أن أقول أحسن منه ارتجالا فقال له المنصور قل ليظهر

صدق دعواي فجعل يقول من غير فكرة كثيرة

يا أيها الحاجب المعشوق على كيوان
ومن به قد تناهى * فخار كل عيان
العامرية أضحت * بكنة الرضوان
فريدة لفسريد * ما بين أهل الزمان

ثم مر في الشعر الى أن قال في وصفها

اتطير الى النهر فيها * ينساب كالثعبان
والطير يخطب شكرا * على ذرى الاغصان
والقضب تلف سكرها * بميسر القضببان
والروض يفت زهوا * عن ميسر الاخوان
والترجم الغض يرفو * بوجنة النعمان
وراحة الريح تمنا * رقيقة الريحان
قدم مدى الدهر فيها * في غبطة وأمان

فاستحسن المنصور ارتجاله وقال لابن العريف مالك فائدة في مناقضة من هذا ارتجاله فكيف تكون دويته فقال ابن العريف انما انطقه وقرب عليه المأخذ احسانك فقال له صاعد فيخرج من هذا أن قل احسانه لك اسكتك وبعدت عليك المأخذ فضحك المنصور وقال غير هذه المنازعة أليق بأريكما (قلت) وقد ذكر مؤرخو الاندلس مني كثيرة بها منها منية الناعورة السابقة ومنية العامرية هذه ومنية السرور ومنية الزبير منسوبة الى الزبير بن عمار الملقب بملك قرطبة (قال أبو الحسن) بن سعيد أخبرني أبي عن أبيه قال خرج معي الى هذه المنية في زمان فتح توار اللوز أبو بكر بن بكي الشاعر المشهور فجلسنا تحت سطرلوز قد تور فقال ابن بكي

سطر من اللوز في البستان قابلي * ما زادني على شيء ولا نقصا
كأنما كل غصن كم جارية * اذا التسمي ثني أعطافه رقصا

ثم قال

عجبت لمن أبقى على خردنه * غداة رأى لوز الحديقة تورا انتهى
(وذكر) بعض مؤرخي الاندلس أن المنصور بن أبي عامر كان يزرع كل سنة ألف مدى من الشعير قصيلا لدوايه الخاصة به وأنه كان اذا قدم من غزوة من غزواته لا يحل عن نفسه حتى يدعو صاحب الخيل فيعلم مامات منها وما عاش وصاحب الابنية لما وهي من أسواره ومبانيه وقصوره ودوره قال وكان له دخالة كل يوم اثني عشر ألف رطل من اللحم حاشا الصيد والطير والحيتان وكان يصنع في كل عام اثني عشر ألف ترمن عامرية لقصر الزاهرة والزهراء قال وايتني على طريق المباشاة والفخامة مدينة العامرية ذات القصور والمنترحات المخترة كمنية السرور وغيرها من مناشئ البديعة انتهى * ومن المطمح ان المنصور لما فرغ من بناء الزاهرة غزا غزوة وأبعد فيها الايغال وغال فيها من عظماء

الروم من غال وحل من أرضهم مالم يطرق وراع منهم مالم يرع قط ولم يفرق وصدر
صدراً سماته على كل حسناء عقيله وجلابه كل صفحة الحسن صقيه ودخل قرطبة
دخولاً لم يعهد وشهد له فيها يوم مثله لم يشهد وكان ابن شهيد متخلفاً عن هذه الغزوة
لتفرس عداة عائده وحاداة متبجعة ورائده وابن شهيد هذا الحد حجاب الناصر وله على
ابن أبي عامر أباد محكمة الاواصر وهو الذي نهض به أول انبعاثه وشفي أمره زمن
التياته وخاص المصحفي عنه بلسان من الحماية ألد وتوخاه باحسان قلده من الرعاية ما قلده
وأسمى رتبته وحلى بأعظام جاهه لبته وكان كثيراً ما يتحفه ويصله ويلطفه فلما صدر
المنصور من غزوته هذه وقفل تسي متاحفته وغفل فكتب إليه ابن شهيد

أنا شيخ والشيخ عوى الصبايا * بنفسى اقبلك كل الرزايا
ورسول الاله أسهم في القى * لمن لم يخب فيه المطايا
فاجعلني قديت أشكر معرو * فك واجتنبها عذاب الثنايا
فبعث إليه بعقيله من عقائل الروم يكنفها ثلاث جوار كأنهن نجوم سوار وكتب إليه
قد بعثنا بها كشمس النهار * في ثلاث من المها أبكار
فاتشد واجتهد فانك شيخ * سلخ الليل عن ياض النهار
صانك الله عن كلالك فيها * فمن العار كاسة المسمار

فكتب إليه ابن شهيد

قد فضضنا ختام ذاك السوار * واصطبغنا من التجميع الجار
ونعمنا في نطل انم ليل * ولهونا بالبدر ثم الدار
وقضى الشيخ ما قضى بحسام * ذى مضاء غضب الطبباتار
فامطنعه فليس يجزيك كفرا * واتخذ سيفا على الكفار انتهى
وقد قد منا هذه الحكاية في أخبار المنصور من الباب الثالث ولكنا أعدنا هنا ما بقظ المطمح
لما فيه من العذوبة والفائدة الزائدة * وعن كان في أيام المنصور من الوزراء المشهورين
الوزير الكاتب أبو مروان عبد الملك بن إدريس الخولاني قال في المطمح علم من الاعلام
فريد الزمان وعين من أعيان البيان بأهر الفصاحة طاهر الجنب والساحه تولى التعبير
أيام المنصور والانشاء وأشعر بدولته الافراح والانتشاء ولبس العزة مدة صافية البرود
وورد بها النعمة صافية الورود وامتطى من جياذ التوجيه وأعنى من لاحق والوجه
ونمادى طلقه ولا أحد يلحقه الى أيام المظفر فشى على سنته وتمادى السعد يترنم على
فقه الى أن قتل المظفر صهره عيسى بن القطاع صاحب دولته وأميرها المطاع وكان
أبو مروان قديم الاصطناع له والانقطاع فاتهم معه وكاد أن يذوق حجامه ومصرعه
الأن احسانه شفع ويسانه نفع ودفع فخط عن تلك الرتب وحمل الى طرطوشة على
القتب فبقى هنالك معتقلاً في برج من أبراجها تافى المنتهى كالماء ينابيع السما
قد بعد ساكنه عن الانيس وقعد من النجم بمنزلة الجليس تمر الطيور دونه ولا تجوزه
ويرى منه الترى ولا يكاد يحوزه فبقى فيه دهر الا يرتقى اليه راق ولا يرجى لبته راق

الى أن أخرج منه الى ثراه واستراح بماعراه فن بديع تظمه قوله يصف المعتقل الذي فيه اعتقل

ياؤى اليه كل أعور ناعق * وتهب فيه كل ريح صرصر

ويكاد من يرقى اليه مرة * من عمره يشكو انقطاع الابر

ودخل ليلة على المنصور والمنصور قد انكأ وارتفق وتحملى بجلسه ذلك الاق فكم اما نيا بجلسه ذلك مسوقه واحاديث الاماني به منسوقه فأمره بالنزول عنده فنزل في جلة الاصحاب والقمر يظهر ويختب في السحاب والافق يبدو به أغر ثم يعود مبهما والليل يترأى منه أشقر ثم يعود أدهما وأبومروان قد انتشى وجال في ميدان الانس ومشى وبرد خاطره قد دبحه السرور ووشى فألقه ذلك المغيب والالتياح وأنطقه ذلك السرور والارتياح فقال

أرى بدر السماء يلوح حيا * فيبدو ثم يلتف السحابا

وذلك انه لما تبدى * وأبصر وجهك استحيافا

مقال لو غنى عندي اليه * لراجمنى بذاحقا جوايا

وله في مدة اعتقاله وتردده في قلبه وقاله

شخط المزارق لامزار ونافرت * عيني الهجوع فلا خيال بعترى

أزرى بصبرى وهو مشدود العرى * وألان عودى وهو صلب المكسر

وطوى سرورى كله وتلاذذى * بالعيش طى محيفة لم تنشر

ها انما ألقى الحبيب توها * بضمير تذكارى وعين تذكري

عجبا لقلبي يوم راعنى النوى * ودنا وداع كيف لم يتفطر

(رجع الى المنصور) وكان المنصور اذا أراد أمرا مهما شاور أرباب الدولة والاكابر من خدام الدولة الاموية فيشيرون عليه بالوجه الذى عرفوه وجرت الدولة الاموية عليه فيخالفهم الى المنهج الذى ابتدعه فيقضون فى أنفسهم بالهلال فى الطريق الذى سلكه والمهيع الذى اخترعه فتسفر العاقبة عن السلامة التامة التى اقتضاها سعيه فيكترون التعجب من موارد أموره ومصادرها * وقيل له مرة ان فلانا مشؤم فلا تستخدمه فقال أف لسعد لا يغطى على شؤمه فاستخدمه ولم ينله من شؤمه الذى جرت به العادة شئ * وحكى عنه انه كان فى قصره الذى بالزاهرة فتأمل محاسنه ونظر الى مياه المطردة وأنت لا طياره المغردة وملا عينه من الذى حوام من حسن وجمال والتفت فى الزاهرة من اليمين الى الشمال فأنحدرت دموعه وتجههم وقال ويل لك يا زاهرة فليت شعرى من الخائن الذى يكون خرابك على يديه عن قريب فقال له بعض خاصته ما هذا الكلام الذى ماسمعناه من مولانا قط وما هذا الفكر الردى الذى لا يليق بمثله شغل البال فقال والله لتروى ما قلت وكأني بمحاسن الزاهرة قد نحييت وبرسومها قد غيرت وبجانيها قد هدمت ومحييت وبخزائنها قد نهيت وبساحاتها قد أضربت بنار الفتنة وألهبت (قال الحماكي) فلم يكن الا أن توفى المنصور وتولى المنظر فلم تطل مدته فقام بالامرة أخوه عبد الرحمن الملقب

بسجنور فقام عليه المهدي والعاقة وكانت منهم عليه وعلى قومه الطاقة وانقرضت
دولة آل عامر ولم يبق منهم آس

كان لم يكن بين الجحون الى الصفا * أنيس ولم يسعر بمكة سامر
بلى نحن كونا أهلها فابادنا * صروف الليالي والجدود والعواثر
وخربت الزاهرة ومضت كأمس الدايرة وخلت منها الدسوت الملوكة والساكر
واستولى النهب على ما فيها من العدة والذخائر والسلاح وتلاشى أمرها فلم يرج لفسادها
صلاح وصارت قاعا صفا وبذلت بأيام الترح عن أيام الفرح والصفاء (ويروى) أن بعض
أولياء ذلك الزمان مرتبها ونظر الى مصانعها السامية الفائقة ومبانيها العالية الرائقة
فقال يا دار فيك من كل دار فجعل الله منك في كل دار (قال الخاكي فلم تكن بعد دعوة
ذلك الرجل الصالح الأيام بسيرة حتى نهبت ذخائرها وعم بالخراب ساورها فلم تبقى دار
في الاندلس الا ودخلها من فيها حصنة كثيرة أو قليلة وحقق الله تعالى دعاء ذلك الرجل
الذي همته مع ربه جليلة (ولقد سكي) أن بعض ما نهب منها بيع ببغداد وغيرها من البلاد
المشرقية فسبحان من لا يزول سلطانه ولا يتقضى ملكه لا اله الا هو (وتذكرت) هنا ما رآه
في المنام بعض أهل المغرب بالليلة التي انقرض فيها ملك الموحدين أن شخصا ينشده

ملك بني مؤمن تولى * وكان فوق السماء سميكة

فاعتبروا وانظروا وقولوا * سبحان من لا يبدي ملكه لا اله الا هو
وكان المهدي القائم على العامرين ما جئنا فانتكنا قال وقد حياه في مجلس شرا به
غلام بقضيب آس

أهديت شعبة قوامك المباس * غصنار طيبا ناعما من آس
وكأنما يحكيك في حركاته * وكأنما تحكيه في الانفاس

وكان المنصور بن أبي عامر حين تغلب على ملك الامويين غير مكترث بمثل المهدي المذكور
فسلطه الله تعالى على كل ما أسسه المنصور حتى هدمه وأخر كل ما قدمه ولم يتفع في ذلك
احتياط ولا حزم ولا راد للقضاء المبرم الجزم والله يحكم ما يشاء * فلاتكن متعزضا وقد
قدمنا شيئا من أخبار المنصور ولا بأس أن نتكلم هنا ببعضها وان حصل منه نوع تكرار
في نسخة منها الارتباط الكلام بعضه ببعض (قال بعض المحققين من المؤرخين) سجنور
المنصور بن أبي عامر على هشام المؤيد بحيث لم يره أحد منذ ولي الجباية ورجم أركبه بعض
سنيين وجعل عليه برنسا وعلى جواربه مثل ذلك فلا يعرف منهم ويأمر من ينحى الناس
من طريقه حتى ينتهي المؤيد الى موضع تنزهه ثم يعود غير أنه أركبه بأبهة الخلافة في بعض
الأيام اغرض له كما المعنابه فيما سبق وكان المنصور اذا سافر وكل بالمؤيد من يفعل معه
ذلك فكان هذا من فعله سببا لانقطاع ملك بني أمية من الاندلس وأخذ مع ذلك في قتل من
يخشى منه من بني أمية خوفا أن يشوروا به ويظهر أنه يفعل ذلك شفقة على المؤيد حتى أفنى
من يصلح منهم للولاية ثم فرق باقيهم في البلاد وأدخلهم زوايا الخمول عارين من الطراف
والتلاد ورجم أسكن بعضهم البادية وترك مجلس الابهة وناديه حتى قال بعض من ينقم

على المنصور ذلك الفعل من قصيدة

أبني أمية ابن ابقار الديجي * منكم وأين فجومها والكوكب
غابت أسود منكم عن غابها * فلذلك حاز الملك هذا النعلب

مع أن المنصور مفاخر لديها الاوائل والاواخر من المثابرة على جهاد العدو وتكرار
الذهاب بنفسه في الرواح والغدو وله مع المصطفى وغيره أخبار مرت وبأني بعضها ولا بأس
أن نلخص ترجمة المصطفى فنقول (قال الفتح في المطمح) الحاجب جعفر المصطفى تبحر للعليا
وتتردى في طلب الدنيا حتى بلغ المنأ وتسوق ذلك الجني فسادون سابقة وارتمى الى رتبة
لم تكن لبيته بمطابقة والتاح في أقياء الخلافة وارتاح اليها بعطفه كنشوان السلافة
واستورزه المستنصر وعنه كان يسمع وبه يصير فأدرك بذلك ما أدرك ونصب لأمانيه
الحبائل والشرك واقفى وادخر وزرى بمن سواه ومنخر واستعطفه المنصور بن أبي
عامر ونجمه بعد غائر لم يلج وسره مكتوم لم يبح فباعطف ولا جنى من روضة دنياه
ولا قطف فأقام في تدبير الاندلس ما أقام والاندلس متغيرة والاذهان في تكيف بعده
متغيرة فناهيك من ذكر خلد ومن نخر تقلد ومن صعب راض وجناح قننة هاض
ولم يزل بنجاح تلك الخلافة معتقلا وفي مطالعها مستقلا الى أن توفي الحكم فانتقض
عقده المحكم وانبرت اليه النوائب وتسدت اليه سهام صوائب واتصل الى المنصور
ذلك الامر واختص به كمال يزيد اخوة الغمر وأناف في تلك الخلافة كاشب قبل
اليوم عن طوقه عمرو وانتدب للمصطفى بصدر كان أوغره وساء وصغره فاقص من
تلك الاساءه وأعص حلقه بأى اشاء فأخله ونكبه وأرجله عما كان الدهر أركبه
وألهب جوارحه حرنا ونهب له متخرا ومحتزنا ودمر عليه ما كان حاط وأحاط به
من مكروهه ما أحاط وغير سنين في مهوى تلك النكبه وجرأت تلك الكربة ينقله المنصور
معه في غزواته ويعتقله بين ضيق المطبق ولهواته الى أن تكورت شمسه وفاطت بين
أشياء المحن نفسه ومن يدبغ ما حفظه في نكبته قوله يستريح من كربته

صبرت على الايام المأثولت * وألزمت نفسي صبرها فاستمرت
وما النفس الا حيث يجعلها الفتى * فان طمعت تافت والانسلت
فوا عجا للقلب كيف اعترافه * وللنفس بعد العزيف استذلت
وكانت على الايام نفسي عزيزة * فلما رأيت صبرى على الذل ذلت
فقلت لها يا نفس موتى كريمة * فقد كانت الدنيا لنا ثم ولت

وكان له أدب بارع وخاطر الى نظم القريض يسارع فن محاسن أنظامه وانشاده التي
بعثها ايناس دهره باسعاده قوله

لعمريك في قلبي على عيون * وبين ضلوعى لشجون قدون
لئن كان جسمي مخلقا في يد الهوى * فحبك عندي في الفؤاد مصون

(وله) وقد أصبح عاكفا على حياه هاتفا باجابه دنياه مرثفا ثغرا لانس متسمارياه
والملك يغار له بطرف كليل والسعد قد عقد عليه منه اكليل يصف لون مدامه

قوله كمال الخ كذا في نسخة
وفي أخرى كمال بين يديه اخوة
الغمر وليجرو ويتأمل اه

وما تعرف له متبادون ندامة

صفراء تطرق في الزجاج فان سرت * في الجسم دبت مثل صل-لادغ
خفيت على شرايبها فكأنما * يجسدون ريامن اناء فارغ
ومن شعره الذي قاله في السفر جل مشبا وغدايه لنا ثم البديع منبها قوله يصف سفر جل
ويقال انه ارتجله

ومصفرة تختال في ثوب نرجس * وتعبق عن مسك ذكي التنفس
لهاريج محبوب وقسوة قلبه * ولون محب حلة السقم مكتسى
فصفرتها من صفر في مستعارة * وأنفاسها في الطيب أنفاس مؤنسى
وكان لها ثوب من الرغب أغسبر * على جسم مصفر من التبر أملس
فلما استمت في القضيبي شبابها * وحاكت لها الاوراق أثواب سندس
مددت يدي باللفظ أبغى اجتناءها * لاجعلها ريمحاني وسط مجلسي
فبزت يدي غصبا لها ثوب جسمها * وأعسريتها باللفظ من كل ملبس
ولما تعزت في يدي من برودها * ولم تبس الا في غسالة نرجس
ذكرت لها من لأبوح بذكره * فأذبلها في الكف حر التنفس
وله وقد أعاده المنصور الى المطبق والشجون تسرع اليه وتسبق معز بالنفسه ومجتريا
باسعاد أمسه

أجازي الزمان على حاله * مجازاة نفسي لانفاسها
اذا نفس صاعده شفها * توارت به دون جلالها
وان عكفت نكبة للزمان * عطفت بنفسى على راسها
ومما حفظ له في استعطافه واستمراله للمنصور واستلطافه قوله
عفا الله عنك الأراجفة * تجود بعقولك أن أبعدا
لئن جل ذنب ولم أعتمده * فانت أجل وأعلى يدا
الم تر عبدا عدا طوره * ومولى عفا ورشيد اهدى
ومفسد أمر تلافيته * فعاد فاصلى ما أنفسدا
أقلنى أقالك من لم يزل * يقينك ويصرف عنك الردى

* (عود وانعطاف الى أخبار المنصور بن أبي عامر) رجه الله تعالى وجازاه عن جهاده
أفضل الجزاء بمنه وكرمه وفضله وطوله فنقول وكان له في كل غزوة من غزواته المنيفة على
الجنسين مفخر من المفاخر الاسلامية فنها أن بعض الاجناد نسي رايته من كوزة على جبل
بقرب إحدى مدائن الروم فأقامت عدة أيام لا يعرف الروم ما وراءها بعد رحيل العساكر
وهذا بلا خفاء مما يفخر به أهل التوحيد على أهل التثليث لانهم لما أشرب قلوبهم خوف
شر ذمة المنصور وحزبه وعلم هكل من ملوكهم انه لا طاقة له بحزبه بلوا الى الفرار
والتحصن بالمعاقل والقلاع ولم يحصل منهم غير الاشراف من بعد والاطلاع (ومن مفاخر
المنصور) في بعض غزواته انه ستر بين جبلين عظيمين في طريق عرض برية بوسط بلاد الافرنج

فلما جاوز ذلك المحل وهو آخذ في التصريق والتخريب والغارات والسبي عينا وشمالا لم يجسر أحد من الأفرنج على لقائه حتى أقصرت البلاد مسافة أيام ثم عاد فوجد الأفرنج قد استجاشوا من ورائهم وضبطوا ذلك المدخل الضيق الذي بين جبلين وكان الوقت شتاء فلما رأى ما فعلوه رجع واختار منزلا من بلادهم أناخ به فبين معه من العساكر وتقدم ببناء الدور والمنازل ويجمع آلات الحرب ونحوها وبث سراياه فسبت وغنمت فاسترق الصغار وضرب أعناق الكبار وألقى جثثهم حتى سدها المدخل الذي من جهته وصارت سراياه تخرج فلا تجد إلا بلادا خرابا فلما طال البلاء على العدو أرسلوا اليه في طلب الصلح وأن يخرج بغير أسرى ولا غنائم فامتنع من ذلك فلم تزل رسالهم تتردد اليه حتى سألوه أن يخرج بغنائمه وأسراهم فأجابهم أن أصحابي أبوا أن يخرجوا وقالوا انما لانكاد نصل بلادنا الا وقد جاء وقت الغزوة الأخرى فتقعد ههنا الى وقت الغزاة فاذا غزونا عدا فإزال الأفرنج يسألونه الى أن قرروا عليهم أن يحملوا على دوابهم ما معه من الغنائم والسبي وان يمدوه بالميرة حتى يصل الى بلاده وأن ينحوا جيف القتلى عن طريقه بأنفسهم ففعلوا ذلك كله وانصرف ولعمري ان هذا لعزما وراءه مطمح ونصر لا يكاد الزمان يجود بمثله ويسمح خصوصا انهم جيف قتلاهم من الطريق وغصصهم في شرب ذلك بالريق (ومن ما تراه التي في جبين عصره غزه ولعين دهره قره انه لما ختن أولاده ختن معهم من أولاد أهل دولته خمسمائة صبي ومن أولاد الضعفاء عدد لا يحصر فبلغت النفقة عليهم في هذا الأعدار خمسمائة ألف دينار وهذه مكرمة بخلده ومنه مقلده قاله سبحانه يجازيه عن ذلك أفضل الجزاء ويجعل للمسلمين في فقد مثله أحسن العزاء (ومن مناقبه التي لم تتفق اغيرة من الملوك في غالب الظن ان أكثر جنده من سبيه على ما حققه بعض المؤرخين وذلك غاية المنح من الله والمان) ومن أخباره الدالة على اقبال أمره وخيبة عدوه وأدباره انه ما عاد قط من غزوة الا استعد لا أخرى ولم تهزم له قط راية مع كثرة غزواته شاتية وصائفة وكفاء ذلك فخرا * ومنها انه لقبته وقد عاد من بعض غزواته امرأة نغصت عليه بلوغ مناه وشهواته وقالت له يا منصور استمع ندائي فأنت في طيب عيشك وأنا في بكائي فسألهما عن مصيبتها التي عمتها وغمتها فذكرت له أن لها ابنا أسيرا في بلادهمتها وأنها لا يهنأ عيشها الفقد ولا ينجو ضرام قلقها من وقده وأنشد لسان حالها لذلك الملك العلي ويح الشجى من الخلى فرحب المنصور بها وأظهر الرقة بسببها وخرج من القائلة الى تلك المدينة التي فيها ابنها وجاس أقطارها وتخللها حتى دوخها اذا ناخ عليها بكل كلة وذللها وأعراها من سماتها وبينود الاسلام المنصورة ظلالها وخلص جميع من فيها من الأسرى وجلبت عوامله الى قلوب الكفرة كسرا وانقلبت عيون الأعداء حسرى وتلا لسان حال المرأة فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا فهكذا تكون الهمة السلطانية والنخوة الإيمانية قاله سبحانه يروح تلك الارواح في الجنان ويرقى درجاتها ويعاملها بمحض الفضل والامتنان وقد تذكرت هنا والحديث شجون وبذكر المناسبات يبلغ الطلاب ما يرجون كتابا كتبه الأديب الكاتب أبو محمد ابن الامام الجافظ محدث الاندلس أبي عمر بن عبد البر النخيري

الى المنصور بن أبي عامر وهو من ذرية المنصور الكبير الذي كنا نتحدث في أخباره عت
اليه بسلفه ومعاملته - ثم لمن تقدم من آباءه بتعظيم قدره واكباره وهو عمر الله ببقاء سيدي
ذكرى السابقين بهجة أوطانه وملكه عنان زمانه ومدعاه ظلال أمانه اني أبق
الله الملك الكريم والسيد الزعيم لما أضاعت لي أهله مفاخركم في سماء الفخار وأشرفت
شموس مكارمكم على مفارق الاحرار وأبصرت شمائلك الزهر تهدي اليك من الهم
محامدها ومحاسنك الغزوة قط لك من الآمال رواقدها ايقنت انه بحق انتقادت لك
القلوب باعنتها وتمادت اليك النفوس بأزمتها فأليت أن لا أتم الابحمال ولا أخط
رحلا الا بفضلك علما بأنك نثرة الفخر وغرة الدهر فتمت سارياني ساطع نورك
متيننا بين طائر كحقة الاربع موقنا بالفلح والنجم حتى حلت في دوحة المجد وأنحت
بدولة السعد واستشعرت لبسة الشكر والحمد وجعلت أنظم من جواهر الكلام
ما يربني على جواهر النظام وأتشر من عطر التناء ما يرزى بالروضة الغناء وحاشا للفهم
أن يعطل ليلى من أبقارك أو يخلى أفق من أنوارك فأراني منخرطاني غير سلكه ومنحط
الى غير ملكه لاجرم انه من استضاء بالهلال غنى عن الذبال ومن استنار بالصباح
ألقي سني المصباح وتالله ما هزت آمالي ذوائبها الى سواك ولا حدث أوطاري ركائبها
الى من عدالك ايكون في أثر الوسمي في الساحل وعلى جمال الحلي على العاقل
لسيادتك السنية ورياستك الاولية التي يقصر عنها لسان افصاحي ويعيا في بعضها
بيانى وايضا جى فالقراطيس عنديت مناقبك تفنى والاقلام في رسم ما تركت تحق وما
أمل المجدب في حياة الخصب ولا جذل المذنب برضا المعتب كاملي في التعز بجزوتك
والتجمل بجملك والترفع بخدمة ملك فالسعيد من نشأ في دوائك وظهر في أمتك
واستضاء بعزتك لقد فاز بالسبق من لحظة عين رعايتك وكنفته حوزة حمايتك
فأنت الذي أمنت بعده نواب الايام وقويت بسلطانه دعائم الاسلام تختال بك المعالي
اختيال العروس وتخضع لجلالك أعزة النفوس سابقة أشهر من الفجر وفطنة أنور من
البدر وهمة أنفذه من الدهر

لقد فاز من أضحي بكم متمسكا • يشد على تأميل عزكم يدا
سلكت سبيل الفخر خلقا مريكا • وغيرك لا يأتيه الاتجلا دا
فأنتم لواء الدين لازال قويا • بأرائكم في ظلمة الخطب يهتدى
لهذهكم مجد تليد بنيتم • أغار سناء في البلاد وانجدا
ومثله أبقاه الله سبحانه يستمر اوراقه فيخرجناه ويسمط اوراقه فيمطر حياه لاسيما واني
نشأة حفها احسان أوائل الطاهرين وألفها انعام كأبرك الاخيار الطيبين
وجدير بقبولك واقبالك وبرك واجمالك من أصله ثابت في أهل محبتكم وفرعه ثابت
في خاصتكم

وما رغبتني في عسجد أستفيده • ولكنها في مفخر أستبيحه
فكل نوال كان أو هو ككائن • فلحظة طرف منك عندي نده

فكن في اصطناعي محسنا لمجرب * بينك تقريب الجواد وشده
 اذا كنت في شك من السيف قابله * فاما تناقبه واما تعدده
 وما الصارم الهندي الا كغيره * اذالم يفارقه التجاد ونعمه
 ولا بأس أن يتناول مولاي بغرس الصنعة في أزكى الترب ووضع الهناء موضع التوب
 والله سبحانه يبقى مولاي آخذا بزمام الفخر ناهضا بأعباء البر مالكا لعنة الدهر ومنع
 الله سبحانه لسيدى أتم الصنع وأجمله وأفضله وأكمله بمنه لا رب سواه انتهى (رجع
 الى أخبار المنصور الكبير) محمد بن أبي عامر رحمه الله وكنا قد ذكرنا انه قبض على الوزير
 الحاجب المصنف مع انه كان أحد أتباعه (قال صاحب كتاب روضة الازهار وبهجة
 النفوس ونزهة الابصار) ولما أمر المنصور بن أبي عامر بسجن المصنف في المطبق بالزهره
 ودع أهله وودعه وداع القرقة وقال لهم اسمعوا تروني بعدها حيا فقد أتى وقت اجابة
 الدعوة وما كنت أرتقبه منذ أربعين سنة وذلك اني أشركت في سجن رجل في عهد
 الناصر وما أطلقته الا برؤيا رأيتها بأن قيل لي أطلق فلانا فقد أجبت فيك دعوته فأطلقته
 وأحضرته وسألته عن دعوته على فقال دعوت على من شارك في أمري أن يميتته الله
 في أضيق السجون فقلت انها قد أجبت فاني كنت ممن شارك في أمره وندمت حين
 لا ينفع الندم فيرى انه كتب للمنصور بن أبي عامر بهذه الايات

هبت أسأت فأين العفو والكرم * اذ قادتني نحوك الاذعان والندم
 يا خير من مدت الايدي اليه أما * ترفى لشيخ نعا عندك القلم
 نالفت في السخط فاصفح صفح مقتدر * ان الملوك اذا ما استرحوا رحوا

فأجابه المنصور بأيات لعبد الملك الجزيري

يا جاعلا بعد ما زلت به القدم * تبغى التكرم لما فاتك الكرم
 تدمت اذ لم تعد منى بطائفة * ولما ينفع الاذعان والندم
 نفسي اذا جئت ليست برابعة * ولو تشفع فيك العرب والعجم

فبقى في المطبق حتى مات وهو ذبا لله تعالى من دعوة المظلوم انتهى * وقد ذكر بعضهم
 في هذه الايات زيادة حسنا ذكرناه في غير هذا المحل فان هذه الايات للمنصور وهذا
 المؤرخ مصرح بأنها لعبد الملك الجزيري وقد يقال لامناقة بينهما فان المنصور أجاب
 بالآيات وهل هو قائلها أم لا الامر أعظم فبين هنا والله أعلم * (وقال بعض مؤرخي المغرب)
 ان الحاجب المصنف حصل له في هذه النكبة من الهلع والجزع ما لم يظن انه يصدر من مثله
 حتى انه كتب الى المنصور بن أبي عامر يطلب منه أن يقعد في دهليزه معالما لولاده فقال
 المنصور بدعائه وحذقه ان هذا الرجل يريد أن يحط من قدرى عند الناس لانهم طالما
 رأوني بدهلزة خادما ومعلما فكيف يروني الآن في دهليزي معلما وكان المنصور يذهب به
 بعد نكبته معه في غزواته حتى انه حكى بعضهم انه رأى الحاجب المصنف في ليلة نهم
 المنصور فيها الناس عن ايقاد النيران تعمية على العدو والكافرو هو ينفخ فخما في كانون
 صغير ويخفيه تحت ثيابه أو كما قال فسبحان مديل الدول لا اله الا هو فان هذا المصنف

بلغ من الجلالة والعظم والتحصن في الدولة المدة المديدة أمر الأرض يد عليه والله وارث
الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين * (ولقد ذكر بعض علماء المغاربة) أن من أعاجيب
انقلاب الدنيا بأهلها قصة المنصور بن أبي عامر مع الحاجب جعفر بن عثمان المصنعي ولم يزل
أعداء المنصور بن أبي عامر يتربصون به الدوائر فغلب بعده الذي هو المثل السائر وربما
همس بعض الشعراء بهجوه وهجو الدولة جميعا إذ قال

اقرب الوعد وحان الهلاك * وكل ما تحذره قد أتاك

خليفة يلاعب في مكتب * وأتمه جلي وقاض ينالك

يعني بالخليفة هشام المؤيد لكونه كان صغيرا وأتمه صبح البشكية كان الأعداء يتهمون بها
المنصور وذلك بهستان وزور وأقطع منه رمية القاضى بالفجور والله عالم بسرائر
الأمور ونعوذ بالله من أسنة الشعراء الذين لا يراعون إلا ولائمة ويطلقون أسنتهم
في العلماء والأئمة وأظلم أهل الأرض من كان حاسدا * لمن بات في نعماته يتقلب
جدير بأن لا يدرك ما يؤمل ويطلب لانه يعترض على الله سبحانه في أحكامه نعوذ بالله
من شر أنفسنا ومن شر كل ذي شر يجهنم نعوذ بالله من شره وأفعاله وأفعاله
وقد قد منا أن المنصور بن أبي عامر كان يخدم أولا جعفر بن عثمان المصنعي مديرا لملكه
هشام المؤيد ويريه النصيحة وأنه ما زال يستجلب القلوب بجوده وحسن خلقه والمصنعي
ينقرها بخله وسوء خلقه إلى أن كان من أمره ما كان فاستولى على الحجابة وسجن المصنعي
وفي ذلك يقول المصنعي

غمرت قضيبا خلنه عود كرمه * وكنت عليه في الحوادث قويا

واكرمه دهرى فيزداد خبثه * ولو كان من أصل كريم نكرما

ولما يئس المصنعي من عفو المنصور قال

لى مدة لا بد أبلغها * فإذا انقضت أيامها مات

لوقابلتنى الأسد ضارية * والموت لم يقرب لما خفت

فانظرالى وكن على حذر * فى مثل حالك أمس قد كنت

ومن أحسن ما نعى به نفسه قوله حسبا تقدم

صبرت على الأيام حتى نوات * وألزمت نفسى صبرها فاستمرت

فواجبباللقاب كيف اعترافه * وللنفس بعد العز كيف استذلت

وما النفس الا حيث يجعها الفتى * فان طمعت ماتت والاتسلت

وكانت على الأيام نفسى عزيزة * فلما رأت صبرى على الذل ذلت

فقلت لها يا نفس موتى كريمة * فقد كانت الدنيا لنا ثم ولت

وأنشده الفتح فى المطعم ونسبها غيره لاحد بن الفرج صاحب الحدائق

كلتنى فترات در سقط * فتأملت عقدها هل تناثر

فازدهاها تبسم فأرتنى * نظم در من التبسم آخر

وله كما مر

صغراء تطرق في الزجاج فان مرت * في الجسم دبت مثل صل لا دغ
خفيت على شربها فكأنما * يجدون ربا من اناء فارغ

وله

يا ذا الذي أودعني سره * لا ترج أن سمعه مني
لم أجره بعدك في خاطري * كأنه مامر في اذني

وأنشد له صاحب بدائع التسيهات

سألت نجوم الليل هل ينقضي الدجى * نطقت جوابا بالتريا كخط لا
وكنت أرى أني بآخر ليلاتي * فأطرق حتى خلته عادا أولا

وما عن هوى سامرته غبر أني * أنافسها المجري الى طرق العلا انتهى
(رجع) وكان كما تقدم بقرطبة المصحف العثماني وهو متداول بين أهل الاندلس
قالوا ثم آل أمره الى الموحدين ثم الى بني مرين قال الخطيب بن مرزوق في كتاب المسند
الصحيح الحسن مالم يخلصه وكان السلطان أبو الحسن لا يسافر موصيا الا ومعه المصحف
الكريم العثماني وله عند أهل الاندلس شأن عظيم ومقام كبير وكيف لا ويقال ان ابن
بشكوال أنخرج هذا المصحف منها أي قرطبة وغرب منها وكان يجامعها الاعظم ليلة
السبت ١١ شوال سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة في أيام أبي محمد عبد المؤمن بن علي
وبأمره وهذا أحد المصاحف الاربعة التي بعث بها عثمان رضي الله تعالى عنه الى
الامصار مكة والبصرة والكوفة والشام وما قيل ان فيه دم عثمان بعيد وان يكن
أحدها فلعنه الشامي قال ابن عبد الملك قال أبو القاسم التجيبي السبتي أما الشامي
فهو باق بمقصورة جامع بني امية بدمشق المحروسة وعاشته هناك سنة ٦٥٧ كما عاينت
المكي بقبة اليهودية وهي قبة التراب قلت عاينت مع الذي بالمدينة سنة ٧٣٥ وقرأت
فيها قال النخعي لعنه الكوفي أو البصري وأقول اختبرت الذي بالمدينة والذي نقل من
الاندلس فألفت خطهم مساواة وما توههم انه خطه بعينه فليس بصحيح فلم يخط عثمان
واحد منها وانما جاع عليها بعضا من الصحابة كما هو مكتوب على ظهر المصنف ونص ما على
ظهره هذا ما أجمع عليه جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم زيد بن
نابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاصي وذكر العدد الذي جمعه عثمان رضي الله
تعالى عنه من الصحابة رضي الله تعالى عنهم على كتب المصحف انتهى واعتنى به عبد
المؤمن بن علي ولم يزل الموحدون يحملونه في أسفارهم متبركين به الى أن حمله المعتضد
وهو السعيد علي بن المأمون أبي العلا دريس بن المنصور حين توجه لتلسان آخر سنة
٦٤٥ فقتل قريسا من تلسان وقدم ابنه ابراهيم ثم قتل ووقع النهب في الخزائن واستولت
العرب وغيرهم على معظم العسكر ونهب المصحف ولم يعلم مستقره وقيل انه في خزانة
ملوك تلسان قلت لم يزل هذا المصحف في الخزانة الى أن اقتحمها امانا أبو الحسن أو آخر
شهر رمضان سنة ٧٢٧ فظفربه وحصل عنده الى أن أصيب في وقعة طريف وحصل
في بلاد برتقال وأعمل الحيلة في استخلاصه ووصل الى قاس سنة ٧٤٥ على يد

أحد تجار ازمورو واسعة بقاؤه في الخزانة انتهى باختصار واعتنى به مالوك الموحدين غاية
الاعتناء كما ذكره ابن رشيد في رحلته ولا بأس أن أذكر كلامه بحملته والرسالة
في شأن المصحف لما فيها من الفائدة ونص محل الحاجة منه أنشدني الخطيب أبو محمد بن
برطلة من لفظه وكتبته من خطه قال أنشدني الشيخ الفقيه القاضي أبو القاسم عبد الرحمن
ابن كاتب الخلافة أبي عبد الله بن عباس لا يهزم الله تعالى عما نظمته وقد أمر أمير
المؤمنين المنصور بتحية المصحف

ونقلته من كل ملك ذخيرة • كأنهم كانوا برسم مكاسبه
فان ورث الاملا لشرقاً ومغرباً • فكلم قدأخلوا جاهلين بواجبه
وكيف يفوت النصر جيشاً جعلته • أمام قناه في الوغى وقواضيه
وألبيسته الباقوت والدر حلية • وغسيلة قدر واه من دم صاحبه

وعلى ذكر هذا المصحف الكريم قلندكر كيفية الامر في وصوله الى الخليفة أمير المؤمنين
عبد المؤمن وما أبدى في ذلك من الامور الغريبة التي لم يسمع بمثلهما في سالف الدهر حسماً
اطرفناه الوزير الاجل أبو زكريا يحيى بن أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الملك بن طفيل
القيسي حفظه الله تعالى وشكره مما أسفاده وأفاده لنا مما لم نسمع به قبل عن كتاب جده
الوزير أبي بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل المذكور مما تضمنه من وصف قصة المصحف فقال
وصل اليهم ادام الله سبحانه تأييدهم قرالاندلس النيران وأميرها المختيران السيدان
الاجلان أبوسعيد وأبو يعقوب أيدهما الله وفي صحبتهم المصحف عثمان بن عفان رضي
الله تعالى عنه وهو الامام الذي لم يختلف فيه مختلف وما زال ينقله خاف عن سلف
وقد حفظ شخصه على كثرة المتناولين وذخره الله لخليفته الخصوص من سخر له دمه من
المتداولين وله من غرائب الانباء ومتقدم الاشعار بما آل اليه امره من الاعمار ما ملئت به
الطروس وتحفظه من أهل الاندلس الراس والمرؤس فتلقى عند وصوله بالاجلال
والاعظام وبودرا اليه بما يجب من التجميل والاكرام وعكف عليه أطول العكوف
والتزم أشد الالتزام وكان في وصوله ذلك الوقت من عظيم العناية وباهر الكرامة ما هو
معتبر لا ولي الالباب وبلاغ في الاغراب والاعجاب وذلك أن سيدنا ومولانا الخليفة أمير
المؤمنين ادام الله له عوائد النصر والتمكين كان قبل ذلك بأيام قد جرى ذكره في خاطره
الكريم وحركته اليه دواعي خلقه العظيم وتراعى مع نفسه المطمئنة المرضية وسجاياء
الحسنة الرضية في معنى اجتلابه من مدينة قرطبة محمل مشوا القديم ووطنه
الموصل بحرمته للتقديم فتوقع أن يتأذى أهل ذلك القطر بفراقه ويستوحشوا لفقدان
اضائه في أفقهم واشراقه فوقف عن ذلك لما جبل عليه من رحمة واشفاقه فأوصله الله
اليه تحفة سنية وهدية هنية ونحية من عنده مباركة زكية دون أن يكتروها من
البشر اكتساب أو يقدمها استدعاء أو اجتلاب بل أوقع الله سبحانه وتعالى في نفوس
أهل ذلك القطر من الفرح بارساله الى مسقطه والتبرع به الى القاسم الى الله تعالى
بحقه ما طلع بالمشاهدة والتواتر على صحته وصدقه وعضدت مخايل برقه سوا كب

ودقه وكان ذلك من كرامات سيدنا ومولانا الخليفة معدودا والى أمره الذي هو
أمر الله مردودا وجمع عند ذلك بحضرة مراكش حرسها الله تعالى سائر الأبناء
الكرام والسادة الاعلام بدور الآفاق وكواكب الاشراق وأهل الاستبصار
للمقامات الرفيعة والاستحقاق فانتظم عند ذلك هذا القصيد مشيرا الى اجتماع
هذه الدراري الزاهرة والتثام خطوطها على مر كز الدائرة ووصول المتقدم
ذكره المشهور في جميع العمور أمره وهو هذا

ددارى من نور الهدى توقد * مطالعها فوق المجرة أسعد
وأنت هار جودك كما أمسك الحيا * يمتد بها طامح الغوارب حنيد
وأساد حرب غابها شجر القنا * ولا لبس الا العجاج الملبد
مساعير في الهيجا مساعير للندى * بأيديهم يحمى الهجير ويبرد
تشب بهم نار ان للحرب والقوى * ويمجى بهم سيلان جيش وعسجد
ويستطرون البرق والبرق عندهم * سيف على أفق العداة تجرد
اذا من سحف السائرات مضأوها * فماذا الذي يغنى الحديد المسرد
ويسترشدون النجم والنجم عندهم * نصول الى حب القلوب تسدد
تراحم في جوق السماء كأنما * عواملها في الافق صرح عمرد
تخازرأ لحاظ الكواكب دونها * ويفرق منها المرزمان وفرقد
ألم ترها في الافق خافقة الحشا * كما تطرف العينان والقلب يزاد
وليس احرار الفجر من أثر السنى * ولكنه ذلك النجيع الموردد
وما انبسطت كف الثريا فداغت * ولكنها في الحرب شلومة قد
وحط سبيلا ذعوره عن سميه * فأضحى على أفق البسيطة يرعد
ولما رأى نسر وقوع أليفه * تطاير من خوف فما زال يجهد
مواقع أمر الله في كل حالة * يكاد لها رأس الثرى يتعبد
أهاب بأقصى الخافقين فنظمت * وهيب جميع الخفقين فبتدوا
وأضنى على الدنيا ملابس رجة * نضارتها في كل حين تجدد
وأخضل أرجاء الربا فكأنما * عليها من الثبت النصير زبرجد
غن طرب ما أصبح البرق باسمها * ومن فرح ما أفضحت المزن ترعد
وغنى على أفتان كل أراككة * غذاها حبا النعم ما جام مغرد
وكبرذونطق وسج صامت * وكاد به المعدوم يحيا ويوجد
وأبرز للأذهان ما كان غائبا * فسيان فيها مطلق ومقيد
سلام على المهدي أتماقضاؤه * فتم وأما أمره فوكد
أمام الورى عم البسيطة عدله * على حين وجه الارض بالجور أريد
بصير رأى الدنيا بعين جليلة * فلم يغنه الا المقام المعبد
ولما مضى والأمر لله وحده * وبلغ مأمول وأنجز موعده

تردي أمير المؤمنين رداءه * وقام بأمر الله والناس هجده
 بعزيمة شيجان الفؤاد مصمم * يقوم به أقصى الوجود ويقعد
 مشيئته ماشاء الله أنه * إذا هم فلحكيم الإلهي يسعد
 كتابه مشفوعة بملائك * تزايد في كل حال وترفع
 وما ذاك إلا نية خلصته له * فليس له قياس سوى الله مقصد
 إذا خطبت رايانه وسط محفل * ترى قم الأعداء في الترب تسجد
 وإن نطق بالفصل فيهم سيوفه * أقرب بأمر الله من كان يحسد
 معبد علوم الدين بعد ارتفاعها * ومبدي علوم لم تكن قبل تعهد
 وباسط أنوار الهداية في الوري * وقد ضم قرص الشمس في الغرب ملحد
 وقد كان ضوء الشمس عند طلوعها * يغارب ككف الضلال ويغمد
 فإزال يجلو عن مطالعها الصدى * ويبرزها بيضاء والحواسود
 جزى الله عن هذا الأنام خليفة * به شربوا ماء الحياة فسادوا
 وحياه ما دامت محاسن ذكره * على مدرج الأيام تلي وتنشد
 لمصنف عثمان الشهيد وجمعه * تير أن الحق بالحق يعصده
 تحامته أيدي الروم بعد اتسافه * وقد ادلولوا سعدة يتبدد
 فاهرو إلا أن ترس صارخ * بدعونه العليا قصين المبتدد
 وجاء ولي النار يرغب نصره * قلباه منه عزمه المتجسد
 رأى أثر المسفوح في صفحاته * فقام لاخذ النار منه مؤيد
 وشبهه بالبدر قبل خسوفه * فله تشبيه به النمرع يشهد
 زمان ارتفاع العلم كان خسوفه * وقد عاد بالمهدي والعود أحمد
 أتتك أمير المؤمنين ألوكة * من الحرم الأقصى لأمر كتمهد
 سيف بن عيلان قامت شهيرة * لدعوتك العليا تهدي وترشد
 وطافت بيت الله فاشتد شوقه * إليك وأبي منه حجر ومسجد
 وجج إليك الركن والمرور والصفاء * فلأت لذلك الحجج ومقصد
 مشاعرها الأجسام والروح أمركم * ومنكم لها يرضى المقام المخلد
 فـ لله حج واعتماد وزورة * أتناولم يبرحك؟ بالغرب مشهد
 والله سبع نيرات تقارنت * بهافئة الاسلام تحيا وتسعد
 إذا لم يكن إلا فناؤك عصمة * فإذا الذي يرجو القصي المبعد
 قدم لا وري غيثا وعزا ورجة * فقربك في الدارين منج ومسعد
 وزادت بك الأعياد حسنا وبهجة * كأنك للأعياد زى مجدد
 ولا زلت للأيام تبلى جديدها * وعمرك في ريعانه ليس ينقد

ثم انهم أدام الله سبحانه تأييدهم ووصل سعودهم لما أرادوا من المبالغة في تعظيم المصنف
 المذكور واستخدم البواطن والظواهر فيما يجب له من التوقير والتعزير شرعا في انتخاب

كسوته وأخذوا في اختيار حليته وتأثقوا في استعمال أحفظته وبالغوا في استجابة
 أصواته فحشروا له الصنائع المتقنين من كان يحضرهم العلية وسائر بلادهم القرية
 والقصبة فاجتمع لذلك حذاق كل صناعة ومهرة كل طائفة من المهندسين
 والصواغين والنظامين والحلائين والنقاشين والمرصعين والتجارين والوراقين والرسمين
 والمجلدين وعرفاء البنائين ولم يبق من يوصف ببراعة أو ينسب إلى الحذاق في صناعة
 إلا حضر للعمل فيه والاستغال بمعنى من معانيه فاشتغل أهل الحيل الهندسية بعمل
 أمثلة مخترعة وأشكال مبتدعة وضموا لها من غرائب الحركات ونحو إمداد الأسباب
 للمسيبات ما بلغ غرافيه منتهى طاقتهم واستفروا فيه جهد قوتهم والهمة العلية
 أدام الله سمواته ترقى فوق معارجهم وتخلص كالشهاب الثاقب وراء مواجهم وتنفذ
 على ما ظنوه الغاية القصوى من لطيف مدارجهم فسلكوا من عمل هذه الأمثلة كل
 شعب ورأوا من منتشرها كل شعب وأشرفوا عند تحقيقها وإبراز دقيقها على كل
 صعب فكانت منهم وقفة كادت لها النفس نيل أس من مطلبها والخواطر تكر راجعة
 عن خفي مذهبها حتى أطلع الله خليفته في خلقه وأمينه المرتضى لأقامة حقه على
 وجه انقادت فيه تلك الحركات بعد اعتيادها وتخلصت أشكالها عن الاعتراض على
 أحسن وجوه خلاصها ألقوا ذلك أيدهم الله بنصره وأمدتهم بمعونته ويسره إلى
 المهندسين والصنائع فقبلاوه أحسن القبول وتصوروا بأذهانهم فرأوه على مطابقة
 المأمول فوق فهم حسن تنبيهه عما جهلوه على طور غريب من موجبات التعظيم وعلموا
 أن الفضل لله يؤتیه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وسيلاتي بهذا الشارة إلى تفصيل
 تلك الحركات المستغربة والأشكال المونقة المهيبة إن شاء الله تعالى عما صنع للمصنف
 العظيم من الأصونة الغريبة والاحفظة العجيبة أنه كسى كله بصوان واحد من الذهب
 والفضة ذي صنائع غريبة من ظاهره وباطنه لا يشبه بعضها بعضا قد أجرى فيه من ألوان
 الزجاج الرومي ما لم يعهده في العصر الأول مثال ولا عمر قبله بشبهه خاطر ولا بال وله
 مفصل يجتمع إليها أجزاءه وتلتئم وتناسق عندها عجائبه وتنظم قد أميت للتحرك
 أعطافها وأحكم أنشاؤها على البغية وانعطافها ونظم على صهيته وجوانبه من فخر
 الباقوت ونفيس الدر وعظيم الزمر دما لم تزل الملوك السالفة والقرون الخالية تنافس
 في أفرادها وتتوارثه على مرور الزمن وترداده وتظن العز لا قعس والملك الانفس
 في أدخاره وأعداده وتسمى الواحد منها بعد الواحد بالاسم العلم لشدة هذه في صنعه
 واتحاده فانتظم عليه منها ما شا كل زهر الكوكب في تلاته واتقاده وأشبهه الروض
 المنخرف غب سماء أظلمت عن إمداده وأتى هذا الصوان الموصوف رائق المنظر أخذوا
 بمجامع القلب والبصر مستوليا بصورته الغريبة على جميع الصور يدهش العقول بهاء
 ويحير الالباب رواء ويكاد يغشى الناظر تألقا وضياء فحينئذ خصاله واستركبت
 أوصاله وحان ارتباطه بالمصنف العظيم واتصاله رأوا أدام الله تأييدهم وأعلى كلمتهم ما
 رزقهم الله تعالى من ملاحظة الجهات والإشراف على جميع الثنيات أن يتلطف في وجهه

يكون به هذا الصوان المذكور وطورا متصلا وطورا منفصلا ويتأق به للمصنف الشريف
العظيم أن يبرز تارة للخصوص متبذلا وتارة للعموم متجملا اذ معارج الناس في الاستبصار
تختلف وكل له مقام اليه ينتهي وعنده يقف فعمل فيه على مشاكلة هذا المقصد وتلطف
في تميم هذا الغرض المعتمد وكسى المصنف العزيز بصوان لطيف من السند من الاخضر
ذي حلية عظيمة خفيفة تلازمه في الغيب والمخضر ورتب ترتيبا يتأق معه أن يكسى
بالصوان الاكبر فيلتم به التثام ما يغطي على العين من هذا الاثر وكل ذلك كله على أجل
الصفات وأحسنها وأبدع المذاهب وأتقنها وصنع له مجمل غريب الصنعة بديع الشكل
والصبغة ذومفاعيل ينبوع دقتها الادراك ويشهد بها الارتباط بين المفصلين ويصح
الاشتراك مغشى كله بضروب من الترصيع وقنون من النقش البديع في قطع من
الابنوس والخشب الرفيع لم تعمل قط في زمان من الازمان ولا انتهت قط الى أيسره
تواقد الازدهان مدار بصنعة قد أجريت في صفائح الذهب وامتدت امتداد ذوائب
الشهب وصنع لذلك المجمل كرسى يحمله عند الانتقال ويشارك في أكثر الاحوال مرصع
مثل ترصيعه الغريب ومشاكله في جودة التقسيم وحسن الترتيب وصنع لذلك كله
تابوت يحتوي عليه احتواء المشكاة على أنوارها والصدور على محفوظ أثمارها
مكعب الشكل سام في الطول حسن الجملة والتفصيل بالغ ما شاء من التقييم في أوصاله
والتكميل جار مجرى العمل في الترين والتجميل وله في أحد غواربه باب ركبت عليه
دقتان قد أحكم ارتجاجهما ويسر بعد الابهام انفراجهما ولا نفتح هذا الباب وخروج
هذا الكرسى من تلقائه وتركب المجمل عليه ما دبرت الحركات الهندسية وتلقيت
التبسيهات القدسية وانتظمت العجائب المعنوية والحسية والتأمت الذخائر النفيسة
والنفسية وذلك أن بأسفل هاتين الدقتين فيصلا فيه موضع قد أعد له مفتاح لطيف يدخل
فيه فإذا أدخل ذلك المفتاح فيه وأدبرت به اليد انفتح الباب بانعطاف الدقتين الى داخل
الدقتين من تلقائهما وخروج الكرسى من ذاته بما عليه الى أقصى غاية وفي خلال خروج
الكرسى يتحرك عليه المجمل حركة منتظمة مقترنة بحركته يأق بهما من مؤخر الكرسى زحفا
الى مقدمه فإذا اكمل الكرسى بالخروج وكل المجمل بالتقدم عليه انغلاق الباب برجوع
الدقتين الى موضعهما من تلقائهما دون أن يمسهما أحد وترتيب هذه الحركات الاربع
على حركة المفتاح فقط دون تكاف شيء آخر فإذا أدير المفتاح الى خلف الجهة التي أدير اليها
أولا انفتح أولا الباب وأخذ الكرسى في الدخول والمجل في التأخر عن مقدم الكرسى
الى مؤخره فإذا عاد كل الى مكانه انسدت الباب بالدقتين أيضا من تلقائه كل ذلك يترتب على
حركة المفتاح كالذى كان في حال خروجه وصحة هذه الحركات اللطيفة على أسباب
ومسببات غائبة عن الحس في باطن الكرسى وهي عمادق وصفها ويصعب ذكرها أظهرتها
بركات هذا الامر السعيد وتبسيهات سيدنا ومولانا الخليفة أدام الله تعالى أمرهم
وأعز نصرهم وفي خلال الاشتغال بهذه الاعمال التي هي غرر الدهر وفرائد العمر
أمروا أدام الله تعالى تأييدهم ببناء المسجد الجامع بحضرة مراكش حرمها الله

تعالى فبدى ببنائه وتأسيس قبلته في العشر الاولي من شهر ربيع الاخر سنة ثلاث وخسين
 وخمسة مائة وكل منتصف شعبان المكرم من العام المذكور على اكل الوجوه وأغرب
 الصنائع وأفسح المساحة وأبعد البناء والنجارة وفيه من شمسبات الزجاج ودرجات المنبر
 والمقصورة ما لو عمل في السنين العديدة لاستغرب تمامه فكيف في هذا الامد اليسير
 الذي لم يتخيل أحد من الصناع أن يتم فيه فضلا عن بنائه وصليت فيه صلاة الجمعة منتصف
 شعبان المذكور ونهضوا أدام الله سبحانه تأييدهم عقب ذلك لزيارة البقعة المكرمة
 والروضة المعظمة بمدينة تيندل أدام الله رفعتها فأقاموا بها بقية شعبان المكرم
 وأكثروا رمضان المعظم وحلوا في صحبتهم المصحف العزيز ومعه مصحف الامام
 المهدي المعلوم رضي الله تعالى عنه في التابوت الموصوف اذ كان قد صنع له غرفة في أعلاه
 وأحكمت فيه احكاما ككل به معناه واجتمع في مشكاته فعاد النور الى مبتداه وختم
 القرآن العزيز في مسجد الامام المعلوم ختمات كادت لا تحصى لكثرتها وهنا انتهى
 ما وجدناه من هذا المکتوب ثم قال ابن رشيد بعد ايراد ما تقدم ماصورته فجزت
 الرسالة في المصحف العظيم والحمد لله رب العالمين انتهى محل الحاجة منه * وما أحسن قول
 الشيخ الامام أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية يستودع أهل قرطبة

أستودع الله أهل قرطبة * حيث وجدت الحياء والكرما

والجامع الاعظم العتيق ولا * زال مدى الدهر ما منا حرما

وقال ابو الربيع بن سالم حدثني بذلك أبو الحسن عبد الرحمن بن ربيع الاشعري قال
 أنشدني أبو محمد بن عطية لنفسه فذكرهما بعد أن قال انه لما أزمع القاضي أبو محمد بن
 عطية الارتمحال عن قرطبة قصد المسجد الجامع وأنشدني البيتين انتهى * وقال ابن عطية
 أيضا رجه الله تعالى

بأربع فاق الامصار قرطبة * وهن قنطرة الوادي وجامعها

هاتان ثقتان والزهراء ثالثة * والعلم أكبر شئ وهو رابعها

وقد تقدم انشادنا هذين البيتين من غير نسبتهم الا أحد * ومما يدخل في أخبار الزاهرة
 من غير ما قدمناه ما ~~سماه~~ عن نفسه الوزير الكاتب أبو المغيرة بن حرم قال نادمت يوما
 المنصور بن أبي عامر في سنية السرور وبالزاهرة ذات الحسن النضير وهي جامعة بين روضة
 وغدير فلما تضح النهار بن عفران العشي ورفرف غراب الليل الدجوي وأسبل الليل
 جناحه وتقلد السماء رمحهم وهم التسرب بالطيران وعام في الافق زورق الزرقان أوقدنا
 مصابيح الراح واشتملنا ملاء الارتياح وللدجن فوقنا رواق مضروب فغنتنا عند
 ذلك جارية تسمى أنس القلوب وقالت

قدم الليل عند سير النهار * وبدا البدر مثل نصف السوار

فكان النهار صفحة خد * وكان الظلام خط عذار

وكان الكؤوس جامد ماء * وكان المدام ذات نار

نظري قد جنى علي ذنوبا * كيف مما جنته عيني اعتذاري

يا القوي تهجوا من غزال * جائر في محبتي وهو جاري

ليت لو كان لي اليه سبيل * فأقضي من الهوى أوطاري

قال فلما أكلت الغنا أحسست بالمعق فقلت

كيف كيف الوصول للأقار * بين سمر القنا وبيض الشغار

لو علمنا بأن حبك حق * لطلبنا الحياة منك بنار

وإذا ما الكرام هموا بشئ * خاطروا بالنفوس في الاخطار

قال فعند ذلك بادرا المنصور لحسامه وغلظ في كلامه وقال لها قولي واعدقي الى من

تشرين بهذا الشوق والحنين فقالت الجارية ان كان الكذب أنجي فالصدق أخرى

وأولى والله ما كانت الانتظار ولدت في القلب فكرة فتكلم الحب على لسانى وبرز

الشوق بكتمانى والعفوم مضمون لديك عند المقدرة والصفح معلوم منك عند المعذرة

ثم بكت فكان دمعها درة تلتزم من عقد أو طل تساقط من ورد وأنشدت

أذنبت ذنبا عظيما * فكيف منه اعتذاري

والله قدر هذا * ولم يكن باختيارى

والعفو أحسن شئ * يكون عند اقتدار

قال فعند ذلك صرف المنصور وجه الغضب الى وسلي سيف السخط على فقلت أيدل الله

تعالى انما كانت هفوة بحر ها الفكر وصبوة أيدها النظر وليس للمرء الا ما قدر له لاما

اختاره وأتمله فأطرق المنصور قليلا ثم عفا وصفح وتجاوز عنا وسمح وخلي سبيلي فسكن

وجيب قلبي وغلبي ووهب الجارية لي فبتنا بأنعم ليلة وسحبنا فيها الصبا ذيله فلما

شمر الليل غدا نره وسل الصباح بواتره وتجاوبت الاطيار بضروب الالمان فى أعالي

الاغصان انصرفت بالجارية الى منزلى ونكامل سرورى * قال بعضهم ذكرتنى حكاية أبي

المغيرة هذه حكاية قرأتها فى النوادر لابي على القالى البغدادى حدثت فى الطرف حذوها

وزعت فى الاغراب زهوها وهى ما أسنده عن منصور البرمكى انه كانت للرشيد جارية

علامية وسكان المأمون يميل اليها وهو اذ ذاك الأمر فوقفت نصب على يد الرشيد من

ابريق معها والمأمون خلف الرشيد فأشار اليها يقبلها فأنكرت ذلك بعينها وأبطأت

فى الصب على قدر نظرها للمأمون وأشارتها اليه فقال الرشيد ما هذا ضعى الابريق

من يدك ففعلت فقال لها والله لئن لم تصدقنى لأقتلك فقالت يا سيدى أشار الى

كأنه يقبلنى فأنكرت ذلك عليه فالتفت الى المأمون فنظر اليه كأنه ميت لما داخله

من الجزع والخل فرجه وضعه اليه وقال يا عبد الله أنتجها قال نعم يا أمير المؤمنين قال هى

لك فاخلى بها فى تلك القبة ففعل ثم قال له هل قلت فى هذا الامر شيئا فقال نعم يا سيدى

وأنشد

ظبي كنيت بطرفى * من الضمير اليه

قبلته من بعيد * فاعتل من شقيقه

وردأ خبت رد * بالكسر من حاجبيه

فبارحت مكاني * حتى قدرت عليه

وفي هذا المعنى يقول بعض البلغاء اللحن يعرب عن اللفظ (وقال آخر) رب كتابه تغنى عن
ايضاح ورب لفظ يدل على ضمير وتظمه الشاعر فقال

جعلنا علامات المودة بيننا * دقائق لحظ هن أمضى من السحر

فأعرف منها الوصل في لين لحظها * وأعرف منها الهجر بالنظر الشزر

(وفي هذا قال بعض الحكماء) العين باب القلب فإني القلب يظهر في العين (وقال الشاعر)

العين تبدي الذي في نفس صاحبها * من المحبة أو بغض إذا كانا

فالعين تنطق والافواه صامتة * حتى ترى من ضمير القلب تبياناً انتهى

(وأبو المغيرة بن حزم قال في حقه في المطمح مانعه) الوزير الكاتب أبو المغيرة عبد الوهاب

ابن حزم وأبوه حزم فقيه علم وأدب ونبيه مجد وحسب وأبو المغيرة هذا في الكتابة أوحد

لا يمت ولا يحد وهو فارس المصنار حامي ذلك الذمار وبطل الرعي وأسد ذلك الغيل

نسق المعجزات وسبق في المفصلات الموجزات إذا كتب وشي المهارق وديج وركب من

بحر البلاغة الشج وكان هو وأبو عامر بن شهيد خليلي صفاء وحليتي وفاء لا يتفصلان

في رواد ولا مقيل ولا يفترقان كالك وعقيل وكأنا بقربة رافعي ألوية الصبوة وعامري

اندية السلوة إلى أن اتخذ أبو عامر في حبالة الردى وعلق وغداره منه فيها وعلق

فانفرد أبو المغيرة بذلك الميدان واسترد من سبقة ما فاته منذ زمان فلم تذكر له مع أبي

عامر حسنة ولا سرت له فقرة مستحسنة لتعذر ذلك وامتناعه بشغوف أبي عامر

وامتداد باعه وأما شعر أبي المغيرة فترتبط بنثره ويختلط زهره بدمه وقد أثبت له منه

فتونا تحن بها الافهام جنونا فن ذلك قوله

ظعنت وفي أحدا جهام من شكلها * عين فضضن بحسنة من العينا

ما أنصفت في جنب توضح اذ قرت * ضيف الوداد بلا بلا وشجوننا

أضحي الغرام قطير ربع فؤاده * اذ لم يجد بالرقين قطينا

(وله)

لم أر أيت الهلال منطويا * في غرة الفجر قارن الزهر

شبهته والعيان يشهد لي * بصولجان اثني لضرب كره انتهى

(وأبو عامر بن شهيد المذكور قال في حقه ما صورته) الوزير أبو عامر أحمد بن عبد الملك

ابن شهيد الأشجعي عالم باقلام البلاغة ومعانيها حائز قصب السبق فيها لا يشبهه

أحد من أهل زمانه ولا ينسق ما نسق من در البيان وجماله توغل في شعاب البلاغة

وطرقها وأخذ على متعاطيها ما بين مغربها ومشرقها لا يقاومه عمرو بن بحر ولا تراء

يغترف الأمن بحر مع انطباع مشي في طريقه بأمت باع وله الحسب المشهور والمكان

الذي لم يعد له ظهور وهو من ولد الوضاح المتقلد تلك المفاخر والواضاح والضحالة

صاحب يوم المرج وراكب ذلك الهرج وأبو عامر حفيد هذا من ذلك النسب ونسب

لا يرأس الأمن ذلك الرغب وقد أثبت له ما هو بالسحر لاحق ولنور المحاسن ماحق

(فمن ذلك) قوله

ان الكريم اذا نابت به محنة * أبدى الى الناس ربا وهو ظمان
يحنى الضلوع على مثل اللظى حرقا * والوجه غمربما البشر ريان
وهو ما خوذ من قول الرضى

ما ان رأيت كعشر صبروا * عزاء على الاذلات والازم
بسطوا الوجوه وبين أضلعهم * حرا الجوى وما ألم الكلام

(وله أيضا)

كلفت بالحرب حتى لودنا أجلى * لما وجدت اطم الموت من ألم
كلا الندى والهوى قد ما ولعت به * وبلى من الحب أو وبلى من الكرم
(وأخبرني الوزير أبو الحسن بن سراج الدين وهو بمنزلة ابن شهيد وكان من البلاغة في مدى
غاية البيان ومن الفصاحة في أعلى مراتب البيان وكان فخر مجلس شرايه ولا يغيب
عن بابه وكان له ياب الصومعة من الجامع موضع لا يفارقه أكثر نهاره ولا يخليه من نثر
درره وأزهاره فقعده فيه ليلة ٢٧ من رمضان في ليلة من اخوانه وأئمة سلوانه وقد
حفوا به ليقطعوا تحت أدبه وهو يخلط لهم الجذبزل ولا يفترط في انبساط مشتهر ولا انقباض
جزل واذا بجارية من أعيان أهل قرطبة معها من جواربها من يسترها ويواربها وهي
ترناده موضع المناجاة ربها وتبتغي منزلا لاستغفار ذنبها وهي متسقة خاتمة بمن يرقبها
متربعة وأمامها طفل لها كأنه غصن آس أو ظبي يرح في كأس فلما وقعت
عينها على أبي عامر ولت سريعة وتولت مروعة خيفة أن يشببها أو يشهرها باسمها
فلما نظرها قال قولاً فضعهما به وشهرها

وما ظرة تحت طي القناع * دعاها الى الله بالخير داعي
سعت خفية تبتغي منزلا * لوصل التبتل والانقطاع
بجاءت نهدي كمثل الرؤم * تراعى غزالا بروض البقاع
وجالت بموضعنا جولة * فخل الربيع بتلك البقاع
أتقنا تبخر في مشيها * فخلت بواد كثير السباع
وربعت حذارا على طفلها * فناديت يا هــهـه لا تراعى
غزالك تفرق منه اللبوث * وتفزع منه كـمـاة المصاع
فوات والمسل في ذيلها * على الارض خط كظهر الشجاع

اتمى المقصود منه (رجع) ومما ينخرط في سلك أخبار الزهراء ما حكاه الفتح في ترجمة المعتمد
ابن عباد قال وأخبرني الوزير احمد بن سراج انه حضر مع الوزراء والكتاب بالزهراء في يوم
غفل عنه الدهر فلم يرمقه بطرف ولم يطرقة بصرف أدخت به المسرات عهدا وأبرزت
له الاماني خدتها ونهدتها وأرشفته فيها لها وأباح للزائرين حياها وما زالوا
ينقلون من قصر الى قصر ويتبدلون الغصون يجنى وهمر ويتنقلون في تلك الغرفات
ويتعاطون الكؤوس بين تلك الشرفات حتى استقرت وبالروض من بعد ما قضا من تلك

الآثار أوطارا ووقروا بالاعتبار قطارا فخلوا منها في دوائك ربيع محفوفة بالازهار
مطرزة بالجد اول والانهار والغصون تحتال في أدواحها وتتثنى في أكف أرواحها وآثار
الديار قد أشرفت عليهم كشكالي نحن على خرابها وانقراض أترابها وأطرابها والوهي
بشيدها لاعب وعلى كل جدار غراب ناعب وقد سحت الحوادث ضيائها وقلصت
ظلالها وأفياها وطالما أشرفت بالخلائق وابتهجت وفاحت من شذاهم وتأرجت
أيام نزلوا خلالها وتفيوا ظلالها وعمر واحدائقها وجنائها ونبهوا الآمال من سنانها
وراعوا اللبث في آجامها وأخجلوا الغيوث في انسجامها فأضحت ولها بالتداعي تلفع
واعتجار ولم يبق من آثارها الا نوى وأحجار قد وهت قبايها وهرم شبابها وقديلين
الحديد ويلى على طيه الحديد فينماهم يعماطونها صغارا وبكارا ويديرونها انسا
واعتبارا اذا برسول المعتمد قد وفاقهم برقة فيها

حسد القصر فيكم الزهراء * ولعمري وعمركم ما أساء

قد طلعت بها شمس صباحا * فاطلعوا عندنا بدورامساء

فساروا الى قصر البستان يباب العطارين فألفوا مجلسا قد حار فيه الوصف واحتشد
فيه اللهو والقصف ووقدت نجوم مدامه وتأودت قدود خدامه وأربى على الخورنق
والسدير وأبدى صفحة البدر من أزرار المدير فأقاموا الياتهم ما عراهم نوم ولا عداهم
عن طيب اللذات سوم وكانت قرطبة منتهى أمله وكان روم أمرها أنشهى عمله وما زال
يخطبها بعد اخلاء أهلها ومواصلة واليها اذ لم يكن في منازلها قائد ولم يكن لها الا حيل
ومكايد لاستئسا بهم بدعوة خفافئها وأنفتم من طموس رسوم الخلافة وعفائها
وحين اتفق له تملكها وأطلعها فلكها وحصل في قطب دارتها ووصل الى تدبير رياستها
وآدارتها قال

من الملوك بشأ والاصيد البطل * هيات جاءكم مهدية الاول

خطبت قرطبة الحسناء اذ منعت * من جاء يحطبها بالبيض والاسل

وكم غدت عاطلا حتى عرضت لها * فأصبحت في سرى الحلى والحلال

عرس الملوك لنا في قصرها عرس * كل الملوك لها في مأتم الوجـل

فراقبوا عن قريب لا ابالكـم * هجوم ليت بدرع البأس مشمل

ولما انتظمت في سللكه واتسعت بملكه أعطى ابنه الظافر زمامها وولاه نقضها وابرارها
فأفاض فيها نداء وزاد على أمدده ومداه وجعلها بكثرة حباته واستقل بأعبائها على
قتائه ولم يزل فيها أمرا وناهما غافلا عن المكر ساهيا حسن ظن بأهلها اعتقده
واغترار بهم مارواه ولا انتقده وهيات كم من ملك كفنوه في دمايه ودقنوه بدمايه وكم من
عرش فلوله وكم من عزيز ملك أذلوه الى أن نار فيها ابن عكاشة ليلا وجر اليها حربا وريلا
فبرز الظافر منفردا عن كجته عاريا من حمانه وسيفه في يمينه وهاديه في الظلماء نور
جبينه فانه كان غلاما قد بلله الشيباب بأبدائه وألحقه الحسن بردائه فدافعهم أكثر
ليله وقد منع منه تلاحق رجله وخيله حتى أمكنتهم منه عشرة لم يقل لها العا ولا استقال

منها ولا سي قترك ملتحفا في الظلماء تحت نجوم السماء معقرا في وسط اكاء تحرسه
الكواكب بعد الماواكب ويستره الخندس بعد السندس قريبا صرعه سحرا أحد أئمة
الجامع المغلسين قراء وقد ذهب ما كان عليه ومضى وهو أعزى من الحسام المنتضى تفلح
وداءه عن منه كيبه ونضاه وستره به ستر أقتنع الجذب وأرماء وأصبح لا يهلم رب تلك
الصنعة ولا يعرف فتشكر له يده الرفيعة فكان المعتمد اذا تذكر صرعه وسعر الحزن
لوعته رفع بالعويل نداءه وأنشد ولم أدر من ألقى عليه ردائه ولما كان من الغد
حر رأسه ورفع على سن رخ وهو يشرق كثار على علم ويرشق نفس كل ناظر بالملقمار مقلته
الابصار وتحققته الحياة والانصار رموا أسلحتهم وسوا القرار أجنحتهم ففهم من اختار
قراره وجلاه ومنهم من أتت به الى حينه رجلاه وشغل المعتمد عن رثائه بطلب ثاره
ونصب الجبائل لوقوع ابن عكاشة وعشاره وعدل عن تأييده الى البحث عن مفرقه
وحينه فلم تحفظ له فيه قافية ولا كلمة لاوعته شافية الا اشارته اليه في تايين اخويه
المأمون والراضي المقتولين في أول النائرة والفتنة النائرة انتهى (وقد رأيت) أن أزيد
على ما تقدم مما قصدت جلبه في هذا الموضع نبذة من كلام الفتح في ذكر منتهجات قرطبة
وغيرها من بلاد الاندلس ووصف بحال الانس التي كانت بها مما تنشرح له الانفس
ووقع ذكر غير قرطبة والزهراء الهامات بها ولا يخلو ذلك من عبرة بحال من جعل في اللهو
مصيفا ومرتبيا ثم طواه الدهر طي السجل ومحا آثاره التي كانت تسوء وتجل وما قصدنا
علم الله غير الاعتبار بهذه الاخبار لالحت على الحرام وتسهيلا القصد اليه والمرام
والاعمال بالنيات والله سبحانه كفيل بفضل وكرمه يلوغ الامنيات وتعويضنا عن هذه
الذم الثانيات بالنعم الباقيات السنيات * (قال الفتح رحمه الله تعالى) في ترجمة الوزير أبي
الوليد بن زيدون ماضوته وأخبرني الوزير الفقيه أبو الحسن بن سراج رحمه الله تعالى انه
في وقت فراره أضفى غداة الاضفى وقد ثار به الوجد بمن كان يألفه والغرام وتراءت اعينيه
تلك الطبلاء الاوانس والا رام وقد كان الفطر واقاه والشقاء قد استولى على رسم
عافيته حتى أعفاه فلما عاده منهم ما عاده وأعياء ذلك النكد المعاد استراح الى ذكر
عهد الحسن وأراح جفونه المسهدة بثوهم ذلك الوسن وذكر معاها كان يخرج اليها
في العبد ويتفرج بهامع اولئك العبد فقال

خالي لا فطر يسر ولا أضفى * فخال من أمسى مشوقا كما أضفى
لئن شاقني شرق العقاب فلم أزل * أخص بمحوض الهوى ذلك السفعا
وما انفك جوفي الرصافة مسعري * دواعي بث تعقب الاسف البرح
ويحتاج قصر الفارسي صباية * لقلبي لا يألو زناد الامسى قدحا
وليس ذمعا عهد مجلس ناسخ * فأقبيل في فرط الولوع به نهجا
كأنني لم أشهد لدى عين شهده * نزال عتاب كان آخره الفتحا
وقائع جانيها التجني فان مشى * سفير خضوع بيننا كد الصلحا
وأيام وصل بالعقيق اقتضيت به * فان لم يكن مبعاده العبد فالقصحا

الحزم وليس له غيره من عذير ويتعزى باخناء الدهر على الاحرار والحاسحة على القمام
بالسيرار ويخاطب ولادة بوفاء عهده ويقيم لها البراهين على ارقه وسهده
ما جال بعدل الحظى فى سنى القمر * الاذ كرتك ذكر العين بالاثر
ولا استطلت ذما الليل من أسف * الاعلى ليلة مرت مع القصر
فى نشوة من شباب الوصل مرقة * الامسافة بين الوهن والسحر
يا ليت ذاك السواد الجون متصل * قد استعار سواد القلب والبصر
بالسرزايا لقد شافهت منهلها * نحر اخا اشرب المكروه بالقمر
لا يهنا الشامت المرتاح خاطره * انى معنى الامانى ضائع الخطر
هل الرياح بنجم الارض عاصفة * أم الكسوف لغير الشمس والقمر
ان طال فى السجن ايداعى فلا عجب * قد يودع الجفن حد الصارم المذكور
وان يثبط أبا الحزم الرضا قدر * عن كشف ضررى فلا عتب على القدر
من لم أزل من تدانيه على ثقة * ولم أبت من تجنيه على حذر
وله يتغزل ويعاتب من يستعطفه ويتزل

يا مستحقا بعاشقيه * ومستغشا لناصيه
ومن أطاع الوشاء فىنا * حتى أطعنا السلوفيه
الحمد لله اذ أراى * تكذيب ما كنت تدعيه
من قبل أن يهزم التسلى * ويغلب الشوق ما يلبيه انتهى
وما أحسن قول ابن زيدون المذمور فى قصيدته النونية الشهيرة
غص العدا من تساقينا الهوى قد عوا * بأن نغص فقال الدهر آمينا
ومن أغرب ما وقفت عليه موشحة لابن الوكيل دخل فيها على أبحار نونية ابن زيدون وهى
غدا منادينا محكمافينا يقضى علينا الاسى لولا تناسينا
بحر الهوى يغرق * من فيه جهده عام
وناره تحرق * من هم أو قد هام
وربما تغلق * فتى عليه نام
قد غيرا الاجسام وصير الايام سودا وكانت بكم يضا اليانا
يا صاحب النجوى * قف واستمع منى
اياك أن تهوى * ان الهوى يضنى
لا تقرب البلوى * اسمع وقل عنى
بصاره مره خضنا على غره حينما فقام به اللنى فاعينا
من هام بالغيد * لاقى بهم هما
بذلت مجهودى * لاحور ألى
يهتم بالحدود * وردما هما
وعندما قد جاد بالوصل أو قد كاد أنضى التناى بدى لا من تدانينا

بحق ما بيني * وبينكم الا
 أقرتم عيني * قبحموا الشمال
 قالعين بالبين * بفقدكم أبلي
 جدي ما قد كان بالاهل والاخوان ومورد الله وصاف من تصافينا
 بأجيرة يانت * عن مغرم صب
 لعهد خات * من غير ما ذنب
 ما هكذا كانت * عوائد العرب
 لا تحسبوا البعدا بغير العهد اذا طالما غير النأي المحيينا
 ياناز لا بالبان * بالشفع والوتر
 والنمل والفرقان * والليل اذا يسر
 وسورة الرحمن * والنخل والجحر
 هل حل في الاديان أن يقتل الظمان من كان صرف الهوى والود يسقينا
 ياسا تل القطر * عرج على الوادي
 من ساكني بدر * وقف بهم نادي
 عسى صبا تسرى * لغرم صادي
 ان شئت تحيينا بلغ تحيينا من لوعلى البعد حيا كان يحيينا
 وافت لنا أيام * كأنها أعوام
 وكان لي أعوام * كأنها أيام
 تمر كالاحلام * بالوصل لي لودام

والكاس مترعه حشت مشعشه فينا الشمول وغنا نامغينا
 * (رجع الى ما يتعلق بقرطبة قال الوزير أبو بكر بن القبطرية يخاطب الوزير أبا الحسين
 ابن سراج ويذكر له اخوانه بقرطبة

ياسمدي وأبي هوى وجلالة * ورسول ودي ان طلبت رسولا
 عرج بقرطبة ولذان جثتها * بابي الحسين وناده تعويلا
 فاذا سعدت بنظرة من وجهه * فاهد السلام لكفه تقبلا
 واذكر له شكري وشوقي مجملا * ولو استطعت سرده تفصيلا
 بنجبة تهدي اليه كأنما * جرت على زهر الرياض ذيو لا
 وأشم منها المصحفي على النوى * تقسا ينسى السوسن المبلولا
 والى أبي مروان منه نفعة * تهدي له نور الربا مطبولا
 واذا لقيت الاخطاي فسقه * من صفو ودي قرقضا وشمولا
 وأبو علي تسق منها ربحه * مسكا بماء نغامة محلا
 واذكر لهم زمنا يهب نسيمه * أصلا كنفت الراقيات عللا
 مولى ومولى نعمة وكرامة * وأخا أخا مخلصا وخطيلا

بالخير ما عبت هناك غمامة * الاتضا حلك اذ خرا وجاللا
 يوما وابلا كان ذلك كله * سحرا وهذا بكرة وأصيلا
 لا أدركت تلك الالهة دهرها * تقصا ولا تلك النجوم أفولا
 قال أبو نصر الحارثي الذي ذكر هنا هو حير الزجالي خارج باب اليهود بقربة الذي يقول فيه
 أبو عامر بن شهيد

لقد أطلعه واعند باب اليهو * دشما أبي الحسن أن تكسفا
 تراه اليهو ود على بابها * أميرا فتسببه يوسفنا
 وهذا الخير من ابداع المواضع وأجلها وأتمها حسنا وأكملها صحنه من مرصافي
 البياض يخترقه جدول كالحية التضاض به جاية كل بلقة بها كاية قد قربت
 بالذهب واللاذورد سماؤه وتأزرت به سماجوانبه وأدجاؤه والروض قد اعتدلت
 أسطاره وابتمت من كائناتها زهاره ومنع الشمس أن ترمق ثراه وتعطر النسيم به بوبه
 عليه ومسراه شهدت به ليلالي وأياما كأنما تصورت من لمحات الاحباب أوقدت من
 صفحات أيام الشباب وكانت لابي عامر بن شهيد به فرج وراحات اعطاء فيها الدهر ماشاء
 ووالى عليه الصحو والانتشاء وكان هو وصاحب الروض المدفون بازائه أليقي صبوة
 وحليتي نشوة عكفا فيه على جريالهما وتصرفا بين زهوهما واختيالهما حتى رداهما
 الردى وعداهما الحمام عن ذلك المدى فتجاورا في الممات تجاورهما في الحيات
 وتقلعت عنهما وارقات تلك الفيات والى ذلك العهد أشار ابن شهيد وبه عرض وبشوقه
 صبح ومرض حيث يقول عنده مونه يخاطب أبا مروان صاحبه أن يدفن بازائه ويكتب
 على قبره

يا صاحبي قم فقد أطلنا * أنحن طول المدى هجود
 فقال لي ان تقوم منها * مادام من فوقنا الصعيد
 تذكركم ليله نعمنا * في ظلها والزمان عبيد
 وكم سرورهم على علينا * سحابة ثرة تجود
 تخيره مسرعا تقضى * وشؤمه حاضر عبيد
 حصله كاتب حفيظ * وضمه صادق شهيد
 يا ويلتنا ان تنكبتنا * رحمة من بطشه شديد
 يا رب عفو أفانت مولى * قصر في أمرك العبيد انتهى

ثم قال بعد كلام وركب أبو الحسن بن القبطرنة الى سوق الدواب بقربة ومعه أبو الحسين
 ابن سراج فنظرا الى أبي الحكم بن حزم غلاما كماعق نعاءه وهو يروق كأنه زهر فارق كناعه
 فسأل أبا الحسين بن سراج أن يقول فيه فارتج عليه فثنى عنان القول اليه فقال
 رأى صاحبي عمرافكاف وصفه * وجاني من ذاك ما ليس في الطوق
 فقلت له عمر وكعمر وفقال لي * صدقت ولكن ذا أشب على الطوق انتهى
 وكان بنو القبطرنة بالاندلس أشهر من نار على علم وقد تصرفوا في البراعة والقلم ولهم

الوزارة المذكورة والقضائل المشكورة ولذا قال أبو نصر في حقهم ما صورته هم
 للمجد كالأثافي ومامنهم الامور والقوادم والحوافى ان ظهوروا زهروا وان تجمعوا
 تضوعوا وان نطقوا صدقوا ماؤهم صفو وكل منهم صاحبه كفو انارت بهم نجوم
 المعالى وشموسها ودانت لهم ارواحها ونفوسها ولهم النظام الصافي الزجاجة
 المضمحل العجاجة انتهى ثم قال وبات منهم أبو محمد مع اخويه في أيام صباه واستطابة
 جنوب الشباب وصباه بالمنية المسماة بالبديع وهو روض كان المتوكل يكلف بموافاته
 وينتجح بحسن صفاته ويقطف رياحينه وزهره ويقطف عليه اغصانه وسهره ويستغفره
 الطرب متى ذكره وينتظر فرص الانس فيه روحاته ويكره ويدير حياه على ضفة نهره
 ويخلع سره فيه لطاعة جهره ومعه اخواه فطار دوا اللذات حتى أنضوها ولبسوا برود
 السرور وما نضوها حتى صرعتهم العقار وصلحتهم تلك الاوقار فلما هم رداء الفجر ان
 يندى وجبين الصبح أن يتبدى قام الوزير أبو محمد فقال

يا شقيق واف الصباح بوجه * ستر الليل نوره وبهاؤه

فاصطح واغتنم مسرة يوم * ليست تدري بما يجي مساؤه

ثم استيقظ أخوه أبو بكر فقال

يا أخي قم ترى النسيم عيلا * يا كرا روض والمدام شعولا

لأنتم واغتنم مسرة يوم * أن تحت التراب نوماطويلا

في رياض تعانق الزهر فيها * مثل ما عانق الخليل خيلا

ثم استيقظ أخوهما أبو الحسن وقد هب من غفلة الوسن فقال

يا صاحبي ذرا لومي ومعتبي * قم نسطج خرة من خير ما ذخروا

وبادرا غفلة الايام واغتنما * فاليوم خير ويعد في غد خبر

وساق صاحب البدائع هذه القصة فقال وذكر أبو الفتح ما هذا معناه انه خرج الوزراء
 بنو القبطرنة الى المنية المسماة بالبديع وهو روض قد اخضرت مسارح نباته واخضلت
 مساري هباته ودمعت بالطل عيون ازهاره وذاب على زبرجده بلور أنهاره وتجمعت
 فيه المحاسن المتفرقة وأضحت مقل الحوادث عنه مطرقة فخيول النسيم تركض في ميادينه
 فلا تسكبو ونصول السواقي تتحسم أدواء الشجر فلا تنبو والزروع قد نقبت وجه الثرى
 وحجبت عن الارض العيون فتابصر ولا ترى وكان المتوكل بن الاقطس يعده غاية الارب
 مشهد الطرب ومدفع الكرب فباتوا فيه ليلتهم يدرون لمع لهب يتنون فيه الخلود
 ويحسون ذوب ذهب لا يصهر به ما في بطونهم والجلود حتى تركتهم ابنة الخاوية كأنهم
 أنجاز نخل خاوية فلما هزم رومي الصباح زنجي الظلام ونادى الديك حتى على المدام
 اتبه كبيرهم أبو محمد مستجلا وأنشد مرتجلا يا شقيق الخ فاتبه أخوه أبو بكر
 لصوته وتخوف لذهاب ذلك الوقت وفوته وأتبه أخاهما أبو الحسن وهو يرتجل يا أخي قم
 ترى النسيم الى آخره فاتبه أخوه كلامه دافعا لذة منامه للذة قيامه وارتيلا
 يا صاحبي ذرا الخ انتهى (قال الفتح) ولما أمر المعتمد بن عباد أبا بكر بن القبطرنة

السابق الذكر مع الوزير أبي الحسين بن سراج ببقاء ذي الوزارتين أبي الحسن بن اليسع القائد
والمشي إليه والتزول عليه تنويهاً بقدومه وتنبيهاً على خطوته لديه وتقدّمه قصاراً إلى
بابه فوجداه مقعراً من جبابه فاستغرباً خلقه من خول وظن كل واحد منهما وتناول
ثم أجمعاً على قرع الباب ورفع ذلك الارتباب فخرج وهو دهش وأشار إليهما بالمحبة
ويده ترتعش وأنزلهما بخلا ومشى بين أيديهما بجلا وأشار إلى شخص فتوارى بالجاب
وبارى الريح سرعة في الاحتجاب فقعدا ومقلة الخشف ترمق من خلال السجف
فانصرفا عنه وعزما أن يكتبا إليه بما فهماهما منه فكتبا إليه

معنا خشفة الخشف * وشمنا طرفة الطرف
وصدقنا ولم نقطع * وكذبنا ولم نتف
وأغضينا لا جلال * لك عن اكرومة الطرف
ولم تتصف وقد جئنا * لك ما تهض من ضعف
وكان الحكم أن تحمّل أو تردف في الردف

فراجعهما في الحين بقطعة منها

أيا أسنى على حالي * سلبت بهما من الطرف
ويا له في على جهل * بنصف كان من نصف

اتهي

ولا هل الاندلس في مغاني الانس الحسن ما لا ينقي به لسان وقال الفتح في ترجمة الوزير
أبي الفضل بن حشداي بعد كلام ماصوره فيها هذه القطعة التي أطلعها نيرة وترك
الالباب بها متخيرة في يوم كان عند المقتدر بالله مع عليه قد اتخذوا المجد حليه والامل
قد سفر لهم عن محياء وعبق لهم عن رياء فصاغفه الكل منهم وحياء وشمس الراح
دائرة على فلك الافراح والملك ينشر فضله ويشروا بلبه وطله بسدى العلاء ويهب الغنى
والغناء فصدحت الغواني وأفصح المثلث والمثاني بما استنزل من مرقب الوقار
وسرى في النفوس مسرى العقار

توريد خذل لا حذاق لذات * عليه من عنبر الاسد اغلامات
نيران هجرتك للعشاق نار لظى * لكنك وصلك ان واصلت جنات
كأنما الراح والراحات تحملها * بدورتم وأيدي الشرب بهالات
حشاشة مازكا الماء يقتلها * الالتحيا بها منا حشاشات
قد كان في كاسها من قبلها ثقل * نخف اذ ملئت منها الزجاجات
عهد لبني تقاضته الامانات * بات وما قضيت منها لبيانات
يدني التوهم للمشـتاق منتزعا * من الامور وفي الاوهام راحات
تقضي عدات اذ اذهب الكرى واذا * هب التسيم فقد تهدي تحيات
زور يعلى قلب المستهام به * دهر او قد بقيت في النفس حاجات
لعل عتب الالبالي أن يعود الى * عتبي فتبلغ أوطار ولذات
حتى يفوز بما جاد الخيال به * فربما صدقت تلك المنامات

(ولما أعرس المستعين بالله بنت الوزير الاجل أبي بكر عبد العزيز احتفل أبوه
المؤمن في ذلك احتفالا شهيرا وأبدع فيه ابداعا راق من حصره وبهره فانه أحضر فيه
من الآلات المبتدعة والادوات المخترعة ما بهر الالباب وقطع بذكائه دون معرفتها
الاسباب واستدعى اليه جميع أعيان الاندلس من دان وقاص ومطيع وعاص فأثروه
مسرعين ولبوه متبرعين وكان مدير تلك الآراء ومدبرها ومنشئ مخاطباتها ومجبرها
الوزير الكاتب أبو الفضل وصدرت عنه في ذلك الوقت كتب ظهر راجازها وبهر اقتضابها
وايجازها * فن ذلك ما خاطب به صاحب المظاهر أبا عبد الله بن طاهر حاكم
أعز الله في طي الجوانح ثابت وان نزحت الدار وعيانك في احنا الضلوع بادوان شحط
المزار فالنفس فائزة منك بمثل الخاطر بأوفر الحظ والعين نازعة الى أن تمتع من لقائك
بتطير اللحظ فلا عائدة أسبغ بردا ولا موهبة أسوغ وردا من تفضلك باللحوق الى
ما يتم بمشاهدتك التمامه ويتصل بحضورتك انتظامه ولك فضل الاجال بالامتع
من ذلك بأعظم الآمال وأنا أعزك الله على شرف سودك حاكم وعلى مشرع سنائك
حاتم وحسبي ما تحققه من نزاعي وتشوقي وتيقنه من تطلعي وتوقى وقد كنت
الارتياح باستحكام الثقة واعترض الاقتراح باستحياب الصلة وأنت وصل الله
سعدك بسماحة شيمك وبارع كرمك تنشي للموانسة عهدا وتورى بالمكارمة زندا
وتقتضى بالمشاركة شكرا حافلا وحيدا لازلت مضيا بالسعود المقتبلة مسوفا اجتلاء
غرو الاماني المتهللة بمنهاته (ثم قال بعدها) يسير مائه وركب المستعين
بالله يوم انهر سرقسطة يريد طراد لذه وارتداد نزته واقتقاد أحد حصونه المنتظمة
بليته واجتمع له من أصحابه من اختصه لاستحقاقه وفيهم أبو الفضل مشاهد الانفراجهم
سالك المنهاجهم والمستعين قد أحضر من آلات ايناسه وأظهر من أنواع ذلك
وأجناسه ما راق من حضر وفاق حسنه الروض الانضر والزوارق قد حفت به
والتفت بجوانبه ونغمات الاوتار تغبى السائر عن عدوه وتخرس الطائر المفصح بشدوه
والسمك تشيرها المكاييد وتغوص اليها المصايد فتبرز منها للعين قضبان درأوس بائك
بلين والراح لا يطمس لها مع ولا يخس منها بصرو ولا سمع والدهر قد غضت صروفه
واقص من نكره معروفه فقال

لله يوم آتق واضح الغرر * مفضض مذهب الآمال وال بكر
كانما الدهر لماساء أعيننا * فيه بعثي وأبدى صفح معتذر
نسير في زورق حف السفين به * من جانيه بمنظوم ومنتفر
معد الشراع به شرع على ملك * بذ الاوائل في أيامه الانر
هو الامام الهمام المستعين حوى * علياء مؤتمن عن هدى مقتدر
فحوى السفينة منه آية عجبا * بحر نجم حنى صار في نهر
تصادم من قعره النينان مصعدة * صيدا كما طفر الغواص بالدرر
ولله داعي به عب ومترشف * كالريق يعذب في ورد وفي صدر

والشرب في مدح مولى خلقه زهر * يذكو وغزته أبهى من القمر انتهى
(وقال) في ترجمة العلامة الكبير الاستاذ أبي محمد عبد الله بن السيد البطلوسي
شارح أدب الكتاب وسقط الزند وفيه مامصورته أخبرني أنه حضر مع المأمون
ابن ذى النون في مجلس الناعورة بالمنية التي تطمح اليها المنى ومرآها هو المقترح
والمتمنى والمأمون قد احتج وأفاض الحبا والمجلس يروق كالشمس في أفقه والبدر
في مفرقه والنور عبق وعلى ماء النهر مصطح ومغتيق والدولاب يئن كناقاة اثر الحوار
أو كشيكل من حر الاوار والجر قد عبرته أنواره والروض قد رشته أنداءه والاسد قد
فغرت أفواهها ومجت أمواهها فقال

يا منظر ان نظرت بهجته * اذ كرتي حسن جنة الخلد
تربة مسك وجو عنبرة * وغيم ندى وطش ماورد
والماء كاللذو قد نظمت * فيه اللآلى فواغرا لاسد
كأنما جائل الجباب به * يلعب في جانيبه بالند
تراميز هو اذا يحل به الشمأمون زهو الفتاة بالعقد
تخاله ان بدا به قسرا * تمايد في مطالع السعد
كأنما ألبست حدائقه * ما خاز من شجرة ومن مجد
كأنما جادها فمروضا * يوابل من يمينه رغسد
لا زال في رفعة مضاعفة * متمم الوفسد وارى الزند

(وقال) في وصف هذا المجلس بعينه في الكتاب الذي أفرد لترجمة ابن السيد مامصورته
فن ذلك أنه حضر مع القادر بالله بن ذى النون بمجلس الناعورة بطليطلة في المنية المتناهية
الهباء والاشراق المباهية لزوراء العراق التي ينفتح شذاها العطر ويكاد من الغضارة
ينظر والقادر بالله رحمه الله قد التحف الوفا وارتداء وحكم العقار في جوده ونداء
والمجلس يشرق كالشمس في الحمل ومن حواه يبتهج كالنفس عند منال الأمل والزهر
عبق وعلى ماء النهر مصطح ومغتيق والدولاب يئن كناقاة اثر حوار الى آخر ما سبق
(وقال الفضل) في وصف هذا المجلس حاذيا حذو الفتح مامصورته حضر الاستاذ أبو محمد
ابن السيد عند المأمون بن ذى النون في بعض منزهاته في وقت طاب نعيمه وسرت
بالسعود ونجومه والروض قد أجاد وشبه راقه والماء قد جرت بين الاعشاب أراقه وثم
بركة عماؤه كأنهم امرأة مجلوه قد اتخذت سباع الصفر بشا طها غايا ومجت بهامن سائغ
الماء لعابا فكانها آساده عين ادلعت السنة من بلين وهي لا تزال تقذف الماء ولا تفر
وتنظم لآلى الجباب بعد ما تنثر فأمره بوصف ذلك الموضع الذي تجذاليه رصكائب
القلوب وتوضع فقال بديها يا منظر الخ انتهى (ثم قال الفتح في هذا التصنيف بعد كلام
في المذكور مانصه وما أبدع قوله في وصف الراح والاض على التبدل لهوم والاطراح
بعاطاة كاسها وموالاة يناسها ومعاقرة دنانها واهتصار غمار الفتوة من أفنانها
والاعراض عن الايام وأنكادها والجري في ميدان الصبوة الى أبعد آمادها

سلّ الهموم اذا نبا زمن * بعمامة صفراء كالذهب
 مزجت فن درّ على ذهب * طاف ومن حبيب على لهب
 وكان ساقها يشير شذى * مسك لذي الاقوام مشتهب
 وقته هو فقد ندب الى المتدوب وذهب الى مداواة القلوب من التدوب وبراثنها من
 الآلام واهدائها كل قحية وسلام وابهاجها باصال وبكر وعلاجها من هموم
 وفكر في زمن حلي عاطله وجلي في أحسن الصور باطله ونفقت محالاته وطبقت أرضه
 وسماؤه واستحالاته فليته ككاسد وذئبه مستاسد واضغائه تنسر وبغائه قد
 استنسر فلا استراحة الا في معاطاة حيا ومواخاة وسيم المحيا وقد كان ابن عمار
 ذهب مذهبه وفضضه بالابداع وذهبه حين دخل سرقسطة ورأى غباوة أهلها
 وتكاثف جهلها وشاهد منهم من لا يعلم معنى ولا فضلا وواصل من لا يعرف قطعا ولا وصلا
 فأقبل على راحه يعاطاها وعكف عليها ماعتداها ولا تخطاها حتى بلغه أنهم نقموا
 معاقرة العقار وجالت ألسنتهم في توبيخه مجال ذي الفقار فقال
 نقمتم على الراح أدمن شربها * وقلتم فتى راح وليس فتى مجتهد
 ومن ذا الذي قاد الجياد الى الوغى * سواي ومن أعطى ككثيرا ولم يكد
 فديتكم ولم تفهموا السر انما * قلبتكم جهدي فأبعدتكم جهدي
 ودعى ابن السيد ليلة الى مجلس قد احتشد فيه الانس والطرب وقرع السرور تبعه
 بالغرب ولاحت نجوم أككواسه وفاح نسيم رنده وآسه وأبدت صدور أباريقه
 أسرارها وضمت عليه المجالس أزرارها والراح يديرها أهيف أوطف والاماني
 تجنى وتقطف فقال

يارب ليل قد هتكت حجابيه * بعمامة وقادة كالكوكب
 يسعى بها أحوى اللففون كأنها * من خده ورضاب فيه الاشنب
 بدران بدر قد أمنت غسرويه * يسعى بيد رجاخ للمغرب
 فاذا نعت برشف بدر غارب * فأنعم برشفة طالع لم يغرب
 حتى ترى زهر النجوم كأنها * حول المجرة ررب في مشرب
 والليل منفجر يطير غرابيه * والصبح يطرده بيازأ شهب
 (ثم قال الفتح بعد كلام كثير) ما صورته ودخل يعني ابن السيد سرقسطة أيام المستعين
 وهي جنة الدنيا وقتنة المحيا ومنتهى الوصف وموقف السرور والقصف ملك نمير
 البشاشة كثير الهشاشة وملك أبهج الفناء أرج الأرجاء يروق المجتلى ويفوق
 النجم المعتلى وحضيرة منسابة الماء منجاية السماء يسم زهرها وينساب نهرها
 وتتفتح خيائلها وتتذوق صباها وشمائلها والحوادث لاتعترضها والكوارث
 لاتقترضها ونازلها من عرش الهموم وآملها متصل بالاماني ومتسم فتزل منها في مثل
 الخورنق والسدير وتصرف فيها بين روضة وغدير فلم يخف على المستعين احتلاله
 ولم تخف لديه خلالة فذكره معلما به ومعرفا وأحضره منقوها به ومشرقفا وقد كان

فر من ابن رزین فرار السروور من نفس الحسرين وخلص من اعتقاله خلوص السيف
من صقاله فقال مدحه

هو سلبوني حسن صبري اذ بانوا * باقار أطواق مطالعها بان
لئن غادروني باللوى ان مهجتي * مسايرة أظعانهم حيمًا كانوا
سقى عهدهم بالخطيف عهد غنائم * ينازعها نهر من الدمع هتان
أحبا بنا هل ذلك العهد راجع * وهل لي عنكم آخر الدهر سلاوان
ولي مقله عبري وبين جوانحي * فؤاد الى لقبيا كم الدهر رحنان
تنكرت الدنيا لنا بعد بعدكم * وحفت بنا من معضل الخطب ألوان
أناخت بنا في أرض شتمرية * هواجس ظن خان والظن خوان
وشمنا بروقا للمواعيد أتعبت * نواظرنا دهر اولم بهم هتان
فسرنا وما نلوي على متعذر * اذا وطن أقصاك أوتك أوطان
ولا زاد الا ما انتشته من الصبا * أنوف وحازته من الماء أجفان
رحلنا سوام الخمر منها غيرها * فلاماؤها صيدا ولا النبت سعدان
الى ملاك حبابه بالمجد يوسف * وشاد له البيت الرفيع سليمان
الى مستعين بالاله مؤيد * له النصر حزب والمقادير أعوان
جفتنا بلا جرم كان مودة * ثنى نحونا منها الاعنة شنان
ولولم تفد منا سوى الشعر وحده * طعن لنا برّ عليه واحسان
فكيف ولم نجعل بها الشعر مكسبا * فيوجب للمكدي جفاء وحرمان
ولا نحن عن يرتضى الشعر خطة * وان قصرت عن شأونا فيه أعيان
ومن أوهمة غير ذلك ظنونه * فثمّ مجال للمقال وميدان
خديلي من بعدى على زمن له * اذا ما قضى حيف على وعدوان
وهل رى من قبلي غريق مدامع * يفيض بعينه الحيا وهو حرّان
وهل طرفت عين للمجد ولم يكن * لها مقله من آل هود وانسان
بوجه ابن هود كلما عرض الوري * صحيفة اقبال لها البشر عنوان
فتى المجد في برديه بدر وضيعم * وبجر وقدس ذوالهضاب ومهلان
من النفر الشمّ الذين أكفهم * غيوث ولكن الخواطر نيران
ليوث شري ما زال منهم لدى الوغى * هزبر بيناه من السمّ ثعبان
وهل فوق ما قدشاد مقتدر لهم * ومؤتمن بالله لقيام ايمان
ألا ليس نخر في الوري غير نخرهم * والافان الفخر زور وبستان
قيامه عينا مستغاثا لمن نبا * به وطن يوما وعضته أزمان
كسوتك من تظمي قلادة مفخر * يباهي بها جريد المعالي ويزدان
وان قصرت عمالبت قريبا * بتجاوز درة في النظام ومرجان
معان حكمت عنج الحسان كاتني * بهنّ حبيب أوبطايوس بغدادان

اذا غرست كفال غرس مكارم * بأرضي أجتك الثنا منه أغصان
(وقال) في وصف مجلس لابي عيسى بن لبون أحضر اليه ابن السيد منقوها بقدره ماصورته
وأحضره الى مجلس تام عنه الدهر وغفل وقام لفرط أنسه واحتفل قد باتت صروفه
ودنت من الزائر قطوفه وقال هلم بنا الى الاجتماع بمذهبك والاستمتاع بمأثنته من
براعة أدبك فأقاموا يعملون كلهم ويصلون ايناسهم وباتوا يلثمهم ما طرفهم نوم
ولاعداهم عن طيب اللذات سوم ثم قال بعد كلام كثير وحضر ابن السيد عند
عبد الرحمن الظافر بن ذى النون مجلسا رفعت فيه المني لواءها وخلعت عليه أضواءها
وزفت اليه المسرات أبكارها وفارقت اليه الطير أوكارها فقال يصف

لم تر عيني مثله ولا ترى * أنفسي في نفسي وأبهي منظرا
اذا تردي وشبه المصورا * من حول صنعاء وحول عبقرا
ونسج قرقوب ونسج تسترا * خلعت الربيع الطلق فيه تورا
كأنما الأبريق حين قررا * قد أتم لسم الكاس حين فغرا
وحشية ظلت تنانعي جوذرا * ترضعه الدروير نوحذرا
كأنما حج عتيقا أحمررا * أوفت من رياه مسكا أذفرا
أوعابد الرحمن يوما ذكرا * فتم مسكا ذكره وعنبرا
الظافر الملك الذي من ظفرا * بقربه نال العلاء الاكبرا
لو أن كسرى راء أوقيصرا * هلال كبراله وكبرا
تبدى سماء الملك منه قرا * اذا حجاب المجد عنه سفرا
يا أيها المضي المطايا بالسرى * تبغي غمام المكرمات الممطرا انتهى

(وقال الفتح) في ترجمة الأديب أبي القاسم بن العطار ماصورته هو أحد أدباء أشيلية
ونحاتها العامرين لأرجاء المعارف وساحاتها لولامواصلة راحاته وتعطيل بذكره
وروحاته وموالاته للفرج ومغالاته في عرف الانس والارج لا يعرج الاعلى ضفة نهر
ولا يتسج الابقطفة زهر لم يحفل بلام ولم يتنقل الا في طاعة غلام ناهيك من رجل
مخلوع العنان في ميدان الصبا به مغرم بالحنان غرام يزيد بحبابه لآرام الا في ذمة
انهمالك ولا تلقاه الا في لمة انهمالك رافعا رايات الهوى قارعا لثنيات الجوى لا يقفر
قواده من كلف ولا بيت الارهن تلف أكثر خلق الله تعالى علاقه وأحضرهم لمشهد
حلاقه مع جزالة تحريك السكون وتضحك الطير في الوكون وقد أثبت له مما ارتجله
في أوقات أنسه وساعاته ونقش به أشاء زفراته ولوعاته فن ذلك ما قاله في يوم ركب فيه
النهر على عادات انكشافه وارتضاعه لتغور اللذات وارتشافه

عبرنا سماء النهر والجو مشرق * وليس لنا الا الحباب نجوم
وقد أليسته الايك برد ظلالها * وللشمس في تلك البرود رقوم

وله فيه

مررت بأطراف النهر بين حدائق * بها حديق الأزهار تستوقف الخدق

وقد نسجت كف النسيم مفاضة • عليه وما غدير الحباب لها حلق

وله

هبت الريح بالعشي فحاكت • زرد الغدير فاهيك بجنه
وانجلى البدو بعد هذا فحاكت • كفه للقتال منه أسنه

وقوله

لله بهجة منزه ضربت به • فوق الغدير رواقها الانسام
فزع الاصيل النهر درع سابغ • ومع الضحى يبتاح منه حمام

وله

لا كالعشية في رواء جنالها • وبلوغ نفسى منتهى آمالها
ماشتت شمس الارض مشرقة السنأ • والشمس قد شدت مطي رحالها
في حيث تنساب المسياه أراقها • وتعييرك الافياء برد ظلالها

وله

لله حسن حديقه بسطت لنا • منها النفوس سوائف ومطامع
تحتال في حليل الربيع وحليه • ومن الربيع قلائد ومطارف انتهى
(وقال الفتح) في ترجمة ابن عمار أخبرني ذوالوزارة بن الاجل أبو المطرف بن عبد العزيز أنه
حضر معه عند المؤتمن في يوم جادت فيه السماء بطلها وأتبعته وبلها بطلها وارتقب
وعدها برقتها وانسكب درأكا ودقها والازهار قد تجلت من اكمامها وتجلت بدر غمامها
والاشجار قد جلى حداها وتوشحت بنداها وأككوس الراح كأنها كواكب تتوقد
تديرها أنامل تكاد من اللطافة تعقد اذا بقتى من قتيان المؤتمن آخر من لا يفصح ومستعجم
لايين ولا يوضح متمترن بالبيت مشمر كالطل القارس عند العيت وقد أقاض على
نفسه درعا تضيق بها الاسنة ذرعا وهو يريد استشارة المؤتمن في التوجه الى موضع
بعته اليه ووجهه وكل من صده عنه نهره وفجبه حتى وصل الى مكان انفراده ووقف
بازاء آساده فلما وقعت عين ابن عمار عليه أشار بيده اليه وقربه واستدنا به وضعه اليه
فكانه تبناه وأراد أن يخلع عنه ذلك الغدير وأن يكون هو الساقى والمدير فأمره
المؤتمن بخلعه وطاعة أمره وسمعه فنضاه عن جسمه وقام يسقى على حكمه
ورسمه فلما دبت فيه الحيا وشبت غرامه بهجة ذلك الحيا واستزلته سورة العقار من
مرقب الوقار قال

وهو يسه يسقى المدام كأنه • تحري دور بكوكب في مجلس
متأرجح الحركات تتدى ريحه • كالغصن هزته الصبا يتنفس
يسعى بكاس في أنامل سوسن • ويدبر أخرى من محاجر زرجس
يا حامل السيف الطويل نجاده • ومصرف الفرس القصير المحبس
اياك بادرة الوغى من فارس • خشن القناع على عذار أملس
جهنم وان حسر اللثام فانما • كشف الظلام عن النهار الشمس

يطغى ويلعب في دلال عذاره * كالمهر يريح في اللجام المجرس
سلم فقد قصف القنا غصن النقا * وسطا يات الغاب ظي المكس
عنا بكاسك قد كفتنا مقله * حوراء قاعة بسكر المجلس
وأورد هذه القصيدة صاحب البدائع بقوله حضر أبو المطرف بن عبد العزيز عند المؤتمن
ابن هود في يوم أبرى الجوف فيه أشقر برقه ورمى بنبل ودقه وتحملت الرياح فيه أوراق
السحاب على أعناقها وتمايلت قامات الأغصان في الحلل الخضر من أوراقها والرياح
قد أشرفت نجومها في بروج الراح وحاكت شمسها شمس الأفق فتلفعت بغيوم الاقداح
ومديرها قد ذاب طرقا فكاد يسيل من اهابه وأخجل خدتها حسنا فتظلل بعرق
حبابه اذا بقى من قتيان المؤتمن قد أقبل متدرا كالبدراج تباب سحابا وانحر قد اكتست
حبابا وقد جاء يريد استشارة المؤتمن في الخروج الى موضع قد كان عول فيه عليه وأمره
أن يتوجه اليه فحين لمح ابن عمار والسكر قد استحوذ على لبه وبث سراياه في ضواحي
قلبه جدي أن يستخرج تلك الدرة من ماء ذلك الدلاص وأن يجلي عنه سهكه كما يجلي
الخبث عن الللاص وأن يكون هو الساقى فأمره المؤتمن بقبول أمره وامتناله واحتذاء
أمثاله فحين ظهرت تلك الشمس من حجبها ورعبت شياطين النفوس من كبت المدام بشهها
ارتجل ابن عمار وهو يتألم الخ الا انه قال اثر قوله اياك بادرة الوغي من فارس ماصورة
يضع السنان على العذارا الملس انتهى * ولا بن عمار الرائية المشهورة في مدح المعتضد
والدالمعة دوهي

أدرا المدامة فالنسيم قد انبرى * والتجم قد صرف العنان عن السرى
والصبح قد أهدى لنا كاقوره * لما استرد الليل منا الغنبرا
والروض كالحسنا كساء زهره * وشيا وقلده نداء جوهرا
أو كالغلام زها يورد خدوده * خجلا وتاء بآسهن معذرا
روض كان النهر فيه معصم * صاف أطل على رداء أخضرا
وتزه ربح الصبا فتخاله * سيف ابن عباد يتد عسكرا
عباد المحضر تاتل صكفه * والجوق قد لبس الرداء الاغبرا
ملك اذا ازدحم الملوك بمورد * ونحاء لا يردون حتى يصعدرا
أندى على الاكباد من قطر الندى * وألذ في الاجفان من سنة السكر
يختار اذهب الخريدة كاعبا * والطرف أبرد والحسام مجوهرا
قد اح زند المجد لا يتفك من * نار الوغي الا الى نار القسرى
لا خلق أقرأ من سفار حيلامه * ان كنت شبيت المواكب أسطرا
أيقنت اني من ذراء بجنة * لما سقاني من نداء الكوثر
وعلمت حقا أن ربي مخصب * لما سألت به الغمام الممطرا
من لا توازنه الجبال اذا احتبي * من لا تسابقه الرياح اذا جرى
ما ضب وصدر الريح يكهم والغيا * تنبو وأيدى الخيل تعثر في الترى

قَادَ الْكَتَاتِبَ كَالْكُوكَبِ فَوْقَهُمْ * مِنْ لَامِهِمْ مِثْلَ السَّحَابِ كُنُورًا
 مِنْ كُلِّ أَيْضٍ قَدْ تَقْلَدَ أَيْضًا * عَضْبًا وَأَسْمَرَ قَدْ تَقْلَدَ أَسْمَرَ
 مَلِكٌ يَرْوِقُ خَلْقَهُ أَوْ خَلْقَهُ * كَالرُّوضِ يَحْسُنُ مَنَظَرًا أَوْ مَخْبِرًا
 أَقْسَمْتُ بِاسْمِ الْفَضْلِ حَتَّى شِمْتَهُ * فَرَأَيْتُهُ فِي بَرْدَتِهِ مَهْجُورًا
 وَجِهَلْتُ مَعْنَى الْجُودِ حَتَّى زَرْتَهُ * فَقَرَأْتُهُ فِي رَاحَتِهِ مَفْسُورًا
 فَاحِ التُّرَى مَتَّعْطِرًا بِتَنَائِهِ * حَتَّى حَسَبْنَا كُلَّ تَرْبٍ غَنِيْرًا
 وَتَوَجَّهْتُ بِالزَّهْرِ مَصْلَعُ هَضَابِهِ * حَتَّى ظَنَّنَا كُلَّ هَضْبٍ قَيْصَرًا
 هَمَرْتُ يَدِي غَصْنَ الْغَنَى مِنْ كَفِّهِ * وَجَنَّتْ بِهِ رَوْضَ السَّرُورِ مَنُورًا
 حَسِبِي عَلَى الصَّنْعِ الَّذِي أَوْلَاهُ أَنْ * أَسْمَعِي بِحِجَّةٍ أَوْ أَمُوتِ فَأَعْذِرَا
 يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي حَازَ الْعِيسَا * وَحَبَابَ مِنْهُ بِمِثْلِ حَمْدِي أَنْوَرَا
 السِّيفُ أَفْصَحُ مِنْ زِيَادِ خُطْبَةٍ * فِي الْحَرْبِ إِنْ كَانَتْ يَمِينُكَ مَنِيرًا
 مَا زِلْتَ تَغْنَى مِنْ عُنَاكَ رَاجِيَا * نِيْلًا وَتَغْنَى مِنْ عَنَا وَتَجْجِرَا
 حَتَّى حَلَلْتَ مِنَ الرِّيَاسَةِ مَحْجِرَا * رَحْبًا وَضَمْتَ مِنْكَ طَرْفًا حُورَا
 شَقِيتُ بِسَيْفِكَ أُمَّةً لَمْ تَعْتَقِدْ * إِلَّا إِلَهُ يَهُودٍ وَإِنْ تَسَمَّيْتَ بَرَبْرَا
 أَثَرْتُ رِجْلَكَ مِنْ رُؤُسِ مَلُوكِهِمْ * لِمَا رَأَيْتُ الْغَصْنَ يَعْشَقُ مُمْتَرَا
 وَصَبَغْتَ دِرْعَكَ مِنْ دِمَاءِ كَاتِمِهِمْ * لِمَا عَلِمْتُ الْحَسَنَ يَلْبِسُ أَحْمَرَا
 وَالْيَكْهَى كَالرُّوضِ زَارَتُهُ الصَّبَا * وَحَنَّا عَلَيْهِ الطَّلَّ حَتَّى تَوَرَا
 نَقَمْتَهَا وَشَيْبَابُكَ مَذْهَبَا * وَقَتْنَهَا مَسْكَ بِحَمْدِكَ أَذْفَرَا
 مِنْ ذَا يَنَافِخُنِي وَذِكْرُكَ مَنْدَلُ * أَوْرَدْتَهُ مِنْ نَارِ فِكْرِي مَحْجَرَا
 فَلَنْ وَجَدْتُ نَسِيمَ مَدْحِي عَاطِرَا * فَلَقَدْ وَجَدْتُ نَسِيمَ بَرِّكَ أَعْطَرَا أُنْتَهَى
 * (وَقَالَ فِي تَرْجُمَةِ عَبْدِ الْجَلِيلِ بْنِ وَهْبُونَ الْمَرْسِيِّ) رَكِبَ بِأَشْيَلِيَّةٍ زُورَقًا فِي نَهْرِهِا الَّذِي
 لَا تَدَانِيهِ الصَّرَاتُ وَلَا يَضَاهِيهِ الْفَرَاتُ فِي لَيْلَةٍ تَنْقَبَتْ فِي ظِلْمَتِهَا وَلَمْ يَيْدُ وَضُحٌ فِي دَهْمَتِهَا
 وَبَيْنَ أَيْدِيهِمْ شَمْعَتَانِ قَدْ انْعَكَسَ شِعَاعُهُمَا فِي الْلُجَّةِ وَزَادَ فِي تِلْكَ الْبَهْجَةِ فَقَالَ
 كَأَنَّمَا الشَّمْعَتَانِ إِذْ سَمْتَا * جَبِيْدٌ غَلَامٌ مُحْسِنٌ الْغَبْدِ
 وَفِي حَنَّا النِّهْرِ مِنْ شِعَاعِهِمَا * طَرِيقُ نَارِ الْهَوَى إِلَى كِبْدِي
 وَكَانَ مَعَهُ غَلَامُ الْبَكْرِى مَعَاطِيَا لِلرَّاحِ وَجَارِيَا فِي مِيدَانِ ذَلِكَ الْمَرَاكِحِ فَلَمَّا جَاءَ عَبْدُ الْجَلِيلِ
 بِمَاجِيَا وَحَلَّى لِلْإِبْدَاعِ الْجَوَانِبَ وَالْأَرْجَاءِ حَسَدَهُ عَلَى ذَلِكَ الْارْتِجَالِ وَقَالَ بَيْنَ الْبَطَاءِ
 وَالْإِسْتِجَالِ

اعْجَبْ بِمَنْظَرِ لَيْلَةٍ لَبْلَاءِ * تَجَنَّبِي بِهَا اللَّذَاتُ فَوْقَ الْمَاءِ
 فِي زُورَقٍ يَزْهَوُ بِغَرَّةِ أَغْبَدِ * يَخْتَالُ مِثْلَ الْبَانَةِ الْغَنَاءِ
 قَرَنْتُ يَدَا الشَّمْعَتَيْنِ بِوَجْهِهِ * كَالْبَدْرِ بَيْنَ النَّسْرِ وَالْجُوزَاءِ
 وَالتَّاجُ قَحْتِ الْمَاءِ أَحْضَوْهُ مِنْهَا * كَالْبَرْقِ يَخْتَفِقُ فِي غَمَامِ سَمَاءِ
 * (وَقَوْلُ الْفَخْرِ رَحِمَهُ اللَّهُ) دَعَيْتُ يَوْمًا إِلَى مَنِيَّةِ الْمَنُصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ يَلْتَسِيَةً وَهِيَ مَنْتَهَى

الجمال وعزدهى الصبا والشمال على وهى بنائها وسكنى الحوادث برهة بقنائها فوافيتها
والصبح قد ألبسها قصه والحسن قد شرح بها عويصه وبوسطها مجلس قد تفتحت للروض
أبوابه وتوشحت بالأزرا الذهبية أثوابه يحترقه جدول كالحسام المسلول ويتساب فيه
انسباب الاليم فى الطول وضافته بالادواح مخفوفة والمجلس يروق كأنه زينة المزفوفة
وفيه يقول على بن أحمد أحد شعرائها وقد حله مع طائفة من وزراءها

قم قاسقنى والرياض لابس * وشيا من النور حاكه القطر

فى مجلس كالسماء لاح به * من وجهه من قد هوىته بدر

والشمس قد عصفت غلاتها * والارض تندى ثيابها الخضر

والنهر مثل المجر تحف به * من الندى كواكب زهر

خلت ذلك المجلس وفيهم أخذان كأنهم الولدان وهم فى عيش لدن كأنهم فى جنة
عدن فأفخت لديهم ركائب وعقلتها وتقلدت بهم رغائب واعتقلتها وأقناتنهم بحسنه
طول ذلك اليوم ووافى الليل فذدنا عن الجفون طروق النوم وظلنا بلبلة كان الصبح منها
مقدود والاعصان تيمس كأنها قدود والجزرة تقرأى نهرا والكواكب تخالها
فى الجوزها والثريا كأنها راحة تشير وعطار دلنا بالطرب يشير فلما كان من الغد وافيت
الرئيس أبا عبد الرحمن زائرا فأفضنا فى الحديث الى أن أفضى بنا الى ذكر منقرهنا
بالامس وما لقينا فيه من الانس فقال لى ما بهجة موضع قد بان قطينه وذهب وسلب
الزمان بهجته واتهب وبادف لم يبق الارسمه ومحام الحديثان فما كاد يلوح وسمعه عهدى به
عند ما فرغ من تشييده وتوهى فى تنسيقه وتنسيده وقد استدعانى اليه المنصور
فى وقت حلت فيه الشمس برج شرفها واكتست فيه الارض بزخرفها فخلت به والدوح
تيمس معاطفه والتور يخجله فاطنه والمدام تطلع به وتغرب وقد حل به تحطان
ويعرب وبين يدي المنصور مائة غلام ما يزيد أحدهم على العشرين أربع ولا يحل غير
الفؤاد من مربع وهم يدرون رحيقا خلتها فى كأسها درأ وعقيقا فأقننا والشهب
تغازلنا وكان الافلاك منازلنا ووهب المنصور فى ذلك اليوم ما يزيد على عشرين الفا
من صلات متصلات وأقطع ضيا عاثم توجع لذلك العهد وأفصح بما بين ضلوعه من الوجد
وقال

سقى المنزلة الاولى وكتيبها * اذ لا أرى زمنا كازمانى بها انتهى

(وما أحسن ما كتب به الفصح الى بعض الملوك) يصف نزهة ببعض منتزهات الاندلس
المونقة ويذكر استضاءته فيها بشمس المسرة المشرقة وهو أطال الله سبحانه بقاء ناصر
الدولة ومحبي الملة الذى حسن ببقاء العيش وتزين بحياة الجيش وراق باسمه الملك
وحررت بسعد القلائد وأتاربه الليل الدامس ولاح له الاثر الطامس وجرى الدهر لسطوته
خائفا وغدا السعد بعقوته طائفا والزمان يبرود عليها ملحف ولتغور نداه مرتشف
ولا زال للمجد يملكه والسعد يحمله فلكه أما وقد وافقتنى أيامه أيده الله سبحانه وفاقا
ورأيت للبيان عنده نفاقا فلا بد أن أرسل كتابه أفواجا وأفيض من بحره أمواجا

وأصف ما شاهدته من اقتداره وعاقبته من حسن إرادته وإصداره بحال أفصح من
 شكوى الخزون وأملح من رياض الحزون وقد كنت أيدكم الله تعالى كفيا بالدول
 وبهاثها لهجا بالبلوغ إلى انتهائها لأجد دولة أرتضيها وحظوة علياء أقتضيها فكل ملك
 فاضته سرا وجهرا وكل ملك قلبته بطنا وظهرا والنفس تصد عنه صدود الجبان عن
 الحسب والملائكة الكرام عن الشرب إلى أن حصلت لديه ووصلت بين يديه فقلت
 الآن أمكن من راح البغية الانتشاء وتمثلت الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وأورثنا
 الأرض تنبؤا من الجنة حيث نشاء ومازلت أسأله حيث سار وأخذ اليمين تارة
 وتارة اليسار وكل ناحية تسفر لي عن خلد روض أزهى وعذاريت أخضر وتبسم عن
 ثغر حباب في نهر كالحباب وترقل من الربيع في ملابس سندسيات وتهدي الينا نوافج
 مسكات وترهى بهجتها بأحسن منظر وتبته بجلباب أبشع من برد الشبَاب الأنضر
 فلتأفها عينا وشمالا واستخبرنا عن أسرارها صبا وشمالا ثم مال ينا أيده الله تعالى
 عن هذه المسارح السنية والمنازل البهية إلى إحدى ضياعه الحالية وبقاعه العالية
 فالتأها والأيام قد عرى من جلبابه واليوم قد اكتمل بعد شبابه فنزلنا في قصور يقصر
 عنها جعفرى جعفر وقصور بني الأصفر تهدي من ألماتها بردا محبرا وتهدي من شذاها
 مسكا وعنبرا وقد لاحت من جوانبها نجوم أكراس لورأها أبو نواس لجعلها شعاره
 ووقف على نهتها أشعاره ولم يتخذ سواها شجعه ولأنه خماره بعد هجعه فتعاطيناها
 والسعدانا خادم وما غير السرور علينا قادم وخدود سقاتها قد اكتست من سناها
 وقدودهم تهيل علينا بجناها ونحن بين سكر وحمو وأثبات ومحو واصاخرة إلى بيم
 وزير والتفانة إلى ملك ووزير إلى أن ولي النهار غيانا وأقبل الليل المميت فأحيانا
 فوصلنا بلهو وقصف وعيش يتجاوز كل وصف فكان يومنا مقيم أو كان ليلتنا من الظلام
 عقيم ولما سل الفجر حسامه وأبدى لعبوس الليل ابتسامه وجاء يختال اختيالا
 ويمحوم بقايا الليل نبالا فمنا تنادى للمسير وكلنا في يد النشوة أسير فسرنا والملك
 الأجل يقدمنا والأيام تخدمنا فلا زالت الأيام به زاهية وعن سواها لاهية ما عروركا
 عقاب وكان للشهور غرر وأعقاب انتهى * (وقال الفتح في ترجمة الراضى بالله أبي خالد
 يزيد بن المعتمد بن عباد) بعد كلام ماضوته وأخبرني المعتمد بالله أن أباه المعتمد وجهه يعنى
 الراضى إلى شلب واليا وكانت ملعب شبابه ومألف أحبابه التي عمر نيجودها غلاما
 وتذكر عهدا أحلاما وفيها يقول يخاطب ابن عمه وقد توجه إليها

الاسمى أوطاني بشلب أبابكر * وسلمت هل عهد الوصال كما أدري

وسلم على قصر الشراجيب من فتي * له أبدا شوق إلى ذلك القصر

وقصر الشراجيب هذا امتناه في البهاء والاشراق مباه لزوراء العراق وكضت فيه جياذ
 راحاته وأومضت بروق أمانيه في ساحاته وجرى الدهر مطيعا بين يديه وروحاته
 أيام لم تحل عنه تمانيه ولا خلت من أزهير الشباب كمانه وكان يعتد بها مشتهى آماله
 ونسبى أعماله إلى بهجة جنباثها وطيب نغمات أوهباتها والتفاف خنائها وتقلده

ينهرها مكان جمائلها وفيها يقول ابن اللبانة

أما علم المعتد بالله اني * بحضرته في جنة شقها نهر
وما هو نهر أعشب النبت حوله * ولكنه سيف جمائله خضر

فلما صدر عنها وقد حسنت آثاره في تدبيرها وائسدت رعايته على صغيرها وكبيرها نزل
المعتد عليه مشرفا لاوبته ومعرقا باسم وقدره ليدبر رتبته وأقام يومه عنده مستريحا
ويعرى في ميدان الانس بطلا مشجحا وكان واجدا على الراضي بخلات الحياة أفقه ومحت
غظه عليه وحنقه وصورته له عين حنوه وذكرته بعده بفتح الى دتوه وبين ما استدعى
وأوفى مالت بالمعتمد نشوته وأغنى وألقاه صريعا في مبتداه طريحا في منتهى مداه
فأقام تحياه يرتقب انتباهه وفي أثناء ذلك منع شعرا أتقنه وجوده فلما استيقظ أنشده

الان تعود حياة الامل * ويدنو شفاء فؤاد عمل
ويورق للعز غصن ذوى * ويطلع للسمد نجم أفل
فقد وعدتني بحباب الرضا * بوابها حين جادت بطل
دعوت قطار بقاي السرور * اليك وان كان منك الوجل
كما يستطيرك حب الوغى * اليها وفيها الطبا والاسل
أيامك كما أمره نافذ * فن شاعر ومن شاذل
فلا غرو ان كان منك اغتفار * وان كان منا جيل عازل
فتلك وهو الذي لم نجسد * عادي بحلم على من جهل انتهى

(وقال في ترجمة المتوكل على الله بن الاطلس ماصورته) وأخبرني الوزير أبو محمد بن عبدون
أن الارض نوالى عليها الجند بحضرته حتى جفت مذاهبها واغبرت جوانبها وغرد
المكاء في غير روضه ونحاض الياس بالناس أعظم خوضه وأبدت الخائل عبوسها وشكت
الارض لسماء بوسها فأقبح المتوكل عن الشرب واللهو ونزع ملابس الخيلاء والزهو
وأظهر الخشوع وأكثر السجود والزكوع الى أن غيم الجوع وانجم النور وصاب
الغمام وترنمت الحمام وسفرت الازهار وزهت النجود والاغوار واتفق أن وصل
أبو يوسف المغنى والارض قد ابست زخارفها ورقم الغمام مطارفها وتوجت الغيطان
والربا وأزجت نفحات الصبا والمتوكل ما فاض لتوبته ختما ولا قوض عن قلبه منها
خياما فكتب اليه

ألم أبو يوسف والمطر * فيا ليت شعري ما ينظر
ولست بأب وأنت الشهيد * حضور نديك فيمن حضر
ولامطلي وسط تلك السما * بين النجوم وبين القمر
وركضى فيها جياذ المدا * م محنونة بسياط الوتر

فبعث اليه مكرها وكتب معه

بعثت اليك جناح قطر * على خفية من عيون البشر

على قلات من تاج البروق • وفي ظلال من نسج الشجر
نحسبي عن نأى من دنا • ومن غاب كان قد امان حضر
فوصل القبة المطلة على البطحاء المزينة بمنازل الروحاء فأقام منها حيث قال عدى بن
زيد يصف مصنعا

في قباب حول دسكرة • حولها الزيتون قد نبعا

ومزلهم من السرور يوم ما ملأذي رعين ولا تصور قبل عيونهم لعين وأخبرني انه ساير الى
شنترين قاصبة أرض الاسلام السامية الذرى والاعلام التي لا يروعهما صرف
ولا يقرعهما طرف لانها متوعدة المراقى معصرة للراقي متمكنة الرواسى والقواعد
من ضفة نهر استدار بها استدارة القلب بالساعد قد أطلت على خاتلها اطلال العروس
من منصفها واقتطعت من الجوا أكثر من حصتها فزوا بأنفس قطرسالت به جدا وله
واختالت فيه خاتله فيما يجول الطرف منه الا في حديقة أوبقعة أنيقة فتلقاهم ابن
مقانا قاضي حضرته وأنزلهم عنده وأورى لهم بالمزة زنده وقدم لهم طعاما واعتقد
قبوله منا وانعاما وعند ما طعموا قاعد القاضي بساب المجلس رقيبا لا يبرح وعين المتوكل
حياء منه لا تجول ولا تمسرح فخرج أبو محمد وقد أبرمه بتثقيله وحرمة راحته رواجه
ومقبله فلقى ابن خيرون منتظرا له وقد أعد لخلوله منزله فسار الى مجلس قد ابتست ثغور
نواره وخجلك خدود وورده من زواره وأبدت صدورا بأريكة أسرارها وضمت عليه
المحاسن أزرارها ولما حضر له وقت الانس وحينه وأرجت له رياحينه وجهه من يرقب
المتوكل حتى يقوم جليسه ويزول موحيته لا أنيبه فأقام رسوله وهو مكانه لا يريجه
قد لازمه كأنه غريمه فلما انفصل حتى ظن أن عارض الليل قد نصل فلما علم أبو محمد بانفصاله
بعث الى المتوكل قطيع راح وطبق ورد وكتب معهما

البيضاء فاجتاهما منيرة • وقد دجا حتى الشهاب الثاقب

واقفة بالباب لم يؤذن لها • الا وقد كاد ينام الحجاب

فبعضها من الخفاف جامد • وبعضها من الحياء ذاتب

فقبلها منه رحمه الله تعالى وعفاه عنه وكتب اليه

قد وصلت تلك التي زفقتها • بكر او قد شابت لها ذوائب

فهب حتى تسترد ذاهبا • من أنسا ان استرد ذاهب

فركب اليه ونقل معه ما كان بالمجلس بين يديه وبات اليه ما لا يريمان السمر ولا يشمان
برقا الا الكاس والزهر (ثم قال) بعد كلام وأخبرني الوزير الفقيه أبو أيوب بن أبي أمية
انه مر في بعض أيامه بروض مفتحة المباهم معطر الرياح النواهم قد صقل الربيع
حودانه وأنطق بلسله وورشانه وألحف غصونه برودا مخضرة وجعل اشراقه للشمس
ضرة وأزاهره تنبه على الكواكب وتختال في خلع الغمام السواكب فارتاح الى
الكون به بقية نهاره والتمتع بنفسه وبهواره فلما حصل من أنسه في وسط المدى عمد
الى ورقة كرنب قد بللها الندى وكتب فيها بطرف غصن يستدعي الوزير أبا طالب بن

غانم أحدندماه ونجوم سمائه

أقبل أباطاب البنا • وقع وقوع الندى علينا

فصن عقد بغير وسطى • مالم تكن حاضر الدنيا

قوله يشتق في نسخة ابن يستعير

هـ

(وقال في ترجمة المعتصم بن صمادح ماصورته) وأخبرني الوزير أبو خالد يشتق أنه حضر مجلسه بالصمادحية في يوم غيم وفيه أعيان الوزراء ونبهاء الشعراء فقعده على موضع يتداخل الماء فيه ويلتوى في نواحيه والمعتصم منشرح النفس يجتمع الائن فقال انظر الى حسن هذا الماء في صبيه • كأنه أرقم قدجة في هر به

فاستبدعوه وتيموه به وأولعوه فأسكب عليهم شاي بنداء وأعرب بمظهر من بشره وأبداء ثم قال بعد كلام وخرج الى برجة ودلاية وهم ما منظر ان لم يجل في منله ما ناظر ولم تدع حسنهم الحدود التواضر غصون ثنيها الرياح ومياه لها انسياب وحدائق تهدي الاريج والعرف ومنازه تهيج النفس وتمتع الطرف فأقام فيها أياما يسدريج في مسارحها ويتصرف في منازعها وكانت نزهة أربت على نزهة هشام بدير الرصافه وأنافت عليها أي اتانه (وقال في ترجمة بن رزين ما ملخصه) أخبرني الوزير أبو عامر أنه اصطحب يوما والجو سما كئي العوارف لازوردي المطارف والروض أنيقة لباته رقيقة هباته والنور مبتل والنسيم معتل ومعه قومه وقد راقهم يومه وصلاته تصانح معتقهم ومبراته تشافه موافقهم والراح تشنع وماء الاماني ينشع فكتب الى ابن عمار وهو ضيفه

ضمنا على الايام أن أبلغ المنى • اذا كنت في ودي مسرا او معلنا

فلو نسأل الايام من هو مفرد • بودا بن عمار اقلت لها أما

فان حالت الايام بيني وبينه • فكيف يطيب العيش أو يحصل المنى

فلما وصلت الرقعة اليه تأخر عن الوصول واعتذر بعذر محتمل المعاني والقصول فقال أحد الحاضرين اني لا عجب من تعود ابن عمار عن هذا الضمار مع ميله الى السماع وكافه بمثل هذا الاجتماع فقال ذوو الرياستين ان الجواب تعذر فلذا اعتذر لانه يعاني قوله وبعبارة ويرقيه ولا يرتجله ويقول في المدة الممتدة فرأى أن الوصول بلا جواب اجبال لاديه واخلاق المنازلة في الشرور بته فلما كان من القدور دا بن عمار ومعه الجواب وهو

هصرت لي الآمال طيبة الجاني • وسوغتني الاحوال مقبله الدني

والبستني النعما أغض من الندى • وأجل من وشي الريع وأحسنا

وكم لي له أخطبتني بحضورها • فبت سحر المسناء والسننى

أعذل نفسي بالمكارم والعلا • وأذني وكنى بالغناء والغنى

سأقرن بالقويل ذكر ككلا • تعاورت الاسماء غيرك والكنى

لا وسعتني قولا وطولا كلاهما • بطوق أعناقنا ويخسر السننا

وشرقتني من قطعة الروض بالقي • تنثر فيها الطبع وردا وسوينا

تروق بجيد الملك عقد امر معا * وتزهو على عطفيه بردا من بنا
قدم هكذا يا فارس الدست والوغي * لتطعن طورا بالكلام وبالقنا
* (وأخبرني الوزير ابن سعدون) أنه اصطحب يوما بحضرته والرضا ذرش وللربيع على وجه
الارض فرش وقد صقل الغمام الازهار حتى أذهب غشها وسقاها فأروى عطشها
فكتب اليه

فديت لك لا يسطيعك النظم والنثر * فأنت ملك الارض واتصل الامر
مريئنا لك الغم فأنزل صيبا * كما سكبت وطفاء أو سكبت البحر
وجاء الربيع الطلق يدي غضارة * فحيث منه الشمس والروض والنهر
الى أن قال ثم وجه فيه الى روضة قد أرجت نفحاتها وتدبجت ساحاتها وتفتحت كمامها
وأفصحت حمامها وجردت جداولها كاللواتر ورمقت أزهارها كالعيون الفواتر
وأقاموا يعملون أكواسهم ويشتملون ايناسهم فقال ذو الرياستين

وروض كساه الطل وشيا مجتدا * فأنجي مقبلا للنفوس ومقعدا
اذا صاحفته الريح خلت غصونه * رواقص في خضر من القضب ميذا
اذا ما انسكاب الماء عانت خلته * وقد كسرت راحة الريح مبردا
وان سكنت عنه حسبت صفاء * حساما صقيلا خافي المدة من جرّدا
وغنت به ورق الحمام بيننا * غناء ينسبك الغريض ومعيدا
فلا تجفون الدهر مادام مسعدا * ومدة الى ما أقصد حباله يدا
وخذها مداما من غزال كانه * اذا ما سقى بدر تحمل فرقدا

الى أن قال وأخبرني الوزير ابن سمنون انه كان معه في منية العيون في يوم مطر
الاديم ومجلس معزز النديم والانس يغازلهم من كل ثنية ويواصلهم بكل أمنيته
فكر أحد الحاضرين سكرامثل له ميدان الحرب وسهل عليه مستوعر الطعن والضرب
فقلب مجلس الانس حربا وقتالا وطلب الطعن وحده والبرالا فقال ذو الرياستين

نفس الذليل تعزب بالجرىال * فيقاتل الاقران دون قتال

كم من جبان ذى اقتخار باطل * بالراح تحسبه من الابطال

* (وقال في ترجمة ابن طاهر باصورته) وبشته يوما وقد وقتت سياب الخنش فقال لي من
أين فاعلمته ووصفت له ما عاينته من حسنه وتأملته فقال لي كنت أخرج اليه في أكثر
الليالي مع الوزير الاجل أبي بكر يعني ابن عبد العزيز الى روضته التي ودت الشمس أن يكون
منها طلوعها وتبقى المسك أن تضم عليه ضلوعها والزمان غلام والعيش أحلام
والدنيا حبة وسلام والناس قد اتشروا في جوانبه وقعدوا على مذابحه وفي ساقيته
الكبرى دولاب يشك كفاة اثر حوار أو كشكي من حر الاوار وكل مغرم يجعل فيه
ارتياحه بكرته ورواحه ويغازل عليه حبيبته ويصرف اليه تشبيبه فخرجت عليه
ليه والتمني ابزري واقف وأمامه ظبي أنس تهيم به المكائس وفي أذنيه قرطان كانهما
كوكبان وهو يتأودتا ودغصن البيان والمتني يقول

معشر الناس بياب الخش * بدرتم طالع في غيش
علق القرط على مسجعه * من عليه آفة العين خشي
فلما رآني أمسك وسبح كأنه تفك * (وقال في ترجمة ابن عمار ماصورته) وتزده
بالدمشق بقرطبة وهو قصر شهيد بنو أمية بالصقاح والعسد وجروا من اتقانه الى غاية
وأمد وأبدع بناؤه ونعت ساحته وقناؤه واتخذوه ميدان مراحهم ومضمارا
لانشراحهم و كوا به قصرهم بالمشرق وأطلعوه كالكوكب الثاقب المشرق
خله أبو بكر بن عمار على أثريوسه وايتسم له دهره بعد عبوسه والدينا قد أعطته عفوها
وسقته صفوها وبات فيه مع لمة من أتباعه ومتقيي رباعه وكلمهم بحبيه بكاس ويقديه
ينفسه من كل ياس فطابت له ليلته في مشيده وأطربه الانس ببسطه ونشيده قتال
كل قصر بعد الدمشق يذم * فيه طاب الجنى وفاح المشم
منظر رائق وماء نسيم * وثرى عاطر وقصر أشم
بت فيه والليل والفجر عندي * عنبر أشهب ومسك أحتم انتهى
وعبر صاحب البدائع عن هذه القصة بقوله تنزه ابن عمار بالدمشق بقرطبة وهو قصر شهيد
خلفاء بني أمية وزخرفوه ودفعوا صرف الدهر عنه ورصفوه وأجروه على ارادتهم
وصرفوه وذهبوا سقفه وقضوها ورخا وأرضه ورقضوها فبات به والسعد يلحظه
بطرفه والروض يحبه بعرفه فلما استنفد كافور الصباح مسك الغسق ورصع أنوس
الظلام نضار الشفق قال مرتجلا كل قصر بعد الدمشق يذم الخ انتهى * (وقال
في ترجمة ذي الوزارتين أبي عيسى بن ليون) أخبرني الوزير أبو عاصم بن الطويل انه كان
بقصر حريطري بالجلس الشرقي منها والبطحاء قد لبست زخرفها وديج الغمام مطرفها
وقبها حدائق ترنوع من مقل نرجسها وتبت طيب تنفسها والجلنار قد لبس أردية الدماء
وراع أفئدة الندماء فقال

قم يا نديم أدر على الترقفا * أو ما ترى زهر الرياض مقوفا
فتخال محبوبا مدلا ووردها * وتظن نرجسها محبامد نقا
والجلنار دماء قتلى معرك * والياسمين حباب ماء قد طفا

الى أن قال وشرب مع الوزراء الكتاب يطحاء لورقة في عشية تجود بدماها ويصوب
عليها دمع معائنها والبطحاء قد خلع عليها سندسها ودرها نرجسها والشمس تنفض على
الرباز عفرانها والانوار تغمض أجفانها فكتب الى ابن اليسع
لو كنت تشهد يا هذا عشيتنا * والمزن تسكب أحياها وتحد
والارض مصفرة بالشمس كاسية * أبصرت تبراعليه الدري ينثر
* (وقال في ترجمة ذي الوزارتين أبي بكر بن رحيمة ماصورته) ووصل هو وابن وضاح
صهر المرتضى وابن جمال الخلافة صاحب مقلية الى إحدى جنات مرسية فخلوا منها
في قبة فوق جدول مطرد وتحت أدواح طيرها غرد فأقاموا يتعاطون وحيقهم
ويعمرون في الموانسة طريقهم اذا بالجنان قد وقف عليهم وقال كان بموضعكم بالامس

صاحب الموضع ومعه شعور منشوره وخذود غير مستورة قد رفعت عنها البراقع
وما منها نظرة الاومعها سهم واقع فاستدعى فحما وكذب في احدى زوايا القبة
فادنا ودنا اليك فجئنا * بتقوس تفديك من كل بوس
فترلنا منا زلال بدور * وحللتنا مطالعا لشعوس

* (وقال في ترجمة الوزير الكاتب أبي محمد بن عبدون ماصورته) حالت بابرة فانزلى واليها
بقصرها ومكتفى من جنى الاماني وهصرها فأقت ليلي أبر على المجرة ذيلي وتطارد
في ميدان السرور خيلي فلما كان من القديا كرنى الوزير أبو محمد مسلما ومن تنكبي عنه
متألما ثم عطف على القائد عاتبا عليه في كوفي ليديه ثم انصرف وقد أخذني من يديه فخلت
عنده في رجب وهمت على من البراء مطارد صاحب في مجلس كان الدوازي فيه مصفوفة
أو كان الشمس اليه من فوقه فلما كان انصرافي وكثرت طلي الى ما بي واستشرافي ركب
معي الى حديقة نضرة مجاورة للحضرة فأثجنا عليها أيدي عيسنا ونلنا منها ما شئنا
من ثأينسنا فلما امتطيت عزمي وسددت الى غرض الرحلة سهمي أنشدني
سلام ينابج منه زهر الرباعرف * فلا سمع الا ودلوانه أنف
حنيني الى تلك السجيا يا فانها * لا تارأعيان المساعي التي أقفو
ثم سرد القصيدة الى أن قال وله رجه الله تعالى

سقاها الحيا من مغان فساح * فكم لي بهت من معان فصاخ
وحلي أكلي تلك الربا * ووشى معاطيف تلك البطاح
فلم أنس لم أنس عهدى بها * ويرى فيها ذبول المسراح
ونوى على حبرات الرياض * يجاذب بردى مسر الرياح
ولم اعط امر النهى طاعة * ولم أصغ سمى الى قول لاح
وليل كرجعة طرف المريب * لم أدله شفق من صباح

(وقال في ترجمة الوزير أبي محمد بن مالك بعد كلام له فيه وانشاده بيتيه البديعين اللذين هما
لا تلتنى بأن طربت لشجو * يبعث الانس فالكريم طروب
ليس شق الجيوب حقا علينا * انما الشأن أن تشق القلوب
فاصورته وخرجت باشيلية مشيعا لاحد زعماء المرابطين فألقته معه مسارا له
في جملة من شيعه فلما انصرفنا مال بنا الى معر من أمير المسلمين أدام الله تعالى تأيده الذي
ينزله عند ملو باشيلية وهو موضع مستبدع ~~كأن~~ الحسن فيه مودع ما شئت من
نهرين اب انساب الارقم وروض كباوشت البردي راقم وزهر يحسد الملك رياه
ويتمنى الصبح أن يسم به حياه فقطف غلام وسيم من غلاته نورة ومد يده الى وهي
في كفه فعزم على أن أقول بيتا في وصفه فقلت

وبدردا والظرف مطلع حسنه * وفي كفه من رائق النور كوكب

فقال أبو محمد

يروح لتعذيب النفوس ويغتدى * ويطلع في أفق الجمال ويغرب

ويحسد منه الغصن اى مهفهف * يحيى على مثل الكتيب ويذهب
 * (وقال في ترجمة الوزير ابي القاسم بن السقاط بعد كلام كثير ماصورته) وجمالنا الوزير
 القاضى ابو الحسن بن اضى الى احدى ضياعه بخارج غرناطة ومعنا الوزير ابو محمد بن
 مالك وجاعة من اعيان تلك الممالك فخلا بضعة لم ينحت المحل اثلها ولم ترمق العيون
 مثلها وجلنا بها فى اكثاف جنات ألفاف فاشتت من دوحة لفاء وغصن عيس كمعنى
 هيفاء وما ينساب فى جداوله ونهر يضح بالمسك راحة متناوله ولما قضينا من تلك
 الحدائق اربا واقتضضنا منها اترابا عربا ملنا الى موضع المقييل ونزلنا بمنازله تترى
 بمنازله جذية مع مالك وعقيل وعند وصولنا بدالى من احدى الاصحاب تقصير فى المبرة
 عرض لى منه تكدير لتلك العين الثرة فأنظهرت التناقل أكثر ذلك اليوم ثم عدت عنهم
 الى الاضطجاع والنوم فها استيقظت الاوال السماء قد نسج صحوها وغيم جوها والغمام
 منهمل والثرى من سقياء غل فبسطنى بتخفيه وأبهجنى ببر لم يزل يتمه ويوفيه وأنشدنى
 يوم تجهم فيه الافق وانتثرت * مدامع الغيث فى خذا الثرى هملا
 رأى وجومك فارتدت طلاقتك * مضاهيا لك فى الاخلاق بمثلا

* (وقال فى ترجمة الوزير القاضى ابي الحسن بن اضى مانسه) وكان لصاحب البلاد الذى كان
 يتولى القضاء به ابن من أحسن الناس صورة وكانت محاسن الافعال والاقوال عليه
 مقصورة مع ما شئت من لسن وصوت حسن وعفاف واختلاط بالهاء والتفاف
 فحملنا الى احدى ضياعه بقرب من حضرة غرناطة فخللنا قريته على ضفة نهر أحسن
 من ساد مهر تشقها جداول كالصلال ولا ترمقها الشمس من تكاثف الظلال
 ومعنا جله من اعيانها فأحضرنا من أنواع الطعام وأرانا من فرط الاكرام والانعام
 ما لا يطاق ولا يحصى ويقصر عن بعضه العتد وفى أثناء مقامنا بدالى من ذلك الفقى المذكور ما
 أنكرته فقابلته بكلام أعقده وملام أحقده فلما كان من الغد لقيت منه اجتنابه
 ولم أر منه ما عهدته من الانابه فكتبت اليه مداعبا فراجعنى بهذه القطعة

أتنى أبانصر نتيجة خاطر * مريع كرجع الطرف فى الخطرات
 فأعربت عن وجد كين طويته * بأهـ فـ طاوفا ترا للخطات
 غزال أحـ المقلبين عرقته * بخيف منى للحسن أو عرفات
 رماك فأصمى والقلوب رمية * لكل كميل الطرف ذى قسكات
 وظن بأن القلب منك محصب * قلباك من عينيه بالـ رات
 تقرب بالناسك فى كل منسك * وضحي غداة النهر بالمهبات
 وكانت له جيان مشوى فأصحت * ضلوعك مشواه بهـ كل فلاة
 بعز علينا أن تهيم قنطوى * كتيبنا على الاشجان والزفرات
 فلو قبلت للناس فى الحب قدية * فدينك بالاموال والبشرات

* (وقال فى ترجمة أديب الادلّس وشاعرها ابي اسحق بن خفاجة بعد كلام ماصورته)
 وقال يندب معاهد الشباب ويتفجع لوفاة الاخوان والاحباب بعقب سبل أعاد

الديار آثارا وقضى عليها وهيا وانتارا

ألا عرض الاخوان في ساحة البلى • وما رفعوا غير القبور قبلا
قدم معكم ما سمح الغمام ولوعة • كما اضرمت ريح الشمال شهابا
اذا استوقفتني في الديار عشية • تلمذت فيها حياة وذهابا
أذكر بطرفي في معاهد قسية • شكلتهم بيض الوجوه شبابا
فطال وقوفي بين وجد وفرقة • أنادى رسوما لا تحب جوايا
وأعجوب جيل الصبر طورا بعبرة • أخطبها في صفحتي كتابا
وقد درست أجسامهم وديارهم • فلم أرا إلا أعظم ما ويايا
وحسبي نجا وان أرى الدار بلقا • خلاه وأشلاه الصديق ترابا

ولقد أحلني بهذه الديار المندوبة وهي كهدها في جودة مبنائها وعودة سنها في ليلة
الكلنا ظلامها انمدا ومحونا بها من نفوسنا كندا ولم يزل ذلك الانس يسطه والسرور
ينشطه حتى نشر لي ما طواه وبث مكتوم لوعته وجواه وأعلمني بليلته فيها مع أترابه
وما قضى بها من أطرابه انتهى ما وقع عليه اختيارى من كلام أبي نصر الفتح بن عبيد الله
رحمه الله تعالى في وصف بعض منزهات الاندلس البديعة ورياضها الموثقة المربعة وما
أحسن رسالته مختصرة كتبها مهنثا بعض مالوك الاندلس بما منحه الله تعالى من التمكين
الذي أيده به ونصره وقد جودا وصفه واستطرد منها الى ذكر الناصر وولده
الحكم الذي عمر الزهراء والرافقة ونصها أدام الله تعالى أيام الامير للارض بملكها
وبستدير بسعد فلكها وقد استبشر الملك أيده الله وحق له الاستبشار فقد أوما
اليه السعد وأشار بما اتفق له من قوليك وخفق عليه من ألويتك فلقده حي منك بملك
أمضى من السهم المستد طويل فجاد السيف رجب المقلد يتقدم حيث يتأخر الذابل
ويشكرم اذا بخل الوابل ويحمي الحى كريمة بن مكدم ويسقى الطبيا نجيعة كلون العندم
فهنيئا لاندلس فقد استردت عهد خلفائها واستجذبت رسوم تلك الامامة بعد عقابها
فكان أن لم تمت أعاصرها ولم يمت حكمها ولا ناصرها اللذان عمر الرافقة والزهراء
ونكحها عقائل الروم وما بدلا غير المشرفة مهرا والله سبحانه أسأله اظهار أيامك وبه
أرجو انتشار أعلامك حتى يكون عصرنا أجل من عصرهم ونصرنا أغرب من نصرهم
بمنه وكرمه وعينه • (وقال رحمه الله تعالى في ترجمة الفقيه القاضي الحافظ أبي محمد عبد
الحق بن عطية صاحب التفسير الشهير بعد كلام كثير ما صورته ومررتا في إحدى نزعتنا
بمكان مقفر وعن المحاسن مسفر وفيه بكير نرجس كأنه عيون مراض يسيل وسطه
ما مراض بحيث لا حس الالاهام ولا أنس الا ما يعرض للاوهام فقال

نرجس يا كرت فيه روضة • لذقطع الدهر فيها وعذب
حنث الريح بها خمر حيا • رقص التبت لها ثم شرب
فقد ابسفر عن وجنته • نوره الغض وبه تظرب
خلت لعل الشمس في مشرقه • لها بجسم منه في لهب

قوله عبد الحق في نسخة عبيد
المناسق اه

ويياض الطل في صفرته • نقط الفضة في خط الذهب انتهى
وسبأني ان شاء الله تعالى كثير من وصف بلاد الاندلس ومنقزها منها وما اشقت عليه
من المحاسن في كلام غير واحد ممن يجري ذكره في هذا الكتاب وخصوصاً أديب زمانه غير
مدافع من اعترافه أهل الشرق بالسبق وأهل المغرب بالابداع المغرب النور أبو الحسن
علي بن سعيد العنسي فانه لما اتصل بمصر ودخلها اشتاق الى تلك المواطن الاندلسية
الرائقة ووصفها بالقصائد والمقاموعات الفاتقة وقد أسلفنا أيضاً فيما مر من هذا
الكتاب بعض ما يتعلق بمحاسن الاندلس فليراجع في محله من هذا الكتاب قلت وماذا
عسى أن تذكر من محاسن قرطبة الزاهرة والزهراء ونصف من محاسن الاندلس التي تبصر
بكل موضع منها ظلالاً ضافياً ونهر اوزهر ويرحم الله تعالى أديبها المشهور الذي اعترف له
بالسبق الخاصة والجمهور أبا اسحق بن خفاجة اذ قال

يا أهل اندلس لله دركم • ماء وظل وأنهار وأشجار
ماجنة الخلد الا في دياركم • ولو تخيرت هذا كنت أختار
لا تحتشوا بعد ذا أن تدخلوا سقرا • فليس تدخل بعد الجنة النار

ويروى مكان قوله ولو تخيرت هذا كنت أختار ما مثله وهذه كنت لو خيرت أختار
ومكان لا تحتشوا لا تحسبوا وكذا رأيت بخط الحافظ الشافعي والاول رأيت بخط العلامة
الواثيرسي رحمه الله تعالى • وحكي أن الخليل لما قدم من الاندلس رسولا الى سلطان
المغرب أبي عنان فارس ابن السلطان أبي الحسن المربني أنشد بحضرة السلطان المذكور
آيات ابن خفاجة هذه كالقنطرة بين بلاد الاندلس فقال السلطان أبو عنان كذب هذا الشاعر
يشير الى كونه جعلها جنة الخلد وأنه لو خير لاختارها على ما في الآخرة وهذا خروج من
ربيعة الدين ولا أقل من الكذب والاغراق وان جرت عادة الشعراء بذلك الاطلاق فقال
الخليل يا مولانا بل صدق الشاعر لانها موطن جهاد ومقارعة للعدو وجلاد والنبي
صلى الله عليه وسلم الرؤف الودود الرحيم العطوف يقول الجنة تحت ظلال السيوف
فانحسن منه هذا الكلام ورفع عن قائل الايات الملام وأجرل ملته ورفع منزلته
ولعمري ان هذا الجواب بلدير بالصواب وهذا ينبغي أن تكون رسل الملوك
في الاقتنان روح الله تعالى أرواح الجميع في الجنان • وأبو اسحق بن خفاجة كان أوحده
الناس في وصف الانهار والازهار والرياح والحياض والرياحين والبساتين
وقد سبق بعض كلامه ويأتي أيضاً منه بعض في أثناء الكتاب ومن ذلك قوله

وكأمة حدر الصباح قناها • عن صفحة تندي من الازهار
في أبطح رضعت ثغورا قاحه • أخلاف كل غمامة مدرار
تثرت بحجر الارض فيه يد الصبا • درر الندى ودراهم النوار
وقد ارتدى غصن النقا وتقلدت • حلي الحباب سوا الق الانهار
فحلت حيث الماء صفحة ضاحك • جذل وحيث الشطبة عذار
والريح تنفض يهـ كره لم الربا • والطل ينضج أوجه الاشجار

متقسم الاخطا بين محاسن * من ردف راية وخصر قرار
وأراكة سجع الهديل بفرعها * والصبح يسفر عن جبين نهار
هـزنت له أعطافها ولربما * خلعت عليه ملاءة الانوار
وقوله

سقى اليوم قد اتمت بسرحة * رياتلاعها الرياح قتلعب
سكري يغنيها الحمام قنتشني * طربا ويسقيها الغمام قتشرب
يلهو وترفع للشبـيبـية راية * فيه ويطلع للبهارة كوكب
والروض وجهه ازهر والظل فر * ع أسود والماء ثغر أشنب
في حيث أطربنا الحمام عشية * فتد ايغينا الحمام المطرب
واهتز عطف الغصن من طرب بنا * واقتد عن ثغر الهلال المغرب
فصك أنه والحسن مقترن به * طوق على برد الغمامة مذهب
في قسية تسرى فينصعد الدجى * عنها وتنزل بالجديب فيخصب
كرموا فلا غيت السماحة مخلف * يوما ولا برق اللطافة خاب
من كل ازهر لتعيم بوجهه * ما يرققه الشباب فيسكب
وقال يمدح الامير أبي يحيى بن ابراهيم

سمع الخيال على النوى بزار * والصبح يسبح عن جبين نهار
فرفعت من ناري اضيف طارق * يعشوا اليها من خيال طاري
وكب الدجى أحسن به من مركب * وطوى السرى أحسن به من ساري
وأناخ حيث دموع عيني منهل * بروى وحيث حشاي موقد نار
وسقى فأروى غلة من ناهل * أوري بجبانتيه زند أوار
يلوى الضلوع من الولوع نلطرة * من شيم برق أو شميم عرار
والليل قد نضع الندى سرباله * فأنهل دمع الطل فوق صدار
مترقب رسل الرياح عشية * بمساقط الانواء والانوار
ومجتر ذيل غمامة لبست به * وثني الجباب معاطف الانهار
انخفت ظلال الايك فيه ذوا بيا * وارتح ردفا مائل التبار
ولوى القضيبي هنالك جيدا اتلعا * قسـد قبلته مباسم النوار
باكرته والغيم قطعة عنبر * مشبوبة والبرق لفحة نار
والريح تطلع فيه أرداف الربا * لعبا وتلثم أوجه الازهار
ومنابر الاشجار قد قامت بها * خطباء مفصصة من الاطيار
في قسية جنبوا الحاجة ليلته * ولربما سفروا عن الاقار
نار القتلهم بهم دخانا وارعتى * زند الحفيظة منهم بشرار
شاهدت من هياتهم وهياتهم * اشراف أطواد وفيض بحار
من كل منتقب بوردة خجلته * صكرما ومشغل بثوب وقار

في عمة خلعت عليه للمة * وذوابة قرنت بها العذار
 ضافي رداء الجعد طماح العلا * طامى عباب الجود رجب الدار
 جزار أذيال المعالي والقنا * حامى الحقيقة والحشى والجار
 طرد القنيص بكل قيد طريفة * زجل الجناح موردا لاظفار
 ملتفة أعطافه بحبيرة * مكحولة أجفانه بنضار
 يرى به الامل القصي فينشئ * مخضوب درة الظفر والمنقار
 وبكل ناقى الشوط أشدق اخزر * طاوى الحشى حالى المقادضارى
 يفتزع عن مثل النصال وانما * يشى على مثل القنا الخطار
 مستقربا أثر القميص على الصفا * والليل مشتمل بشملة قار
 من كل مسود تلهب طرفه * ترميك خمسته بشعلة نار
 ومورس السربال يخلق نده * عن نجم رجم في سماء غبار
 يستن في سطر الطريق وقد عفا * قدما فتقرا أحرف الاثر
 عطوف الضمور سراته فكانه * والنقع يحجبه هلال سرار
 ولرب رواق هنالك أنبط * خلق المسامع أطلس الاطمار
 يجرى على حذر فيجمع بسطه * بهوى فينعطف انعطاف سوار
 تمتد جبل الشاوي يعمل راتعا * فيكاد يفلت ايدى الاقدار
 متردد يرى به جوف الردى * ككرة تهادتها أ كف قفار
 ولرب طيار خفيف قد جرى * بثلا بحار خلفه طيار
 من كل قاصرة الخطا مختالة * مشى الفتاة تجر فضل ازار
 مخضوبة المنقار تحسب أنها * كرت على ظمما بكاس عقار
 ولو استجارت منها ما يحصى أبى * يحى لاقنها أعسر جوار
 خدم القضاء مراده فكانما * ملكت يدها أعنة الاقدار
 وعنى الزمان لامره فكانما * أصغى الزمان به الى أمار
 وجلا الامارة في رفيق نضارة * جلت الديجى في حلة الانوار
 في حيث وشح لبة بقلادة * منها وحلى معصا بسوار
 جذلان يلامحه وبشاشه * أيدى العفاة وأعين الزوار
 أرج الندى بذكره فكانه * متنفس عن روضة معطار
 بطل حوى الفلك المحيط بسرجه * واستل صارمه يد المقدار
 يمينه يوم الوغى وشماله * ماشاء من نار ومن اعصار
 والشمس نجر والبياد عرائس * والجو كاس والسيوف عوارى
 والليل تعثر في شباشون القنا * قصدا وتسبح في الدم الموار
 والبيض تجنى في الطلى فكانما * تلوى عرا منها على أزار
 والنقع يكسر من سنى شمس الضحى * فكانه صدا على دينار

صحب الحسام النصر صعبة غبطة * في سكف صوال به سوار
لو أنه أوحى اليه بنظرة * يومالشار ولم ينم عمن نار
وقضى وقد ملكته هزة عزة * تحت الججاج وضحة استبشار
وقال رحمه الله تعالى

وأراكة ضربت نساء فوقنا * تندى وأقلاك الكؤوس تدار
حفت بدوحتها بحجرة جدول * نثرت عليه نجومها الازهار
وكانها وكان جدول مائها * حسناء شدة بخصرها زنار
رف الزجاج بها عروس مدامة * تجلى وتوار الغصون تدار
في روضة جنح الدجى ظل بها * وتجمست نورابها الانوار
غناء ينشر وشيمه البرازلى * فيها ويقتق مسكه العطار
قام الغناء بها وقد نضح الندى * وجه الثرى واستيقظ النوار
والماء في حلى الحياء مقلد * زرت عليه جيوبها الاشجار
وقال ملتزما ما لا يلزم

خذها اليك وانها النظيرة * طرأت اليك قليلة النظراء
جالت وحسبك بهجة من نفحة * عبق العروس وخجلة العذراء
من كل وارسة القميص كأنما * نشأت تعل بر يقة الصفراء
ينجمت يروق بها نجومها حسنها * بالايكة الخضراء من خضراء
وأنتك تسفر عن وجوه طلاقة * وتتوب من لطف عن الشعراء
يندى بها وجه الندى ولربما * بسطت هنالك أوجه السراء
قاسنضحت وجه الدجى مقطوعة * جالت جمال الغيرة الغراء

وقال أيضا

وصدر ناد نطمنا * له القوا في عقدا
في منزل قد سحبتنا * بظله العز بردا
تذ كويه الشهب جرا * ويعبق الليل ندا
وقد تأرج نور * غص يخالط وردا
ككما تنفس نغرا * عذب يقبل خندا

وقال من قصيدة يصف منترها

يارب وضاح الجبين كأنما * رسم العذار بصفحته كتاب
تغرى بطلعتيه العيون مهابة * وتبت تعشق عقله الالباب
خلعت عليه من الصباح غلالة * تندى ومن شفق السماء نقاب
فكرعت من ماء الصبا في منهل * قد شفق عنه من القميص سراپ
في حيث للريح الرخاء تنفس * أرج وللسماء الفسرات عباب
ولرب غص الجسم متبحوضه * سبجا كما شق السماء شهاب

واقداً تحت بشاطئيه يرفى * طرباً شباب راقى وشراب
وبكيت دجلته يضاحكني بها * مرحاً حبيب شاقى وحباب
تجلى من الدنيا عروس بيننا * حسناء ترشف والمدام رضاب
ثم ارتحلت وللنهار ذؤابة * شيباء تخضب والنهار خضاب
تلاوى معاطف الصباية والصبا * والليل دون الكاشحين حجاب

وقال

مرّ بنا وهو بدرتم * يسحب من ذيله صحابا
بقامة تثني قضيبا * وغرة تلتطى شهابا
يقرأ والليل مدلهتم * لنورا جلالة كتابا
ورب ليل سهرت فيه * أزجر من جنحه نكابا
حتى إذا الليل مال سكرًا * وشق سرباله وجابا
وحام من سدفة غراب * طالت به سنه فشابا
ازددت من لوعتي خبالا * فحث من غلتي شرابا
وما خطا قادمنا فاقى * حتى انثنى نا كصافا
وبين جفسي وبحر شوق * يعب في وجنتي عبابا
قد شب في وجهه شعاع * وشب عن قلبي التهابا
وروضة طلقة حياء * غناء مخضرة جنابا
ينجاب عن نورها كمام * يحط عن وجهه نقاطا
بات بهامبسم الاقاحي * يرشف من طلها رضابا
ومن خفوق البروق فيها * ألوية حمرت خضابا
كأنها أنعم وراد * تحصر قطرا الحيا حسابا

وله

رحلت عنكم ولي فؤاد * تنقض اضلاعه حنيننا
أجود فيكم بعلق دمع * كنت به قبلكم ضنيننا
يشور في وجنتي جيشا * وكان في جفنه كيننا
كأنني بعدكم شمال * قد فارقت منكم عيونا

وقال

فيا الشجا قلب من الصبر فارغ * وبالقذى طرف من الدمع ملان
وتنفس الى جوار الكنيسة صبة * وقلب الى أفق الجزيرة حنان
تعوضت من واهابا به ومن هوى * بهون ومن اخوان صدق بخوان
وما كل يضاء بروق بشحمة * وما كل مرعى ترتع به بسعدان
فيا ليت شعري هل لدهرى عطفة * فتجمع أوطارى على وأوطانى
ميادين أوطارى ولذة لذى * ومنشأ تيمامى وملعب غزلانى

كان لم يصلني فيه ظبي يقوم لي * الماء وصدا غاه براحي ور يحاني
فسقيا لو اديهم وان كنت انما * آيت لذكره كراه بغلة ظمآن
فكم يوم اهوقد أدربا بأفقه * نجوم كؤوس بين أقمارندمان
وللقضب والاطيار ملهى بجرة * فاشتت من رقص على رجع ألحان
وبالضرة الغراء غر علقته * فأحييت حيا فيه قضبان نعمان
رفيق الحواشي في محاسن وجهه * ومنطقه مسلي قلوب وآذان
اغار لظفيه على الورد كلما * بدا ولعطفه على اغصن البان
وهبني أجنى ورد خد بناظري * فن أين لي منه بتفاح لبنان
يعالني منه بموعد رشفة * خيال له يغري بمطل ولبان
حبيب عليه بلية من صوارم * علاها حباب من أسنة متران
ترأى لنا في مثل صورة يوسف * ترأى لنا في مثل ملك سليمان
طوى برده منها صحيفة فتنة * قرأنا له من وجهه سطر عنوان
محبتة ديني ومشواه كعبي * ورؤيته حبي وذكره قرآني
وقال

وليل تعاطينا المدام وبيننا * حديث كهاب التسيم على الورد
نعاوده والكاس يعبق نفعه * وأطيب منها مانعبد وما تبدي
ونقل افاح الثغرا وسوسن الطلي * ونرجسة الاجفان أووردة الخلد
الى أن سرت في جسمه الكاس والكري * ومالا بعطفه قال على عضدي
فأقبلت استهدي لما بين أضلعي * من الحتر ما بين الضلوع من البرد
وعاينته قد سل من وثني برده * فعماينت منه السيف سل من الغمد
لبان مجس واستقامة قامة * وهتزة أعطاف ورونق افرند
أغازل منه الغصن في مغرس النقا * وألثم وجه الشمس في مطلع السعد
فان لم يكنها أو تـكـنه فانه * أخوها كما قد الشراك من الجلد
تسافر كلنا راحتي بجسمه * فطورا الى خصر وطورا الى نهـد
فتتبط من كشحه كني تمامه * وتصد من نهديه أخرى الى نجد
وقال أيضا

ورداء ليل بات فيه معانقي * طيف ألم بظبية الوعاء
فجمعت بين رضاه وشرابه * وشربت من ريق ومن صهبا
ولمقت في ظلماء ليل وفرة * شققا هنالك لوجنة حراء
والليل مشط الذوائب كبرة * نعرف يدب على عصا الجوزاء
ثم انثنى والصبح يسحب فرعه * ويجتز من طرب فضول رداء
تندى بفيه الخوانة أجمع * قد غارلتها الشمس غب سماء
وتيس في أثوابه ريحانة * كرت على ظما بجداول ماء
نفاحة الانفاس الانها * حذر الندى خفاقة الافاء

فلويت معطفها اعتساقا حسينا * فيه بقطر الدمع من أنواء انتهى
 * (وكان المعتقد بن عباد وجه الله تعالى) * كثيرا ما يتأب وادي الطلح مع زمته وأولى
 أنسه ومسرته وهو وادي شرق اشيلية ملتف الاشجار كثير ترنم الاطيار وفيه يقول
 نور الدين بن سعيد

سائل بوادي الطلح ربح الصبا * هل سخرت لي من زمان الصبا
 كانت رسولا فيه مايتنا * لن نامن الرسل ولن نكتبنا
 يا قاتل الله اناسا اذا * ما استؤمنوا خافوا فاعجبا
 هلا دعوا أنا وثقتا بهم * وما اتخذنا عنهم مذهبنا
 يا قاتل الله الذي لم يتب * من غدرهم من بعد ما جرتا
 واليم لا يعرف ما طعمه * الا الذي وافي لأن يشربا
 دعني من ذكر الوشاة الالى * لما يزل فكري بهم ملهبا
 واذا كر بوادي الطلح عهدنا * لله ما أحلى وما أطيبا
 بجانب العطف وقد مات الاغصان والزهر يث الصبا
 والطير ما زت بين ألسنها * وليس الا محجبا مطربا
 وخافي من لا أسميه من * شع أخاف الدهر أن يسلبا
 قد أترع الكاس وحياتها * وقلت أهلا بالتي مرحبا
 أهلا وسهلا بالذي شتته * يا بدر تم مهديا كوكبا
 ليكني آليت أسقى بها * أو تودعها تغرك الاشبا
 فنج لي في الكاس من تغره * ما حبيب الشرب وما طيبا
 وقال هالتي نقلاولا * تسم الاعسر في الاطيبا
 واقطف بجدي الورد والاس والسننبرين لا تحفل بزهر الربا
 أسعفته غصنا غدا مئرا * ومن جناه ميسه قريبا
 قد كنت ذانهي وذا مرة * حتى تبدى فخلت الحبا
 ولم آمن عرضي في حبه * ولم أطع فيه الذي أنبا
 حتى اذا ما قال لي حاسد * ترجوه والكوكب أن يغربا
 أرسلت من شعري محراله * يسر المرغب والمطلبا
 وقال عطفه بأني سأحتال فما اجتنب المكنا
 فزاد في شوقي له وعده * ولم أزل معتقدا مرقبا
 أمت طرفي ثم أثنيه من * خوف أني التغيص أن يرقبا
 أصدق الوعد وطورا أرى * تكذبه والحتر لن يكذبا
 اتى ومن مخره بعدما * أبأس بظء كاد أن يغضبا
 قبلت في الترب ولم أستطع * من حصر القياسوى مرحبا
 هنأت ربي اذ غدا هالة * وقلت يا من لم يضع أشعبا

يا الله مل معتقنا لاغما * فقال كالغصن ثنته الصبا
فقال ما ترغب قلت اتشد * أدركت اذ كلمتني المرغبا
فقال لا مرغب عن ذكر ما * ترغبه قلت اذن مر بها
وكان ما كان فوالله ما * ذكرته دهرى أو أغلبا

وستأتى هذه القصيدة بكالها في جملة من نظم ابن سعيد المذكور * وقال يتشوق الى اشيئيلة
وهي حص الاندلس

أن الخليج وغنت الوراق * هل برحا اذ هاجت البرحاء
أنا منكأ أولى بحلية عاشق * أفنى وما نمت بي الصعداء
أخشى الوشاة فما أقوم بلفظة * والكم عند العاشقين عناء
لولا تشوق أرض حص ماجرى * دمعي ولا شمت بي الأعداء
لم أستطع كتماله فـهـكـأـنـى * ما كان لي كسم ولا اخفاء
والبدر همها رام كتمان سرى * فيه يتم على سراه ضياء
بلدمتي يخطره ذكره فـما * قلبي وخان تصبر وعزاء
من بعده ما الصبح يشرق نوره * عندي ولا تبدل الظلماء
كم لي به من ذى وفاء لم يخـن * عهدى ويقر بالوداد وفاء
فقرأه اذ ما مر ذكرى سائلا * عين حالي ان قلت الانبياء
يمسى ويصبح في تذكر مـدة * يرضى بها الاصباح والامساء
مع كل مبدول الوصال منع * من غيرنا تسمو به الخيلاء
كالظبي كالشمس المنيرة كالنقا * كالغصن يثنى معطفه رحاء
يسمى براح كالشهاب براحة * كالبدور والوجه المنير ذكاء
مالان تحت الوصل حتى طال منه * الهجر وانصت به البلواء
خير المحبة ماتأت عن قلبي * تدري يبؤس الفاقة النعماء
ما زلت أرقى بالقريض جنونه * حتى استكان وكان منه اباء
فظفرت منه بمدة لو أنها * دامت لدامت لي بها السراء
صفوتك تدربا لتترك ليته * ما زال ليكن لا يرد قضاء
ان الفراق هو المنية انما * أهل النوى ما نوا وهم أحياء
لولا تذـكـر لذة طابت لنا * بذرى الجزيرة حيث طاب هواء
وجرى التسيم على الخليج معطرا * وتبددت في الدوحة الانداء
ما كابدت نفسي أليم تفكر * ألوى به عن جفني الاغضاء
بانهر حص لاعدتك مسرة * ماء يسيل لديك أم صهباء
كل النفوس تهش فيك كأنما * جمعت عليك شحاتها الإهواء
ودى اليك مع الزمان مجدد * ما ان يحول تذـكـر وعناء
ولو أنني لم أحى ذكرا للذى * أوليته ما كان في حياء
ما كنت أطمع في الحياة لو أنني * أيقنت أن لا يسـتـرد لقاء

غيرى اذا ما بان حان وانما * أبقى حياتى حين بان رجاء
وسمأتى ان شاء الله تعالى لهذا الخط وغيره من يد أئمة الكتاب بحسب ما اقتضته
المناسبة والله تعالى المرجو فى حسن المتأب وهو سبحانه لا اله الا هو الموفق للصواب

* (الباب الخامس) *

فى التعريف ببعض من رحل من الاندلسيين الى بلاد المشرق الزاكية العرار والبشام
ومدح جماعة من أولئك الاعلام ذوى العقول الراجحة والاحلام لشامة وجنة الارض
دمشق الشام وما اقتضته المناسبة من كلام أعيانها وأرباب بيانها ذوى
السودد والاحتشام ومخاطباتهم للفقير المواقف حين حلها سنة ألف وسبعة وثلاثين
للهجرة وشاهد برق فضلها المين وشام

* (اعلم جعلنى الله تعالى واياك) عن له للمذهب الحق احتمال أن حصر أهل الارتمال
لا يمكن بوجه ولا بحال ولا يعلم ذلك على الاحاطة الاعلام الغيوب الشديد المحال
ولو أطلنا عنان الاقلام فيمن عرفناه فقط من هؤلاء العلماء الاعلام لطلال الكتاب وكثر
الكلام ولكنا نذكر منهم لمعالي وجه التوسط من غير اطناب داع الى الملل واختصار
مؤد للام فتنقول مستتمين من واهب العقول * (منهم عالم الاندلس عبد الملك
ابن حبيب السلي - وقد عرّف به القاضي عياض فى المدارك وغير واحد ورأيت فى بعض
التواريخ أن نواله بلغ ألفا ومن أشهرها كتاب الواضحة فى مذهب مالك كتاب
كبير مفيد ولا بن حبيب مذهب فى كتب المالكية مسطور وهو مشهور عند علماء
المشرق وقد نقل عنه الحافظ ابن حجر وصاحب المواهب وغيرهما ومن نظمه يخاطب
سلطان الاندلس

لاتنس لا نفسك الرحمن عاشورا * واذكره لازلت فى التاريخ مذكورا
قال النبي - صلاة الله عليه * قولوا وجدنا عليه الحق والنورا
فيمن يوسع فى اتفاق موسمه * أن لا يزال بذلك العمام ميسورا
وهذا البيت الثالث نسبت لفظه فكتبته بالمعنى والوزن اذ طال عهدى به والله تعالى أعلم *
وقال الفتح فى المطمح الفقيه العالم أبو مروان عبد الملك بن حبيب السلي - أى شرف لاهل
الاندلس وأى مفخر وأى مجر بالعلوم يزخر خلدت منه الاندلس فقيها علما أعاد مجاهل
أهلها معالما وأقام فيها للعلوم أسواقا نافقة ونشر منها ألوية خافقه وجلال عن الالباب صدا
الكسل وشجتها شجذ الصوارم والاسل وتصرف فى فنون العلوم وعرف كل معلوم
وسمع بالاندلس وتفقه حتى صار أعلم من به واقفه ولقى أنجاب مالك وسلك فى مناظرهم
أوعر المسالك حتى أجمع عليه الاتفاق ووقع على تفضيله الاصفاق ويقال انه لقي
مالك آخر عمره وروى عنه عن سعيد بن المسيب ان سليمان بن داود صلى الله عليه ما وسلم كان
يركب الى بيت المقدس فيتغدى به ثم يعود فيعشى باصطخر وله فى الفقه كتاب الواضحة
ومن أحاديثه غير راتب قد تحلت به الزمان فخور راتب * (وقال محمد بن ابيابة) فقيه
الاندلس عيسى بن دينار وعالمها عبد الملك بن حبيب وراويها يحيى بن يحيى وكان عبدا

الملك قد جمع الى علم الفقه والحديث علم اللغة والاعراب وتصرف في قنون الآداب
وكان له شعر يتكلم به متجرا وسرى ينبوعه بذلك متفجرا وتوفي بالاندلس في رمضان
سنة ٢٣٨ وهو ابن ثلاث وخمسين سنة بعد ما جال في الارض وقطع طولها والعرض
وجال في أكنافها واتتهى الى أطرافها ومن شعره قوله

قد طاح أمرى والذي أبتنى * هين على الرحمن في قدرته
ألف من الجمر وأقلل بها * لعالم أربى على بغيته
زرباب قد أعطىها جملة * وحرقت أشرف من حرته

وكتب الى الزجاني رسالة وصلها بهذه الايات

كيف يطيق الشعر من أصبحت * حالته اليوم كحال الغرق
والشعر لا يسلس الاعلى * فتراغ قلب واتساع الخلق
فاقنع بهذا القول من شاعر * يرضى من الحظ بأدنى العنق
فضلك قد بان عليه كما * بان لاهل الارض ضوء الشفق
أما ذمام الودني لكم * فهو من المحتوم فيما سبق

ولم يكن له علم بالحديث يعرف به صحبه من معتله وينرق مستقيمه من محتله وكان عرضه
الاجازه وأكثر رواياته غير مستحازه قال ابن وضاح قال إبراهيم بن المنذر أتى صاحبكم
الاندلس يعني عبد الملك هذا بغرارة مملوءة فقال لي هذا علمك قلت له نعم ما قرأ على منه
برقا ولا قرأته عليه وحكى انه قال في دخوله المشرق وحضر مجلس بعض الأكابر فازدراء
من رآه

لا تنظرن الى جسمي وقلته * وانظر لصدرى وما يحوى من السنن
فرب ذى منظر من غير معرفة * ورب من تزدريه العين ذو فطن
ورب لؤلؤة في عين مزبلة * لم يلبس قبال لها الا الى زمن

اتتهى ما في المطمح الصغير * قلت أما ما ذكره من عدم معرفته بالحديث فهو غير مسلم وقد
نقل عنه غير واحد من جهابذة المحدثين نعم لاهل الاندلس غرائب لم يعرفها كثير
من المحدثين حتى ان في شفاء عياض أحاديث لم يعرف أهل المشرق النقاد يخرجها مع
اعترافهم بجلالة حفاظ الاندلس الذين نقلوها كبنى بن مخلد وابن حبيب وغيرهما
على ما هو معلوم * وأما ما ذكره عنه بالاجازة بما في الغرارة فذلك على مذهب من يرى
الاجازه وهو مذهب مستفيض واعتراض من اعترض عليه انما هو بناء على القول بمنع
الاجازه فاعلم ذلك والله سبحانه الموفق * (ومن الراجلين) * من الاندلس الفقيه المحدث
يحيى بن يحيى الليثي راوى الموطا عن مالك رضي الله تعالى عنه ويقال ان أصله من برابر
معمودة وحكى انه لما ارتحل الى مالك ولازمه فيمنما هو عنده في مجلسه مع جماعة من
أصحابه اذ قال قائل حضر الفيل نخرج أصحاب مالك كلهم ولم يخرج يحيى فقال له مالك
مالك لم تخرج وليس الفيل في بلادك فقال انما جئت من الاندلس لا نظرا اليك وأتعلما من
هديك وعلمك ولم أكن لا نظرا الى الفيل فانجذب به مالك وقال هذا عاقل الاندلس

قوله يشطون في نسخة بسطون

هـ

ولذلك قيل ان يحيى هذا عاقل الاندلس وعيسى بن دينار قعيمها وعبد الملك بن حبيب عالمها ويقال ان يحيى راوينا ومحدثها وتوفي يحيى بن يحيى سنة ٢٣٤ في رجب وقبره يستقى به بقرطبة وقيل ان وفاته في السنة التي قبلها والله تعالى أعلم وروايته الموطأ مشهورة حتى ان أهل المشرق الآن يسندون الموطأ من روايته كثير مع تعدد رواة الموطأ والله أعلم وكان يحيى بن يحيى روى الموطأ بقرطبة عن زياد بن عبد الرحمن اللخمي المعروف بشطون وسمع من يحيى بن مضر ابي نسي الاندلسي ثم ارتحل الى المشرق وهو ابن ثمان وعشرين سنة فسمع من مالك بن أنس الموطأ غير أبواب في كتاب الاعتكاف شك في سماعها فأثبت روايته فيها عن زياد وذلك مما يدل على ورعه وسمع بمصر من الليث بن سعد وبمكة من سفيان بن عيينة وتفقه بالمدينين والمصريين كعبد الله بن وهب وعبد الرحمن بن القاسم العتقي وسمع منهما وهما من أكابر أصحاب مالك بعد ارتفاعه بمالك وملازمته له وانتهت اليه الرئاسة بالاندلس وبه اشتهر مذهب مالك في تلك الديار وتفقه به جماعة لا يحصون عددا وروى عنه خلق كثير وأشهر رواة الموطأ وأحسنهم رواية يحيى المذکور وكان مع أماته ودينه معظما عند الامراء يكنى عندهم عفيفا عن الولايات متزها بجلت رتبته عن القضاء وكان أعلى من القضاء قدرا عند ولاية الامر بالاندلس لزهده في القضاء وامتناعه قال الحافظ ابن حزم مذهبنا انتشر في بدء أمرهما بالرياسة والسلطان مذهب أبي حنيفة فانه لما ولي القضاء أبو يوسف كانت القضاء من قبله من أقصى المشرق الى أقصى عمل افريقية فكان لا يولي الا أصحابه والمتقنين لمذهبه ومذهب مالك عندنا بالاندلس فان يحيى بن يحيى كان مكينا عند السلطان مقبول القول في القضاء وكان لا يلبى قاض في أقطار الاندلس الا بمشورته واختباره ولا يشير الا بأصحابه ومن كان على مذهبه والناس سرع الى الدنيا فاقبلوا على ما يرجون بلوغ أغراضهم به على ان يحيى لم يل قضاء قط ولا أجاب اليه وكان ذلك زائدا في جلالة عندهم وداعيا الى قبول رأيه لديهم انتهى * وذكرنا في غير هذا الموضع قولا آخر في سبب انتشار مذهب مالك بالاندلس والله سبحانه أعلم بحقيقة الامر وقال ابن أبي الفياض جمع الامر عبد الرحمن بن الحكم الفقيه في قصره وكان وقع على جارية يحبها في رمضان ثم ندم أشد ندم فسألهم عن التوبة والكفارة فقال يحيى تكفري بوم شهرين متتابعين فلما بادري يحيى بهذه الفتيا سكت الفقهاء حتى خرجوا فقال بعضهم له لم تفت بمذهب مالك بالتخير فقال لو قمنا له هذا الباب سهل عليه أن يطاء كل يوم ويعتق رقبة ولكن جلته على أصعب الامور لئلا يعود وقال بعض المالكية ان يحيى ورى بهذا ورأى انه لم يملك شيئا اذ هو مستغرق الذمة فلا عتقه ولا اطعام فلم يبق الا الصيام انتهى ولما انفصل يحيى عن مالك ووصل الى مصر رأى ابن القاسم يدون سماعه من مالك فنشط للرجوع الى مالك لسمع منه المسائل التي رأى ابن القاسم يدونها فرحل رحله ثانية فالتى مالكا على لافأقام عنده الى أن مات وحضر جنازته فعاد الى ابن القاسم وسمع منه سماعه من مالك هكذا ذكره ابن الفريسي في تاريخه وهو عمير ذو الحكاية المشهورة الآن بالمغرب أن يحيى سأل مالكا عن زكاة التين

فقال لازكاة فيها فقال انها قد خرجت عندنا ونذر ان وصل الى الاندلس أن يرسل لمالك سفينة
مملوءة تينا فلما وصل أرسلها فاذا مالكا قد مات انتهى * قال ابن القرضي ولما انصرف يحيى
الى الاندلس كان امام وقته وواحد بلاده وكان ممن اتهم بالهيج في وقعة الرض المشهورة
فقر الى طليطلة ثم استأمن فكتب له الامير الحكم امانا وانصرف الى قرطبة وقيل لم يعط
أحد من أهل الاندلس منذ دخلها الاسلام ما أعطى يحيى من المحظوة وعظم القدر وجلالة
الذكر * وقال ابن بشكوال ان يحيى بن يحيى كان حجاب الدعوة وانه أخذ في سمته وهيبته
ونفسه ومقعدته هيات مالكا ويحكى عنه أنه قال أخذت بركاب الليث بن سعد فأراد غلامه
أن يمنعني فقال دعه ثم قال لي الليث خدمك العلم فلم تزل بي الايام حتى رأيت مالكا انتهى
* (ومنهم) القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى قال في المطمح من بني يحيى بن يحيى الليثي
وهذه ثنية علم وعقل وصحة ضبط ونقل كان علم الاندلس وعالمها المندس ولي القضاء
بقرطبة بعد رحله رحلها الى المشرق وجع فيها من الروايات والسماع كل مفترق وجمال
في آفاق ذلك الافق لا يستقر في بلد ولا يستوطن في جلد ثم كثر الى الاندلس فسمت
رتبته وتحت بالاماني لبته وتصرف في ولايات أجد فيها منابه واتصل بسببها بالخليفة
اسبابه وولاه القضاء بقرطبة فتولا بسياسة مجودة ورياسة في الدين مبرقة القوى
مجهودة والتزم فيها الصرامة في تنفيذ الحقوق والحزامة في إقامة الحدود والكشف
عن البيان في السر والصدع بالحق في الجهر لم يستعمله مخادع ولم يكده مخاتل ولم يهب
ذامرة ولاداهن ذامرته ولا أغنى لاحد من أرباب السلطان وأهله حتى تحاموا
حدة جانبه فلم يجسر أحد منهم عليه وكان له نصيب وافر من الادب وحظ من البلاغة
اذا نظم واذا كتب ومن ملح شعره ما قاله عند أدبته من غربته

== أن لم يكن بين ولم تلك فرقة * اذا كان من بعد الفراق تلاق
== أن لم توترق بالعراقين مقلتي * ولم تترك الشوق ما ما في
رلم أزر الأعراب في جنب أرضهم * بدأت اللوى من رامة وبراقي
ولم أصطح بالبيد من قهوة الندى * وكاس سقاها في الأناهر ساق

وله أيضا

== ماذا أبدا من ورق مغردة * على قضيب بدأت الجذع ميا من
رقدن شجوا شجى قلب الخلى فهل * في عبرة ذرفت في الحب من ياس
ذكرته الرمن الماضي بقرطبة * بين الاحبة في أمن وائناس
هم اسبابه لولا همة شرفت * فصيرت قلبه كالجندل القاسي

وله أخبار تدل على رقة العراق والتغذي بماء تلك الآفاق * فتهالنه خرج الى حضور
جمازة بمقابر قرين ورجل من بني جابر كان يواخيه له منزل فعزم عليه في الميل اليه وعلى
أخيه فنزل عليه فاحضر لهما طعاما وامر جارية له بالغناء فغنت

هايب بطيب لثامك الاقداح * وزهت بحمرة خذلك التفاح
واذا الريح تنسمت أرواحه * طابت بطيب نسيمك الارواح

واذا الخنداس ألست ظمأؤها * فضياء وجهك في الدجى مصباح
فكتبها القاضي في ظهر يده وخرج من عنده قال يونس بن عبد الله فلقد رأيت بكبر الصلاة
على الجنائز والايات مكتوبة على ظهر كفه وكان رحمه الله تعالى في غاية اللطف حكى
بعض اصحابه قال ركبنا معه في موكب حافل من وجوه الناس اذ عرض لنا في متأدب
قد خرج من بعض الازقة سكران يتمايل فلما رأى القاضي هابه وأراد الانصراف فخاضه
رجلاه فاستند الى الحائط وأطرق فلما قرب القاضي رفع رأسه وأنشأ يقول

ألا أيها القاضي الذي عمّ عدله * فأضحى به بين الانام فريدا
قمرأت كتاب الله تسعين مرة * فلم أرفيه للشراب حدودا
فان شئت جلد الى فدوتك منك * صبوراً على ريب الزمان جلدا
وان شئت أن تعفو تكن لكمنة * تروح بها في العالمين حمدا
وان أنت تختار الحديد فان لي * لساناً على هجو الزمان حديدا

فلما سمع شعره وميزأديه أعرض عنه وترك الانكار عليه ومضى لشأنه انتهى ملخصاً من
المطمح * ورأيت بخطي في بعض مسوداتي ماصورته محمد بن عبد الله بن يحيى بن
يحيى الليثي قاضي الجماعة بقرطبة سمع عم أبيه عبد الله بن يحيى ومحمد بن عمر بن لبابة
وأحمد بن خالد ورحل من قرطبة سنة ٣١٣ ودخل مصر ورجع وسمع بحكمة من ابن المنذر
والعقبلي وابن الاعرابي ومعاني الشعر شاعر مطبوعاً وشاورة القاضي أحمد بن بقي
واستقضاء الناصر عبد الرحمن بن محمد على البيرة وبجاجة ثم ولاء قضاء الجماعة بقرطبة بعد
أبي طالب سنة ٣٢٤ وجعل له مع القضاء الصلاة وكان كبيراً ما يخرج الى الثغور
ويتصرف في اصلاح ما وهى منها فاعتزل في آخر خراجته ومات في بعض الحصون المجاورة
لطلطلة سنة ٣٢٧ ومولده سنة ٢٨٤ انتهى وأظن اني نقلته من كتاب ابن الابار
الحافظ والله أعلم * (ومنهم) عتيق بن أحمد بن عبد الباقي الاندلسي "الدمشقي" وفاة
يكنى أبا بكر بن زيل دمشق كان مشهوراً بالصلاح وانتفع به جماعة من الفقهاء وولد
على ما قبل سنة ٥١٦ وتوفي سنة ٦١٤ بدمشق ودفن بمقابر الصوفية فيكون عمره
على هذا مائة سنة رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته وبركات أمثاله * (ومنهم) أبو ابراهيم
اسماعيل بن محمد بن يوسف الانصاري "الابذي" الملقب في البلاد المشرفية
يرهبان الدين وأبذة بضم الهمزة وتشديد الباء الموحدة وقبحها وبعدها ذال بحجة بلد
بالاندلس سمع المذكور بحكمة وغيرها من البلاد وبدمشق من الحافظ ابن طبرزد وأتم بالصخرة
وكان فاضلاً صالحاً شاعراً توفي سنة ٦٥٣ وأخبر عن بعض الاولياء المجاورين بيت
المقدس انه سمع هاتفا يقول لما قرب القدس

ان يكن بالشام قل نصبري * ثم خربت واستمرها لوكي
فلقد أثبت الغداة خرابي * سمر العار في حياة الملوكي

هكذا رأيت بخط الصفدي في حياة ويحتمل أن يكون في جباه جمع جبهة والله أعلم
* (ومنهم) القاضي منذر بن سعيد البلوطي قاضي الجماعة بقرطبة وقد قدمنا جملته من

قوله سنة ٣٢٧ في نسخة
٣٧٣ وقوله سنة ٣٨٤
في نسخة ٢٧٤ هـ

أخباره في الباب الثالث والرابع من هذا القسم وكان لا يخاف في الله لومة لائم ومن مشهور ما جرى له في ذلك قصته في أيتام أخى نجدة وحدث بها جماعة من أهل العلم والرواية وهي ان الخليفة الناصر احتاج الى شراء دار من قرطبة لحظية من نساؤه تكرم عليه فوقع استحسانه على دار كانت لاولاد زكريا أخى نجدة وكانت بقرب النشارين في الرض الشرقي منفصلة عن دوره ويتصل بها حمام له غلة واسعة وكان أولاد زكريا أخى نجدة أيتاما في حجر القاضي فأرسل الخليفة من قومه اليه بعد ما طابت نفسه وأرسل ناسا أمرهم بعبادة وصي الأيتام في بيعها عليهم فذكر أنه لا يجوز إلا بأمر القاضي اذ لم يجز بيع الأصل الا عن رأيه ومشورته فأرسل الخليفة الى القاضي منذر في بيع هذه الدار فقال لرسوله البيع على الأيتام لا يصح الا لوجوه منها الحاجة ومنها الوهي الشديد ومنها الغبطة فأما الحاجة فلا حاجة بهذه الأيتام الى البيع وأما الوهي فليس فيها وأما الغبطة فهي اذا مكناها فان أعطاهم أمير المؤمنين فيها ما تستبين به الغبطة أمرت وصيهم بالبيع والا فلا فنقل جوابه الى الخليفة فأظهر الزهد في شراء الدار طمعا أن يتوخي رغبته فيها وخاف القاضي أن تنبث منه عزيمة تلحق الأيتام ثورتها فأمر وصي الأيتام بنقض الدار وبيع أنقاضها ففعل ذلك وباع الانقاض فكانت لها قيمة أكثر مما قومت به للسلطان فاقبل الخبر به فعز عليه خراجه وأمر بتوقيف الوصي على ما أحدثه فيها فأحال الوصي على القاضي انه أمر بذلك فأرسل عند ذلك للقاضي منذر وقال له أنت أمرت بنقض دار أخى نجدة فقال له نعم فقال وما دعاك الى ذلك قال أخذت فيها بقول الله تعالى أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا مقوم وللم مقوموها لا يكذبا وبذلك تعلق وهمك فقد نض في أنقاضها أكثر من ذلك وبقيت القاعة والحمام فضل وتطار الله تعالى للأيتام فصبر الخليفة عبد الرحمن على ما أتى من ذلك وقال نحن أولى من انقاد الى الحق فجزا الله تعالى عنا وعن أماتك خيرا قالوا وكان على مناته وجزاته حسن الخلق كثير الدعاية فرجاساء ظن من لا يعرفه حتى اذا دام أن يصيب من دينه شعرة ثار له ثورة الاسد الضاري فن ذلك ما حدث به سعيد ابنه قال قعد ناليلة من ليالى شهر رمضان الأعظم مع أبنائنا لا فطار بداره البرانية فاذا سائل يقول أطعموني من عشائكم أطعمكم الله تعالى من ثمار الجنة هذه الليلة وبكم من ذلك فقال القاضي ان استحيب هذا السائل فيكم فليس يصح منا احد وبكى عنه قاسم بن أحمد الجهني انه ركب يوما لحيازة أرض محبسة في ركب من وجوه الفقهاء وأهل العدالة فيهم أبو ابراهيم الاوأي وتطراؤه قال فسرنا نفقهوه وهو أماننا وأمامه أماناؤه يحملون خرائطه وذووه عليهم السكينة والوقار وكانت القضاة حينئذ لا تراكب ولا تمشي فعرض له في بعض الطريق كلاب مع مستوحاة والكلاب تلعق هنها وتدور حولها فوقف وصرف وجهه اليها وقال ترون يا أصحابنا ما أبر الكلاب بالهن الذي تلعقه وتكرمه ونحن لانفعل ذلك ثم لوى عنان دابته وقد أضحكنا وبقيتامة مجببين من حزنه وحضر عند الحكم المستنصر بالله يوم ما في خلدة له في بستان الزهراء على بركة مياه

طائفة وسط روضة نافذة في يوم شديد الوهج وذلك اثر منصرفه من صلاة الجمعة فشكا الى الخليفة من وهج الحر الجهد وبث منه ما تجاوز الحد فأمره بنخاع ثيابه والتخفيف عن جسمه ففعل ولم يطف ذلك ما به فقال له الصواب أن تنعمس في وسط الصهر يج انعماسة يبرد بها جسمك وليس مع الخليفة الا الحاجب جعفر الخادم الصقلي أمين الخليفة الحكم الرابع لهم فكانه استحيما من ذلك وانقبض عنه وقارا وأقصر عنه اقصارا فأمر الخليفة حاجبه جعفرا بسبقه الى النزول في الصهر يج ليسهل عليه الامر فيه فبادر جعفر لذلك وألقى نفسه في الصهر يج وكان يحسن السباحة فجعل يجول يمينا وشمالا فلم يسع القاضي الا انفاذاً أمر الخليفة فقام وألقى بنفسه خلف جعفر ولاذ بالعودة في درج الصهر يج وتدرج فيه بعض تدرج ولم ينبسط في السباحة وجعفر يمر مصعدا ومصوبا قدسه الحكم على القاضي وحله على مساحته في العوم وهو يمجزه في اخلاذه الى القعود ويعايشه بالقاء الماء عليه والاشارة بال جذب اليه وهو لا يتبعث معه ولا يفارق موضعه الى ان كلفه الحكم وقال له مالك لا تساعد الحاجب في فعله وتتقبل صنعه فن أجلك نزل وبسبكك تبذل فقال له يا سيدي يا أمير المؤمنين الحاجب سلمه الله تعالى لا هو جل معه وانما هذا الهوجل الذي معي يعقلني ويعني من أن أجول معه بحاله يعني ان الحاجب خصي لا هو جل معه والهوجل الذكر فاستفرغ الحكم ضحكاً من نادرته ولطيف تعريضه لجعفر ونجّل جعفر من قوله وسببه سب الاشراف وخرجا من الماء وأمر له ما الخليفة بخلع ووصاهما بصلات سنية تشاكل كل واحد منهما * وحكى ان الخليفة الحكم قال له يوما لقد بلغني أنك لا تجتهد للآيتام وأنتك تقدم لهم أوصياء سوء يا كاون أموالهم قال نعم وان أمكنهم نيك أمتهم لم يعفوا عنهم قال وكيف تقدم مثل هؤلاء قال لست أجد غيرهم ولكن أحلني على الأولوى وأبي ابراهيم ومثل هؤلاء فان أبوا أجبرتهم بالسوط والسجن ثم لا تسمع الا خيرا وقال القاضي منذراً تيت وأبو جعفر بن النحاس في مجلسه بمصر عيلى في اخبار الشعراء شعريس المجنون حيث يقول

خليلي هل بالشام عين خزيئة * تبكي على شجدة اعلى أعينها

قد أسلمها الباكون الاجمامة * مطوقة باتت وبات قرينها

تجأوبها أخرى على خيزرانة * يكاد ينيها من الارض لينها

فقلت له يا أبا جعفر ماذا أعزلك الله تعالى باتا يصنعان فقال لي وكيف تقول أنت يا أندلسي فقلت له بانت وبان قرينها فسكت وما زال يستثقلني بعد ذلك حتى منعتني كتاب العين وكنت ذهبت الى الانتساخ من نسخته فلما قطع بي قيل لي أين أنت من أبي العباس بن ولاد فقصدته فلقيت رجلا كامل العلم حسن المروءة فسأله الكتاب فأخرجه الى ثم ندّم أبو جعفر لما بلغه اباحة أبي العباس الكتاب الى وعاد الى ما كنت أعرفه منه * قال وكان أبو جعفر لثيم النفس شديد التقدير على نفسه وربما وهبت له العمامة فيقطعها ثلاث عمائم وكان يأبى شراء حوايجه بنفسه ويتحامل فيها على أهل معرفته انتهى وأبو جعفر هذا يقال ان نواليفه تزيد على خمسين منها شرح عشرة دواوين للعرب واعراب القرآن

ومعاني القرآن وشرح أبيات الكتاب وغير ذلك * (رجع) * وقال منذر بن سعيد
كتبت الى أبي علي البغدادى أستعير منه كتابا من الغريب وقلت
بحق ريم مذهب * وصدغه المصنف
ابعث الى بجز * من الغريب المصنف

فقضى حاجتى وأجاب بقوله

وحق در تألف * بغيرك أى تألف
لا بعث بما قد * حوى الغريب المصنف
ولو بعثت بنفسى * اليك ما كنت أسرف

فرحم الله تعالى تلك الارواح الطاهرة * (وذكر) ابن اصبغ الهمداني عن منذر أنه خطب
يوما وأراد التواضع فكان من فصول خطبته أن قال حتى متى والى متى أعظ ولا أنعظ
وأزجر ولا أنزجر أدل الطريق الى المستدلين وأبقى مقبلا مع الحائرين كلالا هذا
لهو البلاء المبين ان هي الاقتتلت تضل بهم من تشاء وتهدى من تشاء الآية اللهم فرغني
لما خلقتني له ولا تشغلني بماتة كفالت الى به ولا تحرمني وأنا أسألك ولا تعذبني وأنا
أستغفرك يا أرحم الراحمين * وسمع منذر بالاندلس من عبيد الله بن يحيى بن يحيى ونظرائه
ثم رحل حاجا سنة ثمان وثلثمائة فاجتمع بعده أعلام وظهرت فضائله بالمشرق وعن سمع عليه
منذر بالمشرق ثم بمكة محمد بن المنذر النيسابوري سمع عليه كتابه المؤلف في اختلاف العلماء
المسمى بالاشراف * وروى بمصر كتاب العين للخليل عن أبي العباس بن ولاد * وروى عن
أبي جعفر بن النحاس * وكان منذر متفنا في ضروب العلوم وغلب عليه التفقه بذهب
أبي سليمان داود بن علي الاصبهاني المعروف بالظاهري فكان منذر يؤثر مذهبه ويجمع
كتبه ويحج لقاتله ويأخذ به في نفسه وذويه فاذا جلس للحكومة قضى بذهب الامام
مالك وأصحابه وهو الذي عليه العمل بالاندلس وحل السلطان أهل مملكته عليه وكان
خطيبا بليغا عالما بالجدل حاذقا فيه شديدا لعارضه حاضر الجواب عتيده ثابت الحجة
ذاشارة عجيبة ومنظر جميل وخلق حميد وتواضع لاهل الطلب وانحطاط اليهم واقبال
عليهم وكان مع وقاره التام فيه دعاية مستحقة وله نوادر مستحسنة وكانت ولايته
القضاء بقرطبة للناصر في شهر ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وثلثمائة ولبث قاضيا من
ذلك التاريخ للخليفة الناصر الى وفاته ثم للخليفة الحكم المستنصر الى أن توفي رحمه الله
تعالى عقب ذى القعدة من سنة خمس وخمسين وثلثمائة فكانت ولايته لقضاء الجماعة المعبر
عنه في المشرق بقضاء القضاة ستة عشر عاما كاملة لم يحفظ عليه فيها جور في قضية ولا قسم
بغير سوية ولا ميل لهوى ولا اصغاء الى عناية رحمه الله تعالى ورضى عنه ودفن بمقبرة
قريش بالر بض الغربي من قرطبة أعادها الله تعالى جوفى مسجد السدة الكبرى بقرب
داره * وله رحمه الله تعالى تواليف مفيدة منها كتاب أحكام القرآن والناسخ والمنسوخ
وغير ذلك في الفقه والكلام في الرد على أهل المذاهب تغمده الله تعالى برضوانه وكتب
بعض الادباء الى القاضي منذر بقوله

مسئلة جئتكم مستفتيا * عنها وأنت العالم المستشار
علام تحمرو وجوه الطبا * وأوجه العشاق فيها اصفرار

فأجاب منذر بقوله

احمر وجه الطبي اذ لحظه * سيف على العشاق فيه احورار
واصفر وجه الصب لما نأى * والشمس تبقى للمغيب اصفرار

* (ومن رحل الى المشرق من الاندلس فشهد له بالسبق كل أهل المغرب والشرق)
الامام العلامة أبو القاسم الشاطبي صاحب حرز الاماني والعقيلة وغيرهما * وهو
أبو القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الرعي الشاطبي المقرئ الفقيه الحافظ الضرير
أحد العلماء المشهورين والفضلاء المشكورين خطب يبلده شاطبة مع صغر سنه
ودخل الديار المصرية سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وحضر عند الحافظ السلفي وابن
بري وغيرهما وولد بشاطبة آخر سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة وتوفي بالقاهرة يوم الاحد
الثامن والعشرين وقيل الثامن عشر من جمادى الآخرة سنة تسعين وخمسمائة بعد
العصر ودفن من الغد بالتربة القاضية بسفح المقطم * وحكى أن الأمير عز الدين موسى
الذي كان والدا ابن الحاجب حاجباً له بعث الى الشيخ الشاطبي يدعو الى الحضور عنده
فأمر الشيخ بعض أصحابه أن يكتب اليه

قل للأمير مقالة * من ناصح فطن نبه
أن الفقيه اذا أتى * أبوابكم لا خبر فيه

ومن نظمه رحمه الله تعالى

خالقت أبناء الزمان فلم أجد * من لم أرم منه ارتيادى مخلصي
وذا الشباب وقدمضى لسبيله * أهيا وأمكن من صديق مخلص
وكان رحمه الله تعالى قرأ بشاطبة القراءات وأتقنها على التفري ثم انتقل الى بلنسية فقراها
التيسير من حفظه على ابن هذيل وسمع الحديث منه ومن ابن النعمة وابن سعادة وابن
عبد الرحيم وغيرهم وارتحل الى المشرق فاستوطن القاهرة واشتهر اسمه وبعد صيته
وقصد الطلبة من النواحي وكان اماماً معلماً ذكياً كثير الفنون منقطع القرين رأساً
في القراءات حافظاً للحديث بصيراً بالعربية واسع العلم وقد سارت الركبان بتصيد تيه حرز
الاماني وعقيلة اتراب الفضائل اللتين في القراءات والرسم وحفظهما خلق كثير لا يحصون
وخضع لهم ما خول الشعراء و كبار البلغاء وحذاق القراء ولقد أوجز سهل الصعب
* ومن روى عنه أبو الحسن بن خيرة ووصفه من قوة الحفظ بأمر عجيب محجب ومن قرأ
عليه بالروايات الامام الشهير محمد بن عمر القرطبي وتصدر الشاطبي رحمه الله تعالى للقراء
بالمدرسة الفاضلية وكان موصوفاً بالزهد والعبادة والانقطاع * وقبره بالقرافة بزار ورجى
استجابة الدعاء عنده وقد زرته مرارا ودعوت الله بما أرجو قبوله وترك اولاداً منهم
أبو عبد الله محمد عاش نحو ثمانين سنة * وقال السبكي في حق الامام الشاطبي انه كان
قوى الحافظة واسع المحفوظ كثير الفنون فقيهاً مقرباً محمداً نخبوا زاهداً عابداً ناسكاً

يوقد ذكاء قال السخاوي أقطع أنه كان مكاشفا وأنه سأل الله كتمان حاله ما كان أجد
يعلم أي شيء هو انتهى وترجمته واسعة رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين * وقال ابن خلدكان
أنه أبدع في حرز الاماني وهي عمدة قراء هذا الزمان في تعليمهم فقل من يشتغل بالقراآت الا
ويقدم حفظها ومعرفة ما وهي مشتملة على رموز عجيبية وإشارات لطيفة وما أظنه سبق
الى اسلوبها وقد روى عنه أنه كان يقول لا يقرأ أحد قصيدتي هذه الا وينفعه الله عز وجل
لا في نظامها لله تعالى مخلصا وكان عالم الكتاب الله تعالى قراءة وتفسيرها وبحديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم مبرزا فيه وكان اذا قرئ عليه صحيح البخاري ومسلم والموطا يصح
النسخ من حفظه ويملي النسخ على الموضع المحتاج اليها وكان أوحى في علم النحو واللغة
عارفا بتعبير الرؤيا حسن المقاصد مخلصا فيما يقول ويفعل وكان يجتنب فضول الكلام
ولا ينطق في سائر أوقاته الا بما تدعو اليه الحاجة ولا يجلس للقراءة الا على طهارة في هيئة
حسنة وتخشع واستمكانه وكان يعتزل العلة الشديدة فلا يشتكي ولا يتأوه واذا سئل
عن حاله قال العافية لا يزيد على ذلك وكان كثيرا ما ينشد هذا اللغز في النعش وهو لا ي
زكريا يحيى بن سلامة اللطيف

أعرف شيئا في السماء تطيره * اذا سار صاح الناس حيث يسير
فتلقاه من كواكب وتلقاه راكبا * وكل أمير يعتليه أسير
يخض على التقوى ويكره قربه * وتنفس منه النفس وهو نذير
ولم يستزر عن رغبة في زيارة * ولكن على رغم المزور يزور

وكان يقول عند دخوله الى مصر انه يحفظ وقر بعير من العالوم وكان نزيل القاضي
الفاضل ورثته بدرسته بالقاهرة وقبل ان كنيته أبو محمد حسبا وجد في بعض اجازاته
رحمه الله تعالى * (ومن الراجلين الى المشرق من الاندلس) الامام القاضي أبو بكر بن
العربي قال ابن سعيد هو الامام العالم القاضي الشهير فخر المغرب أبو بكر محمد بن عبد الله
ابن العربي المغافري قاضي قضاة كورة اشبيلية ذكره البخاري في المسهب طبق الاتفاق
بفوائده وملا الشأم والعراق بأوابده وهو امام في الاصول والقروع وغير ذلك ومن
شعره وقد ركب مع أحد أمراء المؤمنين وكان ذلك الأمير صغيرا فهرز عليه رمحا كان في يده
مداعباله فقال

هرز على الرمح ظبي مهفهف * لعوب بالباب البرية عابث
ولو كان رمحا واحدا لا تقيته * ولكنه ربح وثان وثالث

وقوله وقد دخل عليه غلام جميل الصورة في لباس خشن

لبس الصوف لكي أنكره * وأنا ناشحبا قد عسا
قلت ايه قد عرفناك وذا * جل سوء لا يعيب الفرسا
كل شيء أنت فيه حسن * لا يبالي حسن ما لبسا

وزعم بعض أن الايات ليست له وانما تمثل بها فالتعالى أعلم * وعن عرف بابن العربي
وذكره ابن الامام في سبط الجنان والشقندي في الطرف وكان قد صحب المهدي محمد بن

تومرت بالمشرق فأوصى عليه عبد المؤمن وكان مكرما عنده وحكى انه كتب كتابا فاشار
عليه بعض من حضر أن يذره عليه نشارة فقال قف ثم فكر ساعة وقال اكتب
لاتشته بما تذر عليه * فكفاه هبوب هذا الهواء
فكان الذي تذر عليه * جدرى بوجنة حسناء

ولقى أبا بكر الطرطوشي وما برح معظما الى أن تولى خطة القضاء ووافق ذلك أن احتاج
سوراشيلية الى بنيان جهة منه ولم يكن به مال متوفر فقرض على الناس جلود ضخما باهم
وكان ذلك في عيد أنجي فأحضروها كارهين ثم اجتمعت العاقمة العمياء وثار عليه
ونهبوا داره وخرج الى قرطبة وكان في أحد أيام الجمع قاعدا ينتظر الصلاة فاذا بغلام
روحي وضى قد جاء يخترق الصفوف بشمعة في يده وكتاب معتق فقال

وشمعة تحملها شمعة * يكاد يخنى نورها نارها

لولا نهى نفس نهت غيرها * لقبيلته وأنت عارها

ولما سمعها أبو غمران الزاهد قال انه لم يكن يفعل ولكنه هزته أريحية الادب ولو كنت أنا قلت
لولا الحياء وخوف الله يعني * وأن يقال صبا موسى على كبره
اذالمت لحظي في نواظره * حتى أوفى جفوني الحق من نظره

*(رجع) الى أخبار ابن العربي فنقول انه سمع بالاندلس أبا وخاله أبا القاسم الحسن
الهورني وأبا عبد الله السمرقسطي وبجاية أبا عبد الله الكلاعي وبالمهدي أبا الحسن بن
الحداد الطولاني وسمع بالاسكندرية من الانماطي وبمصر من أبي الحسن الخلعي وغيره
وبدمشق غير واحد كابي الفتح نصر المقدسي وبكة أبا عبد الله الحسين الطبري وابن طلبة
وابن بشار وقرأ الادب على التبريزي وعمل رحمه الله تعالى على مدينة اشيلية سورا
بالجارة والا بجر بالنورة من ماله وكان كافي الصلة حريصا على آدابها وسيرها ثاقب الذهن
في تميز الصواب فيها ويجمع الى ذلك كله آداب الاخلاق مع حسن المعاشرة وابن السكف
وكثرة الاحتمال وكرم النفس وحسن العهد وثبات الود وذكره ابن بشكوال في الصلة
وقال فيه الامام الحافظ ختام علماء الاندلس رحل الى المشرق مع أبيه مستهل ربيع
الاول سنة خمس وثمانين وأربع مائة ودخل الشام والعراق وبغداد وسمع بها من كبار العلماء
ثم حج في سنة تسع وثمانين وعاد الى بغداد ثم صدر منها وقال ابن عساكر خرج من دمشق
راجعا الى مقره سنة ٤٩١ ولما غرّب صنف عارضة الاحوذى ولقى بمصر والاسكندرية
جولة من العلماء ثم عاد الى الاندلس سنة ثلاث وتسعين وقدم اشيلية بعلم كثير وكان
موصوفا بالفضل والكمال وولى القضاء باشيلية ثم صرف عنه ومولده ليلة يوم الخميس
لثمان بقين من شعبان سنة ثمان وستين وأربع مائة وتوفي بمقبرة من مدينة فاس
ودفن بفاس في ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وخمس مائة انتهى كلام ابن سعيد
 وغيره ملخصا وما وفي ابن سعيد خافض الاسلام أبا بكر بن العربي حقه قلته رزه بما حضرنا
من التبريف فبقول انه في بغداد الشاشي والامام أبا بكر والامام أبا حامد الطوسي
الغزالي ونقل عنه انه قال كل من رحل لم يأت بمثل ما أتيت به من العلم الا الباجي أو كلاما

هذا معناه وكان من أهل التقن في العلوم متقداً في المعارف كلها متكاملاً على أنواعها
 حريصاً على نشرها وقام بإمر القضاء أجد قيام مع الصرامة في الحق والقوة والشدّة على
 الظالمين والرفق بالمساكين وقد روى عنه أنه أمر بشق أشداق زاهر ثم صرف عن
 القضاء وأقبل على نشر العلم وبثه وقرأ عليه الحافظ ابن بشكوال باشيلية وقال ابن الأبار
 أن الإمام الزاهد العابد أبا عبد الله بن مجاهد الاشيلي - لازم القاضي ابن العربي نحواً
 من ثلاثة أشهر ثم تخلف عنه فقبل له في ذلك فقال كان يدرّس ويغلته عند الباب ينتظر
 الركوب إلى السلطان انتهى وذكره ابن الزبير في صلاته وقال أنه رحل مع أبيه أبي محمد
 عند انقراض الدولة العبادية وسنه نحو سبعة عشر عاماً إلى أن قال وقيد الحديث وضبط
 ما روى واتسع في الرواية وأتقن مسائل الخلاف والاصول والكلام على أئمة هذا الشأن
 ومات أبوهم رحمه الله تعالى بالاسكندرية أول سنة ثلاث وتسعين فأنصرف حينئذ إلى
 اشيلية فسكنها وسمع ودرّس الفقه والاصول وجلس للوعظ والتفسير وصنف في غير
 فن تصانيف مليحة حسنة مفيدة وولى القضاء مدة أواخرها في رجب من سنة ثمان فنفق
 الله تعالى به لصرامته ونفوذ أحكامه والتزم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى
 أودى في ذلك بذهاب كتبه وماله فأحسن الصبر على ذلك كله ثم صرف عن القضاء
 وأقبل على نشر العلم وبثه وكان فصيحاً حافظاً أديباً شاعراً كثير الملمح مليح المجلس ثم قال قال
 القاضي عياض بعد أن وصفه بما ذكرته ولكثرة حديثه وأخباره وغريب حكاياته
 ورواياته أكثر الناس الكلام وطعنوا في حديثه وتوفي منصرفه من مراكش من الوجهة
 التي توجه فيها مع أهل بلده إلى الحضرة بعد دخول الموحدين مدينة اشيلية فحبسوا
 بمراكش نحو عام ثم سرحوا فأدركته منيته وروى عنه خلق كثير منهم القاضي عياض
 وأبو جعفر بن الباذش وجماعة انتهى ملخصاً * ووقع في عبارة ابن الزبير جماعة أنه دفن
 خارج باب الجيسة بفاس والصواب خارج باب المحروق كما أشبعت الكلام على ذلك
 في أزهار الرياض وقد ذكرته مراراً وقبره هناك مقصود للزيارة خارج القصبة وقد صرح
 بذلك بعض المتقدمين الذين حضروا وفاته وقال أنه دفن بترية القائد مظفر خارج القصبة
 وصلى عليه صاحبها أبو الحكم بن جاج رحمه الله تعالى ومن بديع نظمه
 أتتني تؤنيتني بالبيضاء * فأهلاً بها وبأنبيها
 تقول وفي نفسها حسرة * أتبكي بعين تراني بها
 فقلت إذا استحسنتم غيركم * أمرت جفوني بتعذيبها
 وقال رحمه الله تعالى دخل على الأديب ابن صارة وبين يدي نار علاه ما دفت له قل
 في هذه فقال

شابت نواصي النار بعد سوادها * وتسترت عنا بثوب رماذ

ثم قال لي أجز فقلت

شابت كاشبنا وزال شبابنا * فكأنما كنا على ميعاد

وقد اختلف حذاق الأدباء في قوله ولكنه رجع وثان وثالث ما هو الثاني والثالث فقبل

القد واللعظ وقيل غير ذلك ولما ذكر رحمه الله تعالى في كتابه قانون التأويل ركوبه البحر في رحلته من افريقية قال وقد سبق في علم الله تعالى أن يعظم علينا البحر بزوله ويغرقنا في هوله نخرجنا من البحر خروج الميت من القبر واتهمنا بعد خطب طويل الى بيوت بني كعب بن سليم وشحن من السغب على عطب ومن العري في أقيح زى قد قذف البحر زقاق زيت مزقت الخجارة منيئتها ودسمت الادهان وبرها وجلدتها فاحتزمتها أزرا واشتملتها هالفا فاجتجنا الانصار وتخذلنا الانصار فعطف أميرهم علينا فأولينا اليه فأوانا وأطعمنا الله تعالى على يديه وسقانا وأكرم مشوانا وكسانا بأمر حقير ضعيف وفن من العلم ظريف وشرحه انالما وقضنا على بابة ألقيناه يد يرأعواد الشاه فعل السامد اللاه فدنوت منه في تلك الاطمار وسمح لي بساذقته اذ كنت من الصغرى حتى يسمع فيه للاغمار ووقفت بازائهم أنظر الى تصرفهم من وراءهم اذ كان علق يتقسي بعض ذلك من بعض القرابة في خلس البطالة مع غلبة الصبوة والجهالة فقلت للبياذقة الامير أعلم من صاحبه فلمعوني شزرا وعظمت في أعينهم بعد أن كنت نزرا وتقدم الى الامير من قبل اليه الكلام فاستدنانى فدنوت منه وسألنى هل لي بما هم فيه بر فقلت لي فيه بعض نظر سيد دولك ويظهر حرك تلك القطعة ففعل كما أشرت وعارضه صاحبه فأمرته أن يحرك أخرى وما زالت الحركات بينهم كذلك ترى حتى هزمهم الامير وانقطع التدبير فقالوا ما أنت بصغير وكان في أثناء تلك الحركات قد ترنم ابن عم الامير منشدًا

وأحلى الهوى ما شئت في الوصل ربه * وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتقى
فقال لعن الله أبا الطيب أويشك الرب فقلت له في الحال ليس كما ظن صاحبك أيها الامير انما أراد بالرب ههنا صاحب يقول أذا الهوى ما كان المحب فيه من الوصال وبلوغ الغرض من الآمال على ريب فهو في وقته كله على رجاء لما يؤمله وثقاة لما يقطع به كما قال

اذا لم يكن في الحب مخطط ولا رضا * فأين حلاوات الرسائل والكتب
وأخذنا نضيف الى ذلك من الاغراض في طرفي ابرام وانتفاض ما حرك منهم الى جهتي دواعي الانتهاض وأقبلوا يتعجبون مني ويسألونني كم سنى ويستكشفونني عنى فبقرت لهم حديثي وذكرت لهم نجيثي وأعلمت الامير بأن أبي معي فاستدعاه وأقمنا الثلاثة الى مشواه نخلع علينا خلعه وأسبل علينا أدمعه وجاء كل خوان بأفنان والوان ثم قال بعد المبالغة في وصف ما ناله من اكرامه فانظر الى هذا العلم الذي هو الى الجهل أقرب مع تلك الصبابة اليسيرة من الادب كيف أنقذنا من العطب وهذا الذكر يرشدكم ان عقلتم الى المطلب وسرنا حتى اتهمنا الى ديار مصر انتهى مختصرا والزول العجب ونجيث الخبر ما ظهر من قبيحه يقال بدانجيث القوم اذا ظهر سرهم الذي كانوا يحفونه قالهما الجوهرى * وذكر رحمه الله تعالى في رحلته عجائب * منها انه حكى في دخوله بدمشق بيوت بعض الاكابر انه رأى فيه النهر جاريا الى موضع جلوسهم ثم يعود من ناحية أخرى فلم أفهم معنى ذلك حتى جاءت موائد الطعام في النهر المقبل اليها فأخذها الخدم ووضعوها بين ايدينا فرغنا ألقى الخدم الاواني وما معها في النهر الرابع فذهب بها

الماء الى ناحية الحرم من غير أن يقرب الخدم تلك الناحية فعلت السر وان هذا الحبيب انتهى بعمامه وقال في قانون التأويل ورد علينا اذا شئنا يعني الغزالي فنزل برباط أبي سعد بازاء المدرسة النظامية معرضا عن الدنيا مقبلا على الله تعالى فشيننا اليه وعرضنا امنيتنا عليه وقلت له أنت ضالتنا التي كنا نشد وامامنا الذي به نسترشد فلقينا لقاء المعرفة وشاهدنا منه ما كان فوق الصفة وتحققنا ان الذي نقل اليه من أن الخبر على الغائب فوق المشاهدة ليس على العموم ولورآه على بن العباس لما قال

اذا ما مدحت أمراً غائباً * فلا تغل في مدحه واقصد

فأنك ان تغل تغل الظن * ن فيه الى الامد لا بعد

فيه غر من حيث عظمت * لفضل المغيب على المشهد انتهى

وكنيت تغل من المطمح في حقه ما صورته علم الاعلام الطاهر الاثواب الباهر الابواب الذي أنسى ذكاء اياس وترك التقليد للقياس وانجى الفرع من الاصل وغدا في الاسلام أمضى من التصل سقى الله تعالى به الاندلس بعدما أجذبت من المعارف ومدعاهها منه ظله الوارف وكساهارون قنبله وسقاها ريق وبه وكان أبوه أبو محمد باشيبي بدرا في فلكتها وصدر في مجلس ملكها واصطفاه معتمد بني عباد اصطفا المأمون لابن أبي دواد وولاه الولايات الشريفة وبوأه المراتب المنيفة فلما أقفرت حصن من ملكهم وخلت وألقته منها وتخلت وحل به الى المشرق وحل فيه محل الخائف الفرق فخال في أكافه وأجال قداح الرجا في استقبال العز واستنانه فلم يسترد ذاهبا ولم يجد كعتمه باذلاله وواهبا فعاد الى الرواية والجماع وما استفاد من آمال تلك الاطماع وأبو بكر اذ ذاك في نرى الذكاء قضيب ما دقح وفي روض الشباب زهر ما صوح فالزمه مجالس العلم راثحا وغاديا ولازمه سائقا اليها وحاديا حتى استقرت به مجالسه واطردت له مقاييسه فجد في طلبه واستجده أبوه متمزق أربه ثم أدركه حياه ووارثه هناك رجائه وبقي أبو بكر متفردا وللطلب متجردا حتى أصبح في العلم وحيدا ولم تجد عنه رياسته محيدا فكفر الى الاندلس فخلها والنفوس اليه متطلعة ولا نبأ به متسعة فناهيك من حظوة لقي ومن عزه سقى ومن رفعة سما اليها وورق وحسبك من مغاخر قلدها ومحاسن أنس أثبت فيها وخلدها وقد أثبت من بديع نظمها ما يزرأ عطاها وترده الافهام نطافا فمن ذلك قوله يشوق الى بغداد ويخاطب فيها أهل الوداد

أمنك سرى والليل يخدع بالفجر * خيال حبيب قد حوى قصب الفجر

جلا ظلم الظلماء مشرق نوره * ولم يخبط الظلماء بالانجيم الزهر

ولم يرض بالارض البسيطة مسجبا * فسار على الجوزا الى فلك يجرى

وحت مطايا قدمها بها بعزمه * فأوطأها قسرا على قنة السر

فصارت ثقالا بالجلالة فوقها * وسارت بحال اتسقى ألم الزجر

وهرت على ذيل المجرّة ذيلها * فمن ثم يبدو ما هناك لمن يسرى

ومرت على الجوزاء توضع فوقها * فأنار ما مرت به كلف البدر

وساقت أريج الخلد من جنة العلا * قدع عنك رمل بالانيم يستدري
فاحذرت قيسا ولا خيل عامر * ولا أنتمرت خوفا لقاء بني ضمير
سقى الله مصرا والعراق وأهلها * وبغداد والشاميين منهم مل القطر انتهى
ومن تأليف الحافظ أبي بكر بن العربي المذكور كتاب القبس في شرح موطأ مالك بن أنس
وكتاب ترتيب المسالك في شرح موطأ مالك وكتاب أنوار الفجر وكتاب أحكام القرآن وكتاب
عارضة الاحوذى في شرح الترمذى والاحوذى بفتح الهـ حزة وسكون الحاء المهملة وفتح
الواو وكسر الذا الهمزة وآخرها مشددة وكتاب مرافى الزلف وكتاب الخلافات وكتاب
نواهي الدواهي وكتاب سراج المريدين وكتاب المشكين مشكل الكتاب والسنة
وكتاب الناسخ والمنسوخ في القرآن وكتاب قانون التأويل وكتاب السيرين في الصحابين
وكتاب سراج المهتدين وكتاب الأمد الاقصى بأسماء الله الحسنى وصفاته العلا وكتاب
في الكلام على مشكل حديث السجرات والحجاب وكتاب العدة الاكبر للقلب الاصغر
وتبيين الصحيح في تعيين الذبيح وتفصيل التفضيل بين الحميد والتليل ورسالة الكافي
في أن لا دليل على النافي وكتاب السباعيات وكتاب السلسلات وكتاب التوسط في معرفة
صحة الاعتقاد والرد على من خالف السنة من ذوى البدع والالحاد وكتاب شرح غريب
الرسالة وكتاب الانصاف في مسائل الخلاف عشرون مجلدا وكتاب حديث الافك
وكتاب شرح حديث جابر في الشفاعة وكتاب شرح حديث أم زرع وكتاب ستر العورة
وكتاب المحصول في علم الاصول وكتاب أعيان الاعيان وكتاب ملجأ المتفقهين الى
معرفة غوامض النحويين وكتاب ترتيب الرحلة وفيه من الفوائد ما لا يوصف * ومن
فوائد القاضي أبي بكر بن العربي رحمه الله تعالى قوله قال علماء الحديث ما من رجل
يطلب الحديث الا كان على وجهه نضرة لقول النبي صلى الله عليه وسلم نضرت الله امرأ
سمعت مقاتلي فوعاها فأذاها كما سمعها الحديث قال وهذا دعاء منه عليه السلام لجملة علمه ولا بد
بفضل الله تعالى من نيل بركته انتهى والى هذه النضرة أشار أبو العباس العزفي بقوله

أهل الحديث عصابة الحق * فازوا بدعوة سيد الخلق

فوجوههم زهر منضرة * لا لأوها كتألق البرق

بالبتي معهم فيدركني * ما أدركوه بها من سبق انتهى

(ولا بأس أن نذكر هنا بعض فوائد الحافظ أبي بكر بن العربي رحمه الله تعالى) * فيها
قوله في تصرف المحصنات يقال أحسن الرجل فهو محصن بفتح العين في اسم الفاعل
وأسهب في الكلام فهو مسهب اذا طال البحث فيه وألفح فهو ملقح اذا كان عديما
لارابع لها والله تعالى أعلم انتهى * ومنها قوله سمعت الشيخ نفع الاسلام أبا بكر الشاشي
وهو يترجم لذهب أبي حنيفة في مجلس النظر يقول يقال في اللغة العربية لا تقرب كذا
بفتح الراء أى لا تلبس بالفعل واذا كان بضم الراء كان معناه لا تدن من الموضع وهذا
الذي قاله صحيح مسموع انتهى * ومنها شاهدات المائدة بطور زيتا مرارا وأكث عليها
ليلا ونهارا وذكرت الله سبحانه فيها مرارا ووجها را وكان ارتفاعها أشرف من القامة بنحو

الشبر وكان لها درجان قبلي وجنوبي وكانت صخرة صلبة لا تؤثر فيها المعاول وكان الناس يقولون مسخت صخرة اذ مسح اربابهم اقردة وخنازير والذي عندي انها كانت صخرة في الاصل قطعت من الارض محلا للمائدة النازلة من السماء وكل ما حولها حجارة مثلها وكان ما حولها محفوفاً بقصور وقد فحمت في ذلك الحجر الصليبيوت ابوابها منها ومجاالسها مقطورة فيها وحناياها في جوانبها وبيوت خدمتها مقورة من الحجر كما تصور من الطين والخشب فذا دخلت في قصر من قصورها ورددت الباب وجعلت من ورائه صخرة مقدار ثقل عن درهم لم يفتحها اهل الارض للصوقه بالارض واذا هبت الريح وحشت تحته التراب لم يفتح الا بعد صب الماء تحته والا كثر منه حتى يسيل بالتراب وينفج منقرج الباب وقد باربها قوم بهذه العلة وقد كنت اخلو فيها كثير اللدرس ولكني كنت في كل حين اكنس حول الباب مخافة مما جرى لغيري فيها وقد شرحت امرها في كتاب ترتيب الرحلة بأكثر من هذا انتهى * ومنها قوله رحمه الله تعالى تذاكرت بالمسجد الاقصى مع شيخنا أبي بكر الفهرى الطرطوشى حديث أبي ثعلبة المرفوع ان من ورائكم اياما لا عامل فيها اجر خسين منكم فقالوا بل منهم فقال بل منكم لانكم تجدون على الخير أعوانا وهم لا يجدون عليه أعوانا وتفاوضنا كيف يكون اجر من يأتي من الائمة أضعاف اجر الصحابة مع أنهم قد أسسوا الاسلام وعضدوا الدين وأقاموا المنار واقتحموا الامصار وجوا البيضة ومهدوا الملة وقد قال صلى الله عليه وسلم في الصحيح لو أنفق أحدكم كل يوم مثل أحد ذهبا ما بلغ مدأ أحدكم ولا نصيفه فتراجعنا القول وتحصل ما أوضحناه في شرح الصحيح وخلاصته أن الصحابة كانت لهم أعمال كثيرة لا يلحقهم فيها أحد ولا يدانيهم فيها بشر وأعمال سواها من فروع الدين يساويهم فيها في الاجر من أخلص اخلاصهم وخلصها من شوائب البدع والرياء بعدهم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر باب عظيم هو ابتداء الدين والاسلام وهو أيضا انتهاؤه وقد كان قليلا في ابتداء الاسلام صعب المرام الغلبة للكفار على الحق وفي آخر الزمان أيضا يعود كذلك لو عدا الصادق صلى الله عليه وسلم بفساد الزمان وظهور الفتن وغلبة الباطل واستيلاء التبديل والتغيير على الحق من الخلق وركوب من يأتي سنن من مضى من أهل الكتاب كما قال صلى الله عليه وسلم لتر كبن سنن من قبلكم شبرا شبرا وذراعا بذراع حتى لو دخلوا بحر ضربت خرب لدخلتموه وقال صلى الله عليه وسلم يبداء الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فلا بد والله تعالى أعلم بحكم هذا الوعد الصادق أن يرجع الاسلام الى واحد كما بدا من واحد ويضعف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى اذا قام به قائم مع احتواشه بالخواف وباع نفسه من الله تعالى في الدعاء اليه كان له من الاجر أضعاف ما كان لمن كان متمكنا منه مع اننا عليه بكثرة الدعوة الى الله تعالى وذلك قوله لانكم تجدون على الخير أعوانا وهم لا يجدون عليه أعوانا حتى ينقطع ذلك انقطاعا باتا لضعف اليقين وقلة الدين كما قال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الارض الله الله يروى برقع الهاء ونصبها فالرفع على معنى لا يبقى موحديذ كرا لله عز وجل والنصب على معنى لا يبقى آمر بمعروف

ولاناه عن منكر يقول أخاف الله وحينئذ يتنى العاقل الموت كما قال صلى الله عليه وسلم
لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني كنت مكانه انتهى وأنشده رحمه
الله تعالى لبعض الصوفية

امتحن الله بذا خلقه * فالنار والجنة في قبضته
فهجره أعظم من ناره * ووصله أطيب من جنته

* (ومن فوائد ابن العربي) رحمه الله تعالى انه قال كنت بمجلس الوزير العادل أبي منصور
ابن جهر على رتبة ينهاها في كتاب الرحلة للترغيب في الملة فقرأ القارئ تحيتهم يوم يلقونه
سلام وكنت في الصف الثاني من الحلقة يظهر أبي الوفاء بن عقيل امام الخنبلية بمدينة السلام
وكان معتزلي الاصول فلما سمعت الآية قلت لصاحب لي كان يجلس على يساري هذه الآية
دليل على رؤية الله في الآخرة فان العرب لا تقول لقيت فلانا الا اذا رآته فصرف وجهه
أبو الوفاء مسرعا اليها وقال يتصر لمذهب الاعتزال في أن الله تعالى لا يرى في الآخرة فقد
قال الله تعالى فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه وعندك أن المنافقين لا يرون الله تعالى
في الآخرة وقد شرحنا وجه الآية في المشككين وتقدير الآية فأعقبهم هو نفاقا في قلوبهم الى
يوم يلقونه فيحتمل ضمير يلقونه ان يعود الى ضمير الفاعل في أعقبهم المقدر بقولنا هو ويحتمل
أن يعود الى النفاق مجازا على تقدير الجزاء انتهى * ومنها ما نقله عن ابن عباس رضي الله
تعالى عنه - ما لا يقل أحدكم انصرفنا من الصلاة فان قوما قيل فيهم - ثم انصرفوا صرف الله
قلوبهم وقد أنبأنا محمد بن عبد الملك القيسي الواعظ أن أبا الفضل الجوهري سمع عامنه
كنا في جنازة فقال المندرج بها انصرفوا رجكم الله تعالى فقال لا يقل أحدكم انصرفوا فان الله
تعالى قال في قوم ذمتهم ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم ولكن قولوا انقلبوا رجكم الله فان
الله تعالى قال في قوم مدحهم فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء انتهى *
ومنها وقد ذكر الخلاف في شاهد يوسف ما صورته فاذا قلنا انه القميص فكان يصح من
جهة اللغة أن يخبر عن حاله بتقديم مقالة فان لسان الحال أبلغ من لسان المقال في بعض
الامور وقد تضيف العرب الكلام الى الجادات بما تخبر عنه بما عليها من الصفات ومن
أحلام قول بعضهم قال الخائط لا وتد لم تشقني قال سل من يدقني ما يتركني ودائي هذا الذي
ورائي لكن قوله تعالى بعد ذلك من أهلها في صفة الشاهد يطل أن يكون القميص
وأما من قال انه ابن عمها أو رجل من أصحاب العزيز فانه يحتمل لكن قوله من أهلها يعطى
اختصاصها من جهة القرابة انتهى * ومنها قوله انه كان بمدينة السلام امام من الصوفية
وأى امام يعرف بابن عطاء فتكلم يوما على يوسف وأخباره حتى ذكر تبرئته مما نسب
اليه من ذكره فقام رجل من آخر مجلسه وهو مشحون بالخلقة من كل طائفة فقال يا شيخ
يا سيدنا فاذن يوسف هم وماتم فقال نعم لان العناية من ثم فانظر والى حلاوة العالم والمتعلم
وفطنة العاتى في سؤاله والعالم في اختصاره واستيفائه ولذا قال علمونا الصوفية
ان فائدة قوله تعالى ولما بلغ أشده آتيناها حكما وعلمنا أن الله تعالى أعطاه العلم والحكمة
أيام غلبة الشهوة لتسكون له سبيل العصمة انتهى * ومنها قوله كنت بمكة مقيما في ذي الحجة

سنة تسع وثمانين وأربعمائة وكنيت أشرب من ماء زمزم كثيرا وكلم شربته نويت به العلم
والإيمان ففتح الله تعالى لي بركته في المقدار الذي يسره لي من العلم ونسيت أن أشربه للعمل
وباليتنى شربته له ما حتى يفتح الله تعالى لي فيه ما ولم يقدر فكان صفوى للعلم أكثر منه للعمل
وأسأل الله تعالى الحفظ والتوفيق برحمته * ومنها قوله سمعت امام الحنابلة بمدينة السلام أبا
الوفاء علي بن عقيل يقول انما تبع الولد الاثم في المالية وصار يحكمها في الرق والحرية لانه
انفصل عن الاب نقطة لا قيمة له ولا مالية فيه ولا منفعة مشوثة عليه وانما اكتسب
ما اكتسب بها ومنها فلذلك تبعها كالأكل كل رجل تراه في أرض رجل وسقطت منه نواة
في الأرض من يد الاكل فصارت نخلة فانها ملك صاحب الأرض دون الاكل كل باجماع من
الامة لانها انفصلت عن الاكل ولا قيمة لها وهذه من البدائع انتهى * ومنها قوله ومن
نوادري أبي الفضل الجوهري ما أخبرنا عنه محمد بن عبد الملك الواعظ وغيره انه كان يقول اذا
أمسكت علاقة الميزان بالاهرام والسبابة وارتفعت سائر الاصابيح كان شكها مقروا
بقولك الله فكانها اشارة منه سبحانه في تيسير الوزن الى أن الله سبحانه مطلع عليك فاعدل
في وزنك انتهى * ومنها قوله كان ابن الكازروني يأوي الى المسجد الاقصى ثم تمتعنا به
ثلاث سنوات ولقد كان يقرأ في مهدي عيسى عليه السلام فيسمع من الطور فلا يقدر
أحد أن يصنع شيئا دون قراءته الا الاصغاء اليه انتهى * ومنها قوله في تفسير قوله تعالى
في أيام نحسات قيل انها كانت آخر شوال من الاربعاء الى الاربعة والناس يكرهون السفر
يوم الاربعاء لاجل هذه الرواية حتى اني لقيت يوما مع خالي الحسن بن أبي حفص رجلا
من الكتاب فودعنا بنية السفر فلما فارقتا قال لي خالي انك لا تراه أبدا لانه سافر في يوم
اربعاء لا يتكرر وكذا كان مات في سفره وهذا ما لا أراه لان يوم الاربعاء يوم عجيب
بما جاء في الحديث من الخلق فيه والترتيب فان الحديث ثابت بأن الله تعالى خلق يوم
السبت التربة ويوم الاحد الجبال ويوم الاثنين الشجر ويوم الثلاثاء المكروه ويوم الاربعاء
النور وروى النون وفي غريب الحديث أنه خلق يوم الاربعاء التقن وهو كل شيء تتقن به
الاشياء يعني المعادن من الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص فالיום الذي
خلق فيه المكروه لا تعافه الناس واليوم الذي خلق فيه النور أو التقن يعافونه ان هذا
لهو الجبل المبين وفي المغازي ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا على الاحزاب من يوم
الاثنين الى يوم الاربعاء بين الظهر والعصر فاستجيب له وهي ساعة فاضلة فالأثر
الصالح تدل على فضل هذا اليوم فكيف يدعى فيه التحذير والتحس بأحاديث لا أصل لها
وقد ورد قوم أياما من الايام الشمسية ادعوا فيها الكراهية لاجل لمسلم أن ينظر اليها
ولا يشغل بالها فحسبهم الله انتهى * ومنها وكان يقرأ معنار بباط أبي سعيد علي الامام
داشم من بلاد المغرب خنثى ليس له حية وله ثديان وعنده جارية فربك أعلم به ومع طول
الحجة عقلتني الحياء عن سؤاله وبوذي اليوم لو كاشفته عن حاله انتهى * ومن شعر
ابن العربي مما نسب له الشيخ أبو حيان قوله

ليت شعري هل دروا * أي قلب ملكوا

وفؤادى لودرى * أى شعب سلخوا

أتراهم سلخوا * أم تراهم هلكوا

حارأرباب الهوى * فى الهوى وارسلوا

* (ومن فوائده) * أخبرنى المهرة من السحرة بأرض بابل أنه من كتب آخر آية من كل سورة ويعلقها لم يبلغ اليه سحرنا قال هكذا قالوا والله تعالى أعلم بما نقلوه * وقال رحمه الله تعالى حذقت القرآن ابن تسع سنين ثم ثلاثا لضبط القرآن والعربية والحساب فبلغت ست عشرة وقد قرأت من الاحرف نحواً من عشرة بما يتبعها من اظهار وادغام وتحويل وتمزج فى الغريب والشعر واللغة ثم رحل بي أبى الى المشرق ثم ذكر تمام رحلته رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو بكر محمد بن أبى عامر بن حجاج الغافقى الاشيلي) ومن نظمها بالمدينة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام

لم يبق لى سؤل ولا مطلب * مذمرت جار اللعيب الحبيب

لا أبتغى شياً سوى قربه * وها أنا منه قريب قريب

من غاب عن حضرة محبوبه * فلت عن طيبة بمن يغيب

لا تسأل المغبوط عن حاله * جار كريم ومحمل خصب

العيش والموت هنا طيب * بطيبة لى كل شئ يطيب

ومن روى عنه هذه الايات الاشرف بن الفاضل * (ومنهم الشيخ الاديب الفاضل البارع جمال الدين أبو عبد الله محمد ابن الفقيه الخطيب أبى الحسن محمد بن أبى عبد الله بن عيسى بن محمد بن على بن ذى النون الانصارى الملقب من أشياخ أبى حيان لقيه يلىس من ديار مصر قال وأنشدنى لشيوخه أبى عبد الله الاستنجى من قصيدة

ماللنسيم سرى يهب عليلة * أتراهم يشكولوعة وغليلة

جزر الذبول على ديار أحبتي * فأنى يجز من السقام ذبولاً

وأنشده رحمه الله تعالى لرضوان الخزومى

ان كنت يوسف حسنا * وكنت عبد العزيز

فان يوسف من قبل كان عبد العزيز

وأخذ ابن ذى النون المذكور عن أبى عبد الله بن صالح وقرأ السبعة على أبى جعفر الفحام وأبى زيد القمارشى وعلى أبى جعفر السهيلي وولد ابن ذى النون سنة ٦١٨ بمالقة ومن تواليفه نفع المسك الاذفر فى مدح المنصور بن المظفر وأزهار الجيلة فى الامار الجيلة واستطلاع البشير ومحض اليقين وروض المتقين * (ومنهم زياد بن عبد الرحمن بن زياد اللخمى المعروف بشبطين يكنى أبا عبد الله كان فقيه الاندلس على مذهب مالك وهو أول من أدخل مذهب الاندلس وكانوا قبله يتفقهون على مذهب الاوزاعى وأراد الامير هشام على القضاء بقرطبة وعزم عليه فهرب فقال هشام لبيت الناس كاهم كزاد حتى أكنى الرغبة فى الدنيا وأرسل الى زياد فأتمته حتى رجع الى داره ويحكى انه لما أراد القضاء كلمه الوزرا فى ذلك عن الامير وعرفوه وعزمه عليه فقال لهم أماناً أكرهتمونى على القضاء

قوله المعروف بشبطين تقدم
انه فى نسخة شبطين وفى أخرى
بشطين فليجزراه

فزوجني فلانة طالق ثلاثا لئن أتاني مدع في شيء مما في أيديكم لا أخرجنه منه ثم أجعلكم مدعين فيها فلما سمعوا منه ذلك علموا صدقه فعملوا عند الأمير في معاقبته سمع من مالك الموطأ ويعرف سماعه بسماع زياد وسمع من معاوية بن صالح وكانت ابنة معاوية تحتة وروى يحيى بن يحيى الليثي عن زياد هذا الموطأ قبل أن يرحل إلى مالك ثم رحل فأدركه مالك فرواه عنه إلا أبوابا في كتاب الاعتكاف شك في سماعها من مالك فأبقى روايته فيها عن زياد عن مالك وتوفي سنة أربع ومائتين وقيل سنة ١٩٣ وقيل في التي بعدها وقيل سنة ١٩٩ والاول أولى بالقبول والله تعالى أعلم * (ورحل في ذلك العصر جماعة من أمثال شبطون كفرغوس ابن العباس وعيسى بن دينار وسعيد بن أبي هند وغيرهم من رحل إلى الحج أيام هشام ابن عبد الرحمن والدا الحكم فلما رجعوا وصفوا من فضل مالك وسعة علمه وجلالة قدره ما عظم به صيته بالاندلس فانتشر يومئذ رأيه وعلمه بالاندلس وكان زائد الجماعة في ذلك شبطون وهو أول من أدخله وطأ مالك إلى الاندلس مكمل امتقنا فأخذه عنه يحيى بن يحيى كما مر وهو اذ ذاك صدر في طلاب الفقه فأشار عليه زياد بالرحيل إلى مالك مادام حيا فرحل سريعا وأخذ يحيى عن زياد هذا الكتب العشرة المنسوبة إلى يحيى ولقي أيضا عبد الله بن وهب صاحب مالك وسمع منه موطأه ولقي أيضا عبد الله بن نافع المدني صاحب مالك وسمع منه ومن الليث بن سعد فقيه مصر ومن سفيان بن عيينة بمكة وقدم يحيى الاندلس أيام الحكم فانتشر به وزياد وبعيسى بن دينار علم مالك بالاندلس رضي الله تعالى عن الجميع وقد قدمنا الحديث الذي رواه زياد بن عبد الرحمن عن مالك فليراجع في الباب الثالث * (ومنهم سوار بن طارق مولى عبد الرحمن بن معاوية قرطبي حج ودخل البصرة ولقي الأصمعي وتطراءه وانصرف إلى الاندلس وأدب الحكم ومن ولده محمد بن عبد الله ابن سوار حج أيضا ولقي أباحاتم بالبصرة والرياني وغيرهما ودخل الاندلس علما كثيرا رحم الله تعالى الجميع * (ومنهم بقي بن مخلد الشهير الذي ذكر صاحب التآليف التي لم يؤلف مثلها في الاسلام ولقي مائتين وأربعة وثمانين شيخا وكان له خاصة من الامام أحمد ابن حنبل رحمه الله تعالى وستأتي بجملة مما يتعلق بقي بن مخلد في رسالة ابن حزم في الباب السابع وبقي علي وزن علي رحمه الله تعالى ورضي عنه وقد عرف بقي بن مخلد غير واحد من العلماء كصاحب التبراس وغيره * (ومنهم قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف أبو محمد البصري وبيان من أعمال قرطبة وأصل سلفه من موالى الوليد بن عبد الملك وسمع المذكوور بقرطبة من بقي بن مخلد ومحمد بن وضاح ومطرف بن قيس وأصبغ بن خليل وابن مسرة وغير واحد ورحل إلى المشرق مع محمد بن عبد الملك بن أيمن ومحمد بن زكريا بن عبد الأعلى سنة أربع وسبعين ومائتين فسمع بمكة من محمد بن اسمعيل الصائغ وعلي بن عبد العزيز ودخل العراق فلقى من أهل الكوفة ابراهيم بن أبي العنيس قاضيها وابراهيم بن عبد الله القصاد وسمع ببغداد من القاضي اسمعيل وأحمد بن زهير بن حرب وغيرهما كعبد الله ابن الامام أحمد بن حنبل والحرث بن أبي أسامة وكتب عن ابن أبي خيثمة تاريخه وسمع من ابن قتيبة كثيرا من كتبه وسمع من المبرد وثعلب وابن الجهم في آخرين وسمع بمصر

من محمد بن عبد الله العمري ومطلب بن شعيب وغيرهما وسمع بالقبروان من أحمد بن يزيد
المعلم وبكر بن حماد التاهري الشاعر وانصرف الى الاندلس بعلم كثير من الناس اليه
في تاريخ أحمد بن زهير وكتب ابن قتيبة وأخذوا ذلك عنه دون صاحبيه ابن أيمن وابن عبد
الاعلى وكان بصيرا بالحديث والرجال نبلا في النحو والغريب والشعر وكان يشاور
في الاحكام ومصنف على كتاب السنن لابي داود كتابا في الحديث وسببه انه لما قدم العراق سنة
ست وسبعين ومائتين مع صاحبه محمد بن أيمن فوجدا أبا داود قد مات قبل وصولهما يسير
فلما فاتهما عمل كل واحد منهما مصنف في السنن على أبواب كتاب أبي داود وخرجا بالحديث
من روايتهما عن شيوخيهما وهما مصنفان جليلان ثم اختصر قاسم بن أصبغ كتابه وسماه
المجتبى بالنون وأبدأ اختصاره في المحرم سنة أربع وعشرين وثلاثمائة وجعله باسم الحكم
المستنصر وفيه من الحديث المسند ألفان وأربعمائة وتسعون حديثا في سبعة أجزاء
ومولده يوم الاثنين عاشر ذي الحجة سنة سبع وأربعين ومائتين رحمه الله تعالى * وحكى
القرطبي في تفسيره عند قوله تعالى قالوا لا علم لنا الا ما علمنا أن قاسم بن أصبغ قال لما
رحلت الى المشرق نزلت القبروان فأخذت عن بكر بن حماد حديث مسدد فقرأت عليه
يوما فيه حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه قدم عليه قوم من مضر مجتبي النمار فقال انما
هو مجتبي النمار فقلت انما هو مجتبي النمار هكذا قرأته على كل من لقينته بالاندلس والعراق
فقال لي بدخولك العراق تعارضنا وتفخر علينا أو نحو هذا ثم قال لي قم بنا الى ذلك الشيخ
كان في المسجد فان له بمنزل هذا علما فقمنا اليه وسألناه عن ذلك فقال انما هو مجتبي النمار
كما قلت وهم قوم كانوا يلبسون الثياب مشقة جيوبهم أمامهم والنمار جمع غمرة فقال بكر
ابن حماد وأخذ بأنفه رغم أنني للحق وانصرف انتهى وهذه الحكاية دالة على عظيم قدر
الرجلين رحمه الله تعالى ورضي عنهما وثقنا بهما * (ومنهم قاسم بن ثابت أبو محمد
العوفي السرقسطي رحل مع أبيه فسمع بمصر من أحمد بن شعيب النساب وأحمد بن عمرو
البنار وبكة من عبد الله بن علي بن الجارود ومحمد بن علي الجوهري واعتنى بجمع الحديث
واللغة هو وأبوه فأدخلوا الى الاندلس علما كثيرا ويقال انهما أول من أدخل كتاب العين الى
الاندلس وألف قاسم في شرح الحديث كتابا سماه الدلائل بلغ فيه الغاية في الاتقان ومات
قبل اكماله فأكد له ابن ثابت بعده وقد روى عن أبي علي البغدادى انه كان يقول كتبت
كتاب الدلائل وما أعلم انه وضع بالاندلس مثله وكان قاسم عالما بالحديث واللغة متقدما
في معرفة الحديث والنحو والشعر وكان مع ذلك ورعا ناسكا وارىد على القضاء بسرقسطة
فأبى ذلك فأراد أبوه اكرامه عليه فسأله أن يتركه ينظر في أمره ثلاثة أيام ويستخير الله تعالى
فمات في هذه الثلاثة الايام فيرون انه دعا نفسه بالموت وكان مجاب الدعوة توفي سنة
٣٠٣ بسرقسطة رحمه الله تعالى * (ومنهم علم الدين أبو محمد المرسى اللوزقي
وهو قاسم بن أحمد بن موفق بن جعفر العلامة المقرئ الاصولي النحوي ولد سنة خمس
وسبعين وخمسمائة وقرأ بالروايات قبل الستمائة على أبي جعفر الحصار وأبي عبد الله
المرادى وأبي عبد الله بن نوح الغافقي وقدم بمصر فقرأ بها على أبي الجود غياث بن فارس

وبدمشق على التاج بن زيد الكندي وسمع ببغداد من أبي محمد بن الاخير وأخذ العربية
 عن أبي البقاء ولقي الجزولي بالمغرب وسأله عن مسألة مشككة في مقدماته فأجابه وبرع
 في العربية وفي علم الكلام والفلسفة وكان يقرئ ذلك ويحفظه وأقرأ بدمشق ودرس وشرح
 المفصل في النحو في أربع مجلدات فأجاد وأفاد وشرح الجزولية والشاطبية وكان ملج
 الشكل حسن البرة موطأ الاكاف قرأ عليه جماعة وتوفي في سابع رجب سنة ٦٦١. وكان
 معمرًا مشتهرًا بأنواع العلوم وسمي بعضهم أبا القاسم والاول أصح * (ومنهم قاسم
 ابن محمد بن قاسم بن محمد بن سيار أبو محمد من أهل قرطبة وجدته مولى الوليد بن عبد الملك
 رحل فسمع بمصر من محمد بن عبد الله بن عبد الحميد والمزني والبرقي والحارث بن مسكين
 ويونس بن عبد الأعلى وإبراهيم بن المنذر وغيرهم ولزم ابن عبد الحكم للتفقه وتحقق به
 وبالمزني وكان يذهب مذهب الحجة والنظر وترك التقليد ويميل إلى مذهب الشافعي
 ولما قال له ابنه محمد بن القاسم يا أبت أوصني قال أوصيك بكتاب الله فلا تنس حظك
 منه وأقرأ منه كل يوم جزءًا واجعل ذلك عليك واجبًا وإن أردت أن تأخذ من هذا الأمر
 يحفظ يعني الفقه فعليك برأي الشافعي فاني رأيت أنه أقل خطأ قال أبو الوليد بن الفرضي
 ولم يكن بالاندلس مثله في حسن النظر والبصر بالحجة وقال أحمد بن خالد ومحمد بن عمر بن لبابة
 ما رأينا أفقه من قاسم بن محمد فبين دخل الاندلس من أهل الرحلة وقال أسلم بن عبد العزيز
 سمعت عن ابن عبد الحكم أنه قال لم يقدم علينا من الاندلس أحد أعلم من قاسم بن محمد ولقد
 عاتبته في حين انصرافه إلى الاندلس وقلت له أقم عندنا فانك تقعد ههنا رياسة ويحتاج
 الناس اليك فقال لا بد من الوطن وقال سعيد بن عثمان قال لي أحمد بن صالح الكوفي قدم
 علينا من بلادكم رجل يسمى قاسم بن محمد فرأيت رجلا فقيها وألف رحمه الله تعالى كتابا نبلا
 في الرد على ابن مزين وعبد الله بن خالد والعتبي يدل على علمه وله كتاب في خبر الواحد وكان
 يلي وثائق الأمير محمد طول أيامه روى عنه ابن ابابة وابن أيمن والاعناق وابنه محمد بن
 قاسم في آخرين توفي سنة ست أو سبع أو ثمان وسبعين ومائتين رحمه الله تعالى
 * (ومنهم أبو بكر الغساني وهو محمد بن إبراهيم بن أحمد بن أسود من أهل المرية قدم
 إلى مصر ولقي بها أبا بكر الطرطوشي ثم عاد إلى بلده وشور واستقضى بمصرية مدة
 طويلة ثم صرف وسكن مراكش * قال ابن بشكوال توفي بمراكش في رجب سنة
 ٦٣٦ وقال أبو جعفر بن الزبير أن له كتاب تفسير القرآن وبيته بيت علم ودين * (ومنهم
 أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن حيون من أهل وادي الحجارة قال ابن الفرضي سمع من ابن
 وضاح والخشني ونظراهما بالاندلس ورحل إلى المشرق فتردد ههنا لكهوا من خمس عشرة
 سنة وسمع بصنعاء ومكة وبغداد ولقي جماعة من أصحاب الامام أحمد بن حنبل منهم عبد
 الله بن أحمد وسمع بمصر من الخفاف النيسابوري وإبراهيم بن موسى وغيرهما وبالمصينة
 والقبروان وكان أمارا في الحديث عالما حافظا للعلل بصيرا بالطرق ولم يكن بالاندلس
 قبله أبصر بالحديث منه وهو ضابط متقن حسن التوجه للحديث صدوق ولم يذهب
 مذهب مالك ومن روى عنه ابن أيمن وقاسم بن أصبغ ووهب بن مسرة وأحمد بن سعيد

ابن حزم وقال خالد بن سعيد لو كان الصدق لسا قال لكان ابن حيمون وكان يزق بالتشبيع
 لشيء كان يظهر منه في حق معاوية رضي الله تعالى عنه وكان شاعرا وتوفي بقرطبة سنة
 ٣٠٥ هـ رحمه الله تعالى * (وممنهم أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن غالب
 المالقي قال ابن نقطة سمع بالاسكندرية من أبي الحسن بن المقدسي وكان فاضلا رأيت بخطه
 اجازة بمصر لبعض المصريين في رجب سنة ٦٠٤ هـ وسمع بمصر شيئا من الخلعيات قال ابن
 فرتون القاسي في ذيل تاريخ الاندلس روى بمالقة ورحل الى المشرق ورجع واتي أبا الحسن
 علي بن الفضل المقدسي وأخذ عنه كتاب تحقيق الجواب عن أجيزله ما فاته من الكتاب
 من تأليفه ورجع الى الاندلس ثم نهض الى مراكش فتوفي في أقصى بلاد السوس في حدود
 سنة ٦٤٥ هـ رحمه الله تعالى * (وممنهم اليقوري وهو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم مصنف
 كتاب الكمال الاكمال للقاضي عياض على صحيح مسلم وكتب على كتاب الشهاب القرافي
 في الاصول وسمع الحديث وقدم الى مصر ومعه مصحف قرآن جل بغل بعثه ملك المغرب
 ليوقف بمكة ثم عاد بعد حجه ومات بمراكش سنة ٧٠٧ هـ وقدرت قبره مرارا قال الحافظ
 المقرئ واليقوري نسبة الى يقورة بيا آخر الحروف مفتوحة وقاف مشددة وراء
 مهملته بلد بالاندلس انتهى * (وممنهم أبو عبد الله الانصاري وهو محمد بن إبراهيم بن
 موسى بن عبد السلام ويعرف بابن شق الليل من أهل طليطلة سمع بمصر أبا الفرج الصوفي
 وأبا القاسم الطحان الحافظ وأبا محمد بن النحاس وأبا القاسم بن ميسرة وأبا الحسن بن بشر
 وغيرهم وسمع بطليطلة من جماعة وحدث عن جماعة من المحدثين كثيرة * قال ابن
 بشكوال وكان فقيها عالما وامام متكلما حافظا للفقهاء والحديث فأنما به ما متقاهما
 الا أن المعرفة بالحديث وأسماء رجاله والبصر بعانيه وعمله كان أغلب عليه وكان مليح
 الخط جيدا الضبط من أهل الرواية والدراية والمشاركة في العلوم وكان أديبا شاعرا
 مجيدا لغويا دينا فاضلا كثيرا التصانيف والكلام على علم الحديث حلوا الكلام في تأليفه
 وله عناية باصول الديانات واطهار الكرامات توفي بطليطلة يوم الجمعة منتصفا شعبان
 سنة ٤٥٥ هـ رحمه الله تعالى * (وممنهم الشيخ الامام الشهير الكبير الولي العارف بالله
 سيدي أبو عبد الله القرشي الهاشمي الاندلسي شيخ السالكين وامام العارفين
 وقدوة المحققين قدم مصر بعد ما صاحب بلاد المغرب جماعة من أعلام الزهاد وكان يقول
 صحبت ستمائة شيخ اقتديت منهم بأربعة الشيخ أبو الربيع والشيخ أبو الحسن بن
 طريف والشيخ أبو زيد القرطبي والشيخ أبو العباس الجوزي وسلك على يده جماعة منهم
 الشيخ أبو العباس القسطلاني فانه أخذ عنه كلامه وجمعه في جزء وخرج سيدي
 أبو عبد الله القرشي من مصر الى بيت المقدس فأقام به الى حين وفاته عشية الخميس
 السادس من ذي الحجة سنة ٥٩٩ هـ عن خمس وخمسين سنة ودفن هناك وقبره ظاهر
 يقصد للزيارة زرته أول قدماني على بيت المقدس سنة ١٠٣٨ هـ ومن كلامه من لم يدخل
 في الامور بلطف الادب لم يدرك مطلوبه منها وقوله العاقل يأخذ ما صفا ويدع التكلف فانه
 تعالى يقول وان يردك بخير فلا راد لفضله وقال من لم يراع حقوق الاخوان بترك حقوقه

حرم بركة الصحبة وقال سمعت الشيخ أبا إسحق إبراهيم بن طريف يقول لما حضرت الشيخ
أبا الحسن بن غالب الوفاة قال لأصحابه اجتمعوا واهلوا سبعين ألف مرة واجعلوا ثوابها لي
فانه يلغني انها فداء كل مؤمن من النار قال فعملناها واجتمعنا عليها وجعلنا ثوابها له
ثم حكى عن شيخه أبي زيد القسري ما حكاه السنوسي عنه في أوخر شرح صغراه وقد
أذكر غير واحد من الحفاظ كابن حجر وغيره كونه ما ذكر حديثا وعلل هؤلاء أخذوه من
جهة الكشف ونحوه والله تعالى أعلم وقال رحمه الله تعالى دخلت على الشيخ أبي محمد عبد
الله المغاوري فقال لي أعلمك شيئا نستعين به اذا احتجت لشيء فقل يا واحد يا أحد يا واحد
يا جواد انفعنا منك بنفحة خير انك على كل شيء قدير قال فأنا أتفق منها منذ سمعتها وقال
رحمه الله تعالى ما من حال ذكر في رسالة القشيري الا وقد شاهدته نفسي وترجى رحمه الله
تعالى بنساء حدثن عنه بكرامات ومنهن أم القطب القسطلاني وحكت انها خرجت عنه
يوما لحاجتها ثم عادت فسمعت عنده في طبقة حس رجل فتوقفت وتفتقد الباب فوجدته
مغلقا فلما انقطع الكلام دخلت اليه فاذا هو وحده كما تركته وسألته عن ذلك فقال هو
الحضر دخل علي وفي يده حبة فقال هذه حيتك جنتك بها من أرض نجد وفيها شفاء مرضك
فقلت لا أريد اذهب أنت وحيتك لا حاجة لي بها ودخل عليه بعض نسائه يوما فوجدته
بصرانتي الجسم من الجذام فلما نظرتة قال لها أتريدن أبقى لك هكذا فقالت له يا سيدي كن
كيف شئت انما مقصودي خدمتك وبركتك وقيل له وقد تكاثرت منه رؤية الاشياء
واخباره بها مع كونه ضمريرا عن ذلك فقال كل أعين بأى عضو أردت أن أنظر به نظرت
وقال هممت أن أدع ويرفع الغلاء فقبل لي لاتدع فما سمع لاحد منكم في هذا الامر دعاه
فسافرت الى الشام فلما وصلت الى بلد الخليل عليه السلام تلقاني رسول الله الخليل حين
ورودي عليه فقلت يا رسول الله اجعل ضيافتي عندك أهل مصر فدعاهم ففرج عنهم
ومناقبه رحمه الله تعالى وكراماته لا يفي بها هذا المختصر وانما قصدنا بذكر البركة وكفارة
ما وقع في هذا الكتاب من الاحماض والله المرجو في العفو * ومن فوائد ما نقله عن
شيخه أبي الربيع المالقي أنه قال ألا أعلمك كثيرا تنفق منه ولا ينقد قلت بلى قال قل يا الله
يا أحد يا واحد يا موجود يا جواد يا باسط يا كريم يا وهاب يا ذا الطول يا غني
يا مغني يا فتاح يا رزاق يا عليم يا حي يا قيوم يا رحمن يا رحيم يا بديع السموات
والارض يا ذا الجلال والاکرام يا حنان يا منان انفعني منك بنفحة خير تغنيني بها عن سواك
ان تستفتحوا فتدجاءكم الفتح ان افتحنا لك فتحا مبينا نصر من الله وفتح قريب اللهم يا غني
يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود يا ذا العرش المجيد يا فعالا لما يريد اكفني بجلالك
عن حرامك وأغنني بفضلك عن سواك واحفظني بما حفظت به الذكر الحكيم وانصرني
بما نصرت به الرسل انك على كل شيء قدير فمن داوم على قراءته بعد كل صلاة خصوصا صلاة
الجمعة حفظه الله تعالى من كل مخوف ونصره على أعدائه وأغناؤه ورزقه من حيث لا يحتسب
ويسر عليه معيشته وتضي عنه دينه ولو كان عليه أمثال الجبال دينا بكرمه واحسانه
اتهى نقله عنه العلامة ابن داود البلوري الاندلسي ومن خطه نقلت رحمه الله تعالى

الجميع ونقله اليافعي - كما ذكره الله تعالى الا أنه لم يقل فيه ياودود واتفقوا فيما عدا ذلك والله سبحانه أعلم * وقال ابن خلكان في حقه محمد بن أحمد بن ابراهيم القرشي الهاشمي - العبد الصالح الزاهد من أهل الجزيرة الخضراء كانت له كرامات ظاهرة ورأيت أهل مصر يحكون عنه أشياء خارقة واقبت جماعة من صحبه وكل منهم يثني عليه من بركته وذكروا عنه أنه وعد جماعة الذين يحبوه مواعيد من الولايات والمناصب العلية وأنها صحت كلها وكان من السادات الاكابر والطرار الاول وهو مغربي - صحب بالمغرب اعلام الزهاد واتفق بهم فلما وصل الى مصر اتفق به من صحبه أو شاهد ثم سافر الى الشام قاصدا زيارة بيت المقدس وأقام بها الى ان مات وصلى عليه بالمسجد الاقصى وهو ابن خمس وخمسين سنة وقبره ظاهر للزيارة والتبرك * والجزيرة الخضراء في بلاد الاندلس مدينة تقابل سبتة من بر العدو ومن جلة وصاياه لاصحابه سيروا الى الله تعالى عرجا ومكاسير فان انتظار الصحة بطالة انتهى ببعض اختصار * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن علي - بن الحسين بن أبي الحسين القرطبي - سمع من قاسم بن أصبغ وغيره وقدم مصر فسمع به من ابن الورد وابن أبي الموال والبارودي وابن السكن في آخرين وسمع بالرولة وبيت المقدس وكان ضابطا بصيرا بالنحو واللغة فصيحيا بليغا طويلا اللسان ولي الشرطة ببلاد المغرب توفي سنة ٣٧٣ * (ومنهم أبو بكر الجبائي - محمد بن علي - بن خلف التجيبي - الاشيلي - الحافظ الكاتب روى عن ابن الجند وغيره ومترجم مصر حافلي بمكة أبا حفص الميانشي - وأبا الحسن المكاني - ولقي بالاسكندرية السلق - وابن عوف وغيرهما وكان مدرسا للفقهاء فقيها جليلا متقدما فيه عارفا فاضلا سنيا توفي بعد امتحان من منصور ابن عبد المؤمن سنة ٥٩٦ وذلك انه وثني به للمنصور أيام عزم على ترك التقليد والعمل بالحديث * (ومنهم أبو بكر الاندلسي - الجبائي - محمد بن علي - بن عبد الله بن محمد بن ياسر الانصاري - سافر من بلده ودخل ديار مصر والشام والعراق وخراسان وما وراء النهر ولقي أئمتها وتفقه بخاري حتى تهرق في المذهب والخلاف والجدل ثم اشتغل بالحديث وسماعه وحفظه وحصل منه كثيرا ثم سكن بلخ مدة وعاد الى بغداد ودخلها سنة ٥٥٩ وتوجه الى مكة فخرج ورجع الى الشام واستوطن حلب الى ان توفي بها ووقف كتبه وكان متدينا صدوقا حافظا عالما بالحديث وفيه فضل ولديجيان سنة ٤٩٢ ومات بحلب سنة ٥٦٣ * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن علي - التجيبي - الدهان الفرناطي - كان حسن السميت بارعا الخط والخلق والخلق رحل الى الحج وجال في البلاد في حدود سنة ست وستمائة فأخذ بمكة والشام ومصر والاسكندرية عن جماعة كثيرة وكان عدلا فاضلا على خيرودين وكان متحرقا بالتجارة بفرناطة ثم خرج منها آخر عمره فمات بقوص بعد ما حج سنة ٦٥٠ وصدر من مكة سنة ٦٥٣ فمات قبل منتصف السنة رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو عمر محمد بن علي - بن محمد بن أبي الربيع القرشي - العثماني - الاندلسي - الاشيلي - النحوي - ولد سنة ٦١٧ بأشبيلية وقدم مصر فسمع الكثير بها وبدمشق وغيرها وكان اماما عالما فنويا فاضلا كتب عنه أبو محمد الدمياطي والقطب عبد الكريم وناهيك بهما علما * (ومنهم أبو بكر بن عبد الله محمد بن علي

ابن محمد بن علي بن علي بن هذيل البلتسي رحل وسمع من السلفي وج قال أبو الربيع
ابن سالم هو شيخ صدوق متيقظ سمع أباه وأبا الوليد بن الدباغ وأبا الحسن بن طارق بن موسى
ابن يعين وجماعة وأخذ بكة سنة ٥٣٩ عن أبي علي الحسن المقرئ وقفل إلى الأندلس
سنة ٥٤٦ فأخذ عنه بها وسمع منه جماعة قال ابن الأبار كان غاية في الصلاح وأعمال
البر والورع توفي بيهض قرى بلبسية سنة ٥٤٨ ومولده سنة سبع أو تسع عشرة
وخمسائة وله حظ من علم التعبير واللغة رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو عبد الله ويقال
أبو سلمة محمد بن علي البياضي الغرناطي الأنصاري ناصر الدين روى عن الحافظ أبي
جعفر بن الزبير وغيره وقدم إلى القاهرة واستوطنها بعد الحج حتى مات بها سنة ٧٠٣
وكان عارفا بعلم الحديث وكتب منه كثيرا ومال إلى مذهب الظاهرية وانتفع به جماعة
من طلبة الحديث وكان ثقة رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن علي بن يحيى
ابن علي الشامي الأندلسي الغرناطي قدم مصر حاجا وأقام بكة والمدينة وكان أستاذا
فاضلا عالما متفنا في علوم ما بين فقه وأصول ونحو ولغة وقراآت ونظم ونثر وجمع معرفته
بمذهب مالك ينقل كثيرا من مذهب الشافعي وسمع الموطأ بتونس من أبي محمد بن هرون
القرطبي ومولده بغرناطة سنة ٦٧١ وتوفي سنة ٧١٥ ومن شعره رضي الله تعالى عنه
إذا كنت جارا للذي وصي به * ومكة بيت الله نبي علي قرب
فأضرتني إن فاتني رعد عيشة * وحسبي الذي أوتيته نعمة حسبي

وقوله

نزىل الكرام عزيز الجوار * وأنى نزىل عليكم وجار
حالت ذرا لثأنت الكريم * ومن حل مشوى كريم يجار

* (ومنهم أبو عبد الله محمد بن عمار الكلاعي الميورقي قدم مصر وروى عن ابن الوليد
بها وكان عالما وله قصيدة طويلة فيها حكم ومواعظ يوصي ابنه بها منها قوله
وطاعة من إليه الأمر فالزم * وإن جاروا وكانوا مسلمينا
فان كفروا فكفروا عبيد * فلا تسكن ديار الكافرينا

واسم ابنه حسن وسمع من المذكور الحافظ القاضي أبو بكر بن العربي في رحلته سنة
٤٨٥ ووصفه بالعلم وعمار بالراء * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن عمر بن يوسف بن الفخار
القرطبي الحافظ روى عن عيسى الليثي وابن عون الله وأبي جعفر التميمي وأبي محمد
الباجي وقدم مصر وجو جاور بالمدينة النبوية على ساكنها الصلاة والسلام وافق بها
وافتحرب ذلك على أصحابه وقال لقد شورت بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم دار مالك بن
أنس ومكان شورا ولقي جماعة من العلماء وأخذ عنهم وكان من أهل العلم والذكاء
والحفظ والفهم عارفا بآداب الأئمة وأقوال العلماء ذاكر الروايات يحفظ المدونة والنوادر
لابن أبي زيد ويوردها من صدره دون كتاب قال ابن حبان مؤرخ الأندلس توفي الفقيه
المشاور الحافظ المستبحر الرواية الطويل الهجرة في طلب العلم الناسك المتقشف بمدينة
بلنسية في ربيع الأول سنة ٤١٧ لعشر خيلون من الشهر وكان الحفل في جنازته

عظيما وعان الناس فيها آية من ظهور أشباه الخطاطيف بها تجلت الجمع رافة فوق
 النعش لم تفارق نعشه الى أن ووري قفرت ومكث مدة يلقب مطاعا عظيم القدر عند
 السلطان والعاقة وذكر جاهر بن عبد الرحمن حديث الطير وكذا ذكر الحسن بن محمد
 القيسي خبر الطير قال وكان سنة ثمانين سنة وكان مجاب الدعوة وظهرت في دعوته
 الاجابة وقال أبو عمرو الداني ان وفاته يوم السبت لسبع خلون من شهر ربيع الاول سنة
 تسع عشرة ودفن يوم الاحد بمدينة بنسبية وبلغ نحو ست وسبعين سنة وهو آخر
 الفقهاء الحفاظ الراشدين العامين بالكتاب والسنة بالاندلس رحمه الله تعالى
 * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن عمرو بن القرطبي سمع على ابن مفرح وغيره من شيوخ قرطبة
 وقدم مصر فاخذ بها عن ابن المهندس وغيره ورجع ودخل العراق وسمع من أبي بكر اليماني
 والدارقطني وجماعة وعاد الى الاندلس وشهر بالعلم والمال وولي الاحباس بقرطبة حدث
 عنه أبو عمرو بن عبد البر وغيره ومات في جمادى الآخرة سنة أربع مائة رحمه الله تعالى
 * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن عيسى بن عبد الواحد بن شجاع المغافري المعروف بالاعشى
 القرطبي رحل سنة ١٧٩ فسمع سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح ويحيى بن
 سعيد القطان وعبد الله بن وهب وجماعة وكان الغالب عليه الحديث ورواية الآثار
 وكان صالحا عاقلا سريعا جوادا يذهب الى مذهب أهل العراق وتوفي سنة ٢٤١
 ذكره ابن يونس وغيره * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن فطيس الغافقي الالبيري الزاهد قال
 الحميدي في حقه هو من أهل الحديث والحفظ والفهم والبحث عن الرجال وله رحلة سمع
 فيها من محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ومن ابن وهب ابن أخي عبد الله بن وهب وغيرهما
 وروى بالاندلس عن جماعة منهم بقى بن مخلد وابن وضاح وسمع بمكة وغيرها من مائة شيخ
 قال ابن القرضي كان شيخا نبلا ضابطا لكتبه ثقة في روايته صدوقا في حديثه وكانت
 الرحلة اليه بالبصرة وبها مات في شوال سنة ٣٤٩ وهو ابن تسعين سنة رحمه الله تعالى
 * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن سيار القرطبي من موالى بني
 أمية سمع من أبيه ومن بقى بن مخلد وغيره ورحل سنة ٢٩٤ فسمع بمصر من النسائي ومن
 أحمد بن حنبل وجماعة وسمع بمكة والبصرة والكوفة وبغداد ودمياط والاسكندرية والقبروان
 من مائة وستين رجلا قال أبو محمد الباجي لم أدرك بقرطبة أكثر حديثا منه وكان عالما بالغة
 متقدما في علم الوثائق رأسا فيها وكان مشاورا سمع من الناس كثيرا وكان ثقة صدوقا وغزا
 سنة ٣٢٧ ومات ثالث الحجّة منها ومولده سنة ٢٦٣ وقيل توفي سنة ٣٢٨
 قاله ابن يونس والحميدي * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن قاسم القرشي الفهري عرف بابن
 رمان الغرناطي قرأ على أبي جعفر بن الزبير بها وقدم الى القاهرة سنة ٧٢٢ ومات
 بالمدينة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام سنة ٧٢٩ ومن شعره قوله

فديتم خبروني كيف صحت * فريضة هالك من غير مين
 لزيد زوجة ولها ابن أم * فأتت عنهما لا غير دين
 فحاز البعل ما تركته أرثا * وولي غيره صفر اليدين

ولارق قديت على أخيها * وليس بكافر يرمي بشين
وليس مجحلا اوثا يقتل * مخافة أن ينال شقاوتين

* (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أبي الشاطبي - حدث بالقاهرة وتوفي قريبا من سنة ٦٤٠
وهو أحد أصحاب الشيخ أبي الحسن بن الصباغ ومن كلامه اشتهر بالك بوقت لم يأت
تضييع للوقت الذي أنت فيه وإعمرى لقد صدق * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن سراقه
الشاطبي - بن محمد بن إبراهيم بن الحسين بن سراقه محي الدين ويكنى أيضا بالقاسم وأبا
بكر الانصاري - الشاطبي - المالكي - ولد بشاطبة سنة ٥٩٢ وسمع من أبي القاسم
ابن بتي - ورحل في طلب الحديث فسمع ببغداد من الشيخ أبي حفص عمر السمرودي
وأبي طالب الغبيطي - وأبي جعفر الديتوري - وجاعة وسمع بحلب من ابن شداد وغيره
وتولى مشيخة دار الحديث الكاملة بالقاهرة بعد وفاة ابن سهل القصري - سنة ٦٤٢
وبقي بها إلى أن توفي بالقاهرة في شعبان سنة ٦٦٣ ودفن بسفح المقطم وكان الجمع كبيرا
وهو أحد الأئمة المشهورين بغزارة الفضل وكثرة العلم والجلالة والنبيل وأحد مشايخ
الصوفية له في ذلك اشارات لطيفة مع الدين والعفاف والبشر والوقار والمعرفة الجيدة
بمعاني الشعور وكان صالح الفكرة في حل التراجم مع ما جيل عليه من كرم الاخلاق واطراح
التكليف ورقة الطبع واين الجانب ومن شعره قوله

نصبت ومنى للمكارم ينصب * ورمت شروق الشمس وهي تغرب
وحاولت احياء النفوس بأسرها * وقد غرغرت يا بعد ما أنا أطلب
وأتعب ان لم تخ الخلق راحة * وغيرى ان لم تتعب الخلق تعب
مرادى ثنى والمقادير غيره * ومن عائد الاقدار لاشك بغلب

وقوله

الى كم أمني النفس ما لا تناله * فيذهب عمري والاماني لا تقضى
وقدمتلى خمس وعشرون حجة * ولم أرض فيها عيشتي فنى أرضى
وأعلم أنى والثلاثون مدنى * حرجى انى اللهو أو سعيها رفضا
فإذا عسى في هذه الخمس أرتجى * ووجدى الى أوب من العشر قد أفنى
فيا رب عجل لى حياة لذبة * والافباد ربى الى العمل الأرضى

وقال رحمه الله تعالى

وصاحب كالزال يعو * صفاؤه الشك باليقين
لم يحص الا الجليل منى * كانه كاتب اليمين

وهذا عكس قول المنازى

وصاحب خلته خليلا * وما جرى غدره يبالى
لم يحص الا القبيح منى * كانه كاتب الشمال

* (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد الفريشى بكسر الفاء وتشديد الراء المهملة بعدها شين
مجهة نسبة الى فريش إحدى مدائن قرطبة ولد بغرناطة سنة ٥٥٧ وقرأ بالروايات على

أبي القاسم بن غالب وسمع عليه وعلى أبي القاسم بن بشير كروال وغيره وسمع بمكة وحدث
بمصر وعاد إلى الأندلس فمات بقرطبة سنة ٦٣٣ وكان مشهوراً بالصلاح معروفاً بإجابة
الدعاء ورعاية زاهداً فاضلاً رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن محمد بن خيرو
وقيل محمد بن عمر بن خيرو أنديسي سكن القيروان رحل إلى المشرق وأخذ القراءات بمصر
عن محمد بن سعيد الأنماطي وغيره كعبد الله بن رجا وأبي الحسن بن اسمعيل بن يعقوب
الازرق المدني ودخل العراق وسمع به من أصحاب علي بن المدني ويحيى بن معين وعاد إلى
القيروان وسمع بها وبقربطبة وقدم بقراءة نافع على أهل إفريقية وكان الغالب على قراءتهم
حرف حمزة ولم يكن يقرأ بحرف نافع إلا الخواص حتى قدم بها فاجتمع إليه الناس ورحل
إليه أهل القيروان من الآفاق وكان يأخذ أخذاً شديداً على مذهب المشيخة من
أصحاب ورش وتوفي بشعبان سنة ٣٥٦ وكان رجلاً صالحاً فاضلاً كريماً الأخلاق أماً
في القراءات مشهوراً بذلك ثقة مأموناً واحداً أهل زمانه وأثبتهم في علم القرآن رحمه الله تعالى
* (ومنهم ضياء الدين أبو جعفر محمد بن محمد بن صابر بن بندار القيسي الأندلسي الملقب
ولده بالقة سنة ٦٢٥ وسمع الكثير وقدم القاهرة حاجاً فسمع بها وبعث مشق وكتب بخطه
كثيراً وكان سريع الكتابة سريع القراءة كثير الفوائد ديناً خيراً فاضلاً له مشاركة
جيدة في عدة علوم توفي شأباً بالقاهرة سنة ٦٦٢ رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو بكر
محمد الزهري المعروف بابن محرز البلسي ولد به سنة ٥٢٩ وقدم مصر فسمع ابن الفضل
وغيره وروى عنه جماعة وكان أحد رجال الكمال علماً وادراكاً وفصاحة وحفظاً للفقه
وتفناً في العلوم ومسانة في الأدب حافظاً للغة والغريب وله شعر رائق ودين متين
وأخذ الناس عنه يلبده وجرسية واشيلية ومالقة وغرناطة في اجتيازها عليها وبغيرها من
البلاد وعلاصيته وعرف بالدين والعلم والفضل وكان أبو الخطاب يثنى على علمه ودينه
توفي بجاية سنة ٦٥٥ عن سن عالية رحمه الله تعالى * (ومن الراحلين من الأندلس إلى
المشرق) * القاضي أبو الوليد الباجي صاحب التصانيف المشهورة وقال ابن ماكولا
في حقه أنه فقيه متكلم أديب شاعر سمع بالعراق ودرس وصنف إلى أن مات وكان
جليلاً رفيعاً القدر وخالطه وقال غير واحد أنه ولد سنة ٤٠٣ وارتحل سنة ٤٢٦ وجاور
ثلاثة أعوام ملازماً لأبي ذر الحافظ يخدمه ورحل إلى بغداد ودمشق ولقي في رحلته غير
واحد وتفقه بالقاضي أبي الطيب الطبري وغيره وقال أبو علي بن سكرة ما رأيت مثل
أبي الوليد الباجي وما رأيت أحداً على هيئته وسمته وتوقير مجلسه ولما كنت ببغداد قدم
ولده أبو القاسم فسمرت معه إلى شيخنا قاضي القضاة الشاشي فقلت له أدام الله تعالى عزك
هذا ابن شيخ الأندلس فقال له ابن الباجي فقلت نعم فأقبل عليه قال القاضي عياض
وكررت القالة في القاضي أبي الوليد لما دخلته الرؤساء وولى قضاءً أما كن تصغر عن قدره
وكان يبعث إلى تلك النواحي خلفاءه وربما أتاه المزة ونحوها وكان في أول أمره مقلاً
حتى احتاج إلى القصد بشعره واستأجر نفسه مدة مقامه ببغداد فيما سمعته من مستضيض
لحراسة درب وقد جمع ابنه شعره قال ولما قدم الأندلس وجد لكلام ابن حزم طلاوة الآنة

كان خارجا عن المذهب ولم يكن بالاندلس من يشتغل بعلمه فقصرت السنة الفقهاء عن مجادلته وكلامه واتبعوه على رأيه جماعة من أهل الجهل وحل بجزيرة ميورقة فرأس فيها واتبعوه أهلها فلما قدم أبو الوليد كلموه في ذلك فدخل اليه وناظره وشهرا بطله وله معه مجالس كثيرة ولما تسكلم أبو الوليد في حديث الكتابة يوم الحديبية الذي في البخارى قال بظاهر لفظه فأنكر عليه الققيه أبو بكر الصائغ وكفروه باجازه الكتب على الرسول الامي صلى الله عليه وسلم وأنه تكذيب للقرآن فتسكلم في ذلك من لم يفهم الكلام حتى أناروا عليه الفتنة وقبحوا عليه عند العامة ما أتى به وتسكلم به خطباؤهم في الجمع وقال شاعرهم

برئت من شري دنيا بآخرة * وقال ان رسول الله قد كتب

فصنف أبو الوليد رحمه الله تعالى رسالة بين فيها أن ذلك غير قادح في المعجزة فرجع بها جماعة اذ ليس من عرف أن يكتب اسمه فقط بخارج عن كونه أميالا انه لا يسمى كاتباً وجماعة من المولود قد أدمنوا على كتابة العلامة وهم أميون والحكم للغالب لا للصورة النادرة وقد قال عليه الصلاة والسلام انا أمة أميون أي أكثرهم كذلك لندور الكتابة في الصحابة وقال تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم انتهى وبعضه بالمعنى وذكر ابن بسام ان أبا الوليد الباجي نشأ وهمته في العلم وأنه بدأ بالادب فبرز في ميادينه وجعل الشعر بضاعته فقال به من كل الرغائب ثم رحل فحاصل بلدا الا وجاهد ملائكة ذكره نشوان من قهوق نظمته ونثره فقال الى علم الديانة فشى بقياس وبني على أساس حتى صار كثير من العلماء يسمعون منه ويرتادون للاخذ عنه ثم كثر واستتفى في طريقه بحجاب فأقام بها نحو من عام قال وبلغني عن ابن حزم انه كان يقول لو لم يكن لأصحاب المذهب المالكي بعد عبد الوهاب الامثل أبي الوليد الباجي لكفاهم وصنف أبو الوليد كتبا كثيرة منها كتاب التسييد الى معرفة التوحيد وكتاب سنن المنهاج وترتيب الحاج وكتاب أحكام الفصول في أحكام الأصول وكتاب التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الصحيح وكتاب شرح الموطا وهو نسختان نسخة سماها الاستيفاء ثم اتقى منها فوائد سماها المنتقى في سبع مجلدات وهو أحسن كتاب ألف في مذهب مالك لانه شرح فيه أحاديث الموطا وفرع عليها فقر بها حسنا وأفرد منه شيئا سماه الايماء وقال بعضهم انه صنف كتاب المعاني في شرح الموطا فجاء عشرين مجلدا عديم النظمير وكان أيضا صنف كتابا كبيرا جامع بلغ فيه الغاية سماه الاستيفاء وله كتاب الايماء في الفقه خمس مجلدات انتهى ومن تصانيفه مختصر المختصر في مسائل المدونة وله كتاب اختلاف الموطات وكتاب الاشارة في أصول الفقه وكتاب الحدود وكتاب سنن الصالحين وكتاب التفسير لم يتسمه وكتاب شرح المنهاج وكتاب التبيين لمسائل المهتدين في اختصار فرق الفقهاء وكتاب السراج في الخلاف ولم يتم وغير ذلك ورحم الله تعالى أربع حجج جاور في ثلاثة أعوام ملازم لابن ذر بن أحمد الهروي وكان يسافر معه للسروات لان أبا ذر تروج من العرب وسكن بها وأبو ذر المذكي هو عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عفير الانصاري المالكي ويعرف بابن السمال سمع به راوية وسرخس وبلغ وهو

والبصرة وبغداد ودمشق ومصر وجاور بمكة وألف مجمل الشيوخ وعمل الصحيح وصنف
التصانيف قال الخطيب قدم أبو ذر بغداداً وأنا غائب فحدث بها ثم حج وجاور ثم تزوج
في العرب وسكن السروات وكان يحج كل عام ويحدث ثم يرجع وكان ثقة ضابطاً ديناً وقال
الحسن بن بقی "المالکي" حدثني شيخ قال قيل لأبي ذر من أين تذهب بمذهب مالك ورأى
الاشعري مع أنك هروزي فقال قدمت بغداد وكنت ماشياً مع الدارقطني فلقيننا أبا بكر
ابن الطيب فالتزمه الدارقطني وقبل وجهه وعينه فلما افترقنا قلت من هذا قال هذا امام
المسلمين والذاب عن الدين القاضي أبو بكر بن الطيب فمن ذلك الوقت تكثرت اليه وتذهب
بمذهبه انتهى قلت هذا صريح في أن القاضي أبا بكر الباقلاني مالكي وهو الذي جزم
به غير واحد ولذا ذكره عياض في المدارك في جملة المالكية وكذلك شيخ السنة الامام
أبو الحسن الاشعري مالكي المذهب فمأذ كرم غير واحد من الائمة وذكر بعض الشافعية
انهم ما شافعيان والله تعالى أعلم * وقال عبد الغافر في تاريخ نيسابور كان أبو ذر زاهداً
ورعاً عالماً خالياً لا يتخرشياً وصار كبير مشيخة الحرم مشاراً اليه في التصوف خرج على
الصحيح تخريجاً حسناً وكان حافظاً كثيراً للشيوخ توفي سنة ٤٣٥ وقال أبو علي بن
سكرة توفي عقب شوال سنة ٤٣٤ وقال الخطيب في ذي القعدة من سنة أربع وثلاثين
رحمه الله تعالى وأكثر نسخ البخاري الصحيحة بالمغرب اماماً من رواية البابي عن أبي ذر
عبد بن أحمد الهروي المذکور واماماً من رواية أبي علي الصدفي الشهير المعروف بابن
سكرة بسنده واعلم أن هراة المنسوب اليها الحافظ أبو ذر ليست بهراة التي وراء النهر نظيرة
بلخ وانما هي هراة بني شيمانة بالجزاز وبها كان سكنى أبي ذر والله تعالى أعلم * (رجع الى
القاضي أبي الوليد البابي رحمه الله تعالى) ثم انه أعنى البابي قدم بغداداً وأقام بها ثلاثة
أعوام يدرس الفقه ويقرأ الحديث فلقى به عدة من العلماء كابي الطيب الطبري والامام
الشهير أبي اسحق الشيرازي والصمري وابن عمرو المالكي وأقام بالموصل سنة مع أبي
جعفر السمناني يأخذ عنه علم الكلام فبرع في الحديث وعلمه ورجاله وفي الفقه وغوامضه
وخلافه وفي الكلام ومضايقه وتدريج مع الحافظ أبي بكر الخطيب البغدادي بحيث
روى كل واحد منهم ما عن الآخر رضي الله تعالى عنهم ما ونفع بهما ورجع الى الاندلس بعد
ثلاث عشرة سنة بعلم جتم حله مع الفقر والتعفف ومما يفخر به انه روى عنه حافظ المغرب
والمشرق أبو عمر بن عبد البر والخطيب أبو بكر بن ثابت البغدادي وماهيك بهما وهما
أسبق منه وأكبر وأبو عبد الله الحميدي وعلي بن عبد الله الصقلي وأحمد بن علي
ابن غزلون وأبو بكر الطرطوشي وأبو علي بن الحسين السبتي وأبو جعفر سفيان بن العاصي
ومن روى عنه ابنه أبو القاسم أحمد وكان لما رجع الى الاندلس فساء علمه وتبأت الدنيا له
وعظم جاهه وأجزأت له الصلوات فبات عن مال وافر وترسل للملوك وولي القضاء بعدة
مواضع رحمه الله تعالى * وأما ما تقدم عن القاضي أبي الوليد البابي من اجراء حديث
الكتاب على ظاهره فهو قول بعض الصواب خلافه قال القاضي أبو الفضل عياض
حدثنا محمد بن علي المعروف بابن الصقل الشاطبي من لفظه قال حدثني أبو الحسن

ابن مفوز قال كان أبو محمد بن أحمد بن الحاج الهواري من أهل جزيرة شقرون لازم الباجي وتفقه عنده وكان يعيل إلى مذهب الباجي في جواز مباشرة النبي صلى الله عليه وسلم بيده في حديث المقاضاة في الحديبية على ما جاء في ظاهر بعض رواياته ويعجب به وكنت أنكر ذلك عليه فلما كان بعد برهة أتاني زائر على عادته وأعلمني أن رجلا من اخوانه كان يرى في النوم أنه بالمدينة وأنه يدخل المسجد فيرى قبر النبي صلى الله عليه وسلم أمامه فتحدث له فتعريرة وهيبة عظيمة ثم يراه ينشق ويمجد ولا يستقر فيعتربه منه فزع عظيم وسألني عن عبارة رؤياه فقلت أخشى على صاحب هذا المنام أن يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير صفته أو ينتحل له ما ليس له بأصل أوله يفترى عليه فسألني بالله من أين قلت هذا قلت له من قول الله عز وجل تكاد السموات يتفطرن منه إلى قوله تعالى ولدا فقال لي لله درك يا سيدي وأقبل يقبل رأسي وبين عيني ويكي مرة ويضحك أخرى ثم قال لي أنا صاحب الرؤيا واسمع تمامها يشهدك بحجة تأويلك قال انه لما رأيته في ذلك الفزع العظيم كنت أقول والله ما هذا الا أني أقول وأعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب فكنت أبكي وأقول أنا نائب يا رسول الله وأكرر ذلك مرارا فأرى القبر قد عاد إلى هيأته أولا وسكن فاستيقظت ثم قال لي وأنا أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كتب قط حرفا وعليه ألقى الله تعالى فقلت الحمد لله الذي أراك البرهان فاشكره كثيرا انتهى وقال ابن الأبار حدثني بهذه الحكاية أبو الربيع بن سالم بقراءتي عليه عن الكاتب أبي بكر عبد الرحمن بن مغاور قراءة عليه عن القاضي أبي جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن جعفر عن أبي الحسن طاهر بن مفوز قال كان أبو محمد دلي آخرها وهي أتم من هذه انتهى * (رجع إلى الباجي ذكر أبو العرب عبد الوهاب البقشاني بسنده إلى القاضي أبي الوليد الباجي انه كان يقول وقد ذكرت له صحبة السلطان لولا السلطان لنقلني الذر من النطل إلى الشمس أو ما هذا معناه انتهى * (ومن فوائد الباجي انه حكى أن الطلبة كانوا يتناوبون مجلس أبي علي البغدادي واتفق أنه كان يوما مطروا وحل فلم يحضر من الطلبة سوى واحد فلما رأى الشيخ حرصه على الاشتغال واتباعه في تلك الحال أنشده

دبت للمجد والساعون قد بلغوا * حذا النفوس وألقوا دونه الأزرا
وكابدوا المجد حتى ملأ أكثرهم * وعانقوا المجد من وافي ومن صبرا
لا تحسب المجد تمرا أنت آكله * لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا انتهى
وروى عن القاضي أبي الوليد الباجي رحمه الله تعالى الخطيب البغدادي قوله رحمه الله تعالى

إذا كنت أعلم علم اليقين * بأن جميع حياتي كساعة
فلم لا أكون ضيناها * وأجعلها في صلاح وطماعة

وقد ذكرناهما فيما يأتي قريبا من كلام الفتح لكوثرنا قلنا كلامه بلفظه رحمه الله تعالى ورضي عنه وقال في القلائد في حق الباجي رحمه الله تعالى ما صورته بدر العلوم اللائح وقطرها الغادي الرائح وثبرها الذي لا يزحم ومنيرها الذي ينجلي به ليالها الأسهم كان

اسام الاندلس الذي تقببس أنواره وتنجع تجوده وأغواره رحل الى المشرق فعكف
على الطلب ساهرا وقطف من العلم أزاهرا وتفنن في اقتنائه وثنى اليه عنان اعتنائه
حتى غدا عساؤه الوطاب وعاد يلج طلبه الى الارطاب فذكر الى الاندلس بحرا لا تخاض
لججه وبجرا لا يطمس منهجه فتهادته الدول وتلقته الخيل والحول وانتقل من حجر الى
ناظر وتبدل من يانع بناضر ثم استدعاه المقتدر بالله فصار اليه مرتاحا وبدأ يافقه
ملتاحا وهناك ظهرت تواليقه وأوضاعه وبدأ وحده في سبيل الهدى وايضاعه وكان
المقتدر يباهي بالحماسة الى سلطانه وايشاره لحضرته باستيطانه ويحتفل فيما يرتبه له
ويجربه وينزله في مكانه متى كان يوافيه وكان له نظم يوقف على ذاته ولا يصرفه في رقت
القول وبذاته (فن ذلك قوله في معنى الزهد

إذا كنت أعلم علم اليقين * بأن جميع حياتي كساعة
فلم لا أكون ضئيلا بها * وأجعلها في صلاح وطاعة

وله يرثي ابنه وماتا مقتربين وغربا كوكبين وكانا ناظري الدهر وساحري النظم
والنثر

رعى الله قبرين استكانا يلبدة * هما اسكاهما في السواد من القلب
لئن غيبا عن ناظري وتبوأ * فوادي لقد زاد التباعد في القرب
يقتر بعيني أن أزور ترأهما * وألصق مكنون الترائب بالترب
وأبكي وأبكي ساكنا بها العلى * سأنجد من صعب وأسعد من صعب
فما ساعدت ورق الحمام أخا أمي * ولا روت ربح الصبا عن أخي كرب
ولا استعذبت عيناى بعدهما كرى * ولا نظمت نفسي الى البارد العذب
أحن ويثني اليأس نفسي عن الأمي * كما اضطر يحول على المركب الصعب

وله يرثي ابنه محمدا

أحمد ان كنت بعدك صابرا * صبر السليم لما به لا يسلم
ورزئت قبلك بالنبي محمد * ولرزؤه أدهى لدى وأعظم
فلا قد علمت بأنني بك لاحق * من بعد ظني أنني متقدم
لله ذكر لا يزال بخاطري * متصرفا في صبره متحكم
فاذا نظرت فشخصه متخيل * واذا أنصت فصوته متوهم
وبكل أرض لي من أجلك لوعة * وبكل قبر وقفة وتناوم
فاذا دعوت سوالح حاد عن اسمه * ودعاه باسمك معول بك مغرم
حكم الردى ومناهج قدسها * لا ولي النهى والحزن قبل مقيم انتهى

ولعمري انه لم يوف القاضي أبا الوليد الباجي حقه الواجب المقترض ووددت أنه مته
النفس في ترجمته بعبارة يعترف ببراءتها من سلم له ومن اعترض فان ترجمة المذكور مما
سطره أفسح مجالا وأفصح روية وارتجالا وبالجملة فهو أحد الاعلام بالاندلس وهو سليمان
ابن خلف بن سعد بن أيوب بن واث الثبيتي وذكره ابن بسام في الذخيرة وابن خلكان وغير

واحد وأصله من بطليوس وانتقل جده الى باجة قرب اشبيلية وليس هو من باجة القيروان ومولده سنة ٤٠٣ ورحل سنة ٤٢٦ فقدم مصر وجمع بها واجرت نفسه ببغداد لمزاولة الدروب وكان لما رجع الى الاندلس يضرب ورق الذهب ويعقد الوثائق الى أن فشاعله وتميات له الدنيا وشهرته تغنى عن وصفه ومن نظمته قوله

ما طال عهدي بالديار وانما * أنسى معاهد هاسي وتبلد

لو كنت أنبات الديار صبايتي * رق الصفا بفنائها والجلد

وله في المعتضد عباد والد المعتضد

عباد استعبد البرايا * بأنعم تبلى النعام

مدبحه ضمن كل قلب * حتى تغت به الحجام

ومن أشهر نظمته قوله اذا كنت أعلم اليقين وقد سبقا * ومن ذكره أيضا الجباري في المسهب وابن بشكوال في الصلة وأنه حج أربع حجج رجه الله تعالى وتوفي في المرية لاحدى عشرة بقية من رجب وقيل ليلة الخميس تاسع رجب وقيل تاسع عشر صفر سنة أربع وسبعين وأربعمائة ومن تواليفه المستقى في شرح الموطأ ذهب فيه مذهب الاجتهاد وايراد الحج وهو ما يدل على تبحره في العلوم والفنون ولما قدم من المشرق الى الاندلس بعد ثلاثة عشر عاما وجد ملوك الطوائف أحرابا مفترقة فشى بينهم في الصلح وهم يجالونه في الظاهر ويبتذلونه في الباطن ويستبدون بزعمته ولم يفد شيئا فآله تعالى يجازيه عن نيته ولما ناظر ابن حزم قال له الباجي أنا أعظم منك همة في طلب العلم لأنك طلبته وأنت معان عليه تسهر بمشكاة الذهب وطلبته وأنا أسهر بقنديل بائت السوق فقال ابن حزم هذا الكلام عليك لالك لأنك انما طلبت العلم وأنت في تلك الحال رجاء تبدلها بمثل حالي وأنا طابته في حين ما تعلمه وما ذكرته فلم أرج به الا عا والقدر العلى في الدنيا والآخرة فأخذه قال عياض قال لي أصحابه كان يخرج اليك الاقراء وفي يده أثر المطرقة الى أن فشا علمه ونوّهت الدنيا به وعظم جاهه وأجزأت صلاته حتى مات عن مال وافر وكان يستعمله الاعيان في ترسلهم ويقبل جوائزهم وولى القضاء بمواضع من الاندلس * (وابن حزم المذكور) هو أبو محمد بن حزم الطاهري قال ابن حبان وغيره كان ابن حزم صاحب حديث وفقه وجدل وله كتب كثيرة في المنطق والفلسفة لم يخل فيها من غلط وكان شافعي المذهب يناضل الفقهاء عن مذهبه ثم صار ظاهريا فوضع الكتب في هذا المذهب ونبت عليه الى أن مات وكان له تعلق بالادب وشنع عليه الفقهاء وطعنوا فيه وأقصاه الملوك وأبعدوه عن وطنه وتوفي بالبادية عشية يوم الاحد لليلتين بقيتا من شعبان سنة ست وخسين وأربعمائة قال مساعد في تاريخه كان ابن حزم أجمع أهل الاندلس قاطبة لعلوم الاسلام وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان والبلاغة والشعر والسير والخبار أخبرني ابيه الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تواليفه نحو أربعمائة مجلد نقله عن تاريخ مساعد الحافظ الذهبي قال الذهبي وهو العلامة أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ابن غالب بن صالح الأموي مولا هم القارسي الأصل الاندلسي القرطبي الظاهري

صاحب المصنفات وأول سماعه سنة ٣٩٩ وكان إليه المنتهى في الذكاء وحدة الذهن وسعة العلم بالكتاب والسنة والمذاهب والملل والنحل والعربية والآداب والمنطق والشعر مع الصدق والديانة والحشمة والسؤدد والرياسة والثروة وكثرة الكتب قال الغزالي رحمه الله تعالى وجدت في أسماء الله تعالى كتابا لابي محمد بن حزم يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه انتهى باختصار وعلى الجملة فهو نسج واحد لولاه ما وصف به من سوء الاعتقاد والوقوع في السلف الذي أثار عليه الانتقاد سبحانه الله تعالى * وذكر الذهبي أن عمره اثنان وسبعون سنة وهو لا ينافي قول غيره أنه كان عمره احدى وسبعين سنة وعشرة أشهر لأنه ولد رحمه الله تعالى بقرطبة بالجانب الشرقي من ربض منية المغيرة قبل طلوع الشمس وبعد سلام الامام من صلاة الصبح آخر ليلة الاربعاء آخر يوم من شهر رمضان سنة أربع وثمانين وثلثمائة بطالع العقرب وتوفي ليومين بقيام شعبان سنة ٤٥٦ وكان كثير المواظبة على التأليف ومن جملة تأليفه كتاب الفصل بين أهل الأهواء والنحل وكتاب الصادع والراذع على من كفر أهل التأويل من فرق المسلمين والرد على فرق التقليد وكتاب شرح حديث الموطأ والكلام على مسائله وكتاب الجامع في حديث صحيح الحديث باختصار الاسانيد والاقتصار على أصحها وكتاب التلخيص والتخليص في المسائل النظرية وفروعها التي لانص عليها في الكتاب والحديث وكتاب منتقى الاجماع وبيان من جملة ما لا يعرف فيه اختلاف وكتاب الامامة والخلافة في سير الخلفاء ومراتبها والتدب والواجب منها وكتاب اخلاق النفس وكتاب الايصال الى فهم كتاب الخصال وكتاب كشف الالتباس ما بين أصحاب الظاهر وأصحاب القياس انتهى * وقال ابن سعيد في حق ابن حزم ما ملخصه الوزير العالم الحافظ ابو محمد علي ابن الوزير أبي عمر أحمد بن سعيد بن حزم الفارسي وشهرته تغني عن وصفه وتوفي منقيا بقربة من بلدة بلبة ووصله من ابن عمه أبي المغيرة رسالة فيها ما أوجب أن جاوبه بهذه الرسالة وهي سمعت وأطعت لقوله تعالى وأعرض عن الجاهلين وأسلمت وانتقدت لقول نبيه عليه الصلاة والسلام صل من قطعك وأعرض عن ظلك ورضيت بقول الحكماء كفاك انتصارا من تعرض لاذنا عراضك عنه وأقول

تتبع سواي امرأ يتنغي * سبابك ان هو ذا السباب
فاني أبيت طلاب السقاء * ونزهت عرضي عما يعاب
وقل ما بدالك من بعد ذا * واكثر فاق سكوني خطاب

وأقول

كفاني بذكر الناس لي وما ترى * وما لك فيهم يا ابن عمي ذا كر
عدوى وأشياعي كثير كذا لمن * غدا وهو نفاع المساعي وضائر
واني وان آذيتني وعفقتني * لمحتل ما جاءني منك صابر
فوقع له أبو المغيرة على ظهر رقعته قرأت هذه الرقعة العاقمة فحين استوعبها أنشدني
نحخ زيد وسعل * لما رأى وقع الاسل

فأردت قطعها وترك المراجعة عنها فقالت لي نفسي قد عرفت مكانها بالله لا قطعها إلا يد
فأثبت على ظهرها ما يكون سبباً إلى صونها فقلت

نعتت ولم تدركيف الجواب * وأنخطأت حتى أتاك الصواب
وأجريت وحسبك في حلبة * نأت عنك فيها الجياد العرب
وبت من الجهل مستحسباً * لغـير قري فأنتك الذئاب
فكيف تبينت عقبى الظلوم * إذا ما انقضت بالنجس العقاب
لعمري ما لي طباع تذم * ولا شمية يوم مجد تعاب
أنيل المني والظبا سخط * وأعطي الرضا والعوا إلى غضاب

وأقول

وغاصب حتى أوبقته المقادر * يذكرني حاميم والرح شاجر
غدا يستعير الفخر من خيم خصمه * ويجهل أن الحق أبلغ ظاهر
ألم تتعلم يا أخا الظلم أني * برغمك ناه من دعوهم وأمر
تذل لي الأملأك سر نفوسها * وأركب ظهر النسرو والنسر طائر
وأبعث في أهل الزمان شواردا * تليهم وهي الصعاب النواقر
فإن أتو في أرض فاني سائر * وإن أنا عن قوم فاني حاضر
وحسبك أن الأرض عندك خاتم * وإنك في سطح السلامة عاثر
ولالوم عندي في استراحتك التي * تنفست عنها وانلطوب قواقر
فاني للحلف الذي مر حافظ * وللزعة الأولى بحاميم ذاكر
هنيئاً لكل ماله فيه فائدا * عطية من تبلى لديه السرائر

ومن شعر أبي محمد بن حزم يخاطب قاضي الجماعة بقرطبة عبد الرحمن بن بشير

أنا الشمس في جوف العلوم منيرة * ولكن عيبي أن مطايي الغرب
ولو أنني من جانب الشرق طالع * لم تدع علي ما ضاع من ذكرى النهب
ولي نحو آفاق العراق صبابة * ولا غرو أن يستوحش الكلف الصب
فإن ينزل الرحمن رحلي بينهم * فحينئذ يبدو التأسف والكرب
فكم قائل أغفلته وهو حاضر * وأطلب ما عنه تجي به الكتب
هنالك تدري أن للعبد قصة * وأن كساد العلم آفته القرب
فيا عجباً من غاب عنهم تشوقوا * له ودنو المرء من دارهم ذنب
وأن مكاناً ضاق عني لضيق * عـلى أنه فسح مهامه سهب
وأن رجالاً ضيعوني لضيع * وإن زماناً لم أنل خصمه جديب

ومنها في مدحه لنفسه

ولكن لي في يوسف خير أسوة * وليس علي من بالني اتسبى ذنب
يقول مقال الصدق والحق أني * حفيظ علمي ما علي صادق عتب

وقوله

لا يشمتن حاسدي ان نكبة عرضت * قالدهر ليس على حال بترك
ذو الفضل كالتبريلق تحت مترية * طور او طور ايرى تاجا على ملك
وقوله لما أحرق المعتضد بن عباد كتيبه بأشبيلية
دعوني من احراق رق و ككاغند * وقولوا بعلم كى يرى الناس من يدري
قان تحرقوا القرطاس لم يحرقوا الذى * تضمنه القرطاس بل هو فى صدرى
يسير معى حيث استقلت وكأني * وينزل ان أنزل ويدفن فى قبرى
وقوله

لئن أصبحت مرتحلا بشخصى * فقلبي عندكم أبادام قسيم
واكن للبيان لطيف معنى * اذا سال المعايينة الكلم

وقوله

وذى عدل فمين سباني حسنه * يطيل ملاهى فى الهوى ويقول
أمن أجل وجه لاح لم تر غيره * ولم تدرك كيف الجسم أنت عليل
فقلت له أمرفت فى اللوم فأتد * فعندى ردلوأشاء طويل
ألم ترأني ظاهرى وانى * على ما أرى حتى يقوم دامل
وهو أبو محمد على بن أبي عمر أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن مزيد القرطبي قال ابنه أبو
الفضل رافع اجتمع عندي بخط أبي من نو اليقه نحو أربع مائة مجلد تشتمل على قريب من
نحو ثمانين ألف ورقة انتهى وأبوه الوزير أبو عمر المذکور كان من وزراء المنصور
ابن أبي عامر وتوفي كما قال ابن حبان بذي القعدة سنة اثنتين وأربع مائة وكان منشؤه
ومولده بقرية تعرف بالزاوية * وحكي ان الحافظ أبا محمد بن حزم قصد أبا عامر بن شهيد
فى يوم غزير المطر والوحل شديد الريح فلقبه أبو عامر وأعظم قصده على تلك الحال وقال له
ياسيدي مثلك يقصدنى فى مثل هذا اليوم فأنشده أبو محمد بن حزم بديها

فلو كانت الدنيا دونك بلية * وفى الجوصعق دائم وحريق

لسهل ودى فيك نحوك مسلكا * ولم يتعد رلى اليك طريق

قال الحافظ ابن حزم أنشدنى الوزير أبى فى بعض وصاياه لى

اذا شئت أن تحيا بعيدا فلا تكن * على حالة الارضيت بدونها

وهذا كاف فى فضل الشرع والامل رحم الله الجميع * قال ابن حزم فى طوق الحمامة انه
مر يوما هو وأبو عمر بن عبد البر صاحب الاستيعاب بسكة الخطابين من مدينة اشبيلية
فاقام ماشا بحسن الوجه فقال أبو محمد هذه صورة حسنة فقال له أبو عمر لم نرا الا الوجه
فلعل ما سترته الثياب ليس كذلك فقال ابن حزم ارجع لا وذى عدل فمين سباني حسنه
الايات المتقدمة ولا بن حزم أيضا قوله

لاتلبنى لان سبعة لحظ * فات ادراكها ذوى الالباب

يسبق الكلب وثبة الليث فى العد * وويلوا النخال فوق الباب

ولا بى بكر بن مفوز جزيرد فيه على أبى محمد بن حزم وفيه قال مغرضا

يا من تعاني أمورا لن يعانيتها * خلّ التعاني وأعط القوس باريتها
تروى الأحاديث عن كل مسامحة * وانما المعانيها معانيها
وقيل انه خاطب به ما بعض أصحاب ابن حزم * (رجع الى القاضي أبي الوليد الباجي)
ومن نظم قوله من مرثية
أحن ويثني الناس نفسي على الأسي * كما اضطر محمول على المركب الصعب
ومن جدد نظمه قوله

أسرّ وأعلى الليل اليهم سراهم * فمت عليهم في الشمال شمائل
متى نزلوا نادى بالديف من منى * بدت للهوى بالمأزمين مخايل
قلته ما ضمت منى وشعابها * وما ضمت تلك الربا والمنازل
ولما التقينا للجمار وأبرزت * أكف لتقيل الحصى وأنا مل
أشارت الينا بالغرام محاجر * وباحت به منا جسام نواحل

وقال الباجي أبو الوليد رحمه الله تعالى

مضى زمن المكارم والكرام * سقاء الله من صوب الغمام
وكان البرّ فعلا دون قول * فصار البرّ نطقا بالكلام

وذيله بعضهم بقوله

وزال النطق حتى لست تلقى * فتى يستخبر دة للسلام
وزاد الامر حتى ليس الا * حتى بالاذى أو باللام

* (ومنهم الفقيه العالم الشهير أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب
الفهري الطرطوشي صاحب سراج الملوک ويعرف بابن أبي رندقة بالراء المهملة المفتوحة
وسكون النون وكنى بسراج الملوک دليلا على فضله ذكره ابن بشكوال في الصلة وتوفي
بالاسكندرية في شعبان وقيل جمادى الاولى سنة عشرين وخمسمائة وزرت قبره
بالاسكندرية ومن أخذ عنه الحافظ القاضي أبو بكر بن العربي وغيره ومن نظم الطرطوشي
قوله من رسالة

أقلب طرفي في السماء ترددا * لعل أرى النجم الذي أنت تنظر
وأستعرض الركان من كل وجهة * لعل بمن قد شمّ عرفك أنظفر
وأستقبل الأرواح عند هبوبها * لعل نسيم الريح عنك يخبر
وأمنني ومالي في الطريق ما أرب * عسى نعمة باسم الحبيب ستذكر
وألمح من ألقاء من غير حاجة * عسى لمحة من نور وجهك تسفر

ومن نظم أيضا قوله

يقولون شكلي ومن لم يذق * فراق الاحبة لم يشكل
لقد جرّعتني ليالي الفراق * كؤسا أمر من الحنظل

وعما ينسب اليه وكان كثيرا ما ينشده

إذا كنت في حاجة مرسلا * وأنت بانجازها مغرم

فارسلكم بكمه جلالية * به صمم أغطش أبكم
ودع عنك كل رسول سوى * رسول يقال له درهم

وكان كثيرا ما ينشد

ان لله عبادا فطنا * طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
فكروا فيها فلما علموا * انها ليست حتى وطنا
جعلوها لجة واتخذوا * صالح الاعمال فيها سفنا

وقال رحمه الله تعالى كنت ليله تأثما بالبيت المقدس اذ سمعت في الليل صوتا حزينا ينشد

أخوف ونوم ان ذا العجيب * تكلمت من قلب قانت كذوب
أما وجلال الله لو كنت صادقا * لما كان الانغماض فيك نصيب

قال فأيقظ النوام وأبكي العيون وكان رحمه الله تعالى زاهدا عابدا متورا عامتا قلاما من الدنيا قولا للحق وكان يقول اذا عرض لك أمر دينا وأخرى فبادر بأمر الاخرى يحصل لك أمر الدنيا والاخرى وله طريقة في الخلاف ودخل مرة على الافضل بن أمير الجيوش فوعظه وقال له ان الامر الذي أصبحت فيه من الملك انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو خارج عن يدك بمنزل ما صار اليك فاتق الله فيما خولت من هذه الامة فان الله عز وجل سائلك عن النقيير والقطمير والقتيل واعلم ان الله عز وجل آتى سليمان بن داود ملك الدنيا بمخدراتها فسخر له الانس والجن والشياطين والطير والوحوش والبهائم وسخر له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ورفع عنه حساب ذنوبه فجمع فقال عز من قائل هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فما عد ذلك نعمة كما عددتورها ولا حسبها كرامة كما حسبتوها بل خاف أن يكون استند راجا من الله عز وجل فقال هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر ففتح الباب وسهل الجباب وانصر المظلوم وكان الى جانب الافضل رجل نصراني فأنشده

يا ذا الذي طاعته قربة * وحقه مفترض واجب

ان الذي شرت من أجله * يزعم هذا أنه كاذب

وأشار الى النصراني فأقامه الافضل من مكانه والطرطوشي بضم الطاء من نسبة الى طرطوشة من بلاد الاندلس وقد تفتح الطاء الاولى وعبر عنه ابن الحاجب في مختصره الفقهية في باب العتق بالاستئذان وكان رحمه الله تعالى يحب القاضي أبا الوليد الباجي رحمه الله تعالى بسعة قسطة وأخذ عنه مسائل الخلاف وسمع منه وأجاز له وقرأ الفرائض عليه والحساب بوطنه وقرأ الادب على أبي محمد بن حزم بمدينة اشيلية ثم رحل الى المشرق سنة ست وسبعين وأربع مائة ودخل بغداد والبصرة فتفقه هناك عند أبي بكر الشاشي وأبي محمد الجرجاني وسمع بالبصرة من أبي علي التستري وسكن الشام مدة ودرس بها وكان راضيا باليسير وقال الصفدي في ترجمة الطرطوشي ان الافضل بن أمير الجيوش أنزله في مسجد شقيق الملك بالقرب من الرصد وكان يكرهه فلما طال مقامه به شجر وقال لخادمه الى متى نصبر اجمع الى المباح فجعله وأكله ثلاثة أيام فلما كان عند صلاة المغرب

قال لخادمه رميته الساعة فلما كان من الغد ركب الافضل فقتل وولى بعده المأمون بن
البطائحي فأكرم الشيخ اكراما كثيرا وله ألف الشيخ سراج الملوك انتهى ومقامه
أعنى الطرطوشي مشهور وهذه الحكاية تكفي في ولايته ومن تأليفه مختصر تفسير
التهالبي والكتاب الكبير في مسائل الخلاف وكتاب في تحريم جن الروم وكتاب بدع
الامور ومحدثاتها وكتاب شرح رسالة الشيخ ابن أبي زيد وولد سنة احدى وخسين
وأربع مائة تقرر يسا ولما توفي صلى عليه ولده محمد ودفن رحمه الله تعالى قبل الباب الاخضر
باسكندرية وزرت قبره مرارا رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به وكان القاضي عياض
من استجازته فأجازته ولم يلقه وشهرته رضى الله تعالى عنه تغنى عن الاطناب فيه * وحكى
انه كتب على سراج الملوك الذى أهدها لولى الامر بمصر

الناس يهدون على قدرهم * لكنى أهدي على قدرى
يهدون ما يقنى وأهدى الذى * يبقى على الايام والدهر
وحكى انه سمع رضى الله تعالى عنه منشدا ينشد للرواء

قرأت من غير وعد * فى ليلة طرقت بسعد
بات الصباح الى الصبا * ح معانق خذا بخت
يتارنى وناظرى * ما شئت من خير وشهد

فقال أو يظن هذا الدمشقي أن أحد الأبحسن ينظم الكذب غيره لو شئتنا لكذبتا مثل هذا
ثم أنشد لنفسه يعارضه

قرأت من غير وعد * حفت شمائله بسعد
قبلته ورشفت ما * فى فيه من خير وشهد
فزجت وزن السليبي * ب زنجيبيل مستعد
ولنت قاه من الغرو * ب الى الصباح المستجد
وسكرت من رشتى العقبى * على افاح تحت رند
فتزعت عن غبه فى * ووضعت خذا فوق خند
وشعنت عرف نسيمه السجاري * على مسك وند
وصحوت من ربا القرنفل * بين ريجان وورد
وألد من وصلى به * شكواه وجدا مثل وجدى

ومن نظم الطرطوشي قوله أيضا

كان لسانى والمشكلات * سنا الصبح ينجر ليلابها
وغيرى ان رام مارمته * خصى يحاول فرجا عقيما

وقوله أيضا

اعمل لمعادنى يا رجل * فالناس لانياهم عمالوا
وادخر لمسيرك زادتنى * فالقوم بلا زاد رحالوا

*(ومنهم محمد بن عبد الجبار الطرطوشي وقد الى المشرق وذكره العماد فى الخريدة وله

في الامد العجلى يصبر وكان يخضب بسواد الرمان قوله

اخلط العفص فيه يا احوج الننا * من الى العفص حين يعكس عفص

قوله الصيرفي في نسخة الصدي
وقوله العذري في نسخة
العدوي اه

* (ومنهم القاضي الشهيد أبو علي الصيرفي وهو حسين بن محمد بن فيرة بن حيون ويعرف بابن
مكرة وهو من أهل سرقطة سكن مرسية وروى بسرقطة عن الباقي وأبي محمد عبد الله
ابن محمد بن اسمعيل وغيرهما وسمع يلقب من أبي العباس العذري وسمع بالمرية من أبي
عبد الله محمد بن سعدون القروي وأبي عبد الله بن المرباط وغيرهما ورحل الى المشرق أول
الحرم من سنة احدى وثمانين وأربعمائة حج من عامه ولقي بمكة أبا عبد الله الحسن بن
علي الطبري وأبا بكر الطرطوشي وغيرهما ثم سار الى البصرة فلقى بها أبا يعلى المالكى
وأبا العباس الجرجاني وأبا القاسم بن شعبة وغيرهم وخرج الى بغداد فسمع بواسط من أبي
المعالى محمد بن عبد السلام الاصبهاني وغيره ودخل بغداد سنة اثنين وثمانين وأربعمائة
فأطال الإقامة بها خمس سنين كاملة وسمع بهامس أبي الفضل بن خيرون مسند بغداد
ومن أبي الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي وطراد الزينبي والحميدي وغيرهم وتفقه
عند أبي بكر الشاشي وغيره ثم رحل منها سنة سبع وثمانين فسمع بدمشق من أبي الفتح نصر
المقدسي وأبي الفرج الاسفرايني وغيرهما وسمع بمصر من القاضي أبي الحسن الخلي وأبي
العباس أحمد بن ابراهيم الرازي وأجاز له الجبال مسند مصر في وقته ومكثها وسمع
بالاسكندرية من أبي القاسم الوراق وشعيب بن سعيد وغيرهما ووصل الى الاندلس
في صفر من سنة سبعين وأربعمائة وقصد مرسية فاستوطنها وقعد يحدث الناس
بجوامعها ورحل الناس من البلدان اليه وكثر سماعهم عليه وكان عالما بالحديث وطرقه
عارفا بعلمه وأسماء رجاله ونقلته وكان حسن الخط جيد الضبط وكتب بخطه علما كثيرا
وقد كان حافظا لمصنفات الحديث فأنما عليها ذاكر المتون لها وأسانيد ها ورواها وكتب
منها صحيح البخاري في سفر وصحيج مسلم في سفر وكان فائما على الكتابين مع مصنف أبي
عيسى الترمذي وكان فاضلا في شاموا واضعا لعلومها وقورا عالما عاملا واستقضى بمرسية
ثم استعفى فأعفى وأقبل على نشر العلم وبثه وقد ذكره أبو القاسم بن عساكر في تاريخه
لدخوله الشام قال وبعد أن استقرت به النوى واستمرت افادته بما قيد وروى رفعته
ملوك أوائه وشفعته في مطالب اخوانه فأوسعته رعبا وأحسن فيه رأيا ومن أبنائهم
من جعل يقصده لسماع يسنده وعلى وقاره الذي كان به يعرف ندره مع بعضهم
ما يستطرف وهو أن فتي يسمى يوسف لازم مجلسه معطر ارائحته ومنظف املبه ثم
غاب لمرض قطعه أو شغل منعه ولما فرغ أو أبل عاود ذلك النادي المبارك والمحل
وقبل افضائه اليه دل طيبه عليه فقال الشيخ على سلامته من المحون وخلاصه من
الفتون اني لاجد ريح يوسف لولا أن تفقدون وهي من طرف نوارده رحمة الله عليه
ولما قلد قضاء مرسية وعزم عليه صاحب الامر فيه فز الى المرية فأقام بها سنة خمس وبعض
سنة ست وخمسة وفي سنة ست قبل قضاءها على كره الى أن استخفى آخر سنة سبع
في قصة بطول ايرادها ولطول مقامه بالمرية أخذ الناس عنه بما قلما كانت وقعة كنفه

كان من حضرها فقد فيها سنة أربع عشرة وخمسة رحمه الله تعالى وقال القاضي
عباس ولقد حدثني الفقيه أبو اسحق ابراهيم بن جعفر أنه قال له خذ الصحيح واذكر أي
متن شئت منه أذكر لك سنة أو أي سند شئت أذكر لك متنه انتهى وذكر غير واحد
أنه حدث يحدد بحديث واحد والله أعلم وهو من أبناء الستين * (ومنهم ابن أبي
روح الجزيري ومن شعره لما تغرب بالمشرق

أحن إلى الحضراء في كل موطن * حنين مشوق للعناق وللضم
وما ذاك إلا أن جسمي رضيعها * ولا بد من شوق الرضيع إلى الأم
(ومنهم العالم أبو حفص عمر بن حسن الهوزني الحسيب العالم المحدث وسبب رحلته
للمشرق أنه لما تولى المعتضد بن عباد خاف منه فاستأذنه في الحج سنة ٤٤٤ ورحل إلى
مصر ثم مكة وسمع صحيح البخاري وعنه أخذ أهل الاندلس ورجع وسكن اشيلية وخدم
المعتضد فقتله سنة ستين وأربع مائة ومن شعره يحرّضه على الجهاد

أعباد حل الرزق والقوم هجع * على حالة من مثلها يتوقع
فلق كتابي من فراغك ساعة * وان طال فالوصوف للطول موضع
إذا لم أثبت الداء رب شكاية * أضعت وأهل للملام المضيع
وما أخطأ السيل من ألقى البيوت من أبوابها ولا أرجأ الدليل من ناطق الأمور بأربابها
ولرب أمل بين أنشاء المحاذير مدج ومحبوب في طي المكاره مدرج فاتهز فرصتها فقد
بان لك من غيرك العجز وطبق مضاربها فقد أمكنك الحز ولا غرو أن يستطر الغمام
في الجذب ويستعصب الحسام في الحرب وله

صرح الشر لكم لا يستقل * ان نهلم جاءكم من بعد عدل
بدء صعد الأرض من رش وطل * ورياح ثم غيم قد أبل
خفوا فالداء رزء أو أجل * وانمذوا سيفاً عليكم قد يسل

وابنه أبو القاسم هو الذي كان سبب فساد دولة المعتمد بن عباد بسبب قتل المعتضد والده كما مر
(ومنهم أبو عمر عثمان بن الحسين أخو الحافظ أبي الخطاب بن دحية الأتي كان
أسن من أخيه ابن أبي الخطاب وكان حافظاً للغة العرب قيمانها وعزل الملك الكامل
أبا الخطاب عن دار الحديث الكاملة التي أنشأها بين القصرين ورتب مكانه أخاه أبا عمر
المذكور ولم يزل بها إلى أن توفي سنة ٦٣٤ بالقاهرة ودفن بسفح المقطم كاخيه وكان موت
أبي عمر بعد أبي الخطاب بسنة رحمه الله تعالى * (ومنهم الكاتب أبو بكر محمد بن القاسم
من أهل وادي الجبارة ويعرف بأسكنها وارتحل إلى المشرق لما ثبت به حضرة قرطبة
عند قلب دولها وتحول ملوكها وخولها فجاء في العراق وقاسى ألم الفراق
واجتاز بحلب وأقام بها مقام غريب لم يصف له حلب وقال

أين أقصى الغرب من أرض حلب * أمل في الغرب موصول التعب
حن من شوق إلى أوطانه * من جفاء صبره لما اغترب
جال في الأرض بلجا حائرا * بين شوق وعناء ونصب

كل من يلقاه لا يعرفه * مستغيثا بين عجم وعرب
 لهف نفسي أين هاتيك العلا * واضياعا وياغبين الحسب
 والذي قد كان ذراويه * أرتجى المال وادراك الرتب
 صار لي أبخس ما أعدته * بين قوم مادرواظم الادب
 يا أحياء اسمعوا بعض الذي * يلقاه الطريد المغترب
 واكن زجر الكرم عن غربة * يرجع الرأس لديها كالذنب
 واحملوا طعنا وضربا دائما * فهو عندي بين قومي كالضرب
 واسـ... قاسيت ما قاسيته * فيما أبصر لحظي من عجب
 ولقد أخذتكم ان ألتقي * بكم حتى تقولوا قد كذب

واجتاز به دمشق فقال من آيات رجه الله تعالى

دمشق جنة الدنيا حقيقا * ولكن ليس تصلح للغريب

بها قوم لهم عدد ومجد * وصحبهم تؤل الى حروب

ثم انه ودع الشرق بلا سلام وحل بحضرة دانية لدى ملكها مجاهد العاصري في بيحوحة
 عزلا يخشى فيه الملام واستقبل الاندلس بخاطر جديد ونال بها بعد من بلوغ الآمال
 ما ليس له عليه مزيد وقال

وكم قد اقيمت الجهد قبل مجاهد * وكم أبصرت عيني وكم سمعت أذني

ولاقيت من دهرى وصرف خطوبه * كما جرت النكباء في معطف الغصن

فلا تسألوني عن فسراق جهنم * ولكن سلوني عن دخولي الى عدن

(وله من كتاب) وحامل كافي سلمه الله تعالى وأعانه من أخني عليه الزمان وأدار عليه وما صحا
 الى الآن كؤوس الهوان وقد قصد على بعد جنابك الرحيب الخصيب قصد الحسن محمل
 الخصيب ويم جناب ابن طاهر حبيب وانى لا رجو أن يرجع منك رجوع نصيب عن
 سليمان ويستعين في شكرك بكل لسان وأنت عليم بأن الثناء هو الخلف وقد قال الاول
 أرى الناس أحمدة * فكوني حديثا حسن

وأنا القائل

فلا ترهدين في الخير قدمات حاتم * وأخباره حتى القيامة تذكر

ومع هذا فهو عليه بقدر ما يحتمل من التكليف هذا الاوان عارف وجوه الاعذار غير ذى
 عجل في العتب قبل البيان وعند سيدي من التصدي للايقاء ما يحقق فيه جيل الرجاء
 دامت أرجاؤه مؤملة ولا برحت نعمه سابعة مكمله * (ومنهم من كتب أبو عبد الله
 محمد بن عبد ربه الملقى وقال بعضهم انه من الجزيرة الخضراء له رحلة الى الديار المصرية منع
 فيها مقامة يقول فيها

وفي جنبات الروض ثم رودوجة * بروقك منها سندس ونضار

تقول وضوء البدر فيه مغربا * ذراع فتاة دار فيه سوار

ومن شعره

ما كل انسان أخ منصف * ولا اليبالي أبدا تنصف
فلا تضع ان أمكنت فرصة * واصحب من الاخوان من ينصف
واتصف من الدهر ولوريشة * فانما حظك ما تنصف
وقوله يرثي السيد أبو عمران ابن أمير المؤمنين يوسف ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي
ملك المغرب والاندلس

يجيد المعالي أي عقد تبتدا * وصدر العوالي أي ربح تقصدا
ولما دهمت خيل الشقي فجاءة * وسال العدا بجر من الموت مزبدا
شهدت بوجه كالغزالة مشرقا * وان كان وجه الشمس بالنقع حرمدا
عزائم صدق ليس تصرف هكذا * الى الموت يسعى أو على الموت يعتدي
وكان السيد أبو عمران المرثي قتله الميورقي صاحب قننة افرريقية في الهزيمة المشهورة على
تلوت وجع ابن عبدربه المذكور شهر السيد أبي الربيع بن عبد الله ابن أمير المؤمنين
عبد المؤمن بن علي وكان ابن عبدربه المذكور كاتب السيد أبي الربيع سليمان المذكور
ولما أنشد لبعض الشعراء

حاكت عين الرياح محكمة * في نهر واضح الاسارير
فكأما ضعفت به حاقا * قام لها القطر بالمسامير

أنشد لنفسه

بين الرياض وبين الجوق معترك * يبيض من البرق أو سمر من السمر
ان أوترت قوسها كف السماء رمت * نيل من الماء في زغف من الغدر
لاجل ذال اذا هبت طلائعها * تدرع الهر واهتزت قنا الشجر
واجتمع ابن عبدربه المذكور في رحلته بالسعيد بن سناء الملك وأخذ عنه شيئا من شعره
ورواه بالمغرب * (ومنهم الشاعر الاديب أبو محمد عبد المنعم بن عمر بن حسان المالقي ومن
نظمه في السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب من قصيدة رحمه الله تعالى
وفي صهوات المقربات وفي القنا * حصول جي لافي مضاب المعامل

ومنها

ولامك يأتي كيوسف آخر * كالم يجي مثل له في الاوائل
(ومنهم الحافظ أبو الخطاب بن دحية وهو محمد الدين عمر بن الحسين بن علي بن محمد
ابن فرح بن خلف الظاهري المذهب الايدلسي كان من كبار المحققين ومن الحفاظ
الثقات الاثبات المحصلين استوطن بجاية في مدة أبي عبد الله بن تومور وروى بها وأسمع
وكان من أحفظ أهل زمانه باللغة حتى صار حوتى اللغة عنده مستعملا غالبا ولا يحفظ
الانسان من اللغة حوشها الا وذلك أضعاف أضعاف محقوظه من مستعملها وكان
قصده والله تعالى أعلم أن يتدرب نوع يشتهر به دون غيره كما فعل كثير من الادباء حيث
تركو طريق المغرب وانفردوا بالطريق الآخر ولو سلكوا طريق المغرب لكانوا فيه
كأحد الناس وكذا الشيخ أبو الخطاب بن دحية له رسائل ومخططات كلها مغلفات

مقفلات وكان رحمه الله تعالى اذا كتب اسمه فيما يجيزه أو غير ذلك يكتب ابن دحية ودحية
مع المتشبه به جبريل وجبرائيل ويذكر ما ينفع على ثلاث عشرة لغة مذكورة في جبريل
ويقول عند قاطر السموات والارض وهذا فرع انفرديه عن عداه من أهل العلم قال
صاحب عنوان الدراية رأيت له تصنيفا في رجال الحديث لا بأس به وارتحل الى المشرق
في دولة بني أيوب فرفعوا شأنه وقربوا مكانه وجعلوا علماء الحديث وحضره واليه مجلسا
أقرؤا له بالتقدم وعرفوا انه من أولى الضبط والاتقان والتفهم وذكروا أحاديث بأسانيد
حقولها متونها فأعاد المتون المحولة وعرف عن تفسيرها ثم ذكر الأحاديث على ما هي عليه
من متونها الأصلية ومثل هذه الحكاية اتفق لابي عمر بن عات في كتاب مسلم بمرا كش بيت
الطلبة منها ومن شعر أبي الخطاب ما كتب به الى الكامل بن العادل بن أيوب

مالي اسائل برق بارق عنكم * من بعد ما بعدت ديارى منكم
فعلكم قلبي وأنتم بالحشا * لا بالعقيق ولا برامسة أنتم
وأنا المقيم على الوفاء بعدكم * يا مالكين وفيتم أو خستتم

وهي طويلة ومنها

رفعت له الاملاك منه حجية * ملك السماك الرمح وهو محرم

ومنها

لذوى النهى والفهم سر حكومة * قد حارفيها كاهن ومنجم
فاقصد مرادك حيث سرت مظفرا * والله يكلا والكواكب توم
وايهنك الشهر السعيد تصومه * وتفوز فيه بالنواب وتغنم
فلانت في الدنيا كلبلة قدره * قد رافقك في الملوك معظم

فأجابه السلطان مكافئه بنثر نظم فن النظم

وهيجن شوقي للاجارع بالوى * وأين اللوى منى وأين الاجارع
مرابع لو أن المربع أنجم * لكان نجوم الارض تلك المربع
رعى الله أيامها ولو أنها * الى وقدولى الشباب رواجع
ليالى لاليلي اذارمت وصلها * يلوح لها من صبح شيى مواقع في بجلة آيات
(ومن المثر) الحمد لله والى الحمد وقف ولده على الآيات التى حسن شعرها وصفادتها
وليس من البديع أن يقذف البحر درزا أو ينظم الخليل شعرا وقد أخذت الورقة لاتره
في معانيها واستفيد بها أودعه فيها فالتة تعالى لا يحلينا من فوائد فكرته وصالح
أدعيته والسلام فأجابه الحافظ أبو الخطاب عن الآيات بقوله من قصيدة
شجتي شواج في الغصون سواجع * قفاضت هوام للجفون هوامع
وأكثر فيها من التقلز الى أن قال

ولا حاكم أرضاء بيني وبينها * سوى حاكم دهرى له اليوم طائع
يدافع عني الضيم قائم سيفه * اذا عز من الضيم عني يدافع
هو الكامل الاوصاف والمالك الذى * تشير اليه بالكمال الاصابع

ويض أياديه الكريمة في الوري * قلائد في الاعناق وهي الصنائع
ويوماه يوماه اللذان هما هما * اذا جعت غلب الملوكة المجمع

ومنها

فما روضة غناهم نامرت الصبا * وتشر شذاها الطيب النثر ذائع
له من شكي الزهر برد مقوف * آتيج له من أرض صنعاء صنائع
فراقك منها أخضر الثوب ناضر * وشافك منها أصفر اللون فاقع
وأحمر فان للحدود دمورد * وأبيض كالنفساء المفلج ناصع
بأحسن من توشيع مدحى الذى له * بدائع من وثى البديع وشائع
وما ضائع من نشر شكرى الذى به * تأرجت الارباب عندك ضائع
ولولم يقيدنى ندالك كان لى * مجال فسيح فى البسيطة واسع
فأنت الذى لى والاعادى كثيرة * فويق مكان النجم فى الافق دافع

ومنها

بقيت لعبد جدته دحية الذى * يشابه جبريل له ويضارع
وجدته الزهراء بنت محمد * عليه السلام الدائم المتتابع
ولاعدت منك الممالك مالكا * يقرب للآمال ما هو شاسع
ومنك عيون للمهمات يقط * وعنك عيون الحادثات هو اجمع
وقال المقرئ فى ترجمة الملك الكامل انه كان مشغوقا بسماع الحديث النبوى
وتقدم عنده أبو الخطاب بن دحية وبني له دار الحديث الكاملة بين القصرين بالقاهرة
انتهى وقال أبو الخطاب بن دحية أنشدنى أبو القاسم السهيلي لنفسه وذكر انه ما سأل الله
تعالى بها شيئا الا أعطاه

يا من يرى ما فى الضمير ويسمع * أنت المعتمد لكل ما يتوقع
يا من يربح الشدائد كلها * يا من اليه المشتكى والمفزع
يا من خرائن رزقه فى قول كن * امن فان الخير عندك أجمع
مالى سوى فقرى اليك وسيلة * فبالافتقار اليك فقرى أدفع
مالى سوى قرعى لبابك حيلة * فلت رددت فأى باب أقصرع
ومن الذى أدعوا وأهتف باسمه * ان كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لحدك أن يقنط عاصيا * الفضل أجزل والمواهب أوسع

ومن نظم السهيلي رضى الله تعالى عنه

أسائل عن جيرانه من لقيته * وأعرض عن ذكراه والحال تنطق
ومالى الى جيرانه من صباية * ولكن نفسى عن صبح ترقى

وله

لما أجاب بلا طمعت بوصله * اذ حرف لاحرقان معتنقان
وكذا نعم بنعيم وصل آذنت * فتم ولا فى اللفظ متفهمان

ولد أبو الخطاب بن دحية في ذي القعدة سنة سبع أو ثمان وأربعين وخمسة و توفي
 انفجار الفجر ليلة الثلاثاء رابع عشر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وستمائة بالقاهرة
 ودفن بسفح المقطم وتكلم فيه جماعة فيما ذكره ابن النجار وقدره أجل مما ذكره وقد
 روى رحمه الله تعالى بالمغرب ومصر والشام والعراق وخراسان وعراق الحجاز وكل ذلك
 في طلب الحديث وسمع بالاندلس من ابن بشكوال وابن زرقون في جمع كثير ويغداد
 من أبي الفرج بن الجوزي وبأصبهان من أبي جعفر الصيدلاني معجم الطبراني ومن
 غيره وبنيسابور من أبي سعيد بن الصفار ومنصور بن الفراوي والمؤيد الطوسي وحصل
 الكتب والاصول وحديث وأفاد وكان من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء متقنا
 لعلم الحديث وما يتعلق به عارفا بالنحو واللغة وأيام العرب وأشعارها وصنف كتباً كثيرة
 مفيدة جداً منها كتاب التنوير في مولد السراج المنير منقحه عند قدومه إلى أربل سنة
 أربع وستائة وهو متوجه إلى خراسان لما رأى ملك أربل مظفر الدين كولي معنيا
 بعمل المولد النبوي في شهر ربيع الأول كل عام مهتماً به غاية الاحتمام وكله وقرأه عليه
 بنفسه وختمه بقصيدة طويلة فأجازه بألف دينار وصنف أيضاً العلم المشهور في فضائل
 الأيام والشهور والآيات البينات في ذكر ما في أعضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من
 المعجزات وكتاب شرح أسماء النبي صلى الله عليه وسلم وكتاب النبراس في أخبار خلفاء بني
 العباس وكتاب الاعلام المبين في المقاضلة بين أهل صفين وولي قضاء بلاد أصوله دانية
 مرتين ثم صرف عن ذلك لسيرة نسبت إليه فرحل عنها وحدث بتونس سنة ٥٩٥ ثم رحل
 وكتب بالمشرق عن جماعة بأصبهان وبنيسابور وعاد إلى مصر فاستأذنه العادل لولده الكامل
 وأسكنه القاهرة فنال بذلك دنيا عريضة ثم زادت حظوته عند الكامل وأقبل عليه اقبالاً
 عظيماً وكان يعظمه ويحترمه ويعتقد فيه الخير ويتبرك به حتى كان يسوي له المداس
 حين يقوم وهو بلنسي كما قاله ابن خلكان وغيره وبلنسية مشهورة بشرق الاندلس
 ثلاث سنين بالتصنيف * (ومنهم خلف بن القاسم بن سهل بن المداغ الحافظ الاندلسي رحل
 إلى المشرق وكان حافظاً فهما عارفاً بالرجال حدث حديث مالك وشعبة وأشياء في الزهد
 وسمع بمصر أبا الحسن بن الوردي البغدادي ومسلم بن الفضل والحسن بن رشيقي وجماعة
 وسمع بدمشق علي بن أبي العقب وأبا الميمون بن راشد وبكة من بكير الحداد وأبي الحسن
 الخزاعي والأجزي وبقرطبة من أحمد بن يحيى بن الشاهد ومحمد بن معاوية وتوفي
 سنة ٣٩٣ * (ومنهم خلف بن سعيد بن عبد الله بن زرارة أبو القاسم بن المارابط الكلابي
 من ذرية الأبرش الكلابي ويعرف بالمبرقع المحتسب القرطبي رحل إلى المشرق مرتين
 أولاً سنة ٣٣٣ وهو ابن ثلاث وعشرين سنة وسمع بأباصيد بن الاعرابي وابن
 الوردي وأبا بكر الأجزي وروى عنه أبو اسحق بن شاذان وأبو جعفر الرازي وقال
 ابن شاذان أنه توفي في نحو الأربعين سنة رحمه الله تعالى وروى عنه * (ومنهم سابق فضلاء
 زمانه أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الاشيلي يقال إن عمره ستون سنة
 منها عشرون في بلدة اشيلية وعشرون في أفر بقة عند ملوكها الصنهاجيين وعشرون

في مصر محبوبا في خزانة الكتب وكان وجهه صاحب المهديّة الى ملك مصر فسجن بها
 طول تلك المدة في خزانة الكتب فخرج في فنون العلم اماما وأمتن علومه الفلسفة والطب
 والتلحين وله في ذلك تواليق تشهد بفضله ومعرفته وكان يكنى بالاديب الحكيم وهو الذي
 لحن الاغانى الافريقية قال ابن سعيد واليه تنسب الى الآن وذكره العماد في الخريدة
 وله كتاب الحديقة على أسلوب بئمة الثعالبي وتوفي سنة ٥٢٣ وقيل سنة ٥٢٨
 بالمهديّة وقيل من قبل سنة بعد هاودفن بها وله فيمن اسمه واصل

يا هاجر اسمه عددا واصل * وبضتها تبين الاشياء
 الغيتني حتى كائنك واصل * وكانني من طول هجرى الرأى

وقوله وهو من بدائع

لا غرو ان سبقت لهماك مدائحي * وتدفت جد والامل انائها
 يكسى القضيبي ولم يحن اثمارة * وتططق الورقاء قبل غنائها

وقال في الافضل

تردى بكل فتى اذا شهد الوغى * ثر الرماح على الدروب كعوبا
 قد لوتحت به يد الهواجر فاعتدى * مثل القضاة قضاة وشعوبا
 تخذوا القنا أشطانهم واستبطنوا * في كل قلب بالطعان قلبا

ومنها

تعطى الذي اعطتك من القنا * أبدا فتعدو سالبها مساوبا

ومنها

وأنا الغريب مكانه وبيانه * فاجعل صنيعة في الغريب غريبا

وله

ومنهففت شربت محاسن وجهه * ما مجبه في الكاس من ابريقه
 فقه عالها من مقلتيه ولونها * من وجنتيه وطعمها من ريقه
 أخذ من ابن حيوس وقصر عنه في قوله

ومنهففت يغنى بلخط جقونه * عن كاسه الملاى وعن ابريقه
 فعل المدام ولونها و مذاقها * في مقلتيه ووجنتيه و ريقه

ولابي الصلت فيمن اسمه محسن

ايها الظالم المسى * مدى دهره بتا
 ما لهم أخطوا الصوا * ب فسموك محسنا

وله في لابس قرمزية جراء

أقبل بسى أبو الفوارس في * مرأى عجيب ومنظر أرائق
 أقبل في قرمزية عجب * قد صبغت لون خده الشرق
 ككأنما جوده وغرته * من دونها اذ بدون في نسق
 عود فجر من فوقه قمر * دارت به قطعة من الشفق

وله في ثقل وقد أجاد

لي جالس عجبت كيف استطاعت * هذه الارض والجبال ثقلة
 أنا أرعاه مكرها وبقلي * منه ما يعلق الجبال أقله
 فهو مثل المشيب أكره مرآ * ولكن أصونه وأجمله
 أخذ من قول أبي الحسن جمع قرب الحاج الميورقي وهما في عصر واحد
 لي صاحب عيت على شوته * حركته مجهولة وسكونه
 يرتاب بالامر الجلي توها * فاذا تيقن نازعته ظنونه
 اني لاهواه على شرقي به * كالشيب تكرهه وأنت تصونه
 وأوصي أن يكتب على قبره أبو الصلت المذكور مما نظمته قبل موته

سكنتك يا دار الفناء مصدقا * يأتي الى دار البقاء أصير
 وأعظم ما في الامر اني صائر * الى عادل في الحكم ليس يجود
 فبالت شعري كيف ألقاه عندها * وزادى قليل والذنوب كثير
 فان ألك مجزيا بذني فاني * بشر عقاب المذنبين جدير
 وان يك عفونتم عني ورجة * فتم نعمهم دأتم وسرور

وله

إذا كان أصلي من تراب فكلها * بلادى وكل العالمين أقاري
 ولا بد لي أن أسأل العيس حاجة * تشق على شم الذرى والغوارب

وقال

دب العذار بجذعه ثم انثى * عن لثم مبيحه البرود الاشنب
 لا غرو ان خشى الردى في لثمه * فالريق سم قاتل للعقرب
 وقد ذكروا أن من خواص ربق الانسان أنه يقتل العقرب وهو محترق

وقال

لا تدعني ولتدع من شنته * اليك من عجم ومن عرب
 فمن أكلون للسحيت في * ذرا السماعةون للكذب

وقال

لا تسألني عن صنيع جفونها * يوم الوداع وسيل بذلك من نجا
 لو كنت أملك خدّها للثمة * حتى أعبد به الشقيق بنفسها
 أو كنت أهجع لاحضنت خيالها * ومنعت ضوء الصبح أن يتلها
 وبثت في الظلماء كحل جفونها * وعقدت هاتيك الذوائب بالذبا

وقال مهتاج لود

يلوح في المهد على وجهه * تجهم الياس وبشرى الندى
 والشمس والبدر اذا استجمعا * لم يلبثا أن يلدا فرقا
 قابله حتى ترى نجله * وان عرا خطب فحن الفدا

قال ابن سعيد وهذا البيت الاخير من أثقل الشعر يتطير من سماعه وتر كدأولى وقال رحمه الله تعالى في الرصد

فذا غدروا وذا روض وذا جبل * فالضب والنون والملاح والحسادى
* (ومنهم) الفقيه أبو محمد عبد الله بن يحيى بن محمد بن بهلول السرقسطى ذكره العماد
الاصمعي في الخريدة وذكره السمعاني في الذيل وأتته دخل بغداد في حدود سنة ست
عشرة وخمسمائة ومن شعره

أيا شمس انى ان أتتك مدامحى * وهن لنا الى نظمت وقلائد
فلمست بمن يبغي على الشعر رشوة * أبى ذالك لى جد كريم ووالد
وانى من قوم قديما ومحدثا * تباع عليهم بالالوف القصائد
* (ومنهم) الفقيه المقرئ أبو عامر التيارى من رجال الذخيرة رحل الى المشرق وقرأ على
أبي جعفر الديلمي كتابه في العروض وسائر كتبه ولقى شيخ القبروان في العربية ابن
القزاز وأديها الحميرى * وأخبر عن نفسه أنه كان بين يديه تلميذه وسيم قرينه أبو جعفر
الجبالي بسجاعة كتب له فيها وخالها بين يديه وهو قد غلب النوم عليه
يانا عما متعمدا * ابصار طيف حبيب
هو جوهر فائقة ان الطيب في مثقوبه
أو أركبني ظهره * ان لم تقل بر كوبه
فلما قرأها علم أنها للجباني فكتب تحتها

يا طالباً أضحي حيا * ب دون ما مطلوبه
لوم يكن في ذالك انهم لم أكن أضرب
انى أغار عليه من * أثوابه ورقبته

وأنشد يومافى حلقته لابن الرومى في خباز

لم أنس لم أنس خبازا مررت به * يدحو الرقاقة وشك اللحم بالبصر
ما بين رؤيتهها فى كفه كره * وبين رؤيتها قورا كالكهر
الابق دار ما تنزاح دائرة * فى صفحة الماء يرى فيه بالبحر

فقال بعض تلامذته أما انه لا يقدر على الزيادة على هذا فقال

فكاد يضطرط اعجابا برؤيتهها * ومن رأى مثل ما أبصرت منه نرى
فضحك من حضرو قال البيت لائق بالقطعة لولا ما فيه من ذكر الجميع فقال
ان كان يتي هذا ليس يعجبكم * فجعلوا يحووه أو قاله قوه طرى

* (ومنهم) الاديب الطيب أبو الحجاج يوسف بن عتبة الاشيلي مطبوع فى الشعر والتوشيح
قال ابن سعيد اجتمعت به فى القاهرة مرارا بمجلس الأمير جمال الدين أبى الفتح موسى بن
يغمور بن جلدك وفى غيره وتوفى فى مارستان القاهرة ومن شعره

أما الغراب فانه سبب النوى * لا ريب فيه وللنوى أسباب
يدعو الغراب وبعد ذالك يجيبه * جل وتغوى بعد ذالك ذئاب

لا تصك كذب فهذه أسبابه * لا تكن منها بدأة وجواب
 * (ومنهم الامام المحدث الحافظ جمال الدين أبو بكر محمد بن يوسف بن موسى الاندلسي
 المعروف بابن مسدي وهو من الأئمة المشهورين بالمشرق والمغرب قال رحمه الله تعالى
 أنشدني رئيس الاندلس وأديبها أبو الحسن سهل بن مالك الأزدي الغرناطي لنفسه سنة
 ٦٣٧. في شوال بداره بغرناطة

منعص العيش لا يأوى الى دعة * من كان ذا بلد أو كان ذا ولد
 والسكنى النفس من لم ترض همته * سكنى مكان ولم يسكن الى أحد
 * (ومنهم الامام الحافظ أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي نسبة
 لجده حميد الاندلسي ولد أبوه بقرطبة وولد هو بالجزيرة ببلدة بالاندلس قبل العشرين
 وأربع مائة وكان يحمل على الكتف للسمع سنة ٤٢٥ فأول ما سمع من الفقيه أبي القاسم
 أصبغ قال وكنت أفصح من يقرأ عليه وكان قد لقي ابن أبي زيد وقرأ عليه وتفقه وروى
 عنه رسالته ومختصر المدونة ورحل سنة ٤٤٨ وقدم مصر وسمع بها من الضراب
 والقراعي وغير واحد وكان سمع بالاندلس من ابن عبد البر وابن حزم ولازمه وقرأ عليه
 مصنفاته وأكثرت من الأخذ عنه ونشر بحديثه وصار على مذهبه الا انه لم يكن يتظاهريه وسمع
 بدمشق وغيرها وروى عن الخطيب البغدادي وكتب عنه أكثر مصنفاته وسمع بمكة من
 الزنجاني وأقام بواسط مدة بعد خروجه من بغداد ثم عاد الى بغداد واستوطنها وكتب بها
 كثيرا من الحديث والادب وسائر الفنون وصنف مصنفات كثيرة وعلق فرائد وخرج
 تحاريج الخطيب وغيره وروى عنه أبو بكر الخطيب أكثر مصنفاته وابن ما كولا وكان
 اماما من أئمة المسلمين في حفظه ومعرفة واثقته وصدقه ونبله وديانته وورعه
 ونزاهته حتى قال بعض الأكابر ممن اتى الأئمة لم تر عيناى مثل أبي عبد الله الحميدي في فضله
 ونبله ونزاهته نفسه وغزارة علمه وحرصه على نشر العلم وبثه في أهله وكان ورعا ثقة اماما
 في علم الحديث وعلمه ومعرفة متونه ورواته محققا في علم الاصول على مذهب أصحاب
 الحديث متجرا في علم الادب والعربية ومن تصانيفه كتاب جذوة المقتبس في أخبار علماء
 الاندلس وكتاب تاريخ الاسلام وكتاب من ادعى الامان من أهل الايمان وكتاب الذهب
 المسبوك في وعظ الملوك وكتاب تسهيل السبيل الى علم الترسيل وكتاب مخاطبات
 الاصدقاء في المكاتبات واللقاء وكتاب ما جاء من النصوص والاخبار في حفظ البحار
 وكتاب ذم النخبة وكتاب الاماني الصادقة وغير ذلك من المصنفات والاشعار الحسان
 في المواعظ والامثال وكان من كثرة اجتهاده ينسخ بالليل في الحر ويجلس في اجانة ماء
 يبرد به ومن مشهور مصنفاته كتاب الجمع بين الصحيحين وذكره الجاردي في المسهب وقال
 عنه انه أظهر العلم في طرق ميورقة بعدما كانت غللا من هذا الشأن وترك لها خرا
 تبارى به خواص البلدان وهو من علماء أئمة الحديث ولازم أبا محمد بن حزم في الاندلس
 واستفاد منه ورحل الى بغداد وبعث بالكتاب الجذوة ومن شعره قوله رضى الله تعالى عنه
 الفت النوى حـتى أنست بوحشها * وصرت بها لافى الصباية مواعا

فلم أحصكم رافقته من مرافق * ولم أحصكم خيمت في الارض موصعا
ومن بعد جوب الارض شرقا ومغربا * فـ لا بد لي من أن أوافي مصر عا
وقال رحمه الله تعالى

لقاء الناس ليس يفيد شيئا * سوى الهذيان من قيل وقال
فأقلل من لقاء الناس الا * لاخذ العلم أو اصلاح حال

وذكره ابن بشكوال في الصلاة وتوفي ببغداد سنة ثمان وثمانين وأربعمائة رحمه الله تعالى
قال ابن ماكولا أخبرنا صديقنا أبو عبد الله الحميدي وهو من أهل العلم والفضل والتبليغ
لم أر مثله في عفته ونزاهته وورعه وتشاغله بالعلم وكان أوصى مظفر بن رئيس الرؤساء أن
يدفنه عند قبر بشر الحافي فخالف وصيته ودفنه في مقبرة باب البرز فلما كان مدة رآه مظفر
في النوم كأنه يعاتبه على مخالفته فتقل في صفر سنة ٤٩١ إلى مقبرة باب حرب ودفن عند
قبر بشر وكان كمنه جديدا وبذنه طرياقا تفوح منه رائحة الطيب ووقف كتبه على أهل العلم
رحمه الله تعالى ومن مناقبه انه قال لمن دخل عليه فوجده مكشوف الفخذ تعذبت بعين
الى موضع لم ينظره احد منذ عقلت انتهى ومن شعر الحميدي أيضا قوله

طريق الزهد أفضل ما طريق * وتقوى الله تالية الحقوق
فتق بالله يكفك واستعنه * بعنك ودع بنيات الطريق
وقوله

كلام الله عز وجل قولي * وما صحت به الا ناري
وما اتفق الجميع عليه بدأ * وعودا فهو عن حق مبين
فدع ما صد عن هذا وهذا * تكن منها على عين اليقين

* (ومنهم الكمال أبو العباس أحمد الشريشي وهو أحمد بن عبد المؤمن بن موسى بن عيسى
ابن عبد المؤمن القيسي من أهل شريش روى عن أبي الحسن بن ليال وأبي بكر بن أزهر
وأبي عبد الله بن زرقون وأبي الحسين بن جبير وغيرهم وأقرأ العربية وله تواليف أفاد بها
حشدها منها شرح الايضاح للفارسي والجليل للزجاج وله في العروض تواليف وجمع
مشاعير قصائد العرب واختصر نوادر أبي علي القالي قال ابن البار لقيته بدار شيخنا
أبي الحسن بن حريق من بلنسية قبل توجهي الى اشبيلية في سنة ست عشرة وستمائة
وهو اذ ذاك يقرأ عليه شرحه للمقامات فسمعت عليه بعضه وأجاز لي سائرهم مع رواياته
وتواليفه وأخذ عنه أصحابنا ثم لقيته ثانية مقدمة من مرسية انتهى ومن يديع
نظمه وهو عصر يتشوق الى الشام

يا جيرة الشام هل من نحوكم خبر * فان قلبي يتأثر الشوق يستعر
بعدت عنكم فلا والله بعدكم * مالدلعين لانوم ولا مسر
اذ اتذكرت أوقاتا نأت ومضت * يقربكم كادت الاحشاء تنفطر
كأنني لم أكن بالنيرين ضحي * والغيم يبكي ومنه يضحك الزهر
والورق تنشد والاعصان راقصة * والدوح يطرب بالتصفيق والنهر

والسفع ابن عشيبي التي سلفت * لي منه في لعمري عندي العمر
سقال: يا سفع سفع الدمع منه ملا * وقيل: ذاك له ان أعوز المطر
وله رجه الله تعالى شروح لمقامات الحريري كبير ووسط وصغير وفي الكبير من الآداب مالا
كفاء له وكان رجه الله تعالى معجبا بالشام وقال ابن الأبار عندما ذكره أنه شرح مقامات
الحريري في ثلاث نسخ كبارها الأدبية ووسطها اللغوية وصغرها المختصرة انتهى ونوفي
بشريش بلده سنة تسع عشرة وستمئة رجه الله تعالى * (ومنهم أبو بكر يحيى بن سعدون
ابن تمام بن محمد الأزدي القرطبي الملقب بضياء الدين أحد الأئمة المتأخرين في القراآت
وعلاوم القرآن الكريم والحديث والنحو واللغة وغير ذلك قال القاضي الشمس بن خلكان
أنه رحل من الاندلس في عنقوان شبابه وقدم مصر فسمع بالاسكندرية أبا عبد الله محمد بن
أحمد بن إبراهيم الرازي وبصر أبا صادق مرشد بن يحيى بن القاسم المدني المصري وأبا
طاهر أحمد بن محمد الأصماني المعروف بالسلفي وغيرهم ودخل بغداد سنة ٥١٧ وقرأ بها
القرآن الكريم على الشيخ أبي محمد عبد الله بن علي المقرئ المعروف بابن بنت الشيخ أبي
منصور الخياط وسمع عليه كتباً كثيرة منها كتاب سيدييه وقرأ الحديث على أبي بكر محمد بن
عبد الباقي البزار المعروف بقاضي المارستان وأبي القاسم بن الحسين وأبي العز وغيرهم
وكان ديناً ورعاً عليه وفاروس كينة وكان ثقة صدوقاً ثباتاً نبلاً قليل الكلام كثير الخير مفيداً
أقام بدمشق مدة واستوطن الموصل ورحل منها إلى أصبهان ثم عاد إلى الموصل وأخذ عنه
شيوخ ذلك العصر وذكروا الحافظ ابن السمعاني في كتاب الذيل وقال أنه اجتمع به بدمشق
وسمع عنه مشيخة أبي عبد الله الرازي وانتخب عليه أجزاء وسأله عن مولده فقال ولدت
سنة ٤٨٦ في مدينة قرطبة ورأيت في بعض الكتب أن مولده سنة ٤٨٧ والاول
أصح وكان شيخنا القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم المعروف بابن شذاد قاضي حلب
رجه الله تعالى بفخر بروايته وقراءته عليه وقال كان قراءاً عليه بالموصل وتأخذ عنه وكان يري
رجلاً يأتي إليه كل يوم فيسلم عليه وهو قائم ثم يعتدي إلى الشيخ بشيء ملفوف فيأخذه
الشيخ من يده ولا يعلم ما هو ويتركه ذلك الرجل ويذهب ثم تفتننا ذلك فقلنا انما حاجة
مسموطة كانت ترسم للشيخ في كل يوم يتاعها ذلك الرجل ويسمطها ويحضرها وإذا
دخل الشيخ إلى منزله تولى طبعها بيده وذكر في كتاب دلائل الأحكام أنه لازم القراءة
عليه إحدى عشرة سنة آخرها سنة ٥٦٧ وكان الشيخ أبو بكر القرطبي المذكور
كثيراً ما ينشد مسنداً إلى أبي الخير الكاتب الواسطي

جري قلم القضاء بما يكون * فسيان التحرز والسكون

جنون منك أن تسعى لرزق * ويرزق في غشاوة الجنين

ونوفي القرطبي المذكور بالموصل يوم عيد الفطر سنة ٥٦٧ رجه الله تعالى انتهى
كلام ابن خلكان ببعض اختصار * (ومنهم الوزير أبو عبد الله محمد بن الشيخ الأجل
أبي الحسن بن عبد ربه وهو من حفدة صاحب كتاب العقد المشهور حدث الشيخ الأجل
أبو عبد الله محمد بن علي الجصبي القرموني رفيقه قال اصططبت معه في المركب من المغرب

في شعراء الملك الناصر صاحب الشام ومقطعاته الغرامية فلا تدأهل الغرام صحبته بصر
ودمشق وحلب وجريت معه طلق الجروح في ميادين الأدب وأنشدني بدمشق
أنا من سكر هواهم ثمل * لأبالي هجر وأأم وصلوا
فبشعري وحديثي فيهم * زمزم الحادي وسار المثل
أن عشاق الحى تعرفنى * والحى يعرفنى والطلال
رحلوا عن ربيع عيني فلذا * أدمعني عن مقلتي ترتمل
مالها قد فارقت أوطانها * وهي ليست لها هم تصل
لا تظنوا أنني أسلوفا * مذهبي عن حبكم يتقبل
وقوله رحمه الله تعالى

يا لله يا بنة الوادي اذا خطررت * تلك المعاطف حيث الشج والغار
فعانقها عن الصب الكتيب فا * على معانقة الأغصان انكار
وعترفها بأني فيك مكتئب * فبعض هذي لها بالحب أخبار
وأنتم جيرة الجرعاء من اضم * لي في جمالكم أحاديث وأسمار
وأنتمو أنتمو في كل آونة * وانما حبكم في الكون أطوار
ويانسي أسرى تحدد ركانبه * لي بالغوير ليلانات وأوطار
وله

يا ربى الله أنسنا بين روض * حيث ماء السرور فيه يجول
تحبب الزهر عنده يتثنى * وتخال الغصون فيه تيل
وله

هات المدام فقد ناح الحمام على * فقد الظلام وجيش الصبح في غلب
وأعين الزهر من طول البكار مدت * فكلمتها يمين الشمس بالذهب
والكأس حملتها جراء مذهبة * لكن أزرتها من أوأوالحب
كم قلت لللاق لما أن بدام لقا * بشمس عند مالاحت من الحب
انتهت بالشمس بأفق السماء فلي * شمسان وجهه نديمي وابنة الغيب
قم اسقنيها وثرغ الصبح مبسم * والليل تبكيه عين البدر بالشهب
والسحب قد لبست سود الثياب وقد * قامت لترثيه الاطيار في القضب
وله

عليك من ذاك الحى يا رسول * بشرى علامات الرضا والقبول
جئت وفي عطفك منهم شذى * يسكر من خمر هواه العذول
ومنها

أحبنا ودعتم ناظري * وأنتم بين ضلوعي نزول
حلاسم قلبي وهو الذي * يقول في دين الهوى بالحلول
انا الذي حدث عني الهوى * بأني عن حبكم لأحول

فليزد العاذل في عذله * وليقبل الواشي لكم ما يقول
اتهي كلام النور بن سعيد * وقال غيره ولدا المذكور بشاطبة منتصف شوال سنة ٦٩٥
ومات بدمشق ودفن بسفح قاسيون وكان عالما فاضلا دامت الاخلاق كريم الشماثل
كثير الاحتمال واسع الصدر صحب الشيخ كمال الدين بن العديم وولده قاضي القضاة
محمد الدين فاجتذبه اليهم وصار حنفي المذهب ودرس بالمدرسة الاقبالية الحنفية بدمشق
وله مشاركة في علوم كثيرة وله يد في النظم ومن شعره

لله قوم يعشقون ذوى اللهى * لا يسألون عن السواد المقبل
ويهجى قوم وانى منهم * جبالوا على حب الطراز الاول

وله أيضا

قم اسقنيها وليس الهى منهم زم * والصبح أعلامه محجرة العذب
والسحب قد اثرت في الارض لؤلؤها * تضمه الشمس في ثوب من الذهب انتهى
وقد تقدم عن ابن سعيد له ما يقارب هذا وله رجه الله تعالى في كاتب
ولى كاتب أنعمت في القلب حبه * مخافة حسادى عليه وعذالى
له صنعة في خط لام عذاره * ولكن سها اذ نقط اللام بالخال
* (ومنهم أبو محمد القرطبي قال ابن سعيد لقيته بالقاهرة وكأني لا خبر عنده من الآخرة وقد
طال عمره في أكل الاعراض وفساد الاعراض ومما بقي في أذنى من شعره قوله
رحم الله من لقيت قديما * فلقى دكان بي رؤفأرحيما
أتمنى لقاء حر وقد اع * وزبحنى كما عدت الكريما
وتوفى بالقاهرة سنة ٦٤٣ انتهى * (ومنهم علي بن أحمد القادسي الكفائي قال ابن
سعيد لقيته ببيت المقدس على زى الفقراء وحصلت منه هذه الايات وندمت بعد ذلك
على ما فات وهى

ذاك العذار المثل * دعى عليه يطل
كأنما الخدماء * وقد جرى فيه ظل
عقود صبرى عليه * مذحل قلبى تحل
جرت دموى عليه * فقلت آس وطل

اتهي

* (ومنهم أبو عبد الله بن العطار القرطبي قال ابن سعيد هو حلو المنازع ظريف المقاطع
والمطالع مطبوع النوار موصوف بالاديب الشاعر ما زجته بالاسكندرية وبهذه
الحضرة العلية وما زال يدين بالانفراد والتجول في البلاد حتى قضى مناه وألقى به هذه
المدينة عصاه لا يخطر الهى له يبال ولا بيت الاعلى وعدم من وصال وله حين سمع ما ارتجلته
في السكن بالاسكندرية حين داعبني باختلاسها القاضي زين القضاة بن الريني وقال ما لي
اليه سبيل حتى يحضر مصرى تبيل

أيا سارقا ملكا صونا ولم يجب * على يده قطع وفيه نصاب
ستديه الاقلام عند عثارها * ويكيه ان يعد الصواب كتاب

فقال

أحاجيك ما شئ اذا ما سرقته * وفيه نصاب ليس يلزمك القطع
على ان فيه القطع والحد ثابت * ولا حذفيه هكذا حكم الشرع

اتمى كلام ابن سعيد من كتابه القدح المعلي فيما اظن ودينى والله سبحانه أعلم بقوله وبهذه
الحضرة العلية حضرة تونس المحروسة فانها كانت محط رحال الافاضل من الاواخر
والاوائل حتى ان قاضى القضاة ابن خلدون اقام بهامدة ومنها ارتحل الى مصر وكذلك
الخطيب الجليل سيدى أبو عبد الله بن مرزوق رحمه الله تعالى ومنها خاطب الوزير لسان
الدين بن الخطيب وسلطاناه فى الشفاعة له عند سلطان المغرب فكتب لسان الدين عن سلطانه
فى ذلك مانحه المقام الذى نؤكده اليه بترسلفه الوداد ونغرى بتخليد نغره وأمره
القلم والمداد ونصل به الاستظهار على عدو الله تعالى والاستعداد ونخطب له من الله
بهمز أعطافه للخير والتوفيق والسداد والاعانة منه والامداد مقام محل أخينا الذى
اشتهر فضله ودينه ووضع سعده متألقه براهينه وحياء الصنع الجميل وبياه مشرقا
جبينه السلطان الكذاب ابن السلطان الكذاب أبقاه الله يرعى الذم
ويسلك من الفضائل المنهج الالهى ويغلى البضائع النافقة عند الله تعالى ويعلى الهمم معظم
قدره وملتزم بره الحريص على توفير أجره وتخليد نغره فلان أما بعد حمد الله تعالى
ناصر الامرة المطاعة المحافظة على السنة والجماعة وحافظها من الاضاعة الى قيام
الساعة الذى جعل المودة فيه أنفع الوسائل النفاة والصلاة والسلام على سيدنا
محمد رسوله المخصوص بتمام الشفاعة على العموم والاشاعة متم مكارم الاخلاق
من الفضل والبذل والحياء والشجاعة والرضاعن آله وصحبه الذين اقتدوا به بحسب
الاستطاعة وزرعوا الخير فى العاجلة ففازوا فى الآجلة بفائدة تلك الزراعة والدعاء
لمقامكم الاعلى بصنع يروى فيه عن الاشعط الباتر خير النصير المتواتر لسان البراعة
وتأيد لا ترضى فيه القناء مقام تلك القناعة فانا كتبنا اليكم كتب الله تعالى لثنائكم
العاطر بتخليد الفاخر منشور الاذاعة فى أيدي النواصم الضواعة من حراء غرناطة
حرسها الله تعالى عن خيرها من السحاب وبشر مفتح الابواب وعزل الاسلام ببركة
الاعتداد بكم المنصور الاعلام مقتبل الشباب وعين ضافي الجلباب والحمد لله
على تظافر الايدي فى ذاته وتوفر الاسباب وجانبكم الرقيق الامل المنتاب اذا حدث
الحدادة ذوات الاقناب ومطمح الوسائل المطرزة المسائل بتصحيح الود اللباب والى هذا
وصل الله تعالى سعيكم بسوابغ نعمه وآلائه دأمة الانسكاب وجعل ما عمل لكم من
نعمه وآلائه كقبلة بالزاني وحسن المتاب وألهمكم تقييد شواردها بالشكر قولا
وعلا فالشكر مستمدعى لمزيد كما ورد فى الكتاب فان من المنقول الذى اشتهر وراق
فضله وبهر قوله اشفعوا تؤجروا وما فى معناه من المعنى فى الخير وتنقيس كربة عن مسلم
وسماع شكوى من متظلم ولولا أن مقامكم السنى أغنى بلبننا الكثير من هذا المعنى
ولما تحقق ما أنتم عليه من سبل سبل الخير واقامة رسوم الدين والاهتداء بمن هديه

بالنور المبين خفف علينا أن نقصدكم بالشفاعات مع الساعات وتجبر لكم مع الله بأنفس
 البضاعات فما أثمر من ذلك شكرنا الله تعالى عليه حقيقة وشكرناكم عليه شريعة وما
 تأخر أوسعناكم فيه عذرا يستدريعة وعلما أن الله تعالى لم يأذن في تعجيله وسألناه
 في تيسيره وتسهيله سواء لدينا في ذلك ما عاد باعانة عامة وامداد وساهم في قصد جهاد
 وما لم يعد علينا خصوصا وعلى المسلمين عموما باعانة ولا أفراد انما علينا أن نجلب الخير
 الباقي والاجر الراقى الى بابكم ونذل عليه كريم جنابكم بمقتضى وداد صبحه باد وجيل
 ظن في دينكم المتين واعتقاد سلم بحمله ومفصله من انتقاد وذلك أن الشيخ الخطيب
 الفقيه الكبير الشهير الصدر الاوحد العلامة سلاله الصالحين وخطيب والدكم كبير
 الخلفاء والسلاطين وبالهام من مزية دنيا ودين أباعبد الله بن مرزوق جبر الله تعالى على
 يدكم البرة حاله وسقى من مقامكم السقى آماله جرى عليه من المحن وتباريح الاحن
 ما يعلم كل ذي مروءة وعقل واجتهاد ونقل أن ذلك من الجنايات على والدكم السلطان
 محبوب والى معقباته منسوب ولو كانت ذنوبه وضوى وثيرا لاستدعت الى تعمدتها
 عفوا كبيرا وعيا لذلك الامام الصالح الذى كبر خلقه وأحرم وتشهد وسلم وأثن عقب
 دعائه ونصب كفه لمواهب الله تعالى وآلائه وأنصت لخطبته ووعظه وأوجب المزية
 لسعة فظه وعذوبة لفظه فأحبط ذلك من أحبط الاعمال الصالحة وعطل المتاجر الراجعة
 وأسف الملك المذهب كوربدم ولده واحراق خزائنه وعدده وتغيير رسومه وحدوده
 واضطائه واضطاط الله معبوده الى أن طهر سيفكم المليك من عاره وأخذ منه بثاره
 وتقرب الى الله والى السلف الكريم بمحو آثاره والحمد لله على ما خصه من ايثاره وتدارك
 الاسلام باقالة عثاره وانه خاطبنا الآن من حضرة تونس بقر من حاله ما يفت الفؤاد
 ويوجب الامتناع له والاجتهاد يطلب منا الاعانة بين يديكم والانجاء ويشكو العيلة
 والاولاد والغربة التى أحلتها الاقطار النازحة والبلاد والحوادث التى سلبته الطارف
 والتلاد وان تذكركم بوسيلته وضعف حيلته فبادرنا لذلك عملا بالواجب وسلوكا
 من بره ورعى حقه على السنن الاحب وان كنا نطوقه فى أمرنا عند الحادثة علينا تقصيرا
 ولان شكر الا لله وليا ونصيرا فحقه علينا أوجب فهو الذى لا يجحد ولا يحجب ولا يلتبس
 منه المذهب وكيف لا يشفع فيمن جعله السلف الى الله تعالى شفيعا وأحله محلا منيعا
 رفيعا الى وليه الذى جبر ملكه سريعا وصير جنابه بعد المحول مريعا وجتد رسومه
 تأصيلاتها وتضريعا ومثلكم من اغتم بره فى نصر مظلوم وسبر مكلوم واعدا كرم
 على لوم وهى مناذ كرى تنفع وحرس على أجر من يشفع واسعاف لمن سأل ما يعلى من
 قدركم ويرفع وتادية لخلق سلفكم الذى توفرت حقوقه وابلاغ نصيحة دينية الى مجددكم
 الذى لا يمنع عن المجد مانع ولا يعوقه ومطلبه فى جنب مذهبكم الكبير حقير وهو به
 الى ما يفتح الله تعالى به على يد صدقتكم فقير ومنهلكم الاروى وباعكم فى الخبر أطول
 وساعدكم أقوى وماتفعلا ومن خير يعلمه الله وترزود وافان خير الزاد التقوى والله عز
 وجل يسلك بكم المسالك التى تخلد بالجيل ذكركم وتعظم عند الله أجركم فاعند الله خير

للإبرار والديادار الغرور والاشرة دار القرار وهو سبحانه يصل سعدكم ويحرس
 مجدكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته انتهى * والسلطان المخاطب بهذا هو أبو فارس
 عبد العزيز ابن السلطان الكبير الشهير أبي الحسن المربني وكان ابن مرزوق غاليا على
 دولة السلطان أبي سالم أخى أبي فارس المذكور فقتله الوزير عمر بن عبد الله الفودودي
 وتغلب على الملك ونصب أخا لأبي سالم معتموها وسجن ابن مرزوق ورام قتله فخلصه الله
 تعالى منه ثم ان السلطان أبا فارس ثار على الوزير المتغلب وقتله واستقل بالملك فوطب
 في شأن ابن مرزوق بما ذكر * (رجع الى ما كنا فيه من ذكر الراحلين من أعلام الاندلسيين
 الى البلاد المشرقية المحروسة بالله سبحانه وتعالى فنقول * (ومنهم أبو الوليد وأبو محمد عبد
 الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي القرطبي المعروف بابن الفرشي الحافظ المشهور كان
 فقيها عالمًا عارفاً يقنون علم الحديث ورجاله بارعا في الادب وغيره وله من التصانيف تاريخ
 علماء الاندلس وقفت عليه بالمغرب وهو يبيع في بابه وهو الذي ذيل عليه ابن بشكوال
 بكتاب الصلة وله كتاب حسن في المؤلفات والمختلف وفي مشتبته النسبة وكتاب في أخبار
 شعراء الاندلس وغير ذلك ورحل من الاندلس الى المشرق سنة ٣٨٣ هـ فخرج وسمع من
 العلماء وأخذ عنهم وكتب من أماليهم وروى عن شيوخ عدة من أهل المشرق ومن شعره

أسير الخطايا عند بابك واقف * على وجل مما به أنت عارف
 يخاف ذنوباً لم يغب عنك غيبها * ويرجوك فيها فهو راج وخائف
 ومن ذا الذي يرجي سوالك ويتقى * ومالك في فصل القضاء مخالف
 فياسيدي لا تخزني في صحيفتي * اذا نشرت يوم الحساب الصفائف
 وكن مؤنسي في ظلمة القبر عندما * يصعد ذوو القربى ويجفوا المؤلف
 لئن ضاق عني عفوك الواسع الذي * أرجى لاسرافي فاني لتالف
 وكان رحمه الله تعالى حسن الشعر والبلاغة ومن شعره أيضاً رحمه الله تعالى
 ان الذي أصبحت طوع عيینه * ان لم يكن قرا فليس بدونه
 ذلي له في الحب من ساططانه * وسقام جسمي من سقام جفونه

وله شعر كثير ومولده في ذي القعدة ليلة الثلاثاء لتسع بقين منه سنة ٣٥١ وتولى القضاء
 بمدينة بلنسية في دولة محمد المهدي المرواني وقتله البربر يوم فتح قرطبة يوم الاثنين لست
 خلون من شوال سنة ٤٠٣ وبقي في داره ثلاثة أيام ودفن متغيراً من غير غسل ولا كفن
 ولا صلاة رحمه الله تعالى وروى عنه انه قال تعلقت بأستار الكعبة وسألت الله تعالى
 الشهادة ثم انحرقت وفكرت في هول القتل فندمت وهممت أن أرجع فأستقبل الله
 سبحانه وتعالى فاستحييت وأخبر من رآه بين القتلى ودنا منه فسمعه يقول بصوت ضعيف
 لا يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله الا جاء يوم القيامة وجرحه ينهب
 دما اللون لون دم والريح ريح المسك كانه يعيد على نفسه الحديث الوارد في ذلك قال ثم
 قضى على اثر ذلك وهذا الحديث أخرجه مسلم في صحيحه وقد ساق في المضمح حكايته فقال
 كان حافظاً عالماً كافياً بالرواية رحل في طلبها وتبحر في المعارف يسيراً مع حفظ من الادب

كثير واختصاص بتنظيم وتبوير ج وبرع في الزهادة والورع فتعلق بأستار الكعبة يسأل
الله الشهادة ثم فكّر في القتل ومرارته والسيف وحرارته فأراد أن يرجع ويستقبل
الله تعالى فاستحي وآثر نعيم الآخرة على شقاء الدنيا فأصيب في تلك الفتن مكلوما وقتل
مظلوما ثم ذكر مثل ما مرّ وعما قال في طريقه يتشوّف إلى إفريقية

مضت لي شهور منذ غبت ثلاثة * وما خلّني أبقى إذا غبت شهرا
ومالي حياة بعدكم أستلذها * ولو كان هذا لم أكن في الهوى حزا
ولم يسلفني طول التناهي عليكم * بلى زادني وجدا وجددي ذكرا
يمثلكم لي طول شوقي اليكم * وبدنيكم حتى أناجيكم سرا
سأستعيب الدهر المفرق بيننا * وهل نأفي إن صرت أستعيب الدهرا
أعلل نفسي بالمنى في لقاءكم * وأستسهل البر الذي جبت والبحرا
ويؤنسني طي المراحل عنكم * أروح على أرض وأغدو على أخرى
وتالله ما فارقكم عن قلبي لكم * ولكن ما الاقدار تجري كما تجري
وعنكم من الرحمن عين بصيرة * ولا كشفت أيدي النوى عنكم سيرا

وقد عرّف به ابن حبان في المقتبس وذكر قصة شهادته رحمه الله تعالى * (ومنها الشيخ أبو
بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله البكري الشريشي المالكي ولد بشر يش سنة ٦٠١
ورحل إلى العراق فسمع به المشايخ كالقطيع وابن زروية وابن الكثير وغيرهم واشتهل
وساد أهل زمانه واشتهر بين أقرانه ثم عاد إلى مصر فدرس بالفاضلية ثم انتقل إلى القدس
الشريف فأقام به شيخ الحرم ثم جاء إلى دمشق المحروسة بالله وتولى مشيخة الحديث بتربة
أم الصالح ومشيخة الرباط الناصري ومشيخة المالكية وعرض عليه القضاء فلم يقبل وكانت
وفاته يوم الاثنين الرابع والعشرين من رجب بالرباط الناصري ودفن بسفح قاسيون رحمه
الله تعالى وذلك سنة خمس وثمانين وستمائة رحمه الله تعالى وليس هو بشارح المقامات بل
هو غيره وقد اشترى كافي البلد بسبب ذلك ربحا يقع في الأذهان الوهم في أمرهما وشارح
المقامات أحمد وهذا محمد وقد ترجمنا صاحب شرح المقامات فيما تقدم من هذا الباب
فليراجع والله سبحانه وتعالى أعلم * (ومنها أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن السيد بن المغلس
القيسي الأندلسي البلسي كان من أهل العلم باللغة والعربية مشارا إليه فيهما ورحل من
الأندلس وسكن بمصر واستوطنها وقرأ الأدب على أبي العلا صاعد الغوي صاحب
الفصوص وعلى أبي يعقوب يوسف بن خرقان بمصر ودخل بغداد واستفاد وأفاد وله شعر
حسن فمن ذلك قوله

مريض الجفون بلا علة * ولكن قلبي به معرض
أعان الشهادة على مقلتي * بفيض الدموع فانتغمض
وما زار شوقا ولكن أتي * بعرض لي أتي معرض

وله أشعار كثيرة وتوفي يوم الأربعاء است بقين من جمادى الأولى سنة ٤٢٧ و قبل سنة ٤٢٩
بمصر وكان استوطنها وصلى عليه الشيخ أبو الحسن علي بن إبراهيم الحارثي صاحب

التفسير في مصلى الصديق ودفن عند أبي اسحق رحمه الله تعالى ومغلس بضم الميم وفتح الغين
وتشديد اللام المكسورة وبعد هاسين مهمله وكانت بينه وبين أبي الطاهر اسمعيل بن خلف
صاحب كتاب العنوان معارضات في قصائد ومن شعر ابن المغلس أيضا قوله في حمام
ومنزلة أقوام اذا ما اغتدوا به * تشابه فيه وغده ورثته
يجالط فيه المرء غير خليطه * ويضحي عدو المرء وهو جليسه
يفترج كربي ان ترايد كربه * ويؤنس قلبي ان بعد أنيسه
اذا ما أعرت الحق طرقاتك أثرت * على مائه أثماره وشموسه

* (ومنهم أبو الحكم عبيد الله بن المظفر بن عبد الله الحكيم الاديب المعروف بالمعري وهو
من أهل المرية وانتقل الى المشرق وكان كامل الفضيلة وجمع بين الادب والحكمة وله ديوان
شعر جيد والخلاعة والمجون غالبه عليه وذكر العماد في الخريدة أنه كان طيب المارستان
في معسكر السلطان السلجوقي حيث حل وخيم وكان السيد يحيى بن سعيد المعروف بابن
المرخم الذي صار أفضى القضاة ببغداد في أيام المقتدي فاصدا وطيبيا في هذا المارستان
وأثنى العماد على أبي الحكم المذكور وذكر فضله وما كان عليه وان له كتابا سماه نهج
الوضاعة لاولي الخلاعة ثم ان أبا الحكم انتقل الى الشام وسكن دمشق وله فيها أخبار
وما جريات ظريفة تدل على خفة روحه قال ابن خلكان رأيت في ديوانه أن أبا الحسين
أحمد بن منير الطرابلسي كان عند الامراء بني منقذ بقلعة شيزر وكانوا مقبلين عليه وكان
بدمشق شاعر يقال له أبو الوحش وكانت فيه دعاية وبينه وبين أبي الحكم المذكور
مداعبات فسأل منه كتابا الى ابن منير بالوصية عليه فكتب أبو الحكم

أبا الحسين اسمع مقالتي * عوجل فيما يقول فارحلا
هذا أبو الوحش جاء ممتدحا * للقوم فأهنا به اذا وصل
واتل عليهم بحسن شرحك ما * أنقله من حديثه جلا
وخبر القوم انه رجل * ما أبصر الناس مثله رجلا
تنوب عن وصفه شماتته * لا يتنفي عما قل به بدلا

ومنها

وهو على خفصة بهابدا * معترف أنه من الثقلاء
يمت بالتلب والرقاعة والسحق وأجاب بغير ذنوب فلا
ان أنت فاتحنه لتخسر ما * يصدر عنه فتحت منه خلا
قته ان حل خطه الخسف والسهون ورحب به اذا رجلا
وأسقه السم ان ظعرت به * وامر حله من لسانك العسل
وله أشياء مستملحة منها مقصورة هزلية ضاهى بها مقصورة ابن دريد من جملتها
وكل ملوم فلا بد له * من فرقة لو الزقوم باعرا

وله مرثية في عماد الدين بن يحيى بن آق سنقر الاتاكي شاب فيها الجسد بالهزل والغالب على
شعره الانطباع وتوفي ليلة الاربعاء رابع ذي القعدة سنة ٥٤٩ وقيل في السنة التي

قبلها بدمشق رحمه الله تعالى * والقاضي ابن المرخم المذكور هو الذي يقول فيه أبو القاسم
هبة الله بن الفضل الشاعر المعروف بابن القطان

يا ابن المرخم صرت فينا قاضيا * خرف الزمان تراه أم جن الفلك

ان كنت تحكم بالنجوم فربما * أما بشرع محمد من أين لك

وكان أبو الحكم المذكور فاضلا في العلوم الحكيمة متقنا للصناعة الطبية حسن النادرة
كثير المداعبة محبا للهو واللحاة والشراب وكان يعرف صنعة المويسيق ويلعب بالعود
ويجاس في دكان يجيرون للطب وسكاه بالبادين وأق في ديوانه نهج الوضاعة بكل غريب
يدل على انه أريب سألحه الله تعالى وغفر له * (ومن الراجلين من الاندلس الى المشرق) *
من هو الاحق بالتقديم والسبق الشهير عند أهل الغرب والشرق الحافظ المقرئ
الامام الرباني أبو عمرو والداني عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر الاموي مولا هم
القرطبي صاحب التصانيف التي منها المقنع والتيسير وعرف بالداني لسكاه دانية وولد
سنة ٣٧١ وابتدأ بطلب العلم سنة ٣٨٧ ورحل الى المشرق سنة ٣٩٧ فمكث بالقيروان
أربعة أشهر ودخل مصر في شوالها فمكث بها سنة ورجع الى الاندلس في ذي القعدة
سنة ٣٩٩ وقرأ بالروايات على عبد العزيز بن جعفر الفارسي وغيره بقرطبة وعلى أبي
الحسن بن غلبون وخلف بن خاقان المصري وأبي الفتح فارس بن احمد وسمع من أبي مسلم
الكاتب وهو أكبر شيوخه ومن عبد الرحمن بن عثمان القشيري وحاتم بن عبد الله البزار
 وغير واحد من أهل مصر وسواها وسمع من الامام أبي الحسن القاسبي وخلف كتبه
بالتجاز ومصر والمغرب والاندلس وتلا عليه خلق منهم مفرج الاقصاب وأبو داود بن نجاح
صاحب التنزيل في الرسم وهو من أشهر تلامذته وحدث عنه خلق كثير منهم خلف
ابن ابراهيم الطليطلي قال أبو محمد عبيد الله الجري ذكر بعض الشيوخ أنه لم يكن في عصر
الحافظ أبي عمرو والداني ولا بعد عصره أحد يدانيه ولا يضاهيه في حفظه وتحقيقه وكان
يقول ما رأيت شيئا قط الا كتبه ولا كتبه الا حفظته ولا حفظته فنتسبته قال ابن
بشكوال كان أبو عمرو وأحد الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره ومعانيه وطرقه وأعرابه
وجمع في ذلك كله نواليف حسنا وله معرفة بالحديث وطرقه وأعرابه وأسماء رجاله وكان
حسن الخط والضبط من أهل الحفظ والذكاء واليقين وكان دينافاضلا ورعاسنيا وقال
بعضهم وأظنه المغامي كان أبو عمرو ومجيب الدعوة مالكي المذهب وقال بعض أهل مكة
ان أبا عمرو والداني مقرئ متقدم واليه المنتهى في علم القراءات واتقان القرآن والقراء
خاضعون لتصانيفه واثقون بقله في القراءات والرسم والتجويد والوقف والابتداء وغير ذلك
له مائة وعشرون مصنفًا وروى عنه بالاجازة رجلان أحمد بن محمد بن عبد الله الخولاني
وأبو العباس أحمد بن عبد الملك بن أبي حمزة وكانت وفاته رحمه الله تعالى بدانية في نصف
شوال سنة أربع وأربعين وأربعمائة * (ومنهم أبو محمد عبد الله بن عيسى بن عبد الله بن
أحمد بن أبي حبيب الاندلسي من بيت علم ووزارة صرف عمره في طلب العلم في الفقه
والحديث والادب وولى القضاء بالاندلس مرة ثم دخل الاسكندرية ومصر وجاور بمكة

المشرفة ثم قدم العراق وأقام ببغداد ادمدة ثم وافى خراسان فأقام ببغداد وبلغ وكانت ولادته ببلاد الاندلس وتوفي به راحة في شعبان سنة ٥٤٨ هـ رحمه الله تعالى ورضي عنه * (ومنهم أبو العباس أحمد بن علي بن محمد بن علي بن شكر الاندلسي المقرئ رحل وأخذ القراءات عن أبي الفضل جعفر الهمداني وسمع من أبي القاسم بن عيسى وسكن الفيوم واختصر التيسير وصنف شرحاً للشاطبية وتوفي سنة ٦٤٠ هـ رحمه الله تعالى * (ومنهم العلامة ذوالقنون علم الدين القاسم بن أحمد المروني الأورقي المقرئ النحوي ولد سنة ٥٧٥ هـ وقرأ القراءات وأحسبكم العربية وبرع فيها واجتمع بالجزولي وسأله عن مسئلة في مقدمته وقرأ علم الكلام والاصول والفلسفة وكان خبيراً بهذه العلوم مقصوداً باقراءها وولي مشيخة قراءة العادلية ودرس بالعزريته تباية وصنف شرحاً للشاطبية وشرحاً للمفصل في عدة مجلدات وشرح الجزولية وغير ذلك وكان مليح الشكل حسن البرة رحمه الله تعالى وتوفي سنة ٦٦١ هـ رحمه الله تعالى ورضي عنه * (ومنهم أبو عبد الله بن أبي الربيع القيسي الاندلسي الغرناطي قدم مصر سنة ٥١٥ هـ أو بعده فسمع على السلفي وبقراءته على جماعة من شيوخ مصر وكان لديه فقه وأدب ثم سافر إلى باب الابواب وكان حياً سنة ٥٥٦ هـ ومن نظمه يمدح كتاب الشهاب

إن الشهاب له فضل على الكتب * بما حوى من كلام المصطفى العربي
كم ضم من حكمة غزاً وموعظة * ومن وعيد ومن وعد ومن أدب
أما القضاء فالرحمن يرحمه * كما حباه من التأليف بالعجب

* (ومنهم الحافظ أبو عامر محمد بن سعدون بن مريجي القرشي العبدري من أهل ميورقة من بلاد الاندلس سكن بغداد وسمع بها من أبي الفضل بن خيرون وطراد الزيني وأبي عبد الله الحميدي وجماعة ولم يزل يسمع إلى حين وفاته وكتب بخطه كثيراً من الكتب والابزاء وجمع ونسج وكان صحيح العقل معتمداً لضبط مرجوعاً إليه في الاتقان وكفاهم شرفاً أن روى عنه الحافظان أبو طاهر السلفي وأبو الفضل محمد بن ناصر وكان فهامة علامة ذامعرفة بالحديث متعمقاً في فقهه وكان يذهب إلى أن المناولة والعرض كالسمع وقال السلفي فيه انه من أعيان علماء الاسلام بمدينة السلام متصرف في فنون من العلم أدباً ونحواً ومعرفة بأنساب العرب والمحدثين وكان داوود المذهب قرشي النسب وقد كتب عني وكتب عنه وسمعنا من كثير على شيوخ بغداد ومولده بقرطبة من مدن الاندلس وقبل اجتماعي به كنت أسمع اسمعيل بن محمد بن الفضل الحافظ بأصبهان يثنى عليه فلما اجتمعنا وجدته فوق ما وصفه انتهى وقال ابن عساكر كان أحفظ شيخ لقيته وربما حكى عنه بعضهم كابن عساكر أمورا منكراً قاله أعلم وتوفي في ربيع الآخر سنة ٥٢٤ هـ ببغداد رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن سعدون الباجي سمع بصبر من ابن الورد وابن السكن وابن رشيق وبكة من الأجرى وكان صاحباً لفاضل زاهد أورعا حدث ومات ببطليوس فجاء سنة ٣٩٢ ومولده سنة ٣٢٢ * (ومنهم أبو بكر محمد بن سعدون التميمي الجزيري المتعبد كانت آدابه كثيرة وجع غير مرة ورابط ببلاد المغرب وكان حسن الصوت

بأقرآن سمع بمصر من جماعة وبمكة وصحب الفقراء وطاف بالشام وغزا غزوات وتعرض
للجهاد ومرض عليه وساح بجبل المقطم وذكر أنه صلى بمصر الضحى اثنتي عشرة ركعة ثم نام
فراى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان ما لك والليث اختلفا في الضحى
فمالك يقول ثنتا عشرة ركعة والليث يقول ثمانية فضرب عليه الصلاة والسلام بين
وركي ابن سعدون وقال راى مالك هو الصواب ثلاث مرات قال وكان في وركي وجع فن
تلك الليلة زال عني وكان له براهين من نور يضي عليه اذا صلى ونحوه وأنشد
سجن اللسان هو السلامة للفتى * من كل نازلة لها استئصال
ان اللسان اذا حلت عقاله * ألقا في شنعاء ليس يقال

توفي سنة ٣٤٤ * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن سعد الاعرج الطليطلي الخطيب ويقال
فيه ابن سعيد سمع بمصر ابن الورد وابن السكن وحدث مولده سنة ٣٠٩ وتوفي في ربيع
الآخر سنة ٣٨٤ * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن سعيد بن اسحق بن يوسف الاموي
القرطبي وأصله من ابله ولكن سكن قرطبة وقدم مصر ورجع وسمع في طريقه من الشيخ أبي
محمد بن أبي زيد صاحب الرسالة وأخذ عن القابسي وعن جماعة من علماء مصر والحجاز
ومولده سنة ٣٥٢ ورحلته سنة ٤١٨ * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حسان
ابن الحكم بن هشام القرطبي سمع من أبيه ويحيى بن يحيى وعبد الملك بن حبيب ورجل فسمع
من أنس بن عبد العزيز وعبد الله بن نافع وعبد الله بن عبد الحكم وعاد الى الاندلس وبها
توفي سنة ٢٦٠ رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن سليمان المعافري
الشاطبي نزيل اسكندرية ويعرف بابن أبي الربيع أحد أولياء الله تعالى شيخ الصالحين
صاحب الكرامات المشهورة جمع بين العلم والعمل والورع والزهد والانتقطاع الى الله
تعالى والتخلي عن الناس والتمسك بطريفة السلف قرأ القرآن يلاذه بالقراءات السبع على
أبي عبد الله محمد بن سعادة الشاطبي وغيره وقرأ بدمشق على الواسطي وسمع عليه الحديث
ورحل فسمع من الزاهد أبي يوسف يعقوب خادم أضياف رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين قبره ومنبره سنة ٦١٧ وسمع بدمشق على أبي القاسم بن مصري وأبي المعالي بن خضر
وأبي الوفاء بن عبد الحق وغيرهم وانقطع لعبادة الله تعالى في رباط سوار من الاسكندرية
بتربة أبي العباس الراسي وتلد للشاطبي تلميذا راى ومنه كتب احسنه منها كتاب المسلك
القريب في ترتيب الغريب وكتاب اللمعة الجامعة في العلوم النافعة في تفسير القرآن
العزيز وكتاب شرف المراتب والمنازل في معرفة العالي في القراءات والنازل وكتاب
المباحث السنية في شرح الحصرية وكتاب الحريقة في الباس الخرق وكتاب المنهج
المفيد فيما يلزم الشيخ والمريد وكتاب التبدلية في ألفاظ اصطلح عليها الصوفية
وكتاب زهر العريش في تحريم الخشيش وكتاب الزهر المضي في مناقب الشاطبي وكتاب
الاربعة المضية في الاحاديث النبوية ومولده بشاطية سنة ٥٨٥ ووفاته بالاسكندرية
في رمضان سنة ٦٧٢ ودفن بتربة شيخه المجاورة لزاوية رحمه الله تعالى وتقع بهما
* (ومنهم أبو عبد الله محمد بن شريح الرعيني الاشيلي قدم مصر وسمع بهما من ابن نفيس

وأبي علي الحسن البغدادي وأبي جعفر النحوي وأبي القاسم بن الطيب البغدادي الكاتب وبكة من أبي ذر الهروي قال ابن بشكوال كان من جملة المقرئين وخيارهم ثقة في روايته وكانت رحلته إلى المشرق سنة ٤٢٣ وولادته سنة ٣٩٤ وتوفي سنة ٤٧٦ وعمره أربع وثمانون سنة الاخيرة وخمسين يوما وروى بإسبيلية عن جماعة رحمه الله تعالى * (ومنه) أبو عبد الله محمد بن صالح الانصاري الملقب بالسلفي هو شاب من أهل الأدب له خاطر سمح كان يحضر عندي بالاسكندرية كثير السماع للحديث وذكر أنه قرأ الأدب على أبي الحسين بن الطراوة النحوي بالاندلس وعلى نظرائه وأنشدني لنفسه

كم ذات قلقلني النوى وتسوقي * والى متى أشجى بها وأسام
ألفت ركائي الفلا فكنما * للبين عهد بيننا ودام
يا ويح قلبي من فراق أحبة * أبدا نصتعه به الأيام

* (ومنه) أبو عبد الله محمد بن صالح القحطاني المعافري الاندلسي المالكي رحل إلى المشرق فسمع بالشام من خبثة بن سليمان وبكة أبي سعيد بن الاعرابي وبغداد محمد بن اسمعيل بن محمد الصقار وسمع بالمغرب بكر بن حماد التاهرتي ومحمد بن وضاح وقاسم بن اصبغ وغيرهم وعصر جماعة من أصحاب يونس والمزني روى عنه أبو عبد الله الحاكم وقال اجتمعنا به بمحاذات مات بخاري سنة ٣٨٢ وقبل سنة ثمان وقبل سنة تسع وسبعين وقال فيه أبو سعيد الاندلسي انه كان من أفاضل الناس ومن ثقاةهم وقال غنجا رانه كان فقيها حافظا جمع تاريخا لأهل الاندلس وقال السمعاني فيه كان فقيها حافظا رحل في طلب العلم إلى المشرق والمغرب رحمه الله تعالى * (ومنه) أبو عبد الله محمد بن طاهر علي بن عيسى الخزرجي الداني النحوي أخو أبي العباس بن عيسى سمع بدانية من أبي داود المقرئ وغيره وقدم دمشق سنة ٥٥٤ حين خرج حاجا وأقرأ بدمشق الحكومة ثم خرج إلى بغداد وأقام بها إلى أن مات سنة ٦١٩ وولادته سنة ٥١٢ وقدم مصر سنة ٥٧٢ وله من المصنفات كتاب تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب ومن كلامه ليست هبة الشيخ لشبيهه ولا لسنه ولا لشخصه ولكن لكمال عقله والعقل هو المهاب ولو رأيت شخصا جمع جميع الخصال وعدم العقل لما هبته وقال من جهل شيئا عابه ومن قصر عن شيء هابه * (ومنه) القاضي الشهير محمد بن بشير وهو محمد بن سعيد بن بشير بن شراحيل المعافري وقيل في آبائه غير ذلك كما يأتي ولما أشير على الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بتقديم ابن بشير إلى خطة القضاء بقرطبة وجه إليه بياضة فأقبل ولا يعلم ما دعى إليه ونزل على صديق له من العباد فتحدث في شأن استدعائه وقدم أنه يعرف فن الكتابة فقال له العابد ما أراه بعث فيك الالتهضاء فان القاضي بقرطبة مات وهي الآن دون قاض فقال ابن بشير فأنما أستشير في ذلك ان وقع فقال أسألك عن أشياء ثلاثة وأعزم عليك أن تصدقني فيها ثم أشير بعد ذلك عليك فقال ما هي فقال كيف حبك لآكل الطيب واللباس اللين وركوب الفاره فقال والله لا أبالي ما رددت به جوعي وسترت به عورتي وسلمت به رحلي فقال هذه واحدة فكيف حبك للتمتع بالوجوه الحسان والتبطن للكواعب

الغيد وما شا كل ذلك من الشهوات فقال هذه حال والله ما استشرقت قط اليها ولا خطرت
 بيالي ولا اكرثت لفقد ها فقال وهذه ثانية فكيف حبك لمدح الناس لك وثناهم عليك
 وكيف حبك للولاية وصكر اهيتك للعزل فقال والله ما أبالي في الحق من مدحني أو ذمتني
 وما أسير للولاية ولا أستوحش للعزل فقال وهذه الثالثة اقبل الولاية فلا بأس عليك فقدم
 قرطبة فولاه الامير الحكم القضاء والصلاة قال ابن وضاح أخبرني من كان يرى محمد بن
 بشير القاضي داخل على باب المسجد الجامع يوم الجمعة وعليه رداء معصفر وفي رجله نعل
 صرارة وله جمة مفرقة ثم يقوم فيخطب ويصلي وهو في هذا الزي وبه كان يجلس للقضاء بين
 الناس فان رام أحد من دينه شيئا وجدته أبعد من التريا وأتاه رجل لا يعرفه فلما رأى ما هو
 فيه من زي الحدائث من الجمة المفرقة والرداء المعصفر وظهور الكحل والسوال وأثر الخناء
 في يديه توقف وقال دلوني على القاضي فقيل له ها هو وأشير اليه فقال اني رجل غريب
 وأراكم تستهزئون بي أنا سألكم عن القاضي وأنتم تدلونني على زامر فصحواله أنه القاضي
 فقدم اليه واعتذر فأدناه وتحدث معه فوجد عنده من العدل والانصاف فوق ما ظنه
 فكان يحدث بقصته معه وعوتب في ارسال لفته وابسه الخنز والمعصفر فقال حدثني مالك
 ابن أنس أن محمد بن المنكدر وكان سيد القراء كانت له لمة وأن هشام بن عروة فقيه
 هذا البلدي في المدينة كان يلبس المعصفر وأن القاسم بن محمد كان يلبس الخنز ولقد سئل يحيى
 ابن يحيى عن لباس العمام فقال هي لباس الناس في المشرق وعليه كان أمرهم في القديم
 فقيل له لو ابستم بالاتباع الناس في لباسها فقال قد لبس محمد بن بشير الخنز فاتباعه الناس فيه
 وكان ابن بشير أهلا أن يقتدى به فعلى لو ابست العمامة لتركى الناس ولم يتبعوني كما تركوا
 ابن بشير وكان أول ما نظره فيه محمد بن بشير حين ولي القضاء التسجيل على الخليفة الحكم
 في ارحلى القنطرة اذ قيم عليه فيها وثبت عنده حق المدعى وأعدت الى الحكم فلم يكن عنده
 مدفع فسيجل فيها وأثم مد على نفسه فنامت مديدة حتى ابتاعها الحكم ابتاعا صحيحا
 فسر بذلك وقال رحم الله محمد بن بشير فلقد أحسن فيما فعل بساعلى كره منا كان
 في أيدينا شيء مشتبه فصحه لنا وصار حلالا لطيب الملك في أعقابنا وحكم على ابن فطيس
 الوزير ولم يعرفه بالشهود فرفع الوزير ذلك الى الحكم وتظلم من ابن بشير فأومأ الحكم اليه
 ان الوزير كره حكمك عليه بشهادة قوم لم تعرفهم ولا اعذرت اليه فيهم وان أهل العلم
 يقولون ان ذلك له فكتب اليه ابن بشير ليس ابن فطيس عن يعرف عن شهد عليه لانه
 ان لم يجد سبيلا الى تبريحهم لم يخرج عن طلب أذاهم في أنفسهم وأموالهم فيدعون
 الشهادة هم ومن اتسى بهم وتضيع أموال الناس وأكثروا من سماعة أحد خواص
 الامير الحكم في ابن بشير الشكاية وأنه يجور عليه فقال له الحكم أنا أمتحن قولك الساعة
 فأخرج اليه فورا واستأذن عليه فان أذن لك عزلة وصدقت قولك فيه وان لم يأذن لك
 دون خصمك ارددت بصيرة فيه فليس هو عندي بجائر على حال وانما مقصده الحق في كل
 ما يصرف فيه فخرج يؤتم دار ابن بشير وقد أمر الحكم من يتق به من القبان الصقالبة
 أن ينفقوا أثره ويعلموا ما يكون منه فلم يكن الا ريثما بلغ ثم انصرف فحكى للحكم أنه لما خرج

قوله ارحلى في بعض النسخ
 ارحى ولعله محرف عن ارض
 وليحذر

الاذن الى موسى وعلم القاضي بمكانه عاد اليه فقال له ان كانت لك حاجة فاقصد فيها اذا
 جلس القاضي مجلس القضاء فتبسم الحكم وقال قد أعلمته أن ابن بشير صاحب حق
 لاهوادة فيه عنده واحد * وولى القضاء مرتين فلما عزل المرة الاولى انصرف الى بلده وكان
 بعض اخوانه يعاتبه في صلاحته ويقول له أخشى عليك العزل فيقول له ليته قدر ان
 الشقراء يعنى بغلته تقطع الطريق يوقى حادثة نحو باجة فامضى الايسر حتى عتب عليه الامير
 في قصة اشتد فيها على بعض خاصته فكانت سبب العزله وانصرف كما تمنى فلم يكث الايسر
 حتى أتى فيه رقاص من قبل الامير الحكم والرقاص عند المغاربة هو الساعي عند المشاركة
 فعاد الى قرطبة وجبره على القعود للقضاء الامير الحكم فلما دمنه باليمن بطلاق زوجته
 وبصدقة ما يملك في سبيل الله تعالى ان حكم بين اثنين فلم يعذره وأخرج من ماله وعوضه من
 طبيب ما عنده ووهب له جارية من جواريه فعاد الى القضاء ثانية * ومما يحكى عنه
 في العدل أن سعيد الخير ابن السلطان عبد الرحمن الداخل وكل عند ابن بشير وكيلا يخاصم
 عنه لشيء اضطر اليه وكانت بيده فيه وثيقة فيها شهادات شهود قد ماتوا ولم يكن فيها من
 الاحياء الا الامير الحكم وشاهد آخر مبرز فتشهد لسعيد الخير ذلك الشاهد وضربت على
 وكيله الآجال في شهادته وان وجدته الخصام قد دخل سعيد الخير بالكتاب الى الحكم وأراه
 شهادته في الوثيقة وقد كان كتبها قبل الخلافة في حياة أبيه وعرفه مكان حاجته الى ادايتها
 عند قاضيه خوفا من بطلان حقه وكان الحكم يعظم سعيد الخير عنه ويلترم مبرته فقال له
 يا عم انا لست من أهل الشهادات وقد التبسنا من هذه الدنيا بما لا تجهله ونخشى أن نوقفنا
 مع القاضي موقف مخزاة كنا فديده بملكنا فصر في خصامك حيث صيرك الحق اليه وعلينا
 خلف ما اتقصك فأبى عليه وقال سبحان الله وما عسى أن يقول قاضيك في شهادتك
 وأنت وليته وهو حسنة من حسناتك وقد لزمتك في الديانة أن تشهد لي بما علمته ولا تكتمني
 ما أخذ الله عليك فقال بلى ان ذلك لمن حقت كما تقول ولكنك تدخل علينا به داخله فان
 أعفيتنا منه فهو أحب الينا وان اضطررتنا لم يكنا عقوقك فعزم عليه عزم من لم يشك أن قد
 ظفر بحاجته وضايقته الآجال فألح عليه فأرسل الحكم عند ذلك الى فقيهين من فقهائه
 زمانه وخط شهادته بيده في قرطاس وختم عليها بخاتمه ودفعها الى الفقيهين وقال لهما
 هذه شهادتي بخطي تحت ختمى فأدياها الى القاضي فأتياه بهما الى مجلسه وقت قعوده للسمع
 من الشهود فأدياها اليه فقال لهما قد سمعت منكما فقوما راشدين في حفظ الله تعالى وجاء
 وكيل سعيد الخير وتقدم اليه مدلا واثقا وقال له أيها القاضي قد شهد عندك الامير أصلحه
 الله تعالى فما تقول فأخذ كتاب الشهادة ونظر فيه ثم قال لا وكيل هذه شهادة لا تعمل عندي
 فجتني بشاهد عدل فدهش الوكيل ومضى الى سعيد الخير فأعلمه فركب من فورهم الى الحكم
 وقال ذهب سلطانتنا وأزيل بها ونابجترى هذا القاضي على رد شهادتك والله سبحانه قد
 استخلفك على عبادته وجعل الامر في دماهم وأموالهم اليك هذا ما يجب أن تحمله عليه
 وجعل يغريه بالقاضي ويحترضه على الايقاع به فقال له الحكم وهل شككت أنا في هذا يا عم
 القاضي رجل صالح والله لا تأخذه في الله لومة لائم فعل ما يجب عليه ويلزمه وسددونه بابا

كان يصعب عليه الدخول منه فأحسن الله تعالى جزاءه فغضب سعيد الخيري وقال هذا حسبي منك فقال له نعم قد قضيت الذي كان لك علي ولست والله أعارض القاضي فيما احتاط به لنفسه ولا أخون المسلمين في قبض يده مثله ولما عوتب ابن بشير فيما أتاه من ذلك قال لمن عاتبه يا عاجز أما تعلم أنه لا بد من الاعتذار في الشهادات فمن كان يجترئ على الدفع في شهادة الأمير لو قبلتها ولولم أعذر لجنحت المشهود عليه حقه * وتوفي القاضي محمد بن بشير سنة ١٩٨ قبل الشافعي بست سنين كما يأتي قرياً ومجاسنه رحمه الله تعالى كثيرة وقد استوفى تربيته بقدر الامكان القاضي عياض في المدارك فليراجعها من أرادها فان عهدي بها في المغرب * وقال بعض من عرّف به مانعه القاضي محمد بن بشير بن محمد المعافري أصله من جند باجة من عرب مصر ولما الحكم بن هشام قضاء القضاة الذي يعبرون عنه بالمغرب بقضاء الجماعة بقرطبة بعد المصعب بن عمران ثم صرفه وولى مكانه الفرج بن كنانة وعن ابن حارث قال أحد بن خالد طالب محمد بن بشير العلم بقرطبة عند شيوخ أهلها حتى أخذ منه بحظ وافر ثم كتب لأحد أولاد عبد الملك بن مروان لمظلة فآلت له على وجه الاعتصام به وتصرف معه تصراً فالطيفاً ثم انقبض عنه وخرج حاجاً قال ابن حارث وكتب محمد بن بشير في حديثه للقاضي مصعب بن عمران ثم خرج حاجاً فلقى مالك بن أنس وجالسه وسمع منه وطلب العلم أيضاً بمصر ثم انصرف فلزم ضيعته في باجة وقال ابن حبان انه استقدم من باجة للقضاء برأى العباس بن عبد الملك وقال ابن شعبان في الرواة عن مالك من أهل الاندلس محمد بن بشير بن سرافيل ويقال شراحيل ولى القضاء وكان رجلاً صالحاً وبعد له تضرب الامثال واستوطن قرطبة وتوفي بها سنة ثمان وتسعين ومائة انتهى وبعضه عن غيره ومن شعره قوله

انما أزرى بقدرى انى * لست من بابة أهل البلد
ليس منهم غير ذى عقلية * لذوى الالباب أودى حسد
يتحامون لقائى مثل ما * يتحامون لقاء الاسود
مطلعي أثقل في أعينهم * وعلى أنفسهم من أحد
لوراؤنى وسط بحر لم يكن * أحدياً أخذ منهم يدي

* (ومنهم محمد بن عيسى بن دينار الغافقي من أهل قرطبة كان فقيهاً زاهداً ورجلاً وحضراً اقتتاح اقريطش واستوطنها قاله الرازي * (ومنهم محمد بن يحيى بن يحيى الليثي خرج حاجاً ولقى سحنون بن سعيد باقر بقية ولقى بمصر رجلاً من أصحاب مالك فسمع منهم وعرف بالفقه والزهد وجاور بمكة وتوفي هنالك * (ومنهم محمد بن مروان بن خطاب المعروف بابن أبي حمزة رحل حاجاً هو وابناه خطاب وعميرة في سنة اثنتين وعشرين ومائتين وسمعوا ثلاثتهم من سحنون بن سعيد المدقنة بالقروان وأدركوا أصبغ بن الفرج وأخذوا عنه * (ومنهم محمد بن أبي قلاعة البواب من أهل قرطبة كانت له رحلة الى المشرق ولقى فيها جماعة من أهل العلم وأخذ عن أبي اسحق الزجاجي وعن أبي بكر بن الانباري وعن أبي الحسن علي بن سليمان الاخفش وأبي عبد الله نبطويه وغيرهم وسمع من الاخفش

الحكام للمبرد وقال الحكم المستنصر لم يصح كتاب الكامل عندنا من رواية الامن قبل ابن
ابي قلاعة وكان ابن جابر الاشبيلي قد رواه قبل عصر بئدة وما علمت أحدا رواه غيره مما
وكان ابن الاثير القرشي يذكرانه رواه وكان صدوقا ولكن كتابه ضاع ولو حضر ضاهي
الرجلين المتقدمين * (ومنهم محمد بن حزم بن بكر التنوخي من أهل طليطلة وسكن قرطبة
يعرف بابن المديني سمع من أحمد بن خالد وغيره وصحب محمد بن مرة الجبلي قديما واختص
بمرافقته في طريق الحج ولازمه بعد انصرافه وكان من أهل الورع والانقباض وحكى عن
ابن مسرة أنه كان في سكك المدينة يتبع آثار النبي صلى الله عليه وسلم قال ودله بعض أهل
المدينة على دار مارية أم ابراهيم مريّة النبي صلى الله عليه وسلم فقصد اليها فاذا هي دويرة
لطيفة بين البساتين بشرقي المدينة عرضها وطولها واحد قد شق في وسطها بحائط وفرش
على حائطها خشب غليظ يرتقي الى ذلك الفرش على خارج لطيف وفي أعلى ذلك بيتان
وسقيفة كانت مقعد النبي صلى الله عليه وسلم في الصيف قال فرأيت أبا عبد الله بعد ما صلى
في البيتين والسقيفة وفي كل ناحية من نواحي تلك الدار ضرب أحد البيتين بشجرة
فكشفته بعد انصرافه وهو ساكن في الجبل عن ذلك فقال هذا البيت الذي تراني فيه بنيت
على تلك الحكاية في العرض والطول بلا زيادة ولا نقصان انتهى * (ومنهم محمد بن يحيى
ابن مالك بن يحيى بن عاثن والد أبي زكريا الراوية من أهل طرطوشة يكنى أبا بكر تأدب بقرطبة
وسمع به من قاسم بن أصبغ ومحمد بن معاوية القرشي وأحمد بن سعيد ومنذ بن سعيد
وأبي علي القالي وغيرهم وكان حافظا للنحو واللغة والشعر يقوت من جاراته على حدائه
سنة شاعرا مجيدا مرسلابليغا ورحل مع أبيه الى المشرق سنة تسع وأربعين وثلثمائة
فسمع بمصر من ابن الورد وابن السكن وحزرة الكخاني وغيرهم وسمع أيضا بالبصرة وبغداد
كثيرا وخرج الى أرض فارس فسمع هناك وجع كتباً عظيمة وأقام بها الى أن توفي بأصبهان
مغتبطا مع الستين وثلثمائة ومولده بطرطوشة صدر ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين
وثلثمائة ذكره ابن حبان رحمه الله تعالى * (ومنهم محمد بن عبدون الجبلي العدوي من
أهل قرطبة تأدب بالحساب والهندسة ورحل في سنة سبع وأربعين وثلثمائة فدخل مصر
والبصرة وعنى بعلم الطب فهرقه ودير مارستان القسطنطين ثم رجع الى الاندلس في سنة
ستين وثلثمائة فأنصل بالمستنصر بالله وابنه المؤيد بالله وله في التكملة تاليف حسن
رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الأزدي الفراء القرطبي
صحب أبا بكر بن يحيى بن مجاهد واختص به واطف محله منه وقرأ عليه القرآن ورحل صحبته
لاداء فريضة الحج وكان رجلا صالحا كثيرا تلاوة القرآن والتشوع اذا قرأ بكى ورتل وبين
في مهمل ويقول أبو بكر علمني هذه القراءة وحكى أنه سرد الصوم اثني عشرة سنة قبل
موت ابن مجاهد مفطرا لكل ليلة وقت الافطار ثم تعادى على ذلك بعد موته مفطرا عقب
العشاء الآخرة لالتزامه الصلاة من المغرب اليها تزيد من الخير واجتهادا في العمل
* (ومنهم أبو عبد الله محمد بن صالح المعافري الاندلسي رحل الى المشرق فسمع خزيمة بن
سليمان وأبا سعيد بن الاعرابي واسماعيل بن محمد الصفار وبكر بن حماد التاهرتي وغيرهم

روى عنه أبو عبد الله الحاكم وقال اجتمعنا به مئذان سنة احدى وأربعين يعني وثلاثمائة
فتوجه منها الى أصبهان وكان قد سمع في بلاده وبصر من أصحاب يونس وبالجواز وبالشام
وبالجزيرة من أصحاب علي بن حرب وبيغداد وورد نيسابور في ذي الحجة سنة احدى
وأربعين فسمع الكثير ثم خرج الى مرو ومنها الى بخارى فتوفي بها في رجب من سنة
ثلاث وثمانين وثلاثمائة وروى عنه أيضا أبو القاسم بن حبيب النيسابوري وغيرهما
ذكره ابن عساكر وأسنده اليه قوله

ودعت قلبي ساعة التوديع * وأطعت قلبي وهو غير مطيع

ان لم أشيعهم فقد شيعتهم * بمشيعين تنفسي ودموعي

وذكره ابن الفرضي وقال انه استوطن بخارى وجعل وفاته به سنة ثمان وسبعين والاول
قول الحاكم وهو أصح * (ومنها أبو عبد الله محمد بن احمد الانصاري السرقسطي روى
عنه البايجي وابن عبد البر ورحل حاجا فقدم دمشق وحدث بها عن شيخه الاندلسي
وعن أبي حفص عمر بن أبي القاسم بن أبي زيد القفصي وذكره ابن عساكر وقال سمع عنه
أبو محمد الاكفاني وحكى عنه تدليسا ضعفه به وتوفي سنة ٤٧٧ * (ومنها أبو عبد الله
محمد بن عيسى بن بقاء الانصاري من بلاد الثغرا الشرقى أخذ القراءات بالسبع وأخذ عنه
جماعة من أهلها وكان شيخا فاضلا حافظا للحكايات قليل التكلف في اللباس ذكره ابن عساكر
وقال رأيت وسمعت يند قصيدة يوم خرج الناس لامصلي للاستسقاء على المنبر أولها

أستغفر الله من ذنبي وان كبرا * وأستقل له شكرا وان كثيرا

وكان يسكن في دار الحجارة ويقري بالمسجد الجامع ولد في الثاني والعشرين من شعبان
سنة أربع وخمسين وأربعمائة وتوفي يوم الاربعاء عند صلاة العصر ودفن يوم الخميس
لصلاة الظهر الثاني من ذي الحجة سنة اثني عشرة وخمسمائة ودفن في مقابر الصحابة
بالقرب من قبر أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال وشهدت أنا غسله والصلاة عليه ودفنه
وذكره السلفي * (ومنها أبو عبد الله محمد بن طاهر بن علي بن عيسى الانصاري الخزرجي
من أهل دانية سمع كتاب التقصي لابن عبد البر وإني أبا الحسن الحصري ثم خرج
حاجا فقدم دمشق سنة أربع وخمسمائة وأقام بها مدة يقري العربية وكان شديد الوسوسة
في الوضوء ذكره ابن عساكر وقال أنشدني أخي أبو الحسن هبة الله بن الحسن الفقيه
قال أنشدنا ابن طاهر الاندلسي بدمشق قال أنشدني الحصري لنفسه

يموت من في الانام طرا * من طيب كان ومن خبيث

فستريح ومستراح * منه كجاء في الحديث

قال وأنشدني الحصري لنفسه

لو كن تحت الارض أو فوق الذرى * حر أتيج له العدو لبوذي

فاحذر عدوك وهو أهون هين * ان البعوضة أردت التروذا

* (ومنها محمد بن أبي سعيد الفرج بن عبد الله البزاز من أهل سرقسطة لقي بدانية الحصري
وسمع منه بعض منظومه ورحل حاجا فآذى الفريضة ودخل العراق فسمع من جماعة

وأجازوا له منهم ابن خيرون والحجدي وأبو زكريا التبريزي وابن المبارك عبد الجبار وثابت
ابن بدار وهبة الله بن الأصم كفاي وغيرهم ونزل الاسكندرية وحدث بها وأخذ
الناس عنه وتوفي هنالك وأنشد للحصري

الناس كالارض ومنها هم * من خشن اللبس ومن لين
وتشكى الارجل منها الوجي * وأشد يجعل في العين

وروى عنه ابن الحضرمي وابن جارة وغيرهما * (ومنهم أبو بكر محمد بن الحسين الشهير
بالمبورقي لأن أصله منها وسكن غرناطة وروى عن أبي علي الصدفي ورحل حاجا فسمع بمكة
من أبي الفتح عبد الله بن محمد البياضي وأبي نصر عبد الملك بن أبي مسلم النهاوندي
في شوال وذي القعدة من سنة ٥١٧ وبالاسكندرية من أبي عبد الله الرازي وأبي الحسن
ابن مشرف وأبي بكر الطرطوشي وغيرهم وعاد إلى الاندلس بعد مدة طويلة فحدث
في غير ما بلد لتجوله وكان فقيها ظاهريا عارفا بالحديث وأسماء الرجال متقنا لما رواه يغلب
عليه الزهد والصلاح روى عنه أبو عبد الله النخعي الحافظ ويقول فيه الأزدي تداننا
لأن الانصار من الأزدي وأبو بكر بن رزق وأبو عبد الله بن عبد الرحيم وابن عبد المنعم
وسواهم وصار أخيرا إلى بجاية هاربا من صاحب المغرب حينئذ بعد أن جعل إليه هو وأبو
العباس بن العريف وأبو الحكم بن بركان وحدث هنالك وسمع منه في سنة ٥٣٧ رحمه الله
تعالى * (ومنهم أبو الحسن محمد بن عبد الرحمن بن الطفيل العبدي الأشبيلي ويعرف بابن
عظيمة أخذ القراءات عن أبي عبد الله السرقطي وروى عن أبي عبد الله الخولاني
وأبي عبد الله بن فوج وأبي علي الغساني وأبي داود المقرئ وأبي جعفر بن عبد الحق
وأبي الوليد بن طريف ورحل حاجا فروى بمكة عن رزين بن معاوية ثم بالاسكندرية
عن ابن الحضرمي أبي عبد الله محمد بن منصور وأبي الحسن بن مشرف الانطاقي
وبالمهديّة عن المأزري وكانت رحلته مع أبي علي منصور بن الحنبل إلى لقاء أبي
معشر الطبري فبلغه ما نفيه بصر فلما قفلا من مجهما قعد منصور يقول قرأت علي أبي
معشر واقتصر أبو الحسن في تصدّره للقراءة على الحديث عن لقي فعرف مكانه من
الصدق والعدالة وولى الصلاة بيده وتقدم في صناعته واشتهر بها وتلاه أهل بيته فيها
فأخذ عنهم الناس وله ارجوزة في القراءات السبع وأخرى في مخارج الحروف وشرح
قصيدة الشقراطسي وله أيضا كتاب الفريدة الحمصية في شرح القصيدة الحصرية وإليه
والى بنيه بعده كانت الرياسة في هذا الشأن ومن جله الرواة عنه أبو بكر محمد بن خير قرأ عليه
الشهاب القضاعي وأجاز له جميع رواياته وتو اليقه في رجب سنة ٥٣٦ وتوفي في حدود
الاربعين وخسمائة وروى عنه أبو الضحالك النزارى * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن
ابراهيم بن عيسى بن هشام بن جراح الخزرجي من أهل جيان ويعرف بالبغدادي لطول
سكناه اياها روى عن أبي علي الغساني وأبي محمد بن عتاب ورحل حاجا فلقى أبا الحسن
الطبري المعروف بالسكا وأباطاب الزينبي وأبا بكر الشاشي وغيرهم وكان فقيها مشاورا
حدث عنه أبو عبد الله النخعي وأبو محمد بن عبيد الله وأبو عبد الله بن حميد وأبو القاسم

عبد الرسيم بن المجلوم وغير واحد وتوفي بقاس سنة ٥٤٧ هـ * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن علي بن ياسر الانصاري الجبلي) ونزل حلب يكنى أبا بكر رحل إلى المشرق وأدى القريضة وقدم دمشق قبل العشرين وخمسمائة وسكن قنطرة سنان منها وكان يعلم القرآن ويتردد إلى أبي عبد الله نصر الله بن محمد يسمع الحديث منه ثم رحل صحبة أبي القاسم بن عساكر صاحب تاريخ الشام إلى بغداد سنة عشرين وكان زميله فسمع بهما معه من هبة الله بن الحسين وغيره ثم خرج إلى خراسان فسمع بهما من حمزة الحسيني وأبي عبد الله القراوي وأبي القاسم الشحام وغيرهم وسمع بيلج جماعة منهم أبو محمد الحسن بن علي الحسيني وأبو التجم مصباح بن محمد المكي وغيرهما وبلغ الموصل فقام بهامدة يسمع منه ويؤخذ عنه ثم انتهى إلى حلب فاستوطنها وملت إليه خزائن الكتب النورية وأجريت عليه جراية وكان فيه عسر في الرواية والاعارة معا ورقف كسبه على أصحاب الحديث وله عوال مخترجة من حديثه ساوي بعض شيوخ البخاري ومسلم وأباداود والترمذي والنسائي روى عنه أبو حفص المياثشي وأبو المنصور مظفر بن سوار النخعي وأبو محمد عبد الله بن علي بن سويده وابن أبي السنان وغيرهم ذكره ابن عساكر في تاريخه وقال سمعت منه ومات في جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وخمسمائة على ما بلغني وقال ابن نقطة حدثت عن جماعة منهم أبو القاسم سهل بن إبراهيم النيسابوري وأبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الهمداني حدثنا عنه أبو محمد عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان الحلبي وأخوه أبو العباس أحمد وحكي عن الحسن بن هبة الله ابن مصري أنه توفي بحلب في جمادى الأولى سنة ثلاث وستين كما تقدم وقد بلغ السبعين قاله ابن الأبار * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة مرمي سكن شاطبة ودارس له بالنسبة سمع أبا علي الصدي واختص به واكثر عنه واليه صارت دواوينه وأصوله العتاق وأتمت كتب الصحاح لصهر كان بينهما وسمع أيضا أبا محمد بن أبي جعفر ولازم حضور مجلسه للفقهاء به وحمل ما كان يرويه ورحل إلى غرب الأندلس فسمع محمد بن عتاب وأبا بحر الأسدي وأبا الوليد بن رشد وأبا عبد الله بن الحاج وأبا بكر بن العربي وغيرهم وكتب إليه أبو عبد الله الخولاني وأبو الوليد بن ظريف وأبو الحسن بن عفيف وأبو القاسم بن صواب وأبو محمد بن السيد وغيرهم ثم رحل إلى المشرق سنة عشرين وخمسمائة فلقى بالاسكندرية أبا الحاج بن فادر الميبرقي وصحبه وسمع منه وأخذ عنه الفقه وعلم الكلام وأدى فريضة الحج في سنة إحدى وعشرين ولقي بمكة أبا الحسن رزين بن معاوية العبدري إمام المالكية بها وأبا محمد بن صدقة المعروف بابن غزال من أصحاب كريمة المروية فسمع منها وأخذ عنها وروى عن أبي حسن علي بن سنان بن عياش الغساني ما حمل على أبي حامد الغزالي من تصانيفه ثم انصرف إلى ديار مصر فصحب ابن نادر إلى حين وفاته بالاسكندرية ولقي أبا طاهر بن عوف وأبا عبد الله بن مسلم القرشي وأبا طاهر السلفي وأبا بكر بن الرزائي وغيرهم فأخذ عنهم وكان قد كتب إليه منها أبو بكر الطرطوشي وأبو الحسن بن مشرف الأنطاقي ولقي في صدره بالمهدية أبا عبد الله الماززي فسمع منه بعض كتاب المعلم وأجاز له باقيه وعاد إلى مرسية في سنة ست وعشرين وقد حصل في رحلته علوما جمة ورواية فسيحة وكان

عارفا بالسنة والآثار مشاركا في علم القرآن وتفسيره حافظا للأفروع بصيرا باللغة والغريب
 ذا حظ من علم الكلام ما تلا الى التصوف مؤثرا له أدبيا بليغا خطيبا فصيحاً ينشئ الخطب مع
 الهدى والسمت والوقار والحلم جميل الشارة محافظا على التلاوة بالخشوع راتباعا على الصوم
 وولي خطة الشورى بمروية مضافة الى الخطبة بجماعها وأخذ في إسماع الحديث
 وتدريس الفقه ثم ولي القضاء بهم بعد انقراض دولة الملمة ونقل الى قضاء شاطبة فاتخذها
 وطنا وكان يسمع الحديث بها وعروسية وبلنسية ويقوم الخطب أيام الجمع في جوامع
 هذه الامصار الثلاثة متعاقبا عليها وقد حدث بالمريّة وهنالك أبو الحسن بن موهب وأبو محمد
 الرشاطي وغيرهما وسمع منه أبو الحسن بن هذيل جامع الترمذي وأب كتابه شجرة
 الوهم المترقية الى ذروة الفهم ولم يسبق الى مثله وليس له غيره وجمع فهرسة طوله ووصفه
 غير واحد بالتفنن في العلوم والمعارف والرسوخ في الفقه وأصوله والمشاركة في علم الحديث
 والآداب وقال ابن عباد في حقه انه كان صليبا في الاحكام مقتنيا للعدل حسن الخلق
 والخلق جميل المعاملة لين الجانب فكه الجمالسة ثبتا حسن الخط من أهل الاتقان والضبط
 وحكى انه كانت عنده أصول حسان بخط عمه مع الصحيح بخط السلفي في سفرين قال ولم
 يكن عنده شيو خنا مثل كتبه في صحته واتقانها وجودتها ولا كان فيهم من رزق عند الخاصة
 والعامّة من الحظوة والدكر وجلالة القدر ما رزقه وذكره أبو سفيان أيضا وأبو عمرو بن
 عات ورفعهوا جميعا يدكره وتوفي بشاطبة مصر وقاع قضائها آخر الحجة سنة خمس ودفن
 أول يوم من سنة ست وستين وخمسة ودفن بالروضة المنسوبة الى أبي عمر بن عبد البر
 ومولده في رمضان سنة ٤٩٦ * (ومنها محمد بن ابراهيم بن وضاح اللخمي من أهل
 غرناطة ونزل جزيرة شقر يكنى أبا القاسم وأخذ القراءة عن أبي الحسن بن هذيل وسمع
 منه كثيرا ورحل حاجا فاذى الفريضة وأخذ القراآت سنة عن أبي علي بن العرجاء
 في سنة ست وأربعين وخمسة وسنة سبع بعدها ورجع ثلاث حجّات ودخل بغداد وأقام
 في رحلته نحو من تسعة أعوام وقفل الى الاندلس فنزل جزيرة شقر من أعمال بلنسية
 وأقرأ بها القرآن نحو من أربعين سنة لم يأخذ من أحد أجرا ولا قبل هدية وولي الصلاة
 والخطبة بجامعها وكان رجلا صالحا زاهدا مشاورا اثار اليه باجابه الدعوة معروفا بالورع
 والانقباض وتوفي في صفر سنة ٥٨٧ * (ومنها أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن
 التجيبي نزيل تلمسان من أهل القنت على مروسية وسكن أبوه أوريولة رحل الى المشرق
 فاذى الفريضة وأطال الإقامة هنالك واستوسع في الرواية وكتب العلم عن جماعة كثيرة
 أزيد من مائة وثلاثين من أعيانهم المشرقيين أبوطاهر السلفي صحبه واختص به وأكث
 عنه وحكى عنه انه لما ودّعه في قفوله الى المغرب سأله عما كتب عنه فأخبره انه كتب كثيرا
 من الاسفار ومئين من الاجراء فسر بذلك وقال له تكون محدث المغرب ان شاء الله تعالى
 قد حصلت خيرا كثيرا قال ودعا الى بطول العمر حتى يؤخذ عنى ما أخذت عنه وقد جمع
 في أسماء شيوخه على حروف المهجم تأليفا مفيدا أكثر فيه من الآثار والحكايات
 والاخبار وقفل من رحلته وله أربعون حديثا في المواظفة وأخرى في الفقر وفضله وثالثا

في الحب في الله تعالى ورابعة في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ومسلسلاته
في جزء وكتاب فضائل الاثني عشر رجب وشعبان ورمضان وكتاب فضل عشر ذي الحجة
وكتاب مناقب السبطين وكتاب الفوائد الكبرى مجلد والفوائد الصغرى جزء وكتاب
الترغيب في الجهاد خمسون بابا في مجلد وكتاب المواعظ والرفائق أربعون مجلسا سنة ٥٩٨
وكتاب مشيخة السلف وغير ذلك ومولده بالقنت الصغرى في نحو الاربعين وخمسمائة وتوفي
سنة عشر وستائة رحمه الله تعالى * (ومنهم الشيخ الاكبر ذو المحاسن التي تبهر سیدی محي
الدين بن عربي محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي من ولد عبد الله بن حاتم أخي
عدي بن حاتم الصوفي الفقيه المشهور والظاهرى ولد بمرو سنة يوم الاثنين سابع عشر
رمضان سنة ٥٦٠ قرأ القرآن على أبي بكر بن خلف باشيلية وبالسبع بكتاب الكافي
وحديثه عن ابن المؤلف أبي الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيثي عن أبيه وقرأ أيضا
السبع بالكتاب المذكور على أبي القاسم الشمرط القرطبي وحديثه عن ابن المؤلف
وسمع على أبي بكر محمد بن أبي جرة كتاب التيسير للداني عن أبيه عن المؤلف وسمع على ابن
زرقون وأبي محمد عبد الحق الاشيلي الازدي وغير واحد من أهل المشرق والمغرب يطول
تعدادهم وكان انتقاله من مرو سنة لاشيلية سنة ٥٦٨ فأقام بها إلى سنة ٥٩٨
ثم ارتحل إلى المشرق وأجاز به جماعة منهم الحافظ السلفي وابن عساكر وأبو الفرج بن
الجوزي ودخل مصر وأقام بالجيزة مدة ودخل بغداد والموصل وبلاد الروم ومات بدمشق
سنة ٦٣٨ ليلة الجمعة الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر ودفن بسفح قاسميون
وأُنشِدني لنفسه مؤرثا وفاته الشيخ محمد بن سعد الكشفي سنة ١٠٣٧ حفظه الله تعالى

انما الحاتمي في الكون فرد * وهو غوث وسيد وامام
كم علوم أتى بها من غيوب * من بحار التوحيد يا مستهام
ان سألتم متى توفي حميدا * قلت أرخت مات قطب همام

وقال ابن الأبار هو من أهل المروية وقال ابن النجار أقام باشيلية إلى سنة ٥٩٨
ثم دخل بلاد المشرق وقال ابن الأبار أنه أخذ عن مشيخة بلاده ومال إلى الآداب وكتب
لبعض الولاة ثم رحل إلى المشرق حاجا ولم يعد بعدها إلى الاندلس وقال المنذري
ذكر أنه سمع بقرطبة من أبي القاسم بن بشكوال وجماعة سواه وطاف البلاد
وسكن بلاد الروم مدة وجع مجاميع في الطريقة وقال ابن الأبار أنه لقيه جماعة من العلماء
والمعبدین وأخذوا عنه وقال غيره أنه قدم بغداد سنة ٦٠٨ وكان يوما إليه
بالفضل والمعرفة والغالب عليه طرق أهل الحقيقة وله قدم في الرياضة والمجاهدة
وكلام على لسان أهل التصوف ووصفه غير واحد بالتقدم والمكانة من أهل هذا
الشان بالشام والجزاز وله أصحاب وأتباع ومن تاليفه مجموع ضمنه منامات رأى فيها
النبي صلى الله عليه وسلم وما سمع منه ومنامات قد حدث بها عن رآه صلى الله عليه وسلم
قال ابن النجار وكان قد ذهب الصوفية وأرباب القلوب وسلك طريق الفقر ورجح وجاور
وسكن في علم القوم وفي أخبار مشايخ المغرب وزهادهم وله أشعار حسنة ركلام سليح

اجتمعت به في دمشق في رحلتى اليها وكتبت عنه شيئا من شعره ونعم الشيخ هو ذكركى انه
دخل بغداد سنة ٦٠١ فأقام بها اثني عشر يوما ثم دخلها ثانيا حاضرا مع الركب سنة
٦٠٨ وأنشدني لنفسه

أيا حائرا ما بين علم وشهوة * ليتصل — لا ما بين ضدين من وصل
ومن لم يكن يستشق الريح لم يكن * يرى الفضل للمساكين الفتيق على الزبل
وسأله عن مولده فقال ليلة الاثنين ١٧ رمضان سنة ٥٦٠ بمسببة من بلاد الاندلس
اتمى وقال ابن مسدي انه كان جميل الجلة والتفصيل محصلا لقنون العلم أخص تحصيل
وله في الادب الشا والذى لا يلحق والتقى — الذى لا يسبق — مع يبلاده من ابن زرقون
والحافظ ابن الجته وأبي الوليد الحضرمي وبسببة من أبي محمد بن عبد الله وقدم عليه
اشبيلية أبو محمد عبد المنعم بن محمد الخزرجي فسمع منه وأبو جعفر بن مصلي وذكر أنه لقي
عبد الحق الاشبيلي وفي ذلك عندي نظر انتهى قلت لا تنظر في ذلك فان سيدى الشيخ محيى
الدين ذكر في اجازته للملك المظفر غازي ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب مامعناه أو نصه
ومن شيوخنا الاندلسيين أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الاشبيلي رحمه الله
تعالى حدثني بجميع مصنفاته في الحديث وعين لي من اسمائها تلميح المهتدى والاحكام
الكبرى والوسطى والصغرى وكتاب التهجد وكتاب العاقبة ونظمه ونثره وحدثني بكتب
الامام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم عن أبي الحسن شريح بن محمد بن شريح عنه انتهى
وقال ان الحافظ السلفي أجاز له انتهى قال بعض الحفاظ وأحسبها الاجازة العامة
وكان ظاهري المذهب في العبادات باطنى النظر في الاعتقادات وكان دفنه يوم
الجمعة بجبل قاسيون واتفق انه لما أقام ببلاد الروم زكاه ذات يوم الملك فقال هذا تذلة
الاسود أو كلاما هذا معناه فسئل عن ذلك فقال خدمت بركة بعض الصالحاء فتسال لي يوما
الله يذل لك أعز خلقه وأمر له ملك الروم مرة بدارتساوى ثبة ألف درهم فلما نزلها وأقام بها
مربيه في بعض الايام سائل فقال له شئ لله فقال مالى غير هذه الدار خذها لك فتسلمها
السائل وصارت له وقال الذهبي في حقه ان له توسعا في الكلام وذصكاء وقوة
خاطر وحافظة وتدقيقا في التصوف وتواليف جمة في العرفان لولا شطحه في كلامه وشعره
ولعل ذلك وقع منه حال سكره وغيبته فيرجى له الخير انتهى وقال القطب اليوناني في ذيل
مرآة الزمان عن سيدى الشيخ محيى الدين رضى الله تعالى عنه ونفعنا به انه كان يقول انى
أعرف اسم الله الاعظم وأعرف الكيمياء انتهى وقال ابن شودكين عنه انه كان يقول
ينبغي للعبد أن يستعمل همهته في الحضور في مناماته بحيث يكون حاكما على خياله يصرفه
بعقله نوما كما كان يحكم عليه يقظة فاذا حصل للعبد هذا الحضور وصار خلقه ووجد ثرة
ذلك في البرزخ وانتفع به جدا فليهم العبد بتحصيل هذا القدر فانه عظيم الفائدة باذن
الله تعالى وقال ان الشيطان ليقتنع من الانسان بأن ينقله من طاعة الى طاعة ليفسخ عزمه
بذلك وقال ينبغي للسالك انه متى حضر له أنه يعقد على أمر ويعاهد الله تعالى عليه أن
يترك ذلك الامر الى أن يجيء وقته فان يسر الله تعالى فعله فعله وان لم يسر الله تعالى فعله لم يكون

مخلصاً من نكث العهد ولا يكون متصفاً بنقض الميثاق ومن نظم الشيخ محيي الدين رحمه
الله تعالى

بين التذلل والتدلل نقطة * فيها يتيه العالم التحرير
هي نقطة الا كوان ان جاوزتها * كنت الحكيم وملك الا كسير

وقوله أيضاً رحمه الله

يادرة بيضاء لاهوتية * قدر كبت صدقاً من الناسوت
جهل البسيطة قدرها لشقاؤهم * وتنافسوا في الدر والياقوت
وحكى العماد بن النحاس الاطروش أنه كان في سفح جبل قاسيون على مستشرف وعنده
الشيخ محيي الدين والغيث والسحاب عليهم ودمشق ليس عليها شيء قال فقلت للشيخ
أما ترى هذه الحال فقال كنت بمراكش وعندي ابن خروف الشاعر يعني أبا الحسن
على بن محمد القرطبي القيداني وقد اتفق الحال مثل هذه فقلت له مثل هذه المقالة فأشددني
يطوف السحاب بمراكش * طواف الجبج بيت الحرم
يروم نزولا فلا يستطيع * لسفك الدماء وهدم الحرم انتهى
وحكى المقرئ في ترجمة سيدي عمر بن الفارض أفاض الله علينا من أنواره أن الشيخ
محيي الدين بن العربي بعث الى سيدي عمر يستأذنه في شرح التائية فقال كآبك المسمى
بالفتوحات المكية شرحها انتهى وقال بعض من عرّف به انه لما صنف الفتوحات المكية
كان يكتب كل يوم ثلاث كراريس حيث كان وحصلت له بدمشق دينار كثيرة فآذخ منها
شيئاً وقيل ان صاحب حصرتب له كل يوم مائة درهم وابن الزكي كل يوم ثلاثين درهما
فيكان يتصدق بالجميع واشتغل الناس بمصنفاته ولها ييلاد الين والروم صيت عظيم وهو
من عجائب الزمان وكان يقول أعرف الكيمياء بطريق المنازلة لا بطريق الكسب ومن
نظمه رضى الله تعالى عنه

حقيقة نى همت بها * وما رآها بصرى
ولورآها الغدا * قتيل ذاك الحور
فعند ما أبصرتها * صرت بحكم النظر
فبت مسجوراً بها * أهيم حتى السحر
يا حذرى من حذرى * لو كان يغنى حذرى
والله ما هيمنى * جمال ذاك الخفر
فى حسنهما من ظبية * ترعى بذات الحر
اذا رنت أو عطفت * تسبى عقول البشر
كأنما أنفاسها * أعراف مسك عطر
كأنها شمس الضحى * فى النور أو كالقمر
ان أسفرت أبرزها * نور صباح مسفر
أو سدلّت غيبها * سواد ذاك الشعر

يا قسرا تحت دجى * خذى فؤادى وذرى
 عيسى لىكى أبصركى * اذ كان حظى تطرى
 وقال الحوبى قال الشيخ سيدى محي الدين بن عربى رضى الله تعالى عنه رأيت بعض
 الفقهاء فى النوم فى رؤيا طويلة فسألنى كيف حالك مع أهلك فقلت
 اذ رأيت أهل بيتى الكيس ممتلئا * تبسمت ودنت منى تمازحنى
 وان رأته خليا من دراهمه * تجهمت واشتت عنى تقابحنى
 فقال لى صدقت كلنا ذلك الرجل * وذكر الامام العالم بالله تعالى لسان الحقيقة وشيخ
 الطريقة صفى الدين حسين ابن الامام العلامة جمال الدين أبى الحسن على ابن الامام مفتى
 الانام كمال الدين أبى منصور ظافر الازدى الانصارى رضى الله تعالى عنه فى رسالته
 الفريدة المحتوية على من رأى من سادات مشايخ عصره بعد كلام ماضوته ورأيت بدمشق
 الشيخ الامام العارف الوحيد محي الدين بن عربى وكان من أكبر علماء الطريق جمع بين
 سائر العلوم الكسبية وما قرله من العلوم الوهية ومنزله شهيرة وتصانيفه كثيرة
 وكان غلب عليه التوحيد علما وخلقا وحالا لا يكثر بالوجود مقبلا كان أو معرضا
 وله علماء أتباع آثر باب مواجيد وتصانيف وكان بينه وبين سيدى الاستاذ الخراز اخاء ورفقه
 فى السياحات رضى الله تعالى عنهم فى الاصال والبيكرات ومن نظم سيدى الشيخ محي
 الدين رضى الله تعالى عنه قوله

يا من يرانى ولا أراه * كم ذا أراه ولا يرانى
 قال رحمه الله تعالى قال لى بعض اخوانى لما سمع هذا البيت كيف تقول انه لا يرانى وانت
 تعلم أنه يرانى فقلت له من تجللا

يا من يرانى مجرما * ولا أراه آخذا
 كم ذا أراه منعمما * ولا يرانى لا نذا
 قلت من هذا وشبهه تعلم أن كلام الشيخ رحمه الله تعالى مؤول وأنه لا يقصد ظاهره وانما له
 محامل تليق به وكفالكشاهدا هذه الجزئية الواحدة فأحسن الظن به ولا تنتقد بل اعتقد
 وللناس فى هذا المعنى كلام كثير والتسليم أسلم والله سبحانه بكلام أوليائه أعلم ومن
 النظم المنسوب لمحاسن الشيخ سيدى محي الدين رضى الله تعالى عنه فى ضابط ليلة القدر
 وانا جميعا ان نصم يوم جمعة * فى تاسع العشرين خذ ليله القدر
 وان كان يوم السبت أول صومنا * فحادى وعشرين اعتمده بلا عسر
 وان كان صوم الشهر فى أحد نخذ * فى سابع العشرين ماشئت فاستقر
 وان هل بالاثنتين فاعلم بأنه * يواتيك نيل المجد فى تاسع العشر
 ويوم الثلاثاء ان بدا الشهر فاعتمد * على خامس العشرين فاعمل بها تدرى
 وفى الاربعاء ان هل يا من يرومها * فدونك فاطلب وصلها سابع العشر
 ويوم الخميس ان بدا الشهر فاجتهد * فى ثالث العشرين تظفر بالنصر
 وضابطهما بالقول ليلة جمعة * توافيك بعد النصف فى ليلة الوتر انتهى

قلت لست على يقين من نسبة هذا النظم الى الشيخ رحمه الله تعالى فان نفسه أعلى من هذا النظم وليكن ذكره لما فيه من الفائدة ولان بعض الناس نسبته اليه فانه تعالى أعلم بحقيقة ذلك ومما نسبته اليه وجه الله تعالى غير واحد قوله

قلبي قطبي وقالبي أبحشاني * سرى خضري وعينه عرفاني

روحي هرون وكلمي موسى * نفسي فرعون والهوى هاماني

وذكر بعض الثقات أن هذين البيتين يكتبان لمن به القولنج في كفه ويلبسهما فانه يترأذن الله تعالى قال وهو من المجربات وقد تأول بعض العلماء قول الشيخ رحمه الله تعالى بإيمان فرعون ان مراده بفرعون النفس بدليل ما سبق وحكي في ذلك حكاية عن بعض الاولياء من كان ينتصر للشيخ رحمه الله تعالى * وولد للشيخ محي الدين رحمه الله تعالى ابنه محمد المدعو سعد الدين بملطية في رمضان سنة ٦١٨ وسمع الحديث ودرس وقال الشعر الجيد وله ديوان شعر مشهور وتوفي بدمشق سنة ٦٥٦ سنة دخل هولا كوبغداد وقتل الخليفة المستعصم ودفن المذكور عند والده بسفح قاسيون وكان قدم القاهرة وسكن حلباً ومن شعره

لما تبتدى عارضاه في غمط * قيل ظلام بضياء اختلط

وقيل سطر الحسن في خديه خط * وقيل غل فوق عاج انبسط

وقيل مسك فوق ورد قد نط * وقال قوم انها اللام فقط

قلت تذكرت بهذا ما قاله الكاتب أبو عبد الله بن جزي الاندلسي كاتب سلطان الغرب أبي عنان حين تنازع الكتاب أرباب الاقلام والرؤساء أصحاب السيوف في تشبيه العذار وقالت كل فرقة لا تشبه الا بما هو مناسب لصنعنا فلما فرغوا قال ابن جزي

أتى أولو الكتب والسيوف الأولى عزموا * من بعد سلى على حربي واسلامي

بكل معنى بديع في العذار على * ما يقتضي منهم أفكار أحلام

فقال ذو الكتب لا أرضى المحارب في * تشبيهه لا وأنقاسي وأقلامي

وقال ذو الحرب لا أرضى الكتاب في * تشبيهه ومظلاتي واعلامي

فقلت أجمع بين المذهبين معا * باللام فاستحسنوا التشبيه باللام

وهذه الغاية التي لا تدرك مع البديهة ولزوم ما لا يلزم * (رجع) ومن نظم سعد الدين قوله

سهرى من المحبوب أصبح مرسلا * وأراه متصلا بفيض مدامع

قال الحبيب بان ريقى نافع * فاسمع رواية مالك عن نافع

ومن نظمه أيضا قوله

وقالوا قصر شعر من قد هويته * فقلت دعوني لا أرى منه مخلصا

حياه شمس قد علت غصن قده * فلا عجب للظل أن يتقلصا

وقوله

ورب قاض لنا ملج * يعرب عن منطق لاذي

اذا رمانا بسهم لحظ * قلنا له دائم النفوذ

وقوله

لَكَ وَاللَّهِ مَنْظَرٌ * قُلْ فِيهِ الْمَشَارِكُ
 أَنْ يَوْمًا تَرَاكَ فِيهِ يَوْمٌ مَبَارَكٌ
 وَمَنْ تَطْلُمُهُ أَيْضًا مَا كَتَبَ بِهِ إِلَى أَخِيهِ عِمَادُ الدِّينِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الشَّيْخِ الْكَبِيرِ عَمِّي الدِّينِ
 ابْنِ عَرَبِيٍّ أَقْصَى اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْنَا مِنْ قَتْلِهِ وَجَانِهِ
 مَا لِلنَّوَى رَقَّةٌ تَرَى لَمْ يَكُنْ تَنْبُ * حَزَانٌ فِي قَلْبِهِ وَالِدٌ مَعَ فِي حَلَبٍ
 قَدْ أَصْبَحَتْ حَلَبٌ ذَاتُ الْعِمَادِ بِكُمْ * وَجَلَقَ أَرْمَ هَذَا مِنَ الْعَجَبِ
 وَتَوَفَّى الشَّيْخَ عِمَادُ الدِّينِ بِالصَّالِحِيَّةِ سَنَةَ ٦٦٧ وَدُفِنَ بِسَفْحِ قَاسِمِيُونَ عِنْدَ وَالِدِهِ
 بِتَرْبَةِ الْقَاضِي ابْنِ الزَّكِيِّ رَحِمَ اللَّهُ تَعَالَى الْجَمِيعَ وَمَنْ تَطْلُمُ سَعْدُ الدِّينِ الْمَذْكُورُ فِي وَسِيمِ رَأَى
 بِالزِّيَادَةِ فِي دِمَشْقَ

يَا خَلِيلِي * فِي الزِّيَادَةِ ظَبْيِي * سَلَبْتَ مَقْلَتَاهُ جَفْنِي رَقَادَهُ
 كَيْفَ أَرْجُو السَّلَوةَ عَنْهُ وَطَرِي * نَظَرْتُ حَسَنَ وَجْهِهِ فِي الزِّيَادَةِ

وله

عَلَّقْتُ صُوفِيَا كَبِدَ الرَّاحِجِي * لَكِنَّهُ فِي وَصْلِي الرَّاهِدِي
 يَشْهَدُ وَجْدِي بِغَرَامِي لَهُ * فَدَيْتُ صُوفِيَا لَهُ شَاهِدِي

وله

صَبَوْتُ إِلَى حَرِيرِي مَلِجٌ * تَكَرَّرْتُ عَنْهُ نَزْلُهُ مَسِيرِي
 أَقُولُ لَهُ أَلَا تَرَى أَصَبَ * عَدِيمٌ لِلْمُسَاعَدِ وَالنَّصِيرِ
 أَقَامَ يَا بَيْكُمُ خَمِينَ شَهْرًا * فَقَالَ كَذَا مَقَامَاتِ الْحَرِيرِي

وله

وَنَزَالَ مِنَ الْيَهُودِ أَتَانِي * زَائِرًا مِنْ كَنِيسَةٍ أَوْ كُنَاسَةٍ
 بَتَ أَجْنَى الشَّقِيقِ مِنْ وَجْهَتِي * وَأَشْمُ الْعَبِيرِ مِنْ أَنْفَاسِهِ
 وَاعْتَقْنَا أَدْلَمَ نَحْفٍ مِنْ رَقِيبٍ * وَأَمْنَا الْوَشَاةَ مِنْ حَرَّاسِهِ
 مَنْ رَأَى يَنْظُرْنِي لِنَحْوِي * وَلِاصْفَرَارِي عِلَامَةُ فَوْقَ رَأْسِهِ

وله

لِي حَبِيبٌ بِالْكَوْأِ صَبَحَ مَغْرِي * فَهُوَ مَنِي بِمَا أَعَانِيهِ أَدْرِي
 قُلْتُ مَاذَا تَقُولُ حِينَ تَنَادِي * يَا حَبِيبِي الْمَضَافُ نَحْوُكَ جَهْرًا
 قَالَ لِي يَا غَلَامُ أَوْ يَا غُلَامِي * قُلْتُ لَيْسَ لِي لَيْسَ لِي عَشْرًا

وله أيضا

سَاءَ لَتَنِي عَنْ لَفْظَةٍ لَفْغِيَّةٍ * فَأَجَبْتُ مَبْتَدَأًا بِغَيْرِ تَفْهِيمٍ
 خَاطَبَتْنِي مَتَبَعًا فَرَأَيْتُهَا * مِنْ تَطْلُمِ ثَغْرِكَ فِي صَمَاحِ الْجَوْهَرِي

وله

وَعَلِمْتُ أَنَّ مِنَ الْحَدِيدِ فَوَّادَهُ * لَمَّا اتَّضَى مِنْ مَقْلَتِهِ مَهْنَدًا

آتست من وجدى بجانب خده * نارا ولكن ما وجدت بها هدى
وقال الشيخ محي الدين أفاض الله تعالى علينا من أنواره وكسا تابعض حلال أسرار
انه بلغنى في مكة عن امرأة من أهل بغداد أنها تكلمت في بأمور عظيمة فقلت هذه قد جعلها
الله تعالى سببا لخير وصل الى فلا كافتها وعقدت في نفسي ان اجعل جميع ما اعترت
في رجب اها وعنها ففعلت ذلك فلما كان الموسم استدلى على رجل غريب فسأله الجماعة
عن قصده فقال رأيت بالينبع في الليلة التي بت فيها كان الاقامن الابل أو قارها المسك
والعنبر والجوهر فحجبت من كثرة ثم سألت من هو فقيل هو لمجد بن عربي يهديه الى فلانة
وسمى تلك المرأة ثم قال وهذا بعض ما تستحق قال سيدي ابن عربي فلما سمعت الرؤيا
واسم المرأة ولم يكن أحدهم من خلق الله تعالى علم مني ذلك علمت أنه تعريف من جانب الحق
وفهمت من قوله ان هذا بعض ما تستحق انهم مكذوب عليها فقصدت المرأة وقلت اصدقيني
وذكري لهما ما كان من ذلك فتسالت كنت قاعدة قبالة البيت وأنت تطوف فشكرت
الجماعة الذين كنت فيهم فقلت في نفسي اللهم اني أشهدك اني قد وهبت له ثواب ما أعمله
في يوم الاثنين وفي يوم الخميس وكنت أصومهما وأتصدق فيهما قال فعملت ان الذي وصل
منى اليها بعض ما تستحقه فانها سبقت بالجميل والفضل للمتقدم ومن نظم الشيخ محي
الدين بن عربي رحمه الله تعالى

يا غاية السؤل والمأمول يا سندی * شوق اليك شديد لا الى أحد
ذبت اشتياقا ووجداني محبتكم * فآه من طول شوقي آه من كدى
يدى وضعت على قلبي مخافة أن * ينشق صدري لما خافني جلدی
ما زال يرفعها طوراً ويخفضها * حتى وضعت يدي الاخرى تشديدي
وحكى سبط ابن الجوزي عن الشيخ محي الدين انه كان يقول انه يحفظ الاسم الاعظم
ويقول انه يعرف السيميا بطريق التزل لا بطريق التكسب انتهى والله تعالى أعلم
والتسليم أسلم ومن نظم الشيخ محي الدين قوله

ما فاز بالتوبة الا الذي * قد تاب قدما والورى تقوم
فمن يتب أدرك مطاويه * من نوبة الناس ولا يعلم
وله رحمه الله تعالى من المحاسن ما لا يستوفي وأنشدني لنفسه بدمشق صاحبنا الصوفي
الشيخ محمد بن سعد الكاشاني حفظه الله تعالى قوله

أمولاي محي الدين أنت الذي بدت * علومك في الافاق كالغيث مذهمي
كشفت معالي كل علم مكنم * وأوضحت بالتحقيق ما كان مبهما
وبالجملة فهو حجة الله الظاهرة وآيته الباهرة ولا يلتفت الى كلام من تكلم فيه والله
در السيوطي الحافظ فانه ألف تنبيه الغبي على تنزيه ابن عربي ومقام هذا الشيخ معلوم
والتعريف به يستدعي طولا وهو أظهر من ناره على علم وكان بالمغرب يعرف بابن العربي
بالالف واللام واصطلاح أهل المشرق على ذكره بغير ألف ولا م فرقا بينه وبين القاضي أبي بكر
ابن العربي وقال ابن خاتمة في كتابه منية المريه مانصه محمد بن علي بن محمد الطائي الصوفي

من أهل اشبيلية وأصله من مرسية يكنى أبا بكر ويعرف بابن العربي وبالحناني أيضاً أخذ
عن مشيخة بلده ومال إلى الآداب وكتب لبعض الولاة بالاندلس ثم رحل إلى المشرق حاجاً
فأدى القريضة ولم يعد بعدها إلى الاندلس وسمع الحديث من أبي القاسم الخرساني ومن
غيره وسمع صحيح مسلم من الشيخ أبي الحسن بن أبي نصر في شوال سنة ٦٠٦ وكان يحدث
بالإجازة العامة عن أبي طاهر السلفي ويقول بها وبرع في علم التصوف وله في ذلك تواليف
كثيرة منها الجمع والتفصيل في حقائق التنزيل والجدوة المقتبسة والخطرة المختلصة
وكتاب كشف الملقى في تفسير الاسماء الحسنى وكتاب المعارف الالهية وكتاب
الاسرا إلى المقام الاسرى وكتاب مواقع النجوم ومطالع أهلة اسرار العلوم وكتاب
عنقاء مغرب في صفة ختم الاولياء وشمس المغرب وكتاب في فضائل مشيخة عبد العزيز
ابن أبي بكر القرشي المهدوي والرسالة الملقية بمشاهد الاسرار القدسية ومطالع
الانوار الالهية في كتب اخر عديدة وقدم على المربة من مرسية مستهل شهر رمضان
سنة خمس وتسعين وخمسمائة وبها ألف كتابه الموسوم بمواقع النجوم انتهى ولا يخفى
أن مقام الشيخ أعظم بعد انتقاله من المغرب وقد ذكر رحمه الله تعالى في بعض كتبه
ان مولده بمرسية وفي الكتاب المسمى بالاعتباط بمعالجة ابن الخطيب تأليف شيخ الاسلام
قاضي القضاة محمد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازي القيروزي بادي الصديق صاحب
القاموس قدس الله تعالى روحه الذي ألفه بسبب سؤال سئل فيه عن الشيخ محيي الدين
ابن عربي الطائفي قدس الله تعالى سره العزيز في كتبه المنسوبة اليه ما صورته ما تقول
السادة العلماء شدا لله تعالى بهم أزر الدين ولم تبهم شعث المسلمين في الشيخ محيي الدين
ابن عربي في كتبه المنسوبة اليه كالفتوحات والقصوص هل تحل قراءتها وقرائنها
ومطالعها وهل هي الكتب المسموعة المقروءة أم لا أفقونا مأجورين جوابا شافيا تحوزوا
بجمل الثواب من الله الكريم الوهاب والحمد لله وحده * (فأجابه بما صورته الحمد لله
اللهم أنطقنا بما فيه رضاك الذي اعتقده في حال المسؤل عنه وأدين الله تعالى به انه كان
شيخ الطريقة حلا وعلمًا وامام الحقيقة حقيقة ورسمًا ومحبي رسوم المعارف فعلا واسما
إذا تغلغل فكر المرء في طرف * من بحره غرقت فيه خواطره

وهو عيب لا تكدره الدلاء وسحاب لا تنقص عنه الاقواء كانت دعواته تخرق
السبع الطباق وتفترق بركانه فقلا الآفاق واني أصفه وهو يقينافوق ما وصفته
وناطق بما كتبه وغالب ظني اني ما أنصفته

وما عني اذا ما قلت معتقدي * دع الجهول بطن العدل عدوانا

والله والله والله العظيم ومن * أقامه ججسة للدين برهانا

بأن ما قلت بعض من مناقبه * ما زدت الا لعلني زدت نقصانا

وأما كتبه ومصنفاته فالبحار الزواجر التي جواهرها وكثرتها لا يعرف لها أول ولا آخر
ما وضع الواضعون مثلها وانما خص الله سبحانه بعرفة قدرها أهلها ومن خواص كتبه
أن من واطب على مطالعتها والنظر فيها وتامل ما في مبانيها انشرح صدره لحمل

المشكلات وفك المعضلات وهذا الشأن لا يكون الا لانفاس من خصه الله تعالى بالعلوم الدينية الربانية ووقفت على اجازة كتبها الملك المعظم فقال في آخرها وأجزته أيضا أن يروى عن مصنفاتي ومن يجلتها كذا وكذا حتى عتيناها وأربع مائة مصنف منها التفسير الكبير الذي بلغ فيه الى سورة الكهف عند قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما وتوفي ولم يكمل وهذا التفسير كتاب عظيم كل سفر بحر لا ساحل له ولا غر وفاته صاحب الولاية العظمى والصدقية الكبرى فيما نعتقدون دين الله تعالى به وثم طائفة في النقيضة يعظمون عليه النكير وربما بلغ بهم السمع الجهل الى حد التكفير وما ذال الا لقصور أفهامهم عن ادراك مقاصد أقواله وأفعاله ومعانيها ولم تصل أيديهم لقصرها الى اقتطاف مجانيها

على نحت القوافي من معادنها * وما على اذالم تفهم البقر
هذا الذي نعلم ونعتقدون دين الله تعالى به في حقه والله سبحانه وتعالى أعلم وصورة استشهاد
كتبه محمد الصديق المتجني الى حرم الله تعالى عفا الله عنه انتهى وأما احتجاجه
بقول شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام شيخ مشايخ الشافعية فغير صحيح بل كذب
وزور فقد روي عن شيخ الاسلام صلاح الدين العلائي عن جماعة من المشايخ كلهم
عن خادم الشيخ عز الدين بن عبد السلام انه قال كفاي مجلس الدرس بين يدي الشيخ
عز الدين بن عبد السلام فجاء في باب الردة ذكر لفظة الزنديق فقال بعضهم هل هي عربية
أو عجمية فقال بعض الفضلاء انما هي فارسية معربة أصلها زن دين أي على دين المرأة
وهو الذي يضر الكفر ويظهر الايمان فقال بعضهم مثل من فقال آخر الى جانب الشيخ
مثل ابن عربي بدمشق فلم ينطق الشيخ ولم يرد عليه قال الخادم وكنت صائما ذلك
اليوم فاتفق أن الشيخ دعاني للافطار معه فحضرت ووجدت منه اقبالا واطفا فقلت له
يا سيدي هل تعرف القطب الغوث الفرد في زماننا فقال مالك ولهذا كل فعرفت أنه يعرفه
فتركت الاكل وقلت له لوجه الله تعالى عرفني به من هو فتبسم رحمه الله تعالى وقال لي الشيخ
محيي الدين بن عربي فأطرفت ساكنا متحيرا فقال مالك فقلت يا سيدي قد حوت قال لم قلت
أليس اليوم قال ذلك الرجل الى جانبك ما قال في ابن عربي وأنت ساكت فقال اسكت
ذلك مجلس الفقهاء هذا الذي روي لنا بالسند الصحيح عن شيخ الاسلام عز الدين بن
عبد السلام وأما قول غيره من أضراب الشيخ عز الدين فكثير كان الشيخ كمال الدين
الزمكاني من أجل مشايخ الشام أيضا يقول ما أجهل هؤلاء ينكرون على الشيخ
محيي الدين بن عربي لاجل كلمات وألفاظ وقعت في كتبه قد قصرت أفهامهم عن ذلك
معانيها فليأتوني لآحل لهم مشكله وأبين لهم مقاصده بحيث يظهر لهم الحق ويروى
عنهم الوهم وهذا القطب سعد الدين الحموي سئل عن الشيخ محيي الدين بن عربي لما رجع
من الشام الى بلاده كيف وجدت ابن عربي فقال وجدته بحرا زخارا لا ساحل له وهذا
الشيخ صلاح الدين الصفدي له كتاب جليل وضعه في تاريخ علماء العالم في مجلدات كثيرة
وهي موجودة في خزائن السلاطين تنظر في باب الميم ترجمة محمد بن عربي لتعرف مذاهب أهل

العلم الذين باب صدورهم مفتوح لقبول العلوم الدنية والمواهب الربانية وقوله في شيء من الكتب المصنفة كالفصوص وغيره انه صنعه بأمر من الحضرة الشريفة النبوية وأمره باخراجه الى الناس قال الشيخ محيي الدين الذهبي حافظ الشام ما أظن المحيي يعتمد الكذب أصلاً وهو من أعظم المنكرين وأشدّهم على طائفة الصوفية ثم ان الشيخ محيي الدين رحمه الله تعالى كان مسكنه ومظهره بدمشق وأخرج هذه العلوم اليهم ولم ينكر عليه أحد شيئاً من ذلك وكان قاضي القضاة الشافعية في عصره شمس الدين أحمد الحواري يخدمه خدمة العبيد وقاضي القضاة المالكية زوجته بابتته وترك القضاة بنظرة وقعت عليه من الشيخ * وأما كراماته ومناقبه فلا تحصرها مجلدات وقول المنكرين في حق مثله غناء وهباء لا يعباؤه والحمد لله تعالى انتهى ما نقلته من كلام العارف بالله تعالى سيدي عبيد الوهاب الشعراني رضي الله تعالى عنه * وقد حكى الشيخ رضي الله تعالى عنه عن نفسه في كتبه ما يهرر الالباب وكفى بذلك دليلاً على ما منحه الله الذي يفتح لمن شاء الباب وقد اعتنى بترتيبه بصالحية دمشق سلاطين بني عثمان نصرهم الله تعالى على نوالى الأزمان وبني عليه السلطان المرحوم سليم خان المدرسة العظيمة ورتب له الاوقاف وقد زرت قبره وتبركت به مراراً ورأيت لوائح الانوار عليه ظاهرة ولا يجده منصف محبداً الى انكار ما يشاهد عند قبره من الاحوال الباهرة وكانت زيارتي له بشعبان ورمضان وأول شوال سنة ١٠٣٧ * وقال في عنوان الدراية ان الشيخ محيي الدين كان يعرف بالاندلس بابن سراقه وهو فصيح اللسان بارع فهم الجنان قوى على الاراد كلما طلب الزيادة يزداد وحل الى العدو ودخل بجباية في رمضان سنة ٥٩٧ وبها بقي أباعبد الله العربي وبجاعة من الافاضل ولما دخل بجباية في التاريخ المذكور قال رأيت ليلة انى نكحت نجوم السماء ~~ككها~~ فابقي منها نجم الانكحة بلذة عظيمة روحانية ثم لما كملت نكاح النجوم أعطيت الحروف فنكحتها ثم عرضت رؤياى هذه على من قصها على رجل عارف بالرؤيا بصير بها وقلت للذي عرضتها عليه لا تذكرنى فلما ذكر الرؤيا استعظمها وقال هذا هو البحر الذي لا يدرك قعره صاحب هذه الرؤيا يفتح الله تعالى له من العلوم العلوية وعلوم الاسرار وخواص الكواكب ما لا يكون فيه أحد من أهل زمانه ثم سكت ساعة وقال ان كان صاحب هذه الرؤيا في هذه المدينة فهو ذلك الشاب الاندلسي الذي وصل اليها ثم قال صاحب العنوان ما ملخصه ان الشيخ محيي الدين رحل الى المشرق واستقرت به الدار وآتت نواله وفيها ما فيها ان قبض الله تعالى من يساح وبتأول سهل المرام وان كان ممن ينظر بالظواهر قال امر صعب وقد نقد عليه أهل الديار المصرية وسعوا في اراقة دمه فخلصه الله تعالى على يد الشيخ أبي الحسن الجبائي فانه سعى في خلاصه وتأول كلامه ولما وصل اليه بعد خلاصه قال له الشيخ رحمه الله تعالى كيف يجلس من حل منه اللاهوت في الناسوت فقال له يا سيدي تلك شطحات في محل ~~سكرو~~ ولا عتب على سكران * وتوفي الشيخ محيي الدين في نحو الاربعين وسقائة وكان يحدث بالاجازة العاتمة عن السلفي رحمه الله تعالى انتهى * ومن موشحات الشيخ محيي الدين رضي الله تعالى عنه

مطلع

سراثر الاعيان * لاحت على الاكوان * للناظرين
والعاشق الغيران * من ذلك في حران * يدي الانين

دور

يقول والوجد * أضناه والبعد * قد حيره
لمادنا البعد * لم أدر من بعد * من غيره
وهيم العبد * والواحد الفرد * قد خيره
في البوح والكتان * والسر والاعلان * في العالمين
أما هو الديان * يا عبد الاوثان * أنت الضنين

دور

كل الهوى صعب * على الذي يشكو * ذل الجباب
يا من له قلب * لو أنه يذكو * عند الشباب
قد قرب الرب * لكنه افك * فانو المتاب
وناد يا رحمن * يا رب يا منان * اني حزين
أضناني الهجران * ولا حبيب دان * ولا معين

دور

فنبئت بالله * عاتراه العين * من كونه
في موقف الجاه * وصحت أين الاين * في بينه
فقال يا ساهي * عاينت قط عين * بعينه
أما ترى عيلان * وقيس أو من كان * في الغابرين
قالوا الهوى سلطان * ان حل بالانسان * أفتاه دين

دور

بكم مرة قالا * أنا الذي أهوى * من هو أنا
فلا أرى حالا * ولا أرى شكوى * الا القضا
لست كمن مالا * عن الذي يهوى * بعد الجنا
ودان بالسلاوان * هذا هو البهتان * للعارفين
سألهم ما كان * عن حضرة الرحمن * والا فكين

دور

دخلت في بستان * الانس والقرب * ككنيسة
فقام لي الریحان * يحتال بالعجب * في سندسه
أنا هو الانسان * مطيب الصب * في مجلسه
يا جنان يا جنان * اجن من البستان * الياسمين
وحال الریحان * بجرمة الرحمن * للعاشقين

وقال الامام الصفي بن ظافر الازدي في رسالته رأيت بدمشق الشيخ الامام العارف
الوحيد محي الدين بن عربي وكان من أكبر علماء الطريق جمع بين سائر العلوم الكسبية
وما قرله من العلوم الوهبية ومنزلاته شهيرة وتصانيفه كثيرة وكان غلب عليه التوحيد
علما وخلقا وحالا لا يكثر بالوجود مقبلا كان أو معرضا وله علماء أتباع أرباب مواجيد
وتصانيف وكان بينه وبين سيدي الاستاذ الخراز اخاء ورفقة في السباحات رضي الله
تعالى عنهما انتهى * وذكر الامام سيدي عبد الله بن سعد اليافعي البغدي في الارشاد
أنه اجتمع مع الشهاب السمروردي فأطرق كل واحد منهما ساعة ثم افترقا من غير كلام فقبل
للشيخ ابن عربي ما تقول في السمروردي فقال عموه سنة من قرنه الى قدمه وقيل
للسمروردي ما تقول في الشيخ محي الدين فقال بجز الخقائق ثم قال اليافعي ما ملخصه ان
بعض العارفين كان يقرأ عليه كلام الشيخ ويشرحه فلما حضرته الوفاة نهى عن مطالعته
وقال انكم لاتفهمون معاني كلامه ثم قال اليافعي وسمعت أن العزير عبد السلام كان
يطعن عليه ويقول هو زنديق فقال له بعض أصحابه أريد أن تري القطب أو قال وايضا اشار
الى ابن عربي فقال له فأنت تطعن فيه فقال أصون ظاهرا للشرع أو كما قال وأخبرني بهذه
الحكاية غير واحد من ثقات مصر والشام ثم قال وقد مدحه وعظمه طائفة كالكجيم
الاصهباني والتاج بن عطاء الله وغيرهما وتوقف فيه طائفة وطعن فيه آخرون وليس
الطاعن بأعلم من الخضر عليه السلام اذ هو أحد شيوخه وله معه اجتماع كثير ثم قال
وما ينسب الى المشايخ له محامل الا قول أنه لم تصح نسبته اليهم الثاني بعد الصحة يلتمس له
تأويل موافق فان لم يوجد له تأويل في الظاهر فله تأويل في الباطن لم تعلمه وانما يعينه العارفون
الثالث أن يكون ذلك صدر منهم في حال السكر والغيبة والسكران سكراميا غير مؤاخذ
ولامكلف انتهى ملخصا ومن ذكر الشيخ محي الدين الامام شمس الدين محمد بن مسدي
في معجمه البديع المحتوي على ثلاث مجلدات وترجمته ترجمة عظيمة مطولة اذكر منها أنه قال انه
كان ظاهري المذهب في العبادات باطني النظر في الاعتقادات خاض بحارات تلك
العبارات وتحقق بجميع تلك الاشارات وتصانيفه تشهد له عند أولى البصر بالمقدمات
والاقدام ومواقف النهايات في منزلة الاقدام وله اذاما ارتبنت في أمره والله تعالى
أعلم بسرّه انتهى * ونقلت من خط ابن علوان التونسي رحمه الله تعالى قال الشيخ
محيي الدين

بالمال ينقاد كل صعب * من عالم الارض والسماء
يحسب به عالم حجابا * لم يعرفوا لذة العطاء
لولا الذي في النفوس منه * لم يجيب الله في الدعاء
لا تحسب المال إيماء * من عبيد مشرق الضياء
بل هو ما كنت يا بني * به غنيا عن السواء
فكن رب العلاء غنيا * وعامل الخلق بالوقاء
وقال

فيه على السر ولا تفشه * فالبوح بالسر له مقت
على الذي يديه فاصبره * واكتفه حتى يصل الوقت
وقال

قد ناب علمنا علينا * خالتنا في الوجود قدر
أذننا صيرت رؤسا * مالى على ما أراه صبر
هذا هو الدهر يا خليلي * فمن يقاسمه فهو قهر
وتعلم الشيخ محي الدين هو البحر الذي لا ساحل له * ولخصم ما أوردنا منه بقوله
يا حبذا المسجد من مسجد * وحبذا الروضة من مشهد
وحبذا طيبة من بلدة * فيها ضريح المصطفى أحمد
صلى عليه الله من سيد * لولاه لم نفلح ولم نهد
قد قرن الله به ذكره * في كل يوم فاعتبر ترشدا
عشر خفيات وعشرا اذا * أعلن بالتأذين في المسجد
فهذه عشرون مقرونة * بأفضل الذكر الى الموعد

*(ومنهم الصوفي الشهير أبو الحسن الششتري وهو علي بن عبد الله النخعي -
عروس الفقهاء وامام المتجردين وبركة لابسى الخرقه وهو من قرية ششتري من عمل وادي
آش وزقاق الششتري معلوم بها وكان مجود القرآن فاعلم عليه عارفا بعانيه من
أهل العلم والعمل جال في الآفاق ولقي المشايخ ووجج حجات وآثر التجرد والعبادة
* وذكره القاضي أبو العباس الغبريني في عنوان الدراية فقال الفقيه الصوفي
من الطلبة المصلين والفقراء المنقطعين له علم بالحكمة ومعرفة بطريق الصوفية
وتقدم في النظم والنثر على طريقة التحقيق وأشعاره وموشحاته وأزجاله الغاية في الانطباع
أخذ عن القاضي محي الدين محمد بن ابراهيم بن الحسن بن سراقه الانصاري الشاطبي
وغیره من أصحاب السهروردي صاحب عوارف المعارف واجتمع بالنجم بن ابراهيم
الدمشقي سنة ٦٥٠ وخدم أبا محمد بن سبعين وتلذذ به وكان ابن سبعين دونه
في السن لكن اشتهر باتباعه وعول على ماله حتى صار يعبر عن نفسه في منظوماته
وغيرها بعبد ابن سبعين وقال له لما قبله يريد المشايخ ان كنت تريد الجنة فسر الى أبي
مدين وان كنت تريد رب الجنة فاهلم الى * ولما مات أبو محمد انقرد بعده بالرياسة والامامة
على الفقراء المتجردين فكان يتبعه في أسفاره ما ينيف على أربع مائة فقير فيقتسمهم الترتيب
في وظائف خدمته صنف كتابها كتاب العروة الوثقى في بيان السنن واحصاء العلوم
وما يجب على المسلم أن يعمل به ويعتقده الى وفاته وله كتاب المقاليد الوجودية في اسرار
الصوفية والرسالة القدسية في نوحيات العامة والخاصة والمراتب الایمانية
والاسلامية والاحسانية والرسالة العلمية وغير ذلك وله ديوان شعر مشهور ومن
نظمه قوله رحمه الله تعالى

لقد تمّت بحب التجرد والفقر * فلم أندرج تحت الزمان ولا الدهر

وجاءت لقلبي نعمة قدسية * فغبت بها عن عالم الدلق والامر
طويت بساط الكون والطي تشره * وما القصد الا الترك لاطي والنشر
ونحمت عن القلب غير مطلق * فألفيتني ذاك الملقب بالغسير
وصلت لمن لم تنفصل عنه لحظة * ونزعت من أعني عن الوصل والهجر
وما الوصف الا دونه غير أنني * أريده التشيب عن بعض ما أدرى
وذلك مثل الصوت أيقظنا * فأبصر أمرا جلّ عن ضابط الحصر
فقلت له الاسماء تبغي بيانه * فكانت له الالفاظ ستر على ستر
وقال

من لامي لو أنه قد أبصرا * ما ذقته أضي به متعبرا
وغدا يقول لصحبه ان أنتو * أنك رعتو ما بي أيتتم منكرا
شدت أمور القوم عن عاداتهم * فلاجل ذال يقال بهر مفترى

وقال وهي من أشهر ما قال

أرى طالبا منا الزيادة لا الحسنى * بفكر رمي سهما فعدي به عدنا
وطال بنا مطا لو بنا من وجودنا * تغيب به عنا لذي الصعق ان عنا
وهي طويلة مشهورة بالشرق والغرب وقد شرحها شيخ شيوخنا العارف بالله تعالى
سيدى أحمد زروق تفهنا الله تعالى ببركاته وأشار ابن الخطيب في الاحاطة الى أنها لا تخلو عن
شدو من جهة اللسان وضعف في العربية قال ومع ذلك فهي غريبة المنزع أشار فيها الى
مراتب الايمان الاعلام من أهل هذه الطريقة وكانها مبنية على كلام شيخه الذي
خاطبه به عند لقائه حسبا قد منا اذ الحسنى الجنة والزيادة مقام النظر وقوله فيها
وأظهر منها الغافقى لما جنى * وكشف عن أطواره الغيم والدجنا
هو شيخه أبو محمد بن سبعين لانه مرسى الاصل غافقيه ولما وصل الششتري من الشام الى
ساحل دمياط وهو مريض مرض موته نزل قرية بساحل البحر الرومى فقال ما اسم هذه
القرية فقيل الطينة فقال حنت الطينة الى الطينة وأوصى أن يدفن بمقبرة دمياط اذ الطينة
بمقبرة وأقرب المدن اليها دمياط فحمله الفقراء على أعناقهم الى دمياط وكانت وفاته يوم
الثلاثاء سابع عشر صفر سنة ٦٦٨ فدفن بدمياط رحمه الله تعالى ورضي عنه * (ومنه)
سيدى أبو الحسن علي بن أحمد الحرالى الاندلسى وحرال قرية من أعمال مرسية غير أنه
ولد بخراسان وأخذ بالاندلس عن أبي الحسن بن خروف وغير واحد ورحل الى المشرق
فأخذ عن أبي عبد الله القرطبي امام الحرم وغيره ولقى جملة من المشايخ شرقا وغربا وهو
امام ورع صالح زاهد كان بقية السلف وقدوة الخلف وقد زهد في الدنيا وتخلّى عنها وأقام
في تفسير الفاتحة نحو من ستة أشهر يلقى في التعليل قوائين تنزل في علم التفسير منزلة أصول
الفقه من الاحكام حتى من الله تعالى ببركاته ومواهب لا تحصى وعلى أحكام تلك القوائين
وضع كتابه مفتاح اللب المقفل على فهم القرآن المنزل وهو من جمع العلم والعمل وصنف
في كثير من الفنون كالاصول والمنطق والطبيعيات والالهيات وكان يقرأ النجاة لابن سينا

فينقضه عروة عروة وكان من أعلم الناس بمذهب مالك ولما طعن فقهاء عصره بأنه لا يحسن المذهب لاستغاله بالمعقولات قرأ التهذيب وأبدى فيه الغرائب وبين مخالفته للمدونة في بعض المواضع ووقع بينه وبين الشيخ عز الدين بن عبد السلام شيء وطلب عز الدين أن يقف على تفسيره فلما وقف عليه قال أين قول مجاهد أين قول فلان وفلان وكثير القول في هذا المعنى ثم قال يخرج من بلادنا إلى وطنه يعني الشام فلما بلغ كلامه الشيخ قال هو يخرج وأقيم أنا فكان كذلك وله عدة مؤلفات في الفنون وقال رحمه الله تعالى أقت ملازما لجاهدة النفس سبعة أعوام حتى استوى عندي من يعطيني دينارا ومن يزدريني وأصبح رحمه الله تعالى ذات يوم ولا شيء لاهله يقيم به أودهم وكانت أم ولده جارية تسمى كريمة وكانت سيئة الخلق فاشتدت عليه في الطلب وقالت له إن الأصاغر لا شيء لهم فقال لها الآن يأتي من قبل الوكيل ما تقوت به فيبئناهم كذلك وإذا بالجمال يضرب الباب ومعه قمح فقال لها يا كريمة ما أعجلك هذا الوكيل بعث بالقمح فقالت ومن يصنعه فأمر فتصدق به ثم قال لها يأتيك ما هو أحسن فانتظرت يسيرا وباد إليها فتكلمت بما لا يليق فيبئناهم كذلك وإذا بجمال سميد فقال لها هذا السميد أيسر وأسهل من القمح فلم يقنعها ذلك فأمر أيضا بصدقة فلما تصدق به زادت في المقل واذا برجل على رأسه طعام فقال لها يا كريمة قد كفيت المؤنة هذا الوكيل قد لطف بحالك * ومن كراماته أن بعض طلبته اجتمعوا في نزهة وأخذوا حلما من زينة النساء فنزوا به بعض أصحابهم فلما انقضى ذلك واجتمعوا بمجلس الشيخ صار الذي كان في يده الحلي يتحدث ويشير بيده فقال الشيخ يد يجعل فيها الحلي لا يشار بها في الميعاد ومنها أنه أصاب الناس جرب ببجاية فأرسل إلى داره من يسوق ماء إلى الفقراء فامتدعت كريمة ونهرت رساله فسمع كلامها فقال للرسول قل لها يا كريمة والله لا شرب من ماء المطر الساعة فرمق السماء بطرفه ودعا الله سبحانه وتعالى ورفع يده به وشرع المؤذن في الأذان ولم يختم المؤذن أذانه حتى كان المطر كافوا القرب وتوفي رحمه الله تعالى بحماة من بلاد الشام سنة سبع وثلاثين وستمائة انتهى ملخصا من عنوان الدراية للغبريني * ووقع للذهبي في حقه كلام على عادته في الخط على هذه الطائفة ثم قال ورأيت شيخنا المجدد التونسي يتعالى في تفسيره ورأيت غير واحد معظما له وموقرا وقوما تكلموا في عقيدته وكان نازلا عند قاضي حماة البارزي وقال لنا شرف الدين البارزي تزوج بحماة وكانت زوجته تشبهه ونؤذيه وهو يتبسم وأن رجلا راهبا من جماعة علي أن يخرج به فقالوا لا تقدر فأتى وهو يعظ وصاح وقال له أنت أبوك كان يهوديا وأسلم فنزل من الكرسي فاعتقه الرجل أنه غضب وأنه تم له ما رامه حتى وصل إليه فخلع مرطبه عليه وأعطاه إياهما وقال له بسم الله بالخير لأنك شهدت لأبي أنه كان مسلما انتهى وظاهر كلام الغبريني أن تفسير الشيخ الخزازي كامل وقال بعضهم أنه لم يكمل وهو تفسير حسن وعليه نسج البقاعي مناسباته وذكر أن الذي وقف عليه منه من أول القرآن إلى قوله في سورة آل عمران كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا وكلام الذهبي في الشيخ برده كلام الغبريني اذهوا عرف به والله تعالى أعلم * وحكي الغبريني أنه أنشد بين يديه الرجل المشهور

جنان يا جنان * اجن من البستان * الياسمين
واترك الريحان * بحرمة الرحمن * للعاشقين

فسأل بعض عن معناه فقال بعض الحاضرين أراد به العذار وقال آخر انما أشار الى
دوام العهد لان الازهار كلها ينقض زمانها الا الريحان فانه دائم فاستحسن الشيخ هذا
ووافق عليه (ومنهم من قال الله العارف به الشيخ الشهير الكرامات الكبير المقامات
سیدی أبو العباس المرسى تفعنا الله تعالى به وهو من أكابر الاولياء محبوب سیدی الشيخ
الفرد القطب الغوث الجامع سیدی أبا الحسن الشاذلى أعاد الله تعالى علينا من بركاته
وخلفه بعده وكان قدم من الاندلس من مرسية وقبره بالاسكندرية مشهور باجابة الدعوات
وقد زرته مرارا كثيرة ودعوت الله عنده بما أرجو قبوله وقد عرف به الشيخ العارف بالله
ابن عطية الله في كتابه لطائف المنن في مناقب الشيخ سیدی أبي العباس وشيخه سیدی أبي
الحسن رضى الله تعالى عنهما وقال الصفدى في الوافى أحمد بن عمر بن محمد الشيخ الزاهد
الكبير العارف أبو العباس الانصارى المرسى وارث شيخه الشاذلى تصوقا الاشعري
معتقدا توفي بالاسكندرية سنة ٦٨٦ ولاهل مصر ولاهل الثغرية عقيدة كبيرة وقد
زرته لما كنت بالاسكندرية سنة ٧٣٨ قال ابن عزام سبط الشاذلى ولولا قوة اشتهاه
وكراماته لذكرت له ترجمة طويلة كان من الشهود بالشعر انتهى وكان سیدی أبو العباس
يسكرم الناس على فحور تبهم عند الله تعالى حتى انه ربما دخل عليه مطيع فلا يحتفل به وربما
دخل عليه عاص فأكرمه لان ذلك الطائع أتى وهو متكبر بعملة تاظر افعاله وذلك العاصى
دخل بكسر معصيته وذل مخالفته وكان شديد الكراهة للوسواس في الصلاة والطهارة
ويثقل عليه شهود من كان على صفته وذكر عنه يوما شخص بانه صاحب علم وصلاح الا
انه كثير الوسوسة فقال وأين العلم العلم هو الذى ينطبع في القلب كالبياض في الالبض
والسواد في الاسود وله كلام بديع في تفسير القرآن العزيز فمن ذلك انه قال قال الله
سبحانه وتعالى الحمد لله رب العالمين علم الله بحج خلقه عن حمده فحمد نفسه بنفسه في أزه قلا
خلق ان تلقى مقتضى منهم أن يحمده ويحمده فقال الحمد لله رب العالمين أى الحمد الذى حمد به
نفسه بنفسه هو لا ينبغي أن يكون لغيره فعلى هذا تكون الالف واللام للعهد وقال
في قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين اياك نعبد شريعة واياك نستعين حقيقة اياك نعبد
اسلام واياك نستعين احسان اياك نعبد عبادة واياك نستعين عبودية اياك نعبد فرق واياك
نستعين جمع وله في هذا المعنى وغيره كلام نفيس يدل على عظيم ثامنه الله سبحانه
من العلوم الدنية وقال رضى الله تعالى عنه في قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم
بالثبوت فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل وهذا الجواب ذكره ابن عطية
في تفسيره وبسطه الشيخ رضى الله تعالى عنه فقال عموم المؤمنين يقولون اهدنا الصراط
المستقيم معناه نسألك التثبيت فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل فانهم
حصل لهم التوحيد وفاتهم درجات الصالحين والصالحون يقولون اهدنا الصراط

المستقيم معناه نسألك التثبيت فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل لانهم حصل لهم
 الصلاح وفاتهم درجات الشهادة والشهادة يقولون اهدنا الصراط المستقيم أي بالتثبيت
 فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل فانهم حصلت لهم درجة الشهادة وفاتهم
 درجة الصديقية والصديق كذلك يقول اهدنا الصراط المستقيم اذ حصلت له
 درجة الصديقية وفاته درجة القطبانية والقطب كذلك يقول اهدنا الصراط
 المستقيم فانه حصلت له رتبة القطبانية وفاته علم اذا شاء الله تعالى أن يطلع عليه أطلعه
 وقال رضى الله تعالى عنه الفتوة الايمان قال الله سبحانه وتعالى انهم قمية آمنوا ببرهم
 وزدناهم هدى وقال رضى الله تعالى عنه في قوله سبحانه وتعالى حاكيا عن الشيطان
 ثم لا يبينهم من بين أيديهم ومن خلقهم الآية ولم يقل من فوقهم ولا من تحتهم لان فوقهم
 التوحيد وتحتهم الاسلام وقال رضى الله تعالى عنه التقوى في كتاب الله عز وجل على
 أقسام تقوى النار قال الله سبحانه وتعالى واتقوا النار وتقوى اليوم قال الله تعالى
 واتقوا يوم ما ترجعون فيه الى الله وتقوى الربوبية قال الله تعالى يا أيها الناس اتقوا
 ربكم وتقوى الألوهية وتقوى الله وتقوى الآية واتقوني يا أولى الألباب وقال
 رضى الله تعالى عنه في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أناس يدواد آدم ولا نفر
 أي لا أفخر بالسيادة وانما الفخرى بالعبودية لله وكان كثيرا ما يشد
 يا عمرو ناد عبد زهراء * يعرفه السامع والرائى
 لا تدعى الا يا عبدها * فانه أشرف أسمائى

وقال رضى الله تعالى عنه في قول سمعون المحب

وليس لى فى سوالى حظ * فكيفما شئت فاخترنى

الاولى أن يقول فكيفما شئت فاعف عني اذ طلب العفو اولى من طلب الاختيار وقال
 رضى الله تعالى عنه الزاهد جاء من الدنيا الى الآخرة والعارف جاء من الآخرة الى الدنيا
 وقال رضى الله تعالى عنه العارف لا دنياه لان دنياه لا آخرته وآخرته لربه وقال
 الزاهد غريب من الدنيا لان الآخرة وطنه والعارف غريب فى الآخرة قال بعض
 العارفين معنى الغربة فى كلام الشيخ رضى الله تعالى عنه أن الزاهد يكشف له عن
 ملك الآخرة فتبقى الآخرة موطن قلبه ومعشش روحه فيكون غريبا فى الدنيا اذ ليست
 وطنه لقلبه عاين الآخرة فأخذ قلبه فيما عاين من قواها ونوالها وفيما شهد من عقوباتها
 ونكاتها فتغرب فى هذه الدار وأما العارف فانه غريب فى الآخرة اذ كشف له عن
 صفات معروفة فأخذ قلبه فيما هنالك فصار غريبا فى الآخرة لان سره مع الله تعالى بلا أين
 فهو لا العباد تصير الحضرة معشش قلوبهم اليها يأوون وفيها يسكنون فان تنزلوا
 الى سماء الحقوق أو أرض الخصوص فبالاذن والتمسكين والرسوخ فى اليقين
 فلم ينزلوا الى الخصوص لشهوة ولم يصعدوا الى الحقوق بسوء الادب والغفلة بل كانوا فى ذلك
 كله با آداب الله تعالى وآداب رسله وأنبيائه متأدبين وبما اقتضى منهم مولا لهم عاملين
 رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم آمين * وكلام سيدى الشيخ أبى العباس رضى الله تعالى عنه

بحر لا ساحل له وكراماته كذلك وليراجع كتاب تليذه ابن عطاء الله فان فيه من ذلك ما يشفي ويكفي وما بقي اكثر * ومن كراماته رضي الله تعالى عنه انه عزم عليه انسان وقدم اليه طعاما يجتنبه به فأعرض عنه ولم يأكله ثم التفت الى صاحب الطعام وقال له ان الحافظ المحاسبي رضي الله تعالى عنه كان في اصبعه عرق اذا امتد به الى طعام فيه شبهة تترك عليه وأنا في يدي سبعون عرقا تترك علي اذا كان مثل ذلك فاستغفر صاحب الطعام واعتذر الى الشيخ رضي الله تعالى عنه وتفعنا به * (ومنهم أبو اسحق الساحلي المعروف بالطويجن بضم الطاء المهملة وفتح الواو وسكون التحتية وكسر الجيم وقيل يفتحها العالم المشهور والصالح المشكور والشاعر المذکور من أهل غرناطة من بيت صلاح وثروة وأمانة وكن أبوه أمين العطارين بغرناطة وكان مع أمانته من أهل العلم فقيها متقنا متقنا وله الباع المديد في الفرائض وأبو اسحق هذا كان في صغره موثقا بسماط شهود غرناطة وارتحل عن الاندلس الى المشرق فحج ثم سار الى بلاد السودان فاستوطنها ونال جاهها مكينا من سلطانها وبها توفي رحمه الله تعالى انتهى ملخصا من كلام الامير ابن الاخر في كتابه ثمر الجمان فمن نظم في وايام الزمان * وقال أبو المكارم منديل بن أجروم حدثني من يوثق بقوله ان أبا اسحق الطويجن كانت وفاته يوم الاثنين ٢٧ جمادى الآخرة سنة ٧٤٧ بتبكتوم موضع بالصحراء من عمالة مالي رحمه الله تعالى ثم ضبط الطويجن بكسر الجيم قال وبذلك ضبطه بخط يده رحمه الله تعالى قال ومن نسبته للساحلي فانه نسبته بلده للام انتهى * (ومنهم الشيخ الاديب الفاضل المعمر ضياء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن يوسف بن عفيف الخزرجي الساعدي من أهل غرناطة وبشهر بالخزرجي مولده ببغية وحل عن الاندلس قديما واستقر أخيرا بالاسكندرية وبها القبه الحافظ ابن رشيد غير مرة وقد أطلال في رحلته في ترجمته الى أن قال وذكره صاحبنا أبو حيان وهو أحد من أخذ عنه واقبه فقال تلا القرآن بالاندلس على أبي الوليد هشام ابن واقف المقرئ وسمع به من أبي زيد الفازي العشري نبات وسمع بكه من شهاب الدين السمروردي صاحب عوارف المعارف وتلا بالاسكندرية على أبي القاسم بن عيسى ولا يعرف له نظم في أحد من العالم الا في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شعره يعارض الحريري

أهن لاهل البدع * والهجر والتضع * ودن بترك الطمع

ولذ بأهل الورع

وعد عن كل بدى * لم يكثر بالنبد * والهج ببر جهبة

وعالم متضع

واندب زما ناكدا سلف * ولم تجد منه خلاف * وابعت بأنواع الاسف

رسائل التضرع

وهي طويلة فلتراجع في ملء العيبة لابن رشيد رحمه الله تعالى * (ومنهم الفقيه الجليل العارف النبيل الحاذق الفصيح البارع أبو محمد عبد الحق بن ابراهيم بن محمد بن نصر الشهير

بابن سبعين العكي المرسى الاندلسي ويلقب من الالقاب المشرقية بقطب الدين قال الشيخ
 المؤرخ ابن عبد الملك درس العربية والآداب بالاندلس ثم انتقل الى سبتة وانتحل
 التصوف وعكف برهة على مطالعة كتبه والتكلم على معانيها فالت اليه العامة ثم رحل
 الى المشرق وجج حجاج وشاع ذكره وعظم صيته وكثر أشباعه وصنف أوضاعا كثيرة
 تلقوها منه ونقلوها عنه ويرى بأمور الله تعالى أعلم بها وبحقيقتها وكان حسن
 الاخلاق مبرورا على الاذى آية في الايتار انتهى وقال غير واحد ان اغراض الناس فيه
 متباينة بعيدة عن الاعتدال فبهم المرقى المكفر ومنهم المقلد المعظم الموقر وحصل بهذين
 الطريقين من الشهرة والاعتقاد والنفرة والانتقاد ما لم يقع لغيره والله تعالى أعلم بحقيقة
 أمره ولما ذكر الشريف الغرناطي عنه أنه كان يكتب عن نفسه ابن هـ يعني الدارة التي هي
 كالصفر وهي في بعض طرق المغاربة في حسابهم سبعون وشهر لذلك بابن دارة ضمن فيه
 البيت المشهور محال سيف ما قال ابن دارة أجمعا * حسبا ذكره الشريف في شرح مقصورة
 حازم وقد طال عهدي به فليراجعه من ظفريه وقال صاحب درة الاسلاك في سنة ٦٦٩
 ماصورته وفيها توفي الشيخ قطب الدين أبو محمد عبد الحق بن سبعين المرسى صوفي متفلسف
 متزهده متكشف يتكلم على طريق أصحابه ويدخل البيت ولكن من غير أبوابه شاع
 أمره واشتهر ذكره وله تصانيف وأتباع وأقوال يعيل اليها بعض القلوب وعلمها بعض
 الاسماع وكانت وفاته بمكة المشرفة عن نحو خمسين سنة تغمده الله تعالى برحمته انتهى
 وقال بعض الاعلام في حق ابن سبعين انه كان رحمه الله تعالى عزيز النفس قليل التصنع
 يتولى خدمة الكثير من الفقراء والسفارة أصحاب العبادات والدقايس بنفسه ويحفون به
 في السكك ولما توفرت دواعي النقد عليه من الفقهاء كثر عليه التأويل ووجهت لافاظه
 المعارض وقلبت موضوعاته وتعاورته الوحشة وجرت بينه وبين الكثير من اعلام المشرق
 والمغرب سطوب بطول ذكرها ووقع في رسالة لبعض تلامذة ابن سبعين المذكور وأظن
 اسمه يحيى بن محمد بن أحمد بن سليمان وسماها بالوراثه المحمدية والفصول الذاتية ماصورته
 فان قيل ما الدليل على أن هذا الرجل الذي هو ابن سبعين هو الوارث المشار اليه قلنا
 عدم النظر واحتياج الوقت اليه وظهور الكامة المشار اليها عليه ونصيحته لاهل الملة
 ورجته المطلقة للعالم المطلق ومحبة لاعدائه وقصده لراحتهم مع كونهم يقصدون أذاه
 وعفوه عنهم مع قدرته عليهم وجذبهم الى الخير مع كونهم يطلبون هلاكه وهذه كلها من
 علامات الوراثه والتبعية المحضة التي لا يمكن أحدا أن يتصف بها الا بمجد أزل وتخصيص
 الهى وهما أنا وصف للابعض ما خصه الله سبحانه وتعالى به من الامور التي هي خارقة للعادة
 وتلغى عن الامور الخفية التي لا تعلمها ونقص الامور الظاهرة التي تعلمها والتي لا يمكن أحدا
 أن يستريب فيها الا من أخصه الله تعالى وأعلمه ولا يجدها الاحسود قد أتعب الله تعالى
 قلبه وأنساه رشده ونعوذ بالله من عائد من الله تعالى ساعده وأيده وهو معه بنصره وعونه
 فما أتعب معانده وما أسعد مواده وما أكبت مرادده فنبذ أيد كرمنا وعدنا فنقول
 الا قول في شرفه واستحقاقه لما ذكرنا كونه خلقه الله تعالى من أشرف البيوت التي في بلاد

قوله لا يزال الخ لفظ الحديث
كافي القاموس في مادة غ رب
لا يزال أهل المغرب ظاهرين
على الحق اه وجل المغرب فيه
على شجرة حجازية ضخمة شاكدة
فعلى هذا يكون المراد بهم أهل
الحجاز وكلمة على الحق ليست
موجودة هنا وربما أشعر بنبوتها
كلامه مما بعد فراجع ويحترز
اه بحجة

المغرب وهو بنو سبعين قرشياً هاشمياً علويّاً وأبواه وجدودهم يشار إليهم ويقول في الرئاسة
والحسب والتعين عليهم والثاني كونه من بلاد المغرب والنبي عليه السلام قال لا يزال
طائفة من أهل المغرب ظاهرين إلى قيام الساعة وما ظهر من بلاد المغرب رجل أظهر منه
فهو المشار إليه بالحديث ثم نقول أهل المغرب أهل الحق وأحق الناس بالحق وأحق المغرب
بالحق علماؤه لكونهم القائمين بالقسط وأحق علمائهم بالحق محققهم وقطبهم الذي يدور الكل
عليه ويقول في مسائلهم ونوازلهم السهلة والعويصة عليه فهو حق المغرب والمغرب حق
الله تعالى والمسئلة حق العالم فهو المشار إليه بالوراثه ثم نقول أهل المغرب ظاهرون على
الحق أي على الدين والحق سر الدين والمحقق سر الحق فالمحقق سر الدين فهو المشار إليه
بالوراثه ثم نقول أهل الله خير العالم وأهل الحق هم خير أهل الله والمحقق خير أهل الحق
فالمحقق خير العالم فهو المشار إليه ثم نقول انظر في بدايته وحفظ الله سبحانه له في صغره
وضبطه له من الله واللعب واخراجه من اللذة الطبيعية التي هي في جبلته البشرية وتركه
للمرئسة العرضية المعول عليها عند العالم مع كونه وجدها في آتائه وهي الآن في اخوته
ونزوحه عن الأهل والوطن الذي قرنه الحق مع قتل الإنسان نفسه وانقطاعه إلى الحق
انقطاعا صحيحا تعلم تخصيصه وخرقه للعادة ثم انظر في تأيده وقبحه من الصغرة تأليف كتاب بدء
العارف وهو ابن خمس عشرة سنة وفي جلالة هذا الكتاب وكونه يحتوى على جميع
الصنائع العلمية والعملية وجميع الامور السنية والسنية تجده خارجا للعادة وفي نشأته
في بلاد الاندلس ولم يعلم له كثرة تظرو ظهوره فيها بالعلوم التي لم تسمع قط تعلم أنه خارج للعادة
وفي توأيقه واشتمالها على العلوم كلها ثم انفرادها وفرادتها وخصوصيتها بالتحقيق الشاذ
عن أفهام الخلق تعلم أنه مؤيد بروح القدس وفي شجاعته وقوة توكله في عزمه ونصره
اصنائه وظهور حجته على خصمائه واقامة حقه وبرهانه وفصاحة كلامه وبيان سلطانه
تعلم أن ذلك بقوة الهية وعناية ربانية وفي امتحان أهل المغرب له واجتماعهم عليه في كل
بلد معتبر للمناظرة ويظهر الله تعالى حجته ويقمع خصمه ويكتب عدوه ويعجز معارضة
ويفهم معترضه وفي غير الحق عليه وهلال من تعرض بالأذى إليه يعلم العاقل الخصوص
أنه عند الله مخصوص وفي خلقه وقهره لقواء النزوعية والغضبية واسلام قريته وجلالة
قوته الحافظة التي لا تنسى شيئا والمفكرة التي تصور الذوات المجردة والمعالمات سرعين
الطيف وكذلك الذاكرة وسرعة ظهوره وانتشار آياته واستجلاب شأنه في الجهات
كلها وبالجملة جميع ما ذكرت فيه هو خارج للعادة البشرية ومعجزا معارضه من كل الجهات
ولولا خوف التطويل لكنت أفصل كل صفة ذكرت فيه بالكلام الصناعي ونقيم الأدلة
القطعية على تعجزها ولكن أعطيت الانعوج وعرفت ان النبي عن فكره ويجد ذلك
كله كما قلته وبالجملة جميع جريته اذا توثقت فوجد خارقة للعادة وتشهد لها ماهية
الوجود بالتخصيص فصح أنه هو المشار إليه والمعول في جملة الامور عليه وانما أعطيت
الامر المشهور وترك ما يعلم منه من خرق العوائد في ظهور الطعام والشراب والسمن
والتمر وأخذ الدراهم من الكون واخباره عن وقائع قبل وقوعها بسنين كثيرة وظهرت

كما أخبر فصيح انه هو المذكور انتهى ما تعلق به الغرض مما في الرسالة في شأن الشيخ
ابن سبعين وقد ذكر غير واحد من المؤرخين ومنهم لسان الدين بن الخطيب في الاحاطة
كما سيأتي قريبا أن ابن سبعين عاقد الخوف من أمير المدينة عن القدوم اليها فعظم عليه بذلك
الجل وقصفت الاحدوث عنه انتهى لكن قال شهاب الدين بن أبي حجلة التلمساني الاديب
الشهير وهو صاحب كتاب ~~السكر~~ ردان وديوان الصبابة ومنطق الطير والاعتراض على
العارف بالله تعالى ابن الفارض ما معناه أخبرني الشيخ الصالح أبو الحسن بن برغوش
التلمساني شيخ المجاورين بمكة وكانت له معرفة تامة بهذا الرجل أنه صده عن زيارة رسول
الله صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا قرب من باب من أبواب مسجد المدينة على ساكنها
الصلاة والسلام يراق منه دم كدم الحيض والله تعالى أعلم بحقيقة أمره انتهى وقال غيره
نعم زار النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا على طريق المشاة حدث بذلك أصهاره بمكة انتهى
وقال لسان الدين أتما شهرته ومجده من الادراك والآراء والاضاع والاسماء والوقوف على
الاقوال والتعمق في الفلسفة والقيام على مذاهب المتكلمين فبايقضى منه بالحب
وقال الشيخ أبو البركات بن الحاج البلقيني رحمه الله تعالى حدثني بعض أشياخنا من
أهل المشرق أن الأمير أبا عبد الله بن هود سالم طاغية النصاري فنكث به ولم يف بشرطه
فاضطره ذلك الى مخاطبة القس الاعظم برومية فوكل أبا طالب بن سبعين أخا أبي محمد عبد
الحق بن سبعين في التكلم عنه والاستظهار بين يديه قال فلما بلغ ذلك الشخص رومية
وهو بلد لا يصل اليه المسلمون وتطر الى ما يسهده وسئل عن نفسه فاخبر عما ينبغي كما ذلك
القس من دفا منه بكلام معجم ترجم لابي طالب بما معناه اعلموا ان أخا هذا ليس للمسلمين
اليوم أعلم بالله منه انتهى وقال غير واحد انه ظهر منه واشتهرت عنه أشياء كثيرة الله تعالى
أعلم باستحقاقه رتبة ما ادعاه منها فنها قوله فيما زعموا وقد جرى ذكر الشيخ ولي الله
سيد أبي مدين نفعنا الله تعالى ببركاته شعيب عبد عمل ونحن عبيد حضرة ومن حكى هذا
لسان الدين في الاحاطة وقد ذكر ابن خلدون في تاريخه الكبير في ترجمة السلطان
المستنصر بالله تعالى أبي عبد الله محمد ابن السلطان زكريا بن عبد الواحد بن أبي حفص ملك
افريقية وما اليها ان أهل مكة بايعوه وخطبوا له بعرفة وأرسلوا اليه يعثهم وهي من انشاء
ابن سبعين وسردها ابن خلدون بحملتها وهي طويلة وفيها من البلاغة والتلاعب
باطراف الكلام مالا مظم وراءه غير أنه يشير فيها الى أن المستنصر هو المهدي المبشر به
في الاحاديث الذي يحثو المال ولا يعنده وحمل حديث مسلم وغيره عليه وذلك ما لا يخفى
ما فيه فليراجع كلام ابن خلدون في محله ولا بن سبعين من رسالة سلام عليك ورجة الله
سلام عليك ثم سلام مناجاتك سلام الله ورجة الله الممتدة على عوالمك كلها السلام عليك
يا أيها النبي ورجة الله تعالى وبركاته وصلى الله عليك كصلاة ابراهيم من حيث شريعتك
وكصلاة أعز ملائكتك من حيث حقيقةك وكصلاته من حيث حقه ورجانيته السلام
عليك يا حبيب الله السلام عليك يا قياس الكمال ومقدمة العلم ونتيجة الحمد وبرهان
المجود ومن اذا نظر الذهن اليه قرأ ثم العبد السلام عليك يا من هو الشرط في كمال

الاولياء وأسرار مشروطات الاذكياء الاتقياء السلام عليك يا من جاوز في السموات
 مقام الرسل والانبياء وزادك رفعة واستعلا على ذوات الملا الاعلى * وذكرك قوله تعالى
 سبح اسم ربك الاعلى * وقال بعضهم عند ايراد جملة من رسائله التي منها هذه انها تستعمل
 على ما يشهد به بتعظيم النبوة وايشار الورع انتهى * وقال بعض العلماء الاكابر عند تعرضه
 لترجمة الشيخ ابن سبعين المترجم به مانصه ببعض اختصار هو أحد المشايخ المشهورين
 بسعة العلم وتعدد المعارف وكثرة التصانيف ولد سنة ٦١٤ ودرس العربية
 والادب بالاندلس ونظر في العلوم العقلية وأخذ عن أبي اسحق بن دهاق وبرع في طريقة
 وجال في البلاد وقدم القاهرة ثم حج واستوطن مكة وطار حبيته وعظم أمره وكثر أتباعه
 حتى أنه ترجم له أمير مكة فبلغ من التعظيم الغاية وله كتاب الدرج وكتاب السفر وكتاب
 الابوة اليمنية وكتاب الكد وكتاب الاطاعة ورسائل كثيرة في الاذكار وترتيب
 السلوك والوصايا والمواعظ والغنائم ومن شعره

كم ذاتموا بالشعيبين والعلم * والامر أوضح من نار على علم
 وكم تعبر عن سلع وكاطمة * وعن زرود وجيران بذي سلم
 ظلت تسأل عن نجد وأنت بها * وعن تهامة هذا فعل منهم
 في الحى حتى سوى ليلى فتسأله * عنها سؤالك وهم جزل لعدم

ونشأ رحمه الله تعالى ترفا ميجلا في ظل جده ونعمة لم تفارق معها نفسه البأ و كان وسيما جيلا
 ملوكي البرة عزيز النفس قليل التصنع وكان آية من الآيات في الايشار والجلود بما في يده
 رحمه الله تعالى * وقال في الاطاعة للناس في أمره اختلاف بين الولاية وضدّها ولما وجه الى
 كلامه سهام الناقدين قصر أكتهم عن مداه في الادراك والخوض في تلك البحار
 والاطلاع وساعت منهم في الممازجة له السيرة فانصرفوا عنه مكلومين يندرون عنه
 في الاتفاق من سوء القالة مالا شيء فوقه وجرت بينه وبين أعلام المشرق خطوب
 وعاقه الخوف من أمير المدينة عن الدخول اليها الى أن توفي فعظم بذلك الحمل عليه وقبح
 الاحدوث عنه ولما وردت على سببته المسائل الصقلية وكانت جملة من المسائل الحكمية
 وجهها علماء الروم تبيكتا للمسلمين انتدب للجواب المقنع عنها على فتاه من سنه وبديهة
 من فكرته رحمه الله تعالى انتهى * وقال بعض من عرّف به انه من أهل مرسية وله علم
 وحكمة ومعرفة ونباهة وبراعة وفصاحة وبلاغة * وقال في عنوان الدراية رحل الى
 العدو وسكن بجباية مدة ولقي من أصحابنا ناسا وأخذوا عنه وانتفعوا به في فنون خاصة
 له مشاركة في معقول العلوم ومنقولها وله فصاحة لسان وطلاقة قلم وفهم جنان وهو
 أحد العلماء الفضلاء وله أتباع كثيرة من الفقراء ومن عامة الناس وله موضوعات كثيرة
 هي موجودة بأيدي أصحابه وله فيها أغاز وإشارات بحروف أعجمية وله تسميات مخصوصة
 في كتبه هي نوع من الرموز وله تسميات ظاهرة هي كالاسامي المعهودة وله شعر في التحقيق
 وفي مراقب أهل الطريق وكتابه مستحسنة في طريق الادباء وله من الفضل والمزية
 ملازمته لبيت الله الحرام والتزامه الاعتمار على الدوام وجهه مع الحاج في كل عام

وهذه منية لا يعرف قدرها ولا يرام ولقد مشى به للمغاربة في الحرم الشريف حفظ لم يكن لهم في غير مدته وكان أهل مكة يعقدون على أقواله ويمتدون بأفعاله * توفي رحمه الله تعالى يوم الخميس تاسع شوال سنة ٦٦٩ انتهى ببعض اختصار * وذكر رحمه الله تعالى في ترجمة تلميذه الشيخ أبي الحسن الششتري السابق الذكر أن أكثر الطلبة يرجونه على شيخه أبي محمد بن سبعين وإذا ذكر له هذا يقول انما ذلك لعدم اطلاعهم على حال الشيخ وقصور باعهم * ومن تأليف ابن سبعين الفتح المشترك ومما حكاها صاحب عنوان الدراية في ترجمة الششتري مما لم تذكره في ترجمته الماضية ورأيت أنه ذكره هنا تذكيراً كأن الششتري كان في بعض أسفاره في البرية وكان رجلاً من أصحابه قد أسرف سمعه الفقراء يقول المينا يا أحمد فقيل له من أحمد الذي ناديت به يا سيدي في هذا البرية فقال لهم من تسرون به غدا إن شاء الله تعالى فلما كان من الغد ورد الشيخ وأصحابه بلاد قابس فعند دخولهم إذا بالرجل المأسور فقال الشيخ للفقراء هنيئاً لنا باقحام العقبة صاحبنا وأخاكم المنادي به ومن مناقبه نفع الله تعالى به أنه لما نزل بلدة قابس برباط البحر المعروف بالصهرجج جاءه الشيخ الصالح أبو اسحق الزرناقي نفع الله تعالى به بجميع أصحابه برسم الزيارة فوافق وصوله ووصل الشيخ الصالح الفاضل الولي أبي عبد الله الصنهاجي نفع الله تعالى به مع جملة أصحابه للزيارة فوجدوا الشيخ أبا الحسن قد خرج إلى موضع بخارج المدينة برسم الخاوة فجلسوا لا تنتظاره فلم يكن الا قليل إذ أقبل الشيخ على هيئة معتبر متفكر فلما دخل الرباط سلم على الواصلين برسم الزيارة وحيا المسجد وأقبل على الفقراء وأثر العبرة على وجنته فقال اتقوني بعداً فلما أحضر بين يديه تأوه وتأوه شديداً كاد أن يحرق بنفسه جليسه وجعل يكتب على اللوح هذه الايات

لا تلتفت بالله يا ناظرى * لا هيئف كأنه صنف الناضر
يا قلب واصرف عنك وهم البقا * وخلّ عن سرب حتى حاجر
ما السرب والبان وما العلع * ما الخيف ما ظبي بنى عامر
جبال من سميت به دائر * ما حاجة العاقل بالدائر
وانما مطلبه في الذي * هام الوري في حسنه الباهر
أفاد للشمس سنى كالذي * أعاره للقمم الزاهر
أصبحت فيه مغرم حاترا * لله در المغمرم الحائر

وكان يوماً ما لقا مألقة وصككته كثيراً ما يجود عليه القرآن العزيز فقرأ طالب قوله تعالى انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني فقال معجلاً رضى الله تعالى عنه وفهم من الآية ما لم يفهم وعلم منها ما لم يعلم

انظر للفظ أنا يا مغرم ما فيه * من حيث نظرتا للعل تدربه
خلّ ادخارك لا تنخر بعارية * لا يستعبر فقير من مواليه
جسوم أحرقه للسرى حاملة * ان شئت تعرفه جرب معانيه

ودخل عليه شخص بجاية من أهلها يعرف بابي الحسن بن علّال من أهل الامانة والديانة

فوجدته ذا كرم بعض أهل العلم فاستحسن منه إirاده للعلم واستعماله لمجاضرة الفهم فاعتقد
 شباخته وتقديسه ثم نوى أن يؤثر الفقراء من ماله بعشر بن دينار اشكر الله تعالى
 ويأتيهم بما يذكرون فلما يسر جميع ما اهتم به أراد أن يقسمه فيعطيه شطره ويدع الشطر
 الثاني إلى حين انصرف الشيخ ليكون للفقراء زاد فلما كان في الليل رأى في منامه النبي
 صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعلي رضي الله تعالى عنهما قال الرجل فنهضت إليه بسرور
 رؤية النبي صلى الله عليه وسلم وقلت يا رسول الله ادع الله تعالى لي فالتفت لابي بكر رضي الله
 تعالى عنه وقال يا أبا بكر أعطه فاذا به رضي الله تعالى عنه قسم رغيفا كان بيده وأعطاني
 نصفه ثم أفاق الرجل من منامه وأخذ من هذه الرؤية المباركة فأبى قط أهله واستعمل
 نفسه في العبادة فلما كان من القديس رواتي الشيخ ببعض الطعام ونصف الدراهم المحتسب بها
 فلما دفعها للشيخ قال له الشيخ يا علي أقرب فلما قرب قال له يا علي لو أتيت بالكل لأخذت
 منه الرغيف بكامله انتهى * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الشهير بابن غصن الاشيلي
 من ولد شذاد بن أوس الانصاري الجزيري نسبة إلى الجزيرة الخضراء الإمام المقرئ
 الزاهد عرض على الاستاذ ابن أبي الربيع الموطأ من حفظه وأخذ عنه النحو وكان
 من أولياء الله تعالى الصالحين وعباده الناصحين أمر بالمعروف ناهيا عن المنكر قوالا
 بالحق لا تأخذه في الله لومة لائم عارفا بمتقنا المذاهب
 الاثمة الاربعة والصحابة والتابعين لا يقبل من أحد شيئا مخلصا لله تعالى يتكلم على المنبر
 على عادة أهل العلم من تعليم المسائل الدينية وأقرأ القرآن بمكة مدة بالقراآت وبالمدينة
 وبيت المقدس وعين قرأ عليه خليلي امام المالكية بالحرم والشهاب الطبري امام
 الحنفية بالحرم وله مصنفات في القراآت منها مختصر الكافي وكتاب في معجزات
 النبي صلى الله عليه وسلم ومولده سنة ٦٣١ هـ تخميننا وتوفي ببيت المقدس آخر
 سنة ٧٢٣ هـ رحمه الله تعالى * (ومنهم الشيخ الفقيه الاستاذ النحوي التاريخي
 اللغوي أبو جعفر أحمد بن يوسف الفهرري اللبلي يكنى أبا العباس وأبا جعفر قرأ بالاندلس
 على مشايخ من أفضلهم الاستاذ أبو علي عمر الشلوبي ثم ارتحل إلى العدو وسكن بجاية
 وأقرأ بها مدة وارتحل إلى المشرق ففتح ثم رجع إلى حضرة تونس واتخذها وطبا واشتغل
 بها بالاقراء إلى أن مات كان يتبسط لأقراء سائر كتب العربية وله علم جليل باللغة
 وله تواليف كثيرة منها على الجمل وشرح القصص للعرب ولم يشذ فيه شيء من فصيح كلام
 العرب قال الغبريني رحمه الله تعالى ورأيت له تأليفا في الاذكار وله عقيدة في علم الكلام
 ورأيت له مجموعا سماه الاعلام بمحمد ودقواعد الكلام تكلم فيه على الكلام الثلاث
 الاسم والفعل والحرف وله تواليف أخرى وكان من أساتيد افریقیة في وقته وعين أخذ
 عنه واستفيد منه انتهى * وذكر الشيخ أبو الطيب بن علوان التونسي عن والده أحمد
 التونسي الشهير بالمصري أن له ذكورا تأليف اسماء التجنيس وله شرح أبيات
 الجمل سماه وشي الخلل رفعه لملك المستنصر الحفصي بتونس فدفعه المستنصر للاستاذ
 أبي الحسن حازم وأمره أن يعقب عليه ما فيه من خلل رجده ففكر أبو عبد الله

المقطان المسفر وكان يخدم حازما قال سكنت يوما بدار أبي الحسن حازم وبين يديه هذا الكتاب فسمعت نقر الباب فخرجت فاذا بالفقير أبي جعفر فرجعت وأخبرت أبا الحسن فقام مبادرا حتى أدخله وبالغ في بره وكرامه فرأى الكتاب بين يديه فقال له يا أبا الحسن قال الشاعر وعين الرضا عن كل عيب كايعة فقال له يا فقير أيا جعفر أنت سيدي وأخي ولكن هذا أمر الملك لا يمكن فيه الا قول الحق والعلم لا يحتمل المداينة فقال له فأخبرني بما عثرت عليه قال له نعم فأظهر له مواضع فسلمها أبو جعفر وبشرها وأصلحها بنظمه وأصل هذا اللبى من لبته بالانداس اجتمع في رحلته للمشرق بالقاضي ابن دقيق العيد وكان نحويا فلما دخل عليه اللبى قال له القاضي خير مقدم ثم سأله بعد حين بم انتصب خير مقدم فقال له اللبى على المصدر وهو من المصادر التي لا تظهر أفعالها وقد ذكره سيويوه ثم سرد عليه الباب من أوله إلى آخره فإنه كان يحفظ أكثره فأكرمه القاضي وعظمه ثم قال ابن علوان وذكر والدي أيضا رحمه الله تعالى ومن خطه الماركة نقلت ان الاستاذ أبا جعفر اللبى المذکور رحمه الله تعالى قرأ عليه يوما قول امرئ القيس

حتى الجول بجانب العزل * اذ لا يلائم شكها شكلي

فقال لطلبته ما العامل في هذا الطرف يعني اذ فتنازعوا القول فقال حسبكم قرئ هذا البيت على استاذنا أبي علي الشلو بين فسالنا هذا السؤال وكان أبو الحسن بن عصفور قد برع واستقل وجلس للتدريس وكان الشلو بين يغض منه فقال لنا اذا خرجتم فاسألوا ذلك الجاهل يعني ابن عصفور فلما خرجنا سرنا اليه بجمعنا ودخلنا المسجد فقرأنا ما قد دارت به حلقة كبيرة ولم يتكلم بغير ائب النحو فلم نجسر على سؤاله لهيئته وانصرفنا ثم جئنا بعد على عادتنا لابي علي فنسئله حتى قرئ عليه قول النابغة * فعدت عاتري اذ لا ارتجاع له * فتذكر وقال ما فعلتم في سؤال ابن عصفور فصدقنا له الحديث فأقسم أن لا يخبرنا ما العامل فيه ثم قال اللبى لطلبته وأنا أقول لكم مثل ذلك فانظروا لانفسكم قالوا فنظرنا فاذا المسئلة مسئلة تخص ونظر كل واحد منا بحكم صدقنا عنه قوائن نحوية حتى مضت مدة طويلة فوجدنا علينا بتونس المحروسة أحد طلبته ابن أبي الربيع وكان ابن أبي الربيع هذا ساكنا بسبته وهو أحد طلبته الشلو بين أيضا ومن كبار هذه الطبقة التي نشأت بعده قالوا فتدأ كرنامع هذا الطالب في مسائل نحوية ففرت هذه المسئلة في قوله تعالى اذ نسويكم رب العالمين فقال هذا الطالب ان هذا الطرف وقع موقع لام العلة فعلنا أن هذا هو الذي أراد الاستاذ أبو علي ثم ناقشنا الطالب وقلنا له اذا جعلته نظرا فلا بد من العامل واذا جعلته واقعا وقع الحرف كان هذا على شذوذ قول الكوفيين والذي يجوز عكسه على مذهب الجميع وانما الاولى أن يقال اذ حرف معناه التعليل تشترط فيه الاسماء كما اشتركت في عن والله أعلم بغيبه انتهى * (ومهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي قال الحافظ المقرري وفرح بسكون الراء وقال الحافظ عبد الكريم في حقه انه كان من عباد الله الصالحين والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا المشغلين بما يعنيه من أمور الآخرة فيما بين توجهه وعبادة

وتصنيف جمع في تفسير القرآن كتابا خمسة عشر مجلدا وشرح أسماء الله الحسنى في مجلدين وله كتاب التذكرة في أمور الآخرة في مجلدين وشرح التقصى وله تأليف غير ذلك مفيدة وكان مطروح التكليف يمشى بثوب واحد وعلى رأسه طاقية سمع من الشيخ أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي صاحب المفهم في شرح مسلم بعض هذا الشرح وحدث عن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن حفص الجصبي وعن الحافظ أبي علي الحسن بن محمد بن محمد البكري وغيرهما وتوفي بمينة ابن خصيب ليلة الاثنين التاسع من شوال سنة ٦٧٨ ودفن بهارجه الله تعالى * وفي تاريخ الكتي في حقه مانعه كان شيخنا فاضلا وله تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور علمه منها تفسير القرآن ملج إلى الغاية اثنا عشر مجلدا انتهى * وكتب بعض تلامذته على الهامش ماصورته قد أجحف المصنف في ترجمته جدا وكان متفنا متبحرا في العلم انتهى * وكتب بعض باثر هذا الكلام مانعه قال الذهبي رحل وكتب وسمع وكان يقظا فها حسن الحفظ ملج النظم حسن المذاكرة ثقة حافظا انتهى * وكتب آخر اثر ذلك الكلام ماصورته مشاحة شيخنا للمصنف في هذه العبارة مالها فائدة فان الذهبي قال في تاريخ الاسلام العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الامام القرطبي امام متفنن متبحر في العلم له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور عقله وفضله ثم ذكر موته وقال بعده وقد سارت بتفسيره العظيم الشأن الركان وله الاسنى في شرح الاسماء الحسنى والتذكرة وأشياء تدل على امامته وذكائه وكثرة اطلاعه انتهى * وكتب آخر باثر هذا الكلام مانعه غفر الله لك اذا كان الذهبي ترجمه بما ذكرته وهو والله فوق ذلك فكيف تقول ان مشاحة شيخك لا فائدة فيها وتسمى الادب معه وتقول ان كلامه لا فائدة فيه فالتدبير عليك انتهى * (ومنهم أبو القاسم بن حاضري الجزيري الخزرجي محمد بن أحمد بن جريرة شقر قدم مصر وسكن قوص بعد ما كان من عدول بلنسية وكان قصيصا عالما بصناعة التوريق وله نظم لم يحضرني الا آن ثي منه ومات بالقاهرة سنة تسع وثلاثين وستمائة رجه الله تعالى * (ومنهم أبو القاسم التجيبي محمد بن أحمد التجيبي من أهل بلش قرأ على ابن مفرج وابن أبي الاحوص ورحل فاستوطن القاهرة وكان شيخا فاضلا خيرا له أدب وشعر منه قوله من أبيات

أحوى الجفون له رقيب أحول * الشئ في ادراكه شيان

يألتنه ترك الذي أنا مبصر * وهو المخير في الغزال الثاني

ولاديلش سنة ٦٢٣ وتوفي بالحسينية خارج القاهرة سلخ المحرم سنة ٦٩٥ وعن روى عنه نحوى الزمان اثر الدين أبو حيان وغيره رحم الله تعالى الجميع * (ومنهم أبو بكر الخزرجي محمد بن أحمد بن حسن وقيل محمد بن عيسى الماقي المالكي قال الشريف أبو القاسم انه كان أحد الزهاد الورعين وعباد الله المتقين مشغلا بنفسه متخليا عما في أيدي الناس يأكل من كسب يده ولا يقبل لاحد شيئا مع وجد وعلم وعمل وفضل وأدب ولم يكن في زمانه من اجتمع فيه ما اجتمع له وقال الحافظ عبد الكريم انه دخل اشدلية واشتغل

بالعريية على الشاويين وقرأ القرآن السبع ثم قدم مصر واشتغل بمذهب مالك وكان والده نجاراً وكان لا يأكل الا من كسب يده يخط الثياب فازدحم الناس عليه تبركاً به فترك ذلك وصار يدق القصدير ويأكل منه ويتصدق بما فضل عنه وكان شديد الزهد كثير العبادة لا يسلم يده الى أحد ابداً وبعثه في اجرة مسكنه ليشفع الى صاحب الدار أن لا يقبل الزائد فغضى الى صاحب الدار وأعطاه الزائد مدة أشهر فعمل بذلك الساكن بعده مدة فقال له ياسيدي ما سألت الا شفاعة وأنت ترن عني فقال له رجل له دار يأخذ أجره ثم ياتي به اليه الخزرجي يقطع عليه حقه والله ما يدفع هذا الا أنا فلم يزل يدفع الزائد الى أن انتقل الساكن الى غيرها ومات ليلة الاثنين الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٦٥١ عن خمس وأربعين سنة ودفن بالقرافة رحمه الله تعالى ونفعنا به * (ومنهم أبو بكر محمد بن أحمد بن خليل بن فرح الهاشمي مولاهم لان ولده لبني العباس من أهل قرطبة ولد في شهر رمضان سنة ٣٢٢ بقرطبة وسمع به من وهب بن مسرة وخالد بن سعيد وغيره ورحل فخرج وأدرك بمصر ابن الورد وابن رشيق وأبا علي بن السكن ونظراء هم في سنة ٣٤٩ وعاد الى بلده وبها مات في شهر رمضان سنة ست وأربع مائة قال ابن بشكوال كان رجلاً صالحاً فاضلاً من أهل الاجتهاد في العبادة ما نال الى التقشف والزهادة قديم الطلب حسن المذهب متبعاً للسنن * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن سلمان بن أحمد بن ابراهيم الزهري الاندلسي الاشبيلي ولد بمالقة وطاف الاندلس وطلب العلم وحصل طرفاً صالحاً من علم الادب ودخل مصر قبل التسعين وخمسمائة فسمع الحديث بها ودخل الشام وبلاد الجزيرة وقدم بغداد سنة ٥٠٩ وعمره ثلاثون سنة وأقام بها مدة وسمع من شيوخها كابي الفرج بن كليب ونحوه وقرأ ونسخ بخطه وسافر الى اصبهان وبلاد الجبل وكان فاضلاً حسن المعرفة بالادب يقول الشعر وينشئ المقامات وصنف كتاب البيان والتبيين في أنساب المحدثين ستة أجزاء وكتاب البيان فيما أبهم من الاسماء في القرآن مجلد وكتاب أقسام البلاغة وأحكام الصناعة في مجلدين وكتاب شرح الايضاح لابي علي الفارسي في خمسة عشر مجلداً وكتاب شرح المقامات مجلد وكتاب شرح اليميني في مجلد قال المنذري توفي شهيداً قتله التتار في رجب وقال ابن النجار في سابع عشر رجب سنة ٦١٧ رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن القاسم القرطبي المقرئ المعروف بالورشي نسبة الى قراءة ورش لاشتهاره بها وهو أحد القراء المعروفين قال الحاكم هو من الصالحين المذكورين بالتقدم في علم القراءات سمع بمصر والشام والحجاز والعراقين والجال والاصبهان وورد نيسابور ودخل خراسان فسمع على ابن المزيان باصبهان وبالاهاواز عبد الواحد بن خلف الجندي ساوري وبفارس أحمد بن عبد الرحمن ابن الجارود الرقي وقال ابن النجار قدم بغداد وحدث به ما توفي بسجستان في ربيع الاول سنة ٣٩٣ * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد الباجي اللخمي قال ابن بشكوال مولده في صفر سنة ٣٥٦ وسمع عن جده ورحل الى المشرق وقال ابن غلبون في مشيخته انه كان من أهل العلم والحديث والرواية والحفظ للمسائل قائماً بها واقفاً عليها قاعداً

لشروط محسناتها عارفاً وبيتهم بيت علم ونشأ فيه هو وأبوه وجدته وكان جميعهم في الفضل والتقدم على درجاتهم في السن وعلى منازلهم في السبق وكانت رحلته مع أبيه وروايتهما واحدة وشاركه في السماع والرواية عن جده وسمع بمصر من أبي الحسن أحمد بن عبد الله ابن حميد بن زريق الخزومي * وقال ابن بشكوال كان من أجل الفقهاء عند نادريه ورواية بصير بالعمود ومقدم على أهل الوثائق عارفاً بالله وألف فيها كتاباً بحسنا وكثافي السجلات إلى ما جمع فيه من أقوال الشيوخ والمتأخرين مع ما كان عليه من الطريقة المثلى وتوفية العلم حقه من الوفاء والتصون توفي في المحرم سنة ٤٢٣ عشرين بقين منه * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد العزيز العتيبي الاندلسي القرطبي الفقيه المالكي المشهور صاحب العتبية سمع بالاندلس من يحيى بن يحيى وسعيد ابن حسان وغيرهما ورحل إلى المشرق فسمع من سحنون وأصبغ بن الفرج وغيرهما وكان حافظاً للمسائل جامعاً لها عالماً بالنوازل وهو الذي جمع المستخرجة من الاسمعة المسموعة غالباً من مالك بن أنس وتعرف بالعتبية وأكثر فيها من الروايات المطروحة والمسائل الغريبة الشاذة وكان يؤتي بالمسئلة الغريبة فإذا سمعها قال أدخلوها في المستخرجة ولذا روى عن ابن وضاح انه كان يقول المستخرجة فيها خطأ كثير كذا قال وليكن الكتاب وقع عليه الاعتماد من علماء المالكية كابن رشد وغيره * قال ابن يونس توفي بالاندلس سنة ٢٥٥ والعتبي نسبة إلى عتبة بن أبي سفيان بن حرب وقيل إلى جده المذكور يسمى عتبة وقيل إلى ولأعتبة بن يعيش * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن زكريا المغافري القرطبي الفرضي الأديب ولد بالاندلس سنة ٥٩١ ونشأ بالنسبة وأقام بالاسكندرية وقرأ القرآن على أصحاب ابن هذيل ونظم قصيدة في القراءات على وزن الشاطبية لكن أكثر آياتها وصرح فيها بأسماء القراء ولم ير من كإفعل الشاطبي وكانت لديه في القرائن والعروض مع معرفة القراءات والادب ومن شعره

إذا ما اشترت بنت أباه فاعتقه * بنفس الشرأ شرعاً عليها تأسلاً
وميراثه إن مات من غير عاصب * ومن غير ذي فرض لها قد تأسلاً
لها النصف بالميراث والنصف بالولا * فان وهب ابناً أو شراء تفضلاً
فأعتق شرعاً ذلك الابن مالها * سوى الثلث والثلثان لا أخ أصلاً
وميراثها فيه إذا مات قبلها * كغيرها في الأب من قبل يجتلي
ومولى أيها مالها الدهر فيه من * ولأولاد مع الأب فاعتلى

وهذه المسئلة ذكر الغزالي في الوسيط انه قضى فيها أربع مائة فاض وغلطوا وصورتها بنة اشترت أباه فعتق عليها ثم اشترى الأب ابنها فعتق عليه ثم اشترى عبداً فاعتقه ثم مات الأب فورثه الابن والبنت للذكر مثل حظ الأنثيين ثم مات العبد المعتق فلم يكن ولاؤه وفرضها المالكية على غير هذا الوجه وهي مشهورة * (ومنهم محمد بن أحمد بن محمد بن سهل أبو عبد الله الأموي الاندلسي الطليطلي المعروف بالنقاش نزل مصر وقعد للاقراء بجامع عمرو بن العاصي وأخذ عنه جماعة وتوفي بمصر سنة ٥٢٩ * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد

القيسي القبري القرطبي المؤتب رحل من الاندلس سنة ٣٤٢ فسمع بمصر من أبي محمد
ابن الورد وأبي قتيبة سالم بن الفضل البغدادي وغيره وكان صالحا خيرا مؤتبا سمع من الناس
وتوفي سنة ٣٦٢ والقبري بفتح القاف وسكون الباء الموحدة ثم راء مهملة نسبة الى
قبرة بلد بالاندلس بقرب قرطبة بنحو ثلاثين ميلا * (ومنهم جمال الدين أبو بكر الوابلي
محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن مجيمان الشريشي المالكي ولد بشر يش
سنة ٦٠١ ورحل فسمع بالاسكندرية من ابن عمار الخزازي وبدمشق من مكرم
ابن أبي الصقر وجلب من أبي البقاء يعيش بن علي النحوي وسمع بباربل وبغداد وأقام
بالمدرسة الفاضلية من القاهرة مدة يقيد الناس فخرج به جماعة وولى مشيخة المدرسة
بالقدس ومشيخة الرباط الناصري بالجبل وأقام بدمشق يفتي ويدرس وكان من العلماء
الزهاد كثير العبادة والورع والزهد أحد الأئمة المبرزين المتبحرين في العربية والفقه على
مذهب الإمام مالك والتفسير والاصول وصنف كتابا في الاشتقاق وشرح ألفية ابن
معطي وأخذ عنه الناس وطلب للقضاء بدمشق فامتنع منه زهدا وورعا وبقي المنصب لاجله
شاعرا الى أن مات برجب سنة ٦٨٥ ودفن بقاسيون وسجيمان بسين مهملة
مضمومة ثم جيم ساكنة بعدها ميم مفتوحة ونون * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد
ابن يحيى بن مفرج القرطبي المعروف والده بالقشوري وكان جده أليه مفرج صاحب
الركاب للحكم بن عبد الرحمن الداخل وكان أبوه أحمد بن يحيى رجلا صالحا وولده هو سنة
٣٢٨ وكان سكاه بقرطبة بقرب عين قنت أوربة وسمع بشرطية من قاسم بن أصبغ كثيرا
ومن ابن دليم والخشي ورحل سنة ٣٣٧ فسمع بمكة من ابن الاعرابي ولزمه حتى مات
وسمع بهام من جماعة غيره وسمع بجدة وبالمدينة النبوية على ما كتبها الصلاة والسلام ودخل
صنعاء وزيد وعدن وسمع بهام من جماعة وسمع بمصر من البرقي صاحب أحد البزار وسمع
من السيرافي وجماعة كثيرة وسمع بغزة وعسقلان وطسيرة ودمشق وطرابلس وببروت
وصيدا والرملية وصور وقيسارية والقلم والفرما والاسكندرية فباغت عدة شيوخه الى
ماتين وثلاثين شيخا وروى عنه أبو عمرو الطنكسي وجماعة وكتب تاريخ مصر عن
مؤلفه أبي سعيد بن يونس وروى عنه ابن يونس وهو من أقرانه وعاد الى الاندلس من
رحلته سنة ٣٤٥ واتصل بالحكم المستنصر وصارت له عنده مكانة وألف له عدة كتب
واستقضاء على استجابة ثم على المرية ومات برجب سنة ٣٤٨ قال الحميدي هو محدث
حافظ جليل صنف كتب في فقه الحديث وفي فقه التابعين فنها فقه الحسن البصري
في سبع مجلدات وفقه الزهري في أجزاء كثيرة وسمع مسندا ابن القرضي وحديث قاسم
ابن أصبغ قال ابن القرضي وكان عالما بالحديث بصيرا برجاله صحيح النقل حافظا جيد الكتابة
على كثرة ما جمع وقال ابن عفيف في حقه انه كان من أعنى الناس بالعلم وأحفظهم للحديث
وأبصرهم بالرجال ما رأيت مثله في هذا الفن من أثق المحدثين بالاندلس وأصحهم كتابا
وأشدهم تعباً روايته وأجودهم ضبطاً لكتبه وأكثرهم تصحيحاً لها لم يدع فيها شبهة رجه الله
تعالى * (ومنهم أبو عبد الله القيسي الوضاحي محمد بن أحمد بن موسى رحل الى المشرق

قوله سنة ٣٢٨ في نسخة
سنة ٣٢٥ هـ

وسمع من السلفي وغيره جلة صالحة ثم عاد الى الاندلس بعد الحج وسكن المريية مدة وبها مات سنة ٥٣٩ وقيل في التي بعدها وكان من أطرف الناس وأحسنهم أدبا فقيها فاضلا ثقة ذافوا دجة عفيفة معتنيا بالعلم * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن موسى بن هذيل العبدري البلنسي ولد سنة ٥١٩ وسمع من أبيه وجماعة ورحل حاجا فسمع من السلفي وابن عوف والحضري والتنوخي والعثماني وغيرهم ورجع بعد الحج الى الاندلس فحدث وكان غاية في الصلاح والورع وأعمال البر وله حظ من علم العبارة ومشاركة في اللغة وكتب بخطه على ضعفه كثيرا رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن فوج الاشبيلي ومولده سنة احدى وثلاثين وستمائة بأشبيلية وجال في بلاد المغرب والمشرق وقرأ على الشيوخ الفضلاء وحصل كثيرا في علم القراءات والادب وله نظم ونثر وكان كثيرا التلاوة للقرآن جيدا الاداء له وأقام بدمشق حتى مات بها سنة ٦٩٩ رحمه الله تعالى * (ومنهم محمد بن أسباط الخزومي القرطبي روى عن يحيى بن يحيى وقدم مصر فسمع من الحرث بن مسكين وكان حافظا للفقهاء عالما توفي سنة ٣٧٩ * (ومنهم أبو بكر محمد بن اسحق الشهير بابن السليم قاضي الجماعة بقرطبة مولده سنة ٣٠٦ روى عن قاسم بن أصبغ وطبقته ورحل سنة ٣٣٢ فسمع بمكة من ابن الاعرابي وبمصر من الزبير وابن النحاس وغيرهما وعاد الى الاندلس فأقبل على الزهد ودراسة العلم وحدث فسمع منه الناس وكان حافظا للفقهاء بصيرا بالاختلاف حسن الخط والبلاغة متواضعا وتوفي بجمادى الاولى سنة ٣٦٧ وسليم بفتح السين مكبرا * (ومنهم موسى بن بهج المغربي الاندلسي الواعظ الفقيه العالم من أهل المريية نزل بمصر يكنى أبا عمران كان من أهل العلم والادب وله في الزهد وغيره أشعار جلت عنه وحدث المرشاني عنه بمخمسة في الحج وأعماله كلها ولقيه بمصر وقرأها عليه ولا بن بهج هذا قوله

انما دنيالك ساعة * فاجعل الساعة طاعة

واحذر التقصير فيها * واجتهد ما قدر ساعه

واذا أحييت عزاء * فالتمس عز القناعه

* (ومنهم أبو عمران موسى بن سعادة مولى سعيد بن نصر من أهل مرسية سمع منه أبو علي بن سكرة الصدي وكانت بنته عند أبي علي ولازمه وأكثر عنه وروى عن أبي محمد ابن مغفوز الشاطبي وأبي الحسن بن شفيع قرأ عليهم الموطأ ورحل وبعج وسمع السنن من الطرطوشي وعنى بالرواية واتسخ اصحاح البخاري ومسلم بخطه وسمعهما على صهره أبي علي وكانا أصليين لا يكاد يوجد في الصحة مثلهما حكى الفقيه أبو محمد عاشر بن محمد أنه سمعهما على أبي علي بنحو ستين مرة وكتب أيضا الغريين للهروي وغير ذلك وكان أحد الافاضل الصلحاء والاجواد السجاء يؤتم بالناس في صلاة الفريضة ويتولى القيام بمؤون صهره أبي علي وبما يحتاج اليه من دقيق الاشياء وجليلها واليه أوصى عند توجهه الى غزوة ككتندة التي فقد فيها سنة أربع عشرة وخمسمائة وكانت له مشاركة في علم اللغة والادب وقد حدث عنه ابن أخيه القاضي أبو عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة بكتاب أدب

قوله سنة ٣٣٢ في نسخة

سنة ٣٣٠ هـ

الكتاب لابن قتيبة وبالفصحى ثعلب * (ومنهم أبو محمد عبد الله بن طاهر الأزدي من أهل وادي آش له رحلة إلى المشرق أدى فيها الفريضة وسمع بدمشق من أبي طاهر الخشوعي مقامات الحريري وابن عساكر وغيرهما ثم قفل إلى بلده انتهى ملخصا من ابن الأبار وحكي الصفدي أن ابن المستكني اجتمع بالمتنبي بمصر وروى عنه شيئا من شعره ومما روى عنه أنه قال انشدني المتنبي لنفسه

لاعبت بالخاتم انساة * كمثل بدر في الدجى القاحم
وكما حاولت أخذي له * من البنان المترف الناعم
القتة في فيها فقلت انظروا * قد خبت الخاتم في الخاتم

* (ومن الراجلين من الاندلس إلى المشرق) أبو عبد الله بن مالك صاحب التسهيل والالفة وهو جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الإمام العلامة الاوحد الطائي البلياني المالكي حين كان بالمغرب الشافعي حين انتقل إلى المشرق النحوي نزيل دمشق ولد سنة ست مائة أوفى التي بعدها وسمع بدمشق من مكرم وأبي صادق الحسن بن صباح وأبي الحسن ابن السخاوي وغيرهم وأخذ العربية عن غير واحد منهم أخذ عنه ببيان أبو المظفر وقيل أبو الحسن ثابت بن خييار عرف بابن الطليسان وأبي رزين بن ثابت بن محمد بن يوسف ابن خييار الكلاعي من أهل لبلة وأخذ القراءات عن أبي العباس أحمد بن نوار وقرأ كتاب سيبويه على أبي عبد الله بن مالك المرشاني وجالس يعيش وتلميذه ابن عمرو وغيره بحلب وتصدر بها لأقراء العربية وسرف همته إلى إتقان لسان العرب حتى بلغ فيه الغاية وأربى على المتقدمين وكان إماما في القراءات وعالميا بصنف فيها قصيدة دالية مرموزة في قدر الشاطبية وأما اللغة فكان إليه المتسهي فيها قال الصفدي أخبرني أبو الشناء محمود قال ذكر ابن مالك يوما ما انفرد به صاحب المحكم عن الأزهرى في اللغة قال الصفدي وهذا أمر معجز لانه يحتاج إلى معرفة جميع ما في الكتابين وأخبرني عنه أنه كان إذا صلى في العادلية لانه كان إمام المدرسة يشيعه قاضي القضاة ابن خلكان إلى بيته تعظيما له وقد روى عنه الالفة شهاب الدين محمود المذكور ورواها الصفدي خليل عن شهاب الدين محمود قراءة ورواها اجازه عن ناصر الدين شافع بن عبد الظاهر وعن شهاب الدين بن غانم بالاجازة عنهما عنه وأما النحو والتصريف فكان فيهما ابن مالك بجرا لا يشق لجه وأما اطلاع على أشعار العرب التي يستشهد بها على النحو واللغة فكان أمرا عجيبا وكان الأئمة الاعلام يحسرون في أمره وأما الاطلاع على الحديث فكان فيه آية لانه كان أكثر ما يستشهد بالقرآن فان لم يكن فيه شاهد عدل إلى الحديث وان لم يكن فيه شيء عدل إلى أشعار العرب هذا مع ما هو عليه من الدين والعبادة وصدق اللهجة وكثرة التوافل وحسن السمت وكمال العقل وأقام بدمشق مدة يصنف ويشغل بالجامع وبالترية العادلية وتخرج به جماعة وكان نظم الشعر عليه سهلا رجزه وطويلا وبسيطة وصنف كتاب تسهيل الفوائد قال الصفدي ومدحه سعد الدين محمد بن عربي بآيات مليحة إلى الغاية وهي

ان الامام جمال الدين جله * رب العلا ونشر العلم أهله
أملى كتابا له يسمى الفوائد لم * ينزل مفيدا لذى لب تأمله
وكل مسئلة في التحويي جمعها * ان الفوائد دجج لا نظيره

قال وفي هذه الايات مع حسن التورية فيها ما لا يخلو من ايراد ذكرته في كتابي فص الخاتم
اتهي قلت أجب العجيسى عن ذلك بأن الايات ليست في التسهيل وانما هي في كتاب
له يسمى الفوائد وهو الذي نلخصه في التسهيل فقوله في اسم التسهيل تسهيل الفوائد معناه
تسهيل هذا الكتاب وذ كر أيضا أنه مثل التسهيل في القدر على ما ذكره من وقف عليه
وقال واليه يشير سعد الدين محمد بن عربي بقوله ان الامام الى آخره وسعد الدين بن الشيخ
محي الدين صاحب الفصوص وغيرها ثم قال العجيسى وذ كر غير واحد من أصحابنا
أن له كتابا آخر سماه بالمقاصد وضمنها تسهيله فسماه لذلك تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد
فعلى هذا الاصح قول الصفدي ان المدح المذكور في التسهيل الا بارتكاب ضرب من
التأويل انتهى كلام العجيسى قلت وذ كر غيره أن قوله في الالفية مقاصد التحويي بالتحوية
اشارة لكتاب المقاصد وتعقب بقوله محوية فانه لو كان كما ذكرنا لم يحوى واجاب بعضهم
بأنه من باب الاستخدام وفيه تعسف (رجع) ومن تصانيف ابن مالك الموصلة في نظم
المفصل وقد حل هذا النظم فسماه سبيل المنظوم وفك المختوم ومن قال ان اسمه فك
المنظوم وسبيل المختوم فقد خالف النقل والعقل ومن كتب ابن مالك كتاب الكافية
الشافية ثلاثة آلاف بيت وشرحها والخلاصة وهي مختصر الشافية وكمال
الاعلام بمثلث الكلام وهو مجلد كبير كثير الفوائد يدل على اطلاع عظيم ولامية
الافعال وشرحها وفعل وأفعل والمقدمة الاسدية وضعها باسم ولده الاسد وعدة
اللافت وعدة الحافظ والنظم الاويز فيما يهزم والاعتضاد في الظاء والضاد مجلد
واعراب مشكل الجارى وتحفة المودود في المقصور والممدود وغير ذلك كشرح
التسهيل وروى عنه ولده بدر الدين محمد ومحب الدين بن جعوان وشمس الدين بن أبي
الفتح وابن العطار وزين الدين أبو بكر المزى والشيخ أبو الحسين اليونيني وأبو عبد الله
الصيرفي وقاضى القضاة بدر الدين بن جماعة وشهاب الدين محمود وشهاب الدين بن غانم
وناصر الدين بن شافع وخلق كثير سواهم ومن نظم في الحلبة

خيل السباق المجلى يقتضيه مصلى والمسلمى وقال قيل مرتاح

وعاطف وحظى والمؤمل والى لطيم والفسكر السكيت يا صاح

وله من هذه الضوابط شئ كثير وكان يقول عن الشيخ ابن الحاجب انه أخذ نحوه
من صاحب المفصل وصاحب المفصل ونحوه صغيران وناهيك عن يقول هذا في حق
الزنجشبرى وكان الشيخ ركن الدين بن القويح يقول ان ابن مالك ما خلى للتحو حرمه
وحكى عنه أنه كان يوم ما في الحمام وقد اعتزل في مكان يستعمل فيه الموسيقى فهجم عليه
فتى فقال ما تصنع فقال كنس لك الموضع للعود قال بعضهم وهذا مما يستبعد على
دين ابن مالك والعهد على ناقله قال الصفدي ولا يستبعد ذلك من لطف النحاة وطباع

أهل الاندلس وتوفي ابن مالك بدمشق سنة اثنتين وسبعين وسقاية وقال بعضهم
من أحسن شعربن مالك

اذا رمدت عيني تداويت منكم * ينظرة حسن أو يسمع كلام
فان لم أجدها تيمت باسمكم * وصليت فرضي والديار ما
وأخلصت تكبيرى عن الغير عرضا * وقابلت أعلام السوى بسلام
ولم أر الا نور ذاتك لأثما * فهل تدع الشمس امتداد ظلام
وقدم ربه الله تعالى القاهرة ثم رحل الى دمشق وبها مات كما علم * وقال الشرف
الحصفي يرثيه

ياشتات الاسماء والافعال * بعدموت ابن مالك المفضل
وانحراف الحروف من بعد ضبط * منه فى الانفصال والاتصال
مصدرا كان للعلوم باذن الله من غمير شبهة ومحال
عدم التحو والتعطف والتو * كيد مستبدلا من الابدال
ألم اعتراه أسكن منه * حركات كانت بغير اعتلال
يا لها سكتة لهمز قضاء * أورثت طول مدة الانفصال
رفعوه فى نعشه فاتصنا * نصب تميز كيف سيرا الجبال
ختموه عند الصلاة بدل * فأملت أسرار له للدلال
صرفوه يا عظمهم ما فعلوه * وهو عدل معترف بالجمال
أدغموه فى الترب من غير مثل * سالما من تغير الانتقال
وقفوا عند قبره ساعة الدفن وقفا ضرورة الامتثال
ومددنا الا كف نطلب قصرا * مسكلا للنزىل من ذى الجلال
آخر الآى من سبب الحظ منه * حظا به جاء أول الانفصال
بالبيان الاعراب يا جامع الاعراب يا مفهما لكل مقال
يا فريد الزمان فى التنظيم والتشريع وفى نقل مسندات العوالى
نكم علوم يثنها فى أناس * علما ما يثبت عند الزوال

اتتهت ملخصة قال الصفدى وما رأيت مرثية فى نحوى أحسن منها على طولها انتهى
ودفن ابن مالك بسفح فاسيون بترية القاضى عز الدين بن الصائغ وقال العجيسى بترية ابن
جعوان ورثاه الشيخ بهاء الدين بن النحاس بقوله

قل لابن مالك ان جرت بك أدمى * حرايما كىما النجىم القانى
فلقد جرح القلب حين نعت لي * وتدفت بدمايه أجفانى
لكن يهون ما أجتن من الاسى * على ينقلته الى رضوان
فسقى ضريحها ضمه صوب الحيا * يهيم به بالروح والريحان

وابن النحاس المذكور أحدث لامة ابن مالك وهو القائل بخاطب رضى الدين الشاطي
الاندلسى وقد كلفه أن يشتري له قطرا

ايها الواحد الرضى الذى طأ * ل علاء وطاب فى الناس تشرا
 أنت بحس لا غرو ان نحن وافيتنا راجين من نذاك القطرا
 وابن النحاس المذ كوله نظم كثير مشهور بين الناس وهو بها الدين أبو عبد الله محمد
 ابن ابراهيم بن محمد بن نصر الحايى الاصل المعروف بابن النحاس وهو شيخ أبى حيان ولم
 يأخذ أبو حيان عن ابن مالك وان عاصره بنحو ثلاثين سنة * وقال بعض من عرّف بابن مالك
 انه تصدّر بحلب مدة وأتم بالسلطانية ثم تحول الى دمشق وتكاثر عليه الطلبة وحاز قصب
 السبق وصار يضرب به المثل فى دقائق النحو وغوامض الصرف وغريب اللغات
 وأشعار العرب مع الحفظ والذكاء والورع والديانة وحسن السمى والصيانة والتحرى
 لما يتقوله والتحرير فيه وكان ذاعقل راجح حسن الاخلاق مهذباً ذا رزانة وحياء ووقار
 واتصاف للافادة وصبر على المطالعة الكثيرة تخرج به أئمة ذلك الزمان كابن المنجي وغيره
 وسارت بتصانيفه الركان وخضع لها العلماء الاعيان وكان حريصاً على العلم حتى انه حفظ
 يوم موته ثمانية شواهد * وقال بعض الحفاظ حين عرّف بابن مالك يقال ان عبد الله فى نسبه
 مذكور مرتين متواليين وبعض يقول مرة واحدة وهو الموجود بخطه أول شرحه
 لعمدته وهو الذى اعتمد الصقدي وابن خطيب داريا محمد بن أحمد بن سليمان الانصارى
 وعلى ككل حال فهو مشهور بجده فى المشرق والمغرب * وحكى بعضهم أن ولادته
 سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وعليه قول شيخ شيوخنا ابن غازى فى قوله
 قد خبىع ابن مالك فى خيما * وهو ابن عمه كذا روى من قد روى
 وقيل كما تقدم ان مولده سنة ستمائة أو بعد ها بحيان الحارير مدينة من مدن الاندلس
 جبر الله كسر ها وهى مفتوحة الجيم وياؤها مشددة تحتانية وتصدّر ابن مالك بحماسة ممدّة
 واتقد بعضهم على ابن خلكان اسقاطه من تاريخه مع كونه كان يعظمه الى الغاية وقدّم
 رحمه الله تعالى لصاحب دمشق قصة يقول فيها عن نفسه انه أعلم الناس بالعربية والحديث
 ويكفيه شرفاً أن من تلامذته الشيخ النووى والعلم الفارقى والشمس البعلّى والزين المزي
 وغيرهم من لا يحصى * وكان رحمه الله تعالى كثير المطالعة سريع المراجعة لا يكتب
 شيئاً من محفوظه حتى يراجعه فى محله وهذه حالة المشايخ الثقات والعلماء الاثبات
 ولا يرى الا وهو يصلى أو يتلو أو يصنف أو يقرى وكذا كان الشيخ أبو حيان ولكن كان
 جده فى التصنيف والاقراء * وحكى أنه توجه يوماً مع أصحابه للفرجة بدمشق فلما باغوا
 الموضوع الذى أرادوه غفلوا عنه سويعة فطلبوه فلم يجدوه ثم فحسوا عنه فوجدوه منكباً على
 أوراق وأغرب من هذا فى اعتنا به بالعلم ما مرّ أنه حفظ يوم موته عدة آيات حذوها بعضهم
 بثمانية وفى عبارة بعض أوتخوها لقنه ابنه اياها وهذا مما يصدق ما قيل بقدر ما تتعنى
 تنال ما تنقى فجزاه الله خيراً عن هذه الهمة العلية * وذكر أبو حيان فى الجواز من
 تذييله وتكميله أنه لم يعصب من له البراعة فى علم اللسان ولذا تضعف استباطاته وتعقباته
 على أهل هذا الشأن ويتقر من المنازعة والمباحثة والمراجعة قال وهذا شأن من يقرأ
 بنفسه ويأخذ العلم من الصحف بفهمه ولقد طال فحصى وتنقيرى عن قرأ عليه واستند

في العلم اليه فلم أجد من يذكرك شيئا من ذلك ولقد جرى يوما مع صاحبنا تلميذه علم الدين سليمان بن أبي حرب الفارقي الحنفي فقال ذكر لنا أنه قرأ على ثابت بن خيار من أهل بلده جيان وأنه جلس في حلقة الأستاذ أبي علي الشاويين نحو من ثلاثة عشر يوما وثابت بن خيار ليس من أهل الجلالة والشهرة في هذا الشأن وإنما جلالته وشهرته في إقراء القرآن هذا حاصل ما ذكره أبو حيان * قال بعض المحققين وهو العلامة يحيى العجيسي وليس ذلك منه بانصاف ولا يحمل على مثله الأهوى النفس وسرعة الانحراف فتفيه المستند عنه والمتبع شهادة نفي فلا تتفع ولا تسمع ويكفي ما سطر في حقه قوله في إنشاء نظم في هذا العلم كثيرا وترو جمع باعتكاف على الاشتغال به ومراجعة الكتب ومطالعة الدواوين العربية وطول السنين من هذا العلم غرائب وحوت مصنفاته منها نوادر ووجائب وأن منها كثيرا استخرجه من أشعار العرب وكتب اللغة أذهى مرتبة الأكرام النقاد وأرباب النظر والاجتهاد وقوله في موضع آخر من تذييله لا يكون تحت السماء أنفى من عرف ما في تسهيله وقرنه في بحره بصنف سيئويه فإينبغي له أن يغمسه ولا أن يحيط عليه ولا أن يقع فيما وقع فيه فإنه مما يجزى على أمثاله الغبي والنيبه والحليم والسفيه وما هذا جزاء السلف من الخلف والدرر من الصدف والجيد من الخشف أو ما يتظر إلى شيخه أبي عبد الله ابن النحاس فإنه لا يذكره إلا بأحسن ذكر كما هو دأب خيار الناس ومن كلامه في نقله عنه وهو الثقة فيما ينقل والفاضل حين يقول وإلى تلميذه أبي البقاء الحافظ المصري حيث يقول فيه أعنى في أبي حيان

هو الواحد الفرد الذي تم علمه * وسار مسير الشمس في الشرق والغرب

ومن غاية الاحسان مبدأ فضله * فلا غرو أن يسمو على العجم والعرب

ومن غاية الاحسان في هذا الشأن التصانيف التي سارت بها الركبان في جميع الاوطان واعترف بحسنها الحاضر والبادي والداني والقاصي والصديق والعدو فتلقاها بالقبول والاذعان فسامح الله تعالى يا حيان فان كلامه يحقق قول القائل كما تدبر تدان ورحم الله تعالى ابن مالك فلقد أحيا من العلم رسوما دارسة وبين معالم طامسة وجمع من ذلك ما تشرق وحقق ما لم يكن منه تين ولا تحقق ورحم شيخه ثابت بن الخيار وهو أبو المظفر ثابت بن محمد بن يوسف بن الخيار الكلاعي بضم الكاف على ما كان يضبط يده فيما حكاه ابن الخطيب في الاطاعة وأصله من لبله ويعتد في أهل جيان وتوفي بغرناطة سنة ٦٢٨ وكان أبو حيان يغض من هذا الكتاب ويقول ما فيه من الضوابط والقواعد حائد عن تبع الصواب والسداد وكثيرا ما يشير إلى ذلك في شرحه المسمى بنهج السالك ومن غرضه منه بالنظم في ملامن الناس من جعلتهم شيخه بهاء الدين بن النحاس والاقصرياني يجاريه مقتضيا له ومتأسيا في نسويد القرطاس

الفية ابن مالك * مطموسة المسالك

وكم بها مشغل * أوقع في المهالك

ولا تغتر أنت بهذا الغرر فإنه ما كل سحاب أبرق مطر ولا كل عود أورد ورق مثر

وقيل معارضة للقوم وتنبها لهم بحمافيه من النوم

ألفية ابن مالك * مشرقة المسالك

وكم بها مشغل * علا على الارائك

وما أحسن قول ابن الوردي في هذا المعنى

يا عاتبا ألفية ابن مالك * وغائب عن حفظها وفهمها

أما تراها قد حوت قضا ئلا * كثيرة فلا تجبر في ظلمها

وازجر لمن جادل من يحفظها * برابع وخامس من اسمها

يعنى منه فانه عند الاستقلال بمعنى اسكت انتهى ملخصا وقال أيضا عند كرم مصنفات

ابن مالك وهي كما قيل غزيرة المسائل ولكنها على الناحية بعيدة الوسائل وهي مع ذلك

كثيرة الافادة موسومة بالاجادة وليست هي لمن هو في هذا الفن في درجة ابتدائه

بل للمتوسط يترقى بها درجة انتهائه انتهى * واعلم ان اللفية مختصرة الكافية كما تقدم

وكثير من أيتها فيها بلفظها ومتبوعه فيها ابن معطى ونظمه أجمع وأوعب وتنظم ابن

معطى أسلس وأعذب وذكر الصفي عن الذهبي أن ابن مالك صنف اللفية لولده تقي

الدين محمد المدعو بالاسد واعترضه العلامة الجبسي بأن الذي صنفه له عن تحقيق المقدمة

الاسدية قال وأما هذه يعنى اللفية فذكر لي من أثق بقوله أنه صنفها برسم القاضي

شرف الدين هبة الله بن نجم الدين عبد الرحيم بن شمس الدين بن ابراهيم بن عفيف الدين

هبة الله بن مسلم بن هبة الله بن حسان الجهنى الجوى الشافعى الشهير بابن البارزى ويقال

ان هذه النسبة الى باب أبرز أحد أبواب بغداد ولكن خفف لكثرة دوره على الالفنة

انتهى مختصرا وقال بعض من عرّف بابن مالك هو مقيم أود وقاطع لدد ومن ين سماء

مؤقت الاصائل ديباجتها وشعشت البكر زجاجتها وجاءت أيامه صافية من

الكدر وإياليه وما بها شاتبة من الكبر قد خلقها العشى بردعه وخلفها الصباح بربعه

فكان كل متعين حول مسجده وكل عين فائرة بعسجده هذا وزمر الطلاب وطلبة

الاجلاب لا تزال تزجى اليه القلاص ومكثر من سريره الاقناص كان أوحد وقته

في علم النحو واللغة مع كثرة الديانة والصلاح انتهى وقال بعض المغاربة

لقد مزقت قلبى سهام جفونها * كما مزق النخى مذهب مالك

وصال على الاوصال بالثقة قدما * فأضحت كايات بتقطيع مالك

وقلدت اذ ذاك الهوى لم رادها * كتقليد أعلام النخاة ابن مالك

وملكها رقى لركة لفظها * وان كنت لا ارضاه ملكا لاله

وناديتها يا منيتى بذل مهجتي * ومالى قليل فى بديع جمالك

ويعنى بقوله بتقطيع مالك مالك بن المرحل السبتي رحمه الله تعالى ولما سئل ابن مالك عن

قول النبي صلى الله عليه وسلم الحور بعد الكور هل هو بالراء أو بالنون أنكر النون فقيل له

ان فى الغريبين للهروى رواية بالنون فرجع عن قوله الاول وقال انما هو بالنون انتهى

وقد ذكر فى المشارق الثون والراء فقال الحور بعد الكور بالراء رواه العبدى وابن الخلاء

وللباقين بالنون معناه النقصان بعد الزيادة وقيل من الشذوذ بعد الجماعة وقيل من الفساد بعد الصلاح وقيل من القلة بعد الكثرة كإرغامته إذا ألغها على رأسه واجتمعت وحارها إذا تفرقت وافتقرت ويقال حار إذا رجع عن أمر كان عليه ووهم بعضهم رواية النون وقيل معناها رجع إلى الفساد بعد النقص أي بعد أن كان على خير مما رجع إليه وقال عياض في موضع آخر بعد الكور كذا اللعذري والكون للفارسي والسجزي وابن ما هان وقول عاصم في تفسيره حار بعد ما كارهوه روايته ويقال إن عاصما وهم فيه انتهى والسائل لابن مالك عن اللفظة هو ابن خلكان لأن ابن الأثير سأل ابن خلكان عنها فسأل هو ابن مالك رحم الله تعالى الجميع وقد عرّف الحافظ الذهبي بابن مالك في تاريخ الإسلام وذكر فيه ترجمة لولده بدر الدين محمد وأنه كان حاذقاً بالذهن ذكياً ما ما في النحو وعلم المعاني والمنطق جيد المشاركة في الفقه والتدريس وأنه تصدّر بعد والده للتدريس ومات شاباً قبل الكهولة سنة ٦٨٦ ومن أجل تصانيفه شرحه على ألفية والده وهو كتاب في غاية الإغلاق ويقال إنه نظير الرضي في شرح الكافية وللتامس عليه حواش كثيرة رحمهم الله تعالى أبيه • (ومنه أبو عبد الله محمد بن طاهر القيسي التدمري ويعرف بالشهيد كان عظيم القدر جتاً بالاندلس بعيد الأثر في الخير والصلاح والعلم والنسك والانقطاع إلى الله تعالى وكان من وجوه أهل كورة تدمر ذوى البيوت الرفيعة وبرع بخصاله المحودة فكان في نفسه فقيهاً عالماً زاهداً خيراً تاماً كامتثالاً نشأ على الاستقامة والصلاح والاهتداء والدعة وطلب العلم في حدثان سنة ورحل إلى قرطبة فروى الحديث وتفقه وناظر وأخذ يحفظ وأفر من علم المسئلة والجواب وكان أكثر علمه وعمله الورع والتشدّد فيه والتحفظ بدينه ومكسبه ورسخ في علم السنة ثم ارتحل إلى المشرق فترجم بصرى جافاً أقام بالحرمين ثمانيّة أعوام يعيش فيها من عمل يده بالنسخ ثم سار إلى العراق فلقى أبا بكر الأبهري وأخذ عنه وأكثر من إلقاء الصالحين وأتمم العلم ولبس الصوف وقنع وتورّع جتاً وأعرض عن الشهوات وكان إذا سمع من النسخ الذي جعل قوته منه آبر نفسه في الخدمة رياضة لها فأصبح عابداً متقشفاً منيباً محبباً عالماً عاملاً منقطع القرين قد جرت منه دعوات مجابة وحفظت له كرامات ظاهرة ثم عاد إلى بلده تدمر سنة ست أو سبع وسبعين وثلاثمائة وبها أبوه أبو الحسام طاهر حياً فترجل خارج مدينة حمصية تورّعاً عن سكناها وعن الصلاة في جامعها فاتخذ له بيتاً سقفه من حطب السدر يأوى إليه واعتزّ جنيته بيده يقات منها وصار يغزو مع المنصور محمد بن أبي عامر ثم تحول من قرينته بعد عامين إلى الثغور واصل الرباط ونزل مدينة طليبة وكان يدخل منها في السرايا إلى بلد العدو فيغزو ويتقوت من سهمانه ويقول على فرس له ارتبطه لذلك وكان له بأس وشدة وشجاعة وثقافة يحدث عنه فيها بحكايات عجيبه إلى أن استشهد مقبلاً غير مدبر سنة ٣٧٩ أوفى التي قبلها عن اثنين وأربعين سنة وأبوه حي رحم الله تعالى الجميع • (ومنه أبو عبد الله القباطي محمد بن عبد الجليل بن عبد الله بن جهور مولده سنة ٥٩٠ بقيباًطة وكتب عنه الحافظ المنذري ومن شعره قوله

إذا كنت تهوى من نأت عنك داره • فحسبك ما تلقى من الشوق والبعده

فيا ورح صلب قد تضرمت ناره * وواحر قلب ذاب من شدة الوجد
 * (ومنهم أبو عبد الله ويقال أبو حامد محمد بن عبد الرحيم المازني القيسي - القرطبي - ولد
 سنة ٤٧٣ ودخل الاسكندرية سنة ٥٠٨ وسمع به من أبي عبد الله الرازي
 وبمصر من أبي صادق مرشد بن يحيى المديني وأبي الحسن الفراء الموصلي وأبي عبد الله
 محمد بن بركات بن هلال النحوي وغيرهم وحدث بدمشق وسمع أيضا بها ويغداد وقدمها
 سنة ٥٥٦ ودخل خراسان وأقام بها مدة ثم رجع الى الشام وأقام بحلب سنين
 وسكن دمشق وكان يذكركرأته رأى عجائب في بلاد شتى ونسبه بعض الناس بسبب ذلك
 الى ما لا يليق وصنف في ذلك كتابا سماه تحفة الالباب وكان حافظا عالما أديبا وتكلم فيه
 الحافظ ابن عساكر وزنه بالكذب وقال ابن النجار ما علمته الا أمينا ومن شعره قوله

تكتب العلم وتلقى في سقط * ثم لا تحفظ لا تنقل قط

انما يقلح من يحفظه * بعد فهم وتوق من غلط

وقوله العلم في القلب ليس العلم في الكتب * فلا تكن مغرما بالله ووالله
 فاحفظه وافهمه واعمل كي تفوز به * فالعلم لا يجتنى الا مع التعب

توفي بدمشق في صفر سنة ٥٦٥ * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد السلام القرطبي من
 ذرية أبي ثعلبة الخشني صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم رحل قبل الاربعين وماتين
 فحج وسمع بالبصرة من محمد بن بشار وأبي موسى الزمن ونصير بن علي الجهمي ولقي أبا حاتم
 السجستاني والعباس بن أبي الفرج الرياشي وسمع بيغداد من أبي عبيد القاسم بن سلام
 وبمكة من محمد بن يحيى العديني وبمصر من سلمة بن شبيب صاحب عبد الرزاق والبرقي
 وغيرهما وأدخل الاندلس علما كثيرا من الحديث واللغة والشعر وكان فصيحاً جزل المنطق
 صار ما أنفق من قبضات السلطان أراد على القضاء فإبى وقال إياي شفاق لا إياي عصيان
 فأعفاه وكان ثقة مأمونا توفي في رمضان سنة ٢٨٦ عن ثمان وستين سنة رحمه الله تعالى
 * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن أيمن بن فرج القرطبي سمع من محمد بن وضاح
 وأكثر عنه وأخذ عن محمد الخشني وقاسم بن أصبغ وإبراهيم بن قاسم بن هلال ورحل
 سنة ٢٧٤ فسمع بمصر المطالب بن شبيب والمقدم بن داود الرعيني وأدرلك بالعراق اسمعيل
 القاضي وعبد الله بن أحمد بن حنبل قال الجيدي حدث بالمغرب وبالمشرق وصنف السنن
 ومن روى عنه خالد بن سعد وقال لنا أبو محمد بن حزم مصنف ابن أيمن مصنف رفيع
 احتوى من صحيح الحديث وغيره على ما ليس في كثير من المصنفات وتوفي في ذي القعدة
 سنة ٣٣٠ بقرطبة رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن ضيفون
 النخعي الرصافي القرطبي الحدادي سمع بقرطبة من عبد الله بن يونس وقاسم بن أصبغ
 ورجع سنة ٣٢٩ سنة ردا القرامطة الحجر الاسود الى مكانه وسمع بمكة من ابن الاعرابي وبمصر من
 ابن الوردي وأبي علي بن السكن وعبد الكريم التتاي وغيرهم وسمع بطرابلس والقيروان
 من جماعة وكان رجلا صالحا عاذا لا حدث وكتب عنه الناس وعلت سنة وتوفي بشوال
 سنة ٣٩٤ وولد فيما أظن سنة ٣٠٢ وكانت وفاته بقرطبة وقد اضطرب في أشياء

قرئت عليه ومن أخذ عنه الحافظ أبو عمر بن عبد البر رحمه الله تعالى الجميع * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الخزرجي السعدي القرطبي - روى عن أبي الحسن علي بن هشام وروى عنه أبو القاسم بن بشير والقدم مصر وحدث بها ومن سمع منه بها ابن وردان وأبو الرضى القيسراني في آخرين واستوطن مصر وتوفي سنة ٥٨٨ * (ومنهم أبو بكر بن السراج النحوي - بتشديد الراء وهو محمد بن سعيد الملك بن محمد بن السراج الشنقري - أحد أئمة العربية المبرزين فيها ويكفيه نقرأ أنه استأذني محمد بن عبد الله بن برقي المصري اللغوي النحوي وحدث عن أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد النقطي وقرأ العربية بالاندلس على ابن أبي العافية وابن الأختصر وقدم مصر سنة ٥١٥ وأقام بها وأقرأ الناس العربية ثم انتقل إلى اليمن وروى عنه أبو حفص عمر بن اسمعيل وأبو الحسن علي - والد الرشيد العطار وله تواليف منها كتاب تنبيه الألباب في فضل الأعراب وكتاب في العروض وكتاب مختصر العمدة لابن رشيق وتنبيه الغلاة قال السلفي - كان من أهل الفضل الوافر والصلاح الظاهر وكانت له حلقة في جامع مصر لأقراء النحو وكثيرا ما كان يحضر عنده رحمه الله تعالى مدة مقامي بالقسطاط توفي بمصر سنة ٥٤٩ وقيل سنة خمس وأربعين وقيل لخمس وخمسة برمضان والاول أنبت * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد بن علي بن سعيد العنسي - ويكنى أيضا أبا القاسم الغرناطي - سمع من الجلاء بمصر والاسكندرية ودمشق وبغداد منهم الحتراني أبو عبد الله وأبو محمد عبد الصمد بن داود دمشق وكتب الحديث وعنى بالرواية أتم عناية وفقد ياصهبان حين استولى عليها التتار قبل الثلاثين وسنة * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الدقاع بالذال وقيل بالراء قرطبي - سمع عبد الملك بن حبيب ودخل فسمع بمصر من الحرث بن مسكين وغيره وكان زاهدا فاضلا وتوفي سنة ٤٨١ رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد ابن عابد المعافري القرطبي ولد بقرطبة سنة ٣٥٨ ودخل مصر فسمع من أبي بكر بن المهندس وأبي بكر البصري وروى عن أبي عبد الله بن مفرج وأبي محمد الأصبلي وجماعة واتي الشيخ أبو محمد بن أبي زيد في رحلته سنة ٣٨٤ فسمع منه رسالته في الفقه وغيرها ورجع من عامه ثم عاد من مصر إلى المغرب سنة ٣٨٢ وكان معتنيا بالاشعار والآثار ثقة فيما رواه وعنى به خيرا فاضلا دينيا متواضعا متزامنا مقبلا على ما يعنيه صاحب خط من الفقه وبصيرا بالمسائل ودعى إلى الشورى بقرطبة فأبى ومات سنة ٤٣٩ وعابد جده بالباء الموحدة رحمه الله تعالى الجميع * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سليمان ابن عثمان بن هاجر الانصاري البلسي - أخذ القراءات عن جماعة من أهل بلده وخرج حاجا سنة ٥٥٦ فجاور بمكة وسمع بها وبالاسكندرية من السلفي وعاد إلى بلده سنة ٥٧١ وحدث وكان من أهل الصلاح والفضل والورع كثير البر ومفاداة الاسرى ويحترف بالتجارة ومولده بعد سنة ٥٣٠ ومات سنة ٥٩٨ بحرسية رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو الوليد محمد بن عبد الله بن محمد بن خيرة القرطبي المالكي - الحافظ ولد سنة ٤٧٩ وأخذ الفقه عن القاضي أبي الوليد بن رشد والحديث عن ابن عتاب وروى

الموطأ عن أبي جحر سفيان بن العاص بن سفيان وأخذ الادب عن أبي الحسين سراج بن عبد الملك بن سراج الاموي وعن مالك بن عبد الله العتيبي وخرج من قرطبة في القسنة بعد ما درس بها وانتفع الناس به في فروع الفقه وأصوله وأقام بالاسكندرية خوفاً من بني عبد المؤمن بن علي ثم قال **كان** أنى والله جراً بهم قد وصلت الى الاسكندرية ثم سافر الى مصر بعد ما روى عنه السلي وأقام بها مدة ثم قال والله ما مصر والاسكندرية بميتباعدين ثم سافر الى الصعيد وحدث في قوص بالموطأ ثم قال والله ما يصلون الى مصر ويتأخرون عن هذه البلاد فغضى الى مكة وأقام بها ثم قال وتصل الى هذه البلاد ولا تهج ما أنا الا هربت منه اليه ثم دخل اليمن فلما أراد أن قال هذه أرض لا يتركها بنو عبد المؤمن فتوجه الى الهند فأدركته وفاته بها سنة ٥٥١ وقيل بل مات بزيد من مدن اليمن وكان من جلة العلماء الحفاظ متفتمناً في المعارف كلها جامعاً لها كثيراً الرواية واسع المعرفة حافل الادب من كبار فقهاء المالكية يتصرف في علوم شتى حافظاً لآداب عارفاً بعراة الاندلس وكان علمه أوفر من منطقه ولم يرزق فصاحة ولا حسن ايراد قال ابن نقطة خيرة بكسر الخاء المعجمة وفتح الياء المنقوطة من تحتها باثنتين * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل السلي المرسى قال ابن التجار ولد بمرسية سنة ٥٧٠ وقال غيره في التي قبلها وخرج من بلاد المغرب سنة ٦٠٧ ودخل مصر وسار الى الحجاز ودخل مع قافلة الحجاج الى بغداد وأقام بها يسمع ويقرأ الفقه والخلاف والاصليين بالنظامية ثم سافر الى خراسان ومع بني سابور وهرات ومرو وعاد الى بلاد بغداد وحدث بكتاب السنن الكبرى للبيهقي عن منصور بن عبد المنعم الفراءى وبكتاب غريب الحديث للخطابي وقدم الى مصر فحدث بالكثير عن جماعة منهم أم المؤيد زينب وأبو الحسن المؤيد الطوسي وخرج من مصر يريد الشام فمات بين الرعقة والعريش من منازل الرمل في ربيع الاول سنة ٦٥٥ ودفن ببل الرعقة وكان من الائمة الفضلاء في جميع فنون العلم من علوم القراءات والحديث والفقه والخلاف والاصليين والنحو واللغة وله فهم ناقب وتدقيق في المعاني مع النظم والنثر المليح وكان زاهدا متورعاً حسن الطريقة متديناً كثير العبادة فقيهاً مجتهداً متعقلاً نزه النفس قليل المخالطة لا وفاته طبيب الاخلاق متوذكراً كريم النفس قال ابن التجار ما رأيت في فنه مثله وكان شافعي المذهب وله كتاب تفسير القرآن سماه رى الظمان كبير جداً وكتاب الضوابط الكلية في النحو وتعليق على الموطأ وكان مكتراً شيوخاً وسماعاً وحدث بالكثير بمصر والشام والعراق والحجاز وكانت له كتب في البلاد التي ينتقل اليها بحيث لا يستصحب كتباً في سفره اكتفاء بما له من الكتب في البلد الذي يسافر اليه وكان كريماً قال أبو حيان أخبرني الشريف الجزائري يتونس انه كان على رحلة وكان ضعيفاً فقال له خذ ما تحت هذه السجادة أو البساط فرفعت ذلك فوجدت تحته أكثر من أربعين ديناراً ذهباً فأخذها قال الجبال اليعمرى أنشدني لنفسه بالقاهرة

قالوا فلان قد أزال بهاءه * ذاك العذار وكان بدر غمام
فأجبتهم بل زاد نور بهائه * ولذا تضاعف فيه فرط غرامى

استقصرت الحماظة فتكاثرت * فأتى العذارى بمدها بسهام

ومن شعره قوله

من كان يرغب في النجاة فماله * غسيرا اتباع المصطفى فيما أتى
ذاك السبيل المستقيم وغيره * سبيل الغواية والضلالة والردى
فاتبع كتاب الله والسنة التي * صحت فذلك إذا اتبعت هو الهدى
ودع السؤال بكم وكيف فاته * باب يجرد ذوى البصيرة للعمى
الدين ما قال النبي وصحبه * والتابعون ومن مناهجهم قفا

*(ومنهم أبو بكر محمد بن عبد الله البني الاندلسي الانصاري قدم مصر وأقام بالقرافة مدة وكان شيخا صالحا زاهدا فاضلا وتوجه الى الشام فهلك قال الرشيد العطار كان من فضلاء الاندلسيين ونبهاتهم ساح في الارض ودخل بلاد العجم وغيرها من البلاد البعيدة وكان يتكلم بالسنة شتى ومن شعره قوله

إذا قل منك السعي فالعزم ناشد * وكل مكان في مرانك واحد
توجه بصدق واتق الميز واقصد * تجتث رهينات التجاح المقاصد

والبني بضم الباء وسكون النون نسبة الى بنت حصن بالاندلس ويقال بونت بزيادة واو *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخولاني الباجي ثم الاشيلي المعروف بابن القوق سمع بقرطبة من جماعة ورحل الى المشرق سنة ٢٦٦ فسمع بكه من علي بن عبد العزيز وغيره وبصر من محمد بن عبد الله * ومن أخيه سعد وكان فقيها في الرأي حافظا له عاقدا للشروط قال ابن الفرضي كان رجلا صالحا ورعا ثقة وكان خالد بن سعيد قد رحل اليه وسمع منه وكان يقول اذا حدث عنه كان من معادن الصدق توفي سنة ٣٠٨ *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الاوشي الطبيب اشتغل بالطب وبرع فيه وأقام بمصر مدة وبها مات في عشر السنين وستائة *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبدون العذري القرطبي رحل سنة ٣٣٧ فدخل مصر والبصرة وعنى بعلم الطب ودبر ما رستان مصر ثم رجع الى الاندلس سنة ٣٦٠ واتصل بالحكم المستنصر وابنه المؤيد وله في التفسير كتاب حسن قال صاعده في الطب ونيل فيه وأحكم كثيرا من أصوله وعانى صنعة المنطق معاناة صحيحة وكان شيخه فيه أبو سليمان محمد بن محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني البغدادي وكان قبل أن يتطبب مؤدبا للحساب والهندسة وأخبرني أبو عثمان سعيد الطليطلي أنه لم يلق في قرطبة من يلحق محمد بن عبدون في صناعة الطب ولا يجاريه في ضبطها وحسن درسته فيها واحكامه لغوا عنها رحمه الله تعالى *(ومن الراحلين الى المشرق من أهل الاندلس) * أبو مروان عبد الملك بن أبي بكر محمد بن مروان بن زهر الايادي الاندلسي صاحب البيت الشهير بالاندلس رحل المذكور الى المشرق وتطبب به زمانا وتولى رئاسة الطب ببغداد ثم بمصر ثم القيروان ثم استوطن مدينة دانية وطارذ كره فيها الى أقطار الاندلس والمغرب واشتهر بالتقدم في علم الطب حتى فاق أهل زمانه ومات في مدينة دانية رحمه الله تعالى ووالده محمد بن مروان كان عالما بالرأي حافظا للادب فقيها حاذقا بالقوى متقدما فيها متقنا

قوله ٢٦٦ وقوله بهمد ٣٠٨

في نسخة ٢٦٦ و٣٠٨ و٥١

للعالم فاضلا جامع الادراية والرواية وتوفي بطليبة سنة ٤٢٢ وهو ابن ست وثمانين سنة حدث عنه جماعة من علماء الاندلس ووصفوه بالدين والفضل والجود والبذل وجه الله تعالى وأما أبو العلاء زهير بن عبد الملك المذكور فقال ابن دحية فيه انه كان وزير ذلك الدهر وعظيمه وفيلسوف ذلك العصر وحكيمه وتوفي بمحضر من تغلة بين كتفيه سنة ٥٢٥ بمدينة قرطبة انتهى وكانت بينه وبين الفتح صاحب القلائد عدة اوة ولذلك كتب في شأنه الى أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين ماصورته أطال الله تعالى بقاء الأمير الاجل سامعا للنداء دافعا للتطاول والاعتداء لم ينظم الله تعالى بليتك الملك عقدا وجعل لك حلالا لأمور وعقدا وأوطأ لك عقبا وأصار من الناس لعونك منتظرا ومرتبعا الا أن تكون للبرية حائطا والعدل فيهم باسطا حتى لا يكون فيهم من يضام ولا ينال أحدهم امتضام ولتقصر يد كل معتد في الظلام وهذا ابن زهر الذي أجزرته رسنا وأوضحت له الى الاستطالة سننا لم يتعد من الاضرار الا حيث اتهمته ولا تهادى على غيبه الا حين لم تنهه أو نهته ولما علم أنك لا تنكر عليه نكرا ولا تغير له متى ما مكر في عباد الله مكرًا جرى في ميدان الازية ملء عنانه وسرى الى ماشاء بعدوانه ولم يراقب الذي خلقه وأمد في الخطوة عندك طلقه وأنت بذلك مرتين عند الله تعالى لانه ممكنك لئلا يتمكن الجور واتسكن بك الغلالة والغور فكيف أرسلت زمامه حتى جرى من الباطل في كل طريق وأخفق به كل فريق وقد علمت أن خالقك الباطش الغيور يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وما تخفي عليه نجواك ولا يستتر عنه تقلبك ومثوانك وستقف بين يدي عدل حاكم يأخذ بيد كل مظلوم من ظالم قد علم كل قضية قضائها ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فيم تحجج معي لديه اذا وقفت أنا وأنت بين يديه أترى ابن زهر ينحيك في ذلك المقام أو يحميك من الانتقام وقد أوضحت لك الحججة لتقوم عليك الحججة والله سبحانه النصير وهو بكل خلق بصير لأرب غيبه والسلام انتهى * وقد تذكرت هنا بذكر الفتح ما كتبه وقدمات بعض اخوانه غريبا

أتاني ورحلي بالعراق عشية * ورحل المطايا قد قطعن بينا نجدا
نعي أطار القلب عن مستقره * وكنت على قصد فأغلطني القصد

نعوا والله بأسق الاخلاق لا يخلف ورموا قلبي بسهم أصاب صميمه فأن خلف لقد سام الردي منه حسنا وجالا ووسامة وطوى بطيه نجده وتهامة فغطل منه الندى والندى وأثكل فيه الهدى والهدى كم قل السيوف طول قراعه ودل عليه الضيوف موقد ناره يبقاعه وكم تشوف اليه السرير والمنبر وتصرف فيه الثناء والخبر وكم راع البدر ليلة ابداره وروع العدو في قعر داره وأي فتى غدا له البحر ضريحا وأعدي عليه الحين ماء وريحا فبدل من طلل علي ومفاخر بقعر بحر طامح اللجج زانر وبدل من صهوات التحيل بلهوات اللجج واللبل غريق حكي مقاتي في دمعها وأساء نفسي في سمعها وبى حزن لا أستسقى له الغمام فإله قبر تجوده ولا ترى تروى به تهامة ونجوده وقد آليت أن لا أودع الريح تحية ولا يورثني هبوبها أريحية فهي التي أنارت من الموج حنقا ومشت عليه

خبياء وعنقا حتى أعادته كالمكتبان وأودعته قضيب بان فيا أسفا زلال غاض في أجاج
ولسلسال فاض عليه بصر عجاج وما كان الأجود راد أب الى عنصره وصدا بان عن عين
مبصره اقد آن للعسام أن يغمد فلا يشام وللحمام أن تبكيه بكل اراكة وبشام وللعداري
أن لا يحجبهن الخفر والاحتشام ينحن فتى ماذرت الشمس الاضرا وتقع ويكبن من لم يدع
فقدته في العيش من منتقع فكم نعمنا بدتوه ونسمنانسيم الانس في رواح وغدوة وأثنا
بروضة موشية ووقفنا بالمسرات عشية وأدرناها ذهابا سائلة وتطرطها وهي شائلة
لم نرم السهر ولم تشم برقا الا الكاس والزهر ولو غير الحمام زحف اليه جيشه أو غير البحر
رجف به ارتجابه وطيشه لفداه من أسرته كل أروع ان عاجله المكروه تثبطه أوجاء
الشر تأبطه ولكنها المنايا لا تردّها الصوارم والاسل ولا تفوتها ذئاب الفضاء العسل
قد فرقت بين مالك وعقيل وأشرقت بعدهما جذية بالحسام الصقيل انتهى وقد عرفنا
بالفتح في غير هذا الموضع فليراجع * (رجع الى بيت بنى زهر ردهم الله تعالى وأما أبو بكر
محمد بن أبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر المذكور فهو عين ذلك البيت وان كانوا كلهم
أعيانا علماء رؤساء ككفاء وزراء وقد نالوا المراتب العلية وتقدموا عند الملوك ونفذت
أوامرهم قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية في المطرب من أشعار أهل المغرب كان شيخنا
الوزير أبو بكر بن زهر يكان من اللغة مكين وموردمن الطب عذب معين وكان يحفظ
شعر ذي الرمة وهو ثلث لغة العرب مع الاشراف على جميع أقوال أهل الطب والمنزلة
العليا عند أصحاب المغرب مع سمو النسب وكثرة الاموال والتشب بحبته زمانا
طويلا واستفدت منه أدبا جليلا وأنشد من شعره المشهور قوله

وموسدين على الأكف خدودهم * قد غالهم نوم الصباح وغالى
مازلت أسقيهم وأشرب فضلهم * حتى سكرت ونالهم ما نالني
والخمر تعلم كيف تأخذ ثارها * اني أملت اناءها فلأمانني

ثم قال ابن دحية وسألته عن مولده فقال ولدت سنة سبع وخمسمائة قال وبلغتني وفاته
آخر سنة ٥٩٥ رحمه الله تعالى انتهى وزعم ابن خلدكان ان ابن زهر الم في الايات
المذكورة بقول الرئيس أبي غالب عبيد الله بن هبة الله

عاقرتهم — مشمولة لوسالمات * شرابها ما سميت به — قار
ذكرت حقائدها القديعة اذ غدت * صرعى تداس بأرجل العصار
لانت لهم حتى اتشوا وتمكت * منهم وصاحبت فيهم بالشار

ومن المنسوب الى أبي بكر بن زهر قوله في كتاب جالينوس المسمى بحيلة البرء وهو من
أجل كتبه وأكبرها

حيلة البرء صنعة لعليل * يترجى الحياة أولعيل
قاذا جاءت المنية قالت * حيلة البرء ليس في البرء حيلة

ومن شعره رحمه الله تعالى يتشوق ولداله صغيرا باشيلية وهو بمرا كس
ولي واحد مثل فرخ القطاة * صغير تخلفت قلبي لديه

وأفردت عنه فيا وحشتا * لذاك الشخيص وذالك الوجيه
تشوقني وتشوقه * فيبكي على وأبكي عليه
وقد تعب الشوق ما بيننا * فنه الى ومنى اليه

وأخبرني الطبيب الماهر الثقة الصالح العلامة سيدي أبو القاسم بن محمد الوزير القسافي
الاندلسي الأصل القاسي المولد والنشأة حكيم حضرة السلطان المنصور بالله الحسيني
صاحب المغرب رضى الله تعالى عنه ان ابن زهر لما قال هذه الايات وسمعتها أمير المؤمنين
يعقوب المنصور سلطان المغرب والاندلس أواخر المائة السادسة أرسل المهندسين الى
اشبيلية وأمرهم أن يختاطوا علماء بيت ابن زهر وحارته ثم ينوأمثلها بحضرة مراكش
ففعلا ما أمرهم في أقرب مدة وفرشها بمنزل فرشه وجعل فيها مثل آلاته ثم أمر بنقل عيال
ابن زهر وأولاده وحشمه وأسبابه الى تلك الدار ثم احتال عليه حتى جاء الى ذلك الموضع
فراة أشبه شئ بيته وحارته فاختار لذلك وطن أنه نام وأن ذلك أحلام فقبل له ادخل البيت
الذي يشبه بيتك فدخله فاذا أولاده الذي تشوق اليه يلعب في البيت فحصل له من السرور
ما لا مزيد عليه ولا يعبر عنه هكذا هكذا والافلا ومن نظم ابن زهر المذكيور حيث
شاح وعاب عليه الشيب

اني نظرت الى المرات قد جللت * فأنكرت مقتلأي كل مارأنا
رأيت فيها شويخا لست أعرفه * وكنت أعهد من قبل ذالفتى
فتلت أين الذي بالامس كن هنا * متى ترحل عن هذا المكان متى
فاستضحكت ثم قالت وهي معجبة * ان الذي أنكرته مقتلأي
كانت سليمي تنادي يا أنى وقد * صارت سليمي تنادي اليوم يا أبنا

والبيت الاخير ينظر الى قول الاخطل

واذا دعونك عهن فانه * نسب يزيدك عندهن خبالا
واذا دعونك يا أنى فانه * أدنى وأقرب خله ووصالا

وقال ابن دحية في حقه أيضا والذي انفرد به شيخنا وانقاد لطباعه وصارت التبهات فيه من
خوله وأتباعه الموشحات وهي زبدة الشعرونسبته وخلصة جواهره وصفونه وهي من
الفنون التي أغرب بها أهل المغرب على أهل المشرق وظهر وافيا كالشمس الطالعة والضياء
المشرق انتهى ومن مشهور موشحات ابن زهر قوله ماله موله من سكره لا يضيئ وهذا مطلع
موشح يستعمله أهل المغرب الى الآن ويرون أنه من أحسن الموشحات ومن موشحاته قوله

سلم الامر للقضا * فهو للنفس أنفع

واغتتم حين أقبلا * وجهه بدرته لا * لاتقل بالهموم لا

كل ما فات وانقضى * ليس بالحسن يرجع

واصطحب باينة الكروم * من يدي شادن رخيم * حين يفتر عن تطيم

فيه برق قد أومضا * ورحيق مشمع

أنا أفديه من رشا * أهيف القذ والحشا * سقى الحسن فانتشى

مذتولى وأعرضا * ففؤادى يقطع
 من لصب غدامشوق * ظل في دمعته غريق * حين أموجى العقيق
 واستقلوا بذى الفضا * أسنى يوم ودعوا
 ماترى حين أظعننا * وسرى الركب موهنا * واكتسى الليل بالسنا
 نورهم ذالذى أضا * أم مع الركب يوشع
 ورأيت مع هذا موشحا آخر لا أدرى هل هو لابن زهراء أم لا وهو
 فتق المسك بكافور الصباح * ووشى بالروض أعراف الرياح
 فاسقنيها قبل نور الفلق * وغناء الورق بين الورق * كاجرار الشمس عند الشفق
 نسج المنج عليها حين لاح * فلك الله وشمس الاصطباح
 وغزال سامى بالسلق * وبراجسى وأذكى حرقى * أهيف مذسل سيف الحدق
 قصرت عنه أنا يب الرماح * وثنى الذعر مشاهير الصفاح
 صار بالذل فؤادى كلفا * وجفون ساحرات وطفا * كلما قلت جوى الحب انطفا
 أمراض القلب بأجفان صحاح * وسبى العقل بجيدة ومزاح
 يوسنى الحسن عذب المبتسم * قرى الوجه ليلي اللهم * عنقري الباس علوى الهم
 غصنى القدم هضوم الوشاح * مادرى الوصل صابى السماح
 قد بالقد فؤادى هيفا * وسبى اعلى لما انعطفا * لسته بالوصل أحياد نفعا
 مستطار العقل مقصود الجناح * ما عليه فى هواه من جناح
 يا على أنت نور المقل * جد بوصول منك لى بأملى * كم أغنيك اذا ما لحت لى
 طرقت والليل مدود الجناح * مرحبا بالشمس من غير صباح
 * (ومنه) أبو الجحاج الساجى يوسف بن ابراهيم بن محمد بن قاسم بن على الفهرى
 الغرناطى قال فى الاطاعة صدر من صدور حلة القرآن على وتيرة الفضلاء والصالحين
 ولقى الاشياخ بعد أن قرأ على الاستاذ أبى جعفر بن الزبير وطبقته ومن نظمه يخاطب
 الوزير ابن الحكم وقد أصابته حتى تركت على شفته بشورا
 حاشاك أن تعرض حاشاك * قد اشتكى قلبى لشكواكا
 ان كنت محموا ضعيف القوى * فانى أحـد جاكا
 ما رضيت جالك اذا بشرت * جسمك حتى قبلت فاك
 قال أبو الجحاج رحمه الله تعالى وكتب الى شيخنا محمد بن محمد بن رشيق فى الاستدعاء
 الذى أجازنى فيه ولمن ذكره

أجزت لهم أبقاهم الله كل ما * رويت عن الاشياخ فى سالف الدهر
 وما سمعت أذنأى من كل عالم * وما جاد من نظم وماراق من ثر
 على شرط أصحاب الحديث وضبطهم * برى عن التصحيف عار عن النكر
 ثبت لهم خطى واسمى محمد * أبو القاسم المكنى ما فيه من نكر
 وجدى رشيق شاع فى الغرب ذكره * وفى الشرق أيضا قادر ان كنت لا تدرى

ولي مولد من بعد عشرين حجة * ثمان على الست المئين ابداعرى
وبالله توفيقى عليه توفى كلى * له الحمد فى الحالين فى العسر واليسر
ومولد أبى الجراح المذكور سنة ٦٦٢ وتوفى سنة ٧٠٢ ربه الله تعالى انتهى
باختصار * (ومن ارتحل من الاندلس الى المشرق) * شاعر الاندلس يحيى بن حكم البكرى
الحياتى الملقب بالغزال الجمال وهو فى المائة الثالثة من بنى بكر بن وائل قال ابن حبان
فى المقتبس كان الغزال حكيم الاندلس وشاعرها وعزافها عمر أربعاً وتسعين سنة وخلق
أعصار خمسة من الخلفاء المروانية بالاندلس أولهم عبد الرحمن بن معاوية وآخرهم الامير
محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ومن شعره

أدركت بالمصر ملوكاً أربعه * وخامساً هذا الذى نحن معه

وله على أسلوب ابن أبى حكمة راشد بن اسحق الكاتب

خرجت اليك وثوبها مقلوب * ولقلبها طرباً اليك وجيب
وكانم فى الدار حين تعرضت * ظبي تعلل بالضل امرعوب
وتبسمت فأنتك حين تبسمت * بجمان در لم يشنه ثقبوب
ودعماك داعية الصبا فتطربت * نفس الى داعى الضلال طروب
حسبك فى حال الغرام كعهدها * فى الدار اذ غصن الشباب رطيب
وعرفت ما فى نفسها فضممتها * فتساقطت به نانة رعبوب
وقبضت ذال الشئ قبضة شاهن * فنزا الى لذه حليبوب
يدى الشمال ولا شمال لطافة * ليست لاخرى والاديب أريب
فأصاب كفى منه حين لمسته * بلبل كماء الورد حين يسب
وتحلمت نفسى للذة رشمه * حتى خشيت على الفؤاد يذوب
فتقاعس الملعون عنه ورجما * ناديه خير اقليس يجيب
وأبى فحسب فى الابهاء كانه * جان يقاد الى الردى مكروب
وتغضنت جنباته فكأنه * كبر تقادم عهده منقوب
حتى اذا ما الصبح لاح عموده * قبسا وحن من الظلام ذهب
سألنها نجلا أملك حاجة * عندي فقالت ساخر وروب
قالت حرامك اذا أردت وداعها * قرن وفيه عوارض وشعوب

وذكرها ابن دحية بخاتمة لما سردناه قال عتبة التاجر وجهنى الامير الحكم وابنه عبد
الرحمن الى المشرق وعبد الله بن طاهر أمير مصر من قبل المأمون فلقبته بالعراق فسألتنى عن
هذه القصيدة هل أحفظها الغزال قلت نعم فاستنشدنيها فأنشدته اياها فسر بيها وكتبها قال
عتبة ونلت بها حظاً عنده والهنانة المرأة الطيبة النفس والارج كما فى الصحاح وقيل اللينة
فى منطقة وعملها وقيل الضميمة كذا المتأله والرعبوب السبطة البيضاء والسبطة الطويلة
وقال سامحه الله تعالى

سالت فى النوم أبى آدم * فقلت والقلب به وامق

اينسك بالله أبو حازم * صلى عليك الملك الخلاق
فقال لي ان كان مني ومن * نسلي فخوا أمتكم طالق
وقال رضى الله تعالى عنه

أرى أهل اليسار اذا توفوا * بنو تلك المقابر بالصور
أبو الامباهاة ونفسرا * على الفقراء حتى في القبور
فان يكن التفاضل في ذراها * فان العدل فيها في القصور
رضيت بمن تائق في بناء * فبالغ فيه تصريف الدهور
الماء يصروا ما خربته * الشدهور من المدائن والقصور
لعمري أيهم لو أبصروهم * لما عرف الغنى من الفقر
ولا عرفوا العبيد من الموالى * ولا عرفوا الاناث من الذكور
ولا من كان يلبس ثوب صوف * من البدن المباشر للحسري
اذا كل ترى هذا وهذا * فما فضل الكبير على الحقير
وقال رضى الله تعالى عنه

لا ومن أعمل المطايا اليه * كل من يرتجى اليه نصيبا
ما أرى ههنا من الناس الا * نعلبا يطلب الدجاج وذيبا
أو شيها بالقطألقى بعينيه * الى قارة يريد الوثوبا
وقال رضى الله تعالى عنه

قالت أحبك قلت كاذبة * غري بذا من ليس ينتقد
هذا كلام لست أقبله * الشيخ ليس يحبه أحد
سيان قولك ذا وقولك ان الريح * زعقدها فتعقد
أو أن تقولى النار باردة * أو أن تقولى الماء يقد

وسكى أبو الخطاب بن دحية في كتاب المطرب ان الغزال أرسل الى بلاد الجوس وقد
قارب الحسين وقد وخطه الشيب ولكنه كان مجتمع الاشد فسأله زوجة الملك يوم عن سمنه
فقال مداعبا لها عشرون سنة فقالت وما هذا الشيب فقال وما تنكرين من هذا ألم ترى
قطمها ينتج وهو أشهب فأعجبت بقوله فقال في ذلك واسم الملكة نود

كلفت يا قلبي هوى متعبا * غالبت منه الضيغم الاغلبا
اني تعلقت بجوسسية * تأبى لشمس الحسن أن تغربا
أقصى بلاد الله في حيث لا * يلنى اليه ذاهب مذهبا
يا تود يا ورد الشيب الذى * تطلع من أزارها الكوكبا
يا أبى الشخص الذى لا أرى * أحلى على قلبي ولا أعذبا
ان قلت يوما ان عيني رأت * مشبهه لم أعد أن أكذا
قالت أرى فوديه قد نورا * دعاية توجب ان أدعبا
قلت لها ما باله انه * قد ينتج المهر كذا أشهبا

فاستضحكت عجايقولي لها * وانما قلت لكي تعجبا
قال ولما فهمها الترجمان شعر الغزال ضحكك وأمرته بالخضاب فغدا عليها وقد اختضب
وقال

يكرت تحسني سواد خضابي * فكان ذلك أعادني لشبابي
ما الشيب عندي والخضاب لو اصف * الا كشمس جللت بضباب
تخني قليلا ثم يقشعها الصبا * فيصير ما سترت به لذهاب
لاتنكرى ونح المشيب فانما * هو زهرة الافهام والالباب
فلدي ما تهوين من زهو الصبا * وطلاوة الاخلاق والآداب انتهى
(وحكي ابن حبان في المقتبس ان الامير عبد الرحمن بن الحجاج المرواني وجه شاعره
الغزال الى ملك الروم فأعجبه حديثه وخطب على قلبه وطلب منه أن يناديه فامتنع من ذلك
واعتذر بخرم الخمر وكان يوما جالسا عنده واذا برؤساء الملك قد خرجت وعليها زينتها وهي
كالشمس الطالعة حسنا ففعل الغزال لا يميل طرفه عنها وجعل الملك يحدثه وهو لا عن
حديثه فأنكر ذلك عليه وأمر الترجمان بسؤاله فقال له عرفه أني قد بهرني من حسن هذه
الملكة ما قطعني عن حديثه فاني لم أرقط مثاها وأخذني وصفها والتعجب من جمالها وأنها
شوقته الى الحور العين فلما ذكر الترجمان ذلك للملك ترايدت خطوته عنده وسرت الملكة بقوله
وأمرت الترجمان ان يسأله عن السبب الذي دعا المسلمين الى الختان وتجشيم المكروه فيه
وتغيير خلق الله مع خلقه من الفائدة فقال للترجمان عرفها أن فيه أكبر فائدة وذلك أن
الغصن اذا برقوى واشتد وغلظ وما دام لا يفعل به ذلك لا يزال رقيقا ضعيفا فضحكك
وفطنته تعريضه انتهى ومن شعر الغزال قوله

إراجيا ود الغواني ضلة * وفؤاده كاف بهن موكل
ان النساء لك اسروج حقيقة * فالسرج سرجك ريثما لا تنزل
فاذا انزلت فان غيرك نازل * ذاك المكان وفاعل ما تفعل
أو منزل المجتاز أصبح غاديا * عنه وينزل بعده من ينزل
أو كالثمار مباحة أغصانها * تدنوا لول من يمر فبأكل
أعط الشبية لأبالك حقها * منها فان نعيمها متحول
واذا سلبت ثيابها لم تنفع * عند النساء بكل ما تبدل
وقال

قال لي يحيى وصرنا * بين موج صكا الجبال
ونولتنا رياح * من دبور وشمال
شقت القلعين واثبتت عسرى تلك الجبال
ونطى ملك المرو * تالينا عن حبال
فرأينا الموت رأى الشعين حالا بعد حال
لم يكن للقوم فينا * يار فيسيقي رأس مال

ومنها

وسلي ذات زهد * في زهد في وصال
كلما قلت صليتي * حاسبتني بالخيال
والكرى قد منعتني * مقالي أخرى اللبالي
وهي أدري فلماذا * دافعتني بمعمال
أترى أنا اقتضينا * بعد شيئاً من نوال

وله

من ظن أن الدهر ليس يصيبه * بالصادقات فانه مغرور
قال الزمان مهوونا لخطوبه * وانجز حيث يجزك المقدور
واذا تقلبت الامور ولم تدم * فسواء المحزون والمسرور

وعاش الغزال أربعاً وتسعين سنة وتوفي في حدود الحسين والمائتين سأل الله تعالى
وكان الغزال أقزع في هجاء علي بن نافع المعروف بابن زرياب قد كثر ذلك لعبد الرحمن قاهر
بنفسه فدخل العراق وذلك بعد موت أبي نواس بمدة يسيرة فوجدهم يلهمجون بذكره
ولا يسألون شعراً حديثاً بل يسألون ما مع جماعة منهم فازرروا بأهل الاندلس واستهجنوا
أشعارهم فتركهم حتى وقعوا في ذكر أبي نواس فقال لهم من يحفظ منكم قوله

ولما رأيت الشرب أكدت سماًؤهم * تابط زقي واحتسبت عنائي

فلما أتيت الحان ناديت ربه * فتاب خفيف الروح نحو ندائي

قليل هجوع العين الاتعة * على وجل من نظرائي

فقلت أذقنيها فلما أذاقها * طرحت عليه ريطي وردائي

وقلت أعرني بذلة أستتر بها * بذلت له فيها طلاق نسائي

فوالله ما برت يميني ولا وفيت * له غير أنني ضامن بوفائي

فأبت إلي صبي ولم ألتأيا * فكل يفتديني وحق فدائي

ذأ عجبوا بالشعر وذهبوا في مدحهم له فلما أفرطوا قال لهم خفضوا عليكم فانه لي فأنكروا

فلك فأنشدتهم قصيدته التي أولها

تداركت في شرب النبيذ خطائي * وفارقت فيه شيمتي وحياتي

فلما أتم القصيدة بالانشاد خلوا واقتروا قواعنه * (وحكى ان يحيى الغزال أراد أن يعارض

سورة قل هو الله أحد فلما رام ذلك أخذته هيبة وحالة لم يعرفها فأناوب الى الله فعماد الى حاله

* وحكى ان عباس بن ناصح الثقفي قاضي الجزيرة الخضراء كان يهدد على قرطبة ويأخذ

عنه أدباؤها ومرت عليهم قصيدته التي أولها

لعمرك ما البلوى بعار ولا العدم * اذا المرء لم يعدم تقي الله والكرم

حتى انتهى القارئ الى قوله

تجاف عن الدنيا فما لمجز * ولا عاجز الا الذي خط بالقلم

فقال له الغزال وكان في الخلقة وهو اذالك حدث نظام متأذب ذكي القريحة أيها

الشيخ وما الذي يصنع مفعلي مع فاعل فقال له كيف تقول فقال كنت أقول فليس لعاجز ولا حازم فقال له عباس والله يا بني لقد طلبها عنك فما وجدتها وأشد يومًا قوله من قصيدة

بقرت بطون الشعر فاستفرغ الحشى * بكنتى حتى آب خاويه من بقرى
فقال له بكر بن عيسى الشاعر أما والله يا أبا العلى لئن كنت بقرت الحشى لقد وضعت يديك
بقرة وملائمتهم ما يدمه وخبثت نفسك بنته وخشمت أنفك بعرفه فاستحيي عباس وأخضم عن
جوابه * (ومنهم الشهير بالمغارب والمشاوق المحلى بجواهره صدور المهارق أبو الحسن
علي بن موسى بن سعيد العنسى مقيم كتاب المغرب في أخبار المغرب قال فيه وأنا اعتذر
في إيراد ترجى ههنا اعتذره ابن الامام في كتاب سمط الجمان وبها اعتذره الجبارى
في كتاب المسهب وابن القطاع في الدررة الخطيرة وغيرهم من العلماء فنظامه عندما ورد
الديار المصرية

أصبت أعترض الوجوه ولا أرى * ما ينهها وجهها لمن أدريه
عودى على بدى ضلالا بينهم * حتى كأتى من بقايا التيه
ويح الغريب توحشت الحماظه * في عالم ليس والله بشبيهه
ان عادلى وطى اعترفت بحقه * ان التغرب ضاع عمرى فيه
وله من قصيدة مدح ملك افريقية أبا زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي جعفر

الافق طاسق والنسيم رخاء * والروض وشت برده الانداء
والنهر قد مات عليه غصونه * فكأنما هو مقله وطفاء
وبداشار الجلائر بصفحه * فكأنما هو حمية رقطاء
والشمس قد رقت طراز افوقه * فكأنما هي حلة زرقاء
فأدر كؤسك كى ييم لك المنى * واسمع الى ما قالت الورقاء
تدعوك حتى على الصبح فلا تنم * فعلى المنام لى الصباح عفاء
وله

كم جفاني ورمت أدعوه عليه * فتوقفت ثم ناديت قائل
لا شئى الله لحظه من سقام * وأراني عذاره وهو سائل

وله من قصيدة كتب بها الى ملك سبته الموفق ابي العباس أحمد بن أبي الفضل النيشنى
شافعا لشخص رغب فى خدمته

بالعدل قت وبالسماح فدن وجد * لا فارقك كفاية وعطاء
ما كل من طلب السعادة نالها * وطلاب ما يأتى القضاء شقاء
ومنها

وقد استطار بأسطرى نحو الندى * من أنهضته لنحوك العلياء
طلب النباهة فى ذرا لك غاله * الا ليدك تأتمل ورجاء
وهو الذى بعد التجارب أجدت * أحواله وجرى عليه ثناء

لا يقرب الدنس المريب كواصل * هجرته خوفاً أن يشان الراء
قد مارس الحرب الزبون زمانه * وجرت عليه شدة ورخاء
وعلا لـ تقضى أن يسود بأفقهها * لا غرو أن يعلى الشهاب بهاء
وقوله من قصيدة

أف التغرب والتوحش مثل ما * أف التوحش والنفور ظباء
جابه ألقوا التجهش والجفا * فهم لكل أخى هدى أعداء
مهما يرم طلب اليه تقرباً * بعدت بذال البدر عنه سما
لكن في مازات أخدع حاجبا * ومراقبا حتى ألان حبا
والارض لم تظهر ر محجب نبها * حتى حبتها الديمة الوطفاء
قيل وهذا معنى لم يسمع من غيره وقوله في خسوف البدر

شان الخسوف البدر بعد جماله * فكأنه ماء عليه غشاء
أو مثل مرآة تلود قد قضت * نظرا بها فعلا الجلاء غشاء
وله من قصيدة عتاب يقول فيها

ولقد كسبت بكم علا لـ لكنها * صارت بأقوال الوشاح جها
فغدوت ما بين الصحابة أجربا * كل يحاذر منى الاعداء
ولقد أرى ان النجوم تقل لى * حجباً وأصغر أن أحل سما
فليجروا هجر الفطيم لدره * ويساعدوا الزمن الخون جفاء
فلقد شكوت لهم احالة ودهم * اذ لم أكن أرضى بهم خدماء
ايه فذكركم أقل وانما * أوى اليك فتفهم الاء
لو لم يكن قبدا لما فتكت ظبي * أنت الذي صيرتهم أعداء
ولو انى أرجو ارتجاعك لم أطل * شكوى ولم أستبعد الاغصاء
لكن رأيتك لا تميل محبة * نحوى ولا تكلف الاغصاء
ان لم يكن عطف فنوا بالنوى * ان الكريم اذا أهين تناءى
ولكم سر ينافى متون ضوامر * تنفى أعنتها من الخيل لاء
من أدهم كالليل جل بالضحى * فتشق غرته عن ابن ذكاء
أو أشهب يحكى غدا تراشيب * خلعت عليه الشهب فضل رداء
أو أشـ قر قد غمقه بشعلة * كازج نار بصفحة الصهباء
أو أصفر قد زينته غرة * حتى بدا كالشمعة الصفراء
طارت ولكن لا يهاض جناحها * هبت ولكن لم تكن برحاء

وقوله

وقوله من أبيات في اقتضاض بكر

ونريدة ما ان رأيت منالها * حيث من الالحاظ بالاء
فسألها سمع الشكاة فأفهمت * ان الرقيب جهينة الانباء
وتبعها وسأت منها قبلة * في خلوة من أعين الرفباء

فتفت على قوامها بتعاني * أحبي فؤادا مات بالبرحاء
 ووجدتها لما ملكك عنانها * عذرا مثل الدرة العذراء
 جاءت الى كوردة محبرة * قتركتها كعرة صفراء
 وسابتها ما احتر منها صفوه * فخرى مذايا من جبال الجاهل
 وقوله من أبيات

أحببنا عودوا علينا عودة * ما منكم بعد التفرق مرغ
 كم ذا أداريكم بنفسي جاهدا * وكأنما أرضيكم كي تغضبوا
 وأزيد بعد ما اقتربت اليكم * كالسهم أبعد ما يرى اذ يقرب
 وأجوب نحوكم المنازل جاهدا * ومع اجتهادي فأتني ما أطلب
 كالبدرا قطع منزلا في منزل * فاذا انتهيت الى ذراكم أغرب
 وقوله من أبيات

سألتك يا من يستلان فيصعب * ومن يترضى بالحياة فيغضب
 أما خستك البدر المنير فلم تغد * تحل به ضد القضية عقرب
 وقوله وقد داعبه أحد الفقهاء وسرق سكينه من حوز

أيا سارقا مل كامصونا ولم يجب * على يده قطع وفيه نصاب
 ستندبه الاقلام عند عثارها * ويكيه ان يعد الصواب كتاب
 وقوله في تفاحة عنبر أهديت للملك الصالح نجم الدين أيوب

أقالون الشباب والخال أهديت لمن قد كسا الزمان شبايا
 ملك العالمين نجم بن أيوب لازال في المعالي شبايا
 جئت ملائ من الثناء عليه * من شكور احسانه والثواب
 لست بمن له خطاب ولكن * قد كفاي أريج عرقي خطايا

وقوله من قصيدة

فالحمد لله على ساعة * قد قربتني من علا صاحب
 ولي عذرا المولى على اتني * قد كنت من علياء في جانب
 كن أتي نافله أولا * ثم أتي من بعد بالواجب

وقوله من أبيات

فان كنت في أرض التغرب غاربا * فسوف تراني طالعا فوق غارب
 فصصام عروحين فارق كفه * رموه ولا ذنب الهجر المضارب
 وما عزة الضرعام الاعريشه * ومن مكة سادت أوى بن غالب
 وقوله في فرس أصفر أغرا كل الحلية

وأجرد تبرى أثرت به الثرى * ولا فجر في خصر الظلام وشاح
 له لون ذي عشق وحسن معشوق * لذلك فيسيه ذلة ومراح
 عجبت له وهو الاصيل بعرفه * ظلام وبين الناظرين صباح

يقيد طير اللحط والوحش عندما * يطير به نحو الجراح جناح

وقوله من أبيات

إذا ما غراب اليبين صاح فقل له * ترفق وماذا لله يا طير يا بعد
لانت على العشاق أقبح منظرا * وأكره في الابصار من ظلمة اللحد
تصبح بنوح ثم تعثر ماشيا * وتبرز في ثوب من الحزن مسود
مضى تحت صبح اليبين وانقطع الرجا * كأنك من وثى الفراق على وعد

وقوله في غلام جيل الصورة أهدي تفاحة

ناب ما أهديت عن * عرف وعن ريق وخد
حبذا تفاحة قد * أشبهت أوصاف مهدي
بت منها في سرور * فكان قدبت عندي

وقوله من قصيدة

هذا الذي يهب الدنيا بأجمعها * وبعد ذلك يلقي وهو يعتذر
ان هزم المدح فالاموال في بدر * والغصن ما هزالا بدد الثمر
فقلت لما بد الى حسن منظره * لكنه زاد اشراقا هو القمر
متع لحاظك في وجهه بلا ضرر * ان كان شمسا تراها تحتها مطر

وقوله من أبيات

لى جيرة ضنوا على وجاروا * فذيت بي الاوطان والاطار
ومن العجائب انى مع جورهم * ما قرلى بعد الفراق قرار
وقوله

أنا شاعر أهوى التخلي دون ما * زوج لكىما تخلص الافكار
لو كنت ذا زوج لكنت منغصا * فى كل حين رزقها أمتار
دعنى أرح طول التغرب خاطرى * حتى أعود ويسـتقر قرار
كم قائل قد ضاع شرح شبابه * ما ضيعته بطالة وعقار
اذ لم أزل فى العلم أجهـدا دائما * حتى تأتت هذه الابكار
مهما أرم من دون زوج لم أكن * كلا ورزقى دائما مدار
واذا خرجت لفرجة هنيئا * لا ضيعة ضاعت ولا تذكار

وقوله من قصيدة

ما كنت أحسب أن أضيع وأنت فى العـدينا وأن أمسى غريـبا معسرا
أنا مثلهم سوف يرجع بعدما * أقصاه راميـه المجيد ليـخبرا

وقوله سبحانه الله تعالى

واقى على لنا بسيف * واليبين قد حان والوداع
فقال شبه فقلت شمس * قدمـت من نورها شعاع

وقوله من قصيدة فى ملك اشبيلية الباسجى وقد هزم ابن هود

لله فرسان غدت راياتهم • مثل الطيور على عدالتهم
السمر تنقط ما تسطر بيضهم • والنقع يترب والدماء متخلق
وقال ارجيئنا لا بمحضر زكي الدين بن أبي الاصبع وجمال الدين بن أبي الحسين الجزار
المصري الشاعر ونعيم الدين بن امير النيل الممشق بظاهر القاهرة وقد مشى أحدهم
على بسط ترجم

يا واطى الترجم ما نسقى • أن نطأ الاعين بالارجل
فتها فتوا به ذا البيت وراموا الاجازة فقال ابن أبي الاصبع مجيزا
فقلت دعني لم أزل محرجا • على لحاظ الرشا الا كل
وكان أمثل ما حضرهم ثم أبوا أن يجيزه غيره فقال
قابل جفونا يحفون ولا • تبذل الارفع بالاسفل
وقوله في الجزيرة الصالحية بمصر وهي الشهيرة الآن بالروضة

تأمل الحسن الصالحية اذبت • مناظرها مثل النجوم تلالا
وللقلمة الغراء كالسدر طالعا • تقجر صدر الماء عنه هلالا
وواقى اليها النيل من بعد غاية • كما زار شغوق بروم وصالا
وعانقها من فرط شوق بحسنا • فغد عينا فحوها وشمالا
برى قادم بالبعد فاخط حولها • من السعد أعلاما بذلك دالا
وقوله من أبيات في ملك أفريقية وقد جاوز ولد الامير أبي يحيى بمسكر
وقد أرسلته نحو الاعادى • كما جردت من غمد حساما

وقوله في قوس

أنا مثل الهلال في ظلم النقع سهاى تنقض مثل النجوم
تقصر القصب والقنا عن مجالى • عند رجبى به الكل رجيم
قد كسبتها الطيور لما رأتها • كالفلات لها برزق عليم

وقوله من أبيات

وأشقر مثل البرق لو ناسرعة • قصدت عليه عارض الجود فانهمى
(ولمذكر ترجمته من الاطاحة لمخصة) فنقول قال لسان الدين علي بن موسى بن عبد الملك
ابن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن عبد الله بن سعد بن عامر بن يامر
ابن كنانة بن قيس بن الحصين العنسي المدبلي من أهل قلعة يحصب غرناطى قلعي سكن
قوس أبو الحسن بن سعيد وهذا الرجل وسطى عقديته وعلم أهله ودرّة قومه المصنف
الاديب الرحالة الطرف الاخبارى العجيب الشأن فى التجول فى الاقطار ومداخله الاعيان
المتنع بالانزات العلمية وتقييد الفوائد المشرقية والمغربية أخذ من أعلام اشيوية كابي
على الشلوين وأبي الحسن الدباج وابن عصفور وغيرهم وتواليفه كثيرة منها المرقصات
والمطربات والمقطوف من أزهار الطرف والطالع السعيد فى تاريخه بنى سعيد تاريخ
يته وبلده والموضوعان الغريبان المتعددا الاسفار وهما المغرب فى حلى المغرب والمشرق

في حلى المشرق وغير ذلك مما لم يتصل اليه فلقد حدثني الوزير أبو بكر بن الحكيم أنه
تخلف كتاب يسمى المرزومة يشتمل على وقرب عشرين رزم الشعر ريس لا يعلم ما فيه من
الفوائد الادبية والاخبارية الا الله تعالى وتعاطى نظم الشعر في حقه من الشيبية يعجب
فيه من مثله فيذكر أنه خرج مع أبيه الى اشبيلية وفي صحبته سهل بن مالك فجعل سهل بن مالك
يسأله عن نظمها الى أن أنشده في صفة نهر والنسيم يرذده والغصون تميل عليه
كأما النهر صفحة كتبت * أسطرها والنسيم ينشئها
لما أبانت عن حسن منظرها * مات عليها الغصون تقرؤها

فطرب وأثنى عليه ثم ناب عن أبيه في أعمال الجزيرة ومازج الادب ما ودون كثير من نظمها
ودخل القاهرة فصنع له أدباؤها صنيعا في ظاهرها وانتهت بهم القريحة الى صنونرجس
وكان فيهم أبو الحسن الجزار فجعل يدوس النرجس برجله فقال أبو الحسن
يا واطى النرجس ما تسخى * أن تطأ الاعين بالارجل
فتهاقوا بهذا البيت وراموا اجازته فقال ابن أبي الاصبغ
فقال دعني لم أزل محنقا * على لحاظ الرشا الا كل
وكان أمثل ما حضرهم ثم أبوا أن يجيزه غيره فقال

قابل جفونا بجفون ولا * تبذل الارتفاع بالاسفل

ثم استدعاه سيف الدين بن سابق الى مجلس بصفة النيل مبسوط بالورد وقد قامت حوله
شمامات نرجس فقال في ذلك

من فضل النرجس فهو الذي * يرعى بحكم الورد اذ يرأس

أما ترى الورد غدا قاعدا * وقام في خدمته النرجس

ووافق ذلك ما ليك الترك وقوفاني الخدمة على عادة المشاركة فطرب الحاضرون ولقي بمصر
أيدهم التركي واليهازميرا وجمال الدين بن مطروح وابن يعقوب وغيرهم ورحل صبيحة كمال
الدين بن القيم الى حلب فدخل على الناصر صاحب حلب فأنشده قصيدة أولها
جدلي بما لي الخيال من الكرى * لا بد للضيف الملم من القرى

فقال كمال الدين هذا رجل عارف ورى بمقصوده من أول كلمة وهي قصيدة طويلة فاستجابه
السلطان وسأله عن بلاده ومقصوده برحلته وأخبره أنه جمع كتابا في الحلى البلادية والعلى
العبادية المختصة بالمشرق وأخبره أنه سمع المشرق في حلى المشرق وجمع مثله فسمعه
المغرب في حلى المغرب فقال نعينك بما عندنا من الخزائن ونوصلك الى ما ليس عندنا كنزائن
الموصل وبغداد وتصنف لنا تقدم على طاعتهم وقال أمر مولاي بذلك انعام وتأييس
ثم قال له السلطان مداعبا ان شعراءنا ملقبون بأسماء الطيور وقد اخترت لك لقباً يليق
بحسن صوتك وايرادك للشعر فان كنت ترضى به والالم نعلم به أحد اغربنا وهو البليل فقال قد
رضى المملوك يا خوند قبسم السلطان وقال له أيضا يداعبه اختر واحدة من ثلاث اما
الضباقة التي ذكرتها أول شعرك واما جائزة القصيدة واما حق الاسم فقال يا خوند المملوك
بما لا يحسنق بعشر لقم لانه مغربي أو كول فكيف بثلاث قطرب السلطان وقال هذا مغربي

ظريف ثم أتبعه من الدناير والخلع والتواقيع بالارزاق ما لا يوصف ولقي بحضرته عون الدين
 العجمي وهو بحر لا ينزفه الدلاء والشهاب التلعفري والتاج بن شقير وابن نجيم الموصل
 والشرف بن سليمان الاربلي وطائفة من بني صاحب ثم تحول الى دمشق ودخل الموصل
 وبغداد ودخل مجلس السلطان المعظم بدمشق وحضر مجلس خلوته وكان ارتحالته
 الى بغداد في عقب سنة ثمانية وأربعين وستمائة في رحلته الاولى اليها ثم رحل الى البصرة
 ودخل ارتجان ورجع ثم عاد الى المغرب وقد صنف في رحلته مجموعا سماه بالنفعة المسكية
 في الرحلة المكية وكان نزوله بساحل مدينة أقلية من افرريقية في احدى جمادى سنة
 اثنتين وخمسين وستمائة واتصل بخدمة الامير أبي عبد الله المستنصر فنال الدرجة
 الرفيعة من خلوته حدثني شيخنا الوزير أبو بكر بن الحكيم ان المستنصر جفاه في آخر
 عمره وقد أسن بجرامه خدمة مالية أسندها اليه وقد كان يلامنه قبل جفوة أعقبها انتحال
 وعناية فكذب اليه بظلم من جلته لا ترعى بالجفا ثمانية فرق له وعاد الى حسن النظر
 فيه الى أن توفي تحت بر وعناية مولده بغرناطة ليلة الفطر سنة عشر وستمائة ووفاته
 بتونس في حدود خمسة وعشرين وستمائة انتهى باختصار * وذكر حكاية اجازة يثبه
 في الترجس وان تقدمت لاتصال الكلام قلت قد كنت وقفت على بعض ديوان شعره
 المتعدد الاسفار ونقلته منه قوله من قصيدة يهني ابن عمه الرئيس أبي عبد الله بن الحسين
 بقدومه من حركة هواره

أما واجب أن لا يحول وجيب * وقد بعدت دارو جان حبيب
 وليس أليف غير ذكرو حسرة * ودمع على من لا يرق صيب
 وخفق فؤاد ان هضا البرق خافقا * وشوق كما شاء الهوى ونخب
 وبعدلتى من ليس يعرف ما الهوى * وعذل مشوق في البكاء عجب
 الاتعس اللوام في الحب قد عموا * وصموا ودائق ليس منه طيب
 يرومون أن يثنى الملام مسبابى * ولست الى داعى الملام أجيب
 وفامى اذا ما غبت عنكم مجدد * وغيرى ذو غدر أو ان يغيب
 ولولم يكن معنى الوفاء سجيبة * لكنت لغير ابن الحسين أريب
 سموأل هذا العصر حاتم جوده * مهلبه ان مارسته حروب
 فتسبب الامداح شرقا ومغربا * أبودلف من دونه وخصيب
 اذارقم القرطاس قلت ابن مقله * وان نظم الاشعار قلت حبيب
 وان نشر الاسجاع قلت سمية * وان سرد التاريخ قلت غريب
 وما أجزال صولى آدابه التى * اذا مات لاها لم يحبه أديب
 ومنها

وأما اذا ما الحرب أخذ نارها * فقبه تلظى مارج ولهيب
 فكم قارع الابطال فى كل وجهة * فخاهاوكم لفت عليه حروب
 وكان له بالغرب من موقفه * حديث اذا تلى تطير قلوب

بمرا ككش سل عنه تعلم عنه • وقد ساء لهم يوم هنالك عصيب
 اذا مائى الرخ الطويل كانه • مدير لغصن انليزبان لعوب
 وان جزه ابصرت فيهما مجزرا • ذوابته منه الكفاة تذوب
 به ما ان يزال معانقا • لهما كعبات ما تحوز كعوب
 محمد لا تبذل الذي انت قادر • عليه وخف عينا علاك تصيب
 نفوذ سهام العين اودى بصعب • وطاح به بعد الشبوب شبيب
 الالفه نيا ان رجعت لتونس • فاطلعت شمس الشفار غروب
 كوا كبتها تدو اذا ما تركتها • وقد جلعت مهمما حضرت تغيب
 اذا سدت في ارض فغيرك تابع • علاك وهما سادف وهو قريب
 ومنها

كفاني اني استظل بظلكم • ومن هاب ذاك الجند فهو مهيب
 فاصلك املى والفروع تباينت • بعيد على من رامه وقريب
 وحسبي فخرا ان أقول محمد • نسيب على جل منه نصيب
 تركت جميع الاقربين لقصد • على حين حانت قسنة وخطوب
 رأيت به جنات عدن فلم ابل • اذا وصلتنا لخلود شعوب
 فقلت ككفالا أعاب بلمها • وأيدى الايادي لتهن وجوب
 وكيف وليس الرأس كالرجل فترقت • شيئا نال عمرى يتنا وضروب
 ولو كان قدرى مثل قدرك في العلا • لحق بأن يعاوا الشباب مشيب
 ولولا الذي أسمع من مكر حاسد • أذاك بقول وهو فيه كذوب
 لما كنت محتاجا لقولي آنفا • تحليت من ذنب وجئت أثوب
 اذا كنت ذا طوع وشكر وغبطة • فن أين لي يا ابن الكرام ذنوب
 لقد كنت معتادا بغيري الذي • تقلدته حتى يزال قطوب
 ان رفع السلطان سعي بقر بكم • أأخلا عن وردكم وأخيب
 فأحسب ذنبي ذنب صخر بدارها • الى البر عند الخابرين معيب
 وحاشاك من جور على وانما • أخاطب من أصفوله فيشوب
 صواب هم الداء الذين فليقتني • ولم أدن منهم للذئاب محبوب
 كلامهم شهد ولكن فعلهم • كسم له بين الضلوع عذيب
 سأرحل عنهم والتجارب لم تدع • بقلبي لهم شيئا عليه أثيب
 اذا اغترب الانسان عن يسوء • فاهو في الابعاد عنه غريب
 قد اركب راب منك ما قد خرقت • احسن مني مشهد ومغيب
 ولا تستمع قول الوشاة فانما • عدوهم بين الانام فحبيب
 فبالبت اني لم أصكن متادبا • ولم يكن لي أصل هنالك رسوب
 وكنت كبعوض الجاهل بين محبينا • فما أنا لله المـ لم حبيب

وما ان ضربت الدهر زيدا بعد مره * ولم يكن لي بين الكرام ضريب
 أشكولاً أم أشكوا اليك فاعدت * عداقي حتى حان منك وثوب
 سأشكر ما أؤلى وأصبر للذي * نوالى على ان العزما سلب
 قدم في سرور ما بقيت فاني * وحقق مذهب الوشا كتيب
 قال وكان سبب التغيير بيني وبين ابن عمي الرئيس المذكور أن ملكاً أفريقية استوزر لاشغال
 الموحدين ابا العلي ادريس بن علي بن أبي العلي بن جامع فاستعمل علي وأولاني من البر
 ما قيدني وأمال قايي اليه مع تأكيده ما بينه وبين ابن عمي من الصبية فلم يرل ينهض بي ويرفع
 أمداحي للملك ويوصل اليه رسائلي منبها على ذلك مرثها الى أن قبض الملك على كاتب
 عسكره وكان يقرأ بين يديه ~~مكتب~~ المظالم فاحتجج الى من يحلفه في ذلك تنبه الوزير علي
 وارتهن في معاني كنت من كتاب الملك فقلدني قراءة المظالم المذكورة وسفر الى الوزير
 عنده في دار الكاتب المؤخر فأنتم بها فوجد الوشا ~~مكتب~~ كانا متبع القول فقالوا وزورا
 من الاقاويل المختلفة ما مال به صاحب مالوا وظهروا به مخايل التغيير فجعلت اداريه
 وأسست عطفه فلم يتفع فيه قليل ولا ~~كثير~~ الى أن سعي في تأخير والدي عن الكتب للامير
 الاسعد أبي يحيى بن ملك أفريقية ثم سعي في تأخيري فأثرت عن الكتابة وعن قراءة المظالم
 فانفردت بالكتابة للوزير المذكور وفوض الى جميع أموره وأولاني من التأسيس
 ما أنساني تلك الوحشة ومن العزما أنقذني من تلك الذلة

فسرد علي العيش بعد ذهابه * وآذني بعد انفرادي من الاهل
 وقالوا اذا ما الوبل فأتك فاقنع * بما قد تسنى عندك الآن من طل
 والله مانع ~~ماء~~ طل وانما * تأذبه غيث يجود على الكل
 رأي ظمأ في الهجير ضاحيا * فرق وآواني الى الماء والطل
 ولم أزل عنده في أسر حال ما لها تسكدير الا ما يبلغني من أن ابن عمي لا يزال يسعي في حق بما
 أخشى مغيبته وخفت أن يطول ذلك فيسمع منه ولا يتفع دفاع الوزير المذكور عني فرغبت
 له في أن يرفع للملك أني راغب في السراح الى المشرق برسم الحج

ومن به الغيث في بطن واد * وبات فلا يأمن السبيولا
 فلم يسعني في ذلك ولا مني على تخوفي وقلة ثقتي بحمايته فرفعت له هذه القصيدة
 هل الهجر الآن يطول التجنب * ويعد من قد كان منه التقرب
 وتقطع رسـل بيننا ورسائل * ويمنع اقبانا نوى وتجنب
 ولو أنني أدري لنفسي زلة * جعلت لكم عذرا ولم ألتأعب
~~واسكنكم~~ لما ملكتم هجرتم * وذنبتم في الحـب من ليس يذنب
 الى الله أشكو غدركم وملالكم * وقلباله ذاك التعذب يعذب
 فلو أنه يجزى ~~بكم~~ بفعالكم * لكان له عنكم مراد ومطلب
 ولكن أبي أن لا يحن لغيركم * وأن لا يرى عنكم مدى الدهر مذهب
 فهلا رعيتم أنه في ذراكم * غريب وليس الموت الا التقرب

لزمته لما أن رأيتك كاملا * جمالا وأجالا وذالتي يحبب
واني لا خشى أن يطول اشتكاؤه * لمن أن أتى ~~م~~ كرا فليس يثرب
فلم أسع إلا لارتياح وراحة * وغيري وقد آواه غيرك يتعب
فأنت الذي آويتني ورجعتني * وذو الرحم الدنيا لتأري يحطب
فما تريوم لا يريد مصيبة * عليك وبالتدبير منك يحجب
وهبه ثبوتنا لا يصحبل أمانتي * بحتر حبال في الجبارة يرسب
وهبه له سدا فكم أنت حاضر * أحاذر خرقا منه أنه يتسببوا
وما أن أرى إلا القصر أو مخلصا * وما راغب في الضيم من عنه يرغب
فأنهي إلى الأمر العلي شكيتي * وأن خطوب الدهر نحوي تحطب
ولا تطمعوني في الذي لست نائلا * فلا أنا عرقوب ولا أنا أشعب
ألا فلتمنسوا بسراج فانه * لراحة من يشق لديكم وينصب
سألو الكاس عن اذتدافقاني * لا تر ~~م~~ كها هما ودمي أشرب
ولا أسمع إلا الحان حين تهزني * ولو كان نوحا كنت أصفي وأطرب
فديتكم كم ذأهون بأرضكم * أهـ ذاجزاء للذي يتغرب
أجنل على أن ما سواك يصيخ لي * فهل لي عما كثر العيش بهرب
تقلص عن كل ظل ولم أجد * كما كنت ألقى من أود وأصحب
أذو طمع في العيش يقي وحوله * مدى الدهر أفعي لا تزال وعقرب
أبرني أنجب زبالفرا وفاته * وحقق من نعمك عندي يحسب
فلا زلت يا خير الكرام مهنا * فعيشي منه الموت أشهى وأطيب
وصانك من قدمت في حقه دمي * وغيرك من ثوب المروءة يساب
ولم يزل الوزير لا أزال الله عنه رضا يحمي جانبي إلى ان اصابتني فيه العين فأصابه
الحين

وطيب نفسي انه مات عندما * تناهى ولم يشمت به كل حاسد
ويحكم فيه كل من كان حاكما * عليه ويعطى الثار كل معاند
وقلت أرثيه

يكت لك حتى الهاطلات السواكب * وشقت جيويا فيك حتى السحاب
فكيف بمن دافعت عنه ومن به * أحاطت وقد وعدت عنه المصائب
الافا تطروا دمي فأصكره دم * ولا تذهبوا عني فاني ذاهب
وقولوا لمن قد ظلم يتدب بعده * وقاؤك لو قامت عليك النوايب
لعمرك ما في الأرض وافي بذمة * أيعمت ادريس ومثلي يخاطب
دعوتك يا من لا أقوم بشكره * فهل أنت لي بعد الدعاء مجاوب
أيا سيدا قد حال بيني وبينه * تراب حوت ذكر الكهنة الترائب
لمن اشتكى ان جاز بعد ذلك ظالم * علي وان نابت جنابي النوايب

لمن أرتجى عند الامير ينطق * تحن به حولي المني والمواهب
وهي طويلة ومنها قبيل الختم

وقد كنت أختار الترحل قبل أن * يصيبك بهم للمنيصة صائب
ولكن قضاء الله من ذا يرده * فصراف قد يرضى الزمان المغاضب
ومنها وهو آخرها

واني لا أدري أن في الصبر راحة * اذالم تكن فيه على مثالب
وان لم يؤب من كنت أرجو اتصاره * عليك فلفظ الله نحوي آيب
قال رحمه الله تعالى ولما قدمت مصر والقاهرة أركنت فيهما وحشة وأثارت ذكر ما كنت
أعهد بجزيرة الاندلس من المواضع المبهجة التي قطعت بها العيش غضا خصيبا وصحبت بها
الزمان غلاما وابست الشباب بردا قشيبا فقلت

هذه مصر فأين المغرب * مذناي عني فعبني تسكب
فارقته النفس جهلا ناعما * يعرف الشيء اذا ما يذهب
أين ص أين أيامها * بعدها لم ألق شيئا يحجب
كم يعيش لي بها من لذة * حيث للنهر خير بر مطرب
وجام الايك تشد وحولنا * والمثاني في ذراها تصعب
أي عيش قد قطعنا بها * ذكره من كل نعمي أطيب
ولكم بالمرج لي من لذة * بعدها ما العيش عندي يعذب
والنواعير التي تذكارها * بالنوى عن مهجتي لا تسب
ولكم في شتيموس من منى * قد قضينا ولا من يعتب
حيث هاتيك الشرا حبيب التي * كم بها من حسن بدر معصب
وغناء كل ذي قصره * سامع غمها ولا من يغصب
بلادة طابت ورب غافر * ليتني ما زلت فيها أذنب
أين حسن النيل من نهرها * لكل نعمات لديه تطرب
كم به من زورق قد حله * قرر ساق وعود يضرب
لذة الناظر والسمع على * شم زهر وكؤس تشرب
كم ركبناها فلم نجتمع بنا * ولكم من جاع اذ يركب
طوعنا حيث اتجهنا لم نجد * تعبنا منها اذا ما نتعب
قد أثارت عشب ابراهيم * نثر سلك فوق بسط ينهب
كلما رشنا لها أجنحة * من قلاع ظلت منها تجسب
كم طيور لم تجد ربالها * فبدا للعين منها مشرب
بل على الخضراء لا تنفل من * زفرة في كل حين تلهب
حت البحر زفير حوالها * تبصر الاغصان منه ترهب
كم قطعنا الليل فيها مشرقا * بجيب ومدام يسكب

ومكان البحر ثوب أزرق * فيه للبدر طراز مذهب
 وإلى الخور حنيبي دائما * وعلى شنبيل فيه دمي صيب
 حيث سلّ النهر عضبا وانت * فذوقه القضب وغشي الربرب
 وتشفت أعين العشاق من * حصور عين بالمواضي تحبيب
 ملعب لله ومذقار قته * ما تناني فحسوا له وملعب
 وإلى مالقة يهوى هوى * قلب صعب بالنوى لا يقاب
 أين أبراج بها قد طالما * حشمت كاسي في ذراها كوكب
 حفت الأشجار عشقا حولنا * تارة تنأي وطورا تقرب
 جاءت الريح بها ثم انتت * أتراها حذرت من ترقب
 وعلى مرسية أبي دما * منزل فيه نعيم معشب
 مع شمس طلعت في ناظري * ثم صارت في فؤادي تغرب
 ههنا حالي وأما حالي * في ذري مصر ففكر متعب
 سمعت اذني محاليتها * لم تعد ذوق ويحها من يكذب
 وكذا الشيء اذا غاب اتها * فيه وصفا كي يبيل الغيب
 ها أنا قها فريد مهمل * وكلامي ولساني معرب
 وأرى الاطماظ تنبوعندا * أكتب الطرس أفيه عقرب
 واذا أحسب في الديوان لم * يدر صكتايم ما أحسب
 وأنادي مفر ياليتني * لم أكن للغرب يوما أنسب
 نسب يشرك فيه خامل * ونبيه أين منه المهرب
 أتراني ليس لي جـدله * شهرة أوليس يدرى لي أب
 سوف أثني راجعا لا غربي * به دما جـرت بت برق خاب

وقال بقره مونة منشوقا إلى غرناطة

أغنني اذا غشي الحمام المطرب * بكاس به اوسواس فكري نهـب
 ومل ميلة حتى أعانق ايككة * وألثم ثغرا فيه للصب مشرب
 ولم أرم رجانا ودرا خـلافه * يطيف به ورد من الشهد أعذب
 فديتك من غصن تحمله نقي * تطلع أعلاء صباح وغيب
 وجنته جنات عدن وفي لظى * فؤادي ومالي من ذنوب تعذب
 ويعذاني العذال فيه واتني * لاعصى عليه من يلوم ويعتب
 لقد جهلوا دمل عن حياتي أنني * اذا غفوا أقوالهم وتألّبوا
 يقولون لي قد صار ذكرك مخلقا * وأصبح كـل في هواه يؤنب
 وعرضك مبذول وعقلك تالف * وجسمك مملوب ومالك ينهب
 فقلت لهم عرضي وعقلي والعلا * ونفري لأرضي بها حين يغضب
 جفون أبت أن لا تلين لعازم * بسحر بايات الرقي ليس يذهب

فقالوا ألا قد خان عهدك قلت لم * يخن من اذا قرنته يتقرب
 وكم دونه من صارم ومثقف * فيا من رأى بدرايم الذين يحجب
 على أنه يستعمل الذهب عندما * يزور فلا يجدي سوى متقرب
 وكم حيلة تترى على اثر حالة * وذو الود من يحتال أو يتسبب
 على أنه لو خان عهدى لم أزل * له راعيا والرعى للصبب أو جيب
 فأين زمان لم يخفى ساعة * به وهو منى فى التسم أرغب
 ولا فيه من بخيل ولا بى قناعة * كلانا بلذات التسواصيل محجب
 ويارب يوم لا أقوم بشكره * على أننى مازلت أثنى وأطلب
 على نهر شيدل وللغضب حولنا * منا برما زالت بها الطير تخطب
 وقد قرعت منه سنابك فضة * خلال رياض بالاصيل تذهب
 ثم بنا عليها قهوة ذهبية * غدت تشرب الالباب أيا تشرب
 كان يا منىنا وسطدر تفهت * أزاهره أيا فى الكاس تسكب
 اذا ما شربناها لنيل مسرة * تبسم عين در لها فقه قطب
 أتت دونها الاحقاب حتى تحالها * سرايا با آفاق الزجاجة يذهب
 نعم منابها واليوم قد رقى برده * الى أن رأينا الشمس عنا تغرب
 فقالوا ألا هاتوا السراج فكل من * درى قدر ما فى الكاس أقبل يحجب
 وقال ألا تدرون ما فى كوؤكم * فيلا كاس الاوه وفى الليل كوكب
 كواكب أمست بين شرب ولم تخل * بأن النجوم الزهر تدنو وتغرب
 ظللنا علىها عاكفين وليلنا * نهار الى أن صاح بالايك مطرب
 فلم نثن عن دين الصبح عناتنا * الى أن غدا من ليس يعرف يندب
 صر عنافا مسى يحسب السكر قد قضى * علينا وذا السكر أشهى وأعجب
 وكم ليلة فى اثر يوم وعذلى * وعذلى من يعنى لقولى خيب
 فباليت ماولى معاد نعيمه * وأى نعيم عند من يتغرب
 قال وقلت بأشيلية ذا كروادى الطلح وهو بشرق اشيلية ملتف الاشجار ~~كثير~~ مترنم
 الاطار وكان المعتد بن عباد كثيرا ما يتباه مع زميكنه وأولى أنسه ومسرته
 سائل بوادى الطلح ربح الصبا * هل حضرت لى فى زمان الصبا
 كانت رسولا فيه ما بيننا * لن نأمن الرسل ولن نكتبنا
 يا قاتيل الله أناسا اذا * ما استؤمنوا خافوا فاعجبا
 هلا رعبوا أنا وثقنا بهم * وما اتخذنا عنهم مذهبا
 يا قاتيل الله الذى لم يتب * من غدرهم من بعد ما جربا
 والهّم لا يعرف ما طعمه * الا الذى وفى لان بشرنا
 فدعنى من ذكر الوشاة الى * لما نزل فكرى بهم ملهبا
 واذا كروادى الطلح عهدنا * لله ما أحلى وما أطيبا

بجانب العطف وقد مات الاغصان والزهر يث الصبا
 والطير مازت بين الحانها * وليس الامججيا مطريا
 وخاتني من لآتميه من * شيخ أخاف الدهر أن يصيبها
 قد أترع الكاس وحيابها * وقلت أهلا بالمنى مرحبا
 أهلا وسهلا بالذى شنته * يا بدرتم مهديا كوكبا
 اكنتي آليت أسقى بها * أو تؤذ عنها ثغرك الاشعبا
 فنج لي في الكاس من ثغره * ما حبيب الشرب وما طيبا
 فقال لها لثمي نقلاولا * تشم الا عرقي الا طيبا
 فاقطف بخدي الورد والاس والسفسرين لا تحفل بزهر الربا
 أشففته غصنا غدا مثمرا * ومن جناه ميسه قريبا
 قد كنت ذانهمى وذا امرة * حتى تبدى فخلات الحيا
 ولم آمن عرضي في حبه * ولم أطع فيه الذى أنبا
 حتى اذا ما قال لي حاسدى * ترجوه والكوكب ان يغربا
 أرسلت من شعري سحراله * يسر المرغب والمطلبيا
 وقال عز فيه بأنى سأحسمال فما أجنب المكتبا
 فزاد في شوقي له وعده * ولم أزل معتقدا حرقبا
 أمد طرقي ثم أنبسه من * خوف أنى التغيص أن يرقبا
 أصدق الوعد وطورا أرى * تكذيبه والحزن يكذباً
 اتى ومن سخره بعد ما يأس بطأ كاد أن يغضبا
 قبلت في النرب ولم أستطع * من حصر الالتاسوى مرحبا
 هنأت ربي اذ غداها لة * وقلت يا من لم يضع أشعبا
 بالله مل معتقدا لأعما * فقال كالغصن ثنته الصبا
 وقال ما ترغب قلت اتشد * أدركت اذ كلمنى المرغبا
 فقال لا مرغى عن ذكركما * ترغبه قلت اذا مرحبا
 فكان ما كان فوالله ما * ذكرته دهرى أو أغلبا

قال وقت باقتراح الملك الصالح نور الدين صاحب حص أن أكتب بالذهب على تقاطع
 عنبر قدمها لابن عمه الملك الصالح ملك الديار المصرية

انالون الشهاب والخال أهديت لمن قد كسا الزمان شهابا
 ملك العالمين نجى من أيوب لا زال فى المعالى مهابا
 جئت ملاى من الثناء عليه * من شكورا حسانه والثوابا
 لست ممن له خطاب ولكن * قد كفانى أريج عرقي خطابا
 فان ولما أنشد أبو عبد الله بن البار كاتب ملك افرقية لنفسه
 لله دولاب يدور كانه * فلا ولكن ما ارتقاء كوكب

هامت به الاحداق لما نادمت * منها لحديقة ساقيا لا يشرب
 نصبته فوق النهر أيد قدّرت * ترويحها الارواح ساعة ينصب
 فكانه وهو الطليق مقيد * وكأنه وهو الحيس مسيب
 للماء فيه تصعد وتحدّر * كالمن يستسقي الجار ويسكب

حلف أبو عبد الله بن أبي الحسين ابن عبي أن يصنع في ذلك شيئا فقال

ومحنة الاضلاع تحنوعلى الثرى * وتسقى نبات الترب در الترائب
 تعدّ من الافلاك ان مياهها * نجوم لرجم المحمل ذات ذوات
 وأعجبها رقص الغصون ذوابلا * فدارت بأمثال السيوف القواضب
 ونحسبها والروض ساق وقينة * فابرحا ما بين شاد وشارب
 وما خلتها تشكو تحنانها الصدا * ومن فوق متنها اطراد المذائب
 تخذ من مجاريها ودهمة لونها * يياض العطايا في سواد المطالب

ثم كلفت في أن أقول في ذلك وأنا أعتذر بأن هذين لم يتركألى ما أقول

وذات حنين لا تزال مطبقة * تتن وتبكي بالدموع السواكب
 كأن أليفا بأن عنها فأصبحت * يبربعه كالصعب بعد المطائب
 اذا ابتسمت فيها الرياض شماعة * ترعوا بأمثال القسي القواضب
 فكهم رققت أغصانها فرمتها * تارا كما بدرت حلى الكواعب
 لقد سخطت منها الثغور وأرضت * قدود ولم تحفل بتريب عائب
 شربت على تحنانها ذهبية * ذخيرة كسرى في العصور الذواهب
 فهاجت لى الكاس اذكاء مغاضب * فهاجسته اوجد ابدال المغاضب
 فلا تدع التبريز في كثرة الهوى * فلولاي كانت فيه احدى العجايب

قال وقت بغرناطة

يا كرا للهو ومن شاء عتب * لا يلبذ العيش الا بالطرب
 ما توانى من رأى الزهر زها * والصبا ترح في الروض خب
 وشذاه صانه حتى اغتدى * بين أيدي الريح غصنا ينتهب
 يانسى ما عطر الارجا هل * بعثوا صمك ما يشقى الكرب
 هم أعلوه وهم يشفونه * لاشفاء الله من ذاك الوصب
 خلع الروض عليه زهره * حين وافى من ذراكم فعل صب
 فأبى الاشذاه فاشنى * حاملا من عرفه ما قد غصب
 لست ذا نكر لان يشبهكم * من بعثتم غير ذا منه العجب
 غالب الاغصان في بدأته * ثم لما زاد أعطته الغلب
 فبكي الطلل عليها رحمة * أو بكى من وعظ طير قد خطب
 كل هذا قد دعاني لتي * ملكت رقى على متر الحقب
 قهوة أبسم من عجبها * عند ما تبسم عجبها عن حبيب

ما كنت انحر فلما شعثت * قلت ما الخمر بالماء الذهب
وبدت من كأسها الى فضة * ملئت اذ خدعت ذوب الذهب
اسقنيها من يدي مشبهها * بالذي يحويه طريف وشنب
لا جعلت الدهر نقلي غيرما * لذى من ريق نغر كالضرب
لا جعلت الدهر ربحاني سوى * ما يجنيه من الورد اتخب
لم ازل أقطع دهرى هكذا * وكذا أقطع منه المرتقب
حبذا عيش قطعنا مادي * معطف النابور ما فيه نصيب
مع من لم يدري وما بالحقا * من أراح الصب فيه من تعب
كل ما يصد رمنه حسن * لم يذقني في الهوى من الغضب
أى عيش سمح الدهر به * كل نعمى ذهبت لما ذهب
قال ودخلت بتونس مع أبي العباس القسائي حاما ففتقرنا الى غلمان في نهاية الحسن
ونعممة الابدان فقات مخاطبها

دخلت حاما وقصدي به * تنعيم جسم فقد الى عذاب
قلت لظي فاعترضت حوره * وقت عدن فنهاني التهاب
وأنت في الفضل امام فكن * في الحكم عن حاز فصل الخطاب
فقال

لا تأمن الحمام في فعهله * فليس ما يأنه عندي صواب
فما أرى أخدع منه ولا * أكذب الا أن يكون السراب
يبدى لك الغيب دكورا الذي * ويلبس الشيخ برود الشباب
ظن به النار فلا جنة * للعسن الا ما حوته الشيا

(ومن فوائده) أعنى ابن سعيد رحمه الله تعالى في كتابه المحلى بالاشعار نقله عن القرطبي
قضية بناء اليهود حبر وضة مصر وهو من منتزهات الخلقاء القاطمين العظيمة العجيبة البناء
البدیعة وذلك أنه يقال ان الباني له الخليفة الآخر باحكام الله للبدوية التي غلب عليه حبها
يجوار البستان المختار وكان يتردد اليه كثيرا وقل وهو متوجه اليه وما زال منتزها للخلقاء
من بعده * وقد أكثر الناس في حديث البدوية وابن مباح من بنى عمها وما يتعلق بذلك من
ذكر الآخر حتى صارت رواياتهم في هذا الشأن كحديث البطل وألف ليله وليله وما أشبه
ذلك والاختصار منه أن يقال ان الآخر قد كان يلى بعشق الجوارى العريسات وصارت له
عيون في البوادي فبلغه أن بالصعيد جارية من أهل العرب وأظرفهم شاعرة جميلة فيقال
انه تزيا بزي بذاة الاعراب وكان يجول في الاحياء الى أن انتهى الى حبيها ويات هناك
وتحميل حتى عاينها هناك فأملك صبره ورجع الى مقر ملكه وأرسل الى أهلها يخطبها وتروجها
فلما وصلت اليه صعب عليها مفارقة ما اعتادت وأحبت أن تسرح طرفها في الفضاء ولا
تنقبض نفسها تحت حيطان المدينة فبنى لها البناء المشهور في جزيرة النفس طاطا المعروف
بالهودج وكان غريب الشكل على شط النيل وبقيت متعلقة الخاطر بابن عم لها ربيت

يا ابن مباح اليك المشتكى * مالك من بعدكم قد ملكا
كنت في حيي طليقا آمرا * فانا لا ماشئت منكم مدركا
فانا الآن بقصر موصد * لا أرى الا خيضا عسكا
كم تمنينا كغصان النقا * حيث لا نخشى علينا دركا
فأياها فقال

بَقَّتْ عِي وَالتِّي غَضَبْتَهَا * بِالْهَوَى حَقَّ عَلَا وَاحْتَبَا
بَحَّتْ بِالشَّكْوَى وَعَنْدِي ضَعْفَهَا * لَوْ غَدَا يَتَقَعُ مِنْ الْمَشْنَكِي
مَالِكُ الْأَمْرِ إِلَيْهِ يَشْنَكِي * هَالِكٌ وَهُوَ الَّذِي قَدْ هَلَكَا

قال وللناس في طلب ابن مياح واختفائه أخبار تطول وكان من عرب طي في عصر
الاحمر طراد بن مهمل فقال وقد بلغت هذه الاموات

* أَلَا بَلِّغُوا الْأَحْمَرَ الْمَصْطَفَى
 * مَقَالَ طَبْرَاد وَنَعَم الْمَقَالَ
 * قَطَعَتِ الْإِلْفَيْنِ مِنْ أَلْفَةٍ
 * بِهَا سَمِرَ الْحَيَّ حَوْلَ الرِّحَالِ
 * كَذَا كَانَ آبَارُ الْإِكْرَمُونَ
 * سَأَلْتُ فَقُلْتُ جَوَابُ السُّؤَالِ

وقال الخليفة الآخر لما بلغته الايات نجواب سؤاله قطع لسانه على فضوله فطلب
في احياء العرب فلم يوجد فقليل ما أخسر صفقة طراد باع عدة آيات بثلاثة آيات وكان
بالاسكندرية مكبر الدولة أبو طالب أحمد بن عبد المجيد بن أحمد بن الحسين بن حديد له
مروءة عظيمة ويحتذى أفعال البراءة وللشعر فيه أمداح كثيرة ومدحه ظافر الحداد
وأمية أبو الصلت وغيرهما وكان له بستان يتفرج فيه به جرن كبير من رخام وهو قطعة
واحدة يتحدرفيه الماء فيسقى كالبركة من كبره وكان يرى في نفسه برؤيته زيادة على أهل
النعم والمباهلة في عصره فرش به للبدوية محبوبه الآمر فسأت الآمر في حمل الجرن إليها
فأرسل إلى ابن حديد في احضار الجرن فلم يجد بدتة من سله من البستان فلما صار إلى الآمر
أمر به عمله في الهودج فطلق ابن حديد وصارت في قلبه حرارة من أخذ الجرن فأخذ يخدم
البدوية بجميع من يلوزها بأنواع الخدم العظيمة الخارجة عن الحد في الكثرة
حتى قالت البدوية هذا الرجل أخجلنا بكثرة تحفه ولم يكلفنا قط أمر انقدر عليه عند
الخليفة مولانا فلما قيل له عنها هذا القول قال مالي حاجة بعد الدعاء لله بحفظه مكانها وطول
حياتها في عز غير رد السقية التي قلعت من داري التي بينتها في أيامهم من نعمتهم ترد إلى
مكانها فتعجب من ذلك وردتها عليه فقليل له قد حصلت في حد أن خيرتك البدوية في جميع
المطالب فترأت همتك إلى قطعة حجر فقال أنا أعرف بنفسى ما كان لها أمل سوى أن لا تغلب
في أخذ ذلك الحجر من مكانه وقد بلغها الله تعالى أمها وكان هذا المكين متولى قضاء
الاسكندرية وتظرفها في أيام الآخر وبلغ من علو همته وعظيم مروءته أن سلطان الملوك
حيدرة أخا الوزير المأمون بن البطائح لما قلده الآخر ولاية نجر الاسكندرية سنة سبع
عشرة وخسمائة وأضاف إليها الأعمال البحرية ووصل إلى النجف ووصف له الطبيب دهن

الشمع بحضرة القاضي المذكور فأمر في الحال بعض علمائه بالمضي إلى داره لاحتضار دهن
الشمع فما كان من أكثر من مسافة الطريق الا وقد أحضر حقا محتوما ففك عنه فوجد
فيه منديل لطيف مذهب على مذاق بلور فيه ثلاثة يوث كل بيت عليه قبة ذهب مشبكة
مرصعة ياقوت وجوهر بيت دهن يمسك وبيت دهن بكافور وبيت دهن بعنبر طيب
ولم يكن فيه شيء مصنوع لوقته فعندما أحضره الرسول تعجب المؤمن والمخاضرون من علو
همته فعندما شاهد القاضي ذلك بالغ في شكر انعامه وحلف بالحرام ان عاد إلى ملكه
وكان من جواب المؤمن وقد قبلته منك لا حاجة اليه ولا تظرف في قيمته بل لاظهار
هذه الهمة واذا عتتها وذكر أن قيمة هذا المذاق وما عليه خمسمائة دينار فانظر رحمك الله
تعالى إلى من يكون دهن الشمع عنده في اثناء قيمته خمسمائة دينار ودهن الشمع لا يكاد
أكثر الناس يحتاج اليه فلذا تكون ثباته وحلي نسيانه وفرش داره وغير ذلك من
الجميلات وهذا انما هو حال قاضي الاسكندرية ومن قاضي الاسكندرية بالنسبة
إلى أعيان الدولة بالحضرة وما نسبته أعيان الدولة وان عظمت أحوالهم إلى أمر الخلافة
وأبهرت الأيسر حقير وما زال الخليفة الأمر يتردد إلى اليهودج المذكور إلى أن ركب
يوم الثلاثاء رابع القعدة سنة ٥٢٤ يريد اليهودج وقد كن له عتدة من الترابية على
رأس الجسر من ناحية الروضة فوثبوا عليه وأثخنوه بالجراحة وسحب في العشاري إلى
الواوئة فأت بها وقيل قبل أن يصل إليها وقد خرب هذا اليهودج وجهل مكانه من الروضة
ولله عاقبة الامور نقل ذلك كله الحافظ المقرري رحمه الله تعالى قال النور بن سعيد
ومن خطبه نقلت لما نزلنا بطلع فرحين خرجنا من سنجار إلى الموصل سألت أحد شيوخنا
عن والده شهاب الدين التلعفري فقال انا أدركته وكان كثير التجول وأنشدني لنفسه
في عيد أدركه في غير بلده

يبتهج الناس اذا عيدوا * وعند سراتهم أكيد
لاني ابصر أحبابهم * ومقلاتي محبوبها تفقد

قال وخرج ابنه الشهاب أجول منه شخصا وشعرا وصدق فيما قاله وأنشد ابن سعيد
لشهاب التلعفري

لأنك تغر كلواؤ في عقيق * ورضاب كالشهدأ وكالرحيق
وجفون لم يمتشق سيفها الا لغري بقدرك المشوق
بنت عجبا بكل فن من الحس * ن جليل وكل معنى دقيق
وتعزدت بالجمال الذي خللاك مستوحشا بغير رفيق
باللحاظ التي لها لم تنزل تر * شوقا بي وبانقوام الرشيق
لاتغر بالغويرا ذنتني * فيه أعطاف كل غصن ووريق
وانن محمور د خذيك واستر * والاي ناشق قلب السعيق

قال ابن سعيد وحظي الشهاب التلعفري بمناذمة الملوك وكونهم يقدمونه ويقبلون على شعره
وعهدى به لا ينشد أحد قبله في مجلس الملك الناصر على كثرة الشعراء وكثرة من يعتني بهم ولما

جمعت للملك الناصر كتاب مائة الشعر جعلت ملك شعر الشهاب البيت الرابع من المقطوعة
 المتقدمة فانه كان كثيرا ما ينشد ويتوهمه والتشفي من ذكر الشهاب ومحاسن شعره له
 مكن بكتاب الغزة الطالعة في فضلاء المائة السابعة وهو الآن عند الملك المنصور صاحب
 حمام قد عانت سنه وما فارقه غرامه ودنه انتهى ولما أجرى ابن سعيد في بعض مصنفاته ذكر
 الملك العادل بن ايوب قال مانصه وكان من أعظم السلاطين دهاء وحزما وكان يضرب
 به المثل في افساد القلوب على أعدائه واصلاح حاله ويحكى انه بشره شخص بأن أميراً من
 امراء الافضل بن صلاح الدين فسد عليه فأعطاه مالا جزيلا وأرسل مستخفيا الى المذكور
 يزيد بصيرة في الانحراف عن الافضل ويعده بما يفسد الصالح فكيف الفاسد قال وكان يمنع
 حتى يوصف بالخيال ويجود في مواضع الجود حتى يوصف بالسماح وكان صلاح الدين
 وهو السلطان يأخذ برأيه وقدم له أحد المصنفين كتابا مصورا في مكابد الحروب ومنازلة
 المدن وهو حينئذ على عكا محاصرا للفرنج فقال له ما تحتاج الى هذا الكتاب ومعنا أخونا
 أبو بكر وكان كثير المداواة والحزم ومن حكايته في ذلك ان أحد الاشياخ من خواصه
 قال له يوما وهو على سباطه يأكل ياخوند ما وفتت معي ولا رعيت سابق خدمتي وكلمه
 به الله السي وقدم العجبة قبل الملك فقال له ماليك أنظر واوسطه فخلوا الكمران وقال
 خذوا الصرة التي فيه فوجدوا صرة فقال افتحوها ففتحوها فاذا فيها درور فقال العادل
 كل من هذا الدرور فتوقف وعلم أنه مطلع على انه سم فقال كيف نسبتني الى قلة
 الوفاء وأنا منذ سنين اعلم أنك تريد أن تسعني بهذا السم وقد جعل لك الملك الملا في على
 ذلك عشرة آلاف دينار فلا أنا أمكنتك من نفسي ولا أشعرتك لئلا يكون في ذلك مالا
 خفاء به وتركتك على حالك وأنا مع هذا لا أغير عليك نعمة ثم قال رددوا سمه الى كمرانه لا أبقى
 الله تعالى عليه ان قدر وأبقى على فجعل يقبل الارض ويقول هكذا والله كان وأما نائب
 لله تعالى ثم ان الشيخ جدد توبة واستأنف أدبا آخر وخدمة أخرى وكانت هذه الفعلة من
 احدي عجائب العادل قال وكان كثير المصانعات حتى انه يصوغ الحلي الذي يصلح لساء
 الفرج ويوجهه في الخفية اليهن حتى يسكن أزواجهن عن الحركة وله في ذلك مع ملوك
 الاسلام ما يطول ذكره ولما خرج ابن أخيه العزاسماعيل بن ظفر كين باليمن وخطب لنفسه
 بالندوة وكتب له أن يسابعه ويخطب له في بلاده كان في الجماعة من أشار الى المنظر في توجيه
 عسكري في البر والبحر وانفاق الاموال قبل أن يتفاهم أمره فضحك وقال من يكون عقله
 هذا العقل لا يزوج خجيه الى كبير مؤنة أنا أعرف كيف أفسد عليه حاله في بلاده فضلا عن
 أن يتطرق فساد له بلادي ثم انه وجه في الامر لاصحاب دولته بالوعد والوعيد وقال لهم أنتم
 تعملون بعقولكم أن هذا لا يسوغ لي فكيف يسوغ له وقد أدخل نفسه في أمر لا يخرج
 منه الا بهلاكه فاحذروا ان تهلكوا معه واتعظوا بالآية ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم
 النار وما لهذا عقل يدبر به نفسه فكيف يفضل عن تدبير خاصته اليكم ولتعلن نبأه بعد حين
 فعند ما وعت أسماعهم هذا وتدبروه بعقولهم قبضوا عليه وقتلوه وعادت البلاد للعادل
 وقال للمشيرين عليه في أول الامر تجهيزا العسكر قد كفينا المؤنة بأيسر شيء من المال

ولو حوائله بما اشترى به لم تقم خزائن ملكه بالبوغ الى غاية وكان على ما بلغه من عظمة
السلطان واتساع الممالك يحكى ما جرى له من زمان خلقه من ذلك ويجب الاستماع بنوادر
أنزال العالم واشتهر في خدمته ما خراشهم خضير صاحب البستان المشهور عند
الربوة بغوطه دمشق ومن نوادره الحاضرة منه انه سمعه يوما وهو يقول في وضوئه
اللهم حاسبني حسابا يسيرا ولا تحاسبني حسابا عسيرا فقال له يا خوند علي أي شيء يحاسبك
حسابا عسيرا اذا قال لك أين أموال الخلق التي أخذتها فقل لها يا أماتها في الكرك
وكان قد صنع بهذا المعقل الحشرات سميت بذلك لان من رآها يتحسر اذا نظرها ولا يستطيع
على شيء منها بحيلة وهي خراب مقروعة من ذهب وفضة تركت بمرأى من الناظرين ليشتهر
ذلك في الآفاق وقال العادل مرة وقد جرى ذكر البرامكة وأمثالهم عن ذكر في كتاب
المستجد في حكايات الاجواد انما هذا كذب محتلق من الوراقين ومن المؤرخين
يقصدون بذلك أن يحركوا هم الملوك والاكابر للسخاء وتبذير الاموال فقال خضير يا خوند
ولا شيء ما يكذبون عليك قال ابن سعيد من وقف على حكايات أبي العيناء مع عبيد الله
ابن سليمان يجد مثل هذه الحكاية قال ابن سعيد ووجدت الشهاب القوصي قد ذكر
السلطان العادل في كتاب المعاجم وابتدأ الكتاب المذكور بمحاسنه والثناء عليه
وخرج عنه الحديث النبوي عن الحافظ السلفي وتمثل فيه عند وفاته

ألام علي بكائي خير ملك • وقل له بكائي بالبيع
به كان الشباب بجميع همري • ودهري كله زمن الربيع
ففرق بيننا زمن خـوون • له شغف بفسر يق البيع

قال ابن سعيد ودفن العادل بمدرسة العادلية بدمشق وكان أنشأها للشافعية وهي في نهاية
الحسن وبها خزنة كتب فيها تاريخ ابن عساكر وذييل هذا التاريخ واختصره أبو شامة
سمعت عليه منه هناك ما يسر أيام اقامتي بدمشق وأولاد العادل ملوك البلاد في صدر هذه
المائة السابعة منهم الكامل والمعظم والانشرف وهو الآن ثلاثة شهر وبالفضل وحسب
الفضلاء وقول الشعراء انتهى وقال ابن سعيد في ترجمة الرئيس صفي الدين أحمد بن سعيد
المردغاني وهو من بيت وزارة ورياسة بدمشق ان من شعره قوله

كيف طابت نفوسكم بهراقى • وفراق الاحباب مر المذاق
لو علمتم بلوعتي وصبابا • في ووجدى وزفرتي واحتراقى
لرثيت للمستهام المعنى • ووفيت بالعهد والميثاق

قال ابن سعيد وقفت على ذكر هذا الرئيس في كتاب تاج المعاجم ووجدت صاحبه الشهاب
القوصي قد قال أخبرتني بدمشق أنه قد كان عزم على السفر منها الى مصر لمرضاق به
صدره فتهافت به هاتف في النوم وأنشده

يا أحمد اقطع بالذي أعطيت • ان كنت لا ترضى لنفسك ذلها
ودع السكاثر في القتي لما شر • أضحووا على جمع الدراهم ولها
واعلم بأن الله جل جلاله • لم يخلق الدنيا لاجلاك كلها

فأثنى عزمه عن الحركة ثم بلغ ما أملاه دون سفر وقال ابن سعيد في ترجمة المنجب أحمد بن عبد الكريم الدمشقي المعروف بدقترخوان وهو الذي يقرأ الدفاترين أيدي الملوكة والأكابر أنه كان يقرأ الدفاترين أيدي العادل بن أيوب وكان يكتب له بالاشعار في المواسم والفصول فينال من خيره وكتب له مرة وقد أظلم الشتاء في دمشق فقال

مولاي جاء الشتاء * والكيس منه خلاء

لا زال يجري بجمار * ضي علاك القضاء

وكل مكاف اليه * يحتاج فيه التواء

فقال له العادل هذا الضمير الذي في البيت الأول على ماذا يعود قال بحسب مكارم السلطان ان شئت على الدراهم وان شئت على الدفاتر فضحك وقال هات كيسك فأخرج له كيسا يسع قدر مائة دينار فخلاه له وقال أظنه كان معدا عندك فقال مثل السلطان من يكون جوده مطنونا وكتب اليه مرة وقد أملق

أنتظر الى بعين جودك مرة * قلعل محروم المطالب يرزق

طير الرجاء على علاك مخلق * وأظنه سي يعود وهو مخلق

فأعطاه جملة دنائير وقال له اشتر به ما تخلق به طير ربائك انتهى وأنشد ابن سعيد رحمه

الله تعالى لبعض المغاربة وهو أبو الحسن علي بن مروان الرباطي الكاتب

أنا أخى الفضل كتاب أتيق * أوصاحب بعني بودوثيق

فان تعسر دون رهن به * تخسره أو تخسر وداد الصديق

وربما تخسر هذا وذا * فاسمع رعال الله نصيح الشفيق

قال وأجابه المخاطب بهذه الأبيات وهو ابن الربيب بثرنصه مثلك يفيد تجربة قد تفق عليها تخمرو ضل عن قوائدها غر وغر وقد أنفذت رهنا لا يسمع بأخراجك إلا ليدك فتفضل بتوجيه الجزء الأول فأنا علم أنه عندك مثل ولدك قال فوجهه ومعه بطاقة صغيرة فيها يا أخى ان عرضت بولدي فكذلك كنت مع والدي وقد غوارثنا العقوق كابر اعن كابر فكن شاكرا فاني صابر ثم قال ابن سعيد وتفاقم أمر ولده فقيد به بقيد حديد وقال فيه

لي ولد باليسه * لم يك عندي يخلق

يجهد في كل الذي * يرغم وهو يعشق

وان أكن قيده * دمي عليه مطلق

وذكر ابن سعيد أن الكاتب أبا الحسن المذكور كان كثيرا ما يستعير الكتب فإذا طلبت منه فكأنها ما كانت قد كرل بعض أصحابه وهو ابن الربيب المؤرخ أن عنده نسخة جليلة من تاريخ غريب الذي تلخص فيه تاريخ الطبري واستدرك عليه ما هو من شرطه وذيل ما حدث بعده فأرسل اليه في استعارتها فكتب اليه يا أخى سدد الله آراءك وجعل عقلك أما من لا وراءك ما يلزمني من كونك مضيعا أن أكون كذلك والنسخة التي رمت اعارتها هي مؤنسي اذا وحشتي الناس وكأتم سرى اذا خافوني فما أعبرها الا بشئ أعلم أنك تتأذى به فقهه اذا فقد جزء من النسخة وأنا الذي أقول أنا أخى الفضل كتاب أتيق الى آخره

وأشد لكاتب أبي الحسن المذكور

ان ذلك العذار قام بعذري * وفشافي به للعواذل سرى
مارأينا من قبل ذلك مسكا * صاغ منه الاله هالة بدر
أي آس من حول جنة ورد * ليس منه آس مدى الدهر يبرى
ولما اشتد مرضه بين لسان وفاس قال هذه الايات وأوصى أن تكتب على قبره

الارحم الله حيادعا * لميت قضى بالفلاحيه

تمز السواقي على قبره * فتهدي لاحبابه تربه

وليس له عمل يرتجي * ولكنه يرتجي ربه

* (رجع) الى نظم ابن سعيد المترجم به فنقول وقال لما سار المعظم من حسن كيفاوة
آل أمره الى الملك ثم القتل والهالك

ليت المعظم لم يسر من حصنه * يوما ولا وافي الى أملاكه

ان العناصر اذ رأته مكمل * حسدته فاجتمعت على اهلاكه

* ومما نقلته من ديوانه الذي رتبته على حروف المعجم قوله رحمه الله تعالى وقلت بالقاهرة
على لسان من كلفني ذلك

شرف الدين بن لي ما السبب * في انقلاب الدهر لي عند الغضب

قلتم غضبان أنظف بالمني * ليس لي في غير هذا من أرب

انما ظهر له عندى قبله * ووضوح الدهر من ذلك الشنب

وأستغفر الله من قول الكذب قال وقلت بأشبيلية

قد جاء نصر الله والفتح * والصبح لما رضيت صبح

فهنتوني بارتجاع المني * لولا الرضا ما برح البحر

يا أورك يا غصنا يا نقا * يا طبيب به بالليل يا صبح

يصحوب جميع الناس من سكرهم * ولست من سكر كواصحو

بلغت فيه غاية لم يبين * غايتها التفسير والشرح

وينصح العذال من لي بأن * يعذلني عن غيرك النصيح

وقلت بأشبيلية

وضع الصبح فأين القدح * يعرف الذات من يصطح

ما ترى الليل كطرف أدهم * وضياء الفجر فيه وضع

والترى دججه در الندى * وعلى الاغصان منه ونح

ومدير الراح لم يعد المني * كل ما يأتي به مقترح

في بطاح المرج قد نادمني * وشأ من سكره ينبطح

جعل المسوال ستر اللعني * فكأن قبل فاه قنرح

كلما شئت الذي قد شاءه * فحني ككاسه اقتح

ما أبالي ان رأني كاشح * أم رأني من لديه نصح

هكذا العيش ودع عيش الذي * خاف من نقد اذا يفتضح

وقلت بشر ريش

ظباب الشراب لمعشر * سلبوا المروءة فاستراحوا
لا يعرفون تسيرا * السكر عندهم مباح
متهتكون لدى المني * وفسادهم فيها صلاح
ساقهم ~~سهم~~ مبتذل * هل يمنع الماء القراح
غصن يميل به الصبا * رذته طوع الراح راح
طوع الاماني ~~كلما~~ * يأتي به فهو اقتراح
ما ان ييالي ان بدا * الا يلوح لنا الصباح
ما زلت أرشف تغره * وعليه من عضدي وشاح
والقلب يهفوا طائرا * ولعا ولا يخشى اقتضاح
ولواتنا ~~نخشا~~ ~~هكنا~~ * ن لنا من الظلم اجناح
لكننا في ~~هصبة~~ * ماني تهتكهم جناح
لا ينكرون سوى ثقي ~~ل~~ لا يميل ~~ل~~ به مزاح
أفنى الذي قد جعرو * الكاس والحدق الملاح

وقلت بمرا كش

قم هاتوا للاح الصباح * ما العيش الا الاصطباح
مع قبة مادأبهم * الا المروءة والسماح
جربتهم فوجدتهم * ما للمني عنهم براح
يقنيهم فهو الصبي * نقر المثاني والمراح
ما نادوا شخصا فكا * ن لهم بخدمة استراح
يل يعرفون مكانه * فله اذا شاء اقتراح
هم يتعبون وضيقتهم * مادام عندهم براح
ما ان يملون التزيت ~~ل~~ وبالرضامنه السراح
يدعونه بأجل ما * يدعي به الحز الصراح
حتى اذا ما بان ~~ك~~ كثر رعيشتهم منه اقتراح
فعلى مثالهم يا * حلى المدامع والنواح
كرها فقد بدتهم فحا * لي بعد بعدهم ارتياح
لله شوقي ان هفت * من نحو أرضهم الرياح
فهناك قلبي طائر * لهم ومن شوقي جناح

قال وقالت بديعة ابن السليم في وصف كاب صيد أسود في عنقه بياض

وأدهم دون حلى ظيل حالى * كان ليلا يقلبه صباح
بطير وماله ريش ولكن * متى يهفو فأربعه جناح

تصكل الطير مهما نازعته * وتحسده اذا مر الرياح
له الا لحاظ مهما جاء سلك * ومهما سار فهي له وشاح

وقلت في نيل مصر

يا نيل مصر أين حص ونهرها * حيث المناظر أنجم تلتاح
في كل شط للتواظر مسرح * تدعو اليه منازح وبطاح
واذا سبحت فلبت أسبح خاتفا * ما فيه تباح ولا تمساح

قال وقت وقد حضرت مع اخوان لي بموضع يعرف بالسلطانة على نهر اشبيلية وقد
مالت الشمس للغروب

رق الاصيل فواصل الاقداحا * واشرب الى وقت الصباح صباحا
وانظر لشمس الافق طائرة وقد * ألقت على صفح الخليج جناحا
فاظفر بصفر الافق قبل غروبها * واستنطق المنى واث الراحا
متع جفونك في الحديقة قبل أن * يكسوا الظلام جمالها أماسا

وقلت بمرسية

أقلقه وجسده فباحا * وزاد تير يحسه فناحا
ورام يثنى الدموع لما * برت فزادت له جماحا
يا من جفا فارقت عليه * مستعبدا لا يرى السراحا
يكابد الموت كل حين * لو أنه مات لاسستراحا
ينزوا اذا ما الرياح هبت * مكانه يعشق الرياحا
يسألها عن ربوع حص * لما ناء سرورها وفاحا
كم قد بكى للعمام كيدا * به سرورها فحوا جناحا

قال وتخرجت مرة مع أبي اسحق ابراهيم بن سهل الاسرائيلي الى مرج القصة بنهر اشبيلية
فتشاركنا في هذا الشعر

غبرى عيل الى كلام اللاحى * ويمتدراحنه لغير الراح
لا سيما والغصن يزهر زهره * ويميل عطف الشارب المرتاح
وقد استطار القلب ساجع ايكه * من كل ما أشكوه ليس بصاح
قديان عنه جناحه عجباله * من جانيح للعجز حلف جناح
بين الرياض وقد غدا في مأتم * وتخاله قد ظل في افراح
الغصن يرح تحته والنهر في * قصف تزجيه يد الارواح
وكانما الانسام فوق جناحه * أعلام ترفوق سرورماح
لا غرو ان قامت عليه أسطر * لما رأته مدرعا لكفاح
فاذا تتابع موجه لدفاعه * مالت عليه قفل حلف صباح

قال وقات بمالقة متشوقا الى الجزيرة الخضراء

يا نسيمان نحو تلك النواحي * كيف باتت نور تلك البطاح

أسقمتها الغمام ريا فلاحا * في رداء ومشي زرو وشاح
 أم جفته فصيرته هشيما * تركته تذروه هوج الرياح
 يا زمانى بالحاجبية انى * لست من سكر ما سقيت بصاحي
 آه مما لقيت بعدك من هم وشوق وغسرية وانتزاح
 أين قوم ألفتهم قبلنا * قرب الدهر آذنا بالروح
 تركوني أسير وجد وشوق * مالم يلبس من الجوى من سراح
 أسلموني للويل حتى تولوا * وأصاخوا ظملا القول اللواحي
 أعرضوا ثم عرّضوني لشوق * ترك القلب مثقنا بجراح
 أسهر الليل لست أغف الصبح * أترى النوم ذاهبا بالصباح
 قد بدا يظهر النجوم حلما * وهو من لينة الصبا في براح
 مسبل استره منى بال * وجفوني من سهد في كفاح
 أيها الليل لا تؤمل خلودا * عن قريب يحو ظلامك ما حي
 ويلوح الصباح مشرق نور * فيه للمستهم بدء نجاح
 ان يوم الفراق بتدشلي * طائرا ليتسه بغير جناح
 حالك اللون شبه لونك فاعرف * عن عياني يا شبه طير التراح
 واذا ما بدا الصباح فيا شبيهه * الألوان الحدود الملاح

وقلت بالجزيرة الخضراء

قد رفعت راية الصباح * تدعو الندامى للاصطباح
 فبادروا للصباح انى * قد بعثت في غيبه صلاحى
 ولا تملوا عن رشف ثغر * وسمع شدو وشرب راح
 وأنت يا من يروم نصي * قد ينس القوم من فلاحى
 لست أصغى الى نصيح * ما نهضت بالكؤوس راحى

قال وقلت أمدح ملكا فريقيمة وأهنيه بقتل نائير من زناتة يدعى أنه من نسل يعقوب المنصور

برح بي من ليس عنه براح * ومن رأى قتلى حلالا صباح
 من صرح الدمع بحبي له * ومال قلبي عن هواه سراح
 ظبي عدمت الصبح مذمتنى * وكيف لا يعدم وهو الصباح
 مورد الخلد شهى اللما * منع الردف جذيب الوشاح
 تظنه من قلبه جليدا * ومنه للماء بجفته انسياح
 لردفه أضعف من صبه * ولم أزل من لحظه في كفاح
 نشوان من ريقته عريبت * أجفاته بالمرهفات الصفاح
 فها أنينى خافت مثل ما * أنا أسير مثخن بالجراح
 يا قاتلى صدا أما تسنحى * أن تلزم الجمل بأرض السماح

من ذا الذي يخلق تونس * والملح فيها صار عذابا قراح
 وأصبحت أرجاؤها جنة * مبيضة الابراج خضراء البطاح
 لولا ندى يحيي وتد بيرة * ما برحت تعبهم منها النواح
 لكن يدام سحاب ككلا * حلت بأرض حل فيها النجاح
 هذا وقد آمن من حالها * وحققها من غربة وانتزاح
 كم شتوا من قبل تأميره * وحكمت فيهم عوالي الرماح
 ياسائرا يرجو بلوغ المنا * باكر ذرى يحيي وقل لارواح
 وحيه بالمدح فهو الذي * يستزكاه ندى حين امتداح
 بالشرق والغرب غدا ذكره * يبحث من حمد وشكر جناح
 ساعده السعد وأضحت له الامال تجرى في سيرا قتراح
 ويسر الله له ملاحكه * من غير أن يشهر فيه السلاح
 وكل من كان على غيره * ذامنة أمسى به مستباح
 وكم جوح عند ما قام بالامر رأى القهر نفلى الجراح
 كف يكف للندى والردى * بهاء عمان وهي خرس فصاح
 حتى لقد أحسن من سعدة * تجرى على ما يرتضيه الرياح
 قولوا ليعقوب فماذا جئ * وابن أبي حمزة ماذا استباح
 قد أصبحا من فوق جذعين لا * يؤنسهم غير هبوب الرياح
 واسأل عن الداعي الذي * حاول أمرا كان عنه الصراح
 أكان من صيره والدا * بزعمه أقتل فيه فلاح
 شكرا لسعد لم يدع فرقة * قد صير الملك كضرب القداح
 راموا بلا جاء ولا محتد * ما حزت بالحق فكان افتصاح
 زناة بهنيكم فعلكم * عاجلهم نائر كم باجتيح
 كفى ما قدمتم آخرا * والنمير ان يسبح للشرماح
 عهدى به في موكب الملك ما * بينكم نشوان من غير راح
 يحسب أن الارض ملكا له * وروحه ملك لسير الرماح
 غدا بعز الملك ككنه * أهون مملوك على الارض راح
 جاؤا به يمحرج في عزه * وهم أزالوا عنه ذلك المراح
 فوقعوا في القرب منه الردى * من حجة الاجرب يحشى الصراح
 فأمر عوا نحول ينفون ما * عودتهم من عطفة والتماح
 فغادروه جانبا غدرة * لطائر البين عليه نباح
 فالمد الله على كل ما * سنى لك السعد برغم اللواح
 مثلك لا يتقدم ما شاءه * فلست تأتى الدهر الاصلاح
 لازات في عز وفي مكنة * وفي سرور دائم وانفساح

قال وقلت بينونش موضع العرجة بسبته

اشرب على بينونش * بين السواني والبطاح
مع قتيبة مثل النجو * م لهم اذا مسروا جناح
ما قيهـم متبذل * لا ينزع الماء القراح
كل يدعيه * ما في الذي يأتي جناح
هبوا عليه كلما * هبت على الروض الرياح
طوع الاماني كلما * يأتي به فهو اقتراح
عانقه حتى تركت بخصره أثر الوشاح

وقلت باشيدلية

أوجه صبح أم الصباح * ولطها أم ظبي الصقاح
وتغرها أم تطيم در * وريقها أم سلاف راح
وقتها أم قوام غصن * وعرفها أم شذا البطاح
يا حبذا زورة تأنت * منها على غفلة اللواح
فلم أصدق بهاسرورا * وظلت نشوان دون راح
أما منعت السلام دهر * ولا رسول سوى الرياح
قالت ألافانس ما تقضى * فن يدع ما مضى استراح
يا حبذاها وقد تأنت * من دون وعد ولا اقتراح
زارت ومن نورها دليل * واللبل قد أسبل الجناح
أخنت سراها فباح نشر * لها يعرف فشا وفاح
وافت فأمسي في مدا * وساعداي لها وشاح
كأنما بت بين روض * والغصن والورد والافاح
فبينما الشمل في انتظام * اذ سمعت داعي الفلاح
فغادرتني فقلت عذرا * قالت أما تحذر اقتضاح
ولت وما خلت من صباح * يبدو على اثره صباح

قال وقلت بتونس

لا امرحبا بالبين لما بدا * يسحب من ابل عليه الوشاح
همزق الجلباب يحكي ضحي * هامة زنجي عليها جراح
وان تصفحه فلا حبذا * ما قد أتى تصفيه بانـتراح

وقلت بالجزيرة الخضراء وقد كلفت ذلك

غرامى بأقوال العدى كيف ينسخ * وعهدى وقد أحكمته كيف ينسخ
كلامكم لا يدخل السمع نصحه * واسكن اذا حرت ضم ليس يرخ
وبي بدرتم قد ذلت لحسنه * فن ذا الذي فيما أتيت يوخ
اذا خصموني في هواه خصمهم * ويغسون تنقيصى بذالك فأشمخ

أرى أننى فضلا على كل عاشق * فقصتنا فى الدهر عما يؤرخ
فما بشر مشىل له فى جماله * ووجدى به فى العشق ليس له أخ
وقلت بالاسكندرية وقد تعذر على الحج عند وصولي اليها سنة تسع وثلاثين وستمائة
قرب المزار ولا زمان يسعد * ~~ص~~كم ذا أقرب ما أراه يسعد
وارحمة لتسيم ذى غربة * ومع التغرب فاته ما يقصد
قد سار من أقصى المغرب فاصدا * من لذفيه مسيره اذ يجهد
فلكم بحار مع قفار جبتها * تلقى بها الصمصام ذعرا يرعد
ككابدتها عربا وروما ليتنى * اذ جرت صعب صراطها لا طرد
يا سائرين لى ~~ب~~رب بلغتمو * قد عاقنى عنها الزمان الانكد
أعلمتمو ان طمرت دون محلهما * سبعا وهما انا اذ تدانى مقعد
يا عاذلى فيما أكابد قل فى * ما أبغى به صباية وتسعد
لم تلتق ما القيت به فعذلتنى * لا يعذر المشتاق الا ~~م~~كم
لو كنت تعلم ما أروم دتوه * ما كنت فى هذا الغرام تفند
لا طاب عيشى أو أحل بطيبة * أفق به خير الانام محمد
صلى عليه من براه خيرة * من خلقه فهو الجميع المفرد
يا ليتنى بلغ ~~ت~~ لستم تراه * فيزاد سعادا من ينعم يسعد
فهناك لو أعطى منى محلة * من دونها حل السهى والفرقد
عنى شكت رمدا وانت شفاؤها * من دائها ذاك الثرى لا الاثمد
يا خير خلق الله مهما غبت عن * عليا مشاهدا فقلابى يشهد
ما باختيار القلب يترك جسمه * غير الزمان له بذلك تشهد
ياجنة الخلد التى قد جئتها * من دون بابك للجحيم توقد
صرم التواصل ذبل وصوارم * ما للجلب ~~د~~ على تقمها يد
فلئن حرمت بلوغ ما أملت به * فلدى ذكرى لا تزال ترد
فلتنعشوا من الزمائم بذكره * مادمت عن تلك المعالم أبعد
لولا ما بقيت حياتى ساعة * هو لى اذا مت اشتياقا مولد
ذكر يلبه من الثناء سحاب * أبدا على مر الزمان يجدد
من ذا الذى نرجوه لليوم الذى * يقضى الظمأ به ويحمى المورد
بالهف من وا فى هنالك وما له * من حبيب ذخر به يتزود
ما أرتجى عملا ولست أرتجى * ثقتى به ولست من يتزود
ما صح ايمان خلا من حبه * أبلا رياش يستعد مهند
عن ذكره لاحت عنه لحظة * ومديحه فى كل حفل أسرد
يا مادحا ~~ي~~نى ثوابا زائلا * فتواب مدحى فى الجنان أخلد
لولا رسول الله لم ندر الهدى * وبه غدا نرجو النجاة ونسعد

يا رحمة للعالمين بعثت والشدة نيا بجح الكفر ليل أريد
 أطلعت صبحا ساطعا فهديت للإيمان الأمن يحسد ويحسد
 لم تخش في مولانا لومسة لاثم * حتى أقر به الكفور المهد
 ونصرت دين الله غير محاذر * ودعوت في الأخرى الالى قد أصدوا
 رقيبت من حرب الأعداى شدة * لو كابدوها ساعة لتبدوا
 إبان لأحد عليهم عاضد * الا الا له ولم يخن من يعضد
 فمالك بالغار الذى هو من أدل المجزات وخاب من يترصد
 ووقاك من سم الذراع بلطفه * كما يغاظبك العدا والحسد
 والبلذع حن اليك والماء انهمى * ما بين خنك والخصابة شهيد
 والذئب أنطق للسدى أضحي به * يهذى الى سبل النجاح ويرشد
 وبليدة الاسرا حبالا وسمى الشصديق من أضحي بقولك يسعد
 وحبالا بالخلق العظيم ومججز الشكلم الذى يهذى به اذ يورد
 وبعثت بالقرآن غير معارض * فيه وأمسى من نحاء يعقد
 فتوالت الاحقاب وهو مبسرا * من أن يكون له مثال يوجد
 ولكم بليغ جال فصل خطابه * والسرج فى ضوء الغزاة تهجد
 رؤيت لك الارض التى لازال يور * م الحشر ربك فى ذراها يعبد
 ونصرت بالرعب الذى لما يزل * يترى كن ما عين تخصصك تفقد
 ففى تعرض طاعن أو حاد عن * حرم الهداية فالخسام مجرد
 يامن تخير من ذؤابة هاشم * نعم الفخار لها ونعم المتمد
 لسناك حسين بدا با آدم أقبلت * رعبا لآخر الملائك تسجد
 لم أستطع حصر الماء أعطينه * فذكرت بعضا واعتذارى منشد
 فاذا أقول اذا وصفت محمدا * فقد الكلام ووصفه لا ينقد
 فعليك يا خير الخلائق كلها * منى التحية والسلام البيرمد
 قال وقلت بأشبيابة

هل تمنع النهود * ما أبدت الخدود
 نعم وكم طعين * بطعننا شهيد
 بارية المحميا * حفت به السهود
 لم تسكر الحميا * بل ريقك البرود
 لله يا عذولى * ماتكم البرود
 ما زلت فيه أنفى * والوجد مستزيد
 يا هل ترى زمانا * مضى لنا يعود
 لدى القروى سقت * جنايا العهود
 حيث الفصون مالت * كأنها قدود

وزهرها تطيم * فكأنه عقود
 جاءها تغنى * أعطافها تميد
 وبالنسيم شقت * أنهرها برود
 فروعه سيوف * وسوره ينود
 هنالك كم دغنى * الى الورود رود
 قتلت كل سؤل * يقنى به الحسود
 قضيت فيه عيشا * ما بعده مزيد
 أضحي به وأمسي * مرخصا أميد
 فكأننى يزيد * كائن الوليد
 يجرى الزمان طوى * بكل ما أريد
 انحر ما كنتى * فالحلقى عبيد
 يحسنى لى اذا ما * أبصرتها تجود
 فهـ أنا اذا ما * فقدتها فقيد
 بامن يلوم بغيا * العذل لا يفيد
 اذا عدمت كلنى * فليس لى وجود

قال وقت باشيلية

أو ما نظرت الى الحمامة تنشد * والغصن من طرب بهياتاود
 وشاره تلقاء جائزة لها * لما يزل يبد النسيم يستد
 ألقى عليها الطل بردا سافعا * فشاؤه طول الزمان يردد
 أترى الحمامة من محب مخلص * أولى بشكر حين تغمره يد
 فلاثنين عليك ما أثنى بأعلى الغصن جنان الهذيل مغرد
 كم نعمة لى فى جنابك كم أكا * بد جهدها ايان بركا يجهد
 وقال

أرى العين منى تحسد الاذن كلما * بورت مدحة للعلم والفضل والمجد
 أحقق أنباء ولم ار صورة * كتحقيق الاخبار عن جنة الخلد
 فمن على عيني بلقيال انى * أخذت لها أمتا بذالك من السهد
 قال وقت أمدح ابن عى وأشكره على ما أذكره

آه مما كنت فىك الجواش * ودموعى على فوالسوافح
 واشتفاء من العدو مبين * كقدر العيش أى عيش لنازح
 يا أتم الانام حسنا أمتحسسن حتى يتم اطراء مادح
 يا زمان الوصال عودا فالى * طوحت بي لما غدت الطواش
 أين عيش العروس اذ يطح البكر حبيبى ما بين تلك الاباطح
 والامانى تترى ولا أحد يشصح اذ لا يصنى الى قول ناصح

وزمان السرور مريح مطيع * ورسم رسول الحبيب غادرنا
 ولصكم ليله آتاني بسلام طيب ولكن يزري بأذكي الروائح
 هو طيب فليس يحتاج طيبا * قد كفاه عرف من المسك فائح
 مثل عليا محمد لم تكن كسبا وما لا يكون في الطبع قاض
 يا كريم أتي من الجود مالا * كان يدري فوجدته المدائح
 وعلا كل ذي علا وأضحى * فحسب وما لا يرومه الناس طامح
 قد آتاني احسانك الغمر في اثني عشر سواه فكنت أكل مادح
 قاض بجر النوال منك ولا سا * ليدو ولم أزل فيه ساج
 مثل ما كسوتك في المدح * ح تبت العدا وما لوساخ
 أو رد الورد من طق كل شكر * حين أضحى طوع البنان مساح
 لون خدت الحبيب حين كسوه * حلة الحسن بالعيون الواح
 شفق سال بين عينيه صبح * حسنه قيد اللعاط السوارح
 لم أجد فيه من جناح ولا كن ثنائي عليه منك ما زال جاح
 لك يا ابن الحسين ذكرك جميل * صبر الكل نحو بابك جاح
 قد هدى نحوك التناء كليم * دى الى الروض باسمات التوافع
 فاعذر الناس ان أوالك أفوا * جاف كل بقصد فضلك راجح
 ما هدتم اليك الا الاماني * لم تحلهم الا عليك القرائح
 قل لذي المفخر الحديث تأخر * ليس مهر في شأوه مثل قارح
 أي أصل وأي فرع أقاما * شرفا ظلال للنجوم بناطح
 قد حوت مذج من الفخر لما * كنت منها ما ليس يحويه شارح
 أفق محمد قد زانه منك بدر * في ظلام الخطوب ما زال لائح
 بدرتم حقت به هالة من * يت مجسد علاؤها الدهر واضح
 يا سما كعبكم القنم الاعلى بدا بين أنجيم الملك راجح
 رفيع الله لا كتابه قدرا * بعد ما كابدت نوال الفضائح
 يا أعز الانام نقسا وأعلا * هم محلا لزال أمرك راجح
 أين أعدائك الذين رعى سيوفك فيهم فأشبهوا قوم صالح
 أفسد الدهر حالهم ليريح * لك رغبنا من يناويك طامح
 دمت في عزة وسعد مدى الدهر * رولا زال طائر من منسك سائح

وابن عمه المذكور قال في حقه في المغرب ما ملخصه انه الرئيس الاعلى ذو الفضائل الجمة
 أبو عبد الله محمد بن الحسين بن أبي الحسين سعيد بن الحسين بن سعيد بن خلف بن سعيد قال
 واجتماع نسبنا مع هذا الرئيس في سعيد بن خلف وهو الآن قد اشتغل عليه ملك افر بقية
 اشغال المقله على انسانها * وقدمه في مهماته تقديم الصعدة لسانها * وأقام
 لنفسه مدينة حذاء حضرة تونس واعتزل فيها بعسكر الاندلس الذين صبرهم الملك

المنصور الى نظره وهو كما قال الفتح صاحب القلائد فقد جاء آخرهم فخدموا فخرهم ومن
نظمه وقد نزل على من قدم له مشروبا أسود اللون غليظا وخروبا وزيبيا أسود وزيبيا كثير
العصون جاءت به عجوز في طبق

ويوم نزلنا بعبد العزيز * فلاقى الله عبد العزيز
سقانا شرابا كرون الهناء * ونقلنا بقرون العنود
وجاءت عجوز فأهدت لنا * زيبيا كخيلا نخذ العجوز انتهى
ونزل السلطان أبو يحيى في بعض حركاته اوضع فيه نهر وعلى شطه نور فقال الرئيس أبو عبد
الله بن الحسين يصفه أو أمر بذلك

ونهر يرف الزهر في جنباته * ويتنى النسيم قضبه ويقنطر
يسيل كما عن الصباح بأفقه * والاصك كما شيم الحسام المجرور
عليه ايجي قبة هل سمعتم * بقصر صفة شمس حل فيها غصن فسر
فان قلت هذي قبة لعفاتها * فقل ذلك الوادي الذي سال كوثر
وقال أبو عمرو وأحمد بن مالك بن سعيد المير النخعي النشابي في ذلك

وأرض من الحميا يضاء قد جرت * جيد اول ماء دونها تتفجر
كما سبغت تبي الحياة أراقم * على روضة فيها الاقحاح المنور
والاصك كما شفت سبائك فضة * بساطا على حاقانه الدريتر

وقال أبو علي يونس

انظر الى منظر يسيلك منظره * ويزدهيك باذن الله مخبره
ومعجب معجب لا شيء يشبهه * خير ما غدير تم منه سره
كانما فرشت بالدر صفته * فالما ينظمه طورا ويثمه
كان خليفته قدت على قدر * بماها قسم يجري مفره
أحل سيدنا المأمون قبته * بجوزة فغدا يزدان جعفره
(رجع الى ما كتبه من اخبار الرئيس بن الحسين فنقول رأيت بالمغرب آخر كتاب روح
النهر من نسخة ملوكة كتبت له آياتا علق بحفظي منها الآن ما نصه
تم روح الشكر نسخا فأتى * مصعبا باليمن والفخر البعيد
لابي عبد الله المرتقى * في ذرى المجد الرئيس ابن سعيد
ولم أحفظ تمام الايات * وقال أبو الحسين بن علي بن سعيد كتبت اليه من آيات جعفر
يونس وقد نقل اليه بعض الحساد ما أوجب تغيره

ومن بعد هذا قد أتيت برقة * أما حسن أن لا تضيق به صيدرا
وعلمك حسبي بالامور فاني * عهدتك تدري سر أمرى والجهرا
وقد أصح الله الامور ببعيكم * ونيتكم صلحا على البشر والبشرى
ولم يسقلى الارض ان فان به * كتبت ولو حفا أطبت به العسرا
فبقيت كهفا للبعي وموتلا * ولازلت مادام الزمان لتاسرا

فكتب الى هذه الايات وكان مترضاً وبعث الى بما يذكر

أكف الصبا حفت جنى زهر الربى * سؤالك عن مضى يسامى بك الزهرا
بعثت بثمل الزهر في مثل صفحة * لذلك ما قلدها الشذر والذرا
معان لها أعذر وأعنى بها فكم * وقفت عليها العين والسمع والفكر
فلو عرضت للجر لم يلفظ الدرا * ولو عارضت هاروت لم ينفت السحرا
أيا حسن هيت ما قدم منجته * ضروبا من الآداب تحلى بها الدهرا
ودونك بجر من ودادى تلاطمت * به زخرات المسد لا يعرف الجزرا
فان خطرت في جانب منك هفوة * فيلا تحسب انى أضيق بها صدرا
يزل جواد عند ما يلغ المدى * ويعثر بالرمث التسميم اذا أسرى
فدع ذا وخذها شاتبات قرونها * عروبا لعوبا جائزا حكمها بـكـرا
ولو غادرت أوصافها متردما * لتسنت من أشعارها اذن الشعرا
ألا فاجبنيها عن صديق معمم * فان قصارى العمر أن يكي العمرا
ومن كان ذا حجر ونبل ورقة * فلا يخيلون الاعلى النجرة الجرا
قرنت بها صفراء لم تعرف الهوى * ولا ألقت وصيلا ولا عرفت هجرا
ولا ضجعت نضح العبير وان غمدت * تؤخره لونا وتفضحه نثرا
فان خلتها بنت الظلم اطلها * فقد فرش الاذن من تحتها تبرا
لها نسب بين الثريا والبرى * وسلب بها المزن والغصن النضرا
فشر بادهافا واتشاقا ولا ترم * عس البيت فترا أو تقسيم به شهرا

وله في الخشكلا

هو الاهل لکن * تدعونه خشكلانا

فان تفاءلت صحف * تجد حبيبك لانا انتهى باختصار

وحظي المذكور جدا عند السلطان ملك افريقية أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن
أبي حفص ولما مات السلطان المذكور وحدثت فتنة بموته واختلاف ثم استقرت
الدولة لابنه الشهير الكبير القدر أبي عبد الله المستنصر محمد وح طازم بالمقصودة وقاتل ابن
الابار القضاعى سخط على الرئيس ابن الحسين المذكور وقبض على دياره وأمواله
وصيره كالمحبوس فكتب اليه رقعة يطلب الاجتماع به في مصلحة للدولة فاحضره وسأله
فأخبره بأن أباه صنع دارا عظيمة تحت الارض وأودع فيها من أنواع المال والسلاح ما جعله
عدة وذخيرة لسلطانه ولم يترك على وجه الارض من له علم بهذا الموضع الذى أودعه نفائس
أمواله غيرى وأوصانى انه اذا انتقل الى جوار ربه اذ توقع أن تقع فتنة بين أقاربه انه اذا
انقضت سنة واستقر الامر لاحد من ولدى أو من يتبع انه يصلح لامور المسلمين فأطلعه
على هذه الدخائر فر بما قنيت الاموال بالفتنة فلا يجد القائم بالامر ما يصلح به الدولة اذا تقوى
للتدبير والسياسة ففرح السلطان وبأدرالى تلك الدار فرأى ماملا عينه وسر قلبه وخرج
الرئيس ابن الحسين والخيل تجنب امامه وبدر الاموال بين يديه وأعاده الى أحسن

أحواله وجعله وزيراً إليه كما كان أبوه مفوضاً أموره إليه وقال السلطان إن من أوجب شكر الله على أن افتتح المال بأن أودى منه للرعية الذين نهبت دورهم واحتترقت في الفتنة التي كانت بيني وبين أقاربي ما خسروه وأمر بالنداء فيهم وأحضرهم وكل من حلف على شيء قبضه وانصرف وكان السلطان المستنصر المذكور في بعض متصيديه فكتب لابي عبد الله الرئيس المذكور بأمره باحضار الاجناد لاخذ أرواقهم بقوله

ليحضر كل ليث ذي منال * زكافراً على أسداء النوال

غدا يوم الخميس فباشغلنا * بأسد الوحش عن أسد الرجال

وحكى ان السلطان المذکور وعرض مرة أجناده وقيل بل سلم عليه الموحدون يوم عيد تونس وفيهم شاب وسيم اسم جده النعمان فسأله السلطان عن اسمه وأعجبه حسنه فقبل واحتروجه وازداد حسنا فقال السلطان هذا المصراع كلفته فكلمت صفحة خذه

وسأل من الحاضرين الابازة فلم يأتوا بشيء فقال السلطان مجيزا شطره

فتفتحت فيها شقائق جده * وهذا من البديع مع ما فيه من التورية والتجسس ومما تنسبه له أبو حيان بسنده إليه

مالي عليك سوى الدموع معين * ان كنت تغدر في الهوى وتخون

من منجدي غير الدموع وانها * لمغينة مهم ما استغاث حزين

الله يعيـلم أن ما جلتني * صعب ولكن في رضاك يهون

وكان للسلطان المذكور سعد يضرب به المثل حتى انه كتب له السلطان صاحب مكة البيعة من انشاء ابن سبعين المتصوف كما ذكر ذلك ابن خلدون في تاريخه الكبير ومردنصها وهي من القرائب ومن بعده ان الفرنسي الذي كان أسرى بمصر وجعل في دار ابن لقمان والطواشي صبيح يحرسه لما سرح نجا من أمم النصرانية لبلاد المسلمين بمالم يجمع قط مثله حتى قيل انهم كانوا ألف ألف فكتب إليه أهل مصر من نظم ابن مطروح القصيدة المشهورة التي منها

قل للفرنسيس اذا جتته * مقالة من ذي لسان فصيح

الى ان قال

دار ابن لقمان على حالها * ومصر مصر والطواشي صبيح

والقصيدة مشهورة فلذلك لم أسردها فصيرف الفرنسي جيوشه الى تونس فكتب إليه بعض أدباء دولة المستنصر

الفرنسيس تونس أخت مصر * فتأهب لما اليه تصير

لكن فيها دار ابن لقمان قسبر * وطواشيك منكرو ونكبر

فقضى الله سبحانه وتعالى ان مات في حركته لتونس وغنم المستنصر غنيمة ما سمع بمثلهما قط ويقال انه دس اليه سيفاً مسموماً من سله أثرفيه سمه وقلده رسولاً اليه بعد أن جعل عليه من الجواهر النفيسة ما لم يرمثه عند غيره وقال للرسول ان الفرنسي رجل كثير الطمع ولولا ذلك ما عاود بلاد المسلمين بعد أسره وانه سيرى السيف ويكثر النظر اليه

فاذا رأيت فعل ذلك فانزعج من عنقك وقبله وقل له هذا هدية مني اليك لان من آدابنا مع
 ملوكنا أن كل ما وقع نظر الملك عليه وعاود النظر اليه بالقصد فلا بد أن يكون له ويحرم علينا
 أن نملكه لان ما أحبه المولى على العبيد حرام وتكرار النظر اليه دليل على حبه له فنفرح
 النصراني بذلك وأسرع الرسول العود الى سلطانه فسل النصراني السيف فتمكن فيه
 السم بالنظر فقات في الحين وفرج الله تعالى عن المسلمين * (رجع) الى أخبار أبي الحسن
 علي بن سعيد قال ابن العديم في تاريخ حلب أنشد في شرف الدين أبو العباس أحمد بن
 يوسف التيفاشي بالقاهرة في أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد الغرناطي يشير الى كتاب
 أبي الحسن الذي جمعه في محاسن المغرب وسماه المغرب

سعد الغرب وازدهى الشرق عجا * وابتهاجا بمغرب ابن سعيد
 طلعت شمس من الغرب تجلي * فأقامت قيامة التقييد
 لم يدع للمسور خسين مقالا * لا ولا لرواة بيت نشيد
 ان تلاء على الحمام تغت * ما على ذاتي حسنه من مزيد
 وأنشد أبو العباس التيفاشي لنفسه فيه

يا طبيب الاصل والفرع الزكي كما * يمد وحنى تمس من أطيب الشجر
 ومن خلا ثقه مثل التسميم اذا * يمدو على الزهر حول الثمر في السحر
 ومن محياء والله الشهيد اذا * يمدو الى بصرى أبهى من القصور
 أثقلت ظهري ببر لا أقوم به * لو كنت أتله قرأ فاسمع السور
 أهديت للغرب جموعا بعالمه * في قاب قوسين بين السمع والبصر
 كاني الآن قد شاهدت أجمعه * بكل من فيه من بدو ومن حضر
 فم ولاقت أهل الفضل كاهنهم * في مدني هذه والاعصر الآخر
 ان كنت لم أرهم في الصدر من عرى * فقد رددت على الصدر من عرى
 وكنت لي واحدا فيهم جميعهم * ما يججز الله جمع الخلق في بشر
 جزيت أفضل ما يجزي به بشر * مفيد عمر جديد الفضل مبتكر انتهى
 ومن نظم أبي الحسن بن سعيد قوله

وعشية بلغت بنا أيدي النوى * منها محاسن جامعات النخب
 فخدائق ما ينهت جداول * وبلايل فوق الفصون لها طرب
 والنخل أمثال العرائس لبسها * خروا حليتها قسلا تد من ذهب
 ومن نظمهم رحمه الله تعالى في حلب قوله

حادي العيس كم تنج المطايا * سق فروج من بعدهم في سباق
 حلب انها مقتر غرامى * وعرامى وقبلة الاشواق
 لا خلا جوسق وبطياس والسعد امن كل * وايل غيداق
 كم بها مرتع لطرف وقلب * فيه يسقى المني بكاس دهاق
 وتغنى طيور له لارتياح * وتغنى غصنونه للعناق

وعلو الشهباء حيث استدارت * أنجم الافق حولها كالنطاق
وقوله أيضا في حاة

حسبي الله من شطى حاة مناظرا * وقفت عليها السمع والفكر والطرفا
تغني حمام أو تيميل خائل * وترهى مبان تمنح الواصف الوصفا
يلومون أن أعصى التصون والنهي * بها وأطيع الكاس واللهم والقصفا
إذا كان فيها النهر عاص فكيف لا * أحاكبه عصيانا وأشربها حرقا
وأشد وادى تلك التواء غير شدوها * وأغلبها رقصا وأشبهها عرقا
تئن وتذرى دمعها فكأنها * تهيم برآها وتسالها العظفا

وقوله في وداع ابن عه وكتب به ما إليه

وداع كما ودعت فصل ربيع * يفيض ضلوعي أو يفيض دموعي
لئن قيل في بعض يضارق بعضه * فاني قد فارقت منك جيبي

قال فارسل الى أحسانا واعتذر ولسان الحال ينشد عنه

أحبك في البتول وفي أيها * ولكني أحبك من بعيد

وقوله وقد أقلت المركب الذي كان فيه من العدو

انظر الى مركبنا متقدنا * من العدى من بعد احراز
أقلت منهم فقد اطارا * كطائر أقلت من باز

وقال رحمه الله تعالى لما خرج من حدود افر يقية

رفيقي جاوزنا حدود موطن * صبيناهم الايام طلقا محياها
وما ان تركناها لجهل بقدرها * ولكن ننت عنا أعنة سقياها
فسرنا نحث السير عنها غيرها * الى أن يمن الله يوما بلقياها

وكان وصوله الاسكندرية في السابع والعشرين من ربيع الاول سنة تسع وثلاثين
وسقائه * وقال رحمه الله تعالى أخذت مع والدي يوما في اختلاف مذاهب الناس وأنهم
لا يسلون لاحد في اختياره فقال متى أردت أن يسلم لك أحد في هذا التأليف أعني المغرب
ولا يعترض أتعبت نفسك باطلا وطلبت غاية لا تدرك وأنا أضرب لك مثلا يحكي ان رجلا
من عقلاء الناس كان له ولد فقال له يوما يا أباي ما للناس يتقدرون عليك أشياء وأنت عاقل
ولو سعت في مجانبتهما سلمت من نقدهم فقال يا بني انك غر لم يجرب الامور وان رضا الناس
غاية لا تدرك وأنا أقفك على حقيقة ذلك وكان عنده حمار فقال له اركب هذا الحمار وأنا
أتبعك ماشيا فينبأها وكذلك اذ قال رجل انظر ما أقل هذا الغلام بأدب يركب ويمشي أبوه
وانظر ما أشد تخلف والده لكونه يتركه لهذا فقال له انزل اركب أنا وامش أنت خلقي فقال
شخص آخر انظر هذا الشخص ما أقل شفقته ركب وترك ابنه يمشي فقال له اركب
معي فقال شخص أشقاها ما الله تعالى انظر كيف ركبا على الحمار وكان في واحد منهما
كفاية فقال له انزل بنا وقدماء وليس عليه راكب فقال شخص لا تخف الله تعالى عنهما
انظر كيف تركا الحمار فارغا وجعل لا يمسيان خلفه فقال يا بني سمعت كلامهم وعلمت أن

القائل

وقال في أثناء الكلام لبعض المغاربة

وَصَبِرْتُ مِنْ قَدْ كَانَ بِالنَّظْمِ جَاهِلًا * يَحَاوِلُهُ كَيْفًا يَجُودُ لَكَ الْمُسَدِّحُ

وقال الملاحي في تاريخه انها تعرف بقلعة يحصب قيل من اليمن نزل بهم اعند فتح الاملس

وبها كما مر صنف الجباري كتاب المسهب لصاحبها عبد الملك بن سعيد وفي بن سعيد يقول
الجباري

قوم لهم في تفرهم • شرف الحديث مع القديم
ورثوا الندي والبأس والشعيليا كريمة كرم
من كل وضاح به • يجلي دجى الليل البهيم

وكان أول من دخل الاندلس من ولد عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه عبد الله بن سعيد
ابن عمار وقد ذكره ابن حبان في مقتبه وأخبر أن يوسف بن عبد الرحمن القهري
صاحب الاندلس آخر دولة بني أمية بالمشرق كتب الله أن يدافع عبد الرحمن بن معاوية
المرواني الداخل للاندلس وكان اذ ذاك أميراً على البليانية من جند دمشق وانما
رسمه في محاربة عبد الرحمن لما بين بن عمار وبني أمية من التاربسب قتل عمار
بصفين على يد عسكر معاوية رضي الله تعالى عنه وكان عمار من شيعة علي رضي الله تعالى
عنه ما وقال الجباري أنشدني بكر بن محمد بن سعيد صاحب أعمال غرناطة في مدة
المسلمين لنفسه فيما يليق بجنسه

ان لم أكن للعلاء أهلاً • بما تراءى من يكون
وكل ما أبغى به دوني • ولي على همتي ديون
ومن يرم ما يقل عنه • فذاك من فعله جنون
فرع بأفق السماء سام • وأصله راسخ مكين

ومن نظم قوله أيضا

الله يعلم أني • أحب كسب المعالي
وانما أؤاني • عنها لسوء المآل
تحتاج للسك والبد • لواصل فاف الرجال
دع كل من شاء يسهر • لها بكل احتيال
فخالهم بأنهم كاس • فيها وحالي حالي

ولما ذكر ابن سعيد في المغرب ترجمة الكاتب الرئيس المجيد أبي العباس أحمد الغساني كاتب
ملك إفريقية قال بماذا أصفه ولو أن التجرم تصير لي ثرا لما كنت أتصفه وكفالك أني
اختبرت الفضلاء من البحر المحيط إلى حضرة القاهرة فما رأيت أحسن ولا أفضل عشرة
منه ولما غارقه لم أشعر إلا برسالة قد وافقتني بالاسكندرية من تونس وفيها قصيدة فريدة
منها

أيه أبا الحسن استمع شدي فقد • يصفي الحمام اذا الحمام زغما
ثم سرد بعضا من القصيدة مستأق قريبا ان شاء الله تعالى بزيادة على ما ذكر منها في المغرب
• (رجع) وجد بخطه رحمه الله تعالى آخر الجزء من كتاب المغرب مانصه أجرت الشيخ
القاضي الاجل أبا الفضل أحمد بن الشيخ القاضي أبي يعقوب التيفاني أن يروي عن
مصنف هذا وهو المغرب في محاسن المغرب ويرويه من شاء ثقة بفهمه واستنامة إلى علمه

وحيك ذلك

وكذلك أجزت لفتاة النبيه جمال الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن خطم الفارسي
الارموي أن يرويه عني ويرويه من شاء وكتبه مصنفه على بن موسى بن محمد بن عبد الملك
ابن سعيد في تاريخ القراخ من نسخ هذا السفر انتهى وقال في رسم من أبناء النجم
صفيه في الطريق من حلب الى بغداد فوات وكان ظر بها أدبيا

لهني على غصن ذوى • أقصدته لما استوى
ريان من ماء الصبا • ومن المدامع ما روى
لا تعذلوني ان نطقت الدهر فيه عن الهوى
كم ضل صاحبه بسحر النظمه وصكم غوى
أنا لا أفتق الدهر رفقه من الصبا به والى
ان الهوى حيا وميتا لا يزال به سوى
كم قد نويت به التبعيتم فقد راق الله النوى
دار السلام حويت من • كل المحاسن قد حوى
بمجموع حسن قد نوى • في جنسة وبها نوى

وولد أبو الحسن علي بن موسى بن محمد يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من شهر رمضان
عام عشرة وستمائة وهو علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد
ابن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عمار
ابن ياسر رضي الله تعالى عنه وقال في المغرب لما عترف بوالده الكاتب الشهير أبي
عمران موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد ما ملخصه لولا أنه والدي لأطبت في ذكره
ووفيته من الوصف حق قدره لكن كفاء وصف ما أثبت له في هذه الترجمة وما مره
وعز في أثناء هذا الكتاب وكون كل من اشتغل بهذا التأليف نهرا وهو بحر واشتهاره
في حفظه التاريخ والاعتناء بالآداب في بلاده بحيث لا يحتاج الى تنبيه ولا اطناب وله من
النظم والنثر ما تضيح الاقلام من كثرته ويستمد القطر من درته ومما شاهدت من عجائبه
أنه عاش سبعا وستين سنة ولم أره يوما تخلى عن مطالعة كتاب أو كتب ما يخلده حتى ان
أيام الاعباد لا يخلوها من ذلك ولقد دخلت عليه في يوم عيده وهو في جهد عظيم من الكتب
فقلت له يا سيدي أفي هذا اليوم لا تستريح فتظن الى كالمغضب وقال أظنك لا تنفخ أبدا ترى
الراحة في غير هذا والله لا أحسب راحة تبلغ مبلغها ولوددت ان الله تعالى يضاعف عمري
حتى أتم كتاب المغرب على غرضي قال فأنا ذلك في خاطري أن صرت مثله لا ألتذ بنعيم غير
ما التذ به من هذا الشأن ولولا ذلك ما بلغ هذا التأليف الى ما تراه وكان أولع الناس بالتجول
في البلدان ومشاهدة الفضلاء واستفادة ما يرى وما يسمع وفي تولعه بالقييد والمطالعة
للكتب يقول

يامضيا عمره في الكاس والوز • وراعي في الدجى لالنجيم الزهر
يكي حبيبا جفاه أو ينادم من • في فولديه كغصن باسم الزهر
منع ما بين لذان يحققها • ولا يخلد من نحر ولا سير

وعاذ لاني في ما طلت أسكتبه * يدي التعجب من صبري ومن فكري
يقول مالك قد أفنيت عمرك في * حبر وطرس عن الاغصان والخبر
وظلت تسهر طول الليل في تعب * ولا تني أمد الايام في ضجـر
أتصرفاني أدري بالذي طمعت * لافقه همقي واسأل عن الاثر
واسمع لقول الذي تتلى محاسنه * من بعد ما صار مثل التراب كالسور
جمال ذي الارض كانوا في الحياة وهم * بعد الممات جمال الكتب والسير انتهى
وولد أبو عمران موسى بن محمد في الخامس من رجب عام ثلاثة وسبعين وخمسمائة وتوفي
بمصر الاسكندرية يوم الاثنين الثامن من شوال عام أربعين وستمائة وولد أبو محمد بن عبد
الملك صاحب أعمال غرناطة وأعمال اشيلية عام أربعة عشر وخمسمائة وتوفي بشعبان
عام تسعة وثمانين وخمسمائة بغرناطة وكان محمد بن عبد الملك وزير ابليلاب عيـد الصيت عالي
الذكر رفيع الهممة كثير الاموال وذكره ابن صاحب الصلات في كتابه تاريخ الموحدين
ونبه على مكاتبه منهم في الحظوة والاخذ في أمور الناس وأثنى عليه وذكره السهيلي
في شرح السيرة الشريفة حيث ذكر الكتاب المرجع من رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
هرقل وأن محمد بن عبد الملك ساعيته عند أدفونش مكرما مفتخرا به والقصة مشهورة ومدحه
الرصافي بقصيدة أولها

ذهنا يفيض وخاطر امتوقدا * ماذا عسى يثني على علم الندي

ولما أنشده قصيدته فيه التي أولها

لحكك الترفيع والتعظيم * ولوجهك التقديس والتكريم

حلف لا يسمعها وقال علي "اجازتك ولكن طباعى لا تحمل مثل هذا فقال له الرصافي مؤمن
مثلك يستحق هذا في الوقت غيرك فقال له دعني من خداعك أنا وما أعلمه من قلبي وأنشده
في الطالع السعيد

فلا تظهرن ما كان في الصدر كامنا * ولا تركبن بالغيط في مركب وعمو

ولا تبجنن في عذر من جاء نائبا * فليس كريم من يباحث في العذر

وولي له موحدين أعمالا كثيرة بمرآ كش وسلا واشيلية وغرناطة واتصلت ولايته على
أعمال غرناطة وكان من شيوخها وأعيانها وكتب عليه عقدان في داره من الحلي وأصنافه
ما لا يمكن الا في دار الملك وأنه اذ اركب في صلاة الصبح شوش عليه نباح الكلاب فأمر
المنصور بالقبض عليه وعلى ابن عمه صاحب أعمال افريقية أبي الحسين سنة ٥٩٣ ثم
رضي عنهما وأمر محمد بن عبد الملك أن يكتب بخطه كتابا أخذ منه قصره عليه ولم ينقص منه
شيئا وغرم له ما فات منه وهذا مما يدل على قوة سعد محمد بن عبد الملك المذكور وبهاة قدره
وحسبه من الفخر مدح أديب الاندلس وشاعرها أبي عبد الله الرصافي له وهو ممن يمدح
الخلفاء في ذلك العصر رحمه الله تعالى وولد أبو عبد الملك بن سعيد عام ستة وتسعين
وأربعمائة وتوفي بمصر سنة مرآ كش عام اثنين وستين وخمسمائة قال الجارري "لما مات يحيى
ابن غانية الملقب ملك الاندلس بمصر غرناطة وكان وزيره ومدبر دولته عبد الملك بن سعيد

بادر اقرار اغرناطة عندما سمع بموته الى قلعة وثار بها وطلبه خليفة يحيى بن غانية طلحة بن
العنبر فوجده قد قاته وقد قد من أن عبد الملك هذا هو السبب في تأليف كتاب المغرب
في أخبار المغرب ثم تسمه ابنه محمد بن عبد الملك ثم تسمه ما بقى منه ابنه موسى بن محمد ثم أوبى
على الكل في اتهمه أبو الحسن علي بن موسى الذي قصده ناه بالترجمة في هذا الكتاب
وقد ذكرنا من أحواله جلة كافية ومن فوائد ابن سعيد أبي الحسن فاسكه عن صاحب
كتاب الحكام وهو فاما فسطاط مصر فان مبانيها كانت في القديم متصلة بمباني مدينة
عين شمس وجاء الاسلام وبها بنا يعرف بالقصر حوله مساكن وهو الذي عليه نزل عمرو بن
العاص وضرب فسطاطه حيث المسجد الجامع المنسوب اليه ثم لما فتحها قسم المنازل
على القبائل ونسب المدينة اليه فقبل فسطاط عمرو وتداولت عليها بعد ذلك ولاية بمصر
فالتخذوها سرير السلطنة وتضاعفت عمارتها فأقبل الناس من كل جانب اليها وقصروا
أما تسم عليها الى أن رسخت به يد دولة بني طولون فبنوا الى جانبها المنازل المعروفة
بالقطائع وبها كان مسجد ابن طولون الذي هو الآن الى جانب القاهرة وهي مدينة
مستطيلة يمر النيل مع طولها وتخط في ساحلها المراكب الآتية من شمال النيل وجنوبه
بأنواع الفوائد وبها منتزهات وهي في الاقليم الثالث ولا ينزل فيها مطر الا في النادر وترايبها
يتن الا رجل وهو قبيح اللون تستد منه ارجاؤها ويسوء بسببه هواؤها ولها
أسواق ضخمة الا أنها ضيقة ومبانيها بالقصب والطوب طبقة على طبقة ومدينة
القاهرة ضعفت مدينة الفسطاط وفرت في الاعتناء بها بعد الافراط وبينهم ما نحو ميلين
وأشدت فيها للشريف العقيلي

أحسن الى الفسطاط شوقا واتى * لادعولها أن لا يحل بها القطر
وهل في الحيام حاجة لجنايبها * وفي كل قطر من جوانبها نهر
تبدت عروسا والمقطم تاجها * ومن نيلها عقد كما اتظم الدر
وقال عن كتاب ابار والفسطاط هو قسبة مصر والجبل المقطم شرقيها وهو متصل بجبل
الزمرد وقال عن كتاب ابن حوقل الفسطاط مدينة عظيمة ينقسم النيل لديها وهي كبيرة
ومقدارها نحو فرسخ على غاية العمارة والطيب واللذة ذات رحاب في محالها وأسواق
عظام فيها ضيق ومتاجر نخام ولها ظاهرات أنيق وبساتين نضرة ومنتزهات على ممر الايام
خضرة وفي الفسطاط قبائل وخطط للعرب تنسب اليها كالكوفة والبصرة الا انها اقل من
ذلك وهي سجة الارض غير نقية التربة وتكون الدار بها سبع طبقات وخساوستا
وربما يسكن في الدار المائتان من الناس ومعظم بنيانهم بالطوب وأسفل دورهم غير مسكون
وبها مسجدان للجمعة بنى أحدهما عمرو بن العاص في وسط الفسطاط والاخر على
الموقف بنى ابن طولون وكان خارج الفسطاط ابنة بنىها أحمد بن طولون ميلا في ميل
يسكنها جندهم وتعرف بالقطائع كما بنى بنو الاغلب خارج القبروان رقادة وقد خربنا في وقتنا
هذا وأخلف الله بدل القطائع بظاهر مدينة الفسطاط القاهرة قال ابن سعيد ولما استقرت
بالقاهرة تشوقت الى معاينة الفسطاط فسار معي اليها أحد أصحاب القرية فرأيت عند

باب زويلة من الجـ بر المعدة لركوب من يسير الى القس طاطـ جـ عظيمة لاهدي بئلهما في بلد
فرسكب منها حمارا وأشار الى أن أركب حمارا آخر فأنت من ذلك جريا على عادة
ما خلفته في بلاد المغرب فأخبرني أنه غير معيب على أعيان مصر وعانت الفقهاء وأصحاب
البرز والشارة الظاهرة يركبونهم فركبت وعندما استويت راكبا أشار المكارى الى الحمار
فطاربي وأثار من الغبار الاسود ما أعشى عيني ودنس ثيابي وعانت ما كرهته ولقلة معرفتي
بركوب الحمار وشدة عدوه على قانون لم أعهد وقلة رفق المكارى وقعت في تلك الظلمة المظلمة
من ذلك الحجاج فقلت

لقت بعصر أشد البوار • وكوب الحمار وكل الغبار
وخلني مكارى فوق الربا • ح لا يعرف الرقى مهما استطار
أنادي به مهلا فلا يرعوى • الى أن سجدت سجود العشار
وقدمت فوق رواق الترى • وألحد فيها ضياء النهار

فدفعت الى المكارى أجرتي وقلت له احسانك أن تتركني أمشي على رجلي ومشييت الى أن
بلغتها وقد رت في الطريق بين القس طاط والقاهرة وحققته بعد ذلك نحو ميلين ولما أقبلت
على القس طاط أدبرت عن المسرة وتأملت أسوارا مثله سوداء وآفاقا مغبرة ودخلت من
بابها وهودون غلق يفضي الى خراب مغمو ربحاني مشتتة الوضع غير مستقيمة الشوارع
قد بنيت من الطوب الادكن والقصب والنخيل طبقة فوق طبقة وحول أبوابها من التراب
الاسود والازبال ما يقبض نفس التنظيف ويغض طرف الظريف فسرت وأنا لمعاين
لاستصحاب تلك الجمال الى أن صرت في أسواقها الضيقة فقاسيت من ازدحام الناس فيها
لحوايح السوق والروايا التي على الجمال ما لا تفي به الا مشاهدته ومقاساته الى أن انتهيت
الى المسجد الجامع فعانت من ضيق الاسواق التي حوله ما ذكرته به ضده في جامع اشبيلية
وجامع مراکش ثم دخلت اليه فعانت جامعاً كبيراً قديماً البناء مخبر من خرف ولا
محتفل في حصره التي تدور مع بعض حيطانه وتنبت فيه وأبصرت العائمة رجالاً ونساء قد
جعلوه معبراً بأوطنة اقدامهم يجوزون فيه من باب الى باب ليقرّب عليهم الطريق والبياعون
يبيعون فيه أصناف المكسرات والكعك وما سوى ذلك والناس يأكلون في عدة أماكن
منه غير محتشمين بل جرى العادة عندهم بذلك وعدة صبيان بأواني ماء يطوفون على كل من
يأكل قد جعلوا ما يحصل لهم منه رزقا وفضلات ما كملهم مطروحة في حوض الجامع
وفي زوايا العنكبوت قد عظم نسجه في السقف والاركان والحيطان والصبيان يلعبون
في صحنه وحيطانه مكتوبة بالقلم والحرة بخطوط قيحة مختلفة من كتب فقراء العامة الآن
مع ذلك على الجامع المذكور من الرواق وحسن القبول وانسباط النفس ما لا تجد
في جامع اشبيلية مع زخرفته والبستان الذي في صحنه ولقد تأملت ما وجدت فيه من
الارتياح والانس دون منظر يوجب ذلك فقلت أن ذلك سر مودع وقوف الصحابة رضي
الله تعالى عنهم في ساحته عند بابيه واستحسن ما أبصرته من خلق المتصدين لا قراء القرآن
والفقهاء والخوف في عدة أماكن وسألت عن مواد أرزاقهم فأخبرت انهم من فروع

الزكاة وما أشبهه ذلك ثم أخبرت أن اقتضاء ذلك يصعب إلا بالجلاء والتعب ثم انفصلنا من
هنا إلى ساحل النيل فرأيت ساحلا كدر التربة غير تظيف ولا متسع الساحة ولا مستقيم
الاستطالة ولا عليه سور أبيض إلا أنه مع ذلك كثير العمارة بالمراكب وأصناف
الارزاق التي تصل من جميع أقطار النيل ولئن قلت أني لم أبصر على نهر ما أبصرته على ذلك
الساحل فاني أقول حقا والنيل هناك ضيق لكون الجزيرة التي في فيها سلطان الديار
المصرية الآن قلعة قد توسطت الماء ومالت إلى جهة القسطنطين وبحسن مورهاما الأبيض
الشامخ حسن منظر القربة في ذلك الساحل وقد ذكر ابن حوقل الجسر الذي يكون عمدا
من القسطنطين إلى الجزيرة وهو غير طويل ومن الجانب الآخر إلى البر الغربي المعروف
ببر الجزيرة جسر آخر من الجزيرة إليه وأكثر جوار الناس بأنفسهم ودوابهم في المراكب
لأن هذين الجسرين قد احترما لوصولهما في جزيرة القسطنطين ولا يجوز أحد على الجسر
الذي بين القسطنطين والجزيرة راكبا احترا ما لموضع السلطان ويتنفي ليلة ذلك اليوم
بطيارة مرتفعة على جانب النيل فقلت

ترزنا من القسطنطين أحسن منزل • بحيث امتداد النيل قد دار كالعقد
وقد جعلت فيه المراكب محرة • كسرب قطا أضيى يرف على ورد
وأصبح يطفو الموج فيه ويرتقى • ويطرب أحيانا ويلعب بالترد
حولا ماؤه كالريق بمن أحبه • فدت عليه حلة من حلي الهند
وقد كان مثل النهر من قبل مده • فأصبح لما زاده المذمك الورد

وقلت هذا لأنني لم ألق في المياه أحلى من مائه وأنه يكون قبل المدة الذي يزيد به ويفيض على
أقطاره أبيض فإذا كان عباب النيل صبارا جرد وأنشدني علم الدين نغرا التربة أيدهم عتيق
وزير الجزيرة في مدح القسطنطين

حبذا القسطنطين من والده • جنبت أولادها دار الجفا
يرد النيل إليها كدرا • فاذا ما زج أهلها صفا
لطفوا فالمرن لا تألفهم • نجل الميار أنهم الطفا

ولم أرى في أهل البلاد أطف من أهل القسطنطين حتى أنهم أطف من أهل القاهرة وبينهم ما
نحو ميلين والحال أن أهل القسطنطين في نهاية من اللطافة واللين في الكلام ونعت ذلك من
الملق وقلة المبالة ورعاية قدر الصيبة وكثرة الممازجة والالفة ما يطول ذكره وأما ما ورد
على القسطنطين من متاجر البحر الاكندراني والبحر الجبازي فإنه فوق ما يوصف وبه يجمع
ذلك لا بالقاهرة ومنها يجهز إلى القاهرة وسائر البلاد وبالقسطنطين مطابخ السكر والصابون
ومعظم ما يجري هذا الجرى لأن القاهرة بنيت للاختصاص بالهند كما أن جميع زى الهند
بالقاهرة أعظم منه بالقسطنطين وكذلك ما ينسج ويصاغ وسائر ما يعمل من الأشياء الرفيعة
السلطانية وانخراب في القسطنطين كثير والقاهرة أجده وأعمر وأكثر زجة باعتبار اتفق
السلطان إليها ويمكن الأجناد فيها وقد نفخ روح الاعتناء والنفوق في مدينة القسطنطين الآن
لجوارتها الجزيرة الصالحة وكثير من الهند قد انتقل إليها للتقرب من الخدمة وبنى على

سورها جماعة منهم مناظر تبهج الناظر انتهى قال المقرري يعني ابن سعيد ما بقي على شقة
مصر من جهة النيل انتهى وقال ابن سعيد المذكور في المغرب من حلى المغرب ما ملئته
الروضة أمام القسطنطينية وبين مناظر الجزيرة وبها مقياس النيل وكانت منتزعا لاهل
مصر فاخترها الملك الصالح ابن الملك الكامل سرير السلطنة وبقي فيها قلعة مسورة بسور
ساطع اللون محكم البناء على السبك لم ترعني أحسن منه وفي هذه الجزيرة كان الهودج
الذي بناه الخليفة الأحمر لزوجته البدوية التي هاجم فيها والمختار بستان الاخشيدي
وقصره وله ذكري في شعر عجم بن المعز وغيره ولشعراء مصر في هذه الجزيرة أشعار منها قول
أبي الفتح بن قادوس الدمياني

أرى سرج الجزيرة من بعيد * كأحداق تغازل في المغازل
كان حجرة الجوزاء حطت * وأثبتت المنازل في المنازل

قال وتكنت أبيت بعض الليالي بالقسطنطينية فيزدحم في ضحك البدر في وجه النيل مع
سور هذه الجزيرة الدري اللون ولم انفصل عن مصر حتى كمل سور هذه القلعة وفي داخله
من الدور السلطانية ما ارتفعت اليه همة بانيها وهو من أعظم السلاطين في البناء وأبصرت
بهم هذه الجزيرة أيوانا جلوسه لم ترعني مثاله ولا يقدر ما اتفق عليه وفيه من جماعات الذهب
والرخام الابنوس والكافوري والمجزع ما يذهل الأفكار ويستوقف الابصار
ويقصل عما أحاط به السور أرض طويلة في بعضها طر حصر فيه أصناف الوحوش التي
يتفرج عليها السلطان وبعدها مروج تتقطع فيها مياه النيل فتتفرج فيها أحسن منظر قال
وقد تفرجت كثيرا في طرق هذه الجزيرة مما يلي أثر القسطنطينية فقطعت به عشب
مذهبات لم تزل لاسر ان الغربية مذهبات وإذا زاد النيل فصل برها عن بر القسطنطينية
جهة خليج القاهرة ويبقى موضع الجسر تكون فيه المراكب انتهى وأورد الصفي
في تذكرة لابن سعيد المذكور في هذه الجزيرة

انظر الى سور الجزيرة في الدبح * والبدر يلثم منه ثغرا أشنبا
تضاحك الانوار في بنباته * فتريك فوق النيل أمرا عجبا
يناترا مفضضا في جانب * أبصرت منه في سواء مذهبها
لله هرأى مارآه ناظري * الاخلاعت له المقام تطربا

وقال في المغرب قلا عن بعضهم ما صورته وأما مدينة القاهرة فهي الحالية الباهرة
التي تفتن فيها الفاطميون وأبدعوا في بنائها واتخذوها قطبان لافتهم ومركزا لاربابها
ففسد القسطنطينية وزهد فيه بعد الاعتبار وسميت القاهرة لانها تقهر من شدتها ورام
مخالفة أميرها قال ابن سعيد هذه المدينة اسمها أعظم منها وكان ينبغي أن تكون
في ترتيبها ومبانيها على خلاف ما عاينته لانها مدينة بناها المعز أعظم خلفاء العبيديين
وكان سلطانهم قد عم جميع طول المغرب من أول الديار المصرية الى البحر المحيط
وسارت مسير الشمس في كل بلدة * وهبت هبوب الريح في البر والبحر
لا سيما وقد عاين مباني أبيه المنصور في مدينة المنصورة الى جانب القيروان وعماين المهدي

مدينة جند عبيد الله المهدي ~~لكن~~ الهمة السلطانية ظاهرة على قصور الخلفاء
 بالقاهرة وهي ماطقة الى الآن بالسفن الاثارة والله در القائل
 هم الملوك اذا ارادوا ذكرها * من بعدهم فبالسفن البنيان
 ان البناء اذا تعاطس شأنه * اضحى يدل على عظيم الشأن
 وتمسم من بعده الخلفاء المصريون في الزيادة في تلك القصور وقد عاينت فيها ايوانا يقولون
 انه بنى قدرايوان كسرى الذي بالمداين وكان يجلس فيها خلفاؤهم ولهم على الخليج الذي بين
 القسطنطين والقاهرة مباني عظيمة جليلة الاثارة وأبصرت في قصورهم حيطانا عليها طاقات
 عديدة من السكس والجيس ذكرى أنهم كانوا يجتدون تبييضها في كل سنة والمكان
 المعروف بالقاهرة بين القصرين هو من الترتيب السلطاني لان هنالك ساحة متسعة للعسكر
 والمتفرجين ما بين القصرين ولو كانت القاهرة كلها كذلك كانت عظمة القدر كاملة الهمة
 السلطانية ولكن ذلك أمد قليل ثم تسير منه الى أمد ضيق وتزفي عركد حرج بين الدكاكين
 اذا ازدحت فيه الخليل مع الرجال كان مما يضيق به الصدور وتسكن منه العيون واقد عاينت
 يوما وزير الدولة وبين يديه الامراء وهو في موكب جليل وقد لقي في طريقه بحلة بقر تحمل
 حجارة وقد سدت جميع الطرق بين يدي الدكاكين ووقف الوزير وعظم الازدحام وكان
 في موضع طباشير والدخان في وجهه الوزير وعلى ثيابه وقد كاد يهلك المشاة وكدت أهلك
 في جللتهم وأكثرت دروب القاهرة ضيقة مظلمة كثيرة التراب والازبال والمباني عليها من قصب
 وطين مرتفعة قد ضيقت مسلك الهواء والضوء بينها ولم أرى جميع بلاد المغرب أسوأ منها
 حالا في ذلك ولقد كنت اذا مشيت فيها يضيق صدري وتذكرني وحشة عظيمة حتى أخرج الى
 بين القصرين ومن عيوب القاهرة انها في أرض النيل الأعظم ويموت الانسان فيها عطشا
 ابعد هاء عن مجرى النيل لئلا يصادرها ويا كل ديارها واذا احتاج الانسان الى فرجة
 في نيلها مشى في مسافة بعيدة بظاهرها بين المباني التي خارج السور الى موضع يعرف
 بالمقس ويجوها لا يبرح كدرا مما تشبه الارض من التراب الاسود وقد قلت فيها حيناً أكثر
 على رفاقي من الحض على العود فيها

يقولون سافرا الى القاهرة * وما لي بها راحة ظاهره
 زحام وضيق وكرب وما * تشربها أرجل سائر
 وعند ما يقبل المسافر عليها يرى سودا سود كدرا وجوا مغبرا تنقبض نفسه ويفترانه
 وأحسن موضع في ظواهرها للفرجة أرض الطباله لاسيما أرض القروط والكتان
 وقلت

سقى الله أرضا كلما زرت روضها * كساها وحلاها بمنظاره القروط
 تجلت عروسا والمياه عقودها * وفي كل قطار من جوانبها قوط
 وفيها خليج لا يزال يصف بين حضرتها حتى يصير كما قال الرصافي
 ما زالت الاحمال تأخذه * حتى غدا كذواية النجم
 وقلت في توار الكتان على جاني الخليج

انظر الى النهر والكتبان يرمقه * من جانبيه باحضان لها حدق
 رأتها سيفا عليه للسياط * فقابلته بأحداف بها أرق
 وأصحت في يد الأرواح تنسجها * حتى غدت حلقا من فوقها حلق
 فلم تزرها ووجه الأرض مصطح * أو عند صفوته ان كنت تغتنيق
 وأعجبني في ظاهرها بركة القيل لانها دائرة كالبدرو والمناظر فوقها كالنجوم وعادة السلطان
 أن يركب فيها بالليل وتسرح أصحاب المناظر على قدر همتهم وقدرتهم فيكون لها بذلك
 منظر عجيب وفي ذلك قيل

انظر الى بركة القيل التي اكتفت * بها المناظر كالأهداب للبصر
 كأنما هي والابصار ترمقها * كواكب قد أداروها على القمر
 وتطرت اليها وقد قابلتها الشمس بالعدوة فقلت

انظر الى بركة القيل التي بخرت * لها الغزالة فجرا من مطالعها
 وخلط طرفك مجنوناً بيهجتها * يهيم وجداً وحباً في بدائعها

والفسطاط أكثر أرزاقا وأرخص أسعارا من القاهرة لقرب النيل من الفسطاط
 والمر اكب التي تصل بالخبرات تحط ههنا ويبيع ما يهل فيها بالقرب منها وليس ينفق ذلك
 في ساحل القاهرة لانه يبعد عن المدينة والقاهرة هي أكثر عمارة واحتراما وحشمة من
 الفسطاط لانها أجمل مدارس وأضخم خانات وأعظم ديار السكنى الامراء فيها لانها
 المخصوصة بالسلطنة لقرب قلعة الجبل منها فأمور السلطنة كلها فيها أيسر وأكثر وبها
 الطراز وسائر الاشياء التي تزين بها الرجال والنساء الآن في هذا الوقت لما اعتنى
 السلطان ببناء قلعة الجزيرة التي أمام الفسطاط وصيرها سريرا للسلطنة عظمت عمارة
 الفسطاط وانتقل اليها كثير من الامراء وضخمت أسواقها وبني فيها السلطان أمام الجسر
 الذي للجزيرة قيسارية عظيمة فنقل اليها من القاهرة سوق الاجناد التي يبيع فيها القراء
 والجوخ وما أشبه ذلك الى أن قال وهي الآن عظيمة آهلة يجي اليها من الشرق والغرب
 والجنوب والشمال ما لا يحيط بجملة وتفصيله الا خالق الكل جل وعلا وهي مستحسنة
 للفقير الذي لا يمتاف طلب زكاة ولا ترسما ولا عذابا ولا يطالب برقيق له اذا مات فيقال له ترك
 عندك ما لا فرما سجن في شأنه أو ضرب وعصر والفقير المجرد فيها يستريح بجهة رخص
 الخبز وكثرته ووجود السماع والفرج في ظواهرها ودواخلها وقله الاعتراض عليه فيها
 تذهب اليه نفسه يحكم فيها كيف شاء من رخص في وسط السوق أو تجريه أو سكر من
 حشيشة أو صلبة مردان وما أشبه ذلك بخلاف غيرها من بلاد المغرب وسائر القراء
 لا يتعززون اليهم بالقبض للاسطول الا المغاربة فذلك وقف عليهم لمعرفةهم بمعاناة الحرب
 والبحر وقد عم ذلك من يعرف معاناة البحر منهم ومن لا يعرف وهم في القدوم عليها
 بين حالين ان كان المغربي غنيا طواب الزكاة وضيق عليه وان كان مجردا فقيرا حمل الى
 السجن حتى يحين وقت الاسطول وفي القاهرة آزار كثيرة غير منقطعة الاتصال وهذا
 الشأن في الديار المصرية يفضل كثير من البلاد وفي اجتماع التبرجس والورد فيها أقول

من فضل الترجس وهو الذي * يرضى بحكم الورد اذيرأس
أما ترى الورد عند اقاعدا * وقام في خدمة الترجس

وأكثر ما فيها من الثمرات والفواكه الرمان والموز أما التفاح والاباص فقليل غال وكذلك
الذوخ وفيها الورد والترجس والتسرين والنيلوفر والبنفسج والياسمين والليمون الاخضر
والاصفر وأما العنب والتين فقليل غال ولكثرة ما يعصرون العنب في أرياف النيل لا يصل
منه الا القليل ومع هذا فشرا به عندهم في غاية الغلاء وعامتها يشربون المزرا لا يرض
المتخذ من الخنطة حتى ان الخنطة يطلع سعرها بسبب ذلك فينادى المنادى من قبل الوالى
بقطعه وكسر أوانيه ولا ينكر فيها الظهار أو اوى الخمر ولا آلات الطرب ذوات الاوتار
ولا تبرج النساء العواهر ولا غير ذلك مما ينكر في غيرها من بلاد المغرب وقد دخلت
في الخليج الذى بين القاهرة ومصر وتعظم عمارته فيما بين القاهرة فرأيت فيه من ذلك
العجائب وربما وقع فيه قتل بسبب السكر فيمنع فيه الشرب وذلك في بعض الاحيان وهو
ضيق عليه من الجهتين مناظر كثيرة العمارات بعالم التهكم والطرب والمخالفة حتى ان
المحتشمين والرؤساء لا يجوزون العبور به في مركب والسرج في جانيه بالليل منظر وكثيرا
ما يتفرج فيه أهل السرى بالليل وفي ذلك أقول

لا تركب في خليج مصر * الا اذا أسدل الظلام
فقد علمت الذى عليه * من عالم كاهن طغام
صفان للحرب قد أطلا * سلاح ما بينهم كلام
باسيدي لا تسر اليه * الا اذا هموم النيام
والليل ستر على التصابي * عليه من فضله لثام
والسرج قد بددت عليه * منها دنانير لا ترام
وهو قد امتسك بالمباي * عليه في خدمة قيام
لله كم دوحه جنينا * هناك أعمارها الاثام

قال المقرئ وفيه تحامل كثير انتهى ومن نظر بعين الانصاف علم أن التحامل في نسبة
التحامل اليه والله تعالى الموفق * (قال ابن سعيد ومعاملة الفسطاط والقاهرة بالدرهم
المعروفة بالسوداء كل درهم منها ثلاث من الدراهم الناصرية وفي المعاملة بها شدة وخسارة
في البيع والشراء ومخاصمة بين المريقين وكان به اقدى الفلوس فقطعها الملك الكامل
فبقيت الآن مقطوعة منها وهي في الاقليم الثالث وهو اوقها ردى لاسيما اذا هب
الريسي من جهة القبلة وأيضا فرمد العين فيها كثير والمعاش فيها متعذرة نكرة لاسيما
أصناف الفضلاء وجوامك المدارس قليلة كدرة وأكثرا يتعشى بها اليهود والمصري
في كتابة الطلب والخراج والنصارى به يمتازون بالزنا في أوساطهم واليهود به ما هم صفر
ويركبون البغال ويلبسون الملابس الجليلة ويأكل أهل القاهرة البطارخ ولا تصنع
جلاوة القمح الابم وبغيرها من الديار المصرية وفيها جوارط اخات أصل تعليمهن من
قصور الجلماء الفاطميين ولهن في الطبخ صنائع بحسبة ورياسة متقدمة ومطابخ السلام

والمواضع التي يصنع بها الورق المنصوري مخصوصة بالقسطاط دون القضاة انتهى
المقصود من هذا الموضع من كلام أبي الحسن النور بن سعيد رحمه الله تعالى وقال رحمه الله
لم ذات قسم بهر • معسذباذوبها
وكيف ترجو ندامهم • والسحب تحل فيها

وقال رحمه الله تعالى

لابن الزبير مكارم أضحكت بها • طير المدايح في البلاد تغرد
ان قدوه وبالقوافي عصره • فالكرم بعصر والجواد يقيد
ولتذكر بهض أخبار والده فانه بمن رحل الى المشرق وقوفيا بسكندرية وقد ذكر ابنه أبو
الحسن في المغرب وغيره من أخباره الجاثب ولا بأس بأن نلم بشيء من ذلك سوى ما تقدم
فنقول من أخباره انه لما اجتاز بمالقة ومشرق فيها اذ ذاك أبو علي بن بقر وجه اليه من نقل
أسبابه الى داره وأقبل عليه منشدًا

أكذا يجوز القطر لا ينفي على • أرض توالي جدبها من بعده
الله يعلم أنها ما أنبتت • زهرا ولا ثمرًا بعدة فقسده
عسرج عليها ساعة يامن له • حسب يفوق العالمين بمجده
وانثر عليها من أزهارك التي • تشفي المقيم من لواعج وجده
والله ماذا كرت فكر لساعة • الا وأقبس خاطري من زنده

قال موسى فاريجت للعين

أنت الذي تعرف كيف العلا • وتبتدي في سبيل الجدد
بدأت بالفضل المنير الذي • أكل بدر الشكر والجسد
والله ما أبصر تكلم ساعة • الا بدلى طالع السعد

وانصرفت معه الى منزله قال

فلم أزل في كرامه • ليست كظل نجمه

ولما كان أبو عمران موسى بن سعيد بالجزيرة الخضراء قد ما على أعمالها من قبل ابن هود
وصلة كتاب من الفقيه القاضي أبي عبد الله محمد بن عسكر قاضي مالقة مع أحد
الادباء منه

أفانح من قلب بعلي سام واثق • وان كانت الابصار لم تنسخ الودا
وثقت بمالي من ذمام تشيبي • بال سعيد وابتغيت به السعدا
وبالحب يدنو كل من أقصت النوى • برغم حجاب النوى يئنا مدا
باسيدي الذي جاني ما أمال اسماعي من الشناء عليه ان اهجم على مفاحتسه شافعا
في موصلها اليه واثقا بالفرع لعلم الاصل مؤتملا للافضال بتحقيق الفضل ان لم تقض
باجتماع يئنا الايام فلا تجرى بالمشافهة يئنا الألسن الاقلام ويونحى بعضنا الى بعض
بسور الوداد والحمد لله الذي أطاعك في ذلك الافق بدرا وأدناك من هذه الدار فصرنا
لقرب من يرد عنك لانعدم لك ذكرا فكل يئني بالذي علمت سعد ويصف من خلالك

ما يقضى ذلك المجد ولما كان احسانك يشر به الصادر والوارد ويحرص عليه الغائب
والشاهد مدأمله تحولك وحمل هذه الفاتحة وليس له وسيلة ولا بضاعة الا الادب وهي
عند بيتك الكريم رابحة وهو من شئت خطوب هذا الزمان شملة وأبانت نوائيه
سيرة وفضله وما طمع يصره الا الى أفقك ولا وجه رجاء الا نحو طرقتك والرجاء من
بذلك أن يعود وقد أثنت حقائبه وأعنت من الحدركائيه دمت غيرة في الزمن البهيم
مخصوصا بأفضل التحية والتسليم انتهى * وابن عسكرا المذكور عالم بالتاريخ منبهر
في العلوم وله كتاب في أنساب بني سعيد أصحاب هذه الترجمة ومن شعره

أهوال يا بدر وأهوى الذي * يعذلي فيك وأهوى الرقيب
والجار والدار ومن حلها * وكل من مرتبها من قريب
وكل مبدش بها منكم * وكل من يلفظ باسم الحبيب

* (رجع) قال ابنه علي لما أردت النوض من ثغرا الاسكندرية الى القاهرة أول وصولي
الى الاسكندرية رأى أن يكتب لي وصية أجعلها اماما في الغربية فبقي فيها أياما الى
أن كتبها عنه وهي هذه وكفى به نادلا على ما اختبر وعلم

أودعك الرحمن في غريبتك * مرتقبا رجاء في اوتيتك
وما اختياري كان طوع النوى * لكنني أجرى على بغيتك
فلا تطل جبل النوى اتى * والله أشدنا الى طاعتك
من مكان مقتونا بأبنائه * فأنى أمعت في خبرتك
فاختصر التوديع أخذا * لي ناظر يقوى على فرقك
واجعل وصاتي نصب عين ولا * تبرح مدى الايام من فكرتك
خلاصة العمر التي حنكت * في ساعة زفت الى فطنتك
فلتجارب أمور اذا * طالعها تشهد من غفلتك
فلاتنم عن وعيها ساعة * فإنها عون الى يقظتك
وكل ما كابدته في النوى * اياك أن يكسر من همتك
فليس يدري أصل ذي غربة * وانما تعرف من شيمتك
وكل ما يقضى له ذرفلا * تجعله في الغربة من اربتك
ولا نجبالس من فشا جهله * واقصد ان يرغب في منعتك
ولا تجادل أبدا حسدا * فانه أدعى الى هيتك
وامش الهوى بنما ظهرا عفة * وابغ رضا الاعين عن هيتك
أنش التحيات الى اهلها * ونبيه الناس على ربتك
وانطق بحيث الى مستقيم * واصمت بحيث الخبر في سكتك
ولا تزل مجتمعا طالبا * من دهرك الفرصة في وثبتك
وكما أبصرتها أمكنت * ثب واثقا بالله في مكنتك
ولج على رزقك من بابه * واقصد له ما عشت في بكرتك

وَأَسْ مِنْ الْوَدِّ لَدَى حَاسِدٍ • ضِدِّهِ وَنَافِسِهِ عَلَى خَطَّتِكَ
وَوَقْرَ الْجَهْلِ سَدِّفْنِ قَصْدَهُ • قَصِيدُكَ لَا تَعْتَبِهِ فِي بَغْضَتِكَ
وَوَفِّ كَلَامَ حَقِّهِ وَاتَّكِنِ • تَكْسِرُ عِنْدَ الْفَخْرِ مِنْ حَذِّكَ
وَلَا تَتَكَبَّرْ تَحْقِرْ ذَا رِثَةٍ • فَانْهَ أَنْفَعُ فِي غَرَبَتِكَ
وَحَيْثُمَا خِمْتَ فَأَقْصِدْ إِلَى • مَحَبَّةٍ مِنْ تَرْجُوهُ فِي نَصْرَتِكَ
وَلِلرِّزَايَا وَثِيْقَةٌ مَالُهَا • إِلَّا الَّذِي تَدْنُو مِنْ عَدُوِّكَ
وَلَا تَقْبَلْ أَسْلَمَ لِي وَحْدِي • فَقَدْ تَقَامَى الْوَلَّى فِي وَحْدَتِكَ
وَالْتَزِمِ الْأَحْوَالَ وَنَظْمُهَا • تَرْجِعْ إِلَى مَا قَامَ فِي شَهْوَتِكَ
وَلْتَجْعَلِ الْعَقْلَ مُحْكَاوْخَذَ • كَلَامًا يَنْظُرُ فِي تَقْدِيرِكَ
وَاغْتَبِرِ النَّاسَ بِالْفَاقِطِهِمْ • وَاصْهَبْ أَخْبَارَ غَيْبٍ فِي صَحْبَتِكَ
بَعْدَ اخْتِبَارِ مَنْكَ يَقْضِي بِنَا • يَحْسُنُ فِي الْأَخْذِ مَنْ خَلَطَتْكَ
كَمْ مِنْ صَدِيقٍ مَظْهَرُ نَعْمِهِ • وَفَكْرُهُ وَقَفَ عَلَى عَثْرَتِكَ
أَيَاكَ أَنْ تَقْسِرَ بِهِ أَنَّهُ • عَوْنٌ مَعَ الدَّهْرِ عَلَى كَرْبَتِكَ
وَاقْتَعِ إِذَا مَا لَمْ تَجِدْ مَطْمَعًا • وَاطْمَعِ إِذَا أَنْعَشْتَ مِنْ عُسْرَتِكَ
وَأَنْتُمْ غَوَّ النَّبْتَ قَدْ زَارَهُ • غَيْبُ النَّدَى وَاسْمُ إِلَى قُدْرَتِكَ
وَأَنْبَا دَهْرٍ فَوْطِنَ لَهُ • جَأَشُكَ وَانْظُرْ إِلَى مَدَّتِكَ
فَكُلْ ذِي أَمْرٍ لَهُ دَوْلَةٌ • قُوفَ مَا وَاقَاكَ فِي دَوْلَتِكَ
وَلَا تَضِيعَ زَمَانًا مَكْنَا • تَذَكَّرْ يَدَ كَيْ لَطَى حُسْرَتِكَ
وَالشَّرَّ مِمَّا اسْطَعْتَ لَا تَأْتَهُ • فَانْهَ حَوْزَ عَلَى مَهْجَتِكَ

يَابُنِي الَّذِي لَا نَاصِحَ لَهُ مِثْلِي وَلَا مُنْصَوِّحَ لِي مِثْلَهُ فَقَدْ قَدَّمْتُ لَكَ فِي هَذَا النَّظْمِ مَا أَنْ أخطرتَه
بِخَطِّ طَرَفِي فِي كُلِّ أَوَانٍ رَجَوْتُ لَكَ حَسَنَ الْعَاقِبَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَإِنْ أَخَفَّ مِنْهُ اللَّحْظُ
وَأَعْلَى بِالْفَكْرِ وَأَحَقُّ بِالْقَدَمِ قَوْلُ الْأَوَّلِ

يَزِينُ الْغَرِيبَ إِذَا مَا اغْتَرَبَ • ثَلَاثُ فَنَنَ حَسَنُ الْأَدَبِ
وَتَانِيَةُ حَسَنُ أَخْلَاقِهِ • وَثَالِثَةُ اجْتِنَابُ الرِّيبِ
وَإِذَا اعْتَبَرْتَ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ وَلَزِمْتَهَا فِي الْغُرْبَةِ رَأَيْتَهَا جَامِعَةً نَافِعَةً لَا يُلْحِقُكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى
مَعَ اسْتِعْمَالِهَا نَدَمٌ وَلَا يَفَارِقُكَ بَرٌّ وَلَا كَرَمٌ وَلِلَّهِ دَرُ الْقَاتِلِ
يَعْتَرِفُ بَعْضُ الْقَوْمِ مَنْ كَانَ عَاقِلًا • وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي قَوْمِهِ بِحَسْبِيبٍ
إِذَا حَلَّ أَرْضًا عَاشَ فِيهَا بِعَقْلِهِ • وَمَا عَاقِلٌ فِي بِلَدَةٍ بِغَيْرِ رَيْبٍ
وَمَا قَصُرَ الْقَاتِلُ حَيْثُ قَالَ

وَاصْبِرْ عَلَى خَلْقٍ مِنْ تَعْلَامِهِ • وَدَارِهِ قَالِيْبٍ مِنْ دَارِهِ
وَاصْخِرْ يَابُنِي إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي هُوَ بَيْتَةُ الدَّهْرِ وَسَلْمُ الْكَرَمِ وَالْعَمْرِ
وَلَوْ أَنَّ أَوْطَانَ الدِّيَارِ بَنَتْ بِكُمْ • لَسَكَنْتُمْ الْأَخْلَاقَ وَالْآدَابَ

اذ حسن الخلق أكرم نزيل والادب أرحب منزل وتكن كما قال بعضهم في أديب
متغرب وكان كلما طرأ على ملك فكانه معه ولد واليه قصد غير مستريب بدهره ولا منكر
شيأ من أمره واذا دعا قلبك الى محبة من أخذ بجميع ما مع هواه فاجعل التكلف سلا
وهبة في روض أخلاقه هبوب النسيم وحل بطرقه حلول الوسن وانزل بقلبه نزول
المسرة حتى يتمكن لك وداده ويخلص فيك اعتقاده وطهر من الوقوع فيه لسانك
وأغلق سمعك ولا ترخص في جاتيه لحسود لك منه يريد ابداء لك عنه لنتقته أو حسود له يغار
لتجمله بصحبته ومع هذا فلا تغتر بطول صحبته ولا تهمل بدوام رقدته فقد يفهم الزمان
ويغير منه القلب واللسان ولذا قيل اذا أحييت فأحب هونا ما فني لا يمكن أن ينقلب
الصديق عدوا والعدو صديقا وانما العاقل من جعل عقله معيارا وكان كالمرآة يلقى كل
وجه بمثاله وجعل نصب ناظره قول أبي الطيب

ولما صار ود الناس خبا • جزيت على ابتسام بايتسام

وفي أمثال العامة من سبقك يوم فقد سبقك بعقل فاحذر بأمثله من جرب واستمع
الى ما خلد الماضون بعد جهدهم ونعيمهم من الأقوال فانها خلاصة عمرهم وزبدة
تجارهم ولا تتكل على عقلك فان النظر فيما تعب فيه الناس طول أعمارهم وأيامهم غالبا
بتجارهم يرجح ويقع عليك رخيصة وان رأيت من له مهووة وعقل ويجرب به فاستقدمه
ولا تضيع قوله ولا فعله فان فيما تلقاه تلقى لعلك وحبالك واهتداه واياك أن تعمل به هذا
البيت في كل موضع والمترى يخدع بالكلام الطيب فقد قال أحدهم ما قيل آخر من هذا
البيت على أهل التجميل وليس كل ما تسمع من أقوال الشهماء يحسن بك أن تتبعه حتى
تدبره فان كان موافقا لعقلك مسلما لمالك فراع ذلك عندك والا فانك تبتذله التواء فليس
لكل أحد يتبسم ولا لكل شخص يكلم ولا الجود مما يمت به ولا حسن الظن وطيب
النفس مما يعامل به كل أحد والله در القائل

ومالي لا أوفي البرية قسطها • على قدر ما يعطى وعقلي ميزان

واياك أن تعطي من نفسك الا بقدر فلا تعامل الدون بمعاملة الكف ولا الكف بمعاملة
الاعلى ولا تضيع عمرك فيمن يعامل بالمطامع ويشبك على مصلحة حاضرة عاجلة بغائبة آجلة
واسمع قول الاول وبع أجلا منك بالعاجل وأقل من زيارة الناس ما استطعت ولا تفجهم
بالجملة ولكن يكون ذلك بحيث لا يلحق منه مل ولا ضجر ولا جفاء ولا تقل أيضا أقعد في كسر
يتى ولا أرى أحدا وأستريح من النامي فان ذلك كسل داع الى الذل والمهانة واذا علم
عدوك أو صديق منك ذلك عاملا لا يحسبه فإزدر إلى الصديق وجهه عليك العدو واياك
أن يغتر لصاحب واحد عن أن يتدخر غيره للزمان وتطيعه في عداوة سواء فني الماكن أن
يتغير عليك فتطلب اعانة عليه واستغناء عنه فلا تجرد خيرة قدمته أو كان هو في أوسع حال
وأعلى رأى بما دبره بحيلته في انقطاعك عن غيرهم فلو اتفق لك أن تهم به من كل صناعة
وكل رياسة من يكون لك عتية لكان ذلك أولى وأصوب وسأني فاني خير طال والله ما سمعت
الشخص أكثر عمرى لأعتمد على سواء ولا أعتمد الاياه فتعبد عابسا به موفيا في حياقل

خطابه الى أن لا يحصل لي منه غير العجز على البيان وقول لو كان ولو كان ولا يصح ما كنت
أيضا هذا القول أن تظنه في صكل أحد وتجل المكافأة وليكن حسن القاب بمقدار ما
وأصبر بمقدار ما والقطن لا تخفى عليه مخايل الاجوال وفي الوجوه دلائل وعلامات
وامض الى القاتل

ليس ذا وجه من يضيف ولاية • رى ولا يدفع الاذى عن حريم

فمن يكن له وجه مثل هذا الوجه قول وجهك عنه قبلة ترضاها ولتحرص من جهلك على
أن لا تصيب أو تخدم الأرب حشمة ونعمة ومن نشأ في رفاهية ومروءة فأنك تنام معه
في مهاد العافية وان الجياد على أعراقها تجري وأهل الاحساب والمروآت يتركون
منافعهم متى كانت عليهم فيها وصحة. وقد قيل في مجلس عبد الملك بن مروان أشرب مصعب
انجر فقال عبد الملك وهو عدوه محارب له على الملك لو علم مصعب أن الماء يفسد مروءته
ما شربه والفضل ما شهد به الاعداء يابني. وقد علمت أن الدنيا دار مفارقة وتغير وقد
قيل اصعب من شئت فانك مفارقة حتى فارقت أحدا فعلى حسن في القول والفعل
فأنك لا تدري هل أنت راجع اليه فذلك قال الاول ولما مضى سلم بكيت على سلم واياك
والبيت السائر

وكنتم اذا حلت بدار قوم • رحلت بخزية وتركت عارا

واحرص على ما جمع قول القاتل ثلاثة تبقى لك الود في صدر أخيك أن تبدأ بالسلام
ويوسع له في المجلس وتدعوه بأحب الاسماء اليه واحذر كل ما ينه لك القاتل كل ما تغرسه
تجنبه الا ابن آدم فانك اذا غرسته يقطعك وقول الاخر ابن آدم يتسكن حتى يتمكن
وقول الاخر ابن آدم ذئب مع الضعف أسد مع القوة واياك أن تثبت على صحبة أحد قبل
أن تطيل اختياره فيحكى أن ابن المقفع خطب من الخليل صحبته فجاوبه ان الصحبة رقة
ولا أضع رقي في يدك حتى أعرف كيف ملكتك واستقل من عين من تعاشره وتفقد
في قللت الا لسن وصفحات الاوجه ولا يصح لك الحياء على السكوت عما يضرك لأن لا يبينه
فان الكلام سلاح السلم وبالاثنين يعرف ألم الجرح واجعل لكل امرأ أخذت فيه غاية تجعلها
نهاية لك وآكد ما أوصيك به أن تطرح الافكار وتسلم للاقدار واقبل من الدهر
ما آتاك من قرعينا بعيشه نفقه اذا افكار تجلب الهموم وتضاعف الغموم وملازمة
القطوب عنوان المصائب والخطوب يستريب به صاحب ويشمت العدو والمجانب
ولا تضرب بالوساوس الانفسك لانك تنصيرها الدهر عليك والله در القاتل

اذا ما كنت للاجران عونا • عليك مع الزمان فن تلوم

مع أنه لا يرد عليك الغائب الجزن ولا يرعوى بطول عيبك الزمن ولقد شاهدت بغرناطة
شخصا قد ألفت الهموم وعشقت الغموم من صغره الى كبره لا ترام أبدا خليا من فكره
حتى لقب بصدو الهم ومن أعجب ما رأيته منه انه يتكذ في الشدة ولا يتعلل بأن يكون
بعدها فرج ويتكذ في الرخاء خوفا من أن لا يدوم وينشد توقع زوالا اذا قيل لم
وينشد وعند التناهي يقصر المتناول وله من الحكايات في هذا الشأن عجائب

ومثل هذا عرّفه سورجزي شياعا ومتى وقعك الزمان الى قوم يذمتون من العلم ما تحسنه
حسدك وقصدا لتصغير قدرك عندك وتزهدا لك فيه فلا يحملك ذلك على أن تزهد
في عملك وتركن الى العلم الذي مدحوه فتكون مثل الغراب الذي أعجبه مشي الخجله فرام
أن يتعلم فصعب عليه ثم أراد أن يرجع الى مشيه فحسبه فبقى محبيل المشي كما قيل

حسد القطا وأراد يمشي مشيها • فأصابه ضرب من العقاب

فأضل مشيته وأخطأ مشيها • فلذلك سموه أبا مرقال

ولا يقصد خاطرك من جعل يذم الزمان وأهله ويقول ما بقي في الدنيا كريم ولا فاضل
ولا مكان يرتاح فيه فان الذين تراهم على هذه الصفة أكثر ما يكونون من صفة
الحرمان واستخفت طلعتهم للهوان وأبرموا على الناس بالسؤال فقترهم وهجزوا
عن طلب الامور من وجوهها فاستراحوا الى الوقوع في الناس واقامة الاعذار لا تقسمهم
بتطوع اسبابهم وتعدز امورهم ولا تزل هذين البيتين من فمك

لن اذا ما نلت عزاً • فأخو العز يلبس

فاذا نابك دهر • فكلما كنت تكون

وقول الآخر

نه وارتفع ان قيل أقستروا تخفض ان قيل ائري

كالغصن يقل ما اكتسى • ثمرا ويعلو ما تغري

ولا قول الآخر

الذير يقي وان طال الزمان به • والشرأخيت ما أوعيت من زاد

واعتقد في الناس ما قاله القائل

ومن يلق خيرا يحمد الناس أمره • ومن يغول لا يعدم على النقي لا تها

وقريب منه قول القائل

بقدر الصعود يكون الهبوط • فإياك والرتب العاليه

وكن في مكان اذا ما سقطت • تقوم ورجلك في عافيه

وتحفظ عما تضمنه قول الآخر

ومن دعا الناس الى دمه • ذموه بالحق وبالباطل

وقه در القائل

ما كل ما فوق البسطة كافا • فاذا اقتنعت فكل شيء كافي

والامثال يضربها الذي الله الحكيم وذو البصر عني على الصراط المستقيم والظن

يقنع بالقليل ويستدل باليسير والله سبحانه خليفتي عليك لارب سواه • تجز الوصية •

ويكفيك عنوانا على طبقته في الترفقه رساله كتب بها الى ملك المغرب أبي محمد عبد الواحد

ابن أبي يعقوب بن عبد المؤمن مهتاله بالخلافة حين يبيع بها عزرا كش وكان اذذاك

باشيبييه وكان قبل ذلك كاتبه ومختصا به الحضرة العلية السامية السنية الطاهرة

القدسية حضرة الامامه وجنة دار الانامه مد الله على الاسلام ظلالها وأغنى

في هذه العادة تمامها وكمالها وهذا المؤمن باستقبال أمارتها وأدام لهم بركة خلافتها
عبد أيا دينا وخدم نادية المتوسل بقديم اناديه المتوسل بديم التهمة وكريم
الحرمة المتشدد بلان المسرة حين أطلع الزمان هذه الغزاة
أنته الخلافة منقادة • اليه تجوز أنياله
فلم تنك تصلح الاله • ولم يك يصلح الاله
موسى بن محمد بن سعيد بن محمد لا زال هذا الامر العلي محمودا سعيدا ولا يرحب بزيادة
زقيا وعودا

يا نعمة الله زیدی • ان كان قبلك مزیدی

سلام الله الكريم يخص حضرة الاجلال والتعظيم والتقدیس والتفخيم ورجته
وبركاته وبعد حمد الله الذي بلغ الاسلام بهذه الخلافة آماله وحلى به هذه الولاية السعيدة
أحواله والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله الذي أوحى الله تعالى به الكفر
وضلاله وعلى آله وصحبه الطاهرين الذين هموا أقواله وامتلوا أفعاله وارضاعن
الامام المهدي المعلوم الذي أفاء الله به على الدين الحنيفي ظلاله وأذهب عنه طوائفه
وضلاله والدعاء للمقام العالي الكريم بالسعد المتوالي والنصر الجسيم وكتب العبد
وقدم ملائكة هذه البشرية المسرة أنفه ووسعت عليه هذه المرتبة العلمية طريقه
فهذه مرتبة مازلت أرقها • فالיום أبسط آمالي وأحكم
ولا أقنع مني ان اقتصرت على السماء دارا والهلل للبشير سوارا والنجوم عقدا
والصباح يندا حتى أحر كل أحد بشكاه وأقابل كل شخص بمثله
ومن خدم الاقوام يرجونو الهم • فاني لم أخدمك الا لخدمته
وما بعد الخلافة رتبة ودون شير تعطي كل هضبه فالحمد لله رب العالمين وهنيا
لعباده المؤمنين حيث نظروهم تظروهم فأسبل عليهم ستر هذه النعمة
ولقد علمت بأن ذلك معصم • ما كان يتركه بغير سوار
والله أعلم حيث يجعل رسالاته والى من يشير بآياته فله صباح ذلك اليوم السعيد وولته
لقد سفر عن وجهه من البشرية أضواء الآفاق شرقا وغربا غزته ولقد اجتمعت آراء
السادات حتى أنت الاسلام بالمراد فأخذ القوس باربها وحل بالدار بانيها هنيأ زادك
الرحن لطف وخيرا ولا يرحم المسرات تسير اليك سيرا وهل يصلح النور الا للعقل وهل
يليق بالحسن الا للجل فالآن مهد الله البرين وأفاض العدل على العدوتين وقدم للنظر
من لا يعزب عن حفظه مكان ولا يختص بحفظه انسان دون انسان خليفة له النفس
العمرية والآراء العمرية والقراءة الاياسية ولا ينشك مثل خير فلفد شاهد
العبد ما لا يحصره تفسير ولعمري لقد صار الصباح في اشراق النهار ولم يحق عنا ما زاد
الدينامن البهجات والمسار وشملت الناس هذه البشائر وعمت كل باد وحاضر
وأصاخروا لتاليها اصاخة المجدين لمرئاهم وأعطوا الهام هالين ومكبرين اطاع الناس
لا عبادهم وأما العبد فقد أخذ بحفظه حتى خاف أن يغلب السرور على قلبه ولحظه

قوله المسرة هكذا في النسخ
ولعل ما به السارة لأن الفعل
ثلاثي تأمل اه معجمه

(ومن فرح النفس ما يقتل) وهذه نعمة يقصر عنها الثر والنظم ويحسد عليها الهلال
والنجم بل يسلمان لما استحقته من المراتب ويخضعان اليها خضوع المفترض الواجب
أقر الله سبحانه عبود المسلمين وأفاض صباه على الناس أجمعين وحفظها بعينه التي لا تنام
ووثق على خدمتها الليالي والأيام * ولما قدم من الاندلس على تونس مدح سلطانها أبا
ذكر يادقوله

بشرى ويسرى قد أثار المظلم * فحما وقد وضع الصباح المعلم
ورنت عيون الأمن وهي قسيرة * وبدت تغور السعد وهي تبسم
فأرحل أتونس واعتقد أعلام من * قوى الضعيف به وأثرى المعدم
حيث المعالي والمعاني والندى * والفضل والقوم الذين هم هم
أجر والى النهايات مل معنائهم * سبقا وبذهم الجواد المتسم
ساد الامام الملك يحيى سادة * أعطى الورى اهرم القيادة وسلوا
ان الامارة مدغدا يقتادها * يقضى وأجفان الحواشيث قوم
لله منك مبارك ذو فطنة * برعت فأججم عندها من يقدم
يقظان لا وان ولا متقاعس * كالدهر ينفى ما يشاء ويهدم
ان صال فاللث الهصور المقدم * أو سال فالغيث المغيث المنجم
أعلى منار الحق حين أماله * قوم تبرأت المتابر منهم
أعلى الاله مكانه وزماته * والنصر يقدم والسعادة تخدم
(وقال يجا طرب ملك المغرب مأمون بن عبد المؤمن حين اخذ البيعة لنفسه بأشيلية وكان
المذكور بمرا كسر ولبنى سعيد بهذا الملك اختصاص قديم

الحزم والهزم وجودان والنظر * واليمن والسعد مضمونان والظفر
والنيور فاض على ارجاء اندلس * والزور ليس له عين ولا أثر
حت الركاب الى هذا الجناح فقد * ضلوا فماتتفع الآيات والنذر
واعزم كما عزم المأمون اذ نشرت * أرض العراق فزال القوس والمضرب
(ولما قدم العادل القائم بمروسة المتولى على مملكة البرين الى اشيلية كان في جملة من خرج
للقائه ورفع له قصيدة منها

لقائمه للبر والشكر مجمع * الى يومه ~~كنا~~ نأخب ونوضع
لقد يسر الرحمن معب مرامه * فأبصرت أضعاف الذى كنت أسمع
وله

يا منعم ما قد جاءني برء * من غير أن أبرى له ذكرا
أن أحب الخير ما جاءني * عفوا ولم أعمل به فكرا

وله في غلام واعظ وهو من حسنة

وشادن ظل لوعظنا بالبابين جمع
متع طسرى بمرآ * في خفارة سمى

وله من أبيات

ومن عجب أن الليالي تغيرت * ولكنهما ما غيرت من الهدا
ومن الفضلاء الذين أدركهم وأخذ عنهم الحافظ أبو بكر بن الخطبة وأبو بكر بن زهر وغيرهما
وحضر حصار طليطلة مع منصور بن عبد المؤمن وكتب الملك البربري أبي محمد عبد الواحد
وكتب أيضا عن مأمون بن عبد المؤمن وكتب أخيرا عن ملك بجاية والغرب الأوسط
الأمير أبي يحيى بن ملك أفريقية رحم الله تعالى الجميع * (رجع إلى أبي الحسن بن سعيد
قال رحمه الله تعالى حضرت ليلة أنس مع كاتب ملك أفريقية أبي العباس أحمد الغساني
فاحتاجت الشمعة أن تقط فتناول قطها غلام بيناته فقالت

ورخص البنان تصدى لان * يقط السراج بمثل العنبر

ولم يهب النار في لمسه * ولا احتاج في قطه للعلم

وما ذال إلا لكنا في * فؤادي على ما حوى من ضرر

تعود حر لهيب به * فليس به من أوار ألم

وأشد في المغرب للغساني المذكور في خسوف القمر مما قاله ارتجالا

كان البدر لما أن علاه * خسوف لم يكن يعتاد غيره

مجنجل عادة قلبه لما * أراها شبيهها حسدا وغيره

وناطبه المذكور برسالة يقول في آخرها وعند حامل هذه الحرف سلمه الله تعالى كنه
خبري واستيعاب ما قصر عنه قلبي فضاقت بحملها أسطرى لتعلم ما أجده وأفقده من
تشوقي وتصبري واني لا أزال أنشد حيث تذكرى وتفكرى

بأنثى قد نأى عني بمصطبرى * وثاوي في سواد القلب والبصر

إذا تناسيت عهدا من أخى ثقة * فاذكر عهدى فما أخلبك من فكري

واردد على تحياني بأحسنها * تردد على حياتي آخر العيسر

ولذلك العنان عن الجري في ميدان أخبار ابن سعيد فأنها لا يشق عبارها ومنها قوله رحمه
الله تعالى سمعت كثيرا من السماع المشرقي فلم يهزني مثل قول الشريف الشامي المكي

مقل بالدمع غرقى * وفؤاد طار خفقا

وتجسنت ونسنت * شق جيب الصبر شقا

بائتاني خبروني * عن حديث اليوم حقا

أكذا كل محبة * فارق الأحباب يشقى

لا وعيش قد تقضى * وغرام قد تسقى

ونعيم في ذراكم * قد صفا دهر أوقا

ونسيم من حاكم * حمل الوجه فرقا

برسالات صبايا * تلى المشتاق تلقى

وغصون ناعلمات * بعياء اللين تسقى

ووجوه فغن حسنا * فلان الأرض عشقا

لورضيتم بي عبدا * مارضيت الدهر عتقا
وقال ما سمعت ولا وقفت على شيء أبعد من قول الجزار وقد تردد الى جمال الدين بن يغمور
رئيس الديار المصرية فلم يقدر له الاجتماع به

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَدِيمَ لَكَ الْعِزَّ وَيُقْبِلَ مَا أُرِدْتُ الْبَقَاءَ
كُلَّ يَوْمٍ أَرْجُو النَّعِيمَ بَلَقِيَا * لَمَّا لَقِيَ بِالْبَعْدِ عَنْكَ شَقَاءَ
عَلِمَ الدَّهْرُ أَنَّي أَشْتَكِيهِ * لَكَ إِذْ لَقِيتُ نَحَاقَ الْإِقْدَاءِ
فَبَعَثَ لَهُ بِمَا صَلَحَ حَالُهُ مِنَ الْإِحْسَانِ وَكَتَبَ فِي حَقِّهِ إِلَى وَلَاةِ الصَّعِيدِ كِتَابًا أَغْنَتْهُ مَدَّةَ
عَنْ شَكْوَى الرِّمَانِ انْتَهَى * وَقَالَ أَيْضًا وَلَمْ أَسْمَعْ فِي وَضْعِ الشَّيْءِ مَوْضِعَهُ أَحْسَنَ مِنْ قَوْلِ
الْمُتَنَبِّ

وَأَصْبَحَ شَعْرِي مَتَّهِمًا فِي مَكَانِهِ * وَفِي عُنُقِ الْحُسْنَاءِ يَسْتَحْسِنُ الْعَقْدُ
وَلَمْ أَسْمَعْ فِي وَضْعِ الشَّيْءِ غَيْرَ مَوْضِعِهِ أَحْسَنَ مِنْ قَوْلِ أَبِي الْفَرَجِ
مَرْمَدُحَى ضَائِعًا فِي لُؤْمِهِ * كَضِياعِ السَّيْفِ فِي كَفِّ الْجَبَانِ
وَمَنْ تَأَلَّفَ النُّورَ بِنِ سَعِيدِ كِتَابِ عُدَّةِ الْمُسْتَعِجِزِ وَعَقْلِهِ الْمُسْتَوْفِزِ وَذَكَرَ فِيهِ أَنَّهُ ارْتَحَلَ مِنْ
تُونِسَ إِلَى الْمَشْرِقِ رَحْلَتَهُ الثَّانِيَةَ سَنَةَ ٦٦٦ وَأُورِدَ فِي هَذَا الْكِتَابِ غَرَائِبُ وَبَدَائِعُ
وَذَكَرَ فِيهِ أَنَّهُ لَمَّا دَخَلَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةَ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ أَحَدٌ كَسَدَ مِنْ السُّؤَالِ عَنِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ
فَأَخْبَرَ بِحَالِهِ وَمَا جَرَى لَهُ مَعَ الطَّاطَرِ حَتَّى قَتَلُوهُ بَعْدَ الْإِمَانِ ثُمَّ سَاقَ فِيهِ دُخُولَ هَوْلًا كَوَحْلَبِ
فَقَالَ بَعْدَ كَلَامٍ كَثِيرٍ وَارْتَكَبَ فِي أَهْلِ حَلَبِ الطَّاطَرِ وَالْمُرْتَدِّينَ وَنَصَارَى الْأَرْضِ مَا تَصَمَّ
عَنْهُ الْأَسْمَاعُ وَكَانَ فِيمَنْ قَتَلَ يَتْلُوكَ الْكَاتِبَةُ الْبَدْرُ بْنُ الْعَدِيمِ الَّذِي صَدَّرَ عَنْهُ مِنَ الطَّبَقَةِ
الْعَالِيَةِ فِي الشَّعْرِ مِثْلَ قَوْلِهِ

وَأَهْلُ الْعَقْرِبِ صَدَغَهُ * لَوْلَمْ تَكُنْ لِلْمَاءِ تَحْمِي

وَلَعَقْلُ خَطِّ عِذَارِهِ * لَوْ بَتَ أَجْعَمُهُ بِلَتْمِي

وَابْنُ عَمِّهِ الْاِفْتِخَارُ بْنُ الْعَدِيمِ الَّذِي وَقَعَ لَهُ مِثْلُ قَوْلِهِ

وَالْغَصْنُ فِيهِ الْمَاءُ مَطْرَدٌ * وَالْمَاءُ فِيهِ الْغَصْنُ مَنَعَكُ

ثُمَّ قَالَ لَمَّا ذَكَرَ أَحْوَالَ النَّاصِرِ بَعْدَ اسْتِبْلَاءِ الطَّاطَرِ عَلَى بِلَادِهِ حَلَبَ وَالشَّامَ وَمَا يَلِيهِمَا مَا نَصَحَهُ
قَالَ مَنْ دَخَلَ عَلَى الْمَلِكِ النَّاصِرِ وَقَدْ نَزَلَ بِعِيدَانِ دِمَشْقَ قَبْلَ يَدِهِ وَجَعَلَتْ أَدْعَاؤُهُ وَأَظْهَرَ
تَعَزُّيْتَهُ عَلَى مَا جَرَى مِنْ تِلْكَ الْمَصَائِبِ الْعَظِيمَةِ فَأَضْرِبَ عَنْ ذَلِكَ وَقَالَ لِي فِيمَ تَغْزُلُ الْيَوْمَ
ثُمَّ أَتَشَدَّنِي قَوْلُهُ فِي عَمَلُونِ فَقَدَلَهُ فِي هَذِهِ الْكَاتِبَةِ

وَاللَّهُ مَا أَبْكَى لِمَلِكٍ مَضَى * وَلَا لِحَالِ ظُلَامٍ أَوْ مَقِيمٍ

وَأَمَّا أَبْكَى وَقَدْ حَقَّقَ لِي * لَفَقْدَ مَنْ كُنْتُ بِهِ فِي نَعِيمٍ

يُطْلَعُ بِدُرٍّ يَنْشِي بَانَةً * يَمُرُّ فِيمَا رَمَتْهُ كَالنَّسِيمِ

فِي خَاطِرِي أَبْصَرُهُ خَاطِرًا * فَأَلْتَوَى مِثْلَ التَّوَاهِ السَّقِيمِ

يَا عَاذِلِي دَعْنِي وَمَا حِلَّي * فَمَا سَوَى اللَّهِ بِجَهَالِي عَلَيْهِ

أَنْ مَتَ مِنْ حَزْنٍ لَهُ أَسْتَرْجِ * وَأَنْ أَعْشَ عَشْتُ بِهِمْ عَظِيمِ

قال ثم انه سار نحو هولا كوه فلما مر بجلب وتطرا الى معاهده على غير ما يعهد قال
مررت بجرجاء الحى قتلت * لحاظي الى الدار التي رحلوا عنها
ولو كان عندى ألف عين وقتى * معالمها عمرى لما شبت منها
وصنع في نعيمها أشعارا يغنى بها السمعون ثم رحل الى صحراء يوشن في جهة طريق أرمينة
فوجد هولا كوهناك في تلك المروج المشهورة بالخصب فأترله وأقام يشرب معه الى أن
وصل النهر بوقعة عين جالوت على الططر للملك المظفر قطز صاحب مصر سنة ٥٨٠
فقتلوه وخلصوا عظم كتفه وجعلوا في أحد الاعلام على عادته في اصكتاف المملوك
اتهى باختصار * (رجع) ومن الواقدى من الاندلس الى المشرق الاديب الحبيب عبد
الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن سعيد وكان معب الخلق شديد الانفة جرى بينه وبين أقاربه
ما أوجب خروجه الى أقصى المشرق وفي ذلك يقول وكتب به اليهم

من لصب يرى النجوم صباه * ضيع السرى في الهموم شبابه
زدت بعد اقزوت فيه اقترابا * بودادى كذاك حكم القرايب
منزلى الآن سمرقند وبالقلعة ربع وطئت طفلا تراه
شذما أبعد الفراق اتزاحى * هكذا الليث ليس يدري اغترابه
لا ولا أرغى الاياب لامر * ان يـكـن يرتجى غريب اياه

وكتب لهم من بخارى

اذا هبت رياح الغرب طارت * اليها مهبتي نحو التلاقى
وأحسب من تركت به يلاقى * اذا هبت صباها ما ألاقى
فيا ليت التفرق كان عدلا * فحمل ما يطيق من اشتياق
وليت العمر لم يبرح وصالا * ولم يختم علينا بالفراق

إذا كان الشوق فوق كل صفة فكيف نعب عنه الشفه لكن العنوان دليل على بعض
نافي الضميمة والحاجب قد يتوب في بعض الامور مناب الخليفة وما ظنكم بكم بشوق
طريح في يد الاشواق طليح يقطع مسافات الآفاق يتقلب قلب الاقباة ويلتون تلون
الطرباء حتى كأنه يخبر مساحات الارض ذات الطول والعرض ويجوب أهوية الاقاليم
السبع خارجا بما أدخله فيه اللجاج عن السمع فكانه خليفة الاسكندر لكن ما يجيش
من هموم الغربة بفكرى فائمة مقام الجيش والعسكر جزت الى بر العدو من الغرب
الاقصى ثم تشوقت نفسى فطعت الى مشاهدة الغرب الاوسط فلا قيت فيما بينهم من
المسافة ومن المشاق ما لا يحصى ثم تشوقت الى افرريقية درب بلاد الشرق فاستشعرت من
هنالك ما بينا وبين بلادى من الفرق واختطفت من عيني تلك الطلاوة واتزعجت من قلبي
تلك الخلاوة

فلله عين لم تر العين مثلها * ولا تلتقى الابحاث رضوان

ثم نازعتنى النفس التواقفة الى الديار المصرية فكابدت في البحر ما لا ينق بوصفه الا المشاهدة
الى أن أبصرت منار الاسكندرية فيالك من استئناف عمر جديد بعد اليأس من الحياة

بما لقينا من الهول والتشديد ثم صعدت الى القاهرة قاعدة الديار المصرية لمعاينة
الهمرمين وما فيها من المعالم الازلية وعمايت القاهرة المعزية وما فيها من الهمم
العلية الملوكة غير اني أنكرت مبانيها الواهية على ما حوت من أولى الهمم العلية
وكونها حاضرة العسكر الجزار وكرسى الملك العظيم المقدار وقلت أصداف
فيها جواهر وشول محدد بأزاهر ثم ركبت النيل وعمايت تماسيحه وجزت بمرجثة
وذقت تباريحه وقضيت الحج والزيارة وملت الى حاضرة الشام دمشق والنفس بالسوء
أتماره فهناك بعث الزيارة بالازورار وآلت تلك التجارة الى ما حكمت به الاقدار
اذ هي كما قال أحد من عاينها

أقام دمشق بجنات مججلة * لطالعين بها الولدان والخور

فقله ما تضمن داخلها من الخور والولدان وما زين به خارجها من الانهار والجنان
وبالجملة فانها حتى تتقاصر عن ادراكها أعناق الفصاحه وتقصير عن مناولتها في ميدان
الاصناف كل راحة ولم أزل أسمع عن حلب أنها دار الكرم والادب فأردت أن يحظى
بصري بما حظي به سعي ورحلت اليها وأقت جارا بالمدان كيرة والمطايبة صدعي ثم رحلت
الى الموصل فالقيت مدينة عليها رونق الاندلس وفيها الطاقة وفي مبانيها طلاوة تراح لها
الانفس ثم دخلت الى مقر الخلافة بغداد فعمايت من العظم والصفحة ما لا يني به الكتب
ولو أن البحر مداد ثم تغلغل الى بلاد العجم بلدا بلدا غير مقتنع بغاية ولا قاصدا مدا الى
أن حلت ببخارى قبة الاسلام وجمع الانام فألقيت بهما عصا التسيار وعكفت على
طلب العلم واصلا في اجتهاده سواد الليل وبياض النهار انتهى * وكتب اليهم ايضا من
هذه الرسالة كتبت وقد حصلتني السعادة وحظ الامل والارادة بحضرة بخارى
قبة الاسلام * وأجابه أهله من الغرب بكلام من بجلته وان كنت قد تحصنت بقبة
الاسلام فقد تعجلت لنا ولك الفقد قبل وقت الحمام وأتبعوا ذلك بعبادعاء لان خاطبهم
بشعر منه

عندتم على حتى المطى وقلم * تعجلت فقد قبل وقت حمام

اذ لم يكن حالي مهما لديكم * سواء عليكم رحاتي ومقامي

وقتل المذكور ببخارى حين دخلها الطرور وهو عم علي بن سعيد الشهير وكان لعبد الرحمن
المذكور أخ يسمى يحيى قد عانى الجندية فلما بلغه أن أبا القاسم عبد الرحمن قتل ببخارى قال
لا اله الا الله كان أبدا يسفه رأيي في الجندية ويقول لو اتبع طريقتي النجاة كما صنعت أنا
لكان خير لك فها هو رب قلم قد قتل شر قتله بحيث لا يتصور وساب سلاحه وأما ما زلت
أغازي في عباد الصليب وأخلص فاقدر أحمد أن يحسن لنفسه عاقبة انتهى * قال
أبو الحسن علي بن سعيد ثم ان يحيى المذكور بعد خوضه في الحروب صرعه في طريقه
غلام كان يخدمه فذبحه على نزر من المال أفلت به فانظر الى تغلب الاحوال كيف يجري
في أنواع الامور ولا على تقدير ولا احتياط انتهى * ومن شعر أبي القاسم عبد الرحمن
المذكور ما خاطب به تقيب الاشراف ببخارى وقد أهدى اليه فاختم مع زوجته

أياسيد الاشراف لازلت عاليا • مهالك تذبوا الدهر عن كل ناعت
من الفضل اقبال على ما بعثته • اغسلناك من شاد دعوته بفاخت
الاحبذا من فاخت سادجنسه • وأصبح مقرونا بست القواخت
ان فائق منه الانيس فكل ما • يحل الى عليك ليس بقايت انتهى
• (ومنهم الشيخ الصالح الزاهد أبو الحسن علي بن عبد الله بن يوسف بن حمزة القرطبي
الانصاري المعروف بابن العائد نزيل رباط صاحب الصني بن شكر قال بعض المشاركة
عنه انما سميت الحرباء بالجوز لانها بنت ثمانين يعني عدد حذوها وانشد له
عند لنا فلانا على فعله • ولنا في شربه للجوز
فقال دعوني من أجلها • أنا وأنا وأخي والجوز

• (ومنهم الشيخ الفاضل المتقن أبو عبد الله محمد بن علي بن يوسف بن محمد بن يوسف
الانصاري الشامي الاصل البلنسي المولود في أحد ربيع سنة احدى وستائة واثني
المشاركة برضى الدين وتوفي بالقاهرة في جمادى الاولى سنة ٦٨٤ رجه الله تعالى
ومن نظمه لما حضر اجله وقد أمر خادمه أن يتلف له بيته وأن يغلق عليه الباب ويفتقده
بعد زمان ففعل ذلك فلما دخل عليه وجده ميتا وقد كتب في رقعة

حان الرحيل فودع الاداراتي • ما كان ساكنها بها بمخلد
واضرع الى الملك الجواد وقل له • عبد يباب الجود أصبح يجتدي
لم يررض غير الله معبودا ولا • ديناسوى دين النبي محمد
ومن نظمه أيضا رجه الله تعالى

أقول انفسى حين قابلها الردى • فرامت فرارا منه يسرى الى عني
تري تحملى بعض الذى تكرهينه • فقد طالما اعتدت الفرار الى الاهنى
أنشده له تليذه أبو حسان امام عصره في اللغة حدث عن ابن المنير وغيره واشتغل الناس
عليه بالقاهرة وله تصانيف مفيدة وسمع من الحافظ أبي الربيع بن سالم وكتب على صحاح
الجوهري وغيره حواشي في مجلدات وأثنى عليه تليذه أبو حسان رحم الله تعالى الجميع
ومن قوائمه قوله نقلت من خط أبي الوليد بن خيرة الحافظ القرطبي في فهرست أبي بكر
ابن مقفوز قد أدركته بسنى ولم اخذ عنه واجتمعت به أنشدني له أبو القاسم بن البرش يخاطب
بعض أكابر أصحاب محمد بن حزم والاشارة لابن حزم الطاهري

يا من تعفى أمورا ان يعانيتها • خلل التعانى وأعط القوس بارها
تروى الاحاديث عن كل مسامحة • وانما المعانيتها —————ها معانيتها

وقد سبق في ترجمة القاضي أبي الوائيد الباجي ذكر هذين البيتين عندما أجري بنا ذكر ابن
حزم قال وانما قال هذا الشعر في ذكر رواية ادعت على قول النبي صلى الله عليه وسلم ان
خالدا قد احبس أذراعه وأعتده في سبيل الله وصحح رواية من روى أعبدته جميع عبده
وعلى رواية من روى اعتمده بالتاء مشاة باثنتين من فوق جمع عتده وهو الفرس قال ابن
خيرة الا حاطة ممتعة وهذه الرواية قد رواها جماعة من الاثبات والعلماء المحذنين فهو

اتكار غير معروف والله تعالى أعلم • ومن فوائده ما نقله تلميذه أبو حيان النخعي عنه قال أنشدنا للمعري ونقلته من خطه

إذا ما شئت معرفة • لما سار الوري فيه
نخذ خسا لا ربعة • ودع للشوب رافيه

وهو لغز في ورد قال وأنشدنا لبعضهم

لا رعى الله عزيمة ضمنت لي • سلوة الصبر والتصبر عنه
ما وقت غير ساعة ثم عادت • مثل قلبي تقول لا بد منه

قال وأنشدنا لغيره

وكان غريب الحسن قبل الحائه • فلما التي صار الغريب المصنفا

وأنشدنا لغيره

طب على الوحدة نقسا • وارض بالوحشة أنسا
ما عليها من يساوى • حين يستغبر فلسا

وقرأ الرضي يملده على ابن صاحب الصلوات آخر أصحاب ابن هذيل وسمع منه كتاب التلخيص للوافي وسمع بمصر من ابن المقير وجماعة وروى عنه الحافظ المزني واليوتيني والظاهرى وآخرون وانتهت اليه معرفة اللغة وغريبها وكان يقول أحرف اللغة على قسمين قسم أعرف معناه وشواهده وقسم أعرف كيف أنطق به فقط رحمه الله تعالى • ومن فوائده الرضي الشاطبي المذکور ما ذكره أبو حيان في البحر قال وهو من غريب ما أنشدنا الامام الاغوي رضى الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن يوسف الانصارى الشاطبي لزيب بنت اسحق النصراني الرسعي

عدى وتيم لا أأول ذكهم • بسوء ولكنى محب لها شم
وما يعتريني في علي ورهطه • اذا ذكر وافي الله لومة لائم
يقولون ما بال انصارى نجهم • وأهل النهى من أعرب وأعاجم
فقلت لهم انى لا حسب حيم • سرى في قلوب الخلق حتى البهائم

ومن نظم الرضي المذکور

منغص العيش لا يأوى الى دعة • من كان في بلد أو كان ذا ولد
والساكن النفس من لم ترض منه • سكنى بلاد ولا سكنى الى أحد
وله

لولا بناق وسيتاق • لطرت شوقا الى الممات

لا تني في جوار قوم • بغضنى قريهم حيات

وقرأ عليه أبو حيان كتاب التيسير وأثنى عليه ولما توفي أنشد ارجبالا

نعي لى الرضي فقلت لقد • نعي لى شيخ العلا والادب

فن للغات ومن للثقافات • ومن للنساء ومن للنسب

لقد كان للعالم بحرا فغار • وان غبور البحار العجب

فقدس من عالم عامل * أنار لشجوى لما ذهب

وتحاكم الى رضى الدين المذكور الجزار والسراج الوراق أيهما أشعر وأرسل اليه الجزار
شياً فقال هذا شعر جزل من غمط شعر العرب فبلغ ذلك الوراق فأرسل اليه شياً فقال هذا شعر
سلس وآخر الامر قال ما أحكم ينكح رجه الله تعالى * قلت رأيت بخطه كتباً كثيرة بمصر
وحواشي مفيدة في اللغة وعلى دواوين العرب رجه الله تعالى * (ومنهم حميد الزاهد وهو
الاديب الفاضل الزاهد أبو بكر حميد بن أبي محمد عبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحيى بن عبد
الله الانصارى القرطبي تزيل معلقة قال الرضى الشاطبي المذكور قريلاً أنشدني حميد
بالقاهرة لايه أبي محمد وقد تأخر شبيهه مع علوسه

وهل نافع ان أخطأ الشيب مفرق * وقد شاب أترابي وشاب لداق

اذا كان خط الشيب يوجد عينه * يتسرى فعمناء يقوم بذاق

واللدات من ولده في زمان واحد انتهى وفي ذكرى أنه قال هذين البيتين لما قال له
القاضي عياض شبناء لم تشب وقال الرضى أيضاً أنشدني حميد لايه من يكتب في الورق
بالقص وهو غريب

وكاتب وثني طرسه حبر * لم يشها حبره ولا قلته

لكن عقر راضه ينغمها * غنمة الروض جاد ورعه

يوجد بالقطع أحر فاعدمت * فاعجب لشيء وجوده عدمه

والرهم المطر قال وتوفي حميد الزاهد بجمصر قبيل الظهر من يوم الثلاثاء وصلى عليه خارج
مصر بجمامع راشدة بعد صلاة العصر من يوم الثلاثاء المذكور ودفن بسفح المقطم بتربة
الشيخ الفاضل الزاهد أبي بكر محمد الخزرجي الذي يدق الرصاص حذاء رجله في الثالث
والعشرين من ربيع الاول سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة ومولده سنة ست وستمائة
انتهى * (ومنهم اليسع بن عيسى بن حزم بن عبد الله بن اليسع بن عبد الله الغافقي من أهل
بالنسبة وأصله من جيان وسكن المروية ثم معلقة يكنى أبا يحيى كتب لبعض الأمراء بشرقي
الاندلس وله تأليف سماه المغرب في أخبار محاسن أهل المغرب جمعه للسلطان صلاح الدين
يوسف بن أيوب بالديار المصرية بعد أن رحل اليها من الاندلس سنة ستين وخمسمائة وبها توفي
يوم الخميس التاسع عشر من رجب سنة خمس وسبعين وخمسمائة رجه الله تعالى * (ومنهم
محمد بن عبد الرحمن بن علي بن محمد التجيبي يكنى أبا عبد الله من أهل اشبيلية تجول في بلاد
الاندلس طالبا للعلم ثم حج ولقى الحافظ السلقي وغيره واستوطن تلمسان وبها توفي في جمادى
الاولى سنة عشر وستمائة وله تواليق كثيرة * (ومنهم أبو مروان محمد بن أحمد بن عبد الملك
اللمخي الباجي من أهل اشبيلية ولي القضاء بها وأصله من باجة افریقیة دخل المشرق
لاداء الفريضة فحج وتوفي بمصر بعد ما دخل الشام في اليوم الثامن والعشرين من ربيع
الاول سنة خمس وثلاثين وستمائة ومولده عام أربعة وستين وخمسمائة وكانت رحلته
من المغرب أول يوم من المحرم عام أربعة وثلاثين وستمائة * (ومنهم وليد بن بكر بن مخلد
ابن زياد العمري من أهل سرقسطة يكنى أبا العباس له كتاب سماه الوجازة في صحة القول

بالاجازة وله رحلة اتي فيها ألف شيخ ومحدث وفقه توفى بالدينور سنة اثنتين وتسعين
وثلاثمائة يروي عنه أبي ذر الهروي وعبد الغني الحافظ و... نغراهم الذين الامامين
العظيمين رحم الله تعالى الجميع * (ومنهم عيسى بن سليمان بن عبد الملك بن عبد الله بن
محمد الرعيني الرندي يكنى أبا محمد استوطن مالقة ورحل الى المشرق ورجع ولقي جماعة
من العلماء وقفل الى المغرب وأخر عام واحد وثلاثين وستمائة وولى الامامة بالمسجد
الجامع بمالقة وبعثه توفى في ربيع الاول سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ولقب في المشرق
برشيد الدين وولد في ربيع الاول سنة احدى وثمانين وخمسمائة بقصرية من قرى
الاندلس يقال لها بلالتين كورة بشتغرد كذلك ابن المستوفي في تاريخ اربل
* (ومنهم أبو الربيع سليمان بن أحمد النيني من أهل الاندلس استوطن المشرق ومدح
الملك الكامل ومن شعره رحمه الله تعالى قوله

لولا تحديه بأية شعره * ما كنت ممتثلا لشريرة أمره
رشا صدقه وكاذب وعده * يدي لعاشقه أدلة غدره
ظهرت نبوة حسنه في فترة * من جفنه وضلالة من شعره

* (ومنهم أبو جعفر أحمد بن يحيى الضبي رحل حاجا فلقى ببصاية عبد الحق الاشبيلي
وبالاسكندرية أبا الطاهر بن عوف ولقي غير واحد في رحلته كالحزوني وأبي التمام الخزازي
وأبي الحسين الخريشي وللخريشي أحاديث ساوى بها البخاري ومسلم ولقي جماعة ممن
شاركه السلق في شيوخه * (ومنهم أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكاظم صاحب
الرحلة وهو من ولد ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة أندلسي شاطبي بلنسي مولده ليلة
السبت عاشر ربيع الاول سنة أربعين وخمسمائة ببلنسية وقيل في مولده غير ذلك
وسمع من أبيه بشاطبة ومن أبي عبد الله الاصيلي وأبي الحسن بن أبي العيش وأخذ
عنه القراءات وعنى بالادب فبلغ الغاية فيه وتقدم في صناعة القريض والكتابة ومن
شعره قوله وقد دخل الى بغداد فاقطع غصنا نصيرا من أحد بساطتها فذوى في يده

لا تغرب عن وطن * واذا كرت صاريف النوى
أما ترى الغصن اذا * ما فارق الاصل ذوى

وقال رحمه الله تعالى يخاطب الصدر الخندي

يا من حواه الدين في عصره * صدر ايجل العلم منه نواد
ما ذا يرى سيدنا المرتضى * في زائر يخطب منه الوداد
لا يبتغي منه سوى أحرف * يعتذرها أشرف ذر يناد
ترسمها أغله منسل ما * غرق زهر الروض كنف العهد
في رقعة كالصبح أهدى لها * يد المعالي مسك ليل المداد
اجازة يورثها العـلا * جائزة تبقى وتبقى البلاد
يستحب الشكر خديما لها * والشكر للايجاد أسنى عتاد

فأجابه الصدر الخندي

لأن الله من خاطب حلي • ومن قابس يجتدي سقط زندي
أجزت له ما أجازوه لي • وما حدثوه وما صبح عندي
وكانت هذي السطور التي • تراهن عبد اللطيف الخندي

ورافق ابن جبير في هذه الرحلة أبو جعفر أحمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن القاضي
وأمله من أئمة من عمل بلسانية رجل معه فأذا بالقرينة وسعيد مشق من أبي الطاهر
الشموع وأجاز لهما أبو محمد بن أبي عمرو وأبو محمد القاسم بن عساكر وغيرهما
ودخلا بغداد وتجوّلا مدة ثم قفلا جميعا إلى المغرب فسمع كل منهما به بعض ما كان عندهما
وكان أبو جعفر هذا متحققا بعلم الطب وله فيه تقييد مفيد مع المشاركة الكاملة
في فنون العلم ومنهم السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن وجدّه لأمه القاضي أبو محمد عبد
الحق بن عطية وتوفي أبو جعفر هذا بمراسكس سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ولم
يبلغ الخمسين في سنه رحمه الله تعالى • (رجع إلى ابن جبير) • قال لسان الدين في حقه
أنه من علماء الأندلس بالفقه والحديث والمشاركة في الآداب وله الرحلة المشهورة واشتهرت
في السلطان الناصر صلاح الدين بن أيوب له قصيدتان أحدهما أولها
أطلت على أفقك الزاهر • سعود من الملك الدائر
ومنها

وقعت مغارم مكس الحجاز • بانعامك الشامل الغامر
وأمنت أكاف تلك البلاد • فهان السبيل على العابر
وسحب أياك فياضة • على وارد وعلى صادر
فكم لك بالشرق من حامد • وكم لك بالغرب من شاكر

والأخرى منها في الشكوى من ابن شكر الذي كان أخذ المكس من الناس في الحجاز
وما نال الحجاز بكم صلاحا • وقد ناله مصر والشام
ومن شعره

اخلاء هذا الزمان الخون • نالت عليهم حروف العلل
قضيت النجيب من بابهم • فصرت أطلع باب البذل
وقوله

غريب تذكر أوطانه • فهيج بالذكرا شجانه

يحل عري صبره بالاسى • ويعقد بالتجم أحفانه

انتهى

وقال رحمه الله تعالى لما رأى البيت الحرام زاده الله شرفا ومهاية وتعظيما

بدت لي أعلام بيت الهدى • بمكة والنور باد عليه

فاحرمت شوقه بالهوى • وأهديت قلبي هديا إليه

وقوله يخاطب من أهدى إليه موزا

يا مهدى الموزيتي • وميمه لك فاه

وزايه عن قريب • لمن يعاديك تاه

وقال رحمه الله تعالى

قد ظهرت في عصرنا فرقة * ظهورها شوم على العصر
لا تقصدى في الدين الايما * سنن ابن سينا وأبو نصر
وقال

يا وحشة الاسلام من فرقة * شاغلة أنفسهم بالسفاه
قد نبذت دين الهدى خلفها * وادعت الحكمة والفلسفه
وقال

ضلت بأفعالها الشنيعه * طائفة عن هدى الشريعة
ليست ترى فاء لاحكامها * يفعل شيئا سوى الطبيعة

وكان انفصاله رحمه الله تعالى من غرناطة بقصد الرحلة المشرقية أول ساعة من يوم الخميس
الثامن لشوال سنة ٥٧٨ ووصل اسكندرية يوم السبت التاسع والعشرين من
ذي القعدة الحرام من السنة فكانت اقامته على متن البحر من الاندلس الى الاسكندرية
ثلاثين يوما ونزل البر الاسكندرية في الحادي والثلاثين رجع رحمه الله تعالى وتجوّل
في البلاد ودخل الشام والعراق والجزيرة وغيرها وكان رحمه الله تعالى كما قال ابن الرقيق
من أعلام العلماء العارفين بالله كتب في أول أمره عن السيد أبي سعيد بن عبد المؤمن
صاحب غرناطة فاستدعاه لان يكتب عنه كتابا وهو على شرايه فتديده اليه بكاس فاظهر
الانقباض وقال يا سيدي ما شربتها قط فقال والله لتشربن منها سبعا فلما رأى العزيمة
شرب سبع أكواب فلاله السيد الكاس من دنانير سبع مرات وصب ذلك في حجره فحمله
الى منزله وأضمر أن يجعل كفارة شربه الحج بتلك الدنانير ثم رغب الى السيد وأعلمه أنه
حلف بأيمان لا خروج له عنها أنه يحج في تلك السنة فأسعفه وباع ملكاه تزوديه وأنفق
تلك الدنانير في سبيل البر ومن شعره في جارية تركها بغرناطة

طول اعتراب وروح شوق * لاصبر والله لي عليه
الين أشكو والذى الاق * ياخير من يشتكى اليه
ولي بغرناطة حبيب * قد غلق الرهن في يديه
ودعته وهو بارتحاض * يظهر لي بعض مآلديه
فلو ترى طبل ترجسية * ينهل في ورد وجنتيه
أبصرت درأعلى عقيق * من دمه فوق صفحته

وله رحلة مشهورة بأيدي الناس ولما وصل بغداد تذكر بلده فقال

سقى الله باب الطاق صوب غمامة * ورد الى الاوطان كل غريب انتهى
وقال في رحلته في حق دمشق جنة المشرق ومطلع حسنة الموتى المشرق هي خاتمة
بلاد الاسلام التي استقر بناها وعروس المدن التي اجتليناها التي قد تحلت بأزاهر
الرياحين وتجلت في حلل سندسية وحلت من موضع الحسن بمكان مكين وتزينت
في منصفها بأجل تزيين ونشرفت بأن آوى الله تعالى المسيح وأمه منها الى ربوة ذات قرار

ومعين ظل ظليل وماء سليل تنساب مذيابه انسياب الارقم بكل سليل ورياض
يحوي النفوس نسيها العليل تبرز لنا طريقا بمجلى مقبل وتناديهم هلموا الى معرس
للحسن ومقبل قد سمت أرضها كثرة الماء حتى اشتاقت الى الفلما فتكاد تناديك
بها الصم الملاب اركض برجلك هذا مقتسل يارد وشراب قد احدثت بها البساتين
احداق الهالة بالقمر واسكتفتها اكتناف الكرامة للزهر وامتدت بشرقيها غوطتها
انضراء امتداد البصر فكل موقع لحظة يجوها انما الاربع نظرت اليها فسد النظر
وبه صدق القائلين فيها ان كانت الجنة في الارض فدمشق لاشك فيها وان كانت
في السماء فهي بحيث تسامتها وتمازيتها * قال العلامة ابن جابر الوادي آشي بعد ذكره
وصف ابن جبير لدمشق مائمه ولقد احدث احسن فيما وصف منها واما و تروق الانفس
للتطلع على صورتها بما افاد هذا ولم تكن لها اقامه فيعرب عنها بحقيقة علامه
وما وصف ذهبات اميلها وقد حان من الشمس غروب ولا ازمان فصولها المتوعدات
ولا اوقات سرورها المهنات ولقد احدث من قال ألفيتها كما نصف الالسن وفيها
ما تشبهه الانفس وتلذ الاعين انتهى * (رجع الى كلام ابن جبير) * فنقول ثم ذكر
في وصف الجامع أنه من أشهر جوامع الاسلام حسنا واتقان بنا وعراية صنعة واحتمال
تخني وتزيين وشهرته المتعارفة في ذلك تغني عن استغراق الوصف فيه ومن عجيب
شأنه أنه لا تنسج به العنكبوت ولا تدخله ولا تلم به الطير المعروفة بالخطاف ثم مد النفس
في وصف الجامع وما به من العجائب ثم قال بعد عدة أوراق مائمه وعن عين الخارج من
باب جبيرون في جدار البلاط الذي أمامه غرفة ولها هيئة طاق كبير مستدير فيه طابقان
صغر وقد قمت أبوابا صغارا على عدد ساعات النهار دبرت تدبيراً هندسياً فعند انقضاء
ساعة من النهار تسقط صفتان من صفر من في بارزين مصورين من صفر قائمين على طامى
صفر تحت كل واحد منهما أحدهما تحت أول باب من تلك الابواب والثاني
تحت آخرها والطاسان متقو بان فعند وقوع البندقتين فيهما تعودان داخل الجدار
الى الغرفة وتبصر البازين بعد ان أعناقهما بالبندقتين في الطاسين يسمع لهما دوى ويتغلق
الباب الذي هو تلك الساعة للعين يلوح من الصفر لا تزال كذلك عند انقضاء كل ساعة من
النهار حتى تغلق الابواب كلها وتنقضي الساعات ثم تعود الى حالها الاول ولها بالليل
تدبير آخر وذلك أن في القوس المنعطف على تلك الطابقان المذكورة اثنتي عشرة دائرة من
الخصاس مخترمة وتعرض في كل دائرة زجاجة من داخل الجدار في الغرفة مدبر ذلك كله
خلف منها الطابقان المذكورة وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقيدار
الساعة فاذا انقضت عم الزجاجة ضوء المصباح وقاض على الدائرة أمامها شعاعها فلاح
للأبصار دائرة محمزة ثم انقل ذلك الى الاخرى حتى تنقضي ساعات الليل وتحمز الدوائر كلها
وقد وكل بها في الغرفة متفقد لحالها ادرب بشأنها وانتقالها بعيد فتح الابواب وصرف
الصنج الى موضعها وهي التي تسميها الناس المنجاة انتهى المقصود منه قلت كل ما ذكره
الله تعالى في وصف دمشق الشام وأهلها فهو في نفس الامر يسير ومن دأبروم عنه محاسنها

اتى اذ ارجع البصر فيها انقلب وهو حسير وقد اطنب الناس فيها وما بقى أكثر عما ذكره
وقد دخلتها أواخر شعبان من سنة سبع وثلاثين وألف للهجرة وأقت بها إلى أوائل
شوال من السنة وارتحلت عنها إلى مصر وقد تركت القلب فيها رهنا ومالك هو اها من
فكرنا وذهنا فكانها بلدى التي بهاريت وقرارى الذى لى به أهل بيت لان
أهلها عاملون بما ليس لى بشئ كرميدان وهما أنا إلى هذا التاريخ لا ارتاح لغيرها من
البلدان ولا يشوقنى ذكر أرض بابل ولا بغداد فاقه سبحانه وتعالى يعطرها بالعافية
الأردان * وقد عن لى أن اذ كرم حلة عما قبل فيها من الامداح الرائقة وأسرد
ما خاطبني به أهلها من القصائد الفاتقة فأقول قال البدر بن حبيب

بسم دمشق ومل إلى غريبها * والمخ محاسن حسن جامع بليغا
من قال من حيد رأيت تطهره * بين الجوامع في البلاد فقد لغا
وقال في كتاب شيف السامع بوصف الجامع

لله ما أحلى محاسن جلق * وجهاتها اللاتي تروق وتعذب
يزيد ربوتها الغرات وجنكها * بأصاح كم كان غرض وتلعيب
وقال فيه أيضا

لله ما أجمل وصف جلق * وما حوى جامعها المنفرد
قد أطرب الناس بصوت صيته * وكيف لا يطرب وهو معبد
وقال في ذكر باب الجامع المعروف بالزيادة

باراغيبا في غير جامع جلق * هل يستوى المنوع والمنوح
أقصر عنالك وفي غلوك لاتزد * ان الزيادة بابها مفسستوح
وقال في منارته المعروفة بالعروس

معبد الشام يجمع الناس طرا * واليه شوقا تحيل النفوس
كيف لا يجمع الورى وهو بيت * فيه تحيل على الدوام العروس
ومنه في ذكر بانيه الوليد

تالله ما كان الوليد عابنا * في صرفه المال وبذل جهده
لكنه أحرز ملك معبد * لا ينفى لاحد من بعده
ومن أبيات في آخره

بجامع جلق رب الزعامه * أقم تلق العناية والكرامه
ويمم فحسوه في كل وقت * وصل به تصل دار الاقامه
مصلى فيه للرحمن ذكر * ومشوى للقبول به علامه
محلى كمل البارى حلاه * وبيت أبدع البارى نظامه
دمشق لم تزل للشام وجهها * ومسجد هالوجه الشام شامه
وبين معابد الآفاق طرا * له أمر الامارة والامامه
ادام الله بهجته وأبقى * محاسنه الى يوم القيامة انتهى

ولم أقف على كل هذا الكتاب المذكور بل على بعضه ومن قصيدة القاضي المذهب ابن الزبير

يا لله ياربح الشما • ل إذا اشقلت الرند بردا
وحملت من عرف الخزا • عى ما اعتدى للند ندا
ونسجت ما بين القصور • ن اذا اعتنقن هوى وودا
وهزرت عند الصبح من • أعطافها قدا فقدا
ونثرت فوق الماء من • أجيادها لازهر عقدا
فلات صفحة وجهه • حتى اكتسى آسا ووردا
وكأنما ألقيت فيه • صعدا وخدا
مرى على بردى عسا • • يزيد في سر البردا
نهر كنصل السيف تنكسر منه الأزهار عسدا
صقلته أنفاس التيسيم • عتره من فليس بصدا
ومنها

أحبنا بناما بالكسم • فينا من الاعداء أعدى
وحياة حبكم وحر • مة أصلكم ما خنت عهدا
وقال الكمال الشريشى

يا جيرة الشام هل من نخوكم خير • فان قلبى بنار الشوق يستعر
بعدت عنكم فلا والله بعدكم • مالد للعين لانوم ولا سهر
اذا نذكرت أوقاتنا نأت ومضت • بقربك كادت الاحشاء تنفطر
كأننى لم أكن بالنيرين ضحى • والغيم ييكى ومنه يغصك الزهر
والورق تنشد والاهضان راقصة • والدوح يطرب بالتصفيق والنهر
والسفع أين عشيائى التى ذهبت • لى فيه فهى لعمرى عندى العمر
سقال بالسفع سفع الدمع منهمرا • وقل ذلك لى أن أعوزا المطر

• (وسكى ابن سعيد وغيره) أن غرناطة تسمى دمشق الاندلس لسكنى أهل دمشق الشام بها
عند دخولهم الاندلس وقد بهوها بها المارأوها كثيرة المياه والاشجار وقد أطل عليها جبل
الثلج وفى ذلك يقول ابن جبير صاحب الرحلة

يا دمشق الغرب هاتيك لك لقد زدت عليها
تحتك الانهار تجري • وهى تنصب اليها

قال ابن سعيد أشار ابن جبير الى أن غرناطة فى مكان مشرف وغوطتها تحتها تجري فيها
الانهار ودمشق فى وهدة تنصب اليها الانهار وقد قال الله تعالى فى وصف الجنة تجري
من تحتها الانهار انتهى • وقال الصفدى فى تذكرته أنشدنى المولى الفاضل البارع
شمس الدين محمد بن يوسف بن عبد الله الخطيب بقلعة الجبل من الديار المصرية حرسها الله
تعالى نفسه فى شعبان المكرم سنة ٧٤٣

قصدت مصر من رباجلق * جهمة تجرى بتجري
فلم أرا الطيرة حتى جرت * دموع عيني بالزيريب

وأنشد لنفسه أيضا

خافت بالشام حبيبي وقد * يمت مصر العنا طارق
والارض قد طالت فلا تبعدى * بالله يا مصر على العاشق

وأنشد لنفسه أيضا

يا أهلى مصر أنتم للعلا * كواكب الاحسان والفضل
لولم تكونوا الى سعادى * وافيتكم أضرب فى الرمل

اتمنى

وذكرته برمته لحسن مغزاه وقال الشيخ مجد الدين محمد بن أحمد المعروف بابن الطاهر
الحنفى الأزبكي

لعل سنى برق الحى يتأق * على الناي أوطيقا لاسماء بطرق
فلا نارها تبسو لم ترقب ولا * وعود الامانى الكراذب تصدق
لعل الرياح الهوج تدنى لنازح * من الشام عرفا كاللطيمة تعبق
ديار قضينا العيش فيها ننعسا * وأيامنا تحنسو علينا وتشفق
محبنا يبارد الشباب وشربنا * لدينا ما شئت الذى مروق
مواطر فيها السهم سهمى وطله * تحسب مطايا اللهوفيه وتعرق
جلال جانيه معلم متجه سد * من الماء فى اطلاله يتدفق
اذا الشمس سالت منه فهو مذهب * وان حبيتهاد وحده فهو أزرق
وان فترج الاوراق جادت بنورها * فرقم اجادته الا كف منق
يطل عليه فاسيون كانه * غمام معلى أو نعام معلق
تسافر عنه الشمس قبل غروبها * وترجف اجلاله حين تشرق
وتصفر من قسمل الاصيل كنهها * محبة من البين المشتت مشفق
وفى التبر الميمون لب سالب * من المنظر الزاهى والطرف مومق
بدائع من منع القديم رصائع * تألق فيها المحسنت المتألق
رياض كوشى للبرور يشقها * جداولها فالتور بالماء بشرق
فن نرجس يخشى فراق فريقة * ترى الدمع فى أجفانه يترقق
ومن كل ربحان مقيم وزائر * يصاحبه رياه الرياض فتعبق
كان قدود السمرو فيه مواشيا * قدود عذارى ميلها مترقق
اذا ماتت لاشقائق صدها * عيون من النور المفتح ترمق
وقصر يكل الطرف عنه كانه * الى النمر نسر فى السماء معلق
وكم حذول جار يطارد جدولا * وكم جوسق عال يوازيه جوسق
وكم بركة فيها تضاحك برصكة * وكم قسطل للماء فيه تدفق
وكم منزل يعشى العيون كانما * تألق فيها بارق يتألق

وفي الربوة الفيحاء لا لب جاذب * وللهتم مسلاة وللعين مرفق
عروس بجلاها الدهر فوق منصة * من الدهر والابصار ترمح وترمق
فهام بها الوادي قماضت عيونها * فكل قرار منه بالد مع يشرق
تكمل من دون الجداول شربها * يزيد يصفيه لها ويرق

وقال أبو تمام في دمشق

لو لا حداثتها وأني لا أرى * عرشا هنالك تظنننها بلقيسا
وأرى الزمان غدا عليك بوجهه * جذلان بساما وكان عبوسا
قد تورت تلك البطون وقد سمعت * تلك الظهور وقد ست تقديسا

وقال البحتري

أما دمشق فقد أبدت محاسنها * وقد وفي لك مطريها بما وعدا
إذا أردت ملائكة العين من بلد * مستحسن وزمان يشبه البلاد
تمشي السحاب على أجبالها فرقا * ويصبح النور في صحرائها بددا
فلست تبصر الاواكنا خضلا * أويانها خضرا أوطائرا غردا
كانما القيظ ولي بعد جنة به * أو الربيع دنان من بعد ما بعيدا

وفي دمشق يقول بعضهم

برزت دمشق لزا نرى أوطانها * من كل ناحية بوجه أزهر
لو أن انسانا ندم أن يرى * مغنى خلا من نزعة لم يقدر

وقال القيراطي في قصيدته التي أتواها للصب بعد لحالة لا تعجب

لله ليل ككالنهار قطعت به * بالوصل لا أخشى به ما يرهب
وركبت منه إلى التصابي أدهما * من قبل أن يبدو لصبح أشهب
أيام لأماء النكد وديشوبه * كدر العذار ولا عذار أشيب
كم في بحال اللهولي من جولة * أضحيت ترقص بالشباب وتطرب
وأقت للندما سوق خيلاعة * تجبي المجنون إلى فيه وتجلب
وذكرت في مغنى دمشق معشرا * أم الزمان بمنتهى لا تعجب
لا يسأل القصاد عن نادهم * لكن يداهم الثناء الطيب
قوم بحسن صفاتهم وفعالهم * قد جاء يعتذر الزمان المذنب
يا من لم تران الفؤاد وطرفه * بدمشق أدمعه غدت تحلب
اشتاق في وادي دمشق معهدا * كل الجمال إلى حماه ينسب
ما فيه الأروضة أو جوسق * أو جسدول أو بلبل أو بربر
وكان ذلك الترف فيه معصم * بيد التسييم منقش ومكتب
وإذا تكبر ماؤه أبصرته * في الحال بين رياضه يتشعب
وشدت على العبدان ورق أطربت * بغنائها من غاب عنه المطرب
قال ورق تنشد والتسييم مشيب * والنهر يسقى والحدائق تشرب

وضياعها ضاع التسيم بها فكم * أضحى له من بين روض مطلب
وحات بقاي من عسا كرجنة * فيها لأرباب الخلاعة ملعب
ولكم رققت على السماع بجنكها * وغدا يربو بها اللسان يشيب
فنتى ازور معالم أبوابها * بسماحها كتب السماح بتوب
وقال المصطفى الحلي - عند نزوله بدمشق مسطاً القصيدة السؤال بالحجاسة

قبيح بن ضاقت عن الرزق أرضه * وطول القلا رجب لديه وعرضه
ولم يزل مريبان الديح فيه ركضه * اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكل رداً يرتديه جميل

اذا المرء لم يحجب عن العين نومها * وبغل من النفس النفيسة سومها
أضيع ولم تأمن معاليه لومها * وان هو لم يحمل على النفس ضمها
فليس الى حسن الثناء سبيل

رفعنا على هام السماء محلنا * فلا ملك الا تغشاء ظلنا
لقد هاب جيش الاكثرين أقلنا * ولا قل من كانت بقايا مثلنا
شباب تدعى للعلا وكهول

يوازي الجبال الراسيات وقارنا * وتبنى على هام الهجرة دارنا
ويأمن من صرف الزمان جوارنا * وماضرتنا أنا قليل وجارنا
عزيز وجار الاكثرين ذليل

ولما حللنا الشام تمت اموره * لنا وحبنا ما مكنه ووزيره
وبالنيرب الاهل الذي عز طوره * لنا جبل يحمله من تحبيره
منيع برذا الطرف وهو كليل

يريك الثريا من خلال شعابه * وتحدق نهب الافق حول هضابه
ويقصر خطو السحب دون ارتكابه * رسا أسله تحت الثرى وسعابه
الى النجم فرع لا ينال طويل

وقصر على الشقراء قد قاض نهره * وفاق على نخر الكواكب نخره
وقد شاع ما بين البرية شمه ~~كره~~ * هو الا بلى الفرد الذي سار ذكره
يعز على من رآه ويطول

اذا ما غضبنا في رضا المجدة غضبه * لنذكر لنا أرا أول تباع رتبة
نزيد غداة الكثر في الموت رغبة * وانا القوم لا نرى الموت سبة
اذا ما رآته عامر وسلول

وكتب الشيخ محب الدين الجوى ترجمة للشيخ اسمعيل النابلسي شيخ الاسلام من مصر
لواء التهانى بالمسرة بتحقيق * وشمس المعالى فى سما الفضل تشرق -
وسعد واقبال وشجد مخيم * وأيام عـز بالوقا تتخلق -
فيأبها الولي الذي جل قدره * ويأبها الخبر اللبيب المدقق -

أرى الشام قد فارقته زال نورها * ونوب بها هاها والنضارة يخلق
 إذا غبت عنها غاب عنها جمالها * ونفس بدون الروح لا تتحقق
 وإن عدت فيها عاد فيها كمالها * وصار عليها من بهائم دونق
 فياسا كفى وادى دمشق من أركم * بعيد وباب الوصل دونى مغلق
 وليس على هذا النوى لى حاقة * فهل من قيود اليين والبعد اطلق
 وإنى إلى أخباركم متشوق * وإنى إلى أقباصكم متشوق
 أود إذا هب النسيم لتحرك * بأننى فى أذياله أتعمد
 وأصبولذ كراكم إذا هبت الصبا * لعلى من أخباركم أتشوق
 ولئلا أودن بجسمى ولوعة * ونار جوى من حرها أنتلق
 فغنوا على المضيق الذى نوب صبره * إذا مسه ذيل الهوى يتمزق
 غريب بأقصى مصر أضحت دياره * ولا يمكن قاي بالشام معلق
 وقد نسخ التبريح جسمى فهل إلى * غبار ترى أعتاب وصل يحقق
 فبالت شعري هل أفوز بروضة * وفيها عيون النرجس الغض تحديق
 وأنظر وادىها وأدنى ليرة * وماء معين حولنا يتسدفق
 ويحلولى العيش الذى ترصفوه * وهل عائد ذلك النعيم المروق
 وأنظر ذلك الجامع الفرد مرة * وفى حفنة تلك الحلاوة تشرق
 وأحسب أنى فيه نجوم زواهر * ونور يحيا وجهه يسم يتألق
 فلا برحوا فى نعمة وسعادة * وعز وجله دشا وليس يلحق

وقال ابن عنين

ماذا على طيف الاحبة لوسرى * وعليهم لوساء دونى بالكبرى
 جنحوا الى قول الوشاة وأعرضوا * والله يعلم أن ذلك مفترى
 يا معرضا عني بنسب جنابة * الالمات قبل الامم ذول وزورا
 هبني أسأت كما تقول وتفتري * وأتيت فى عيبك شيا منكرا
 ما بعد بعد ذلك والصدود عتوبة * ياهاجرى ما أنت لى أن تغفرا
 لا تجتمعن على عتبك والنوى * حسب المحب عقوبة أرى حجرا
 عب الصدود أخف من عب النوى * لو كان لى فى الحب أن أتخيرا
 فسقى دمشق وواديهما والحبى * متواصل الارحام منقسم العرا
 حتى ترى وجه الرياحض يعارض * أحوى وفود الدوح أزهريا
 تلك المنازل لا ملاعب عالج * ورمال كظمة ولا رادى اقبرى
 أرض إذا مرت بهاريج الصبا * حملت على الاغصان مسكا أذفرا
 فارقته لا عن رضا وهجرتها * لآعن قلى ورحلت لا متخيرا
 أسعى لرزق فى البلاد مشتت * ومن العجائب أن يكون مقفرا

وابن عنين المذكور كان هجاء وهو صاحب مقراض الاعراض تجاوز الله تعالى عنه فن ذلك

قوله

أرح من نزع ماء البريوما * فقد أفضى الى تعب وعي
 من القاضي بوضع يديه فيه * وقد أضي كراس زيرني
 يعني أقرع وسبب قوله البيهقي أن المعظم أمر بنزع ماء بقلعة دمشق فأعياهم ذلك ومن
 هجوه قوله

شكاشعري الى وقال تهجو * بمثلي عرض ذا الكلب اللثيم
 فقلت له نسل قرب نجس * هوى في اثر شيطان رجيم
 وقال فيمن خرج حاجا فسقط عن الهجين فتخلف
 اذا ما ذم فعل النوق يوما * فاني شاكر فعل النباقي
 أراد الله بالججاج خيرا * فشب عنهم أهل النفاق
 وقال

وراحل سرت في ركب أودعه * تبارك الله ما أحلى تلاجينا
 جئنا الى باب لا جين نسأله * فليتنا عاقنا موت ولا جينا
 راجين نسأل ميتا لاجر الذي * مثل النصارى الى الاصنام لاجينا
 وقال

وصلت منك رقعة ساءتني * صيرت صبري الجبل قليلا
 كنهار المصيف حرا وكربا * وكليل الشتاء بردا وطولا

وأول مقراض الاعراض قوله

أضالع تنطوي على كرب * ومقابلة مستهله الغرب
 شوقا الى ساكني دمشق فلا * عدت رباها مواطر السحب
 مواطن مادعا بوطنها * الا وابي نداءها لي
 ثم ذكر من الهجو ما تصم عنه الاذان وهو القائل في دمشق
 ألا ليت شعري هل أيتن ليلة * وظلام يامقري على ظليل
 وهل أريني بعد ما شطت النوى * ولي في ذرى روض هنالك مقبل

ومنها

دمشق بناشوق اليك مبرح * وان لج واش أو ألح عذول
 بلادها الحصاة در وترها * عبر وأنفاس الشمال شمول
 تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق * وصح نسيم الروض وهو عليل
 وقد تقدم القتل بهذه الايات الثلاثة في خطبة هذا الكتاب ومن هذه القصيدة
 وكيف أخاف الفقرا وأحرم الغنى * ورأى ظهير الدين في جبل
 من القوم أما أحيف فسفه * لديهم وأما حاتم فنجيل
 فتي الجسد أما جاره فمبيع * عزيز وأما ضده فذميل
 وأما عطايا بكفه فباحة * حلال وأما طاله فظليل

وظهر الدين الممدوح هو طغتكين بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين وكان ملك اليمن وأحسن إلى ابن عنين أحسانا كثيرا وأفرأه وخرج ابن عنين من اليمن بمال جثم وطغتكين بضم الطاء المهمل وبعدة هاعين معجمة ثم تاء مشناة من فوقها مكسورة ثم كاف مكسورة أيضا ثم ياء تحتية ثم نون وكان يلقب بالملك العزيز ولذلك قال ابن عنين لما رجع من عنده إلى مصر أيام العزيز عثمان بن صلاح الدين فألزم أرباب الديوان ابن عنين بدفع الزكاة من المتاجر التي وصلت محبته

ماكل من يسمى بالعزيزاها * أهل وماكل برق محبة غدقه
بين العزيز بن بون في فعالهما * هذا يعطى وهذا يأخذ الصدقه
ومن هجو ابن عنين قوله في فقيهم يلقب أحدهما بالبغل والآخر بالجاسوس
البغل والجاسوس في حالهما * قد أصبحا مثل ليل مناضر
قعدا عشية يوم مناضرا * هذا بقرينه وذابا الخافر
مأ - كغير الصياح كأنما * لقيما جدال المرتضى بن عساكر
جلفان مالهما شبيهة نالت * الأثاع مدلويه الشاعر
لغظ طويل تحت معنى قاصر * كالعقل في عبد اللطيف الناظر
(رجع إلى دمشق) وقال العز الموصلي

الملك حياض حمامات مصر * ولا تنكث عندي بين
حياض الشام أحلى منك ماء * وأظهر وهي دون القلتين
وهذان البيتان جواب منه عن قول ابن نباتة

أحواض حمام الشام * م ألا اسمعي لي كلمتين
لا تذكرى أحواض مصر * رفأت دون القلتين

وأما قول النواجي - سامحه الله تعالى

مصر قالت دمشق لا * تغتخر قط باسمها

لورأت قوس روضي * منه راحت بسهمها

فهو من باب تفضيل الوطن من حبه ومنه قول الوداعي

رؤي مصر وبسكانها * شوقي وجدد عهدى الخالي

وارولنا يسعد عن نيلها * حديث صفوان بن عسال

فهو مرادى لا يزيد ولا * ثور وان رقي ورقي لي

ومن ذلك النبط قول الشهاب الجبازي

قالوا دمشق قد زهت لزهرا * قامض وشاهد جوزها ولوزها

فقلت لا أبدل بلدتي بها * ولست ارضى زهرها ولوزها

وقول الخفاجي قاضي مصر وان لم يكن في دمشق لكن في السياق في النظم

قد قتن العاشقين حين بدا * بطلعة كالهلال أبرزها

طر له شارب على شفة * كالورد في الآس حين طرزها

وقول الآخر

قد قال وادي بخلق للنيل اذ * كسروه أعين جبهتي لك ترفع

فأجاب بجر النيل لما أن طغى * عندي مقابل كل عين اصبع

وقد تذكرت هنا قول بعضهم

ماذا يفيد المعنى * من الاذى المتتابع

بمصر ذات الايادي * ونيلها ذي الاصابيع

وقد شاع الخلاف قديما وحديثا في المفاضلة بين مصر والشام وقد قال بعضهم

في حلب وشامنا * ومصر طال اللغظ

فقلت قول منصف * خيرا لأمور الوسط

وأما قول بعضهم

يجنب دمشق ولا تأتها * وان راكدا الجامع الجامع

فسوق الفسوق بها قائم * وفجر الفجر وربها طالع

فلا يلتفت اليه ولا يعول عليه اذ هو مجرد دعوى خالية عن الدليل وهي من نزعات

بعض الهجائيين الذين يعتمدون الى تقييد الحسن الجميل وما زالت الاشراف تهجي

وتمدح ولا يقابل ألف من عدل بفاسق يقدر

وفي تعب من يحسد الشمس نورها * ويأمل أن يأتيها بضرب

وأخف من هذا قول بعض الاندلسيين وهو الكاتب أبو بكر محمد بن قاسم

دمشق جنة الدنيا حقيقا * ولكن ليس تصلح للأغريب

بها قوم لهم عدد ومجد * وصحبهم تؤول الى الحروب

تري أنهارهم ذات ابتسام * وأوجههم توالع بالقطوب

أقتب دارهم ستين يوما * فلم أظفربها بفتى أديب

والجواب واحد ولا يضر الحق الثابت انكار الجاحد وأخف من الجميع قول العارف

بأن الله تعالى سبى عمر بن القارص رضى الله تعالى عنه

جلى جنة من تاهى وباهى * وربها أربى لولا وبها

قال غال بردا كوثرها * قلت غال برداها برداها

وطغى مصر وفيها وطرى * ولنقصى مشتهاها مشتهاها

ولعيني غيرها ان سكنت * يا خيلى سلاها ما سلاها

وأخف منه قول ابن عبد الظاهر

لاتلوه وادمشوقان جثثوها * فهي قد أوضحت لكم ما لديها

انها في الوجوه تضحك بالزهر لمن جاء في الربيع اليها

وتراها بالسج تبصق في الحسبة من مثر في الشتاء عليها

وقول ابن نباتة وهو بالشام يتشوق الى المقياس والنيل

أرق له بالشام نيل مدامع * يجريه ذكر منازل المقياس

سقىا لمصر منازل معمورة * بنجوم أفق أو ظباء كناس
وطفي سهرت له وشابت لتي * ونعم على عيني هواه وراي
من لي به والحال ليس باتس * كدرو عطف الدهر ليس بقاسي
والطرف يستجلى غزالا آتسا * بالنيل لم يعتد عسلي باناس
* (رجع الى مدح دمشق) وقال الناصر داود بن المعظم عيسى

اذا عاينت عيناى أعلام جلق * وبان من القصر المشيد قبايه
تبيقت أن البين قديان والنوى * نأى شخصه والعيش عاد شباه
وقال أيضا رحمه الله تعالى

يارا كما من أعالي الشام يجذبه * الى العراقيين ادلاج واسهار
حدتني عن ربوع طالماتضيت * للنفوس فيها لبانات وأوطار
لدى رياض سقاها المزن ديمته * وزانها زهر غصن وتوار
شح الندى أن يسقيها بجاجته * فجادها مغم الشوبوب مدرار
بكت عليها الغوادي وهي ضاحكة * وراحت الريح فيها وهي معطار
يا حسنها حين زانتها جواسقها * وأينعت في أعالي الدوح أثمار
فهي السماء اخضرار في جوانبها * كواكب زهر تبتدو وأثمار
حدتني وأنا الظام الى نيا * لافض فوك في الرى تفتار
فهو الزلال الذي طابت مشاريه * وفارقه غشا آت وأكدار
كتر عسلى نازح شط المزاريه * حديثك العذب لاشط بك المدار
وعلى النفس عنهم بالحديث بهم * ان الحديث عن الاحباب أسمار
وهذا الملك الناصر له ترجمة كبيرة وهو من أدركته الحرفة الادبيه ومنع حقه بالحمية
والعصبية وأنكرت حقوقه وأظهر عقوقه حتى قضى نحبه ولقي ربه * (رجع) وقال
سيف الدين المتشدد رحمه الله تعالى

بشرى لاهل الهوى عاشوا به سعدا * وان يموتوا فهم من جملة الشهداء
شعارهم رقة الشكوى ومذهبهم * أن الصلابة فيهم في الغرام هدى
عيونهم في ظلام الليل ساهرة * عبرى وأنفاسهم تحت الدجى معدا
تجزعوا كاس خمر الحب مترعة * ظلموا أسكارى وطنوا غيهم رشدا
وعاسل القدم عسول مقبلة * كالغصن لما انثنى والبدر حين بدا
رقيم عارضه ككف لعاشقه * بأوى اليه فيكم في حبه شهدا
نادمته وثلج البرق باسمه * والغيث ينزل من لا ومنع قددا
كان جلق حيا لله ساكنها * أهدت الى الغور من أزهارها مددا
فاسرسل الجوق منها لا يزيد على * ثورا ويعقد محلول الندى بردا
وقال أيضا

فؤادى الى بانات جلق مائل * ودمعى عسلى أنهارها يتحدّر

به نحي لو زابن كلاب مزهرا • وتهتزني أغصانة وهو منتهر
 واني الى زهر السفرجل شبيب • اذا ما بدا مثل الدراهم ينثر
 غياض يفيض الماء في عرصاتها • فتزهو بها الا غصن هذا الذي تزهو
 ترى بردي فيها يجول كأنه • وحسبناؤه سيف مقبيل بجوهر
 وبأحور لاج العذار بجنته • يسامح قاي في هواه ويعذر
 بما ورنى فيه على الصبر صاحبي • وكيف أطيع الصبر والطرف أحور
 اذا اشتقت وادي التبرين لمحت • فأنتظر من غناها به وهو أنضر
 حوى الشرف الاعلى من الحسن خذ • عني أن ميدان العوارض أخضر
 وما أحسن قوله وجهه الله تعالى

واديه حي الحبيب نزول • حيا معاه هذه الحيا والنيل
 واديفوح المسلك من جنباته • ويصح فيسه للتسيم عليل
 يشبه تناقه ويودلتم ترابه • شوقا وانككن ما اليه سبيل
 متقاتل الاحشاء ملوب الكرى • طلق الدموع فواده متبول
 يصبوا الى الاثلاث من وادي الغضى • ويحن ان خطرت هناك شمول
 قالوا تبدل قلب يا اهل الهوى • والناس فيهم عاذر وجهول
 هل بعد قطع الاربعين مسافة • لا عمر فيها يحسن التبديل
 ولقد هفا في دمشق مهفهف • يسبي العقول رضاه المعسول
 يهتز ان من التسيم بقده • ويميل بي نحو الصبا فأميل
 أبدى لنا بردا تبسم تغسرها • واذا اثنتي فقوامه المجدول
 لزم التسلسل مدمي وعذاره • فانظر الى المهجبات كيف تسيل
 وسقيمت من سقم الجفون لانها • هي عبلة وفراى الملول
 لا تعجبوا ان راعنى بذوات • فاللسل هول والمحب ذليل
 ما صح لي أن الذؤابة حبيسة • حتى سعت في الارض وهي تجول
 وقال ناظر الجيش عون الدين بن الجعي

ياسياقيا قطع البيداء متسفا • بضام لم يكن في سيره واني
 ان جرت بالشام شم تلك البروق ولا • تعدل بلغت المنى عن دير مران
 واقصد أعالي قباله فان بها • ما تشتهي النفس من حور وولدان
 من كل بيضاء هيقاء القوام اذا • ما ست فوا تجل المران والبان
 وكل أسمر قد دان الجمال له • وكل الحسن فيه فرط احسان
 ورب صدغ بدا في جند مرسله • في فترة فتت من بحر أجفان
 فليت ريقته وردى ووجنته • وردى ومن صدغه آسى وريحاني
 وعج عبي لي ديري ثم حي به الشربان بطبرس • فالربان رباني
 فهبت منه اشارات فهمت بها • وصفت منشورها في طي كتمان

وادخل بدير حنين واتهم زفر من اللذات ما بين قيس ومطهران
 واستجمل راحلها تحيا النفوس اذا • دارت براح شماس ورهبان
 حمره صفراء بعد المزج كم قدفت • بشهبها من هموى كل شيطان
 كم رحمت في الليل أسقيها وأثر بها • حتى انقضى وندمى غير ندمان
 سالت توامس عن كان عاصرها • أجاب رمزا ولم يسمع بتبيان
 وقال أخبرني شمعون يتقلد • عن ابن مريم عن موسى بن عمران
 بأنها سافرت بالطور مشرقه • أنوارها فكانوا عنها نيران
 وهي المدام التي كانت معتقة • من عهد هرمس من قبل ابن كنعان
 وهي التي عبدتها فارس فكفى • عنها بشمس الضحى في قومه مائه
 شكرت منها فلا صحو وجدتها • على النداء وليس الشخ من شاني
 وسوف أمهها أهلا وأنشده • ما قبل فيها بترجيع وألحان
 حتى تميل لها أعطافه طربا • ويتلقى الكون من أوصاف نشوان
 وهذه وإن لم تكن في دمشق على الخصوص فلا تخرج عما نحن بصدده والاعمال بالنيات
 ودياجة هذه القصيدة على نسج طائفة من الصوفية ومن حال هذه البرود الشيخ
 الأكبر رحمه الله تعالى وقيل انه الشيخ شعبان الكوي • (رجع) وقال بعضهم
 شوقي يزيد وقلب الصب ما بردا • وبان يابى من المعشوق حين غدا
 ومدعى قنوات والعذول سكي • ثورا يلوم الفتى في عشقه حيدا
 على مغنية بالجنك جاوبها • شبابة كهم بها من عاشق سدا
 قال بدر جبهتها والردي ربهما • وخلها مات في خلخالها كيدا
 ولقد كرنبذة مما خوطبت به من علماء الشام وأدبائه حفظ الله تعالى كمالهم وبلغ آمالهم
 • (من ذلك قول شيخ الاسلام مفتي الامام سيدي الشيخ عبدالرحمن العمادي الحنفي
 حفظه الله تعالى وكتبه لي بخطه

قوله ومن الخ هكذا في النسخ
 ولعل أصله وأول من الخ تأمل
 اه مصححه

شمس هدى أطلعها المغرب • وطار عنقاء بها مغرب
 فأشرقت في الشام أنوارها • وابتنها في الدهر لا تقرب
 أعنى الامام العالم المقري • أحمد من يكتب أو يخطب
 شهاب علم ثاقب فضله • ينظم عقدا وهو لا يتقرب
 فرع علوم بالهدى مثير • وروض فضل بالندى معشب
 قد ارتدى ثوب علا وامتنى • غارب مجده فزها المركب
 درس غريب كل يوم له • على ولكن حفظه أغرب
 محاضرات مسكر لفظها • بكاس مع راحها تشرب
 رياض آداب سقاها الحيا • ففاح مسكانها الاطيب
 فضائل عمت وطمت فقد • قصر فيها كل من يطيب
 قلوبنا قد جذبت بنوره • والجب من عادته يجذب

ان بعدت عن غربه شرقنا * قالفضل فينا نسب اقرب
 كم طلبت تشريحه شامنا * بشري لها ظيها المطاب
 قد سبقت لي معه صحبة * في حرم يؤمن من يرهب
 اخوة في الله من زمزم * رضاعها طاب لها المشرب
 انهلستني ثم وداد افعلى * بالناس منه على اعذب
 اهديت ذا النظم امثالاه * وقد هجرت الشعر مذ احق
 نشط قلبي لطفه فائق * والقلب في اهل الهوى قلب
 ضاء دجى العلم به للورى * ملاح في جنح الدجى كوكب
 تحية الفقير الداعي عبد الرحمن العمادى انتهى وأجيبته بما نصه

ما تبر راح كاسها مذهب * ما انتهى عن حسنهما مذهب
 تستدفع الا كدار من صفوها * وتنهل الافراح اوتنهب
 تسمى بها هيفاء من ثغرها * أو شعرها النور والقيوب
 قسامة الاعطاف نفائة * محرابا الباب الورى يلعب
 في روضة قد كالت بالندى * والزهر راس الغصن اذ يعصب
 برودها بانور قد نمت * كالوشى من صنعاء بل أعجب
 والماء يجترى تحت جنايتها * والنار من نار نخبها تلهب
 والظل ضاف والنسيم انبرى * والجودا كى العرف مستعذب
 والطير للعشاق بالعود قد * غنت فهاجت شوق من يطرب
 أبهى ولا أبهج في منظر * من نظم من تقديمه الا صوب
 مفتى دمشق الشام صدر الورى * من فى العلام به المطاب
 علامة الدهر ولا مربة * وملجأ الفضل ولا مهرب
 لله ما امتاز به من حلى * بغير من الله لا تكسب
 أبدى به الرحمن فى عبده * مظاهر المنح التى تحسب
 جود بلا من وعلم بلا * دعوى به التحقيق يستجلب
 وبيت مجيد مسند ركنه * الى عماد الدين اذ ينسب
 فبرقه الشامى من شامه * نال مراما والسوى خلب
 وما عسى أبدى به فى مدحه * أو وصف أبناء له أنجبوا
 تسابقوا للجد حتى حووا * سبقا لما فى مثله يرغب
 أعيدهم بالله من شر ما * يخشى من الاغيار أو يرهب
 وأسأل الله لهم عزه * بادية الاضواء لا تحجب

ولما حلت دمشق المحروسة وطلبت موضع السكنى يكون قريبا من الجامع الاموى
 الذى يعجز البليغ وصفه وان ملاطروسة أرسل الى أديب الشام فردا الى المدرسين
 صاحب أذيال الفخار المولى أحمد الشاهين حفظه الله تعالى بمقتضى المدرسة الحقة

وكتب لي معه ماقصه

كنف المقرئ شيخى مقزى • واليه من الزمان مقرئ
كنف مثل صدره فى اتساع • وعلوم كالدرى فى ضمن بحر
أى بدر قد أطلع القرب منه • مسلا الشرق نوره أى بدر
أحمد سيدى وشيخى وذخرى • وسعى وفوق ذاك ونقرى
لو بغير الأقدام يسعى مشوق • بجنته زائرا على وجه شكرى

العبد الحقير المستعين المخلص أحمد بن شاهين انتهى فأجبت به بقولى

أى تطم فى حسنه طرفه كرى • وتجلي بدره صدر ذ كرى
طائر الصيت لابن شاهين ينهى • من بروض الندى له خير وكر
أحمد المصطفى ذروة مجد • لعنوان من المعالى وبشكر
حل مفتاح فضله باب وصل • من مغانى تعبيره دون نكر
يأبى مع الزمان دم فى ازديان • بالعلا وازدياد تجنيس شكر

وكتب الى لما وقف على كتابي فتح المتعال فى مدح التعال بمافيه لكاتبه الحقير أحمد بن
شاهين الشاى فى تقرىظ تأليف سيدى ومولاي وقبلى ومعتقدى شيخ الدين والدين
وبركة الاسلام والمسلمين حفظ الله تعالى وجوده آمين

أحمد نخر يا ابن شاهين ساميا • بأحمد ذاك المقرئ المستمد
عن راح خداما لشغل محمد • وناهيك فى العليا بأرفع سودد
فان أنا أخدم نعله فلطالما • غدا خادما نعل النبى المجدد
بتأليفه فى وصف نعل تكترمت • كآبا حوى اجلال كل موحد
ويكفيك فخرا يا ابن شاهين أن ترى • شيد وما نخدم نعل محمد
فقلت له طوبى بخدمة أحمد • فقال كذا طوبى بخدمة أحمد
فلا زال يرقى للمعالى مكرما • ويتقل العيون فى رعم فرقد
فأجبت به بقولى

أحمد وصف بالعوارف يرتدى • وأشرف مولى للمعارف به تدى
فهو ملك اذ أنت الخليل توقدت • فانى أجارها بنحو المسير
أتانى نظام منك حير فكرى • على انه أعلى مراعى ومقصدى
فأنت ابن شاهين الذى طار ميته • بجو العلا والضدضلى بفرقد
فبذلك موصول وشانك منكسر • وقدرك من فروع على ربح حسد
وعنك حديث الفضل أسند عالبا • بشام فهم يروون مستند أحمد
فوجهك عن بشر وبنالك عن عطا • وفكر لى روى فى الهدى عن مستند
فلا زلت ترقى أوج سعد ورفعة • ودمت بتوفيق وعز مخلص
ولما خاطبته بقولى

يصيد ابن شاهين بجو بلاغة • سوا فتح فى وكر البدائع تفرخ

وما كان ديك الجبن مدرل نيلها * اذا صرصر البازي فلاديك يصرخ
ولو جاد فكسر الجحري بمنلها * ليكان على الطائي بالانف يشمخ
ولو أن نظم ابن الحسين أتبعها * لفاز بسبق حـكمـه ليس ينسخ
فلا زال ملحوظا بعين عناية * وصـكـتـب التهانى عن علامه تؤرخ
أجاني بمافيه

أأنفاس عيسى ما بروعى يتفخ * أم الطرس أضحي بالعير يضح
وهذى قواف أم هي الشمس اتى * أراها على الجوزاء بالانف تشمخ
بلى هي نص من ودادك محكم * تزول الرواسى وهي لم تك تنسخ
أتتى بمدح مخجل فكانها * لفسرط حباتى قد أتتى توبخ
وهل أنا الا خادم نعل سيدى * وبين المدح فى الحق برزخ
وما هي الا غيرة حوت فخرها * وانى بها بادي المحاسن أشدخ
فلادرت درى وانخرقت عن العلا * اذا كان ودى عن معاليك يفسخ
وحبك مـهـمـا طار شرقا ومغربا * بوكر ابن شاهين الوفى يفرخ
وانى وان ارتخت مجد الماجد * فاني باسم المقـسـرى أؤرخ
سمي وهـولـاى الذى راح مدحه * لرأس الاعادى بالمعارض يرضح
ودم يا نظير البدر ترقى بأوجه * ولا زلت فى طرقي وقلبي ترسخ
وكنـت يومـا أروم الصعود لموضع عال فوقعت وانصكت رجلى وألمت فكتب الى
لاألمت رجلك ياسيدي * وصانها الله من الشين
ماهى الا قدم للعـلا * لا احتاج ذاك النصل للقين
زانت دمشق الشام فى حلها * فلا رأت فيها سوى الزين
بانت عن الامل لتشريقنا * لاجعت أينما الى بسين
عجبت من راسخة فى العلا * والعلم اذا غت من العين
انى أعاف المين بين الورى * ولست والله أخا مـين
للمقرى المجتبى أجد * دين الهوى والمدح كالدين
وأجد الله على أنى * رأيتـه حازلـة فرقة مـين
فـلا أراه الله فى عـره * يذـىـا يؤديه الى أين

تعويذ المحب العبد الحقير الداعي أحمد بن شاهين انتهى * وأهديت اليه حفظه الله
تعالى سحرة وخاتما وكتبت اليه

يا نجل شاهين الذى * أحيى المعالى والمعالم
يا من به ريشت من المجد الخوافى والقوادم
يا من دمشق بطيب ما * يديه عاطرة النواسم
قالنهر منها ذو صفا * والزهر مفتحة المباسم
والغم من يثنى عطفه * طربا لتغريد الحمام

يا أحمد الاوصاف يا * من عازا أنواع المكارم
 أنت الذي طوقني * متناها تغنوا الاعظم
 فني أؤدى شكرها * والعجزلى وصف ملازم
 والعذر باد ان بعثت اليك من جنس الرثام
 بتيجة الذكركم التي * جاءت بتخفيف ملام
 وبخاتم صدادلى * قبض الندى من كف حاتم
 فامدد على جهد المقل رواق صفح ذادعائم
 واقبل عقيلة فكر من * هو فى بحار العى عام
 لازلت سابق غاية * بين الاعارب والاعاجم
 فأجاني بما صورته

يا سيدا شعري له * ما ان يقاوى أو يقاوم
 ككلا ولا قدرى له * يوما يساوى أو يساوم
 يا من رأيت عطاردا * منه بدا فى شخص عالم
 يا من بنحة خلقه * وبنته السامى الملام
 أضفى برى من مجرى من النواسم والمباسم
 ما زلت أبصر منى * حسن النعمى والنعام
 به ما زمانى حاسدا * أضفى وبالتغصص حاتم
 قلبى وقلبي بين ها * م فى الشاء له وهاتم
 سبى لاجد سيدى * شيخ الورى فرض ملازم
 المقرى المسمى * شرف المعالى والمعالم
 مالى اليه وسسيلة * الاهوى فى القلب داتم
 قد جاء ما شرتنى * بخصوصه دون الاعظم
 من خاتم كنى به * ورث سليمان العزائم
 وجعلتنى لأحسب الشعبى وقلى فى فص خاتم
 وبسجة شبيبته * بالشهب فى أسلاك ناظم
 فلتحسد الجوزاء ما * أحرزت من ذلك المكارم
 هى آلة للذكركم لى كن ليس ذكرى فى الحيازم
 فهو لك فى قلبى وما * فى القلب جل عن الرثام
 ما ذى رثام سيدى * بل انها عندى تمام
 لوانها من جنس ما * يطوى غدت فوق العمام
 لكنها قد زينت * كفى وأزرت بالخواتم
 يا من يرش اذارى * نسر السماء بلحظ حازم
 ان ابن شاهين حوى * منك الخوافى والقوادم

هذى نوافل يا اما * م الدهر ليست باللوازم
 العذر عنها مخجل * عبدا لنعلك جده خادم
 بل أنت فوق العذر قد * أصبحت للشعري تنادم
 لا زال دهرك سيدي * يلقالك منه تغرب باسم
 يهدي اليك من المرا * حم والمكارم والغنائم
 مالا يساوم مثله * ذوالخط في اسنى المواسم
 العبد الحقير الداعي لاستاذة مولاي الاجل * بالتمكين أحمد بن شاهين حامدا ومصليا
 مسلما انتهى وقال مستحيضا

الشيخ يشرب ماء * ونحن نشرب قهوة

فقلت

لانه ذو قصور * فقط بالعذر سهو

ولما أزمعت العود الى مصر أوائل شوال سنة ١٠٣٧ خاطبني بقوله

أبدا اليك تشوقى وحنينى * والى جنابك ما هلت سكونى
 ولديك قلبى لا يزال رهينة * غلقت وتعلم ذمة المردون
 عليك قد بست شوارب مدحتى * لما رأيتك فوق كل قرين
 قابى كقلبك فى المحبة والهوى * اذ كان فى الاشواق دينك دينى
 وليته به والى أرفع رتبة * وغدت تعزل عنه كل خدين
 واطاع أمرك فى الوداد فلو اشأ * منه وحاشا سلاوة يعصينى
 ما كنت أحسب قبل طبعك أن أرى * يوما عطاردا فاطقا بشنون
 حتى رأيتك فاستبينت بأنه * يروى أحاديث العلا بشجون
 ويفيد معنى معجزا به سر النسي * ويرى عيونى آية التكمين
 يا من غدا يحى القلوب بلفظه * ويرقد الانفاس عن جبرين
 أحيت بالوحى المبين قلوبنا * وحلى لعمر الله جدهم بين
 هذى دمشق لعمر خلقك روضة * قد جاد طبعك دوحها بعين
 قد زارها غيت الندى فيها رها * أضحى يلوح بحوله النسر بين
 لو لم تكن بدر الماء أحرزت ما * قد خص فى الانوار بالتلوين
 حققت ما قد قيل حين لالتها * ان المكان مشرف بمكين
 هى عادة حليتها فاستزيت * ما كان أحوجها الى التزين
 مولاي أحمد ياسليل بنى العلا * يافوق مدحى فيك أو تحسبى
 أغنى وجودك وهو عين الدين عن * علامة الدنيا لسان الدين
 انظره تستغنى به عن غيره * والى العيان ارفع عن المظنون
 تلقى علوم الناس فى أوراقهم * وعلومه فى صدره المشهون
 فبعليه اعبر كل بحر زاهر * وبفهمه اشبر غامض المخزون

وبحلمه ارغب عن تحلم أحنف * وبعزمه احجب بأس ليت عرين
 لما رأيتك فاستقمت لقبلى * أدعو وأشكر واردات شؤنى
 ألفيت قطرك ينسنى فأفادنى * فضل اليمين على اليسار يقينى
 فسقى الحيا للمقربى أخى العلا * بلدا باقضى الغرب جد همتون
 بلدا تبينت الهلال بأفقه * ورأيت منسبه قررة لعيونى
 لولا هلال الغرب نور شرقنا * بتابليل الحسد والتخمين
 يارا حلا رحل الفؤاد بعزمه * رفقا بقلب للوفاء ضممين
 أسبودع الله العظيم واتى * مستودع منه أجل آمين
 انى أودع يوم ينسك مهجتي * وشيبتى وتصبرى وسكونى
 وأعود من توديع وجهك عودة * خلطت يقينى فى الهوى بظنون
 حتى كأنى قد فقدت تمامها * تقضى على بحالة المجهنون
 وتود نفسى انها لو حُرمت * أبدا سكونى للهوى وركونى
 أو شكت أقتل بين معترك الهوى * نفسى ومعترك النوى يمينى
 ولقد وددت بانى متحمل * تلك الخطا بحاجرى وجفونى
 كيف السبيل الى الحياة ومهجتي * فى قبضة الاشواق كالمسجون
 ما أنست الا البدر لاح بأنقنا * شهر او مكان ضياؤه يدينى
 واليه كما ياشيخ دهري عادة * غنيت عن التحسين والتزين
 جاءتك تعرض فى الوداد كمالها * واذا خلطت جلالها بكفيتى
 هى بنت لظفتك التى تؤوى النهى * لا بنت لى لى التى تؤوينى
 ما الفخر فى دعوى البديهة عندها * الفخر قولك انها ترضينى
 حسبي أبا العباس منك اصاخة * تقضى بموت عداى أو تحيينى
 يالهف نفسى كيف أبلغ مدحة * أضرتها فى سرى المكنون
 فلسان حسبي بالغ أقصى المدى * ولسان مدحى فى القصور يلينى
 ما الشعر يستوفى حقوقكم ولو * أهديت من نظمي عقود سنينى
 حلقه أمد طراد النجوم وانها * تزهو بعقد فى علالك ثمين
 قرأت فى العيوق طبعك سبدي * نسرا أسف لجزء شاهينى
 قد خف شعري من قصور طبيعتى * ولربما قد كان جد رصكين
 يكفيك أجد يا بن شاهين بأن * أحزرت خصل السبق دون الدون
 واذا عجزت عن الفرائض جاهدا * فادأب عسالك تفوز بالمسنون
 هو قبلى فلاغتدى متسككا * منه بحبل فى النجاة متمين
 واسلم فديتك زائرا ومشرقا * أفدى مواطئ نعال بحبينى
 رصك كذا لعمري فى هوالمقسم * بين الدعاء الجيد والتأمين

وقال حفظه الله تعالى فى ذلك -

جنانك ان الدمع بالودعرب * واني في شرق وأنت مغرب
 ورجالي اني قميل صباية * بن هوأوفي في الفؤاد وأثجب
 ووعدك لي بالعود اني معلل * به مهجة قد أوشكت تتصوب
 وهبتك قلبي ما حيت ولم أقل * ولكن من الاشياء ما ليس يوهب
 قالو كنت شيخا واحدا هدمته * فكيف بشيخ لم يكن مثله أب
 وانا بحمد الله لما خصصتنا * بزورة ذي ود دعاه الحبب
 فرشناه منا الخدود مواطئا * وعدنا به شوقا نجى ونذهب
 وقلنا دمشق أنت فيها محكم * وأشرافها وذا وواحد واورحبوا
 وأنت لها روح ومولى ومفخر * وقد زنت شرقا مثل ما ازدان مغرب
 ونفرا عظميا يا ابن شاهين انه * غدا وكرنا سر السما فيه برغب
 فتحسن ونحن الناس خدام نعله * فلا غرو أن يقل الغضنفرأ كاب
 وما فقموا منه سوى انه امرؤ * لبأ كل فيما قدروه ويشرب
 هو الشيخ شيخ الدهر أجد من غدت * دمشق ومن فيها بعلياه تخطب
 هو المقرى العالم العسل الذي * اليه تناهى الفضل والمجد ينسب
 وما هو الا الشمس أزمع رحلة * وانا في ليل اذا هي تغرب
 أو العيث قد وافي فأمرعت النهي * به واثني والصدرب بالودعرب
 أو الطائر العنقاء جاء مشرقا * فأغرب والعنقاء في الطير مغرب
 وانك للخلل الوفي وانه * هو الواحد المطلوب ان عز مطلب
 وانك بالتحقيق في كل حالة * لاسنى وأندى ثم أوفي وأغرب
 رعى الله وجهها انت ترغب فحوه * وأى أخى جتله أنت ترغب
 وحيما الحيا أرضا وطئت ترابها * فأصبح مسكا وهي بالمجد تخضب
 ولا فارقت يوما علاك كلاءة * من الله أنى كنت والله أغلب
 مدى الدهر ما حنت جوا نوح واله * مشوق فأمسى للحقيقة يطرب
 واماقرأ على أدام الله تعالى عزته وحرس حوزته عقيدتي المسماة باضاعة الدجنه
 في عقائد أهل السنه سألتني أن أجيزه فيها وفي غيرها فكثرت اليه بمناصه
 أجد من أطار في جوالعلا * صيت ابن شاهين الذي زان الحلي
 وراش منه للمعالى أجنحه * نال بها فضلا غدا مستمنحه
 وأسكن البيان من أوكار * أفهامه بقنة الافكار
 فاصطاد كل شارد بخلب * أبحانه ومن يعارض بغلاب
 والصقر لا يقاس بالبعثات * والحق يمتاز عن الاضغاث
 نشجركم من باغته مناه * على نواله الذي سناه
 وتنتهى نهج صلاة باديا * لخير من جاء الانام هاديا
 مينا دلائل التوحيد * وموضعا ظرائق التسديد

كذلك ما ألفت في عمامة * من خض بالاسراء والامامة
 والفقه والحديث والنفوس في * أسرار وفق وهو بالقصد وفي
 وغيرها مما به الوهاب من * على فقير عاجز في غير فن
 وما أخذت في بلاد المغرب * عن كل فذ في العلوم مغرب
 ولي أسانيد اذا سردتها * طالت وفي كتي قد أوردتها
 وقد أخذت الجامع الصيحا * وغيره عن حوى الترجيحا
 عني سعيد عن سفين وهو عن * القلقشندي عن الواعي السن
 العسقلاني الشهاب بن حجر * بحاله من الروايات اشهر
 وقد أبرزته بكل ما لي * يصح من ذلك لا احتمال
 على شروط ردها كافيته * ليست على أفكاره بخافيه
 وقال هذا المقري الخطا * والهي عم لفظه وخطا
 هام ثلاثين وألف بعدها * سبع أتمت في السنين عدها
 وكان ذاتي رمضان السامي * بحضرة العبد دمشق الشام
 والله نرجو أن يتيج الخلقا * بالخبر كي نعطي القبول حقا
 بجماع خير العالمين أحدا * صلى عليه الله ما طال المدى
 وآله وصحبه ومن رصكا * فنال من حسن الختام مدركا

وتمت كرت بهذه الاجازة نظيرتها التي سألتني فيها مولانا عين الاعيان وفق الانام في مذهب
 النعمان مولانا الشيخ عبد الرحمن العمادي وفق الشام حفظه الله تعالى لاولاده الثلاثة
 وكتب لي أصغرهم سنا استدعاء لذلك

أحمد من شيد بالاسناد * يث العلوم السامي العماد
 وعم من خصص بالرواية * بورها النافي دجي الغوايه
 وزان صدر الثبها كل زمن * بجوهر الاجازة الغالي الثمن
 فحمد له سبحانه أن عرفنا * من الحديث ما به قد شرفنا
 ونسأل المزيد من صلاته * لمن أتيح القصد من صلاته
 ملحونا المعصوم أعلى سند * لنا برغم جاحد مفند
 كهف الضعيف والقوى المرتجي * باب الهدايات وليس مرتجا
 من نجاةنا بالجامع الصحيح من * كلامه الهادي الى نهج أمن
 من فضله ماشك فيه مسلم * من حبه بكل خير معلم
 نبينا المرسل ذو الخلق الحسن * والمعجز المفعم أرباب السن
 محمد المرفوع قدره علي * سائر خلق الله جل وعلا
 صلى عليه ربنا وسليما * أزكى صلاة تتحيا معلما
 مع آله وصحبه ومن روى * آثاره عن صحة وما غوى
 وبعد فالعلم عظيم القدر * وليس من يدري كن لا يدري

ولم تزل همة أهل الجهد * منوطة بنيل علم مجدي
 ومنه علم السنة الشريفة * لانه ظلاله وريفه
 فمن درى الاخبار والشمائل * لم يك عن صوب الهدى بمائل
 وكم يمدح لاجله رفض * أوطانه وثوب ترحال نفض
 وكيف لا وهو أجل ما طلب * موفق يروم حسن المنقلب
 لانه وسيلة السعادة * والعز في الابداء والاعاده
 وانى لما اتخيت المشرقا * منى ما بدر اهتداء مشرقا
 ألقيت في مصر عصا التسيار * بعد بلوغى أشرف الديار
 وبعد ذبحت دمشق الشام * مسكن من يزدان باحتشام
 فشاهدت عيناي فيها مالا * قلبي سرورا اذ بلغت ماملا
 مدينة فياضة الانهار * فضفاضة الاثواب بالازهار
 أرجاؤها زاكية العبير * ومدحها يجلى عن تعبير
 وجل أهلها بحبي دانوا * مع أن مثلي منهم يزدان
 فلاحظوا بالاعين الكيلة * عبدا غدا تصيره دليلا
 وقابلوا عبيي بما اقتضاه * فضل لهم رب الورى ارتضاه
 خصوصا المولى الكبير المعبر * قرّة عين من رآه واختبر
 مفتى الورى في مذهب النعمان * بها الوجيه عابد الرحمن
 ابن عماد الدين من تعي القلم * أوصافه اللاتي كنور في علم
 حاوى طراف الجهد والتلاد * نال المنى في النفس والاولاد
 وكنت في مكة قد أبصرت * منه علا عن مدحه قصرت
 بجلالة ومحتدا وعلمها * ورفعة وسوددا وحلما
 مع التواضع الذى قد زانه * حسن اعتقاد مثقل ميزانه
 فحث من في الشام من أخيار * لم يسلكوا منهاج الاغيار
 أن يأخذوا بهض الفنون عني * بما اقتضاه منه حسن الظن
 مع اتى والله است أهلا * لذال والتصدير ليس سهلا
 وكم كان من جللتهم أبناؤه * عماد دين قد علا بناؤه
 ومنوه الشهاب من توقدا * فهما وابراهيم سباق المدى
 وهو الذى قد ابنتنى الاجازه * لهم بوعده طالبا انجازاه
 وكتب القصيدة الطنانة * في ذاللى مهتصرا أفتاناه
 وانهم كحلقة قد أفرغت * دامت لهم آلاء فيض سوغت
 فلم أجديت امان الاجابه * مع كون جهلى ساد لا حجاباه
 فقد أجزتهم بما رويته * طرا وما ارتجأت اذ رويته
 وكل ما صنعت في الفنون * ومثل التحقيق للظنون

وما أخذت عن ثيوخ المغرب * وغيرهم من كل حبر مغرب
ولي أسانيد يطول شرحها * شيد على تقوى الاله صرحها
ولو سردت كل مروياتي * هنالطال القول في الايات
وكل طول غالبها ماول * وحد من يعنى به مفاول
فلنقتصر اذن على القليل * تبر كا بالمطلب الجليل
وقد أخذت جامع البخارى * عن عمى الحائز للفخار
المقرى سعيد الامام عن * محمد يدعى خريفا حين عن
التونسي الطيب الانفاس * نزيل حضرة الماول فاس
عن الكمال القادري المرتضى * عن الحجازي عن الحبر الرضا
فجلى أبي الجهد عن البخاري * عن الزبيدي بنقل جاري
عن سند الاسلام عبد الاول * عن الشهر الداودي المعتلى
عن السرخسي عن القريبي * عن البخاري الامام الحبر
وقضله أظهر من أن يذكر * وعلمه المعروف غير المذكر
ومسلم بدأ الى الكمال * عن علم الدين أنخي الجلال
منسوب بلقين عن التنوخي * عن ابن حزة عن الشيوخي
كا بن المقير عن ابن ناصر * عن ابن مندة اللبيب القاصر
عن جوزقي قد روى عن مكي * عن مسلم نافي دياجي الشك
فليخبر واعني بدا والباقي * من ستة حائزة السباق
كذا موطأ الامام مالك * امامنا من سير كل حال
ومسند الفذ الرضا ابن حنبل * والدارمي ذي النماء الاجل
والطبراني وما أرويه * من المعاجيم بما تحويه
وكلها تشمله الاجازه * بشرطها عند الذي أجاز
فلتقبلوها فهي من جهد المقل * اذ است بالمطلوب مني أستقل
ومن أسانيدى عن القصار * مفتي الانام بهجة الاعصار
عن شيخه خروف الراق الدرج * عن الشريف الطحطائي فرج
قال سمعت المصطفى في النوم * صلى عليه الله كل يوم
يقول من أصبح بعني آمنا * في سربه الحديث فاعرف كما
وانسك العنان في هذا الارب * مصليا على الذي زان العرب
وآله وصحبه الاعلام * ومن تلامن أنجم الاسلام
وخط هذا المقرى العاصي * أجير يوم الاخذ بالنواصي
سنة سبع وثلاثين تلت * ألفا لهجرة يساءين علت
عليه أزكى صلوات تستم * نرجو به الزلفي وحسن الختم

ونص الاستدعاء المشار اليه هو

قارت دمشق الشام بالمقري * الالهي اللوذعي العبقري
 علامة العصر بلامقتر * وواحد الدهر بلامقتر
 قكم سمعت أخباراً وصفه * فقصر الخبير عن منظر
 جامع عــــ لم يثاملاؤه * بالشام مل الجامع الاكبر
 يقري ققري السمع أنفاسه * أنفس ما يقري وما قد قري
 مولاي يامن درة الفاظه * صحاحها تزي على الجوهر
 اجازة ترفل من فضلها * في ثوب عسز وردا مغبور
 مسيلة الذيل على أكبر * وأوسط الاخوة والاصغر
 أطبل لنا انشاء هابل أطب * وانظم لنا من درتها وانثر
 لازلت في نفع الوري داتبا * تجود جود العارض المطر
 العبد الداعي ابراهيم العمادي انتهى ومن الاجازات التي قلتها بدمشق الشام ما كتبتها
 للاديب الحبيب سيدي يحيى المحاسني حفظه الله تعالى.

أحمد من زين بالمحاسن * دمشق ذات الماء غير الآسن
 وأطلع النجوم من أعيان * بأفقهها السامي مدى الاحيان
 فكل أيامهم مواسم * من الصفا ثغورها بواسم
 وذكرهم قدشاع بين الاحياء * اذ قطرهم به الكمال يحيى
 وبشرهم حديثه لا ينكر * ومسند الجامع عنهم يذكر
 وقد حكى جوارح الذي ارتحل * اليهم صحيج ما له اتحل
 فسمعه عن جابر والعين عن * قرة تروي واللسان عن حسن
 فجل من أتاهم آلاءه * حتى أبا نورههم لآلاءه
 فحمده سبحانه أن أسدى * من الامان ما نال القصد
 ونقح صوب صلاة باهره * الى الرسول ذي السجيا الطاهره
 أجبل من خاف الاله واتق * محمد الهادي الرسول المنتق
 صلى عليه الله طول الابد * مع آله وصحبه والمقتدى
 وبعد قال علم أساس الخير * وكيف لا وهو مزيج الخير
 وهو الموصول الى منهاج * هدى ورشد ماله من هاجي
 وما بغير العلم يبدو العلم * وايس من يدري كمن لا يعلم
 خصوص الحديث عن خير البشر * فان فضله على الكل انتشر
 ولم يزل يعنى به كل زمن * من الرواة كل صدر مؤتمن
 واننى عند دخول الشام * لقيت من بهامن الاعلام
 وشاهدت عيناي من انصافهم * ما حقق المحكي عن اوصافهم
 وان من جلتهم أوج الذكا * والنير المزرى سناه بذكاء
 ابن المحاسن الذي قد طابقا * منه المسمى الاسم اذ تسابقا

اللوذعيّ الالمعيّ يحيى * لا زال رسم المجد منه يحيا
 وهو الذي أغرام حسن الظن * على انتمائه لاخيه ذعني
 وكان قارئ الحديث النبوي * لدى في الجامع أعني الاموي
 بحضور الجمع الغزير الوافر * ممن وجوه فضلهم سوافر
 وبعد ذلك استقطر الاجازة * من نوء وعدى واقتضى انجازة
 فلم أجهد بدامن الاجابة * مسرع أنني لست بذى النجابة
 وان أكن أجبت أمرا يمتثل * منه فني ذلك تصديق المثل
 فممن درى شيئا وغابت أشيا * عنه ومن أهدي اصنعوا شيئا
 فابروعي كل ما يصح لي * بشرطه الذي يزين كالحلي
 وقد أخذت جامع البخاري * عن عمي الامام ذى الفخار
 سعيد الذي نأى عن دنس * عن شيخه الحبر الشهير التنسي
 أعني أبا عبد الله وهو عن * والده محمد راوى السنن
 عن ابن مرزوق محمد الرضا * عن جده الخطيب عن بدرضا
 الفسارقي عن امام يدعي * بابن عساكر الجليل المسعي
 بماله من الروايات التي * على علم وقدره قد دلت
 وليروعي ما انتمى للنسوي * بذالى السابق ذى النهج السوي
 أعني ابن مرزوق الخطيب الراوى * عن شيخه يحيى الرضى المغراوى
 وهو روى عن صاحب التمكين * النسوي الشيخ محي الدين
 وخط هذا أحمد البادى الوجلي * المقرئ المالكى على نخل
 فى عام ألف وثلاثين خلت * من هجرة الهادى وسبعة قلت
 ألبسه الله البرود الضافيه * من منه وعفوه والعافيه
 يجاهه سيد السرايا طرا * ملجأ من الى الكروب اضطرأ
 عليه أسنى صلوات تسدى * حسن الختام يبلوغ التصدى انتهى
 وسأل منى بعض ساكنى دمشق المحروسة أن أقترظ له على شرحه لرسالة العارف بالله تعالى
 سيدى الشيخ ارسلان فكتبت ما صورته

أحمد من خصص بالاسرار * قدما من الصوفية الارار
 أنا هم عوارف المعارف * والحكم السابغة المطارف
 فهم هم تسقطر الانواء * وتظهر الانوار والاضواء
 ومن أجلهم سناء وسنى * من زاد عن عين المعالى الوسنى
 شيخ الشيوخ العارف الكبير * الشيخ ارسلان الشهير
 فككم اشارات له أبانا * بهاء علوما من حلالها ازدا نا
 وكم عبارات تلا آياتها * تعبنا الفحول عن مدى غاياتها
 ومن رأى رسالة التوحيد * له انتبى منهاج التسديد

فهي تنادي من أبي أن يسلكا * يا معرضا شرك خفي - كما
 ومن أضل - القصدي في مهامه * هديه للخروج عين أو هامه
 وكم به من باب معنى مغلق * عمن يقيد الوجود المطلق
 فما بغير الفتح يدرى الباطن * ووارد الفيض له سواططن
 وقد رأيت في دمشق الشام * شرحا لها أنبا عن الهام
 للكشفي - ذي الوفا بالوعد * شمس العلاء محمد بن سعد
 لازال في أوج التجلي صاعدا * وعدون ربه له مساعدا
 ومذاجلت ناظري في حسنه * ألفيته مستبدا في قفه
 ودل ما أبداه من معاني * علي شهود بالهدى معاني
 لانه أجاد في تقريير * ما اعتاض بالاتقان والتحرير
 وأبرز الأبدى كرام من خدور * أفكاره حالية الصدور
 قاله يجزيه الجزاء الا وفي * في يوم تبدى الانبياء الخروفا
 وخط هذا المقرى من وجل * مرتجيا من ربه عز وجل
 كشف كرب عده صبر حلت * منه وغفران ذنوب جللت
 بجاه طه الهاشمي - أجدا * عليه أزكى صلوات سرمد
 عاطرة النشر بلا اكتمام * تأرجحت بالمسلك في الختام

وخاطبني السرى الحبيب الماجد نحر المدر - سين الاعيان مولانا الشمس محمد ابن الكبيه
 الشهير - ولانا يوسف بن كريم الدين الدمشقي - حفظه الله تعالى بقوله

شمس المحاسن شرت في أوغربي * سعدت منازلنا بشمس المغرب
 شمس لنسامتها شموس فضائل * وسني هدى قدراح غير محجب
 المقري - العالم النذب الذي * لسوى اسمه درج الخيال يكتب
 بدو ولم تبد البددور بشرق * الابدت من قبل ذال بمغرب
 لسوى اكتساب سناء لم تغرب ذكا * فلو أنهم شعرت به لم تغرب
 علامة ملا البلاد بفضله * وأفاده لمشرق ومغرب
 عمري هو البحر المحيط فضائل * ان قيس بالعذب الذي لم يعذب
 مولى له سند قوى في العلا * فعن الجدود روى العلا وعن الاب
 نسب له المجد المؤئل في الوري * والمجد لم يكسب اذالم يوهب
 هو في جبين الفضل أضفى غرة * يجلي بها للجهل ظلمة غيب
 آمالنا قطعت بيشر جبينه * أن لا ترى للدهر وجهه مقطب
 بدرية زهيت دمشق وأهلها * أحبيب يبدو حيث حل محجب
 طود الفضائل باكرت أرجاءه * ديم الحجا فغدا كروض مخضب
 بحر الهدى والعلم الا انه * صفو من الا كدار عذب المشرب

هو قطب دائرة الفضائل في الوري • فيكاد يشبهنا بكل مغيب
 في الفضل ما حاولت يوما مثله • كلا ولا قست البسد وربكوكب
 أني يجاري في الفضائل من له انشقاق الزمان بأدهسهم وبأشهب
 من مدح الغير تسقط عندنا • فله العلائق في فرض أوجب
 ما روضة حل أزاهرها الحيا • فاقتربها كل تغرأ شنب
 ومشت بها خود الصباقة طرت • أذيا لها من كل عرف طيب
 للنور فيها جردول أخذت به • شهب المجرة حيرة المتعجب
 باتت تنشدني بها ذكر الهوى • ورق الارال بكل صوت مطرب
 تشكروا لي بمثل ما أشكولها • شكوى المعذب في الهوى لمعذب
 فعلت ما قد حل من وجديها • وجهلن وهو الفرق ما قد حل بي
 لم تلق فيها من عليل يشكي • الا التسيم وذا الهوى ان تطلب
 بأغصن حسنا من ربا آداب من • حيارياض حياء ألطف صيب
 طبع أرق من التسيم ومنطق • مستعذب وكذلك كل مهذب
 لوجاد صوب حياء قفرا جديا • لنعمت منه بكل روض معشب
 مولاي عذرا فالزمان يعوقني • عن مطلبي والا أن مدحك مطلبي
 عفوا اذا آخرت مدحك سيدي • فعوائق الايام عذرا المذنب
 وكذلك يفعل بالاديب زمانه • فلذا يطول على الزمان تعبي
 لم ألق يوما من يديه مهـربا • الاثنان وحيدان من مهـرب
 لولاك ما جال القريض بخاطري • قالهـرب يوجب للقريض تجني
 لولاك لم ينهض جواد قريحتي • في كل وأد للضلالة متعب
 فاسمع ولست بأمر نظام غدا • في عقد مدحك لو أوالم ينقب
 كالراح يلعب بالعقول للطفه • لـكن بغير مسامع لم يشرب
 من كل قافية غدت من حسنها • مثلا لغيرك في العلام يضرب
 خود تقلد من ثنائك قلائدا • بكر لغيرك في الوري لم تخطب
 غيت بمدحك زينة ولربما • بغنى الجمال عن الوشاح المذهب
 هي بعض أوصاف لذاتك قد غدت • كالبحر عذبا ماؤه لم ينضب
 جاءتك تسأل لك القبول وحسبها • نخر اقبولك وهو جل المطلب
 وتروم منك اجازة فاقت بما • ترويه بالسند القوى عن النبي
 حسبي الاجازة منك جائزة ولم • ألقبيل غير الفضل بالمتطلب
 لا بدع والايجاز اطنابا غدا • في مدحه ان لم أطل أو أسهب
 هيات لا تحصى ما تر فضله • بالمدح ان أطنب وان لم أطنب
 خدمة الداعي محمد بن يوسف الكرمي انتهى • فأجزته بما نصه
 أحمد من أطلع شمس الدين • في أفق الرواية المبين

وخص فضلا منه بالاسناد • أمة طه مذهب العناد
 فلم يكن عصر من الأعصار • الا وفيه أهل الاستبصار
 يتفون عن حوزة دين الله ما • يروم من عليه وشداهم ما
 وأنتم سبل صلاة ككلامه • على الذي له العطايا الشاملة
 محمد المرسل بالشرع الحسن • ذو المعجز المفعم أرباب اللسن
 مع حزيه من محبه وعترته • ومن تلامه ومثلا لآثرته
 وبعد فالعلم أجل ما اعتقد • موقف من فيض مولاه استمد
 خصوص الحديث عن خير الورى • صلى عليه الله ما زنديرى
 ولم يزل ذوو النسي يسعون في • تحصيله انفض له غير خفي
 وان مولانا الشهير السامى • الماجد المولى نبيه الشام
 سالك نهج السنة القويم • محمد بن يوسف الكرمي
 لزال في عز ورفى أمان • مبالغا من قصده الامانى
 وجهه الى ما حلت الشاما • وبرق حسن الظن منى شاما
 قصيدة بليغة مستعذبه • غريبة في فنهاه هذبه
 يسأل من مثلي بها الاجازة • بشرطها عند الذي أجازها
 مستكة كعبرة الصواب • ولم أجديتها من الجواب
 فليروني ما سمعت ككلامه • وما جعت في القنون جملة
 على شروط قررت في الفن • مر تحيا حصول كل من
 وصنوه الاكمل قدأبحته • ذال على الوجه الذي شرحته
 وان اكن فيما بيني مقصرا • فذوالرضا ليس لعيب مبصرا
 ولي أسأني بدأبي وفقى عن • تفصيلها لما من الرحلة عن
 والعذر بادوا الكرم يقبل • والصفح نهج يقتضيه الانبل
 وخطه هذا المقرى الجاني • امنه الله من الاشجان
 في عام ألف وثلثين قفا • سبعا لهجرة النبي المصطفى
 عليه أزكى صلوات تفتنم • بزكويها مفتوح ومختتم

وكتب الى الفاضل الخطيب الفهامة الاديب وارث الفضل عن الاعلام ذوى
 اللسن سيدي الشمس محمد المحاسنى سبط شيخ الاسلام مولانا البوريني حسن
 حفظه الله تعالى

ياسيدي وملاذى • وعالم النقلين
 ومن غدا مكان • علا على النيرين
 أجزت بالدرس قوما • فاقوا به الفرقدين
 فزين العبد أيضا • من مثل ذاليزين
 وان يكن في ختام • فذالقررة عين

فأجزته بمائة

أحمد من أطلع من محاسن * دمشق ما أرى على المحاسن
 وزانها بالجليلة الاعيان * الرافلين في حلى التبيان
 الراغبين في الحديث النبوي * السالكين في الهدى المنج السوي
 وبعد فالعلم أجل زينة * وسبيله في الرشده مستبينه
 وان علم السنة الشريفه * ظلاله ضافية وريفه
 اذالك كان باعقناء أجودرا * من كل ما يليه من تصدرا
 وان ذا الفضل الاديب البارع * سابق ميدان الذكالمسارع
 الماجد المستد السامي الحبيب * محمد من المحاسن اتقريب
 ابن الشهير الصدر تاج الدين * لازال في عز وفي تمكين
 وجده لاقه الشيخ الحسن * وذال بورينهم معطى اللسن
 سألني اجازة بكل ما * أرويه عنونا بحالى معلما
 وهما أنا أجيبه غير بطل * مستغفرا من خطا ومن خطل
 فليروعي بكل ما يصح * على شروط غيبتها يصح
 وهي عن الشروط لن ترعا * وليس يخفى علمه الكريما
 وكل ما ألفت أوجعت * نظم ما ونثر ما منى ما سمعت
 ولي أسانيد بضيق الوقت * عن مردها وبعضها قد سقطت
 في غير هذا فليحقق ذلك * مقتضيا لاوضح المسالك
 وقد أخذت جامع البخاري * ومسلم عن حائر الفخار
 هي سعيد وهو عن يدعي * بالتنسيق قسيدا فادابها
 عن حافظ الغرب الرضا أبيه * عن ابن مرزوق عن النبيه
 الحافظ المجلد العراقي * وقد سماه في سلم المصراقي
 وماله من الروايات علم * من كتبه التي حوت خير الكلام
 وخط هذا المقرئ عن مجل * مؤتملا من ربه عز وجل
 غفران ما جفى من الذنوب * والصفح عن معصية العيوب
 بجماء خير العالمين أحيدا * صلى عليه الله وأبى مرصدا
 وآله وصحبه الاخيار * ومن تالا لآخر الاعصار

ولما سألني في الاجازة الفاضل الاديب سيدي محمد بن علي ابن مولانا عالم الشام الشهير
 الذي كثر شيخ الاسلام سيدي ومولاي الشيخ عمر القاري حفظه الله تعالى وأنا مستوفز
 لاسفر كتبت له عن مجمل ما صورته

أحمد من زين بالآثار * جيد من الراوى النبيه القاري
 وشاد للعلماء في أوج السند * منازلام يلهما طول الامد
 وميز الواعين للحديث * بالفضل في القديم والحديث

وزان منهم سماء الدين • فأشرقته بالحفظ والتميز
 فهم به بالامتهتدى فجوم • وانما لامعتدى رجوم
 فكم أزا حوا عن حديث المجتبى • صلى عليه الله ما هبت صبا
 تحريف ذى غل مضل غالى • شان منهاج الرشاد هالى
 وبعد قال اسناد للرواية • وسيله ترحل الغواير
 والله قد خصص هذى الامة • به امتنانا وأزاح الغمه
 هذا ولولا ذلك قال من شا • ماشاء فهو بحق منشأ
 فلم يزل أهل النعمى كل زمن • يسعون فى تحصيله عن مؤتمن
 وان من جملة من تحترى • بجملة من العلوم غسرا
 الفاضل المستد الجيب • الواصل المجد الارب
 محمد سليل ذى المجد على • ابن الامام العالم الخبر الولى
 عمر الشيخ الشهير القارى • طود السكون هضبة الوفا
 شيخ الشيوخ فى دمشق الشام • لازال محفوقا بعز سام
 فكان من جملة من عفى روى • بعض الصحيح نظا فإيمانوى
 وبعد ذلك اقترح الاجازة • منى ووعدا اقتضى انجازها
 فأنجحت نفسى عن الاجابة • اذ لست فى ذا الامر ذا نجابه
 مع انى مقصر ذوى • فى مثل هذا المطلب المرحى
 وخفت أن آتيتها شنعاء • بحملى الوثى الى صنعاء
 وبعد ذا أحيت قصد الاجر • مر قريبا بذالك ربح البحر
 وقد أجبته وانى أعلم • أنى من خوف الخطا لأسلم
 فليروها بيبالغ التمنى • بجميع ما يصح لى وعنى
 من ذلك الجامع للخيارى • عن عمى الشهير ذى الفخار
 سعيد الاخذ عن سفين • عن قلقشندى مزيج المين
 عن حافظ الاسلام أعنى ابن حجر • بماله من الروايات اشهر
 وبعضها فى صدر فتح البارى • مبين لطالب الاخبار
 ولى أسانيد يطول شرحها • والروضة الغناء يكفى فتحها
 ومن روايات عن القصار • مفتى البرايا بهجة الاعصار
 حدثنا خروف الزاكى الارج • عن الشريف الطعطعائى فرج
 سمعت فى المنام طه على • حديث من أصبح وفق النقل
 أى آمنا فى سر به معافى • فى جسمه مع قوت يوم وفى
 وكل ما ألفت فى القنون • أرجو به التحقيق للظنون
 فليروها عنى بشرط معتبر • وربما يصدق الخبر الخبر
 ولى تأليف على العشرينا • زادت ثمانيا حوت تفنينا

قطيروها ان شابلا استنفا * والله أرجو نيل قصدي نائي
 بجاء من شرف بالادناء * صلى عليه الله في الآناء
 أحمد خير المرسلين الهادي * غوث البرايا ملجأ الاشهاد
 عليه أسنى صلوات زاكية * مع صحبه ذوى المزايا الزاكية
 ومن تلا ممن أطاب عمله * فقال من رجائه ما أتقوله
 وشتم من عرف قول أرجا * فقال من حسن الختام مارجا
 وخطبني من أهلها أيضا خادم الشيخ الاكبر بن عربي محي الدين وهو الشيخ الاكبر
 سيدى ابراهيم سلك الله بي وبه سبل المهتدين بقوله

فكرت في فضل الاما * م المقري الحبر حينا
 فوجدته بكررا لهما * ن وواحد الدنيا يقينا
 ما ان رأيت ولا سمعت بمثله في العالمينا
 وافي دمشق زائرا * ألوانه أضفى قطينا
 وأتى عجيب الاتفا * ق يعطر شهر الصائغينا
 فكان غزته الهلا * ل ونحن كنا نذرينا
 والعلم قال مؤرخنا * أدى بها فضلا مينا

وخطبني أيضا منهم الفقيه النبيه سيدى مصطفى بن محب الدين حفظه الله تعالى بقوله
 فضائل قطب الغرب في العلم والفضل * هو المقري الاصل حائز الخصل
 حوى كل علم كل عن بعضه السوى * فلا غرو ان أضفى فريدا بلا مثل
 وحاز غنونا من ضروب معارف * ومن فضل تحقيق ومن منطق فصل
 توخى دمشق الشام فاقتصر نغرها * سرورابه وازيدت من حلى الفضل
 وشرف مصر اقبلها فاكتست به * ملايس نخر زانها كرم الاصل
 لقد اشرفت من أفق غرب شموسه * وناهيك أفقا نوره قد ره يعلى
 نفاسه فيها تنافست الورى * بما قد غدا من درة الفاظه على
 ملي من التحقيق ان عن مشكل * تكفل بالتبيان والشرح والحل
 اذا ما أدار الدر من كاس لفظه * سقانا عتارا الفضل علا على نمل
 نظام له يحكى قلائد عسجد * ونغمر مليح فائق الحسن والذل
 وأسجاءه ان حال وثنى نسيجها * حكمت حبرا حيكته غارق من غزل
 له القلم الاعلى بشرق ومغرب * له الموضع الاسمى على الكل فى الكل
 فمياسيد احاز المفاخر والعلا * وفاقت حلى الآداب منه على الحلى
 الميك من العبد الحقير فحمة * لقد نشأت عن خالص الود من خل
 موال يوالى الحب والقرب منكم * بظاهر غيب لا يحيد عن الوصل
 فلا زلت محبوا بسابغ نعمة * ونفضل نعيم واقف وارف اللال

ودمت لدى الاسفار في نجح أوبة * وجع لشمل بالمواطن والاهيل
وخطبني أيضا الشيخ سيدي محمد بن سعد الكشني بقوله

شهر شعبان جاء فاليه سني * بقدم الاستاذ كنز الفضائل
بهجة الكون روض علم وحلم * وهو مغنى اليبان جاء سائل
بصايح فضله قد أضاعت * ساحة الجامع الكبير لآمل
وبختار اقطبه صار يحوى * لحديث مسلسل عن أفاضل
ومن الغرب حين وافي لشرق * فاق بدر التمام وسط المنازل
حل منى في القلب والطرف لما * لاح سعد السعودلى غير آفل
وغدا بالامان والسعد أروخ * أحمد المقري في الشام قائل

وقال أيضا شكر الله تعالى نيته وبلغه أمنيته

أتالذ دمشق الشام أكرم وارد * فقرى به عينا وللحسن شاهدى
وهزى دلالا في أزهى روضه * معاطف لين كالغصون الاماد
لك البشر يا عتي ظفرت بأجد * رفيع الذرى من فوق فرق الفراق
لقد شاع بين الناس واسع فضله * فكم قاصد يسعى لنيل الفوائد
من العلم الفرد المقيد الذى له * أباد سميت بالجدود تولى لقاصد
وذاك أبو العباس أحمد من صفت * مناهله دوما الى كل وارد
تراه اذا وافته مستهلا * ويسم حبا في وجوه الاما جد
امام سما قدرا على النجم رفعة * أرى وصفه في بيت نظم مشاهد
لديه ارتفاع المشتري وسعوده * وسطوة بهرام وظرف عطارد
شهدت بأن الله أولاه منحة * بنقل حديث في جميع المساجد
ومدحلى في وادى دمشق ركابه * وسودده وافي بأعدل شاهد
حدوى كل افضال وكل فضيلة * بهما يهتدى حق النيل المقاصد
وما ذاعى في مدحه انا قائل * ولو جئت فيه مطنبا بالقصائد
اذا رمت أن تلقى نظير المشله * عجزت ورب الناس عن عد واحد
فكم من معان حازها بيبانه * وفكرته قد قيدت للشوارد
ومنطقه حاوى الشفا بجواهر * صحاح به ايزدان عقد القلائد
من الغرب وافي نحو شرق فأشرق * شمس علوم اسفرت عن محامد
قناديته ياسيدي من فضله * تواترت الاخبار عن غير واحد
عسى عطفه منكم على نظرة * فانت لموصول الجدا خير عائد
وأنت على ريب الزمان مساعدي * وأنت يميني للحسود وساعدي
فلا زلت تولى كل من هو آمل * لبغيتيه من صادر ثم وارد
وتبقى مدى الايام في الجدر اقلا * بثوب الهنا تكفى شرور الخواصد

وهالك عروسا تجتلي في حليها * اليك أنت في زى عذراء ناهد
تمنى بعيد الفطر من بعد صومكم * بخير جزيل من لذيذ الموائد
وترجو جميل السمران هي مثلت * بحضرتك العليا يا خير ما جدد
وعش في أمان الله بالعز دائما * مدى الدهر ما سمح الحيا في الفدا قد
وما دارت الافلاك من نحو قطبها * وما برغت شمس الضحى للمشاهد
وقال أيضا زاده الله تعالى من فضله

ظبي بوسط القواد قائل * أعجز بالوصف كل قائل
ظبي بأحقانه سباني * وسحرها ينقى لها بيل
يرحمي بسهم اللعاط لما * ينو في صمى القواد عاجل
قد فتن العقل مذ تجنى * عني حتى غدوت ذاهل
له قوام كخوط بان * أزكك القنا السهري عادل
بدر بدا ككامل المعاني * في القلب والطرف عادنازل
قد أسر القلب في هواء * بقيد حسن وفرع سابل
وما بقي منه لي خلاص * سوى مديحي رضا الافاضل
أعنى به المقرى من قد * سما على البدر في المنازل
أحمد مولى له أباد * ككالمغيب يغنى لكل سائل
علامة حازك كل فضل * سبقا ومن بالعلوم عامل
من قد نشأ في العلوم طرا * وحاز علم البيان ككامل
طويل باع بسيط فضل * مديد جود لك كل أمل
وواقر العقل راح يهدي * سريع فضل لك كل فاضل
وحامع العلم في ابتهاج * بمنطق في الاصول حافل
وهكذا في الكلام مهما * أفاده في الدروس شامل
يروى صحيح الحديث دأبا * بالسند الواصل الدلائل
وكم علوم أفاد من قد * أتاه في مشي كل المسائل
وحل ابهام كل شكل * من فن وفق الى الوسائل
وغاص في بلية المعاني * واستخرج الدر في المحافل
وفي فنون البديع أضحى * جناسه قد حوى رسائل
وكم دليل أقام لما * برهانه ايهت المعازل
ان كان وافي لنا أخيرا * فهو الذي فاخر الاوائل
بحر محيط يفيض منه * على رياض بكل ساحل
وافي من الغرب نحو شرق * يجوب من فوق مستن بازل
في مهمه صحصح سهول * وحزنه ككم به غوائل
وحدث فيه المسير حتى * خلفه من وراء كاهل

وجاء باليمن في أمان * وصحة الجسم والشمائل
وحل في الشام عند قوم * من أكرم الناس في القبائل
ذاك ابن شاهين ذو المعالي * رب الندي للالوف باذل
كانه الشمس جاء بهدي * للبدر نوراً وليس آفـل
بل كان غيثاً لهم وكانوا * ووضاً أريضاً لشكر وابل
فجلاوه وعظموه * واذخروا عاجلاً لا جـل
جزاهم الله كل خير * وصانهم من جدال جاهل
وأحـد دمام في أمان * المقـررى الرضا المعامل
لربه في دجى الليالى * ويرشـد الناس في الاصائل
لازال في نعمة وخير * وفي أمان يعسود عاجـل
وخاطبني الاديب الفاضل الشيخ أبو بكر العمري شيخ الادباء بدمشق حفظه الله تعالى
بقوله

تاهت تلسان علي مدن الدني * بعالم في العالمين يحمد
المقرى أحمد رب الحجا * الكامل البحر الخضم المزبد
مالك هذا العصر شافعيه * أحـده نعمانه المستد
مذل مصر اذ عنت أعلامها * لفضله وبجلوا ومجدوا
وفي دمشق الشام دام سعادها * كان له بها المقام الاسعد
العلماء أجمعوا جميعهم * على معاليه التي لا تحسد
أقام شهر أوزيريد وانثني * وفي الحشامته المقيم المقعد
سالت علي فراقه دموعنا * وفي القلوب زفرة لا تخمد
لوقيل من محمد في تاريخه * ماقلت الا المقرى أحمد
لا برحت أوقانه مفيدة * ما صاح فوق عوده مغرد

قامت وذكري لكلام أعيان دمشق حفظهم الله تعالى ومدى بهم لي ليس علم الله لا عتقادي
في نفسي فضلا بل آيت به دلالة على فضلهم الباهر حيث عاملوا مثلي من القاصر ين بهذه
المعامله وكوه حل تلك الجماله مع كوني لست في الحقيقة له بأهل لما أنا عليه
من الخطا والخطل والجهل * ولقد خاطبت من مصر مفتي الشام صدر الاكابر وارث المجذ
كابر عن كابر صاحب أذيال الكمال صاحب الخلال المبلغة الآمال مولانا شيخ
الاسلام الشيخ عبد الرحمن العمادي الحنفي بكتاب لم يحضرني منه الآن غير بيتين
في أوله وهما

يا حادي الاطعان نحو الشام * بلغ تحياتي لتلك الغمام
وابدأ بعفتيها العمادي الرضا * دام به شمل الهنا في التمام

فأجابني بمائنه

الى أهالي مصر أهدي السلام * مبتدئا بالمقري - الهمام
من ضاع نشر العلم من عرفه * ولم يضع منه الوفا للذمام
أهدي تحف التحية الى حضرة العلية وذاته ذات الفضائل السنية الاحدية التي من
صحبها لم يزل موصولا بطرائف الصلات والعوائد الاحدية الجامعة التي لها منها عليها
شواهد

وليس لله يستنكر * أن يجمع العالم في واحد

فيما من جذب قلوب أهل عصره الى عصره وأعجز عن وصف فضله كل بليغ ولو وصل الى
الترة بنثره أو الى الشعرى بشعره ومن زرع حب حبه في القلوب قاس - توى على سوقه
وكاد كل قلب يذوب بعد بعده من - ترشوقه وظهرت شمس فضله من الجانب الغربي
فيهرت بالشروق وأصبح كل صبة وهو الى بهجتها مشوق زار الشام ثم ما سلم حتى ودع
بعد أن فرغ بروضها أفنان الفنون فأبدع وأسم لكل من أهلها نصيبا من وداده فكان
أوفرهم - ما هذا الحب الذي رفع بحبته سمك عماده وعلق بحبته شغاف فؤاده
فانه دنا من قلبه فتدلى وقار من حبه بالسهم المعلى أدام الله تعالى لك البقا وأحسن
لنا بك الملقى ومن علينا منك بنعمة قرب اللقاء آمين بجنة ويمنه هذا وقد وصل من ذلك
الجانب الوفي كتاب كريم هو اللطف الخفي بل هو من عزيز مصر القمص اليوسفي جاء به
البشير ذو الفضل السني الخلل الاعزال اجل التاج المحاسني مشقلا على عقود الجواهر
بل النجوم الزواهر بل الآيات البواهر تكاد تنقطر البلاغة من حواشيه ويشهد
بالوصول الى طرفها الاعلى لموشيه فليت شعري بأي لسان أثني على قصوله الحسان
العالية الشان الغالية الاثمان التي هي أنف من قلاتد العقيان وأبدع من مقامات
بديع الزمان فطفقت أرتع من معانيها في أمتع رياض وأقطع بأن في منشئها اعتياضا
لهذا العصر عن عياض

ليت الكواكب تدنولي فأنتظمها * عقود مدح فلا أرضى لها كلى

ولاسيما فضل التعزية والتسليه المشقلى على عقد التخليه بل عقود التخليه لتليذك
الولد ابراهيم فانه كان له كرقية السليم بعد أن كاد ييم بخفاء والله درة في أحسن
المحال ووقع الموقع حتى كان الولد نشط ببركته من عقال

واذا الشئ أتى في وقته * زاد في العين جلال الجلال

فجزاكم الله تعالى عنا أحسن الجزاء ثم أحسن لكم جميل العزاء فيمن ذكرتم من كريمي
الاصل والفرع وأبقى منكم ما كثر في الارض من به للناس أعم النفع وأما مصيبة
من كان وليي وسمي ومنجدي الشهيد السعيد المرحوم الشيخ عبدالرحمن المرشدي
فانها وان أصابت منا ومنكم الاخوين فقد عمت الحرمين بل طمت الثقليين ولقد عدت
مصابه في الاسلام ثله وفقدته في حرم الله تعالى من كان يدعي للمله ولم يوق بعسده الامن
يدعي اذا يحاس الحيس واستحق أن ينشد في حقه وان لم يقس به قيس

وما كان قيس هلكه هلك واحد * ولصكته ببيان قوم تمهدا
 قاله تعالى يرفع درجاته في عليين ويبقى وجودكم للاسلام والمسلمين وتلامذتكم الاولاد
 يرجون من بركات ادعيتكم اعظم الامداد ويهدون اكل التمه الى حضرة تكم
 عليه وبلغكم دعاء صاحب السعادة ادام الله تعالى اسعادتكم واسعاده وفحن من
 صحبته الشهيد في رياض قدون اديبه ايمها الملمات محاضرة في ذكر شمائلكم الجليله
 تنور المجالس وانشهاها نسيمات محاوره بنشر فضائلكم الجليله تعطر المجالس وسلام جله
 الاصحاب من اهل الشام وعامة الخواص والعوام والدعاء على الدوام المخلص
 الداعي عبدالرحمن العمادي مفتي المنقبه بدمشق المحبيه * (ووردت على مع المکتوب
 المذكور مكاتبات الجماعة من اعيان الشام حفظهم الله تعالى فيها من الصديق الحميم
 الرافل في حالي المنجد الصميم الخطيب الاديب سيدى الشيخ المحاسنى يحيى اسمي
 الله تعالى قدره في الدين والدنيا كتابان نص اقرها باسمه سبحانه

لئن حكمت ايدى التوى او تعزضت * عوارض بين يئنا وتفسر
 فطر في الى رؤياكم متشوق * وقابى الى لقياكم متشوق
 يقبل الارض الشريفة لازالت مركز الدائرة التهانى وقطب القلبي تجرى المجرة على حجرته
 على الدقائق والثواني ولا برحت ألسن البلاغة عن تمييز براعة براعة حامي جاهاه عربيه
 و بلايل الاداب على الاغصان في رياض فضله يمشى في الشفاء صادحة وبألحان سجعها
 مطريه

أرض بها فلك المعالى دائر * والشعر تشرق والبدور تحوم
 ولها من الزهر المنضد أنجم * ولهاعلى أفق السماء نجوم
 عمرا لله تعالى بالمسرات محلها وعم بالخيرات من حلها ويبتدى بسلام يخبر عن صحيح وده
 السالم وهز يد غرام يؤكده حبه الذى هو للولاء حازم وينعت شوقا يجرك ما سكن صميم
 الضمير من صدق حبه سلم جمعه من التكسير ويؤكد السلام بتوابع المدح والثناء
 ويعرب عن محبة مشيدة البناء وينهى أن السبب في تسطيرها والباعث على تحريرها
 أشواق أضرم نارها في القواد ومحبة لو تجسمت للملات البلاد

شوقى لذاتك شوق لا أزال أرى * أجدته يا امام العصر أقدمه
 ولي فم كاد ذكرا الشوق يحرقه * لو كان من قال نارا حرقته
 هذا وان تفضل المولى بالسؤال عن حال هذا العبد فهو باق على ما تشهد به الذات اللطيفة
 عليه من صدق المحبة ورق العبوديه ولم يزل يزين أفق المجالس بذكركم ولا يقتطف
 عند المحاضرة الا من زهركم ولم ينس حلاوة العيش في تلك الاوقات التى مضت في خدمتكم
 المحروسة بعناية الملك المتعال وليالى الانس التى قيل فيها وكانت بالعراق لنا ليالى
 واهالها من ليالى هل تعود كما * كانت وأى ليالى عاد ما ضيها
 لم أنسها منذ نأت عنى بيهجتها * وأى أنس من الايام ينسها

فنسال الله تعالى أن يعين بالتلاق ويفصل مانعة الجمع بطنى شقة العراق ان ذلك على الله

يسير وهو على جمعهم اذ ايشاء قد ير وبعد فالعروجن على مسامع سيدي الديكرية
لا زالت من كل سوء سليمة انه وصلنا مكتوب بكم الكريم جمعية العلم المحب القديم لفصل
لهذا العبد به جبر عظيم وانس جسيم كما شهد بذلك السميع العليم فعزمت على ترك
الاجابة لعدم الاجادة ومتى تبلغ الالفاظ المذمومة ما بلغت الالفاظ المقريه وأين يصل
صاحب الزمر كما قيل الى الدفات الخليلية ولكنني خشيت من ترك الاجابة توهم نقص ما
أبنيه من رقي العبودية وصحة الوداد ومن انقطاع برق شجني الذي هو لبنت شرفي العمدية
والعماد فلزم من ذلك أن كتبت لجنابه الشريف الجواب وان كان خطؤه أكثر من
الصواب وأرسلته قبل ذلك بعشرة أيام ومكتوب هذا العبد صعبته مكتوبان أحدهما من
محبكم شيخ الاسلام المفتي العمادي والآخري من محبكم أحمد أفندي الشاهيني وهما
و بنية أكابر البلدة وأعيانهم يطلعونكم السلام التام ولا تؤاخذونا في هذا المكتوب فاني
كتبته جهلا ومن جنابكم خجلا دام خيركم على الدوام الى قيام الساعة وساعة القيام
وحزريوم الاثنين ١١ جمادى الثانية سنة ١٠٣٨ الفقيه الداعي يحيى المحاسني
اتمى*(ونص الكتاب الثاني من المذكور أسماء الله باسمه سبحانه مخلصك الذي يحض
لك ووداده ومحبك الذي أسلم لمحبك قياده بل عبيدك الذي لا يروم الخروج عن رقبك
وتليدك الذي لم يزل مغترقا من فيض علومك معترقا بمحققك من أسكنك لبه وأخلص لك
حبه واتخذك من بين الانام ذخرا نافعا وكهفنا مانعا ومولى رقيقا وثمنا باساطعا
وتشبت باسباب علومك وعمسك بعمدي اليك سلاما كائنات تعطر بعمسك ثنائك وعمسك
واسكتسب من لطف طبعك الرقة واستعار من سفي وجهك حلة مستحقة وتحمية
لم يكن مناه الا أن تهكون بالمواجبه والمحاضرة والمشافهه على أن فؤاده لم يبرح لك
سكنا وأحشاه لك موطن وبيدي دعوات يحقق الفضل انها من القضايا المتجبه
وأن أبواب القبول لها غير مرتجيه مقبلا أياديك التي وكفت بوابل جودها وكفت المهم
بنماذج سجودها وما كتبت الوشي المرقوم وسلكك الدر المنظوم فهذا رقل في حلها
وهذا يهلي بعقودها

فهى التي لعنوا الرياض لرقها * ويغار منها الدر في تنصيدها

ويحار أرباب البيان لنظها * فهم يحضرتها كبعض عبيدها

متسكمان ولا تلك بوثيق العرى متسكمان ثنائك الذي لا يزال اليك كون منه معبرا
متشوقا للاقائك الذي بالمهج يستبام وبالنقوس يشترى متشوقا الى ما يرد من أنباءك
التي تسير خبرا وتحمدا انرا أعني بذلك المولى الذي أقام بقنا الفسطاط نجما واتبع
جواهر ائد الفضل ميموا وشدت لفضائله الرحال ووقفت عندها بل دونها خول الرجال
وطاعت شمس علومه في سماء القاهرة فاجتفت نجوم فضلائها والاشعة باهره

هو الشمس على الجميع كواكب * اذا ظهرت لم يرد منها كوكب
فهو العالم الذي سرى ذكره في الآفاق مسير الصبا جاذب ذيلها التسم الخفاق الذي أطلع

شمس التحقيق من أفق بيانه وأظهر بدرا التدقيق من تبياناه فلهذا عقدت عليه انما صر
 بين علماء عصره وانقطعت اليه الاواصر من فضلا مصره فلا يضاهيه أحد في زمانه
 وينسق ما نسقه من درته ومرجانه فهو المعول عليه في مشكلات العلوم معقولها
 ومنقولها والمنطوق والمفهوم الذي لم تسمع بمثله الا زمان والعصور ولم يأت بتفسيره
 تتابع الاعصار والدهور من هجز لسان القلم عن التصريح باسمه الشريف في هذا الرقم
 لازالت المدارس مشرقة بالقائه فيها الدروس ولا برحت البقع عامرة بوجوده بعد
 الدروس ما سطرت آيات الاشواق في الصحائف والطروس وأرسلت من تلميذ الى أستاذ
 بسبب نسبه اليه فصل على المطلوب من شرف النفوس هذا والذي يبدى لحضرتكم
 وينهى لطلعتكم أن الراقم لهذه الحقيقة المشرقة ببعض أوصافكم اللطيفة
 المرسله لساحة فصائلكم المنيفة هو تلميذكم من تشرف بدرسكم واقتخر بإجازتكم
 يبدى لكم تلهفه لغير ان أشواقه التي التفت وتأسفه على الايام السالفة مذهبة
 في خدمتكم لا ذهبت وتوجه له هذه الايام التي استرجعت بالبعد عنه من ذمته
 ما وهبت وتطالعه الى ما يشنف به الاسماع من فضائله التي سلبت العقول واتهبت
 فلم ير يسأل الرواة عنها ليلتقط منها وقد تحقق أن فرائدها لا يلقي لها نظير ولا يدرك
 منها وكيف لا ومنها يعلم الفاضل اللبيب واليه يفتقر السعيد ويتودد الحبيب
 وعليها يعتمد ابن العميد ولم تنفك راقية في درج المريد وعميد الحميد عبد الحميد وعلم
 شيعي محيط بصدق محبتي واخلاصها وشدة حرصي على تحصيل قوائدهم ولانا واقتناسها
 وانني لا أزال ذاكر المحاسن التي ليست في غيره مجموعته ومتطفلا على آثار أفكاره
 التي هي لا مقطوعة ولا ممنوعة وخاطره الشريف على الحقيقة يشهد بذلك فلا يحتاج هذا
 العبد الى بينة لدى مولانا الاستاذ المالك وحقيق على من فارق تلك الاخلاق الغر
 والشمال الزهر والعشيرة المعشوقة والسجيا الموموقة والفضائل الموفورة والمآثر
 المشهورة أن يشق جيب الصبر ويجعل النار حشوا الصدر

واني لتعرف في ذلك كرامة * كما تنفض العصفور ببله القطر
 ولومله كت مرادى لما أحضر الا في ذراه مرادى بل لودار الفلك على اختياري
 لما نضوت الا عنده لبلى ونهارى

ولو نعطى الخيار لما اقترقنا * ولو كن لا خيار مع الزمان
 وتحت ضلوعى لوعة لو كتمها * نلقت على الاحشاء أن تتضرما
 ولو بحث في كتي بما في جوانحي * لانطق منها نارا وأبكي منها دما
 وأنا لا أقترح على الدهر الا لقياء ولا أقطع حاضر الوقت الا بذكراه وما أعتقد أبهى التي
 سعدت فيها بلقاته الامفاتيح السرور ومطالع السعود والحبور ولست أعيبها الا بقله
 البقاء وسرعة الانقضاء وكذلك عمر السرور قصير والدهر يتفرق الاحبة بصبر وربما
 ونضرا العود بعد الدبول وطلع النجوم بعد الافول وأدبل الوصال من الفسراق وعاد
 العيش المترحلا مذاق

وما أمان أن يجمع الله شملنا * كاحسن ما كنا عليه بآيس
فأما الآن فلا أربح الوقت إلا بقلب شديد الاضطراب وجوارح لا تفريق من التوقد
والالتهاب وكيف لا وحالي حال من ودع صفو الحياة يوم وداعه وانقطع عنه
الآن ساعة انقطاعه وطوى الشوق جوارحه على غليل وحل اضلاعه على كبد
دخيل وأغرى بي قلمي ولزمته وألف بيني وبين الوجد فأنف وألفته فلا أسلك للعزاء
طريقا إلا وجدته مبدودا ولا أقصد للصبر يا ألفتيه مردودا ولا أعد اليوم بعد
فراق سيدي الأشهر والشهد دون لقاءه الأدهر والست بناس أيامنا التي هي تاريخ
زمانى وعنوان الأمانى أدماء الاجتماع عذب وغصن الازديار رطب وأعين الحواسد
راقده وأسواق صرف الدهر كسده فما كانت الألحة الطرف ووثبة الطرف ولعة
البرق الخاطف وزورة الخيال الطائف وماتد كرتك الأيام في أكاف فضائله ونضرتها
ورياض علومه في ظله ونضرتها إلا أوجب على عينيه أن تدمع وأنف على كبد
خشية أن تصدع ثم لما ورد على عبدكم مكتوب بكم الكريم هبة حضرة العلم المحبة
القديم فكان كالعافية للصبي السقيم كما يشهد بذلك السميع العليم فوقه منتصبا
وخفف عنه برؤيته وصبا وذكر أيام الجمع فها هو وجدا بها وصبا فاستخفه الإعجاب
طربا وشاهد صدوره فقال هكذا تكون الرياض وعين لطفه فقال هكذا تكون الصبا
وقبل كل حرف منه ووضع على الراس وحصل له بعد ترقبه غاية المجاورة والاستئناس
فعند ذلك أنشد قول بعض الناس

ورد الكتاب فكان عند وروده * عبدا ولكن هيج الأشواقا
فوماته قيد عاقت صاداته * كعناق مشتاق يحاف فراقا
فكانما النونات فيه أهلة * وصكأ نما صاداته أحداقا
فعبسى الاله كما قضى بفراقنا * يقضى لنا يوما بأن تتسلاقي

فجعلته نصب عيني أنسلى به عند استيلاء الشوق على قلبي وأطفي بآمله نيران وجدى
إذا التبت في صدرى وسررت به سرور من وجد ضالعة عمره وأدرك جميع أمانيه
من دهره وأنست بتصفحه أنس الرياض بانم لال القطر والسارى بطالع البدر والمسافر
بتعريسة الفجر وكيف لا وقد أصبح في وجهه الأمانى خذا يلى خدتها وردا وصار
حسنة من حسنات دهرى لا يمحى وروا الأيام موضعها من حيدرى وطاعت طوالع
السرور وكانت آفله واهترت غصون الفرح وكانت ذابله لاسم الماتضمن من البشارة
السارة بعجة المولى وبسلامته وحلوله في منازل عزه وكرامته وموعده الكريم بعوده
الى دشق الشام كساها ثوب الفخام مرة ثانية ويتم افتتاحها على غير هافلا تزال
مفاخرة مباهيه فسأل الله تعالى أن يحقق ذلك وأن يسلك بسيدى أحسن المسالك أنه
سبحانه وتعالى سامع الاصوات ومحجيب الدعوات فان عودكم يا سيدى والله مرة أخرى
هو الحياة الشبيهة والأمنية التي ترتجى النفس بلوغها قبل المنية وما أمان الله بآيس
من أن يتج سببا بعيد المزار مقربا والشمل مجتمعا وجبلى البين منقطعا ثم ليعرض

على مسامع سيدي الكريمة لازالت من كل سوء سليمة أنا وملتامكم كما أمرتم
 لأربابها لاستيما مكتوب شيخ الاسلام سيدي عبدالرحمن افندي المقتى بالشام ومكتوب
 المولى الاعظم والهمام الانعم أحمد افندي الشاهيني أعزه الله تعالى فانه وقع عنده الموضع
 العظيم وحصل به السرور المقيم كما يدل على ذلك جوابه التكريم المحضوف بالتعظيم
 والتكريم غير أنه قد ساء ما اتصل بمولانا من تقو ذقضاء الله تعالى الذي يعم في البنت
 والام فجعل الله تعالى في عمر سيدي البركة وكان له في السكون والحرارة وماذا عسى أن يذكر
 لحسابكم في أمر التعزية ويقرر ومنكم يستفاد مشله وعنكم يحترق والاستاذ أدري
 بصروف الدهر وتفتنها وأحوال الزمان وتقلونها وأعرف بأن الديار لها بساتينها
 مدار وأن الحياة ثوب مستعار ونعيم الدنيا وبؤسها ما لواحد منهم تقيها قرار وأن
 لكل طالع اقولا واكل فاضر ذبولا ووراء كل ضياء ظلاما ولكل عروة من عرى الدنيا
 انفصاما فهو محمل لأن يقوى في العزاء عزائه ويصغر في عينه نواب الدهر وعظائمه
 ويغنيه عن عظة تجتله مقالا وتحمل عن عتله عقالا وهو يتلقى المصائب بفكر فاقب
 وفهم صائب ومبريق صرخته الطود الاشم وعزم ينطلق دونه الصخر الاصم وحلم يرج
 اذا طاشت الاحلام وقدم تثبت اذا زلت الاقدام ومذا المقال في ضرب الامثال
 الى جنايتكم الشريفة نوع من تجاوز حد الاجلال وأنا أسأل الله تعالى أن يجعل هذه
 المهينة خاتمة ولا يبريه بعدها الادولة قاتمة ونعمة دائمة وأن يحرسه من غير الليل والنهار
 ويجعله وارث الاعمار بجاء نينا محمد المختار صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه الاطهار
 بجنه وكرمه ثم أبلغ سيدي أطال الله عمره وشرح صدره ونشر بالخير ذكره السلام التام
 المقرون بألف نحية وأكرام من أهل البلدة بجمعا لاسيما من مفضيها العمادي حرس الله
 ذاته التي هي منهل للصادي والنفادي وأولاده الكرام المستحقين للاعزاز والاكرام
 ومن كبيرها ومدبرها ومشيرها أحمد افندي الشاهيني أعزه الله تعالى بعزه وجعله تحت
 كنفه وحرزه ومن خطيبها مولانا الشيخ أحمد البهنسي وتقيب أشرفها مولانا السيد
 كمال الدين وجميع المحيين الداعين لذلك الجناح والمتسكين بتراب تلمكم الاعتبار
 ومن الولد والم - والله يا سيدي انه ناسر لواء الشناء والمحامد وداع لذلك الجناح المكاسب
 للمفسر والمحامد وحضرة شيخنا شيخ الاسلام وبركة الشام مولانا وسيدنا الشيخ عمر
 القاري أبق الله تعالى وجوده وضاعف علينا احسانه وجوده وأولاده يسلمون عليكم
 السلام الوافر ونهون لكم الشوق المتسائر في ٢ جادى الثانية سنة ١٠٣٨ هـ المحبة
 الداعي يحيى المحاسنى انتهى • وكتب الى عمه الفاضل الاسمي ماصورته باسمه سبحانه وتعالى
 وانى لمشتاق الى وجهك الذى • تهله أهلى السناء الى البدر
 وأخلاقك القز اللواتى كأنها • تساقط انداء الغمام على الزهر
 سيدي الذى عبوديتى اليه صروقه ودواى محبتي لديه موفورة وعليه موقوفه
 علم الله سبحانه اننى لأزجى أوقتي الابد كرام ولا أرجى اليمن من ساعاتى الا
 باستنطاق نسيم رياه واننى الى طلعتة أشوق من الصادى الى ماء صداء ومن كثر عزة

الى نوه تيمما

يرتجى اليك الشوق حتى * أميل من اليمين الى الشمال
وياخذني اذكر المآثر امتاز * كإنبساط الأسير من العقال

والى على صدق هذه الدعوى من نياحة ليه شاهد عدل ومن نزاهة قلبه منزل غير ملوم
ولا معذل وكيف لا ومطالع البيان مشرقهما من أفلاك قهوميه وجواهر التبيان
مقدقهما من بحار علومه وهو بحر العلم الذي لا يقتحم بسفن الافكار وجبل العلم الذي
رسخ بالهيبه والوقار

لواقسمت أخلاقه العزلم تجدد * معيبا ولا خلقا من الناس عائبا
وماذا عسى أصف به مولانا وقد عجز عن وصفه لسان كل واصف وحار في بث فضائله
أرباب المعارف والعوارف

فلو نظمت الثريا * والشعر بين قريضا
وكاهل الارض ضربا * وشعب رضوى عروضا
وصفت للدر ضدا * وللهـــــــــــــــــ واتقيا

ولكنني أقول الثناء منجس أنى سلك والسخرى جوده بما ملك وان لم يكن خرتقل
وان لم يصبا وابل فطيل هذا وقد أوصلنا مكاتيبكم الشريفة لأربابها فكانت لديهم
أكرم قادم وأشرف منادم وقد تداولها الأفاضل وشهدوا انها من بنات الافكار
التي لم يكشف عنها غير سيدي حبيب الاستتار وقد وجدنا كلامهم ملتبها بجمرات
الشوق متجبا وزا حدة الصباية والتوق ليس لهم شغل الا ذكر أوصافكم الحميدة
وبث ما أبدى قوه بدروسكم المفيدة وما منهم الا ويرجو بل الصدى وتقع اللطما بروية
ذلك الحميا والقلبي تلك الطاعة العليا وان سأل سيدي عن أخبار دمشق المحروسة دامت
ربوعها المأنوسة فهي والله الحمد منتظمة الاحوال امنها الله من الشرور والاهوال
ولم يتجدد من الاخبار ما نعلم به ذلكم الجنب لازل ملحوظا بعين عناية رب الارباب
وأنا سأل الله تعالى أن يصون جوهر تلك الذات من عوارض الحدثان وأن يحمي تلك
الحضرة العلية من طوارق حكم الدوران

آمين آمين لأرضى بواحدة * حتى أضيف اليها ألف آمينا

• وهذا طاء للبرية شامل * العبد الداعي بجميع البواعث والدواعي تاج الدين
الحاسنى عفا الله تعالى عنه انتهى وباللهام شر ما صورته وكتابتها الامرف العبد الداعي
محمد المحاسنى يقبل يدكم الشريفة ويخصكم بالسلام الوافر ويث لديكم الشوق المتسائر
فيرانه قد نازعته نفسه في تلك المعانيه لسيدته الذي لم يسعد عبيده منه بالمكاتبة على
انها مكاتبة تحكم عقد العبودية ولا تخرج رقبته من طوق الرقيبه والمطلوب أن يخصه
سيده بدعواته المستطابه التي لا شك انها مستجابة كما هو عليه في سائر أوقاته
وحسبان ساعاته ودمته * في رابع جمادى الثانية سنة ١٠٣٨ هـ انتهى • وكتب
سيدي التاج المذكور لى ضمن رسالة من بعض الأصحاب ما صورته

يا فاضل العصر يا من • للشرق والغرب شرف
يا أحمد الناس طرا • في حقل ما يصرف
يهدى اليك محبة • وهو عنه تتذرف
شوقا وودا قديما • منكرا يتعترف

واضحت مخاطبات أهل دمشق لي بما كتبه لي أوحد الموالى الكرام السرى أمين الأعيان
صدر أرباب البلاغة والبيان • ولانا أحمد الشاهينى السابق الذكر فى هذا التأليف
مرات ضاعف الله تعالى لديه أنواع المبرات والمسررات آمين ليكون مسكالا لختام
محاسنه ليس بها خفاء ولا إلهاء اكتنام ونص محل الحاجة منه هو الغياض
ياسيدا أحرر خصل العلا • بالباس والرأى الشديد السديد
ومن على أهل النهى قد علا • بطبعه السامى الجيد المجيد
ومن يزين الدهر منه حل • قول نظم كالفريد النضيد
ومن صدا فكرى منه جلا • نظم له القلب عميد حيد
ومن له من يوم قالوا بلى • فى مهجتي حبة جديده منيد
ومن غدا بين جميع الملا • بالعالم والحلم الوحيد القريد
أفديك بالنفس مع الأهل لا • بالمال والمال عنيده هديد

أقسم بالله الذى علمت كلمته وعمت رحمته وسخرت القلوب والعقول رأفته ومحبتة
وجعل الأرواح جنودا مجندة فما تمارف منها انتفى وماتنا كرمها الخلف اتقى
أشوق الى تقبيل أقدام شيجى من الطمان للاماء ومن السارى لطلعة ذكاء وليس تقبيل
الأقدام مما يدفع عن المشوق الأوام وقد كانت الحال هذه وليس بينى وبينه حاجز
الأجساد اذ كان حفظه الله تعالى جار الدار فكيف الآن بالانرام وهو حفظه الله
تعالى بعصر وأنا بالشام وليس غيبة مولانا الاستاذ عنا الا غيبة العافية عن الجسم
المضى بل غيبة الروح عن الجسد البالى المطروح ولا العيشة بعد فراقه وهجر أحابيه
ورفاقه الا كما قال بديع الزمان عيشة الخوت فى البر والتلج فى الحتر وليس الشوق اليه
يشوق وانما هو العظم الكسير والتزع العسير والسم يسرى ويسير وليس الصبر عنه
يصبر وانما هو الصاب والمصاب والكبد فى يد القصاب والنفس رهينة الاوصاب
والحين الحائن وأين يصاب ولا أعرف كيف أصف شرف الوقت الذى ورد فيه كتاب شيجى
بخطه من يلابض به بلى قد كان شرف عطاره حتى اجتمع من أنواع البلاغة عندي
كل شارد وأما خطه فكما قال صاحب بن عباد أهذا خطا يوما أم جناح الطلوس
أو كما قال أبو الطيب

من خطه فى كل قلب شهوة • حتى كأن مداده الأهواء

وأنا أقول ما هو أبعد وأبرع وفى هذا الباب أنفع وأجمع بل هو حظ أمان من الزمان
والبرامة من طوارق الحدثان والحرز الحريز والكلام الحق الأبريز والجوهر النقيس
العزير وأما الكتاب نفسه فقد حسدنى عليه اخوانى واستبشروه أهلى وخيلانى

وكان تقبيل لامله أكثر من نظري فيه شوقا الى تقبيل يدو شسته وحشته واعتيادل
للمأ نامل جسته ومسته وأما البراعة فلا شك انها ينبوع البراعة حتى جرى من مخرج
البلاغة منها ما جرى فجاء الكتاب كسحر العيون • بجراح يسبي عقول الوري
وينادي بأمر ازخمل السبق من التريا الى الثرى ولم أركبا قبل تكون محاسنه
متداخلة مترادفه ولطائفه وبدائعه متضاعفة مترافقه وذلك لانه سرمد من غرور دره
الاحاسن وورد على يد رأس أحبا بنا تاج بنى محاسن

اولئك قوم أحرزوا الحسن كله • فحاشهم الافتق فاق في الحسن

وكما قلت فيهم أيضا

فبنوا المحاسن يتنا • كبني المنجم في الجبابه

فهم القراية ان عدمت من الانام هوى القراية

فيهم محاسن جمة • منها الخطابة والكتابة

ثم لم يكتب سیدی وشيخي بما أنعم به وأحسن بكتبه من كتابه المزين بخطه المبين بضبطه
المسمى بين أهل الوفاء بكتاب الاكتفاء والاصطفا • حتى أضاف اليه كتاب الشفاء
في بديع الاكتفاء كأنه لم يرخص طبعه الشريف المفرد المستثنى الا أن تكون حسنة
لدى أحبا به مني مثني حتى كان مراده بتضعيف هذا الاكرام والاحسان تعجيز العبد
عن أداء خدمة الحمد بحصر البيان وعقد اللسان اذ لست ذالسانين حتى أؤدى
شكرا حسانين وغاية البليغ في هذا المضمار الخطير أن يعترف بالقصور ويلتزم بالتقصير
ومن فصول هذا الكتاب مانه ومن باب ادخال السرور على سیدی وشيخي وبركتي
خير المدرسة الداخلية التي تصدى لها ذلك المولى العظيم والسيد الحكيم صدر الموالى
وروث الايام والى الى سیدی وسندی وعمادی ومعتمدی الفهامة شيخي أفندي
المعروف بالعلامة حفظه الله ووفاء وأبقاء الذي صدق عليه وعلى قول الاول

ولي صدق ما صدق عدم • مذ وقعت عينه على عدمي

أغني وأقني فما يكفني • تقبيل كفه ولا قدم

قام بأمرى لما قد دنت به • ونعت عن حاجتي ولم ينم

وقول الثاني

صديق لي له أدب • صداقة مثله نسب

رعي لي فوق ما رعي • وأوجب فوق ما يجب

فلا نقدت خلائقه • لهرج عندها الذهب

والعمري انه كذلك قد تمتد لي حاجتي فقضاها ولحجتي فأمضاها ولم يكن لي في الروم سواء
وسواها وما أمتنع بالروم اذ اختلف عني ما أروم أبي الله الا أن يتفنى ذلك الحز الكريم
بنبيه وأمره وأن يكون بياني وبناني مرتبطين بحمده وشكره وهذه حاجتي في نفسي
قضيتها وأمنية رضية بها وأرضيتها والله الحمد ولست أحصى ولا استقصي يا سیدی
ومولاي شوق أخيك سیدی ومولاي المتني العمادي حفظه الله تعالى واياكم وقد بلغ به

شوقه وغرامه وتعطشه وهيامه وأوامه أن أفرد بجناب مولانا كتابا يستجيب مفخرا
وجوابا اذ الشام كما رأيت عبارة عن وجوده الشريف والسلام وكذلك أولاده الكرام
تلاميذكم يقبلون الاقدام وأما محبتكم وصديقتكم الشيخ البركة شيخ الاسلام مولانا
عمر القاري فقد بلغته سلام سيدي فكان جوابه الدعاء والثناء مع العزيمة على بأن أباغ
بجنابكم الكريم في تأدية سلامه وتبليغ ما يتضمنه من المحبة الخاصة فصيح كلامه
وأما الكريمان ولدكم محمد أفندي وأخوه سيدي أكمل الدين فهما تقبيل اقدامكم من
المستعدين وكذلك لأحصى ما عليه من الدعاء والثناء بجنابكم الكريم العالي
تلميذاكم بل عبداكم ولدنا الشيخ يحيى ابن سيدي أبي الصفا وولدنا الشيخ محمد ابن سيدي
تاج الدين الهاسنيان وأما عبداكم وتلميذاكم ولداي الشيخان الداعيان الاخوان
الشيخ عبد السلام والقاضي نعمان فليس إلهما وظيفه الا الدعاء والثناء في كل صباح
ومساء لان كلامهم ما خلفني والاشتغال بالدعاء لسيدي وظيفتي ولا يقنعان بتقبيل
اليدين الكريمتين ولا بدمن تقبيل القدمين المباركتين وبعد فلا يتقضى عني من بلاغة
كتابكم الشريف الوارد بجناب أخيك المقتي العمادي حفظكم الله تعالى وإياهم ولا كان
من يشنك ويشتام وعجبه به أعظم وأكبر اذ هو حفظه الله يفهم كلام سيدي أحق
وأجدر فلا عذر من تلك الانقاس المذكية الفلسكية من كل منكم اذهي والله
البغية والامنية كما قلت

ليس نخري ولا اعتدادي بدهر • غير دهر ارا كما من يقبه

الاهم اختتم هذا الكلام للقبول التام بالصلاة على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين
• ومن فصول هذا الكتاب ما صورته أطبال الله ياسيدي بقاءك ولا كان من يكره
لقائك ورعالك بعين عنايته ووقالك وأدامك وأبقالك وضمن لك جزاء الصبر وعوضك
عن مصابك الخيروالاجر واقد كنت عزميت على أن أجعل في مصاب سيدي بأته مئة
الله تعالى بعمره وعلمه ودفع عنه سورة همه ونعمه قصيدة تكون مرثية تتضمن تعزية
ونسليه فنظرت في مرثية أبي الطيب المتنبى لآله واكتفيت بنظمها ونثرها وعقبها
وحملها واتخبت قوله منها

لك الله من مفاجئة بحبيبها • قبلة شوق غير مكسبها وصفا

ولولم تكوني بنت أكرم والد • لكان أبالك الضخم كونك لي أما

لئن لذيوم الشامتين يومها • لقد ولدت مني لانفهم رغما

فقلت هذه حال مولانا الراغم لانوف الاعداء المجتهد لاسلافه جدا ومجدا القاتل بشوقه
لاخطأ ولا عدا ثم لما رأيت قوله في مرثية أخت سيف الدولة

ان يـمكن صبر ذي الرزية فضلا • تكن الافضل الاعز الاجلا

أنت يا فوق أن تعزى عن الاحسباب فوق الذي يعزى عن عقاله

وبألفاظك اهتدى فاذا عزالك قال الذي له قلت قبـلـه

قد بلوت الخطوب حلوا ومرا • وسلكت الايام حزنا وسهلا

وقلت الزمان علما فاني قد ربح قولاً وما يجتهد فعلاً
قلت هذه والله حلي مولانا الاستاذ الذي عرف للزمان فعله وذهب قوله قد استعارها
أبو الطيب وحلي بها محمد دومة سيف الدولة وكيف استطيع ارشاد شيخني لطريق
الصبر وأذكره بالثواب والابر وكيف وأنا الذي استقيت من دجيه واعتديت الى سبيل
المعروف بشيخه وسلكت جادة البراعة بهداية أفاضله وارثيت الى سماء البلاغة
برعاية أفاضله وهل يكون التلميذ معلماً وهل يرشد الفرح فتشعياً وكيف يعرض السبيل
الاسد وهو ضعيف المنه والمدد ومن يعلم النغر الا بتسام والصدرا لا التزام ويختبر
الحسام وهو محترّب صمصام وهل تفتقر الشمس في الهداية الى مصباح وهل يحتاج البدر
في سراء الى دلالة الصباح ذلك مثل شيخني ومثل من يرشده الى فلاح أو نجاح وانما
تأخذ عنه ما ورد في ذلك من الكتاب والسنن وتخذ وحذوه في الطريق الموصلة الى
الجنة ثم لما وصلت في هذه القصيدة الى قول أبي الطيب

ان خير الدموع عينا الدمع * بعثته رعاية فاسمها

رأيت قد أبدع فيه كل الابداع ونظم ما يكاد يجري الدمع من طريق السماع فقلت ان الله
وأكثر الاسترجاع وقلت في نفسي ان ذلك الدمع الذي بعثته رعاية الحقوق هو
دمع شيخني الذي حي الله قلبه الشفوق من العقوق للمصيبة في الالم التي حزنم يا نعم
ومصائب يا نعم وكيف لا يعمننا مصائبها وقد كبل للمصيبة كفاها الله بومها نصائبها
هذا مع الذقد للسادة الجليله والكريمة الخليله وأي دمع لم تبعثه تلك الرعاية وأي
نفس لا تمنني أن تكون لسيدنا من كل ما يكره وقا به وأي كبد فاسيه لم تـكن
لأحبائهم مواسيه وأني يتسنى للعبد المعنى تسليه شيخه وهو الصبور المشكور العارف
بالامور العالم بتصاريف الدهور وما ظننت أن يناني يساعدنني على تحرير بيان
تعزيت شيخني حفظه الله تعالى في أصله وفرعه وضرعه وزرعه وقرعه ونبتته وأمه
وبنته أما الوالدة المباحدة فاني ان أمست كنت عن بيان كرم أصلها يسموها كرم
فرعها ونسلها فرسم الله تعالى سلفها وأبقى خلفها ولا حرم سببه يدى ثمرة رضاها
ورضى عنها وأرضاه وأما الخندرة الصغيرة فالمصيبة بها كـبـره اذا العمومة مقرية
والخولة وفائيه فهي ذات التجارين وجائزة الفخارين كل من سيدى أعزّه الله تعالى
لم يرض لها ~~كـفـة~~ وأومرها فاخترنا القبر أن يكون له صهرا وخطبة الحمام لا يـكن ردها
وسطورة الايام لا يستطيع صدها كما قال أبو الطيب المتنبي أيضا

خطبة للحمام ليس لها ردي وان ~~كـكـت~~ كانت الميماء تـكـلا

واذا لم تجد من الناس كفوا * ذات خجدر أرادت الموت بهلا

اسأل الله تعالى أن تكون هذه الخطبة قافية الخيلوب وهذا التذنب المبرح آخر التذوب
وأن يعرض سيدى عن حبيب المبرقع المقنع حبيباً معهما تتحرى النجاة منه المصنوع وأن
يبدله عن ذات الجار والخضاب عن وصول الجراب ويسطو باليراع ويشغل بالكتاب
(شعر)

وما التأنيت لاسم الشمس عيب • ولا التذكير نغز للهِلال

ولو كان النساء كن فقدنا • لفضلت النساء على الرجال

اللهم يا أرحم الراحمين اني أتوسل اليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم وآله الطيبين
الطاهرين أن تأخذ بيد عبدك شيعي المقرئ في كل وقت وحين آمين • ومن فصول هذا
الكتاب ماصورته ولما وصافي سيدي بهديته التي أحسن بها من كتاب الاكتفاء داخل
طبعي الصفاء ونشطت الى تمام بيتين فيها الترام عجيب لم أر مثله وهو أن يكون اللفظ
المكتنى به بمعنى اللفظ المكتنى منه فإن الاحتفاء والاحتفال بمعنى الاعتناء كما أفاده
شيعي فيكون على هذا الاكتفاء وعدمه على حد سواء اذ لو قطع النظر عن لفظ الاحتفال
لاغنى عنه لفظ الاحتفاء مع تسمية النوع فيهما وهما

ان احتفال المرء بالمرء لا • أحبه الامع الاكتفاء

مبالغات الناس مذمومة • فاسلك سبيل القصد في الاحتفاء

ولقد انقطع الثلج أيام الخريف وكانت الحاجة اليه شديدة بعد غيبة سيدي حفظه الله
تعالى عن دمشق فتذكرت شغف شيعي به فزاد على فقهه غرامى وقاض عليه تعطشى

وأوامى فجعلت في ذلك عدة مقاطيع وأحييت عرضها على سيدي أولها

ثلج ياتلج يا عظيم الصفات • أنت عندي من أعظم الحسنات

ما يبيض بدا بوجهك الا • كيباض بدا بوجهه الحياة

ثانيها

قد قلت لما ضل عنى رشدى • وما رأيت الثلج يوما عندي

لا تقطع اللهم عن ذا العبد • أعظم أسباب الثنا والحمد

ثالثها

يلج ياتلج أنت ماء الحياة • ضل من قال ضرر ذاك الهاتى

ما يبيض بدا بوجهك الا • كيباض قد لاح في المرأة

قد رأى الناس وجههم فى المرايا • وأناقيك شمت وجه حياتى

وما علمت سيدي هذا التعليل الا لاشوقه الى نسيم دمشق الذى خلفه سيدي حفظه
الله علبلا وهو على الصحة غير عليل ولم يشف أعزه الله تعالى منه الغليل وليس سيدي الدعاء
بطول البقاء والارتقاء وهذه آيات أحدثها العبد فى وصف القهوه طالباً من سيده
أن يغفر خطاه فيها وسهوه

وقهوه كالغدير الدقيق • سوداء مثل مقله المعشوق

أنت ككمسك فأنح شيق • شبهتها فى الطم بالرحيق

تدنى الصديق من هوى الصديق • وتربط الود مع الرفيق

فلا عدت من جهابريق

وما زلت ألهج بنأفاديه شيعي من أماليه وأتصفح الدهر الذى جمعه فيه من أسافله
الى أعاليه وأستش كل على الاحباب والاصحاب فى اثناء المسامره ما أفادنيه سيدي

من تسمية المرحوم القاضي التنوخي ~~مكتابه~~ نشوار المحاضر حتى ظفرت بأصلها
في القاموس في مادة نشر فإذا هي عريضة محضة فانه قال ونشورت الدابة نشوارا
أبقت من علقها واقعد تعجبت من بلاغة هذه التسمية وعذوبتها وحسن المجاز فيها مع
سلاستها وسهولتها وأحببت عرضها على شيجي حفظه الله تعالى ليعرف لي بين تلامذته
كما فرح طبعي به حفظه الله تعالى بين أساتذته وليعلم أنني لم أنس ما أفادني في خلال المحاوره
أيام المؤانسة والمجاورة فوالله أنه سمير في ضميري وكلي ما بين عظيمي وأديبي
يديروني عن سالم وأديرهم • وجلدة بين العين والانتف سالم
الطرس طما وماضت قصتنا • لا ذنب لنا حديثنا لا فطال

وحزريوم السبت المبارك غرة جمادى الآخرة من شهر ر سنة ثمان وثلاثين بعد الالف
أحسن الله ختامها بجمرة محمد وآله الطيبين الطاهرين وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم
المولى ونعم النصير والحمد لله وحده عبده الفقير الحقير المشتاق المذنب المقتصر لسعيده
عن اللحاق الذي لم يبرح عن العهد المتين أحمد الشامي بن شاهين انتهى ولوتتبع ماله
حفظه الله تعالى من النظم والنثر الذين غالب فيهما بلغاء أهل العصر بالشام ومصر
وغيرهم ما من الاقطار لازال مقامه مقضى الاوطار لاستوعبت الاسفار •
وفي الاشارات ما يغني عن الكلام • وقد تقدم في خطبة هذا التأليف ذكر شيء من نظم
وشعره وأنه هو السبب الداعي الى جمع هذا التصنيف والله سبحانه يديم جنابه السرى
الشريف ويؤتاه من العز الطل الوريث فلقصد أوفى من الحقوق ما لا تؤدى بعضه
فضلا عن كاه وناهيك بما جليناه من كلامه دليل على شرفه وفضله ورسالته هذه الى
كانت جوابا عن مكتوب كتبه اليه من جلته

يا من له طائر صيت عسلا • في الحق فاصطاد الشريد الشديد
يا نجل شاهين البديع الحللي • تمل بالعز الطويل المسديد
وفر بجصل السبق بين الملا • وسر بنهج للمعالي سديد
ورد مع الاحباب عذابا حلا • منظمنا من الاماني البديد
وارفل على طول المدى في ملا • مسرة راقية وعز جديد
والوالد المحمـروس بالله لا • بعدة الخلق ولا بالعديد

ومن نثرها سيدي الذي في الاجياد من عوارفه أطواق وفي البلاد من معارفه ما تشهد به
القطر السليمة والاذواق ونشئت الى مجده المظن الذي لا يحيط له رواق الاشواق
وتعمر بقوائمه وفرائده من الآداب الاسواق وتنقطع دون نداء السحب السواكب
وتقصر عن مداه في السموات كواكب والله سبحانه له واق المولى الذي ألفت اليه
البلاغة افلاذها واتخذت البراعة طاعته عصمتها وملاذها اذ بذأفرادها وأفذاذها
وأمرت سماء أفكاره على كل محب أوكاره طائر في جوا ومستهقر في أوكاره صديها
ورذاذها وفانرت دمشق بعلاء وحلاء أقطار البسيطة وبغذاذها • ومنها أبقاه الله
تعالى وحقيقه وعوده ينقها الجياز وحقيقه معوده لا يطررها الجراز • ومنها فأنت

الذي نفدت عنى مخنقا واصفيت مشربى وكان مرثقا وكاثرت بمباه آثرت وما استأثرت
 رمل النقا فلور آل المأمون بن الرشيد لعلم انك المتقى يبقى الغناء الذي غنى به والنشيد
 وانى لمشتاق الى قرب صاحب * يروق ويصفوان كدورت لديه
 عذرى من الانسان لان جفونه * صفالى ولان كنت طوع عيديه
 ولم ليقل اعطى هذا الصديق وخذ منى الخلافة وأنا أقول قد ظفرتنا به بحمد الله ولم أجذ
 أحدا فى دهره وافق القرض فلم نر خلافة * ومنها فهذه يا ابن شاهين أيا يدك البيض تفرخ
 لك الشكر وتبيض فلادليل على ولائى كمالائى ولا شاهدا فى أحنائى كثنائى
 ولا حجة على ودادى كسكرارى ذكرى وتردادى * وهى طويله الا يجضر فى الآن منها
 سوى ما ذكرته ولنقتصر من مكاتبات أعيان العصر من أهل دمشق المحروسة على هذا
 المقدار ونسأل الله تعالى أن يحفظهم جميعا فى الأبرار والاصدار * وفى تاريخ ورود هذه
 المكاتيب الشامية السابقة على اتفق ورود كتب من المغرب وجهها جماعة من أعيانه
 الى * فن ذلك كتاب كتبه لى الاستاذ المجود الأديب الفهامة معلم الملوكة سيدى الشيخ
 محمد بن يوسف المزاكشى التاملى نصه الحمد لله تعالى والصلاة والسلام على سيدنا محمد
 وآله من المحبة المخلص المشتاق الى السيد الذى وقع على محبته الاتفاقى وطلعت
 شمس معارفه فى غاية الاشراف وصار له فى ميدان الكمال حسن الاستباق الصدر
 الكامل والعالم العامل الفقيه الذى تهتدى الفقهاء بعلمه البليغ الذى تقتدى بالغاء
 يبراعه وقله فاشرا لوية المعارف ومسدى أنواع العوارف العلامة امام العصر
 بجميع أدوات الحصر سيدى أحمد بن محمد المقرئ قدس الله السلف كما بارك فى الخلف
 سلام من التسميم أرق وألطف من الزهر اذا عبق وبعد فان أخباركم دائما ترد علينا
 وتصل الينا بما يسر الخطا طرويقا الناظر مع كل وارد وصادر والعبد يحمد الله تعالى على
 ذلك ويدعو الله بالاجتماع معكم هنالك * ويرحم الله عبدا طال آمينا * كتبه اليكم أيها
 السيد من الحضرة المزاكشية مع كثرة أشواق لانسها وأوراق كتبكم الله سبحانه فمين
 عنده كما جعلكم عن أخلص فى موالاة الحق قصده وودى اليكم غرض الحقائق مستحيل
 فى مطلع الوفاء بمنظور رائق لا يحيله عن مركز الثبوت عائق وحقيق بمودة ارتبطت فى الحق
 وللحق معاقدها وأسست على المحبة فى الله قواعدها أن يزيد عقدتها على مزاياها شدة
 وعهدتها وانشط المزارجته وأن تدخر للآخرى عبده وانى ويعلم الله تعالى لمن يعتقد
 محبتكم وموالاةكم عملا صالحا يقرب من الله تعالى ويرزق اليه ويعتقد هما وزرا يعول
 فى الآخرة يوم لا ظل الا ظله عليه فانكم واليه فاخلصتم فى الولا وعرفتم الله تعالى فقمتم
 بحقوق الصلابة على الولا معرضين فى تلككم الآخرة عن غرض الدنيا وعرضها موفين
 بشروط نفلها ومقترضها الى أن قضى الله تعالى باقتراقنا وحقوقكم المتأكدة دين علينا
 والايام تطل بقضائهم اعنا وتوجه الملام اليها فأؤنة أقف فأقرع السن على التقصير ندما
 وأؤنة استنيم الى فضلكم فأقدم قدما وفى أثناء هذا لا يخطر بالبال حق لكم سابق الا وقد
 كثر عليه منكم آخره لاحق حتى وقفت موقف العجز وضافت على العبارة عن حقيقة

مقامكم في المنفى فكنت لأنكم الابار من اجل لالحقكم الرفيع واشفاقا من التقصير
المطيع وقد كنت كنت أعزكم الله تعالى اليكم قبل هذا بكتب أربعة أو خمسة فيها
بمالة قصائد كالعصائد لا كالتريد من الكلام ككلامكم السلس الكثير القوائد فعذرا
فن كان آخر من من حكمة وأشد تخطيطا من طائر في شبكه فاعرفت أوصل شيء من ذلك
أم حصل في أيدي المعاطب والمهالك وما رأيت غير رجل من معاليك الحاج التقيت به
بوما بالحضرة المتر كشيبة فقال لي الشيخ الامام المقرئ يسأل عنك وقد أرسل معي كتابا اليك
فوقع في البحر مع جلة ما وقع فقلت له لا غرابة في ذلك فقد رجع الى أصله ومن ظلمة البحار
تستخرج الدرر وقد جاءني كتاب من بعض الاخلاء الصديقين وهو الحاج الصالح السيد
أبو بكر من مكة المكرمة شرفها الله تعالى وذكرك لي فيه انه متعه الله تعالى بلقاءكم وأخبرني
بسؤالكم عن كثيرا والى الآن يانم السيد انما عرفتكم بما كتبه لسيدانكم تعريفا
تذكر لا تعريف منه فأوصفونا في الحكم عليكم في عدم الجواب بما ألفته الاديان شريعة
وسنة وبالمجالة فقوادي لمجدكم صحيح لاسقيم واعتدادي بؤدكم منتج غير عقيم والله
تعالى يجعل الحب في ذاته الكريمه ويقضي عن الاحبة دين المحبة فيوفي كل غريم
غريمه ويصلكم ان شاء الله تعالى هذا المرقوم وبه سؤال منطوم لتفضلوا بالجواب
عنه بعد حمد الله والصلاة والسلام على مولا نارسول الله صلى الله عليه وسلم

- الى المقرئ الحبر صدر الائمة * من المخلص الوداد اذ كى تحية
فذلك يا صدر الصدور بحالة * لسمع بالجواب عما أ كنت
فني قد رأي عند العذ الى تية * محترمة عند الزوال فحات
وعادت حراما عند عصر فعندما * عشاء أتي عادت حلالا فحات
وفي صبح ثاني اليوم عادت محترما * وزالت زوالا منه من غير محبة
وفي ظهيرة حلت فطابت قريرة * وفي عصره محترما قد تبدت
وعند العشاء بالضرورة حلت * وذلك بعد غرم مال كفدية
وفي صبحه عادت حراما ترى به * بروق سيوف لامعات بسنة
فكان يضيق حسرة وتأسفا * وحلت له وقت العشاء وقت
وعن أمة أيضا يوت سريها * قد أولدها في ملكه بعد وطاة
وعادت لملوك السرى حلية * بعقد نكاح بعد من غير شبهة
بجيات ينت هل لها من تزوج * بنجل السرى ينو الى قصي
فان السيوري مانع من تزوج * له بانسية منها بتلك القضية
وما الفرق بينها وبين التي أتي * بها ابن أبي زيد بأوضح حجة
وعن مشتر ملوكة غير محرم * ومسلية شرا صيحيا بشريعة
وليس يملك لها وطوها يرى * جواز اعلی التأييد من حين حلت
وما طالق من عدة خرجت ولا * يجوز على التأييد في خير ملة
نكاح لها من واحد ومطلق * لها غير معصوم ترى في الشريعة

وتمت بحمد الله صديديكم • سلاما كما أيدته في صدر طلعة

وتقرير السؤال الثاني أمة أولادها سيدها فصارت حرة فبات عنها السيد ثم تزوجها
عبد سيدها فأتت بنت أمة الولد سيدها أن يتزوج هذه البنت فان الرجل له أن يتزوج
بنت زوجة أبيه من رجل غيره وهذه سرية أبيه فان الامام السيوري يمنع هذه المسئلة
وما الفرق بينهما وتسلحكم ان شاء الله تعالى بحالة رجزيه في ما تركم السفيه ضمنتهما
أشطارا من الالفه فتفضلوا بالاغضاء وحسن الدعاء أن يجمع الله شملنا بكم في تلك
الاماكن المشرقة ثم المأمول من سيدنا ومولانا أن يتفضل علينا بكتاب طبقات
القراء للامام الحافظ الذي اذ ليس عندنا منه نسخة وأما تأليفكم الكثير الفوائد المسمى
بأزهار الرياض في أخبار عياض وما يناسبها مما يحصل به للنفس ارتياح وللعقل ارتياض
فقد اتشرف في هذه الاقطار المراكشية واتسخت منه نسخ عديدة من نسخة المرحوم سيدي
أحمد بن عبد العزيز ابن الولي سيدي أبي عمرو وكسا الله سبحانه تأليفكم المذكور جلباب
القبول فصار آء أحد الانسخة وعندى النسخة التي كتبها بخطه السيد أحمد المذكور
بخط حسن وعلى هامشها في بعض الاماكن خطكم الرائق وبعض التنبيهات من كلامكم
الفائق وأعمالونا بتأليفكم الذي سميتوه قطف المهتمر من أفنان المختصر هل خرج من
المبينة أم لا وودنا لو اتصلنا منه نسخة وقد اشتاق فقهاء هذا الاقليم اليه غاية كالفقيه
قاضي القضاة محبكم سيدي عيسى وغيره من أخلاء خليل في كل محفل جليل الى أن
قال وأما أغنني بكلام مولانا على كرم الله وجهه حيث يقول تبر كايه

رضيت بما قسم الله لي • وفوضت أمري الى خالق

كما احسن الله فيما مضى • كذلك يحسن فيما بقى

ولي حفظكم الله تعالى تخميس على البيتين وذلك انه نزات بي شدة لا يمكن الخلاص منها
عادة فما فرغت من تخميسهما الا وجاء الفرج في الحين ونصه

اذا أزمة نزات قبلي • وضقت وضائق بها حيلي

تذكرت بيت الامام علي • رضيت بما قسم الله لي

وفوضت أمري الى خالق

لان الاله اللطيف قضى • على خلقه حكمه المرتضى

فسلم وقل قول من فوضا • كما احسن الله فيما مضى

كذلك يحسن فيما بقى

فعذرا أعزكم الله سبحانه وتوقع باخاتكم عن اغياب المراسلة بالمكاتبة عذرا وصبرا على
بعد اللقاء صبرا فان يقدر في هذه الدار نلتا فيها ما نتقى والاقلن نعدم بفضل الله جزاء
الحسنى ولقاء لا يبد ولا يفنى مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وتحسن أولئك رفيقا ايقانا بالوعد وتحقيقا فن أوجب له محبته أدخله
جنته وأحضره مأدبته وكل له امنيته جعلنا الله من المحاسبين في جلاله بكرمه
وافضاله وكتبه محبكم ومعظمكم الواصل حبيل وده يودكم المشرف لعهدكم المنزه

بفخركم ومجدكم العبد الفقير الحقير المشفق على نفسه من التقصير والذنب الكبير محمد
ابن يوسف التاملي غفر الله ذنبه وستر عيبه وجبر قلبه وجمعه عن أحبه بالنبي صلى
الله عليه وسلم في عاشوراء المحترم فاتح سنة ثمانية وثلاثين وألف انتهى وصحبة هذا
المكتوب ورقة نصها بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم

تهدر العالم الجباني • فكأنما يتطهر بالعيان
للمقري العالم المفضال • منظرا بأحسن المثال
وعالم بأنني من بعده • أشير في نظامنا القصد
وها أنا بالله أستعين • مضمنا وريثنا المعين
بالشطر من ألفية ابن مالك • أيدنا الله لنسج ذلك
قال محمد عبيد المالك • وسالك الأحسن من مسالك
نشير بالتضمنين للتحرير • المقري القاضل الشهير
ذاك الإمام ذو العلاء والهمم • كعلم الأشخاص لفظا وهم عم
قلن ترى في علمه مثيلا • مستوجبا ثناني الجيلا
ومدحه عندي لازم أني • في النظم والثر الصريح مثبنا
أوصاف سيدي بهذا الرجز • تقرب الأقصى بلفظ موجز
فهو الذي له المعالي تهتري • وتبسط البذل بوعده منجز
رتبه فوق العلايا من فهم • كلامنا لفظ مفيد كاستقم
وكم أفاد دهره من تحف • مبدى تأول بلا تكلف
لقد رقى على المقام الطاهر • كطاهر القلب جيل الطاهر
وفضله للطالبين وجدا • على الذي في رفعه قد عهدا
قد حصل العلم وحتر السبر • وما بالا أو بانما انحصر
في كل فن ماهر صفه ولا • يكون الاغاية الذي تلا
سيرته جرت على نهج الهدى • ولا يلي الا اختيارا أبدا
وعلمه وفضله لا ينمكر • مما به عنده مبدىنا بخبر
يقول دائما بصدرنا شرح • اعرف بنا فاشان لنا المنح
يقول مرحبا بالقاصديه من • يعمل الينا يستعين بنا يعن
صدق مقالاتي وكن متبعا • ولم يكن تصريفه تمتعا
وانهض اليه فهو بالمشاهدة • انخير الجز المتقائد
والزم جنابه واياك المأل • ان يستطل وصل وان لم يستطل
واقصد جنابه ترى ما أثره • والله يقضى بهبات واقره
وانسب له فانه ابن معطى • ويقضى رضا بغير مخط
واجعله نصب العين والقلب ولا • تعدل به فهو يضاهي مثلا

قد طالما أفاد علم مالك * أحمد ربى الله خير مالك
وحاسد له ومبغض زمن * وهالك ومبست به قـن
وليس يشقى مبغض له أعل * عينا وفي مثل هراوة جعل
يقول عبيد ربه محمد * في نحو خير القول انى أحمد
وهو بدهره عظيم الامل * مرقع القلب قليل الحيل
فادع له وسادة قد حضروا * وافعل أو وافق تغتبط اذ تشكر
واجبره بالدعاء عساه يغتنم * فخره وفتح عينه التزم
أنشدت فيكم ذا وقال قائل * في نحو نعم ما يقول الفاضل
أدعوا لكم بالستر في كل زمن * لكونه بمضمر الرفع اقترن
ماثر لكم كثيرة سوى * ما مرقع فاقبل منه ما عدل روى
قد انتهى تعريف ذا المعرف * وذو مقام ما برفع يكتفى
لأنتم تاج الأئمة الاول * وما يجمعه عنيت قد كل
قاله يقيقكم لدينا وكفى * مصلبا على الرسول المصطفى
تتري عليه دائما من عطا * وآله المستكملين الشرفا انتهى

ومن ذلك ما كتبه لى بعض الاصحاب عن كان يقرأ على بالماغرب وصورته سيدنا وسيد
أهل الاسلام حامل راية علوم الامة الاحمدية على صاحبها الصلاة والسلام آية الله
فى المعالى والمعالي وحسنة الايام والليالى واسطة عقود الجواهر والالآى امام
مذهب مالك والاشعرى والبحارى والواقدى والخليل العلامة القدوة السيد الكبير
الشهير الجليل ذو الاخلاق العذبة المذاق والشماثل المفصحة عن طيب الاصول
والاعراق كبير زمانه دون منازع وعالم أوانه من غير منكر ولا مدافع شيخنا ومعلمنا
ومفيدنا وحبيب قلوبنا مولانا شيخ الشيوخ أبو العباس أحمد بن محمد المقرئ المغربى
التمانى نزيل فاس ثم الديار المصرية حفظه الله تعالى فى موطن استقراره ورفع درجته
باشادة فخاره على مناره عن شوق يود له الكاتب أن لو كان فى طى كتابه ونوق الى
مشاهدتكم هو الغاية فى بابيه بعد اهداء السلام المحفوف بأنواع التحيات والكرامات
والبركات الدائم ما دامت فى الوجود السكات والحركات لمقامكم الاكبر ومحفلكم
الاشهر ومن تعلق بأذيالكم أو كان مستطر التوالىكم أو صبت عليه شآبيب افضالكم
من أهل ومحب وصاحب وخديم هذا وانه ينهى الى الوداد القديم أن أهل الغرب
الادنى والاقصى حاضرة وبادية كلهم يتفكهون بل يتقوتون بذكركم وبشتاقون لرؤية
وجهكم ويتلذذون بطيب أخباركم وان كان المغرب الآن فى تفاقم أحوال وتراكم
أحوال فى الغاية مدائن وبوادي لاسيما مدينة فاس فانها فى شر عظيم وأميرها مولاي
عبد الملك مات فى السنة السابعة والثلاثين بل فى ذى الحجة قبلها وفى المحرم من سنة سبع
وثلاثين توفى ملك المغرب السلطان أبو المعالى زيدان وبويع من بعده ابنه مولاي عبد الملك
وتقاتل مع أخويه الأميرين الوليد وأحمد وهزمهما والى الله عاقبة الامور وأهل داركم

بقاس بخير وعافيه ونعم صافيه سوى ما أدركهم من طول الغيبه نسأل الله تعالى
 أن يلا بقدمكم العيبه ومحبيكم الاكبر ووليكم الاصغر سيد أهل المغرب اليوم وشيخ
 الطريقه والمربي في سلوك أهل الحقيقه العارف بالله الشيخ الرباني ذو الكرامات
 والمقامات سيدي محمد بن أبي بكر الدلالي يحييكم ويعظم قدركم ولسانه لكم ذاكر ناشر
 شاكر وهو علي خير وقد اجتمعت من بركاتكم في مدينة سلا على جماعة من طلاب العلم
 وفتح الله تعالى علي بنا كيف عديدة منها كفاية الطالب النبيل في حل ألفاظ مختصر
 خليل ومنها شرح على المنهج المنتخب للرفاق في قواعد مالك ومنظومة في أكثر من ألف
 بيت في السير والشمائل ومنها في رجال البخاري ولاكتسب الكلاباذي ومنها خطب
 وغير ذلك والكل من بركاتكم ونسبته اليكم في صحيفتكم والسلام من ولدكم المقتر
 بفضلكم تراب نعالكم علي بن عبد الواحد الانصاري لطف الله تعالى به وحامله كبير
 كبراء قومه من محبيكم ويعزكم وماتفعلوا معه من خير فلن تكفروه والسلام انتهى
 * ومنها كتاب واقاني من عالم قسطينيه وصالحها وكبيرها ومفتيها سلاله العلماء الاكابر
 ووارث المجد كابر عن كابر المؤلف العلامة سيدي الشيخ عبد الكريم الفكون حفظه
 الله نصه بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله علي من أنزل عليه في القرآن وانك لعلي خلق
 عظيم وآله وصحبه وسلم أفضل التسليم من مدنس الازار المتسربل بسرايل الخطايا
 والاوزار الراجي لاتنصل منه رجة العزيز الغفار عبد الله سبحانه عبد الكريم بن محمد
 الذمكون أصلح الله بالتقوى حاله وبلغه من متابعة السنة النبوية آماله الي الشيخ
 الشهير الصدر التحرير ذي الفهم الثاقب والحفظ العزيز الاحب في الله الموانخي من
 أجله سيدي أبي العباس أحمد المقرئ أحمد الله عاقبتى وعاقبتى وأسبل علي الجميع
 عافيته أتابع فاني أحمد الله اليك وأصلي علي نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولا زائد
 الاصلح الدعاء وطلبه منكم فاني أحوج الناس اليه وأشد هم في ظني الحاسا عليه
 لما تحققت من أحوال نفسي الاماره واستبطنت من دخيلاتها المنارة علي حب الدنيا
 الغراره كأنها عيت عن الاحوال التي أشابت رؤس الاطفال وقطعت أعناق كل
 الرجال فتراها في بلج هواها خائضه وفي ميدان شهواتها راصضه طغت في غيها
 ومالاتت وجمعت فماتقات ولا استقامت فويلي ثم ويلي من يوم تبرز فيه القبايح
 وتنشر الفضائح ومنادى العدل قائم بين العالمين وان كان مثقال حبة من خردل
 أتينا بها او كفي بنا حاسبين قاله أسأل حسن اللطاف والستر عما ارتكبناه من التعدي
 والاسراف وأن يجعلنا من أهل الحمى العظيم وعن يحشر تحت لواء خلاصته الكريم
 سيدنا وولانا وشفيعنا النبي الرؤف الرحيم ولنكف من القلم عنانه لما أرجو من أجله
 ثواب الله سبحانه وقد اتصل بيدي جوابكم أطال الله في العلم بقاءكم فرأيت من عذوبة
 ألفاظكم وبلاغة خطابكم ما يذهل من العلماء فحولها وينيلها لذي الجنون لسماعه سؤلها
 وما مولها بيد ما فيه من أوصاف من أمره قاصر وعن الطاعة والاجتهاد فآثر ما صدق
 قول فيه عند مخبره ومراة أن تسمع بالمعدي خير من أن تراه لكن يجازيكم المولى

بحسن النية البلوغ في محبوبحة الجنان غاية الامنية وقد ذيلتم ذلك بآيات أنا أقل
من أن أوصف بمثلها على أني غير قائم بفرضها ونفلها فآله تعالى يمدكم بمعونته ويجعلكم
من أهل مناجاته في حضرته ويسقينكم من كأسات القرب ما تتمتع منه بلذ منادته
وقد ساعد البنان الجنان في اجابتكم بوزنها وقافيتها والعذولي أني لست من أهل هذا
الشان والاعتراف بأنني جبان وأى جبان والكمال لكم في الرضا والقبول والكرام
يفضي عن عورات الاحق الجهور وعلينا حقه الله تعالى أن يجعل على منظومتكم
الكلامية يعني اضاعة الدجنة تقييدا أرجو من الله توفيقا وتسديدا بحسب قدرى
لاعلى قدركم وعلى مثل فكرى القاصر لا على عظيم قدركم وان ساعد الاوان وقضى
تيسيره رب الزمان فآتى به ان شاء الله الاجل معى لاننى بالاشواق الى حضرة راكب
البراق ومخترق السبع الطباق وكنت عازما على أن أبعث لكم من الايات أكثر من
الواقع الا ان الرفقة أجمعت وصادقتني أيام موت قعيدة البيت فلم يتيسر عاجلا الا ما ذكر
وعلى الله قصد السبيل وهو حسبي ونعم الوكيل

يا خبة الدهر في الدوايه * علماتعاضده الروايه
لازات بحرا بكل فن * يروى به الطالبون غايه
لقد تصدرت في المعالي * كما تعاليت في العنايم
من فيك تنتظم المعاني * بلغت في حسننها النهايه
وقال مولانا كل مرقى * تحوى به القرب والولايه
اعجوبة ما لها انظير * في الحفظ والفهم والهدايه
يا أحمد المقرئ دامت * بشرالك تعجبها الرعايه
يجاء خير العباد طرا * والال والصحب والنقايه
صلى عليه الاله تترى * فكفى بها الشر والغوايه

وأختم كتابي بالصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب بغاية بحلة
يوم السبت سابع أوثان من رجب من عام ثمانية وثلاثين وألف للهجرة على صاحبها الصلاة
والسلام انتهى * والمذكور عالم المغرب الاوسط غير مدافع وله سلف علماء ذوو شهرة ولهم
في الادب الباع المديد غير أن المذكور ماثل الى التصوف ونعم ما فعل تقبل الله تعالى على
وعمله وبلغ كلامنا أمه ولاشهر أسلافه العلامة الشيخ حسن بن علي بن عمر الفكون
القمطيني أحد أشياخ العبدري صاحب الرسالة قصيدة مشهورة عند العلماء بالمغرب
وهي من در النظام وحتر الكلام وقد ضمنها ذكر البلاد التي رآها في ارتحالها من
سقطينة الى مراكش وأولها

ألا قل للسرى بن السرى * أبي البدر الجواد الاربيحي

ومنها

وكنتم أظن ان الناس طرا * سوى زيد وعمرو وغير شئ

فلما بنت بيته خسر دار * أمالتني بكل رشائي

وكم أوردت طباء بني اوار * أوار الشوق بالريق الشهى
 وجئت بجاية فجئت بدورا * يضيق بوصفها حرف الروى
 وفي أرض البزائر همام قلبي * بعسول المرافف كثرى
 وفي ملباية قد ذبت شوقا * بلين العطف والقلب القسى
 وفي نفس نسيت جميل صبرى * وهمت بكل ذى وجه وضى
 وفي مازونة مازات صبا * بوسنان المحاجر لودى
 وفي وهران قد أمست رهنا * بنظامي الخصر ذى ردف وري
 و أبتلى تلمسان بدورا * بجلين الشوق للقلب الخلى
 ولما جئت وجدة همت وجدا * بمخنث المعاطف معنوى
 وحل رشالرباط رشارباطى * وتيمنى بطبرى بابلى
 وأطلع قطر قاسلى شوسا * مقاربه فى قلب الشجى
 وما سكاسة الا سكاس * لاحوى الطرف ذى حسن سنى
 وان تسأل عن أرض سلا ففها * طباء كسرات للكمى
 وفي مراكش يا ويح قلبى * ألقى الوادى فطم على القرى
 بدور بل شمس بل صباح * بهى فى بهى فى بهى
 أبحن مصارع العشاق لما * سعين به فكم مبيت وحى
 بقامة كل أسمر مهري * ومقلة كل أبيض مشرقى
 اذا اتيتنى حسنا فانى * أنسبهم هوى غيلان هـ
 فها أنا قد اتخذت الغرب دارا * وأدعى اليوم بالمرأ كنى
 على أن اشتياقى نحو زيد * كشوقك نحو عمرو بالسوى
 تقسمنى الهوى شرقا وغربا * فبلى للمشرقى المغربى
 فلى قلب بأرض الشرق عان * وبجسم حل بالغرب القصى
 فهذا بالغدق يهيم غربا * وذلك يهيم شرقا بالعشى
 فلو لا الله مت هوى وشوقا * وهكم لله من لطف خفى

وقد خرجنا بالاستطراد الى الطول وذلك منا استرسال مع جاذب الادب فلتسك العنان
 والله المستعان وما عددنا من القصائد والمقطعات فى مدح دمشق الشام فهو غرض
 من فيض وفى نيلى أن أجمع فى ذلك كتابا فلا أسميه نشق عرف دمشق أو مشق قلم المدح
 لدمشق ولسان حالى الآن ينشد قول بعض الاكابر

فحن فى مصر رهن شوق اليكم * هل لديكم بالشام شوق الينا
 فجزنا عن أن ترونا لديكم * وأيتم عن أن نراكم لدينا
 حفظ الله عهد من حفظ العهد * ووفى به كما قد وفينا

وقول ابن المائع

وددت لو أن عيني * مكان كتي اليكم
حتى أراكم وأملئ * أخبار شوقي عليكم

*(رجع الى ابن جبير) رحمه الله تعالى ومن شعره قوله

اياله والشهرة في ملبس * واليس من الاثواب أسماها
فواضع الانسان في نفسه * أشرف للنفس وأسمى لها
وقال

تنزه عن العوراء مهما سمعتها * صيانة نفس فهو بالحزأشبهه
إذا أنت جاوبت السفية مشائما * فن يتلقى الشتم بالشم أسفه
وقال

أقول وقد حان الوداع وأسأت * قلوب الى حكم الاسى ومدامع
أيارب أهلي في يديك ودبعة * وما عذمت صوتك الودائع
وقال أبو عبد الله بن الحاج المعروف بعد غلب صاحب الموشحات يمدح ابن جبير المذكور
لأبي الحسين مكارم لو أنها * عذت لما فرغت ليوم المحشر
وله على فضائل قد قصرت * عن بعض نعمها أعظام الأبحر
وقال ابن جبير من قصيدة مطلعها

يا وفود الله فبـزتم باني * فهنيئاً لكم أهل منى
قد عـرقنا عـرفات بـعدكم * فلهـذا برح الشوق بنا
نحن في الغرب ويجري ذكركم * بغروب الدمع يجري هتنا
ومنها

فيناديه على شحط النوى * من لنا يوماً فقلت ملنا
سربنا يا جادى الركب عسى * أن نلاقى يوم جمع سربنا
مادعا داعي النوى لمادعا * غير صب شفه برح العنا
شم لنا البرق اذا لاح وقل * جمع الله بجمع شملنا
علنا تلقى خيالا منكم * بلذئذ الذكـر وهنا علنا
لوحى الدهر علينا القضى * باجتماع بكم بالنصنى
لاح برق موهنا من نحوكم * فلعمري ما هنا العيش هنا
أنتم الاحباب نشكو بعدكم * هل شكوتم بعدنا من بعدنا

وله رحمه الله تعالى من قصيدة مطولة أولها

لعل بشير الرضا والة ول * يعمل بالوصل قلب الخليل
وله أخرى أنشدها عند استقباله المدينة المشرفة وهي ثلاثة وثلاثون بيتاً من الغر أولها
أقول وآنس بالليل نارا * لعل سراج الهدى قد أثارا
والانفا بال أفق الديجي * كأن سنى البرق فيه استطارا
ونحن من الليل في حندس * فباياه قد تجلى نهارا

* وكان أبو الحسين بن جبير المترجم به قد نال بالادب دنيا عريضة ثم رفضها وزهد فيها وقال صاحب الملقب في حقه الفقيه الكاتب أبو الحسين بن جبير عن لقيته وجالسته كثيرا ورويت عنه وأصله من شاطبة وكان أبوه أبو جعفر من كتابها ورؤسائها ذكره أبو اليسع في تاريخه ونشأ أبو الحسين على طريقة أبيه وتولع بفن رباطة فمكنها قال ومما أنشدني لنفسه قوله يحاطب أبا عمران الزاهد بأشيلة

أبا عمران قد خلقت قلبي * لديك وأنت أهل للوديعه

صعبت بك الزمان أخا وفاء * فها هو قد تيمر للقطيعه

قال وكان من أهل المروءات عاشقا في قضاء الحوائج والسعي في حقوق الاخوان والمبادرة لا يناسي الغريب وفي ذلك يقول

يحسب الناس بأني متعب * في الشقاكات وتكليف الوري

والذي يتعبهم من ذلالي * راحة في غيرها أن أفكرا

و بودى لو أقضى العمرفي * خدمة الطلاب حتى في الكرى

قال ومن أبدع ما أنشده رحمه الله تعالى أول رحلته

طال شوقي إلى بقاع ثلاث * لانشد الرجال الالهيا

ات للنفس في سماء الاماني * طائرا لا يحوم الاعليها

قص منه الجناح فهو مهبط * كل يوم يرجو الوقوع لديها

وقال

إذا بلغ العبد أرض الحجاز * فقد نال أفضل ما أتم له

فان زار قبر نبي الهدى * فقد أكل الله ما أتم له

وعاد رحمه الله تعالى إلى الاندلس بعد رحلته الاولى التي حل فيها دمشق والموصل وبغداد وركب إلى المغرب من عكا مع الافرنج فعطب في خليج صقاية الضيق وقامى شداثا إلى أن وصل الاندلس سنة ٥٨١ ثم أعاد المسير إلى المشرق بعد مدة إلى أن مات بالاسكندرية كما تقدم ومن شعره أيضا

لي صديق خسرت فيه ودادي * حين صارت سلامتي منه رجما

حسن القول سيئ الفعل كالجزار سمى وأتبع القول ذبحا

وحدث رحمه الله تعالى بكتاب الشفاء عن أبي عمدة الله محمد بن عيسى التميمي عن القاضي عياض ولما قدم مصر سمع منه الحافظان أبو محمد المنذري وأبو الحسين يحيى بن علي القرشي * وتوفي ابن جبير بالاسكندرية يوم الاربعاء السابع والعشرين من شعبان سنة ٦١٤ والدعاء عند قبره مستجاب قاله ابن الرقيق رحمه الله تعالى وقال ابن الرقيق في السنة بعدها * وقال أبو الربيع بن سالم أنشدني أبو محمد عبد الله بن التميمي البيهقي ويعرف بابن الخطيب لابي الحسين بن جبير وقال وهو مما كتب به إلى من الديار المصرية في رحلته الاخيرة لما بلغه ولايتي قضاء سبته وصيكان أبو الحسين سكنه ليقبل ذلك وتوفيت هنالك زوجته بنت أبي جعفر الوقشي فدفعها بها

بسببته لي سكن في الثرى * و دخل كريم اليها أتى
فلو أستطيع ركبت الهوا * فزرت بها الحى والميتا
وأتشد ابن جبير رحمه الله تعالى لنفسه عند صدوره عن الرحلة الاولى الى غمرناطة
أوفى طريقها قوله

لى نحو أرض المنى من شرق اندلس * شوق يؤلف بين الماء والقبس
الى آخرها ومن شعره قوله

يا خير مولى دعاه عبد * أهل فى الباطل اجتهاده
هيب لى ما قد علمت منى * يا عالم الغيب والشهادة
وقال رحمه الله تعالى

وانى لا وثر من أخطى * وأفضض عن زلة العائز
وأهوى الزيارة من أحب * لا اعتقد الفضل للزائر
وقال رحمه الله تعالى

عجبت للمرء فى دنياه تطمعه * فى العيش والاجل المحتوم يقطعه
يسى ويصبح فى عشواء يخبطها * أعى البصيرة والآمال تخدعه
يفتر بالدهر مسرورا بصيته * وقد تيقن أن الدهر يصرفه
ويجمع المال حرما لا يفارقه * وقد درى أنه للغرير يجمعه
تراه يشفق من تضيق دهره * وليس يشفق من دين يضيقه
وأسوأ الناس تدبرا لعاقبه * من أنفق العمر فيما ليس ينفعه
وقال

صبرت على غدر الزمان وحقدته * وشاب لى السم الذعاف بشده
وجزيت اخوان الزمان فلم أجد * صديقا جيل الغيب فى حال بعده
وكم صاحب عاشرته وألفته * فسادام لى يوما على حسن عهده
وكم غرتنى تحسين ظنى به فلم * يضئ لى على طول اقتداد حى لنده
وأغرب من عتقاء فى الدهر مغرب * أخو ثقة يستقيمك صافى وده
بنفسك صادم كل أمر تريده * فليس مضاء السيف الابحده
وعزمتك جرد عند كل مهمة * فما نافع مكث الحسام بغمده
وشاهدت فى الاسفار كل عجيبة * فلم أر من قد نال جدّا بحسده
فكن ذا اقتصاد فى أمورك كلها * فأحسن أحوال الفتى حسن قصده
وما يحرم الانسان رزقا لهجه * كما لا ينال الرزق يوما بيسكه
حظوظ الفتى من شقوة وسعادة * جرت بقضاء لاسبيل لرده
وقال

الناس مثل ظروف حشوها صبر * وقوق أفواهها شئ من العسل
تغتر ذاتها حتى اذا كشفت * له تبين ما تحويه من دخل

وقال

تغير اخوان هذا الزمان * وكل صديق عراه الخلل
 وكانوا قديما على صفة * فقد داخلتهم حروف العلل
 قضيت التعجب من أمرهم * فصرت أطالع باب البذل
 وقد تقدم بيتان من هذه الثلاثة على وجه آخر أول ترجمة المذكور وأما بيت بخط ابن سعيد
 البيتين على وجه آخر وهو قوله

شككت أخلاء هذا الزمان * فعندي مما جنوه خلل
 قضيت التعجب من شأنهم * فصرت أطالع باب البذل انتهى
 ولا بن جبير رحمه الله تعالى

من الله فاسأل كل أمر تريده * فإيالك الانسان نفعا ولا ضررا
 ولا تتواضع للولاية فانهم * من الكبر في حال توج بهم سكرا
 وإياك أن ترضى بتقبل راحة * فقد قيل عنها إنها السجدة الصغرى
 وهو نحو قول القائل

قل لنصر والمرء في دولة السلطان أعشى مادام يدعى أميرا
 فإذا زالت الولاية عنه * واستوى بالرجال عاد بصيرا
 وقال ابن جبير رحمه الله تعالى

أيها المستطيل بالبغي أقصر * ربما طأطأ الزمان الرؤسا
 وتذكر قول الاله تعالى * إن قارون كان من قوم موسى

وقال وقد شهد العيد بطندته من قرى مصر

شهدنا صلاة العيد في أرض غربة * بأحوال مصر والاحبة قد بانوا
 فقلت نطلي في النبوي جديدا مع * فليس لنا الا المدامع قسيران
 وقال

قد أحدث الناس امورا فلا * تعمل بها اني امر وثاصح
 فاجاع الحبيب الا الذي * كان عليه السلف الصالح
 وقال

وب ان لم تؤثني سعة * فاطوعني فضلة العمر
 لأحب البت في زمن * حاجتي فيه الى البشر
 فهم كسر لتجير * ما هم جبر لتكسر

ولما وصل ابن جبير رحمه الله تعالى الى مكة ١٢ ربيع الآخر سنة ٥٧٩ أنشد
 قصيدته التي أولها

بلغت المنى وحلات الحرم * فعاد شبايك بعد الهرم
 فأهلا بركة أهلا بها * وشكر المنى شكره يلتزم
 وهي طويلة وسبأني بعضها وقال رحمه الله تعالى عند تحريره للرحلة الحجازية

أقول وقد دعا للخير داع * حنت له حنين المستهام
 حرام أن يذل اغتقاض * ولم أر حل المالبث الحرام
 ولا طافت بي الآمال أن لم * أطف ما بين زمزم والمقام
 ولا طابت حياتي لي إذا لم * أزر في طيبة خسير الأنام
 وأهديه السلام وأقتضيه * وضا يدي إلى دار السلام
 وقال

هنيئاً من حج بيت الهدي * وحط عن النفس أوزارها
 وإن السعادة مضمونة * إن حج طيبة أوزارها

ولخصم ترجمته بقوله

أحب النبي المصطفى وابن عمه * علياً وسبطيه وفاطمة الزهراء
 هم أهل بيت أذهب الرجس عنهم * وأطلعهم أفق الهدى أنجم الزهراء
 موالاتهم فرض على كل مسلم * وجههم أسنى الذخائر للآخرى
 وما أنا لأحب الكرام ببغض * فاني أرى البغضاء في حقهم كفر
 هم جاهدوا في الله حق جهاده * وهم نصر وادين الهدى بالطبائص
 عليهم سلام الله مادام ذكرهم * لدى الملا الأعلى وأكرم به ذكرا
 وقوله في آخر الميمية

تبي شفاعته عصمة * في يوم التنادي به يعتصم
 عسى أن تجاب لنادوة * لديه فتكفي بها ما أههم
 ويرعى لزواره في غد * ذمما فما زال يرعى الزم
 عليه السلام وطوبى لمن * أ لم يتربته فاستلم
 أغنى كم تتابع أهواءنا * وتخبط عشوانا في الظلم
 وويك جرت فجع واقتصد * أمامك نهج الطريق الأعم
 وتب قبل عض بنان الأسى * ومن قبل قرعك سن القدم
 ومنها

وقل رب هب رحمة في غد * لعبد بسبيل العصاة أئتم
 يري في مبادي عصبانه * مسيئاً ودان بكفر الزم
 فيارب صفحك عما جنى * ويارب عفوك عما جترم

* (ومن الراحمين إلى المشرق من الأندلس الأديب أبو عامر بن عيشون قال الفسخ
 رجل حل المشيدات والبلاقع وحكى التسرير الطائر والواقع واستدر خلقي البؤس
 والنعم وقعد مقعد البائس والزعيم فأونة في سباط وأخرى بين درانك وأنماط ويوما
 في ناوس وأخرى في مجلس مانوس وحل إلى المشرق فلم يحمد رحلته ولم يعلق بأامل
 فحلته فارتد على عقبه وارتد من حباله القوت إلى منطوره ومرتبته ومع هذافله
 تحقق في الأدب وتدفق طبع إذا مدح أو نسب وقد أثبت له ما تعلم حقيقة نفاذه وترى

سرعة وخيذه في طريق الاحسان واغذاذه ثم قال وأخبرني انه دخل مصر وهو سار في ظلم
البوس عار من كل لبوس قد خلا من النقد كيسه وتخلى عنه الاتعذيره وتنكيسه
فتزل بأحد شوارحه لا يفتش الانكده ولا يتوسد الاعضده ويات بلبلة ابن عبدل
ثم ب عليه صرصر لا يتفح منها عنبر ولا مندل فلما كان من السحر دخل عليه ابن الطوفان
فأشفق لحاله وفرط احماله وأعلمه أن الفضل بن أمير الجيوش استدعاه ولوارتاد
بحوده بقطعة يغنيها له لاصحاب مرعاه فصنع له في حينه

قل لاهل أولك وان كانت لهم هم * تأوى اليها الاماني غير متدا
اذا وصلت بشاهنشاه لي سببا * قلن أباني عن منهم تفضت يدي
من واجه الشمس لم يعدل بها قرا * يعشوا لي ضوته لو كان ذا رمد
فلما كان من الغد وافاه فدفع اليه خمسين مثقالا مصرية وكسوة وأعلمه انه غناه وجود
الاطهار للفظه وهنأه وكثره حتى أثبتته في سمعه وقدره فسأله عن قائله فأعلمه
بقلته وكله في رفع خلته فأمر له بذلك وله أيضا رحمه الله تعالى

قصدت على أن الزيارة سنة * يؤكدها فرض من الوعد واجب
فألفت بابا سهل الله اذنه * ولكن عليه من عبوسك حاجب
مرضت ومرضت الكلام تشاقلا * الى الى أن خلست انك عاتب
فلا تتكلف للعبوس مشقة * سأرضيك بالهجران اذا أنت غاضب
فلا الارض تدمر ولا أنت أهلها * ولا الزق ان أعرضت عن جانب
وله يستعيني

مكتبت ولو وفيت بر لا حقه * لما اقصرت كفى على رقم قرطاس
ونابت عن الخط الخطا وتبادرت * فطورا على عيني وطورا على راسي
سل الكاس عني هل أدبرت فلم أضع * مديحك الحاننا يسوغ بها كلبي
وهل نافع الآس النداء فلم اذع * ثناي ازكي من مناخنة الآس
*(ومن الراسلين من الاندلس الى المشرق أبو مروان الطنبلي وهو عبد الملك بن زيادة الله
قال في الذخيرة كان أبو مروان هذا أحد جماعة شرح الكلام وجملة ألوية الاقلام من
أهل بيت اشتهروا بالشمس اشتهر المنازل بالبدر أراهم طورا على قرطبة قبل افتراق
الجماعة وانتشار شمل الطاعة وأناخوا في ظلالها ولحقوا بيسروا أهلها وأبومضرا أبو
زيادة الله بن علي التميمي الطنبلي وأقول من بني بيت شرفهم ورفع في الاندلس صوته
بنباهة سلفهم قال أبو بيان وكان أبو مضر تديم محمد بن أبي عامر أمتع الناس حديثا
ومشاهدة وأنصفهم طرفا وأحذقهم بأبواب الشجذ والملاطفة وأخذهم بقلوب الملوك
والجالة وأنظمهم لشمل افادة ونجعة انتهى المقصود منه ثم قال في الذخيرة فأما أبيه
أبو مروان هذا فكان من أهل الحديث والرواية ورحل الى المشرق وسع من جماعة من
المحدثين بمصر والحجاز وقتل بقرطبة سنة سبع وخسين وأربع مائة انتهى وقد ذكر قصة
قتله المستبشرة وأنهم باغتياله ابنه ومن نظم أبي مروان الطنبلي المذكور ما وجدته

صاحب الذخيرة في بعض التعاليق بخط بعض أدباء قرطبة قال لما عدا أبو عامر أجد بن محمد
ابن أبي عامر على الخذلي في مجلسه وضر به ضرباً وجعاً وأقر بذلك أعين مطالبه قال
أبو مروان الطبري فيه

شكرت لأعامري ما صنعنا * ولم أقبل للخذلي لعم
ليث عرين عدا بعزته * مفتر ساني وجاره ضيحا
لا برحت كفه ~~ممكنة~~ * من الاماني فقم ما صنعنا
وددت لو كنت شاهد الهما * حتى ترى العين ذل ما خضعنا
ان طال منه سجوده فلقد * طال لغير السجود ماركنا

قال ابن بسام وابن وشيخ القائل قبله

كم ركعة ركع الصفعان تحت يدي * ولم يقل سمع الله من حمده

ثم قال ابن بسام في الذخيرة مانعه والعرب تقول فلان يركع لغير صلاة اذا كنوا عن عمر
الخلوة ومن ملج الكتابة لبعض المتقدمين يخاطب امرأته

قلت التشيع حب أصلع هاشم * فترفضي ان شئت أو فتشيعي

قالت أصلع هاشم وتنفت * بأبي وأمي ~~كل~~ شئ أصلع

ولما صنت كتابي هذا من شين الهجاء وكبرته أن يكون ميداناً للشفها أجريت ههنا
طلقاً من ملج التعريض في إيجاز القريض مما لا أدب على قائله ولا وصمة عظمى
على من قيل فيه والهجاء ينقسم قسمين قسم بسمونه هجو الاشراف وهو ما لم يبلغ
أن يكون سباً بمقدعاً ولا هجواً مستتبها وهو طائفة قديما من الاوائل وثل عرش
القبائل انما هو توبيخ وتعبير وتقديم وتأخير كقول النجاشي في بني عجلان وشهرة
شعره منعني عن ذكره واستعدوا عليه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وأنشدوه
قول النجاشي فيهم قدراً الخد بالشبهات وفعل ذلك بالزبرقان حين شكك بالخطيئة وسأله
أن ينشد ما قال فيه فأنشده قوله

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واتعد فانك أنت الطاعم الكاسي

فسأل عن ذلك ~~كعب~~ بن زهير فقال والله ما أود بما قال له جر النعم وقال حسان
لم يجه ولا ~~كن~~ سلح عليه بعد أن أكل الشبرم فهم عمر رضي الله تعالى عنه بعقابه
ثم استعطفه بشعره المشهور * وقال عبد الملك بن مروان يوما لحسابكم يا بني أمية
فما أود أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس وان الاعشى قال في

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم * وجاراتكم غرثي يئن خنائها

ولما سمع علقمة بن علاثة هذا البيت بكى وقال أئمن تفعل هذا يجاراً تناودعاً عليه فاطمك
بشيء يكي علقمة بن علاثة وقد كان عندهم لو ضرب بالسيف ما قال حس وقد كان الراعي
يقول هجوت جماعة من الشعراء وما قلت فيهم ما تستحي العذراء أن تنشده في خدرها
ولما قال جرير

فغض الطرف انك من غير * فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

أطفأ مصباحه ونام وقد كان بات ليلته يتمال لانه رأى أنه قد بلغ حاجته وشفي غيظه قال
الراعي نخرجنا من البصرة فما وردنا ما من مياه العرب الا وسمعنا البيت قد سبقنا اليه
حتى آتينا حاضر بني نمر نخرج الينا النساء والصبيان يقولون فبحكم الله وقبح ما جئونا به *
والقسم الثاني هو السباب الذي أحدثه جرير أيضا وطبقته وصكان يقول اذا هجوت
فأضحكوا وهذا النوع منه لم يهدم قط بيتا ولا عبرت به قبيلة وهو الذي صننا هذا المجموع
عنه وأعفينا أن يكون فيه شيء منه فان أبان من صور الثعالي كتب منه في ينمته ما شأنه
اسمه وبقي عليه انه * ومن ملج التعريض لاهل أنفنا قول بعضهم في غلام كان يعصب
رجلا يسمى بالبعوضة

أقول لشادتكم قولة * ولكن هارمزة غامضة
لزوم البعوض له دائما * يدل على انها غامضة

وأشدت في مثله قول بعض أهل الوقت

بني وينك سر لا أبوح به * الكل يعلمه والله عافره

* وحكي أبو عامر بن شهيد عن نفسه قال عاتبت بعض الاخوان عتابا شديدا عن أمر أوجع
فيه قلبي وكان آخر الشعر الذي خاطبته به هذا البيت

واني على ما هاج صدرى وغاظني * ليأمنني من كان عندي له سر *

فكان هذا البيت أشد عليه من عض الحديد ولم يزل يلقا به حتى بكى الى منه بالمجموع وهذا
الباب عمت الاطناب ويكنى ما تزويج منه في أضعاف هذا الكتاب انتهى كلام
ابن بسام في الذخيرة بافظه ولا خفاء انه عارض بالذخيرة بقيمة الثعالي ولذا قال في خطبة
الذخيرة أما بعد حمد الله ولي الحمد وأهله والصلاة على سيدنا محمد خاتم رساله فان ثمة
هذا الأدب العالي الرتب رساله تنشر وترسل وأبيات تنظم وتفصل تنال تلك انبئال
القطار على صفحات الازهار وتتصل هذه اتصال القلائد في تخوير الخرائد وما زال
في أفقنا هذا الاندلسي القصي الى وقتنا هذا من فرسان الفنين وأئمة النوعين قوم
هم ما هم طيب مكاسر وصفاء جواهر وهذوية موارد وعبواب أطراف الكلام
المشقق لعب الدجن يحققون المؤرق وجدوا يقنون الشعر المنق جدا لا عشي بينات
المحقق فصبوا على قوالب النجوم غرائب المنثور والمنظوم وباهوا غرر الضحى
والاصائل بججائب الاشعار والرسائل تلو رواه البديع لتسي اسمه أو اجتلاء ابن
هلال لولاه حكمه وتظلم لوسعه كثير مانسب ولا مدح أو تتبعه جرول ما عوى ولا نبح
الا أن أهل هذا الافق أبو الامتابة أهل المشرق يرجعون الى أخبارهم المعاده رجوع
الحديث الى قتاده حتى لو نعتي تلك الآفاق غراب أوطن بأقصى الشام والعراق ذباب
لحنوا على هذا صنما وتلو ذلك ككأ محكما وأخبارهم الباهره وأشعارهم السائرة
مرعى المقصيه ومناخ المزيه لا يعمر بهما جنان ولا خلد ولا يصرف فيها لسان ولا يد
فغاظني منهم ذلك وأنقت مما هنالك وأخذت نفسي بجمع ما وجدت من حسنات

عبد الله الكيزاني وكان شاعرا مجيدا آتته امرأته ولدها فسأله أن يرثيه فقال

يكي عليه بشجو * فقلت لا تندييه

هذا زمان عجيب * قد عاش من مات فيه

وأخذ عنه الحافظ أبو الربيع بن سالم وقال انه توفي بعد التسعين وخمسمائة رجه الله تعالى
 * (ومنهم أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيد بونة الخزاعي العابد من أهل قسطنطينية
 عمل دانية أخذ القراآت عن ابن هذيل وسمع منه ومن ابن النعمة يونسية ورجل حاج
 فأدى القريضة ودخل الاسكندرية مرافقا لمن سمع من السلفي ولم يسمع منه هوشيا قال
 ابن الأبار فيما علمت وقفل الى بلده ما تلا الى الزعد والاعراض عن الدنيا وكان شيخ المتصوفة
 في وقته وعلا ذكره وبعد صيته في العبادة الا انه كانت فيه غفلة قال ابن الأبار رأيت اذ قدم
 بلسية لاحياء ليلة النصف من شعبان سنة احدى عشرة وستمائة ووفى عن سن عالية
 تقارب المائة منتصف ذي قعدة سنة أربع وعشرين وستمائة وشهد جنازته بشر كثير من
 جهات شتى واتساب الناس قبره دهر أطول لا يتبركون بزيارته الى حين اجلاء الروم من كان
 يشارههم من المسلمين ببلاد شرق الاندلس التي تغلبوا عليها وذلك في شهر رمضان سنة
 خمس وأربعين وستمائة * (ومنهم أبو جعفر النحوي أندلسي نزل مصر وكان من رؤساء
 أهل العلم بالنحو ومن له حال جليلة ذكره الطبري فيما حكاه ابن الأبار * (ومنهم أبو الحسن
 جابر بن أحمد بن عبد الله الخزرجي القرطبي وكناه بعضهم أبا الفضل سمع يبلده من أبي محمد بن
 عتاب وغيره ورجل حاج فأدى القريضة وكان أديبا فاطما كتب عنه أبو محمد
 العثماني بالاسكندرية بعض شعره * (ومنهم أبو الحسن جهور بن خلف بن أبي عمر بن
 قاسم بن ثابت الماعري رجل حاج الى المشرق فأدى القريضة وسمع بالاسكندرية من أبي
 طاهر السلفي سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وسمع أيضا من غيره وطال مكثه هنالك
 وهو فيما رجه بعضهم من أهل غرب الاندلس * (ومنهم أبو علي الحسن بن حفص
 ابن الحسن البهراني الاندلسي رجل وتجوّل ببلاد المشرق فسمع أبا محمد عبد الله بن
 سوية وأبا حامد أحمد بن محمد بن رجا بسر خنس وأبا محمد بن أبي شريح بهراة وأبا عبد الله
 الحسين بن عبد الله الملقب بالاهواز وأبا بكر أحمد بن جعفر البغدادي وأبا حامد
 أحمد بن الخليل وأبا حاتم حامد بن العباس وأبا محمد الحسن بن رشيق بمصر وقدم دمشق
 فروى عنه من أهلها تمام بن محمد وبنيسابور أحمد بن منصور بن خلف المغربي وغيره
 وذكره ابن عساكر وقال أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن علي بن فطيمة وأبو القاسم
 زاهر بن طاهر قالانا أبو بكر أحمد بن منصور أنا أبو علي الحسن بن جعفر القضاعي
 أنا الحسن بن رشيق بمصر أنا المفضل بن محمد الجندی أنا أبو مصعب أحمد بن أبي بكر
 الزهري قال سمعت مالك بن أنس يقول لا يحمل العلم عن أهل البدع كلهم ولا يحمل العلم
 عن لم يعرف بالطلب ومجالسة أهل العلم ولا يحمل عن حديث الناس وان كان
 في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم صادقا لان الحديث والعلم اذا سمع من العالم فقد
 جعل حجة بين الذي سمعه وبين الله تبارك وتعالى وانما قال فيه القضاعي لان بهران من

قوله ابن جعفر هكذا في النسخ
 وهو مخالف لما في صدر الترجمة
 من انه ابن حفص فلعل
 أحدهما محرف عن الآخر
 ويجزأه معصمه

قضاة • (ومنهم أبو علي الحسن بن خلف بن يحيى بن إبراهيم بن محمد الاموي من أهل
دانية ويعرف بابن برنجال سمع من أبي بكر بن صاحب الاعباس وأبي عثمان طاهر بن هشام
وغيرهما وله رحلة سمع فيها وسمع من أبي اسحق إبراهيم بن صالح القروي وببيت المقدس من
أبي الفتح نصر بن إبراهيم سنة خمس وستين وأربعمائة وبغداد من أبي عبد الله محمد بن
الحسن بن سعيد التميمي وأخذ عنه كتاب الوقف والابداء لابن الانباري بسماعه من عبد
العزيز الشعيري عن مؤلفه وكان فقيها على مذهب مالك وولي الاحكام ببلده وحدث
وأخذ عنه وسمع الناس منه بأب ~~سكن~~ مدينة سنة تسع وستين ثم بدانية سنة اثنتين وسبعين
وأربعمائة وتوفي في نحو الخمسمائة رجه الله تعالى • (ومنهم أبو علي الحسن بن إبراهيم
ابن محمد بن يحيى الجذامي المالقي روى بقرطبة عن أبي محمد بن عات وعن أبي سكرة الصدقي
بمرسية سنة ثمان وخمسمائة وصحب أيام روان بن مرة وكان من أهل الرواية والتقييد وكانت
له رحلة سمع فيها من أبي الطاهر السلفي بحالسه التي أملاها بسلام برجب سنة خمس عشرة
 وخمسمائة حسبا التي بخط السلفي وفي رحلته لقيه أبو علي الحسن بن علي البطلوسي
نزىل مكة وحدث عنه أبو طالب أحمد بن مسلم المعروف بالتخوني من أهل الاسكندرية
بكتاب الاستيعاب لابن عبد البر وأجاز له اجازة عامة في السنة السابقة وقال ابن عساكر
في تاريخه وذكر أبا ذر الهروي سمعت أبا الحسن علي بن سليمان المرادي الحافظ بالاندلس
بنيد ابوريقول سمعت أبا علي الحسن بن علي الانصاري البطلوسي قال ابن عساكر
وقد لقيته ولم أسمها منه قال سمعت أبا علي الحسن بن إبراهيم بن يحيى الجذامي المالقي
يقول سمعت بعض الشيوخ يقول قيل لابي ذر الهروي أنت من هراة فن أين تمذهب
لمالك والاشعري فقال اني قدمت بغداد أطلب الحديث فلزعت الدار قطني فلما كان
في بعض الايام كنت معه فاجتاز به القاضي أبو بكر بن الطيب فأظهر الدار قطني من اكرامه
ما تجبت منه فلما فارقه قلت أيها الشيخ الامام من هذا الذي أظهرت من اكرامه
ما رأيت فقال أومأ بعرفه قلت لا فقال هذا سيف السنة أبو بكر الاشعري فلزمت القاضي
من ذلك واقتديت به في مذهبه انتهى • (ومنهم أبو علي الحسن بن علي بن الحسن بن عمر
الانصاري البطلوسي رحل الى المشرق فأذى الفريضة وتيجول هناك واتي أبا الحسن
ابن الفرج الصقلي وأبا عبد الله القراوي فسمع منهما الصحيحين بعاق وسمع من أبي الفتح
ناصر بن أبي علي الطوسي سنن أبي داود وحدث بالموطا عن أبي بكر الطرطوشي وله
أيضا رواية عن زاهر بن طاهر الشكاعي وعبد المنعم بن عبد الكريم القشيري وأبي محمد
الحريري سمع منه مقامات الحسين بسنة ثمان من بغداد ونزل بمكة وجاور بها وحدث فيها
وفي غيرها وأسن وكان ثقة مسندا يروي عنه أبو عبد الله بن أبي الصيف اليمني وأبو حفص
ابن شراحيل الاندلسي وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم الاربلي وسمع منه في مفر سنة ست
 وستين وخمسمائة وقد لقيه أبو القاسم بن عساكر الحافظ وروى عنه • (ومنهم أبو علي
الحسن بن محمد بن الحسن الانصاري من أهل المرية عمل بلسانية ويعرف بابن الرهيميل سمع
من أبي الحسن بن النعمان كثيرا واختص به وعنه أخذ القراآت وسمع من ابن هذيل أيضا

ثم رحل حاجا فلقى بالاسكندرية سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة أبا طاهر الساني وأبا عبد
الله بن الحضرمي وسمع منهما وجاورة مكة وأخذهم عن أبي الحسن علي بن حميد الطرا بلسي
صحيح البخاري وكان يرويه عن أبي مكتوم عيسى بن أبي ذر الهروي عن أبيه وسمع أيضا
من أبي محمد المبارك بن الطباخ البغدادي وأجاز له أبو المفاتيح سعيد بن الحسين الهاشمي
وأبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الاشيلي بجاية عند صدره في ربيع الاول سنة سبع
وسبعين وقفل الى بلده فلزم الانقطاع والاعتباس عن الناس والاقبال على ما به فيه
وكان قد خطب به قبل رحلته وحكي التحيي أن طلبة الاسكندرية تراجموا عليه لسماع
التيسير لابي عمرو المقرئ منه بروايته عن ابن هذيل سمعا في سنة ثلاث وخمسين وصارت له
بذلك عندهم وجاهة وبعد قفوله أصابه خدر منعه من التصرف وكان الصلاح غالباً
عليه وتوفي غدوة الجمعة اثمان خلون من شعبان سنة خمس وثمانين وخمسمائة وكانت
جنازته مشهودة رحمه الله تعالى * (ومنهم الحسين بن أحمد بن الحسين بن حي التميمي
القرطبي أخذ علم العدد والهندسة عن أبي عبد الله محمد بن عمر المعروف بابن برغوث وكان
كافاً بصناعة التعديل وله زيج مختصر ذكره القاضي صاعد ونسبه وحكى انه خرج من
الاندلس في سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة بعد أن نالته بها وبالجرح من شداد وخلق بمصر
ثم رحل عنها الى اليمن واتصل بأمرها فخطى عنده ويعنه رسولا الى القائم بأمر الله الخليفة
يغداد ونال هناك دنيا عريضة وتوفي باليمن بعد انصرافه من بغداد سنة ست وخمسين
وأربعمائة رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو يوسف حماد بن الوليد الكلاعي أخذ بقرطبة
عن أبي المطرف القنازعي وغيره ورحل الى المشرق وحدث بالاسكندرية فسمع منه بها
يحيى بن ابراهيم بن عثمان بن شبل شرح الاعتقاد من تأليفه ورسالة تقع الطرس وقصر
الامل والحث على العمل وذلك في سنة سبع وأربعين وأربعمائة ولقبه عنالك أبو مروان
الطائي فسمع منه بعض فوائده * (ومنهم أبو القاسم خلف بن فتح بن عبد الله بن جبير من
أهل طرطوشة يعرف بالجبيري وهو والد أبي عبيد القاسم بن خلف الجبيري الفقيه وكانت
له رحلة الى المشرق ومعه رحيل ابنه وهو صغير وكان من أهل العلم والزاهة وعليه نزل
القاضي منذر بن سعيد بطرطوشة في ولايته قضاء الثغور الشرقية قال أبو عبيد نزل
القاضي منذر بن سعيد على أبي بطرطوشة وهو يومئذ يتولى القضاء في الثغور الشرقية
قبل أن يلقى قضاء الجماعة بقرطبة فأنزله في بيته الذي كان يسكنه فمكث هناك حتى نظرت
في كتب أبي ذر على يده كتاب فيه ارجوزة ابن عبيدويه يذكر فيها الخلفاء ويجعل معاوية
رابعهم ولم يذكر علياً فيهم ثم وصل ذلك بذكر الخلفاء من بني مروان الى عبد الرحمن بن محمد
فلما رأى ذلك منذر غضب وسب ابن عبيدويه وكتب في حاشية الكتاب

أوما على لابرحت ملعنا * يا ابن الخبيثة عندكم بامام

رب الكساء وخير آل محمد * داني الولا مقدم الاسلام

قال أبو عبيد والايات بخطه في حاشية كتاب أبي الى السرعة وكانت ولاية منذر
لثغور مع الاشراف على العمال بها والنظر في المختلفين من بلاد الافرنج اليها سنة ثلاثين

وثلاثة * (ومنهم أبو القاسم خلف بن محمد بن خلف الغرناطي له رحلة روى فيها
بالاسكندرية عن مهدي بن يوسف الوراق وحدث عنه أبو العباس بن عيسى الدالي بالتلقين
لقاضي عبد الوهاب * (ومنهم أبو القاسم خلف بن فرج بن خلف بن عامر بن خيلون
القنطري من قنطرة السيف وسكن بطليوس ويعرف بابن الروبة رجل حاجا فآذى
الفريضة ولقى بككة رزين بن معاوية الاندلسي فحمل عنه كتابه في تحرير يد الصحاح سنة خمس
وخمسائة وفيها حج وقفل الى بلده بعد ذلك وكان فقيها مشاورا حدث عنه ابن خيري كتابه
اليه من بطليوس في نحو الثلاثين وخمسائة * (ومنهم زرارة بن محمد بن زرارة الاندلسي
رجل حاجا الى المشرق وسمع بصيرا بأبا محمد الحسن بن رشيق سنة سبع وستين وثلاثمائة
وأبا بكر مسرة بن مسلم الصدي حدث وأخذ عنه * (ومنهم طاهر الاندلسي من أهل
مالقة سكنى أبا الحسين رجل الى قرطبة وخرج منها لما دخلها البربر سنة ثلاث
وأربع مائة فلم يزل بككة الى حدود الحسين وأربع مائة وكان من أصحاب أبي عمر الطنكي
وملازمه لقراءة القرآن وطلب العلم مع أبي محمد الشنجانى وأبي أيوب الزاهد امام
مسجد البكواتين بقرطبة وجاور بككة طويلا وأقرأ على مقربة من باب الصفا وكان
الشيعيون يكرمونه ويفرجون له لضعفه عند دخوله البيت الحرام ذكره الطبري قال ابن
البار وأحسبه المذكور في برنامج الخولاني والذي قرأ لهم أكثر المدونة على أبي عمر
أحمد بن محمد الزيات انتهى * (ومنهم أبو الطاهر الاندلسي من أهل لبلبة نزل مصر
وكانت له حلقة بجامع عمرو بن العاص وكان رحمه الله تعالى نحو باله شعر وترسيل
وتعلق بالمولد للتأديب بالنحو ثم تلمذ ذلك * (ومنهم أبو محمد طارق بن موسى بن يعيش
المنصقي الخزومي والمنصقي نسبة الى قرية بغربي بلنسية ويكنى أيضا أبا الحسن ورجل
قبل العشرين وخمسائة فآذى الفريضة وجاور بككة وسمع بهامن أبي عبد الله الحسين
ابن علي الطبري ومن الشريفة أبي محمد عبد الباقي الزهري المعروف بشقران أخذ عنه
كتاب الاحياء للغزالي لمؤلفه وسمع بالاسكندرية من أبي بكر الطسوطي وأبي الحسن
ابن مشرف وأبي عبد الله الرازي وأبي طاهر السلي وغيرهم ثم قفل الى بلده فحدث وأخذ
الناس عنه وسمعوا منه وكان شيخا صالحا على الرواية ثقة قال ابن عباد لم ألق أفضل
منه وكان محجبا الدعوة وحدث عنه بالسمع والاجازة جلة منهم أبو الحسن بن هذيل
وأبو محمد القاتني وأبو مروان بن الصبقل وأبو العباس الاقليشي وأبو بكر بن خير وابن
سعد الخير وأبو محمد عبد الحق الاشبيلي وأبو بكر بن جزي وغيرهم ثم رحل ثمانية
الى المشرق مع صهره أبي العباس الاقليشي وأبي الوليد بن خيرة الحافظ سنة اثنين
وأربعين وخمسائة وقد نيف على السبعين فأقام بككة مجاورا الى أن توفي بها عن سن
عالية رحمه الله تعالى سنة تسع وأربعين وخمسائة * (ومنهم محمد بن ابراهيم بن مزين
الاودي من أهل اكنونية غربي الاندلس يكنى أبا مضر ولده عبد الرحمن بن معاوية
قضاء الجماعة بقرطبة وذلك في المحرم سنة سبعين ومائة وأقام أشهراً ثم استعفى
فأعفاه ورجل حاجا فآذى الفريضة وسمع في رحله أبا مالك بن أنس وانصرف ومات

قوله ابن خيري في نسخة ابن جبير
هـ

قوله الشنجانى في نسخة
الشنجانى هـ

قوله أبا الحسن في نسخة أبا
الحسين هـ

قوله هذيل في نسخة زهير هـ
قوله الصبقل في نسخة
الصبقل وفي أخرى وأبو مروان
الصبلي هـ

عن سن عالية سنة ثلاث وثمانين ومائة وذكره ابن شعيبان في الرواة عن مالك وسكنه
 روى عنه من قطع لسانه استوفى به عاماً وأما ما قال له قد بلغني أن بالاندلس من نبت
 لسانه فإن لم ينبت أقيد انتهى • (ومتهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن حيازالشاذلي
 الأوسي قدم مصر وكان أخذ عن ابن برمالة وابن البراء وغيرهما وعمل فهرسة شيوخه
 على حروف المعجم وجمع وعاد إلى بلده ومات يوم الجمعة حادي عشر رجب سنة ثمان
 عشرة وسبعمائة رحمه الله تعالى وعقر له • (ومتهم القاضي أبو مروان محمد بن أحمد بن
 عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن شريعة بن
 رفاع بن حنبل بن جماعة النخعي الأندلسي الشاذلي قال أبو شامة هو من بيت كبير
 بالاندلس يعرف ببني الباجي مشهور بكثير العلماء والفضلاء وأصلهم من باجة القيروان
 وليس منهم القاضي أبو الوليد الباجي الفقيه فانه من بيت آخر من باجة الاندلس وقدم أبو
 مروان صاحباً من بلاده في البحر إلى مكان من ساحل دمشق ثم دخل دمشق سادس شهر رمضان
 سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ونزل عند نا بالمدرسة العادلية وجدته الأعلى أحمد بن عبد الله
 ابن محمد بن علي قدم إلى الديار المصرية وجمع منها ومعه ولده محمد أخو عبد الملك ويعرف
 بصاحب الوثائق وسمعاها من جماعة من العلماء وذكر أبو عبد الله الحميدي أحمد بن عبد الله
 هذا في المقابس وكناه أبا عمر وذكر أنه سكن أشبيلية وأثنى عليه كثيراً وقال مات في حدود
 الأربعمائة وروى عنه ابن عبد البر وغيره وأبوه عبد الله بن محمد بن علي يعرف بالرواية
 ذكره الحميدي أيضاً وذكر ابن بشكوال في الصلة عبد الملك بن عبد العزيز بن أحمد هذا
 الشيخ القادم وأثنى عليه وقال توفي سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة وكان هذا الشيخ
 أبو مروان حسن الاخلاق فاضلاً متواضعاً حسناً وسمته يقول وقد مثل اعارة شيء
 فبادر إليه ثم قال عسدي في قوله تعالى ويعتصمون الماعون هو كل شيء راسته فعدنا من هذا
 الشيخ فائدة جليلة وهي معانيته قدر مدتها في صلى الله عليه وسلم وهو عندهم متوارث
 وقد أخبر عن ذلك أبو محمد بن حزم في كتابه المحلى وعاريت بذلك المتد الذي لما بدمشق
 حيث هو المكي الكبير فوجدت متنايسع صاعين الايسير او وجدته بمسوحا
 يسع صاعاً ونصفاً شيئاً فيكون مذان بمسوحان ثلاثة أصع زائدة وقرأت في كتاب
 المحلى لابن حزم قال أبو محمد وخرط لي متد على تحقيق المتد المتوارث عند آل عبد الله بن علي
 الباجي وهو عند أكثرهم لا يفارق داره أخرجه إلى ثقفي الذي كلفته ذلك علي بن عبد الله
 ابن أحمد بن عبد الله بن علي المذكور وذكر أنه متدأبيه وأن جدته أخذته وخرطه علي متد
 أحمد بن خالد وأخبره أحمد بن خالد أنه خرطه علي متد يحيى بن يحيى علي متد مالك قال أبو محمد
 ولا شك أن أحمد بن خالد صححه أيضاً علي متد محمد بن وضاح الذي صححه ابن وضاح بالمدينة
 النبوية علي صاحبها أفضل الصلاة والسلام قال أبو محمد ثم كتبه بالقمح الطيب ثم وزنته
 فوجدته رطلاً واحداً ونصف رطل بالقلبي لا يزيد حبة وكتبه بالشعير إلا أنه لم يكن بالطيب
 فوجدته رطلاً واحداً ونصف أوقية ومئات عن الرطل بالقلبي فقبل لي هو ست عشرة
 أوقية كل أوقية عشرة دراهم وفي تقدير ابن حزم تظن وتوفي هذا الشيخ بالقاهرة سنة

خمس وثلاثين وستمائة بعد رجوعه من الحج رحمه الله تعالى انتهى كلام أبي شامة
وبعضه بالمعنى * (ومنه أبو العباس أحمد بن محمد الواعظ الاشيلي ثم المصري فاضل شرح
الصدور بلفظه ومتكلم أحيا القلوب بوعظه أحواله مشهورة ومجالسه بالذكر
معمورة وله معرفة بالأدب وخبرة بالشعر والخطب وكلام وجهه حسن ونظم يمتاز به
على كثير من أرباب اللسان قاله ابن حبيب الحلبي قال وهو القائل
من أنت محبوبة من ذاي عسيرة * ومن مغفوت له من ذاي كثره
هيات عنك ملاح الكون تشغلي * والكل أعراض حسن أنت جوهره
وقال

اكشف البرقع عن بكر العقار * واخجل في ليلك مع شمس النهار
وانم ب العيش ودعه غلطا * ينقضي ما بين هتك واستتار
ان تنكر شيخ خلعات الصبا * فالبس الصبوة في خلع العذار
وارض بالمار وقل قد آن لي * في هوى خمار كاسي لبس عار
وقال

حيو الى نجد نياق الهوى * فتم وادجسوء معشب
وانظر واحتي بلوح الحبي * فالعيش فيه طيب طيب

قوله سنة ٦٨٤ في نسخة
سنة ٦٨٥ هـ

وتوفي سنة أربع وثمانين وستمائة هكذا ذكر ترجمته ابن حبيب ثم بعد كتبه ما حصل لي شئ
هل هو من ارتحل بنفسه من الاندلس أو ولد بمصر وانما ارتحل اليها بعض سلفه والله
تعالى أعلم وكذا ذكر آخر يقول في سنة سبع وثمانين وستمائة وتوفي في الامام
زكي الدين أبو اسحق ابراهيم بن عبد العزيز بن يحيى بن علي الاشيلي المالدي
حدث عالم زاهد فيماليس يدانم كثيرا كثير الخير جزيل المبر كان حسن المنهج قاضيا
للحوائج محسنا الى الصامت والمعرب مقصد المن يرد من الجواز والمغرب مع بمصر
ودمشق وحلب واقفى ودرس مقصد الفوي الطلب ولم يرح بعين بأباده وبغيت
وهو أول من باشر بظاهرة دمشق مشيخة الحديث وكانت وفاته بدمشق عن ثمان وسبعين
سنة انتهى * (ومنه الاحق بالسبق والتقدم بقى بن محمد بن يزيد أبو عبد الرحمن
القرطبي الاندلسي الحافظ أحد الاعلام وصاحب التفسير والمسنند أخذ عن يحيى بن
يحيى الليثي ومحمد بن عيسى الاعشى وارتحل الى المشرق ولقي الكبار وسمع بالجواز مصعبا
الزهرى و ابراهيم بن المنذر وطبقتهما وبمصر يحيى بن بكير وزهير بن عباد وطائفة وبدمشق
ابراهيم بن هشام الغساني وصفوان بن صالح وهشام بن عمار وجماعة ويغداد أحمد بن
حنبل وطبقته وبالكوفة يحيى بن عبد الحميد الجاني ومحمد بن عبد الله بن عمرو وأبا بكر بن أبي
شيبه وطائفة وبالبصرة أصحاب حماد بن زيد وعن بالثر عناية عظيمة لا مزيد عليها وعدد
شيوخه مائتان وأربعة وثلاثون رجلا وكان اما زاهدا موصوفا مصادقا كثيرا
التهجد بحجاب الدعوة قليل المثل مجتهد الا يقلد بل يفتي بالاثر ولد في رضان سنة
احدى ومائتين وتوفي في جمادى الآخرة سنة ست وسبعين ومائتين قال ابن حزم

أقطع أنه لم يؤلف في الاسلام مثل تفسيره لا تفسير محمد بن جرير ولا غيره وكان محمد بن عبيد
الرحمن الاموي صاحب الاندلس محبا للعلوم عارفا بها فلما دخل بقي بن مخلد الاندلس
بمصنف ابن أبي شيبة وقرئ عليه أنكرب جماعة من أهل الرأي ما فيه من الخلاف واستبشعوه
وقام جماعة من العاقبة عليه ومنعته من قراءته فاستحضره الامير محمد واباهم وتصفح
الكتاب جزءا جزءا حتى أتى على آخره ثم قال لخازن كتبه هذا الكتاب لا تستغنى
خزانتنا عنه فانظر في نسخه لنا وقال لبيق انشر عملك واروماء عندك ونهاهم أن يعترضوا له
قال ابن حزم مسند بيق روى فيه عن ألف وثلاثمائة صاحب ونيق ورتب حديث كل
صاحب على أبواب الفقه فهو مسند ومصنف وما أعلم هذه الرتبة لاحد قبله مع ثقته
وضبطه واتقانه واحتفاله في الحديث وله مصنف في فتاوى الصحابة والتابعين ممن ذكرهم
اربي فيه على مصنف أبي بكر بن أبي شيبة وعلى مصنف عبد الرزاق وعلى مصنف سعيد
ابن منصور ثم ذكر تفسيره فقال فصارت تصانيف هذا الامام الفاضل قواعد الاسلام
لا نظير لها وكان متخيرا لا يقلد أحدا وكان جاريا في مضممار البخاري ومسلم والنسائي
وذكر القشيري أن امرأته جاءتته فقالت له ان ابني قد أمرته بالفرج واني لا اناام الايل من
شوقى اليه ولي دويرة أريد أن أبيعها لاقتكهم بها فان رأيت أن تشير الى من يأخذها ويبيعها
في فكاكه فليس لي ليل ولا نهار ولا صبر ولا قرار فقال نعم انصرف في حق تنظر في ذلك ان شاء
الله تعالى وأطرق الشيخ وحرك شفتيه يدعو الله عز وجل لولدها بالخلاص فذهبت
فما كان غير قليل حتى جاءت وابنها معها فقالت اسمع خبره يرحمك الله تعالى فقال كيف
كان أمرك فقال اني كنت فيمن يخدم الملك ونحن في القيود فسينا انا ذات يوم أمشي
اذ سقط القيد من رجلي فأقبل على الموكل بي فشميتي وقال فككت القيد من رجلك
فقلت لا والله ولكن سقط ولم أشعر فخا وأبالحة اذ أفاق عاده وممر مسماره وأيده ثم قت
فقط أيضا فسألوا رهبانهم فقالوا ألك والدة فقلت نعم فقالوا انه قد استجيب دعاؤه هاله
فأطلقوه فأطلقوني وخفروني الى أن وصلت الى بلاد الاسلام فسأله بيق عن الساعة التي
سقط القيد من رجليه فيها فاذا هي الساعة التي دعاه فيه ففرجه الله تعالى * (ومن
الراجلين من الاندلس الى المشرق يوسف بن يحيى بن يوسف الازدي المعروف بالمخامي
من أهل قرطبة وأصله من طليطالة وهو من ذرية أبي هريرة رضى الله تعالى عنه سمع من
يحيى بن يحيى وسعيد بن حسان وروى عن عبد الملك بن حبيب مصنفاته وارتحل الى
مصر وسمع من يوسف بن يزيد القراطيسي وعاد الى الاندلس وكان فقيها نبيا لا فصيحيا بصيرا
بالعربية ثم بعد عودته من مصر أقام بقرطبة أعواما ثم عاد الى مصر وأقام بها وسمع الناس
منه وعظم أمره بالبلاد المشرقية ثم انه عاد الى المغرب فتوفي بالقيروان سنة ثمانين
ومائتين وبين بصر الواصحة لابن حبيب ومصنف شيئا في الرد على الشافعية في عشرة أجزاء
وألف كتاب فضائل مالك رضى الله تعالى عنه والذي يرتضى أن من قلدا ما من المجتهدين
لا ينبغي له أن يغض من قد وغيره وان كان ولا بد من الاتصاف بالذهب وتقوية حجة فليكن ذلك
بحسن أدب مع الائمة رضى الله تعالى عنهم فانهم على هدى من ربهم وقد ضل بعض الناس

فعله التعصب لمذهبه على التصريح بما لا يجوز في حق العلماء الذين هم نجوم الملة ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد حكى أبو عبد الله الوادى اتى حسباراًيته بخطه أن القاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي المالكي ألف كتاباً بالبصرة مذهب مالك على غيره من المذاهب في مائة جزء وسماه البصرة لمذهب امام دار الهجرة فوقع الكتاب بخطه بيد بعض قضاة الشافعية بمصر فغرقه في النيل فقضى الله تعالى أن السلطان فرج بن برقوق سافر الى الشام ومعه القضاة الاربعة وغيرهم من الاعيان لدفع تيمورلنك عن البلاد فلم يستطع شيئاً وهزم الى مصر وفترت العساكر وأخذوا القضاة والعلماء أسارى ومن جلتهم ذلك القاضي فبقى في اسر تيمورلنك الى أن ارتحل عن الشام فأخذه معه أسيراً الى أن وصل الى مصرات فغرق فيه أعنى القاضي فرأى بعض الناس أن ذلك بسبب تعريقه الكتاب المذکور والجزاء من جنس العمل والله تعالى أعلم وقد نبى الله تعالى من هذه الورطة قاضي القضاة أبازيد عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي المالكي صاحب كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والتجم والبربر ومن عاصره هم من ذوى السلطان الاكبر فانه كان من جملة القضاة الحاضرين في الهزيمة فلما أدخلوا على تيمورلنك قال لهم ابن خلدون قد موني للكلام تنجوا ان شاء الله تعالى والافانتم أخبر فقدموه وعليه زى المغاربة فلما رآه تيمورلنك قال له ما أنت من هذه البلاد وتكلم معي فقبله ابن خلدون بلسانه وكان آية الله الباهرة ثم قال لتيمورلنك انى ألفت كتاباً في تاريخ العالم وحليته يذكر كذا وكذا قال ويقال ان تيمورلنك هو الذى قال له بلعنى انك ألفت كتاباً في تاريخ العالم ثم قال له تيمورلنك كيف ساع لك أن تذكرنى فيه وتذكر بخت نصر مع أنا خربت العالم فقال له ابن خلدون أفعالكم العظيمة ألفتكم كما بالذكر مع ذوى المراتب الجسمية وأنحو هذا من العبارات فأعجبه ذلك وقيل انه لما أنس بآبن خلدون قال له ياخوند ما أسنى الاعلى كتاب ألفت في التاريخ وأنفقت فيه أيام عمرى وقد تركته بمصر وان عمرى الماضى ذهب ضياعاً حيث لم يكن فى خدمتك وتحت ظل دولتك والآن أذهب فأتى بهذا الكتاب وأرجع سريعاً - تى أموت فى خدمتك وأنحو هذا من الكلام فأذن له فذهب ولم يعد اليه وقال بعض العلماء انه لم ينبج من يد ذلك الجبار أحد من العلماء غير ابن خلدون ورجل آخر وقد ذكر ذلك ابن عرب شاه فى عجائب المقدور وقد طال عهدي به فليراجع وحكى غير واحد أن تيمورلنك لما أخذ حاب على الوجه المشهور فى كتب التاريخ جمع العلماء فقال لهم على عادته فى التعنت قتل منا ومنكم جماعة فى الذى فى الجنة قتلانا وقتلناكم وكان مراده ابراز سبب لقتلهم لانهم ان قالوا أحد الامرين ملكوا فقال بعض العلماء وأظنه ابن الشحنة دعونى أجبه والا هلكتم فتر كوه فقال له ياخوند هذا السؤال أجاب عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل عنه فغضب وقال كيف يمكن أن يجيب عن هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن لم نكن فى زمانه أو كلاماً ما هذا معناه فقال العالم المذکور روينافى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن الرجل يقاتل شجاعة ويقبض على حية ويقبض على ليد كرويرى مكانه فى الذى فى الجنة فقال من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو الذى فى الجنة

أو كما قال صلى الله عليه وسلم فتعجب نيمور لنك من هذا الجواب المفهم المسكت وحق له أن يتعجب منه فان هذا من الاجوبة التي يقل تطيرها وفيها المخلص على كل حال بالانصاف وقد وفق الله تعالى هذا العالم لهذا الجواب حتى يتخلص على يده أولئك الاقوام من الطاغية الجبار العنيد الذي جعل الله تعالى فتنة في الاسلام وفتنة جنكزخان وأولاده من أعظم الفتن التي وهي بها المسلمون وذكر بعض العلماء أن ابن خلدون لما أقبل على نيمور لنك قال له دعني أقبل يدك فقال ولم فقال له لانهم مفتاح الاقاليم يشير الى انه فتح خمسة اقاليم وأصاب يده خمسة فذلك اصبع اقليم وهذا أيضا من دهاء ابن خلدون وقد كدنا نخرج عن المقصود في هذه الترجمة فلنصرف العنان والله سبحانه المستعان * (ومن الراحلين من الاندلس الامام الحافظ أبو بكر بن عطية رجه الله تعالى قال الفتح شيخ العلم وحامل لوائه وحافظ حديث النبي صلى الله عليه وسلم وكوكب سمائه شرح الله تعالى لحفظه صدره وطاول به عمره مع كونه في كل علم وافر النصيب مياسرا بالمعنى والرقيب رحل الى المشرق لاداء الفرض لايس بر من العمر الغض فروى وقيد ولقي العلماء وأسند وأبقى تلك المآثر وخلد نشأ في بنية كريمة وارومة من الشرف غير مرمومة لم يزل فيها على وجه الزمان أعلام علم وأرباب مجد ضخيم قد قادت مآثرهم الكتب وأطلعهم التواريخ كالشهب وما برح الفقيه أبو بكر يتسنى كواهل المعارف وغواربها ويقيد شواردا المعاني وغرائبها لاستخلاصه بالادب الذي أحكم أصوله وفروعه وعمد برهة من شببته ربوعه وبرز فيه تميز الجواد المستولي على الامد وجلى عن نفسه به كما جلى الصقال عن النصل البرد وشاهد ذلك ما أثبتته من نظمته الذي يروق جملة وتفصيلا ويقوم على قوة العارضة دليلا فمن ذلك قوله يحذر من خطا الزمان وينبه على التحفظ من الانسان

كن بذهب صائد مستأنسا * واذا أبصرت انسانا فقهرا
انما الانسان بحجر ماله * ساحل فاحذره اياك ان تغرر
واجعل الناس كشخص واحد * ثم كن من ذلك الشخص حذير
وله في الزهد

أيها المطرود من باب الرضا * كم ير الله تلهو ومعرضا
كم الى كم أنت في جهل الصبا * قدمضى عمر الصبا وانقرضا
قم اذا الليل دبت ظلمته * واستلذا الجن أن يعتمضا
فضع الحسد على الارض ونح * واقرع السن على ما قدمضى
وله في هذا المعنى

قلبي يا قلبي المعنى * كم أنا أدعي فلا أجيب
كم أتمادى على ضلال * لأرعدوى لا ولا أنيب
ويلاه من سوء مادها في * يتوب غيرى ولا أنوب
وأسقى كيف برء دائي * دائي كما شاء الطيب

لو كنت ادنوا كنت اشكو * ما انا من باب قسري
أبعدني منه سوء فعلي * وهكذا يعد المريب
نمالي قدر وأي قدر * لمن أحلت به الذنوب
وله في هذا المعنى أيضا

لا تجعل رمضان شهركاهنة * تلهيك فيه من القبيح قنونه
واعلم بأنك لا تنال قبوله * حتى تكون تصومه وتصونه
وله في مثل ذلك

إذا لم يكن في السمع مني تصاون * وفي بصري غض وفي مقولي صمت
مغظي إذا من صومي الجوع والظما * وإن قلت اني صمت يوما فصمت
وله في المعنى الاول

جفوت أنا سا كنت آتت وصلهم * وما في الجفا عند الضرورة من بأس
بلوت فلم أجد وأصبحت آيسا * ولائني أشقى للنفوس من اليأس
فلا تمذلوني في انقباضي فاني * رأيت جميع الشر في خلطة الناس
وله معاتب بعض اخوانه

وكنت أظن أن جبال رضوى * تزول وأن ذلك لا يزول
ولكن الامور لها اضطراب * واحوال ابن آدم تستحيل
فان يك بيننا وصل جميل * والا فليكن هجر طويل
وأما شعره الذي اقتدحه من مرخ الشباب وعفاره وكلامه الذي وشحه بما آرب الغزل
وأوطاره فانه نسي الى ما تناساه وتركه حين كساه العلم والورع من ملابسه ما كساه
فما وقع من ذلك قوله

كيف السلو ولي حبيب هاجر * قاسى الفؤاد يسومني تعذيا
لما درى أن الخيال مواصلي * جعل السهاد على الجفون رقبيا
وله أيضا

يا من عهدى له تراعى * انا على عهدك الوثيق
ان شئت أن تسمى غرامى * من تخبر عالم صدوق
فاستخبري قلبك المعنى * يحبك عن قاي المشوق انتهى

كلام الفتح وأبو بكر بن عطية المذكور هو والد الخافض القاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية
صاحب النفس بغير الشهير رحم الله تعالى الجميع قال في الاطاعة في حقه ما ملخصه الشيخ
الامام المفسر عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي فقيه عالم بالتفسير والاحكام والحديث
والفقه والنحو واللغة والادب حسن التقيد له نظم ونثر ولى قضاء المرية سنة تسع وعشرين
وخمسة مائة في المحرم وكان غاية في الذكاء والدهاء والتهمم بالعلم سرى الهمة في اقتناء
الكتب توخى الحق وعدل في الحسب وأعز الخطة روى عن أبيه وأبوى علي الغساني
والصدي وطبقتهم ما وأنا ان كتابه الوجيز في التفسير فاحسن فيه وأبدع وطار

بحسن نيته كل مطار و برنا مجاز منحه مروياته وأسماء شيوخه فخر وأجاد ومن نظمته
يندب عهد شبابه

سقى بالعهد شباب طلت أصرح في • وبعثته وليالي العيش أخصار
أيام روض الصبالم تذو أغصنه • وروث العمر غرض والهوى جاد
والنفوس تركض في تغدير شهرتها • طرقاله في زمان الله واحد صار
عهدا • كرم بالسنا فيه أودية • كانت عيانا ومحت فهي آثار
مضى وأبقى بقلبي منه ناراً • كوني سسلا ما وبردا فيه يانار
أبعد أن نعمت نفسي وأصبح في • ليل الشباب لصبح الليل أسفار
وقارعتني الليالي فانت كسرا • عن ضيغم ماله ناب وأطصار
الاسلاح خلال أخلصت ظهما • في مهمل المجدا يراد وصادر
أصبوا إلى روض عيش روضه خضل • أو يتقي بي عن العلياء أقصار
إذا فطلت • في من شباقلم • آثاره في رياض العلم أزهار

مولده سنة إحدى وثمانين وأربعمائة و توفي في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة
ست وأربعين وخمسائة بالورقة قدم بورقة يتولى قضاءها فمدت عن دخولها وصرف منها
إلى الورقة اعتداء عليه رحمه الله تعالى انتهى وقال الغنغ في حقه ما نصه فقي العمر كهل
العلاء حديث السق قديم السناء لبس الجلالة بردا ضافيا وورد ماء الاصاله صافيا
وأوضح للفضل رسما عافيا وثق من ذهنه للاغراض فشا فصدا وجعل فهمه شهابا صدا
مما إلى رتب الكهول مغيرا وشن • كتيبة ذهبه على الملوم مغيرا فسهبها معنى
وفصلا وحوافرا وأصلا وله أدب يسيل رضاءا ويستحيل ألفاظا مبتدعة
وأغراضا وقال فيه أيضا نبعة دوح العلاء ومحرز ملابس الثناء فذا بللاله وواحد
العصر والاصاله وقار • كما رسا الهضب وأدب كما طرد السلس العذب وشيم
تضائل لها قطع الرياض وتبادر الما تبه إلى شريف الاغراض سابق الاجاد فاستولى
على الامد بعبابه ولم يتضر ثوب شبيباه أدمن التعب في السودد جاهد فتي تناول
الكواكب قاعدا وما اتكل على أوائله ولا سكن إلى راحت بكره وأصائله أثره في كل
معرفة علم في رأسه نار وطواله في آفاقها أصبح أو منار وقد أثبت من نظمته المستبدع ما
ينفع عبيرا ويتضح منبرا فن ذلك قوله من قصيدة

وليلة جيت فيها الجذع مرتديا • بالسيف أسحب أذيا لمن الظلم
والنجم حيران في بحر الدجى غرق • والبرق في طيلسان الليل كالعلم
• كأعما الليل زنجي بكاهله • جرح فيتعيب أحبانا له بدم انتهى
المقصود منه وهو أعني أبا بكر أحمد مشايخ عياض حسبما ألمعت به في أزهار الرياض
(ومنهم شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فرح بالحاء المهمل ابن أحمد بن محمد الامام
الحافظ الزاهد بقمية السلف الخفي الاشيلي الشافعي أسره الا فرج سنة ست وأربعين
وسمائه وخامس وقدم مصر سنة بضع وخمسين وقبل انه تمذهب للشافعي وتفقه على الشيخ

عز الدين بن عبد السلام قليلا وسمع من شيخ الشيوخ شرف الدين الانصارى الحموى
والمعين أحمد بن زين الدين واهم عيل بن عزوز والنجيب بن الصيقل وابن علان وبدمشق
من ابن عبد الدائم وخلق وعنى بالحديث واتقن الفناظرة وعرف برواته وحفاظه وفهم
معانيه واتفق لبابه ومبانيه قال الصغدي وكان من كبار أئمة هذا الشأن وعن يجرى
فيه وهو طلق اللسان هذا الى ما فيه من ديانته وورعه وصيانته وكانت له حلقة اشتغال
بكرة بالجامع الاموى يلازمها ويحوم عليه من الطلب حوائها سمع عليه الشيخ شمس
الدين الذهبي واستفاد منه وروى في تصانيفه عنه وعرضت عليه مشيخة دار الحديث
النورية فأبأها ولم يقبل حبها وكان يرى الصوفية ومعه فقاها بالشافعية ولم يرل على
سأله حتى أسرن الناس ابن فرح وتقدم الى الله وسرح وشيع الخلق جنازته وتولوا
وضعه في القبر وحيارته وتوفي رحمه الله تعالى تاسع جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين
وسمائه ومولده سنة خمس وعشرين وسمائه وله قصيدة غزلية في ألقاب الحديث
سمعا منه الدمياطي واليونيني وسمع منه البرزالي والمقاتلي والنايلسي وأبو محمد
ابن الوايد ومات بترية أم الصالح بالاسهال والقصيدة المذكورة هي

غرامى صريح والرجافيك مهضل * وحرفى ودمعى مطلق ومسلسل
وصبرى عنكم يشهد العقل أنه * ضعيف ومتروك وذلى أبجل
ولا حسن الا معاصى حديثكم * مشافهة على على فائقه
وأمرى موقرف عليك وليس لى * على أحد الا عليك المعول
ولو كان مرفوعا اليك لكنت لى * على رغم عذالى تروق وتعدل
وعذل عذولى منك لا أسبغه * وزور وتدليس يرد ويعدل
أقصى زمانى فيك متصل الأسى * ومنقطعا عما به أتوصل
وها أنا فى ألكفان هجر لمدرج * تكافى مالا أطيق فاحل
وأجريت دمعى بالدماء مدججا * وما هو الا مهجرتى تتحلل
فتفق مهدي وجفنى وعبرنى * ومدترق صبرى وقابى الملبل
ومؤلف شجوى ووجدى ولوعى * ومختلف حظى وما منك أمل
خذ الوجد عنى مسندا ومعنا * فغبرى موضوع الهوى يتجبل
وذى نبد من ميم الحب قاعتير * وغامضه ان رمت شرطا أحول
عزيز بكم صب ذليل لغيركم * ومشهورا ووصاف الحب التذال
غريب يقامى البعد عنك وماله * وحق الهوى عن داره متحول
فرقا بقطوع الوسائل ماله * اليك سبيل لا ولا عنك معدل
فلازلت فى عز منيع ورفعة * ومازلت تملو بالتجنى فانزل
أورى ببعدي والرباب وزينب * وأنت الذى نعى وأنت المؤمل
نفسى ذأولا من آخر ثم أولا * من النصف منه فهو فيه مكمل
أبر اذا أقسمت انى بحبى * أهيم وقابى بالصباية يشعل

وقد ذكرته شرحها في الجزء الثلاثين من تذكري انتهى كلام الصفي وظاهر كلامه انه ابن فرح بفتح الراء والذي تلقيناه عن شيوخنا انه يسكون الراء وقد شرح هذه القصيدة جماعة من أهل المشرق والمغرب يطول تعدادهم وهي واحد هادالة على تمكن الرجل رحمه الله تعالى * (ومنهم عبد العزيز بن عبد الملك بن نصر أبو الاصبيغ الأموي الأندلسي سمع بكه توب دمشق ومصر وغيرها وحدث عن سليمان بن أحمد بن يحيى بسنده إلى جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لكل بني أبي عصبية ينتون إليهما الولد فاطمة فأنا وليهم وأبا عصبية وهم عترتي خلقوا من طينتي ويلي لهم كذابين بفضلهم من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله وحدث عن أبي العباس أحمد بن محمد البرذعي بسنده إلى عبد الله بن المبارك قال كنت عند مالك بن أنس وهو يحدث ثمانية عشرين سنة عشرة مرة ومالك يتغير لونه ويتصبر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس عنه قلت له يا أبا عبد الله قد رأيت منك عجبا قال نعم أنا صبرت إجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولداً أبو الاصبيغ المذكور بقرطبة وتوفي ببخارى سنة ٣٦٥ قال الحافظكم أبو عبد الله رأيت أبا الاصبيغ في المنام في بستان فيه خضرة ومياه جارية وفرش كثيرة وكافى أقول انه له فقلت يا أبا الاصبيغ بماذا وصلت إليه أبا الحديث فقال أي والله وهل نجوت إلا بالحديث قال ورأيت أيضاً وهو يحيى بن زكريا حسن ما يكون فقلت أنت أبو الاصبيغ فقال نعم قلت ادع الله تعالى أن يجعلني وإياك في الجنة فقال إن أمام الجنة أهو الأثر رفع يديه وقال اللهم اجعله معي في الجنة بعد عمر طويل انتهى * (ومنهم القاضي أبو البقاء خالد البلوي الأندلسي رحمه الله تعالى وهو خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي ووصفه الشاطبي بأنه الشيخ الفقيه القاضي العدل انتهى وهو صاحب الرحلة المسماة تاج المشرق في تجلية أهل المشرق ومما أنشده رحمه الله تعالى فيها نفسه

ولقد جرى يوم النوى دمي دما * حتى أشاع الناس أنك فانه

والله إن عاد الزمان بقـربنا * لكففت عن ذكر النوى وكفاني

وهذه الرحلة المسماة تاج المشرق مشحونة بالفوائد والفرائد وفيها من العلوم والآداب ما لا يتجاوز الرائد وقد قال رحمه الله تعالى فيها في ترجمة الولي نجم الدين الجبازي رضي الله تعالى عنه ما نصه وذكر لي رضي الله تعالى عنه قال مما وصي به الجدا لا كبراً أبو الجباج يوسف المذكور يعني سيدي أبا الجباج يوسف بن عبد الرحيم الأقصري القطب الغوث رضي الله تعالى عنه وأعاد علينا من بركاته وخواصه وأصدقائه قال إذا أدركتم الضرورة والفاقة فقولوا حسبي الله ربي الله يعلم اني في ضيق قال وذكر لي أيضاً رضي الله تعالى عنه قال رأى هذا الجد يوسف المذكور النبي صلى الله عليه وسلم في النوم بعد أن سأل الله تعالى ذلك وقد كان أصابته فاقة فشكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا رب يا رحيم يا رحيم الطف بي في قضائك ولا تقول أمري أحداً سواك حتى ألقاك فلما قالها أذهب الله تعالى عنه فاقته قال وكان رحمه الله تعالى يومئذ به أصحابه

وأحبابه انتهى ونسب بعضهم القاضي خالد المذكوري الى اتحال كمال العماد في البرق
الشامى لان خالداً أكثر في رحلته من الاسجاع التي للعماد فلذا قال لسان الدين بن الخطيب
فيه

تحليل ان يقض اجتماع بخالد * فقوله قول اولن نعد والحقا
سرق العماد الاصهباني برقه * وكيف ترى في شاعر سرق البرقا
وأظن أن لسان الدين كان منصرفاً عنه ولذلك قال في كتابه خطرة الطيف ورحله
الستاء والصيف عندما جرى ذكر فتوريه وقاضيه خالد المذكوري ما صورته لم يختلف ولد
عن والد وركب قاضيه ابن أبي خالد وقد شهرته النزعة الجبازية ولبس من خشن
الجبازية وأرخى من البياض طيلساناً وتشبه بالمشاركة شكلاً ولساناً والبداوة
تسمه على الخرطوم وطبع الماء والهواء يقوده قود الجبل المخطوم انتهى ومن نظم أبي
البقاء خالد البلوى المذكور قوله

أنى العبد واعتاد الاحبة بعضهم * ببعض وأحباب المتيم قد بانوا
وأضحي وقد ضموا بقربانهم وما * لديه سوى حرام المدامع قربان
وقال في رحلته انه قال هذين البيتين بديهة على تونس في عيد النصر من سنة سبع وثلاثين
وسبعمائة ومن نظمها أيضاً قوله رحمه الله تعالى

ومستكرشي وما ذهب الصبا * ولا جف ابتاع الشبيبة من غصفي
فقلت فراقى للاحبة مؤذن * بشيبي وان كنت ابن عشرين من سفي
ومحاسنه رحمه الله تعالى كثيرة وفي الرحلة منها جلة * (ومنهم بزهان الدين أبو
اسحق بن الحاج ابراهيم النجيري الغرناطي وهو أيضاً مذكور في ترجمة ابن الخطيب بما يقف
عن تكرير اسمه هنا وقال رحمه الله تعالى في رحلته أخبرني شيخنا في الشيخ الامام
الصالح أبا عبد الله محمد المروفي بخليل التورزي امام المالكية بالحرم الشريف روى
الله تعالى عنه قال اعتكفت بجامع عمرو بن العاص كفا لشرقي عن الناس خصوصاً اذى
الغيبة فخرجت من ليلة أردت أن أدعو لطائفة من أصحابي بمطاب مختلفة كل بحسب طفي
فيه يومئذ فأدركتني حيرة في التمييز والتخصيص فألهمت أن قلت بديهة

شهدنا بتقصير البائنا * لحسن اختيارك لأولى بنا
وأنت البصير بأعدائنا * وأنت البصير بأحبابنا
قال ثم أردفتها بدعاء وهو اللهم يا من لا يعلم خيرة الا هو أنت أعلم بأعدائنا وأوتانا فانهل
بكل منهم ما يناسب حسن اختيارك لنا حسبما علمته مني وكفى بك علماً وكفى بك قدراً
وكفى بك بصيراً وكفى بك لطيفاً وكفى بك خبيراً وكفى بك نصيراً وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً كثيراً * وقال ابن الحاج المذكور
في الرحلة المذكورة اذا التقى الرجل بعدوه وهو على خوف منه فليقرأ هذه الحروف
كهي بعض جمسق وليعقد بكل حرف منها اصبعاً يداً بابه عام يده اليمنى ويختم بابهام يده
اليسرى فاذا قرب من عدوه فليقرأ في نفسه سورة الفيل فاذا وصل الى قوله ترميهم

فليكثر رهاوكما كثرها فتح اصبعها من أصابعه المعقودة فجاء العدو فبكر رها عشر مرات
ويفتح جميع أصابعه فإذا فعل ذلك أمن من شره إن شاء الله تعالى وهو عجرب انتهى
ومن يديع نظم أبي اسحق بن الحاج النبري المذكور قوله

يا رب كاس لم يسع شمولها • فأعجب لها جسمها بغير مزاج
لما رأينا السحر من أشكالها • جسمنا لنسبنا إلى الزجاج
وله فيما أظن

له شفة أضاعوا التشر فيها • بلتم حين سدت ثغري بدي
فما أنهي لقلبي ما أضاعوا • ليوم كريمة وسداد ثغر
وهو تميمي حسن • (ومن الراجلين من الأندلس إلى المشرق امام النخاسة أثير الدين
أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النقي الأثرى الغرناطي قال ابن
مرزوق الخطيب في حقه هو شيخ النخاسة بالديار المصرية وشيخ المحدثين بالمدرسة
المنصورية انتهت إليه رئاسة التبريز في علم العربية واللغة والحديث سمعت عليه وقرأت
وأشددني الكثير وإذا أنشدني شيئا لم أقبله استماعه مني فلم أحفظه وأنشدني وكنت
أظنه لنفسه ارتجى لا إلى أن أخبرني أحدا صحبا بنا عنه أنه أخبره أنهم لا يابى الحسن التجاني
أنشدهما له بيته بالمدرسة الصالحية رجه الله تعالى

إن الذي يروي ولكنه • يحفظ ما يروي ولا يكتب
كصخرة تتبع أمواجهها • تسقى الاراضي وهي لا تشرب

قال ورويت عنه تاليف ابن أبي الاحوص منها التبيان في أحكام القرآن والمغرب
المفهم في شرح مسلم ولم أقف عليه والوسامه في أحكام القسامه والمشرع السلسل
في الحديث السلسل وغير ذلك وحديثي بسنن أبي داود عن ابن خطيب المزه عن أبي
حفص بن طبرزد عن أبي البدر الكروخي ومفلح الرومي عن أبي بكر بن ثابت الخطيب
عن أبي عمر الهاشمي عن الولوي عن أبي داود وسنن النسائي عن جماعة عن ابن
باز عن أبي زرعة عن أبي حميد الدوسي عن أبي نصر الكسار عن ابن السقي عن
النسائي وبالوطاع عن أبي جعفر بن الطباع بسنده وشكوت إليه يوما ما يلقاه الغريب
من اذابة العداة فأنشدني نفسه

عدائي لهم فضل على • ومنه • فلا أذهب الرحمن عنى الاعاديا
هم يمشون عن زلتى فاجتنبها • وهم نافسوني فاكسبت المعاليا
وأنشدني أيضا من مداعباته وله في ذلك النظم الكثير مع طهارته وفضله
علقته سجي اللون قاحله • ما يبيض منه سوى ثغري حكي الدررا
قد صاغه من سواد العين خالقه • فكل عين إليه تدمن النظرا
وأنشدني في جاهل ليس صوفا وزهى فيه

أيا كاسيا من جيد المصوف نفسه • وباعاريا من كل فضل ومن كيس
أترهى بصوف وهو بالامس مصبح • على نجة واليوم أمسى على تيس

قوله فلم أحفظه هكذا في النسخ
ولعله محرف والاصل حتى
أحفظه أولا حفظه أو نحو ذلك
تأمل راہ مصححہ

اتمى ما اختصرته من كلام الخطيب بن مرزوق وأنشد الرحالة ابن جابر الوادى آتى
لابي حيان قوله

وقصر آمالى ما لى الى الردى * وانى وان طال المدى سوف أهلك
فصنعت بجاء الوجه نفسا آية * وجادت يمينى بالذى كنت أملك

ووقفت على أعيان العصر وأعوان النصر للصفدى فوجدت فيه ترجمة أبي حيان
واسعة فرأيت أن أذكرها بطولها لما فيها من الفوائد وهى الشيخ الامام العالم العلامة
القريد الكامل حجة العرب مالك أزقة الادب أثير الدين أبو حيان الاندلسى الجياني
بالجسيم والياء آخر الحروف مشددة وبعد الاف نون كان أمير المؤمنين فى النحو والشمس
السافرة شتاء فى اليوم الصحو والمتصرف فى هذا العلم قاله الاثبات والنحو لو عاصر أئمة
البصرة لبصرهم أو أهل الكوفة لكف عنهم اتباعهم السواد وحذرهم نزل منه
كتاب سيبويه فى وطنه بعد أن كان طريدا وأصبح به التسهيل بعد تعقيد مفيدا وجعل
سرحه شرحه جنة راقى النواظر نوريدا ملاح الزمان تصانيف وآمال عنق الايام
بالتأليف تخرج به أئمة فى هذا الفن وروى عنهم فى عصره منه سلافة الدن فلوراء
يونس بن حبيب لكان بغيا غير محجب أو عيسى بن عمر لا صبح من تقصيره وهو محذوب
أو الخليل لكان بعينه قذا أو سيبويه لما ترقى من مسئلة الزبورية برداء أو الكسائى
لأعراهم سلة تجاهه عند الرشيد وانا سة أو الفراء لفز منه ولم يفتسم ولدا المأمون تقديم
مداسه أو الزيدى لما ظهر نقصه من مكانه أو الاخفش لاخفى جله من محاسنه
أو أبو عبيدة لما تركه بنصب لشعب الشعوية أو أبو عمرو لشغله بتحقيق اسمه دون
التعلق بعريبه أو السكرى لما راق كلامه فى المعاني ولاحلا أو المازنى لما زانه قوله
ان مصابكم رجلا أو قطرب لما دب فى العربية ولا درج أو ثعلب لاستكن بكم فى وكره
ولما خرج أو المبرد لا صحت كواه مفتره أو الزجاج لامست قواريره مكسره أو ابن
الوزان لمدى نقده أو الثمانينى لما تجاوز حده أو ابن باب اعلم أن قبلسه ما طرد
أو ابن دريد ما بلغ ريقه ولا ازدرد أو ابن قتيبة لا ضاع رحله أو ابن السراج لمشى اذ
رأى وحله أو ابن الخشاب لا ضرم فيه نارا ولم يجده معه نورا أو ابن الخباز لما سجر له
تنورا أو ابن القوام لما أغرق فى نزع أو ابن يعيش لا وقعته فى نزع أو ابن خروف
لما وجد له مرعى أو ابن اياز لما وجد لا وازه وقعا أو ابن الطراوة لم يكن نحوه طريا
أو الدباج لكان من حلتته الرائعة عسريا وعلى الجملة فكان امام النهضة فى عصره شرقا
وغربا وفريد هذا الفن الفذ بعدا وقربا وفيه قلت

سلطان علم النحو استاذنا الشيخ اثير الدين حبيب الانام

فلا تنقل زيد وعمر وفا * فى النحو معه اسواء كلام

خدم هذا العلم مدة تقارب الثمانين وسلك من غرائبه وغوامضه طرقا متشعبة الا فاني
ولم يزل على حاله الى أن دخل فى خبر كان وتبدلت حركاته بالاسكان ووفى رحمه الله تعالى
بمنزله خارج باب البحر بالقاهرة فى يوم السبت بعد العصر الثامن والعشرين من صفر سنة

خمس وأربعين وسبعمائة ودفن من الغد بمقبرة الصوفية خارج باب النصر وصلى عليه
بالجامع الاموي بدمشق صلاة الغائب في شهر ربيع الآخر ومولده بمدينة مطخنة شارش
في آخر يات شوال سنة أربع وخمسين وسبعمائة وقلت أنا أثره رحمه الله تعالى

مات أثر الدين شيخ الوري • فاستعر البارقي واستعبرا
ورق من حزن نسيم الصبا • واعتل في الاسفار لما يرى
ومساحات الايك في نوحها • رثته في السبع على حرف را
يا عين جودي بالدموع التي • يروي بها ماضيه من ترى
واجري دما فاططب في شأنه • قد اقضى أكثر عما جرى
مات امام مكان في قته • يرى اماما والوري من ورا
أسمى منادى للبلى مفودا • فضمه القبر على ما ترى
يا أسفا كان هدى ظاهرا • فعاد في تربته مضجعا
وكان جمع الفضل في عصره • صح فلما أن قضى كسرا
وعزف الفضل به برهة • والا أن لما أن مضى نكرا
وكان ممنوعا من الصرف لا • يطرق من واقاه خطب عرا
لا أفعل التفضيل ما بينه • وبين من أعرفه في الوري
لا بدل عن نعته بالتسقي • ففعله مكان له مصدرا
لم يدغم في اللحن الا وقد • فك من الصبر وثيق العبري
بكي له زيد وعمرو فحين • أمثلة النحر وعن قبرا
ما أعقد التسهيل من بعده • فككم له من عشرة يسرا
وجسر الناس على خوضه • اذ كان في النحر قد استجيرا
من بعده قد حال تعبزه • وحظه قد رجع القهقري
شارك من قد ساد في قته • وكم له فن به استأثرا
دأب بني الآداب أن يغسلوا • بدمعهم فيه بشايا الكرا
والنحو قد سار الردي نحو • والعرف للتصريف قد غيرا
واللغة القصبي غدت بعده • يلغى الذي في ضبطها قررا
تفسيره البحر المحيط الذي • يهدي الى وراده الجوهر
فوائد من فضله جمة • عليه فيها نعت قد انحصرا
وكان ثباته له حجة • مثل ضياء الصبح ان أسفرا
ورحمته في سنة المصطفى • أصدق من يسمع ان أخيرا
له الاسانيد التي قد علت • فاستقلت عنها سوى الذرا
ساوى بها الاحفاد اجدادهم • فاعجبه لماض قاته من طرا
وشاعرا في نظمهم مقلقا • ككم حرر اللفظ وكم حبرا
لها معان ككلماتها • تستر ما يرقم في تسعرا

أفديه من ماض لا امر الردى • مستقبلا من ربه بالقرى
مابات في أبيض أكفانه • الاوأضي سندسا أخضرا
تصافح الحور له راحية • كم تعبت في كل ماسطرا
ان مات فالذكرك له جالد • يحياه من قبيل أن يشررا
جاد ترى واقاء غيث اذا • مساه بالسقى له بركرا
ونصه من ربه رحمة • فورده في حشره الكونرا

وكان قد قرأ القراآت على الخطيب أبي محمد عبد الحق بن علي بن عبد الله نحو من عشرين
خمة افراد اوجعها ثم على الخطيب الحافظ أبي جعفر أحمد الغرناطي المعروف بالطباع
بغرناطة ثم قرأ السبعة الى آخر سورة الحجر على الخطيب الحافظ أبي علي الحسين بن عبد
العزیز بن محمد بن أبي الاحوص بمالقة ثم انه قدم مصر فقرأ بها القراآت على أبي الطاهر اسمعيل بن
الناصر بن علي بن يحيى المربوطي ثم قدم مصر فقرأ بها القراآت على أبي الطاهر اسمعيل بن
هبة الله المليحي وسمع الكثير على الجلم الغفر بجيزة الاندلس وبلاد افريقية والاسكندرية
وديار مصر والجزائر وحصل الاجازات من الشام والعراق وغير ذلك واجتهد في طلب
التحصیل والتقييد والكتابة ولم أرفى أشياخي أكثر اشتغالا منه لاني لم أراه قط الا بسمع أو
يشغل أو يكتب ولم أراه على غير ذلك وله اقبال على الطلبة الاذ كما وعنده تعظيم لهم وتظم
ونثر وله الموشحات البديعة وهو ثبت فيما ينقل له محروما بقوله عارف باللغة ضابط لافاظها
وأما النحو والصرف فهو امام الناس كلهم فيهم الم يذكروا معه في أقطار الارض غيره
في حياته وله اليد الطولى في التفسير والحديث والذمروط والفروع وتراجم الناس وطبقاتهم
وجوادتهم خصوصاً المغاربة وتقييد أسمائهم على ما يلفظون به من امالة وترقيق وتخميم
لانهم يجاورون بلاد الافرنج وأسمائهم قرية من لغاتهم وألقابهم كذلك وقيد وحزرة
وسأله شيخنا الذهبي أسئلة فيما يتعلق بذلك وأجاب عنها وله التصانيف التي سارت وطارت
وانتشرت وما انتشرت وقرئت ودريت ونسخت وما فسخت أنزلت كتب الاقدمين
وأهل المقامين بمصر والقادمين وقرأ الناس عليه وصاروا أئمة وأشياخا في حياته وهو
الذي جسر الناس على مصنفات ابن مالك رحمه الله تعالى ورغبهم في قراءتها وشرح لهم
غامضها وناض بهم بلججها وفتح لهم مقفلها وكان يقول عن مقدمة ابن الحاجب هذه نحو
الفقهاء وكان التزم أن لا يقرى أحد الا ان كان في كتاب سيبويه أو في التسهيل لابن مالك
أو في تصانيفه ولما قدم من بلاده لازم الشيخ بها الدين رحمه الله تعالى كثيرا وأخذ عنه
كتب الادب وكان شيخنا حسن العمة ملبح الوجه ظاهر اللون مشرب الحمرة منور الشبهة
كبير اللحية مسترسل الشعر فيها لو لم تكن كثرة عبارته فصحة بلغة الاندلس يعقد القاف
قريما من الكاف على انه لا ينطق بها في القرآن الا فصحة وسميته يقول ما في هذه البلاد من
يعقد حرف القاف وكانت له خصوصية بالامير سيف الدين أرغون كافل المصالح ببسط
معه ويبيت عنده في قلعة الجبل ولما توفيت ابنته نزار طلع الي السلطان الملك الناصر محمد
وسأل منه أن يدفن بها في بيته داخل القاهرة في البروقية فأذن له في ذلك وكان أولا

يرى رأى الظاهرية ثم انه تذهب للشافعي رضي الله تعالى عنه بحث على الشيخ علم الدين العراقي المحرر للرافعي ومختصر المنهاج للنووي وحفظ المنهاج الايسيرا وقرأ أصول الفقه على أستاذه أبي جعفر بن الزبير بحث عليه من الاشارة للبايجي ومن المستصفي للغزالي وعلى الخطيب أبي الحسن بن فضيلة وعلى الشيخ علم الدين العراقي وعلى الشيخ شمس الدين الاصبهاني وعلى الشيخ علاء الدين البايجي وقرأ أشياء من أصول الدين على شيخه ابن الزبير وقرأ عليه شيئاً من المنطق وقرأ أشياء من المنطق على بدو الدين محمد بن سلطان البغدادي وقرأ عليه شيئاً من الارشاد للعميدى في الخلاف ولكنه برع في النكروا تهت اليه الرئاسة والشيخة فيه وكان خالياً من الفلسفة والاعتزال والتنجيم وكان أولاً يفتقد في الشيخ شمس الدين بن تيمية وامتدحه بقصيدة ثم انه انصرف عنه لما وقف على كتاب العرش له قال القاضي كمال الدين الادفوي ويجري على مذهب كثير من النكرويين في تعصبه للإمام علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه التعصب المتسبين قال حكى لي انه قال لقاضي القضاة بدو الدين بن جماعة ان علياً رضي الله تعالى عنه عهد اليه النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يحبك الا مؤمن ولا يعضدك الا منافق اترام ما صدق في هذا فقال صدق قال فقلت له قالين سلوا السيوف في وجهه يعضونه أو يحرقونه وغير ذلك قال وكان يسيئ الظن بالناس كافة فاذا نقل له عن أحد خبر لا يتكيف به ويتثنى عنه حتى عن هو عنده مجروح فيقع في ذم من هو بئسنة العالم مدوح وبسبب ذلك وقع في نفس جمع كبير منه ألم كثير انتهى قلت أنا لم أسمع منه في حق أحد من الاحياء والاموات الا خيراً وما كنت أنقم عليه شيئاً الا ما كان يلغني عنه من الخط على الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد على أنني أنا ما سمعت في حقه شيئاً ثم قال لا يثق بهؤلاء الذين يدعون الصلاح حتى قلت له يوماً يا سيدي فكيف تعمل في الشيخ أبي مدين فقال هو رجل مسلم دين والاما ما كان يطير في الهواء ولا يصلي الصلوات الخمس في مكة كما يدعي فيه هؤلاء الاغمار وكان فيه رحمه الله تعالى خشوع يهكي اذا سمع القرآن ويجري دمه عند سماع الاشعار الغزلية وقال كمال الدين المذكور قال لي اذا قرأت اشعار العشق أميل اليها وكذلك اشعار الشجاعة تستميلني وغيرهما الا اشعار الكرم ما تؤثر في انتهى قلت كان يفتخر بالبخل كما يفتخر غيره بالكرم وكان يقول لي أو عليك احفظ دراهمك ويقال عليك بخيل ولا تخرج الى السفل وأنشدني من لفظه لنفسه

رجاؤك فلسا قد غدا في حياتي • قني مصارجا للنتاج من العقم

أأتعب في تحصيلة وأضيعه • اذن كنت معتماضاً من البر بالسقم

قلت والذي أراه فيه انه طال عمره وتغرب وورد البلاد ولا شيء معه وتعب حتى حصل المناصب تعباً كثيراً وكان قد جرب الناس وحلب أشطر الدهر ومترت به حوادث فاستعمل الحزم وسمعته غير مرة يقول يكفي الفقير في مصر أربعة أفلس يشتري له بائنة بفلسين وبفلس زيبا وبفلس كوزما ويشترى ثاني يوم ليومنا بفلس يأكل به الخبز وكان يعيب عليّ مشتري الكتب ويقول الله يرزق عقالا تعيش به أنا أي كتاب أردته

استعرت من خرائن الاوقاف واذا أردت من أحد أن يعبرني دراهم ما أجد ذلك وأنشدني
له اجازة

ان الدراهم والنساء كلاهما * لاتأمن عليهما انسانا
يفزعن ذاللب المتين عن التقى * فترى اساءة فعله احسانا
وأنشدني له من أبيات

أني بشقيع ليس يمكن رده * دراهم يبض للجروح مراهم
تصير صعب الامر أهون ما يرى * وتقضي لبانات الفتى وهوناً
ومن حزمه قوله عدائي لهم فصل البيتين وقد مدحه كثير من الشعراء والكتاب الفضلاء
فهم القاضي يحيى الدين بن عبد الظاهر بقوله

قد قلت لما أن سمعت مباحنا * في الذات قررها أجل مفيد
هذا أبو حيان قلت صدقت * وبررت هذا هو التوحيد
وكان قد جاء يوماً إلى بيت الشيخ صدر الدين بن الوكيل فلم يجده فكتب بالخص على مصراع
الباب فلما رأى ابن الوكيل ذلك قال

قالوا أبو حيان غير مدافع * ملك النجاة فقلت بالاجاع

اسم الملول على النقود واتى * شاهدت كنيته على المصراع

ومدحه شرف الدين بن الوحيد بقصيدة مطولة أولها

اليس لك أبا حيان أعملت أنيق * وملت إلى حيث الر كائب تلتقي

دعاني اليك الفضل فأنقذت طائعا * وليت أحدها بلفظي المصدق

ومدحه نجم الدين اسحق بن المي التركي وسأله تكمله شرح التسهيل وأرسلها اليه من
دمشق وأولها

تبدى فقلنا وجهه فلق الصبح * وكمله باليمن فيه وبالنبح

وسهلت تسهيل الفوائد محسنا * فكن شارحاً صدرى بشكمله الشرح

ومدحه مجير الدين عمر بن الملبطى بقصيدة أولها

يا شيخ أهل الادب الباهر * من ناظم يلقي ومن نائر

ومدحه نجم الدين يحيى الاسكندري بقصيدة أولها

ضيف ألم بنا من أبرع الناس * لاناقض عهد أيامي ولاناسي

عار من الكبر والادناس ذوشرف * لكنه من سرايل العلا كاسي

ومدحه نجم الدين الطوفي بقصيدتين أول الأولى

أتراه بعد هجران يصل * ويرى في ثوب وصل مبتذل

فجر جاعلي أحلامنا * اذ نولها بقدمعتدل

وأول الثانية

اعذروه فكير من عذر * قرته ذات وجهه كالقمر

ومدحه بهاء الدين محمد بن شهاب الدين الخيمي بقصيدة أولها

ان الاثر بأحيانا أحيانا * ينشره على علم مات أحيانا

ومدحه القاضي ناصر الدين شافع بقصيدة أولها

فضضت عن العذب الفير ختامها * وفتحت عن زهر الرياض كمامها

ومدحه جماعة آخرون يطول ذكرهم وكتبت أنا اليه من الرحبة سنة ٧٢٩

لو كنت أملك من دهرى جناحين * لطرت لكنه فيكم جنى حيفى

ياسادة نلت في مصر بهسم شرقا * أرقى به شرقا ينأى عن العين

وان يرى لسما كيوان ذكر علا * أعلنى فضلهم فوق السما كين

وليس غيبير أثر الدين آثله * فساد ماشادلى حقا بلامين

حبر ولو قلت ان الباء رتبها * من قبل صدقك الاقوام في ذين

أحياء لو ما أمات الدهر أكثرها * مدجلدت خلدت ما بين دفين

يا واحد العصر ما قولى بتمهم * ولا أحاشى امرأ بين الفريقين

هذى العلوم بدت من سيبويه كما * قالوا وفيك انتهت يا ثانيا ثمين

قدم لها وبودى لو اكون فدى * لما ينالك في الايام من شين

ياسيبويه الورى في الدهر لا عجب * اذا الخليل غدا يقديك بالعين

يقبل الارض وينهى ما دوعليه من الاشواق التي برحت بألمها وأجرت الدموع دما

وهذا الطرس الاحر يشهد بدمها وأريت سحبا على السحاب وأين دوام هذه من دعيها

وفترقت الاوصال على السقم لوجود عدمها

فيا شوق ما أبقي وبالى من النوى * ويادمع ما أجرى ويا قلب ما أصبا

ويذكر ولاء الذى تسجع به في الارض الجاتم ويسير تحت لواته مسير الرياح بين الغمام

وشاء الذى يتضوع كالزهر بين الكاتم ويتسم تسنم همامات الربا اذا البست من الربيع

ماويات العمام ويشهد الله على ما قد قلته والله سبحانه نعم الشهيد فكتبه والجواب

عن ذلك ولكنه عدم منى وأنشدته يوم النفسى

قلت للكاتب الذى ما أراه * قط الا ونقط الدمع شكله

ان تخط الدموع في الخط شيا * ما يسمى فقال خط ابن مقله

وأنشدنى هو من افظه لنفسه

سبق الدمع بالمسير المطايا * اذنوى من أحب عنى نقله

وأجاد الخطوط في صفحة الخلد ولم لا يجيد وهو ابن مقله

وأنشدنى في ملج نوتى

كلفت بنوتى كان قوامه * اذا يتنى خوط من البان ناعم

محاذفه في كل قلب مجاذب * وهزانه للعاشقين هزائم

وأنشدته أنا النفسى

ان نوتى مركب فحين فيه * هام فيه صب الفؤاد جريحه

أقلع القلب عن سلوى لما * أن بدا تغمره وقد طاب ربحه

وأنشدته لنفسى أيضا

توتينا حسنة بديع • وفيه بدر السماء مغرى

ما حكر الاوقلا • ياليت أنا شريك برّا

فأعجباه رجه الله تعالى وزهره لهما وأنشدنى هو لنفسه فى ملج أحذب

تعتقته أحديا كيسا • يحاكى تحببا حنين النعام

إذا كدت أسقط من فوقه • تملقت من ظهوره بالسنام

فأنشدته لنفسى

وأحذب رحت به مغرما • اذ لم تشاهد منى له عيني

لا غروا ن همام فؤادى به • وخصره ما بين دفين

وأنشدنى من لفظه لنفسه فى أعمى

ماضى حسن الذى أهواه أنسى • كرىميه بلاشين قد احتجبا

قد كاتازهم روى روض وقد دذوتا • لكن حسنهما الفتان مازهبيا

كأسيف قد زال عنه صقله فعدا • أنكى وآلم فى قلب الذى ضربا

وأنشدته لنفسى فى ذلك

ورب أعمى وجهه روضة • تنزهى فيها كبر الديون

فى خدته ورد غينابه • عن زجر من ما قخته العيون

وأنشدته أيضا لنفسى فى ذلك

فما حسن أعمى لم يحف حد طرفه • محب غدا سكران فيه وما حبا

إذا صمد دخل بات برعى خمدوده • غدا آمان من مقتنيه الجوارح

وكتبت اليه استدعاء وهو المسئول من احسان سيدنا الامام العالم العلامة لسان العرب
ترجمان الادب جامع الفضائل عمدة وسائل السائل حجة المقلدين زين المقادير
قلب المؤمنين افضل الآسرين وارث علوم الاولين صاحب البدر الطولى فى كل
مكان ضيق والتصانيف التى تأخذ بجامع القلب فكل ذى لب اليها شيق والمباحث التى
أنارت الادلة الراجحة من مكان أما كهها وقصصت أوابدها الجاحجة من مواطن موطنها
كشاف معضلات الاوائل سباق غايات قصر عن شأوها سحبا وائل فارغ هضبات
البلاغة فى اجتلاء اجتهادها وهى فى مرقى مرقدها سالب تيجان القصاص فى اقتصاص
اقتضابها من فوق فرقدها حتى أبرز كلامه جنان فضل جنان من بعده عن الدخول
اليها جبان وأتى ببراهين وجوه حورها لم يطمئن أنس قبله ولا جان وأبدع خاتل نظم ونثر
لاتصل الى أفنان فنونهم لا يدجان أثير الدين أبى حيان لا زال ميت العلم يحياه وهل عجب
ذلك من أبى حيان

حتى ينال بنو العلوم مرامهم • ويحلهم دار المنى بأمان

اجازة كاتب هذه الاحرف مارواه فسخ الله تعالى فى مدته من المسامحة والمصنفات والسنن
والجواميع الحديثية والتصانيف الادبية نظما ونثرا الى غير ذلك من أصناف العلوم على

قوله توتينا الخ البيتان من

مطلع البسيط وينظر فى وزن

الشرط الاول من البيت الثانى

المتحججه

اختلاف أوضاعها وتباين أجناسها وأنواعها مما تلقاه بلاد الاندلس وإفريقية
والأندلس كندرية والديار المصرية والبلاد الخجازية وغيرها من البلدان بقراءة أو سماع
أو مناولة أو إجازة خاصة أو عامة كيفية تأدي ذلك إليه وإجازة ماله أدام الله إفادته من
التصانيف في تفسير القرآن العظيم والعلوم الحديثة والادبية وغيرها وماله من نظم ونثر
إجازة خاصة وأن ثبت بخطه تصانيفه إلى حين هذا التاريخ وأن يحيزه إجازة عامة لما يتجدد
له من بعد ذلك على رأي من يراه فيجوز من منعمات فضل الله تعالى فكتب الجواب رحمه
الله تعالى أعز الله ظفرك بأنسان جميلاً فقاليت وأبديت من الاحسان عزلاً ومبايعة
وصفت من هو القتام يظنه الناس سماء والسراب يحسبه الألمان ماء يا ابن الكرام
وأنت أبصر من يشيم أفع الروض الفضي يري الهشيم أما أغنتك فضائك وفواضلك
ومعارفك وعوارفك عن نغمة من دأماً وترية من همما لقد تبليت المهارق من نور
صفحاتك وتأزجت الأكوام من أريج نفحاتك ولأنت أعرف من يقسمه لادرايه
وأنت من يعتمد عليه في الرواية لكنك أردت أن تسكن من معارفك وتتفضل من تالذك
وطارفك وتجعل التامل في منصة انبأه وتتقدم من لكن الفهاهه فتشيد لادرا
وتعلي له قدراً ولم يكنه إلا اسعافك فيما طلبت وإجابتك فيما ألبته نيت فان المالك
لا يعصى والمتفضل المحسب لا يتهمى وقد أجزت لك أيدك الله تعالى جميع ما رويته عن
أشياخي جزيرة الاندلس وبلاد إفريقية وديار مصر والخجاز وغيرها ذلك بقراءة أو سماع
أو مناولة وإجازة بمشافهة وكفاية ووجادة وجميع ما أجيز لي أن أروي به بالشام والعراق
وغير ذلك وجميع ما صنفته واختصرته وجمعت به وأنشأته نظمها ونثرها بجميع ما سألت
في هذا الاستدعاء من مروياتي الكتاب العزيز قرأتها بقراءة السبعة على جماعة من أعلامهم
الشيخ المسند المعمر نضر الدين أبو الطاهر اسمعيل بن هبة الله بن علي بن هبة الله المصري
المالجي آخر من روى القرآن بالتلاوة على أبي الجود والكتب الستة والموطأ ومسنده عبد
ابن حميد ومسنده الدارمي ومسنده الشافعي ومسنده الطيالسي والمجمع الكبير
للطبراني والمجمع الصغير وسنن الدارقطني وغير ذلك وأما الأجزاء فكثيرة جداً
ومن كتب النحو والآداب فأروى بالقراءة كتاب سيبويه والإيضاح والتكملة
والمفصل وجمال الزجاجة وغير ذلك والأشعار الستة والجماسة وديوان حبيب والمتنبي
والمعري وأما شيوخ الذين رويت عنهم بالسماع أو القراءة فهم كثير وأذكر
الآن منهم جماعة فمنهم القاضي أبو علي الحسن بن عبد العزيز بن أبي الاحوص
القرشي والمقرئ أبو جعفر أحمد بن سعيد بن أحمد بن بشير الانصاري واسحق بن
عبد الرحيم بن محمد بن عبد الملك بن درباس وأبو بكر بن عباس بن يحيى بن غريب
القواس البغدادي ومضى الدين الحسين بن أبي منصور بن ظافر الخزرجي وأبو الحسين
محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع الشافعي ووجيه الدين محمد بن عبد الرحمن بن أحمد
الازدي بن الدهان وقطب الدين محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن القيسطاني ورضي
الدين محمد بن علي بن يوسف الانصاري الشافعي اللغوي ونقيب الدين محمد بن

أحمد بن محمد بن المؤيد الهمداني • ومكي بن محمد بن أبي القاسم بن حامد الأصماني •
 الهفار • ومحمد بن عمر بن محمد بن علي • السعدي • الضري بن القارص • وزين الدين أبو بكر
 محمد بن اسمعيل بن عبد الله الانطاقي • ومحمد بن إبراهيم بن ترحم بن حازم المازني • ومحمد بن
 الحسين بن الحسن بن إبراهيم الدارمي • بن الخليلي • ومحمد بن عبد المنعم بن محمد بن يوسف
 الانصاري • بن الخمي • ومحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر العنسي • عرف بابن التين • وعبد الله
 ابن محمد بن هرون بن عبد العزيز الطائي • القرطبي • وعبد الله بن نصر الله بن أحمد بن رسلان
 ابن قتيبان بن كامل الخزعي • وعبد الله بن أحمد بن اسمعيل بن إبراهيم بن فارس القيسي •
 وعبد الرحمن بن يوسف بن يحيى بن يوسف بن خطيب المزة • وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن
 عبد الله بن علي • المضري • السكري • وعبد العزيز بن عبد المنعم بن علي • بن نصر بن الصبقل
 الحزاني • وعبد العزيز بن عبد القادر بن اسمعيل القبايلي • الصالح • الككائي • وعبد المعطي
 ابن عبد الكريم بن أبي المكارم بن منبج الخزرجي • وعلي • بن صالح بن أبي علي بن يحيى
 ابن اسمعيل الحبيبي • البهنسي • الجمار • وغاري بن أبي الفضل بن عبد الوهاب الخلاوي
 والفضل بن علي • بن نصر بن عبد الله بن الحسين بن ربيعة الخزرجي • ويوسف بن اسحق
 ابن أبي بكر الطبري • المكي • والبسر بن عبد الله بن محمد بن خلف بن اليسر القشيري
 ومؤنس بنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب بن شادي • وشامية بنت الحافظ أبي علي •
 الحسن بن محمد بن محمد التيمي • وزينب بنت عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي •
 البغدادي • وعن كتبت عنه من مشاهير الأدباء أبو الحكم مالك بن عبد الرحمن بن علي •
 ابن الفرج الملقب • بن المرحل • وأبو الحسن بن حازم بن محمد بن حازم الانصاري •
 القرطاجي • وأبو عبد الله بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الله الهذلي • التطلي • وأبو عبد الله
 محمد بن محمد بن محمد بن زنون الملقب • وأبو عبد الله محمد بن عمر بن جبير الجلياني • العكي •
 الملقب • وأبو الحسين بن يحيى بن عبد العظيم بن يحيى الانصاري • الجزار • وأبو عمرو
 عثمان بن سعيد بن عبد الرحمن بن تولو القرشي • وأبو جعفر عمر بن محمد بن أبي علي •
 الحسن بن المصري • الوراق • وأبو الربيع سليمان بن علي • بن عبد الله بن ياسين الكوي
 التلمساني • وأبو العباس أحمد بن أبي الفتح نصر الله بن باتكين القاهري • وأبو عبد الله
 محمد بن سعيد بن محمد بن حماد بن محسن الصنهاجي • البوصيري • وأبو العباس أحمد بن عبد
 الملك بن عبد المنعم القرزي • وعن أخذت عنه من النخاء أبو الحسن علي • بن محمد بن محمد
 ابن عبد الرحمن الناشي • الابذي • وأبو الحسن علي • بن محمد بن علي • بن يوسف الككائي
 ابن الضائع • وأبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن الزبير الثقفي • وأبو جعفر
 أحمد بن يوسف بن علي • بن يوسف القهري • اللبي • وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد
 ابن نصر الحلبي • بن النحاس • وعن اتيت من الظاهري أبو العباس أحمد بن علي • بن خالص
 الانصاري • الاشيلي • الزاهد • وأبو الفضل محمد بن محمد بن سعدون القهري الشنمري
 وجعله الذين سمعت منهم نحو من أربع مائة شخص وخمسين • وأما الذين أجازوني فعالم كثر
 جدًا من أهل غرناطة ومالقة وسبتة وديار إفريقية وديار مصر والجزائر والعراق والشام

قوله وعبد الرحمن في نسخة

وعبد الرحيم اه

قوله الغيالي في نسخة الغيالي

اه

قوله الحسيني في نسخة الحسيني اه

قوله ابن عبد الله في نسخة ابن

عبد الوهاب

وأمام منفته من ذلك البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم انحف الاديب بما في القرآن
من الغريب كتاب الاسفار المختصر من كتاب الصغار شرح الكتاب سيويه كتاب
التجريد لاحكام سيويه كتاب التذليل والتكميل في شرح التسهيل كتاب
التحليل المختصر من شرح التسهيل كتاب التذكرة كتاب المبدع في التصريف كتاب
الموفور كتاب التقريب كتاب التدريب كتاب غاية الاحسان كتاب النكت
الحسان كتاب الشذا في مسألة كذا كتاب الفضل في أحكام الفصل كتاب اللعة
كتاب الشذرة كتاب الارضاء في الفرق بين الصاد والظاء كتاب عقد اللآلى
كتاب نكت الامالى كتاب النافع في قراءة نافع الاثير في قراءة ابن كثير المورد
الغمر في قراءة أبي عمرو الروض الباسم في قراءة عاصم الميزان الهامر في قراءة ابن
عاصم الرمز في قراءة حمزة تقريب الثاني في قراءة الكسائي غاية المطلوب في قراءة
يعقوب قصيدة البراجلى في قراءة زيد بن علي الوهاج في اختصار المنهاج الانور
الاجلى في اختصار المحلى الحلال الخاليه في أساسيد القرآن العاليه كتاب الاعلام
بأركان الاسلام نثر الزهر ونظم الزهر نظرا الحسي في جواب أسئلة الذهبية فهرسة
سموعاني نوافذ السهر في دماث الشعر تحفة الندس في فحاة الاندلس الايات
الوافيه في علم القافيه جزء في الحديث مشيخة بن أبي المنصور كتاب الادراك
لسان الاثرال زهو الملك في نحو الترك نفع المسك في سيرة الترك كتاب الافعال
في لسان الترك منطق الخرس في لسان الفرس وعالم يكمل تصنيفه كتاب مسائل
الرشد في تجريد مسائل نهاية ابن رشد كتاب منج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك
نهاية الاعراب في على التصريف والاعراب رجز مجاني الهصر في آداب وتواريخ
لاهل العصر خلاصة التبيان في على البديع والبيان رجز نور الغيش في لسان
المبش المخبور في لسان الخمور قاله وكتبه أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف
ابن حيان وأنشدني الشيخ آثير الدين من لفظه لنفسه في صفات الحروف

اناها لمستطيل أعنت * كلما شئت صارت النفس دخوه
أهمس القول وهو يجهر سبي * واذا ما انخفضت أظهم وعلاه
فتح الوصل ثم أطبق هجرا * بصغير والقلب قلقل شجوه
لان دهر اثم اغترى ذال انحراف * وفشا السر مذ تكررت نجوم
وأنشدني أيضا نفسه

يقول لي العذول ولم أطمعه * تسلى فقهيد اللعب لحبه
تخيل أنها شانت حبيبي * وعندى أهازين وحليه
وأنشدني لنفسه أيضا

شوقي لذال المحيا الزاهر الزاهي * شوق شديد وجسمي الواهن الواهي
أسهرت طرقي وولعت القوادهي * فالطرف والقلب مني الساهر الساهي
نبيت قلبي وتنهى أن أبوح بما * يلقاه واشوقه للنائب الناهي

بهـرت كل مليح بالبهاء فـا * في التـسيرين شبيه الباهر الباهي
لهـجت بالحـب لما أن لهـوت به * عن كل شئ فويح الالهـج الالهـي
وأنشدني من لفظه لنفسه

راض حبيبي عارض قد بدا * يا حسنه من عارض راض
وظن قـوم أن قلبي سـلا * والاصل لا يعتد بالعارض
وأنشدني من لفظه لنفسه

تعشقه شيخا كان مشيبه * علي وجنتيه ياسمين علي ورد
أنا العقل يدري ما يراد من الهوى * أمنت عليه من رقيب ومن صد
وقالوا الزرى قسما في شرعة الهوى * اسود اللحي ناس وناس الى المرد
الا اني لو كنت أمـيـر ولا مرد * مـبـوت الى هـيـفاء مائـة الفـد
وسود اللحي أبصرت فيهم مشاركا * فأحييت أن أبقى بأيضهم وحدي
وأنشدني من لفظه لنفسه

الا ان الحماط اقبل بي عواثا * أطن بها هاروت أصبح ناقثا
إذا رام ذو وجد سلوا منعنه * وكن علي دين التصابي بواعثا
وقيدن من أنجي عن الحب مطلقا * وأسرعن للبلوى بمن كان رائثا
بروحى رشام آل خاقان راحل * وان كان ما بين الجوايح لاثا
غدا واحد في الحسن للفض ثانيا * وللبدر والشمس المنيرة ثالثا
وأنشدني لنفسه ومن خطه نقلت

أسكر لتلك العين في القلب أم وحز * ولين لذل الجسم في اللبس أم خز
وأم لود ذل القـد آم أم رغدا * له أبدا في قلب عاشقه هـز
فتاة كساها الحسن أخر حلة * فصار عليها من محاسنها طرز
وأهدى إليها الغصن لين قوامه * فماس كان الغصن خامره العز
يضوع أديم الارض من نشر طيبها * ويخضر من آثارها تربه الجرز
وتحتال في برد الشباب اذا مضت * فينهضها قد ويقعددها عجز
أصاب فتواد الصب منها بظيرة * فلا رقية تجدى المصاب ولا حرز
وأنشدني اجازة في مليح ابرص ومن خطه نقلت

وقالوا الذي قد صرت طوع جاله * ونفسك لاقت في هوا نزاءها
به وضع تاباه نفس أولى النهى * وأقظع داء ما يناني طباءها
فقلت لهم لا عيب فيه يشينه * ولا علة فيه يروم دفاعها
ولكنها شمس الضحى حين قابلت * محاسنه ألت عليه شعاعها
وأنشدني من لفظه لنفسه في فحام

وعلقته مسود عين ووفرة * وثوب يعاني صنعة الفحم عن قصده
كان خطوط الفحم في وجناته * لطاخة مسلك في جنى من الورد

وأنشدني اجازة ومن خطه نقلت
 سأل البدر هل تبدى أخوه * قلت يا بدر ان تطيق طلوعا
 كيف يسعدو وأنت يا بدر باد * أو بدر ان يطلع ان جميعا
 وأنشدني من لفظه لنفسه موشحة عارض بها شمس الدين محمد بن التلمساني
 عاذلي في الالهيف الانس * لورآه الا آن قد عذرا
 وشاقد زانه الحور
 غصن من فرقته قر
 قر من محبه الشعر
 تغرم فيه أم درر
 نجال بين الدر واللعس * خرة من ذاقها سكر
 رجة بالردف أم كسل
 ربة بالغرام عسل
 وردة بالخذ أم نجل
 كحل بالعين أم كل
 يالها من أعين نعم * جلبت لنا طرى مهرا
 مذناى عن مقاتى سى
 ما أذيقا لذة الوسن
 طال ما ألقباء من شجن
 عجا ضدان في بدن
 بفؤادى جذوة القبس * وبعينى الماء متفجرا
 قد أتانى الله بالفرج
 اذ دنا منى أبو الفرج
 قمر قد حل فى المهج
 كيف لا يخشى من الوهج
 غير له وصابه نفسى * ظنه من حره شررا
 نصب العينين لى شركا
 فأتنى والقلب قد ملكا
 قمر أضى له فلكا
 قال لى يوما وقد ضحكا
 أتجى من أرض اندلس * نحو مصر تعشق القمر
 وأما موشحة ابن التلمساني فهي
 قريجى لودجى الغلس * بهر الابصار مذظهورا
 أمن من شينة الكاف

ذبت من حبيبه بالكف
 لم يزل يسعى الى تلقى
 بركاب الدل والصلف
 آه لولا أعين الحرس * نلت منه الوصل مقتدرا
 يا أميرا جار مذ وليا
 كيف لا ترثى لمن يليا
 فبتغر منك قد جليا
 قد حلا طعما وقد حليا
 و بما أوتيت من كيس * جد غنا أبتيت مصطبرا
 بدرتم في الجبال سني
 واهذا لقبوه سني
 قد سباني لذة الوسن
 بمحيا باهر حسن
 هو خشي وهو مقتري * فارو عن أعجوبي خيرا
 لك خد يا أبا الفرج
 زين بالتوريد والضرج
 وحديث عاطر الارج
 كم سبي قلبا بلا حرج
 لوراك الغصن لم يم * أوراك البدر لاستترا
 يا مديا مهجتي كمدا
 فقت في الحسن البدور مدى
 يا كحلا كحل اعقدا
 عجبا أن تبرى الرمددا
 وبسقم الناظرين كسي * جفنتك السحار وانكسرا
 وأنشدني من لفظه لنفسه أيضا
 ان كان ليل داج * وخاتما الاصبح * فنورها الوهاج * يغنى عن المصباح
 سلافة تبدو * كالكوكب الازهر
 من اجها شهد * وعرفها عنبر
 وحبذا الورد * منها وان اسكر
 قلبي بها قد هاج * فباتراني صاح * عن ذلك المنهاج * وعن هوى يا صاح
 وبجرشا أهيف * قد لج في بعدى
 بدر فلا يخسف * منه سني الخيل
 بلظه المرفف * يسطو على الاسد

كسوة الحجاج * في الناس والسفاح * فخا ترى من ناج * من لحظه السفاح
 علل بالمسك * قلب رشاً حور
 منم المسك * ذى مبسم أعطر
 رياه كالمسك * وريقه كور
 غصن على رجراج * طاعت له الأرواح * فخذ الأراج * ان هيت الأرواح
 مهلاً بالقاسم * على أبي حيان
 ما ان له عاصم * من لحظك الفتان
 وهجر لك الدائم * قد طال بالهيمان
 قدمه أمواج * وسره قدباح * لكنه ما عاج * ولا أطاع إلا
 يارب ذي بهتان * يهذل في الراح
 وفي هوى غزلان * دافعت بالراح
 وقلت لا سألوان * عن ذلك يلاح

سبع الوجوه والتاج * هي منية الأفراح * فاخترى يا زجاج * فعال وزوج أقداح
 وأنشدني من لفظه لنفسه القصيدة الدالية التي نظمها في مدح النحر والخليل وسببوه
 ثم خرج منها إلى مديح صاحب غرناطة وغيره من أشياخه وأولها
 هو العلم لا كالعلم شيء تراوده * لقد فاز يا غيه وأفصح قاصده
 وهي قصيدة جيدة تزيد على مائة بيت وحكى لي أن الشيخ أثرا الدين رحمه الله تعالى
 ضعف فتوجه إليه جماعة يعودونه وفيهم شمس الدين بن دانيال فأنشدهم الشيخ
 رحمه الله تعالى القصيدة المذكورة فلما فرغت قال ابن دانيال يا جماعة أخبركم أن الشيخ
 قد عوفي وما بقي عليه بأس لأنه لم يبق عنده فضله قوموا باسم الله وأنشدني من لفظه لنفسه
 رحمه الله تعالى قصيدته السينية التي أولها

أهاجك ربيع حائل الرسم دارسه * كوحى كتاب أضعف الخط دارسه انتهى
 نص الصفدي وما ذكره رحمه الله تعالى في موضع ولادة أبي حيان غير مخالف لما ذكره
 في الوافي أنه ولد بغرناطة إلا أن قوله بمدينة مطبخ شارش فيه نظر لأنه يقتضي أنهم مدينة
 وليس كذلك وإنما هي موضع بغرناطة ولذا قال الرعي " أن مولد أبي حيان بمطبخ شارش
 من غرناطة ونحوه لابن جماعة انتهى وهو صريح في المراد وصاحب البيت أدرى
 بالذي فيه على أنه يمكن أن يرد كلام الصفدي لذلك والله تعالى أعلم وذكر في الوافي أنه
 تولى تدريس التفسير بالقبة المنصورية والاقراء بالجامع الاقر قال الصفدي وقال لي
 لم أر بعد ابن دقيق العيد أفصح من قراءتك وكان ذلك حين قرأت عليه المقامات الحريرية
 بصري جماعة انتهى وما وقع في كلام كثير من أهل المغرب أن أبا حيان توفي سنة ثلاث
 وأربعين وسبعمائة غير ظاهر لأن أهل المشرق أعرف بذلك إذ توفي عندهم وقد تقدم أنه
 توفي سنة خمس وأربعين وسبعمائة فعلى كلام أهل المشرق في هذا المعقول والله أعلم
 وكانت نصارى بنت أبي حيان حجت وسمعت بقراءة العلم البرزالي على بعض الشيوخ وحدث

بشي من مروياتها وحضرت على الدنيا ملي وسعت على جماعة وهي بضم النون وتخفيف
الضاد و آجازها من المغرب أبو جعفر بن الزبير وحفظت مقدمة في النحو ولما توفيت عمل
والدها فيها كتابا سماه انصار في المسئلة عن نزار وكان والدها يثني عليها كثيرا
وكانت تكتب وتقرأ قال المصفي قال لي والدها انها خرجت جزءا لنفسها وانها
تعرب جيدا وأظنه قال لي انها تنظم الشعر وكان يقول دائما ليت أخاها حيان
كان مثلها وتوفيت رجعها الله تعالى في جمادى الآخرة سنة ٧٣٠ في حياة والدها
فوجد عليها وجدا عظيما ولم يثبت وانقطع عند قبرها بالبرقوبة ولازمه سنة وموادها
في جمادى الآخرة سنة ٧٠٢ قال المصفي وكنت بالرحبة لما توفيت فككت
لوالدها بقصيدة أولها

يكينا باليعين على نزار * فسيل الدمع في الخدين باري

فيا لله جارية فوات * فبكيها بأدمعنا البوارى انتهى

وقال الفقيه المحدث أبو عبد الله محمد بن سعيد الرعيثي "الاندلسي" في برناجه عند ذكره
شيخه أبا حيان زيادة على ما قدمناه ما ملخصه ان أبا حيان قال سمعت بغرناطة ومالقة
وبلس والمرية وبجاية وتونس والاسكندرية ومصر والقاهرة ودمياط والمحلة وطهرمس
والجزيرة ومقبة ابن خصيب ودشنا وقنا وقوس وبلبيس وبعيذاب من بلاد السودان
وبني ناع ومكة شرفها الله تعالى وبتة وأيلة ثم فصل من لقيه في كل بلد الى أن قال
وبكة أبا العين عبد الصمد بن عبد الوهاب بن الحسن بن عبد الله بن عسار الى أن قال
فهذه نبذة من شيوخى وجملة من سمعت منهم نحو خمسمائة والمجيزون أكثر من ألف
وعند من كتب القراءات التي أخذتسعة عشر كتابا وقال في حق المليحي انه أعلى شيوخى
في القراءات وان آخر من روى عنه السمع أبو الجود غياث بن قارم المنذرى النخعي
واجارته منه سنة ٦٠٤ قال وقرأت البخارى على جماعة أقدمهم اسنادا فيه
أبو العز الحزاني قرأته عليه بلفظى الابعض كتاب التفسير من قوله تعالى ويسألونك عن
الحيض الى قوله سبحانه ولولا فضل الله عليكم ورحمته في سورة التور فسمعته يقرأه غيرى
قال أبا نابه أبو المعالى أحمد بن يحيى بن عبيد الله الخازن البيه سمعا عليه سنة ستمائة
بغداد أبا نابه أبو الوقت بسنده وكل له رجه الله تعالى جامع الترمذى بين قراءة ومما
على ابن الزبير بغرناطة وسمعه على محمد بن ترحم أبا نابه ابن البناء أبا نابه الكروخي بسنده
وقرأ السنن لأبي داود بغرناطة على أبي زيد عبد الرحمن الربيعي عرف بالتونسي أبا نابه
سمل بن مالك وقرأه بالقاهرة على أبي الفضل عبد الرحيم بن خطيب المزة عن أبي حفص
ابن طبرزد عن أبي بدر الكروخي ومفلح الرومي عن أبي بكر بن ثابت الخطيب أبا نابه أبو عمر
الهاسمي أبا نابه الأولوى أبا نابه أبو داود وقرأ الموطأ على أبي جعفر بن الطباع عن أبي
القاسم بن بقر عن ابن عبد الحق عن ابن الطلاع بسنده وهذا أعلى سند يوجد عن يونس
ابن مغيث في عصره وسمع أبو حيان الاجزاء الخلعيات والغلات والقطيعيات
والنهرانيات والمحاملات والنفقيات وسداسيات الرازي بعاق قرأها على منى الدير

عبد الوهاب بن القرات عن أبي الطاهر اسمعيل بن ياسين الجعفي وهو آخر من حدث
عنه عن أبي عبد الله الرازي سمعا وقرأ جزء الانصاري على أبي بكر بن الانماطي
سمعه حضورا في الرابعة على أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد
الباقي البزار سنة ٥٢٢ أنبأنا ابراهيم بن عمر بن أحمد البرمكي قراءة عليه في رجب
سنة ٤٤٠ أنبأنا عبد الله بن ابراهيم بن ماس أنبأنا أبو مسلم الكشي البصري أنبأنا
محمد بن عبد الله الانصاري وقرأ جميع كتاب سيويه على البهاء بن النحاس
المشهور بالنحوي في مصر والشام بقراءة على علم الدين أبي محمد القاسم بن أحمد بن الموفق
بقراءة على الساج أبي اليمن الكندي أنبأنا أبو محمد عبد الله بن علي بن أحمد
البغدادي مؤلف كتاب المبهج أنبأنا أبو الكرم المبارك بن فاخر بن محمد بن يعقوب
عرف بابن الدباس أنبأنا أبو القاسم عبد الواحد بن علي بن عمر بن برهان الاسدي أنبأنا
القاسم علي بن عبد الله الرقي أنبأنا علي بن عيسى بن عبد الله الرماني أنبأنا أبو بكر
ابن السراج أنبأنا أبو العباس المبرد أنبأنا أبو عمر الجرمي وأبو عثمان المازني قال
أنبأنا أبو الحسن الاخفش أنبأنا ناسيو به قال الشيخ أبو حيان ولا أعلم راويه بصري
والشام والعراق واليمن والمشرق غيري ورويته عن الاسدي أبي علي بن الضائع وابن
أبي الاحوص وأبي جعفر اللبلي عن أبي علي التلويين وسنده مشهور بالثرب ووقع
لأبي حيان كتابات كثيرة وأغرب ما وقع له ثلاثة أحاديث بينه وبين رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيها ثمانية أخبره المحدث نجيب محمد بن أحمد بن محمد بن المؤيد الحمداني بقراءة
عليه والجلسة السلطانية مؤنسة بنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب بن شاذي قراءة عليه
وهو يسمع قال أنه أنبأنا أبو الفخر أسعد بن سعيد بن روح في كتابه أخبرتنا فاطمة بنت عبد الله
ابن أحمد الجوزوانية أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن رندة الضبي الاصمعي أنبأنا الحافظ
أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطر اللخمي الطبراني أنبأنا عبد الله بن رماحس
القيسي برمادة الرملة سنة ٢٧٤ أنبأنا أبو عمر زياد بن طارق وقد أتت عليه عشرون
ومائة سنة قال سمعت أبا جبرول زهير بن صرد الجشمي يقول لما أمرنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم هو ازن أتته فقات

امنن علينا رسول الله في كرم • فأنك المسرة نرجوه وننتظر
امنن على بيضة قد عاقها قدر • مشنت شملها في دهرها غير
أبقت لنا الدهر هتنا على حزن • علاقلو بهم الفماء والغمر
ان لم تداركهم نعماء فشرها • يا أرج الناس حلاحين يستبر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها • اذ فولت لؤلؤه من مخضها الدور
اذ أنت طفل صغير كنت ترضعها • واذا يربسك مائتي وماتذر
لا تجعلنا كن شالت نعماته • واستبق منا فانامعشر زهر
فانا لنشكر للنعماء اذ كفرت • وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
فألبس العفون قد كنت ترضعه • من اقها لك ان العفون مشتهر

ياخير من مرحت كت الجياذيه • عند الهياج اذا ما استوقد الشرر
 آنا نؤمل عفو منسك تلبسه • هذى البرية اذ تغفو وتقتصر
 فاعف عفا الله عما أنت راهبه • يوم القيامة اذ يهدى لك الظفر
 فلما سمع صلى الله عليه وسلم هذا الشعر قال ما كان لى وابنى عبد المطلب فهو واحدكم
 فقالت قريش ما كان لنا فهو لله ولرسوله وقالت الانصار ما كان لنا فهو لله ولرسوله
 قال أبو القاسم الطبراني لا يروى عن زهير الا بهذا الاسناد وتفرده به عبيد الله بن رماحس
 وبالا سناد الى الطبراني أنبأنا جعفر بن حميد بن عبد الكريم بن فروخ بن ديزج بن بلال
 ابن سعد بن بلال بن سعد الانصارى الدمشقى قال حدثني جدى لامى عمر بن أبان بن
 مفضل بن أبان المدنى قال أراى أنس بن مالك الوضوء أخذ ركوة فوضعهما عن يساره
 وصبت على يده اليمنى فغسلها ثلاثا ثم أدار الركوة على يده اليمنى فغسلها ثلاثا وثلاثا ومسح
 برأسه وأخذ ما وجد يد الصباخيه فقلت له قد مسحت أذنينك فقال يا غلام هل رأيت
 وفيهم أو اعبد عليك فقلت قد كفاني وقد فهمت قال فكذا رأيت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يتوضأ قال الطبراني لم يرو عن عمر بن أبان عن أنس حديثا غير هذا وبالا سناد الى
 الطبراني حدثنا محمد بن أحمد بن يزيد القصاص البصرى أنبأنا يشار بن عبيد الله مولى
 أنس بن مالك حدثني أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن
 رأى وآمن به ومن رأى من رأى وآمن به ومن رأى من رأى من رأى ثم قال الرعيني
 هو تصانيف أبي حيان تزيد على خمسين ما بين طويل وقصير ثم قال الرعيني وخرج أبو حيان
 من الاندلس مفتتح سنة ٦٧٩ واستوطن القاهرة بعد حجه وأنشد لشجعه أبي الحسن
 الدباج

قوله سنة ٦٧٩ في نسخ
 سنة ٦٢٨ هـ

رضيت كفاى رتبة ومعيشة • فليست أساى وسراورجها
 ومن جترأ ثواب الزمان طويلا • فلابد يوما أن سيعترفها
 وأنشد باسناد موسى بن أبي تليد

حالى مع الدهر فى تقالبه • كطائر ضم رجلاه شرك
 فهمه فى خلاص مهجته • يروم تخليصها قسبتك

ثم أورد الرعيني جملة من نظم أبي حيان منها قوله

أريد من الدنيا ثلاثا وانها • لغاية مطلوب لمن هو طالب
 تلاوة قرآن ونفس عفيفة • واكتراثا لعمال عليها وأطرب
 وقوله

أرحت روجى من الايساس بالناس • لما غنيت عن الايكاس بالياس
 وصرت فى البيت وحدى لا أرى أحدا • بنات فكرى وكفى من جلاسى
 وقوله

وزهدنى فى جمى المال أنه • اذا ما انتهى عند الفنى فارق العمر
 فلا روجه يوما أراح من العنا • ولم يبق كسب حاد ولم يتخرأ جرا

وقوله

يظن الغمر أن الكتب تجدي * أخاذهن لأدراك العلوم
وما يدري الجهول بأن فيها * غوامض حيرت عقل الفهيم
أدارمت العلوم بغير شيخ * ضللت عن الصراط المستقيم
وتلبس الأمور عليك حتى * تصير اضل من توما الحكيم
وله اغز في قيراط زاعم انه لا يفك

وما اسم خامي إذا ما فككته * يصير لنا فداين أمرا وما ضيا
بعكس وهو كل وجه ووجه * يبدل عين حازفيه التناهي
ومع كونه فردا وجمعاً فأول * وآخره أضى لشخص معاديا
وفي عكسه صوت فتبينه صبغة * وتبين بجمعناه وما أنت بانيا
فكس فيه من معني خفي وأما * عنيت بذكري للذي ليس خافيا

ثم قال الرعيثي وهو شيخ فاضل ما رأيت مثله كثير الضحك والابتسامة بعيد عن الانقباض
جيد الكلام حسن اللقاء جميل الموانسة فصيح الكلام طلق اللسان ذولة وافر وهمة
فائز له وجه مستدير وقامة معتدلة التقدير ليس بالطويل ولا بالقصير انتهى
ما نلصته من كلام الرعيثي ولما قدم الاستاذ أبو حيان إلى مصر أوصى أهله بقوله ينبغي
للعامل أن يعامل كل أحد في الظاهر معاملة الصديق وفي الباطن معاملة العدو
في التحفظ منه والتحرز وليكن في التحرز من صديقه أشد في التحرز من عدوه وأن يعتقد
أن أحسان شخص إلى آخر وتودده إليه انما هو لغرض قام له فيه يتعلق به يعيشه على ذلك
لأذات ذلك الشخص وينبغي أن يترك الإنسان الكلام في ستة أشياء في ذات الله تعالى
وما يتعلق بصفاته وما يتعلق بأحوال أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وفي
التعرض لما جرى بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين وفي التعرض أيضا لأئمة المذاهب
رحمهم الله تعالى ورضي عنهم وفي الطعن على صالحى الأمة نفع الله بهم وعلى أرباب
المناصب والرتب من أهل زمانه وأن لا يقصد أذى أحد من خلق الله سبحانه وتعالى إلا
على حسب الدفع عن نفسه وأن يعذر الناس في مباحثهم وأدراكهم فان ذلك على حسب
عقولهم وأن يضبط نفسه عن المراء والاستزراء والاستخفاف بأبناء زمانه وأن لا يبحث
الامع من اجفعت فيه شرائط الديانة والفهم والمزاولة لما يبحث وأن لا يغضب على من لا يفهم
مراده ومن لم يدرك ما يدرك وأن يلتمس مخرجاً من ظاهركلامه الفساد وأن لا يقدم على
تخطئة أحد يبادى الرأي وأن يترك الخوض في علوم الاوائل وأن يجعل اشتغاله بعلوم
الشرعية ولا ينكر على الفقراء ولا يسلم لهم أحوالهم وينبغي للعامل أن يلزم نفسه
التواضع لعبيد الله سبحانه وتعالى وأن يجعل نصب عينيه أنه عاجز مفتقر وأن لا يتكبر
على أحد وأن يقل من الضحك والمزاح والخوض فيما لا يعنيه وأن يتظاهر لكل بما يوافقه
فيما لا مهمه مية لله تعالى فيه ولا خرم مروءة وأن يأخذ نفسه باجتناب ما هو قبيح عند
الجمهور وأن لا يظهر الشكوى ولا حسد من خلق الله تعالى وأن لا يعرض بذكر أهله

ولا يجري ذكر حرمه بحضوره جليلة وأن لا يطلع أحد على عمل خير عمله لوجه الله تعالى
وأن يأخذ نفسه بحسن المعاملة من حسن اللفظ وجيل التغاضي وأن لا يركن إلى أحد
إلا إلى الله تعالى وأن يكثّر من مطالعة التواريخ فأنها تلقي عقلا جديدا والله سبحانه وتعالى
أعلم انتهت وصية أبي حيان الجامعة النافعة وقد نقلتها من خط الشيخ العلامة أبي الطيب
ابن علوان التونسي المالكي الشهير بالمصري وهو من أخذ عن تلامذة الشيخ أبي حيان
رحمه الله تعالى قلت وبما في هذه الوصية من نهيه عن الطعن في صالح الأمة نفع الله تعالى
بهم وأمره بالتسليم لأحوالهم وعدم الإنكار عليهم تعلم أن ما نقله الصفي عنه فيما تقدم
من قوله أن الشيخ أبي مدين إلى آخره كلام فيه نظر لأن أبا حيان رضي الله تعالى عنه لا يذكر
كرامات الأولياء فكيف وقد ذكر رحمه الله تعالى منها كثيرا فمن ذلك ما حكى عنه تلميذه
الرعيّ بسنده إلى الفقيه المقرئ الصالح أبي تمام غالب بن حسن بن أحمد بن سيد بونة
الخزاعي حدث أنه زار قبر أبي الحسن بن جالوت ولم يكن زاره قبل فاشتبه عليه فتركه فسمع
النداء من قبر معين يا غالب أقمي وما زرتني فزار ذلك القبر وقعد عنده ثم جاء ابن أبي الحسن
المذكور فسأله عن القبر فقال هو الذي قعدت عنده وغالب هذا ابن جالوت هو ما من
أصحاب الشيخ أبي أحمد بن سيد بونة الخزاعي وهو من أصحاب الشيخ أبي مدين انتهى
فكيف ينكر أبو حيان كرامات الصالحين وهو ينهى عن الطعن فيهم ويحكي كراماتهم نعم
قول الصفي قبل ذلك الكلام أنه كان ينكر على فقراء الوقت كلام صحيح في الجملة لكثرة
الدعاوى الباطلة ممن ليس من أهل الصلاح وأما إنكار الكرامات مطلقا فقام أبي حيان
يجل عن ذلك والله تعالى أعلم وقد أورد ابن جماعة له من قطعة قوله في أهل عصره

ومن يك يدعي منهم صلاحا * فزندق تغفل في الضلال

وأول هذه القطعة

حلبت الدهر أشطره زمانا * وأغناني العيان عن السؤال
فما أبصرت من خيل وفي * ولا ألفت مشكورا الخلال
ذئاب في ثياب قد تبدت * رائبها بأشكال الرجال
ومن يك يدعي منهم صلاحا * فزندق تغفل في الضلال
تري الجهال تتبعه وترضى * مشاركة بأهل أوبال
فينهب مالهم ويصيب منهم * نساءهم بقبوح الفعّال
وياخذ طاله زورافيرجى * عمامته ويهرب في الرمال
ويجرون التيوس وراء رجس * تقرمط في العقيدة والمقال

أى اعتقدوا رأى القرامطة ومذهبهم مشهور فلا تطيل به فظهر بما ذكر أن أبا حيان إنما
أنكر على أهل الدعاوى لا على غيرهم والله تعالى أعلم وقد أورد القاضي القضاة ابن جماعة
للشيخ أبي حيان من النظم غير ما قد مناذ كره قوله

أما أنه لو لا ثلاث أحسبها * غنيت أنى لأعدت من الاحياء
فمنها رجائي أن أفوز بتوبة * تكفر لي ذنبا وتبجس لي سعي

ومنهن صوفى النفس عن كل جاهل * لتسيم فلا أمشى الى بابيه مشيا
ومنهن أخذى بالحديث اذا الورى * نسوا سنة المختار واتبعوا الرأيا
أتروا نصا للرسول وتفتدى * بشخص لقد بدلت بالرشدا الغيا
وقوله

سال فى الخلد للعيب عذار * وهو لاشك سائل مرحوم
وسأت التمامه فتجنى * فأنا اليوم سائل محترم
وقوله

أمدعيا علما ولست بقارئ * كآباء على شيخ به يسهل الحزن
أترعم أن الذهن يوضح مشكلا * بلا موضح كذا لقد كذب الذهن
وان الذى تبغيه دون معلم * كوقد مصباح و ليس له دهن
وقوله عدائى البيتين قال وأخذ هذا المعنى من قول الطغراى

من خص بالود الصواب فانى * أحبو بخصا لص ودى الاعداء
جعلوا التنافس فى المعالى ديدنى * حتى وطئت بأخصى الجوزاء
ونعوا الى مثابى فذرتما * ونفيت عن أخلاقى الاقضاء
ولربما اتفع الغنى بعدوه * كالسم أحبانا يكون دواء
ومن نظم أبى حيان

يامتضى الطرف فى ميدان لذته * وناضى الطرف بين الراح والرود
ستشرب الروح راح الوقت كارهة * ويذهب الجسم بين الترب فى الدود
وله رحمه الله تعالى قصيدة سماها بالمرور العذب فى معارضة قصيدة كعب وقصيدة
فى مدح الامام الشافعى مطاعها غذيت بعلم النحواذ درى ثديا وله رحمه الله تعالى
من قصيدة فى مدح أم ولده حيان

جنت بها سوداء لون وناظر * ويا طالما كان الجنون بسوداء
وجدت بها برد النعيم وان يكن * فوادی منها فى بحيم ولاواء
وشاهدت معنى الحسن فيها مجسدا * فاعجب لمعنى ما رجوهرا أشيا
أطاعنة من قدما بمنقف * أصبت وما أغنى الفنى لبس حصدا
لقد طعنت والقلب ساه فادرى * أبالقصة منها أم بصعدة سمراء
ثم غير البيت الا قول وأنشد

جنت بها سوداء شعروناظر * وسمراء لون تزدري كل بيضاء
وقال بهنى قال ابن جماعة خاطبني به ارتجلا لاعد ولادة ابني عمر بعد بتين
حيث برى حاتق روضة * وبعده ما جاء فجل أغر
وسميت به اسم امام اذا * رآه أبو مرة منبه فر
ولا عجب منك عبيد العزيز * اذا كان فجلك سمى عمر
تفر عفا من امام الهوى * وبدر الديجى ورئيس البشر

فلا زال يوضع سبل الهدى * ولا زلتما تنقفـوان الاثر
وقال

لقد زادني بالناس علما تجاربي * ومن جرب الايام مثلي تعلما
واني وتطلابي من الناس راحة * لكالبتهنقي وسط الخيم تنعما
سأزهد حتى لا أرى لي صاحبا * وأنجد حتى لا ألقى متهمما
قال ابن جماعة وقال في املا على ابن قاضي القضاة شمس الدين السروجي الحنفي وكان
جبل الصورة على أختي شقيقة فاطمة

هنيئاً بتأليف غريب نظامه * لقد حار في أوصافه نظم عارف
غدت شمس حسن بنت بدر سيادة * تزف لبدر نجل شمس معارف
سميان للزهر البتول وللرضا * علي ونجلا الاكرمين الغطارف
قدام علي عالي الجسد سيدا * ولا زال في ظل من العيش وارف
وقال يخاطب شيخه ابن النحاس وقد أعجب زيارته

أعسر حياتي والذي يبقائه * بقاءى لقد أصبحت فحول شيفا
أقت بقلبي غير أن لقلتي * برؤيتك الحظ الذي يذهب الشقا
وما كان طني أنك الدهر تاركى * ولو أنني أصبحت بين الوري لقا
لطائف معني في العيان ولم تكن * لتدرك الا بالتزاور واللقا
وقال يخاطب قاضي القضاة شمس الدين السروجي الحنفي وقد أعيد الى منصبه القضاء
وكان يتطلع اليه رجل يدعى نجم الدين

ذو واعم في الدنيا نجوم زواهر * وانك فيها الشمس حقا بلا لبس
اذا حلت أخفى نوركم كل نير * ألم تر أن النجم يخفى مع الشمس
وقال

لم أؤخر عن أحب كائي * لقلبي فيه أولئك هواه
غير أي اذا كتبت كتابا * غلب الدمع مقلتي فحماه

وقال

تذكرى للبلى في قعر مظلمة * أصارني زاهدا في المال والرتب
أنى أسرت بحال سوف أسلمها * عما قريب وأبقى رمة الترب

وقال

أتيت وما أدعي وأقبلت سامعا * فواند مولى سيد ماجد ندب
وأحضر جمعاً أنت فيه جماله * أشنف سمعي منك باللولو الرطب

وقال

لنا غرام شديد في هوى السود * تختارهن على يضر الطلال الغيد
لون به أشرفت أبصارنا وحكي * في اللون والعرف تفح المسك والعود
لا شيء أحسن من آمن تركبه * في آبنوس ولا أشـمـني لمبرود

لا تهويضا لون الجص واسم الى * سوداء حسناء لون العين السود
في جبهتها غيب في قدحها ميد * في خدتها صيد من سادة صيد
من آل حام حمت قلبي بنار جوى * من هجرها وايتت عيني يتسميد
وقال في عكسه

اذا مال الفتي للسود يوما * فلارأى اديه ولا رشاد
أتهوى خنفساء كان زقتا * كسا جلد الها وهو السواد
وما السوداء الا قدر قرن * وكانون وفخم أو ممداد
وما البيضاء الا الشمس لاحت * تشير العين منها والفؤاد
سبيكة فضة حشيت بورد * يلذ السميد معها والرقاد
وبين البيض والسودان فرق * لدى عقل به اتضح المراد
وجوه المؤمنين لها ايضاض * ووجه الكافرين به اسوداد
وقال رحمه الله تعالى

أعاذل ذرني وانقرادى عن الورى * فلست أرى فيهم صديقا مصافيا
ندامى كتب أستفيد علمها * أحباى تغنى عن لقائى الاعاديا
وأنسها القرآن فهو الذى به * نجاتى اذا فكرت أو كنت تاليا
لقد جلت في غرب البلاد وشرقها * أنقب عن مكان لله داعيا
فلم أرا الا طالبا لرياسة * وجعاع أموال وشيخا من ائمة
قبضت يدي عنهم وآثرت عزلة * عن الناس واستغنيت بالله كافيا
قال العز بن جماعة وخاطب والدى وقد أبل من ضعف أشيع فيه موته مهنتا له

أدام الاله لك العافية * وصير دور العدا عافية
اذا لاح من بدر كم نوره * فكل النجوم به خافية
تخذت كلام الاله الدوا * فآياته كانت الشافية
تشوف ناس لمنصبكم * ورتبتهم للعلا نافية
فأين العلوم وأين الخلوم * وخلق موارده صافية
هم عصبة لا تنال العلا * ولو انها قد سعت حافية
اذا كان خرق تداركته * وليست لما من قرت رافية
فان عن خطيب ثبت له * وآراؤهم عنده هافية
سجيا بالين ورفق بنا * وأخلاقهم كلها جافية
تصلى على سبعة منهم * وثامنهم نفسه طافية
يقيمون في تربهم همدا * وتسقى على قبرهم سافية
فلازلت في صحة دائما * تجر ذبول السنى ضافية
ويوردك الله عين الحياة * فتحيا بها مائة واقية
فان زاد عشر اذنا لى * وعشرون أيضا هي الكافية

وهذي القوافي أنت كدلا * فلم تبقى لي بعد ما قافيه
وقال رحمه الله تعالى أيضا

خلق الانسان في كبد * بوجود الاهل والولد
كل عضو فيه نفعه * غير عضو ضرر للابد
منج ذلا وفقد غنى * وفرا حاجة العدد
من يت منهم يذقه أذى * أو يعيش ألقاه في نكد
عاش في امن فتي عزب * مستريح الفكر والجسد
وقال رحمه الله تعالى أيضا

جن غسيري بعارض قربي * أهله أن يغيث عما قريب
وفؤادي بعارضين مصاب * فهو داء أعيا دواء الطيب
وقال

سعت حية من شعره نحو صدغه * وما انفصلت من خذله ان ذاعجب
وأعجب من ذا أن سلسال ريقه * برود ولكن شب في قلبي اللهب
وقال

طالع نوار يخ من في الدهر قد وجدوا * تجدد خطوبا تسلي عنك ما تجد
عبد أكبر هم قد جزعوا غصنا * من الرزايا بها كم قتت كبد
عزل ونهب وضرب بالسياط وجبس ثم قتل وتشر يدان ولدوا
واذ وقت بحمد الله شررتهم * فلهمد الله في العقبى كن جدوا
وقال رحمه الله تعالى يدح البخاري وكتابه الصحيح

أسمع أخبار الرسول لك البشري * لقد سدت في الدنيا وقد فزت في الاثري
تشنت آذانا بعد جواهر * نود الغسوانى لو تقلده الحسرا
جواهر كم حلت نفوسا نفيسة * غلت بها صدرا وجلت بها قدرا
هل الدين الامارونه أكابر * لنا نقلوا الاخبار عن طيب خيرا
وأدوا أحاديث الرسول مصونة * عن الزيف والتعريف فاستوجبوا الشكرا
وان البخاري الامام الجامع * بجامعه منها اليواقيت والدررا
على مفرق الاسلام تاج مرصع * أضاء به شمسا ونار به بدرا
وبحور علوم يلفظ الدر لا الحصى * فأنقش بها دررا وأعظم به بهرا
تصانيفه نور ونور لناظر * فقد أشرقت زهرا وقد أبيضت زهرا
فحاسة المختار ينظم شتها * يلخصها جمعا ويخلصها تسيرا
وكم بذل النفس المصونة جاها * بخازنها بحسرا وجاب لها برا
فطورا عراقيا وطورا بمانيا * وطورا حجازيا وطورا أقي مصرا
الى أن حوى منها الصحيح صحيحه * فوافي كتابا قد غدا الآية الكبرى
كتاب له من شرع أجد شرعة * مطهرة تعالوا السماكين والنسرا

قلت وتصل روايتي عن الامام أبي حيان من طرق عديدة منها عن عمي ولي الله العارفي به
شيخ الاسلام مفتي الانام الخطيب الامام ملحق الاحقاد بالاجداد سيدي سعيد
ابن احمد المقرئ التلمساني عن شيخه العالم أبي عبد الله التنسي عن والده حافظ
عصره سيدي محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي ثم التلمساني الاموي عن عالم
الدين أبي عبد الله بن مرزوق عن جده الرئيس الخطيب سيدي أبي عبد الله محمد بن
مرزوق عن الاثير أبي حيان بكل مروياته فتم أن أبا حيان قال حدثنا ابن أبي الاحوص
عن قاضي الجماعة أبي القاسم أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد
ابن عبد الرحمن بن أحمد بن بقي بن مخلد بن يزيد القرطبي عن أبيه عن أبيه عن أبيه
عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه الامام بقي بن مخلد عن أبي بكر المديني عن عمر
ابن علي وعبد الله بن يزيد عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الرحمن بن رافع عن عبد الله بن
عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بمجلسين أحدهما يدعون الله ويدعون اليه والاخر
يتعلمون العلم ويعاونونه فقال كل المجلسين خير وأحدهما أفضل من الاخر أئامهؤلاء
فيتعلمون ويعلمون الجاهل فهم أفضل وأئامهؤلاء فيدعون الله ويرغبون اليه ان شاء
أعطاهم وان شاء منعهم وأنا بعثت معلما ثم جلس معهم قال أبو حيان قلت لأعرف
حديثنا اجتمعت فيه رواية الائمة عن الائمة بعدد ما اجتمع في هذا الا ما أخبرنا به أبو الحسن
محمد بن محمد بن الحسن بن مامة بقراءة عليه أنبأنا أبو المالح الابرموي أنبأنا أبو بكر بن
عبد الله بن محمد بن ساوير القلنسي أنبأنا أبو المبارك بن عبد العزيز بن محمد بن منه ورد الشيرازي
أنبأنا رزق الله بن عبد الوهاب التميمي قال سمعت أبي أبا الفرج عبد الوهاب يقول سمعت
أبي أبا الحسن عبد العزيز يقول سمعت أبي أبا بكر الحرث يقول سمعت أبي أسد يقول سمعت
أبي الميث يقول سمعت أبي سليمان يقول سمعت أبي أبا الاسود يقول سمعت أبي سفيان
يقول سمعت أبي يزيد يقول سمعت أبي أكيمة يقول سمعت أبي الهيثم يقول سمعت أبي
عبد الله يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما اجتمع قوم على ذكر
الاسم الملائكة وعندهم الرحمة انتهى قلت قال الحافظ ابن حجر في فوائده ما اجتمع
حديث فيه من عدد الائمة أكثر من هذا انتهى ورأيت بخط الحافظ علي قول أبي أكيمة
ما صورته صوابه أكيمة انتهى فليحذر ومنها أن أبا حيان قال أنبأنا الاستاذ
أبو جعفر الزبير صاحب الصلاة أنبأنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد الأزدي
أنبأنا عبد الله بن محمد بن حسن بن عطية ح قال أبو حيان وأنبأنا الاصولي أبو الحسين
ابن القاضي أبي عامر بن ربيع الأشعري عن أبي الحسن أحمد بن علي الغافقي
قال أنبأنا عياض ح وكتب لنا الخطيب أبو الجراح يوسف بن أبي ركانة عن القاضي
أبي القاسم أحمد بن عبد الدود بن سمعون بن عبد الله بن عطية قال هو وعياض أنبأنا
القاضي أبو بكر بن العربي أنبأنا أبو محمد هبة الله الاكفاني أنبأنا الحافظ عبد العزيز
الكافني الدمشقي أنبأنا أبو عصمة نوح بن الفرغاني قال سمعت أبا المظفر عبد الله بن محمد
ابن عبد الله بن قث الخزرجي وأبا بكر محمد بن عيسى البخاري قال سمعنا أبا ذر عمار بن

محمد بن مخلد التميمي يقول سمعت أبا المظفر محمد بن أحمد بن حامد بن الفضل البخاري يقول سمعت أبا العباس الوائلي بن إبراهيم بن يزيد الهمداني عن قضاء الري ورد بخاري سنة ٣١٨ لتجديد مودة كانت بينه وبين أبي الفضل البلغمي فنزل في جوارنا فملى معلى أبو إبراهيم اسحق بن إبراهيم الخليلي اليه فقال له أسألك أن تحدث هذا الصبي ما سمعته من مشايخك فقال مالي سماع فقال وكيف وأنت فقيه فها هذا قال لاني لما بلغت مبلغ الرجال تأقت نفسي الى طلب الحديث ورواية الاخبار وسماعها فقصدت محمد بن اسمعيل البخاري بخاري صاحب التاريخ والمنظور اليه في علم الحديث وأعلمته مرادى وسألته الاقبال على ذلك فقال لي يا بني لا تدخل في أمر الابدع معرفة حدوده والوقوف على مقاديره فقلت عرفني رجلك الله تعالى حدود ما قصدتك له ومقادير ما سألتك عنه فقال لي اعلم أن الرجل لا يصير محدثا كاملا في حديثه الا بعد أن يكتب أربع أرباع كاربعة مثل أربع في أربع عند أربع بأربع على أربع عن أربع لأربع وكل هذه الرباعيات لاتتم الا بأربع مع أربع فاذا تمت كلها هان عليه أربع وابتلى بأربع فاذا صبر على ذلك أكرمه الله تعالى في الدنيا بأربع وأثابه في الآخرة بأربع قلت له فسر لي رجلك الله تعالى ما ذكرت من أحوال هذه الرباعيات من قلب صاف بشرح كاف وبيان شاف طلب الاجر الواف فقال نعم أما الاربع التي تحتاج الى كتبها فهي أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم وشرائعه والصحابة رضي الله تعالى عنهم ومقادييرهم والتابعين وأحوالهم وسائر العلماء وقواريجهم مع أسماء رجالهم وكأهم وأمكنهم وأزمانهم كالتمهيد مع الخطب والدعاء مع التوسل والبسلة مع السورة والتكبير مع الصلوات مثل المسفدات والمرسلات والموقوفات والمقطوعات في صغره وفي ادراكه وفي شبابه وفي كهولته عند فراغه وعند شغله وعند فقره وعند غناه بالجبال والبحار والبلدان والبراري على الاجار والخراف والجلاود والاكاف الى الوقت الذي يمكنه نقلها الى الاوراق عن هرقوقه وعن هومثله وعن هودونه وعن كتاب آية يتيقن انه بخط آية دون غيره لوجه الله تعالى طلبا لمرضاته والعمل بما وافق كتاب الله عز وجل منها ونشرها بين طالبيه ومحبيه والتأليف في احياء ذكره بعده ثم لاتتم له هذه الاشياء الا بأربع هي من كسب العبد أعنى معرفة الكتابة واللغة والصرف والنحو مع أربع هي من اعطاء الله تعالى أعنى القدرة والصحة والحرص والحفظ فاذا صحت له هذه الاشياء كلها هان عليه أربع الاهل والولد والمال والوطن وابتلى بأربع بشماتة الاعداء وملامة الاصدقاء وطعن الجهلاء وحسد العلماء فاذا صبر على هذه المحن أكرمه الله جل وعلا في الدنيا بأربع بعز القناعة وبهيبه النفس وبلذة العلم وبجياة الابد وأثابه في الآخرة بأربع بالشفاعة لمن أراد من اخوانه وبظلل العرش حيث لا ظل الاظله وبسقى من أراد من حوض نبيه صلى الله عليه وسلم ويجوار النبيين في أعلى عليين في الجنة فقد أعلمتك يا بني بمجملات جميع ما سمعت من مشايخي متفرقا في هذا الباب فاقبل الآن على ما قصدتني له أو دعه فها اني قولك فسكت متفكرا وأطرقت متادبا فلما رأى ذلك مني قال وان لم تطق حمل هذه المشاق كلها

فعليتك بالفقه يمكنك تعلمه وأنت في بيتك قارسا كن لا تحتاج إلى بعد الاسفار ووطء الديار
وركوب البحار وهو ذا ثمرة الحديث وليس ثواب الفقيه دون ثواب المحدث في الآخرة
ولا عزه بأقل من عز المحدث فلما سمعت ذلك نقص عزمي في طلب الحديث وأقبلت على
دوامه الفقه وتعلمه إلى أن صرت فيه متقدا ما ووقت منه على معرفة ما أمكنني من علمه
توفيق الله تعالى ومنته فلذلك لم يكن عندي ما أملكه لهذا الصبي يا أبا إبراهيم فقال له أبو
إبراهيم إن هذا الحديث الواحد الذي لا يوجد عند غيرك خير للصبي من ألف حديث
يجده عند غيرك انتهى وجاء أبو حيان إلى ابن تيمية والمجلس غاص فقال يمدحه ارتجالا

لما أتينا تقي الدين لاح لنا * داع إلى الله فرد ما له وزر
على محباء من سيماء إلى صحبوا * خير البرية نور دونه القمر
حبر تسربل منه دهره حبرا * بحرة قاذف من أمواجه الدرر
قام ابن تيمية في نصر شرعنا * مقام سيد تيم اذ عصت مضر
فاظهر الحق اذا ثاره درست * وأخذ الشر اذ طارت له الشرر
كننا نحدث عن حبري مجي عنها * أنت الامام الذي قد كان ينتظر
ثم انخرق أبو حيان فيما بعد عن ابن تيمية ومات وهو على انحرافه ولذلك أسباب منهائه
قال له يوما كذا قال سيبيويه فقال يكذب سيبيويه فانخرق عنه رحم الله تعالى الجميع
وحضر الشيخ أبو حيان مع ابن بنت الاعز في الروضة فكتب إلى أبي حيان ووجهه مع
بعض علمائه

حييت أثير الدين شيخ الادبا * أقضى له حقا كما قد وجبا

حييت تقي بطنك آس نضر * كاقطب دامت منه طريا

قال فانشدة

أهدى لنا غصنا من ناضر الآس * أقضى القضاة حليف الجود والباس
لما رأى سقمى أهداه مع رشا * حلوا التثني فكان الشافي الآسى
ولما أنشد الشيخ أبو حيان قول نور الدين القصري في روضة مصر

ذات وجهين فيهما قسم الحسن * فأضحت بها القلوب تهم
ذابل مصر فهو مصر وهذا * يتولى وسيم فهو وسيم
قد أعادت عصر التصابي صباها * وأبادت فيها الغيوم الغيوم
زاد فيها يتاوهو

فيل الجاريسج نون * وبفج القفار يسفح ريم

قال أبو حيان وكنت ماشيا بين القصرين مع ابن التماس فعبير علينا صبي يدعى شهرته
بجمال وكان مصارعا فقال الياء لينظم كل منافيه ثم قال

مصارع تصرع الآساد شهرته * تيهافهم كل ملج دونه تهم
لما غدارا جاني الحسين قلت لهم * عن حسنه حد نواعنه ولا حرج

فنظمت أنا

سباني جمال من ملبج مصارع • عليه دليل للملاحة واضح
لئن عزمته المثل قال لكل دونه • وان خف منه الحصر فالردف راجح
وسمع العزازی تطمنا فقال وأنشدني

هل حكم تصفي في هوى • مصارع يصرع أسدا الشرى
مذفر عن الصبر في حبه • حكى عليه مدمعي ماجرى
أباح قتل في الهوى عامدا • وقال كم لي عاشق في الورى
رميته في أمر حبي ومن • أجفان عينيه أخذت الكرى

وقال لسان الدين في الاطاحة كان أثير الدين أبو حيان نسيج وحده في ثقبوب الذهن وصحة
الادراك والاضطلاع بعلم العربية والتفسير وطريق الرواية امام النخاسة في زمانه غير مدافع
نشأ في بلدة غرناطة مشارا اليه في التبريز بمسندان الادراك وتغبير السوابق في مضمار
التحصيل ونالته نبوة لحق بسببها بالمشرق واستقر عصر فنال بها ما شاء من عز وشهرة وتأنل
وافرو حظوة وأضحى ان حل بساحته من المغاربة ملجأ وعدة وكان شديدا البسط مهيبا
جهو ريا مع الدعاية والغزل وطرح التسمت شاعرا مكثر امليج الحديث لا يمل وان أطال
وأسن جذا فانتفع به قال لي بعض أصحابنا دخلت عليه وهو يتوضأ وقد استقر على إحدى
رجليه لغسل الأخرى كما تفعل البرك والاوز فقال لي لو كنت اليوم جارش لماتر كفى لهذا
العمل في هذا السن ثم قال لي بعد كلام حدثنا عنه الجملة الكثيرة من أصحابنا كالحاج أبي
يزيد خالد بن عيسى والمقرئ الخطيب أبي جعفر الشقوري والشريف أبي عبد الله بن راجح
وشيوخنا الخطيب أبي عبد الله بن مرزوق قال حدثنا شيخنا أبو حيان في الجملة سنة ٧٣٥
بالمدرسة الصالحية بين التصرين بمنزله حدثنا الاستاذ أبو جعفر بن الزبير عما عمن حفظه
وكتبه من خطه بغرناطة عن الكاتب أبي اسحق بن عامر الهمداني الطوسي بفتح الطاء
حدثنا أبو عبد الله بن محمد العنسي القرطبي وهو آخر من حدث عنه أنبأنا أبو علي الحسن
ابن محمد الحافظ البجلي أنبأنا حاكم بن محمد أنبأنا أبو بكر بن المهندس أنبأنا عبد الله
ابن محمد أنبأنا طالوت بن عباد بن نصال بن جعفر سمعت أبا امامة الباهلي يقول سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اكلوا الى بستان كفل لكم بالجنة اذا حدث أحدكم
فلا يكذب واذا اتقن فلا يخن واذا وعد فلا يخلف فاضروا ابصاركم وكفوا أيديكم واحفظوا
فروجكم ثم قال ابن الخطيب ان أبا حيان جملة حدة الشيبية على التعرض للاستاذ
أبي جعفر الطباع وقد وقعت بينه وبين استاذ ابن الزبير الوحشة فقال منه وتصدى
للتأليف في الرد عليه وتكذيب روايته فرفع أمره للسلطان فامتعض له ونفذ الامر بتنكيه
فاختفى ثم أجاز البحر محتفيا ولحق بالمشرق يلتفت خلفه ثم قال وشعره كثير يتصف
بالاجادة وضدها فن مطولاته قوله

لا تعدل لافاذ والحب معذول • العقل محتبيل والقلب متبول
هزت له أعمرا من خوط قامتها • فما اتنى الصب الا وهو مقتول
جميلة فصل الحسن البديع لها • فكيف لها اجل منه وتفصيل

قالنصر مرمرية والنشر عنبرة * والنخر جوهرة والريق معسول
والطرف ذو غنج والعرف ذو أرج * والخصر محتطف والمتن مجدول
هيفاء يستن في الخصر الوشاح لها * درما تخرس في الساق الخلا خيل
من اللواتي غذاهن النعيم فما * يشقين آباؤها الصيد البهاليل
الى أن قال وقوله

بورجني ———— ذلك أم توقد نار * وضني بجفنيك أم فتور عقار
وشذا بريقك أم تأرج مسكة * وسني بشغرك أم شعاع دراري
جعت معاني الحسن فيك فقد غدت * قيدا لقلب وقتنة الابصار
متصاون خف ———— را اذا ناطقته * أغضى حياء في سكون وفار
في وجهه زهرات روض تجتلي * من نرجس مع وردة وبهار
خاف اقتطاف الورد من وجناتها * فأدار من آس سباح عذار
وتسالت غل العذار بخذه * ليردن شهدة ريقه المعطار
وبخ ———— تم نارجه وردها * فوقه من بين الورد والامدار
فكم ذا أوارى في هواه محبتي * ولقدوشني في فيه فرط أوارى

وقال ابن رشيد حدثنا أبو حيان قال حدثنا التاجر أبو عبد الله البرجوني بمدينة عيذاب
من بلاد السودان وبرجونة قرية من قرى دار السلام قال كنت بجامع لولم من بلاد الهند
ومعنا رجل مغربي اسمه يونس فقال لي اذكر لنا شيئا فقلت له قال علي رضي الله تعالى عنه
اذا وضع الاحسان في السمك كرم أثر خيرا واذا وضع في اللثيم أثر شررا كالغيث يقع
في الاصداف فيثمر الدر ويقع في فم الافاعي فيثمر السم فمأرا عنا الا ويونس المغربي قد
أنشد نفسه

صنائع المعروف ان أودعت * عند كريم ذكت النعما
وان تكن عندك غدت * مكفورة موجبة اثما
كالغيث في الاصداف دروي * فم الافاعي يثمر السما

قال أبو حيان فلما سمعت هذه الايات نظمت معناها في بيتين وهما

اذا وضع الاحسان في الحب لم يقد * سوى كفره والحر يجزي به شكرا
كغيث سقي أفعى بفسان بسمها * وصاحب أصدافا فأثمرت الدرا

قال أبو حيان وأنشدنا الامير بدر الدين ابو المحاسن يوسف بن سيف الدولة أبي المعالي بن
رماح الهمداني لنفسه بالقاهرة

فلا تحب لحسن المدح مني * صفاتك أظهرت حكم البوادي
وقد تدي لك المرأة شخصا * ويسمك الصدى ما قد تنادي

وبعد كتبي ما نقله ابن رشيد عن أبي حيان رأيت لبعضهم أن أبا حيان هذا الذي
ذكره ابن رشيد ليس هو أبو حيان النحوي الاندلسي وانما هو شخص آخر وفيه عندي
نظرا لا يخفى والذي أعتقده ولا اوتاب فيه انه أبو حيان النحوي وقال ابن رشيد وأنشدني

أبو حيان لنفسه

أذا غاب عن عيني أقول سلوته * وان لاح حال الآون فاضطرب القلب
يخرجني عيناه والمبسم الذي * به المسك منظوم به اللؤلؤ الرطب
وقال الشريف بن راجع رأيت أن ما وضعه الشيخ أبو حيان في تقديم لسان الاترالة تضييع
عمره وقلت

نقائس الأعمار أنفقته * أنا وأمثالي على غيري
شيوخ سوء ليس يرضى بما * ترضى به من المخازي صبي
ومن نظم أبي حيان قوله
ان علمي تعبت فيه زماني * بأذلافه طارفي وتلاذي
بلد ير بأن يكون عزيزا * ومصونا لأعلى الأجواد
وقوله

ومالك والاتعاب نفسا ترفية * وتكليفها في الدهر ما ليس يعذب
أرحها فعدن قرب تلاقى حمامها * فتعنى في دار البقا أو تدع ذب
واستشهد كل هذان البيتان بأن ظاهرها ما خلاص الشرع واجب بأن مراده أمر
الرزق لا أمر التكليف وأفاد غير واحد أن سبب رحمة الشيخ أبي حيان عن الاندلس
أنه نشأ شريفا بينه وبين شيخه أحمد بن علي بن الطباع فألف أبو حيان كتابا سماه الامناع
في افساد اجازة الطباع فرفع ابن الطباع أمره للامير محمد بن نصر المدعي بالفقيه وكان
أبو حيان كثير الاعتراض عليه أيام قراءته عليه فتشأ شريفا عن ذلك وذكر أبو حيان أنه
لم يقم بفاس الا ثلاثة أيام وأدرك فيها أبا القاسم المزياني وخرج أبو حيان من الاندلس
سنة تسع وسبعين ومائة وكان جماعة من أعلام الاندلس رحلوا منها فلما وصلوا الى
العدوة أقاموا بهار لم يذهبوا الى البلاد المشرقية منهم الشيخ النحوي الناظم للنثر
أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجني وهو القائل يرح أمير المؤمنين المستنصر بالله صاحب
نونس

أمن بارق أوري مبخج الدجى سقطا * تذكرت من حـلـ الجارح فالسقطا
وبان ولـ كن لم يبين عنك ذكره * وشط ولـ كن طيفقه عنك ماشطا
حبيب لو أن البدر جاره في مدى * من الحسن لاستدنى مدى البدر واستبطا
إذا انتجعت مرعى خصيبا ركابه * غدا الحظ عيني يشتمكي الجسد والقحطا
لقد أسرع عني المطى بشادن * تسرع في قتل النفوس وما أبطا
ظننت النـلادار ابن ذى يزن بها * وخات المحاريب الهوادج والغبطا
فكم دمية للحسن فيها وصورة * تروق وتمثال من الحسن قد خطا
جائل لاحت كالجائل بهجـة * سقيط الحيا فيهن لا يسأم السقطا
فوسد غـ زلان الاوانس والمها * به الوشي والدياج لا الصدر والأرطى
ولم يسب قلبي غير أبهرها سنى * وأطولها جـ دأوا خفتها قرطا

أيارية الاحـداج سـرى فتـعلى • وما بك جهـل أن سـهمك ما أخطا
قـنى تـستـينى ما بـعينيك من عـنا • كـيـسمى وعـنوان الهوى فيه محتـظا
قـلم أـرأى عـدى منـك لـظا وناطـرا • لـقـبى ولا أـعدى عـليه ولا أـسطا
سـقى الله عـيشا دسـقانا من الهوى • كـؤـسا بـعـسول اللـمى خلطت خلطـا
وكم جـنة قـدرت في ظـل كـافر • قـلم أـجزما أولـاء كـفـرا ولا نـجـما
وكم لـسـله قـاسيتها بـاغية • الـى أن بـدت شـيبا ذواتـها شـم طـا
وكت أظن الشـهب مـثلى لها هوى • وأغـبطها في طـول الفـتها غـبطا
عـلى انـها مـثـلى عـزيرة مـطلب • و من ذا الـذى ما شـاء من دهره يـعطى
كـان الثـريا كـاعب أزمعت ثوى • وأمـت بـأقصى الغـرب منـزلة تـخطى
كـان مـجوم الـهقـعة الزهر هودج • لـها عـن ذرى الحـرف المـناخـة قد حـطـا
كـان رـشـاء الدلو وشوة خـاطب • لـها جـعل الـاشـراط في مـهرها شـرطا
كـان السـها قد دق من فرط شوقه • الـى كـما قد دق الكـتاب النـقـطا
كـان سـهـيلا اذ تـنـامت وأنـجـدت • غـدا يـأتى سـاءلـها فأتـهم وانـحـطـا
كـان خـفـوق الـقلب قلب مـتـيم • تـعـدى عـليه الـدهر في الـبين واشـتـطـا
كـان كـلا النـسر ينـقد وبع اذ رأى • هـلال الـدجى يـهوى له مـخـابـا سـلطـا
كـان الـذى ضم القـوادم مـنـها • هوى واقـما للـارض أوقـص أوقـطا
كـان أخاه رام فـوتـا أمامه • قـلم يـعد أن مـد الجـناح وأن مـطـا
كـان يـياض الصـبح مـعـصم غـادة • جـنت يـدها أزهار زهر الـدجى لـقطـا
كـان ضياء الشمس وجه امامنا • اذ اذداد بـشرافى الوغى واذا أعطى
مـحمد الـهادى الـذى أنطق الـورى • شـاء بـما أسـدى الـيهـم وما أنطى
امام غـدا شـمس المـعالى وبـدـرها • وقـد أصـبحت زهر النـجوم لـه رـطـا
جـيـل المـحيا بـجـل طـيب ذكـره • يـعـاطى سـرورا كـالحيا ويسـتـعطى
اذا ما الزمان الـجهد أبـدى تـجـهما • ارا نا الحـياء الـطلق والـخلق السـبطـا
كـلا أبوى حـفـص غـما الـى العـلا • فأصـبح عـن مـرقاة النـجم مـنـطـا
بـسـماء تـدرى أن كـعبا جـدودـه • وان هـو لم يـذكر رـزاخا ولا قـرطا
اذا قبض الـروع الـوجوه فوجـه • يـز يد لـكون النـصر نـصلا لـه بـسطـا
بـه تـترك الـابطال صـرعى لـدى الوغى • كـان قد سـقوا من نـجـر بـابل اسـفـنطـا
تـراه اذا يـعطى الرغائب بـاسـما • لـه جـذل رـبى عـلى جـذل المـعطى
وكم عـنق قـد قـلـدت بـسـواله • فـريد اوقـد كـانت قـلادتها لـطا
مـتى ما تـفس جـود الكـرام بـجـوده • فـبـالـبحر قـايـست الـوقـيعة والـرقـطا
يـشف لـه عـن كـل غـيب جـبابه • فـتـحـسبه دـون المـحـجب مـالطـا
نـطـيع الـلىالى أـمره في عـصاته • و تـردى أـعاديـه أسـاودها نـطـطا
وتمضى عـليهـم سـيفة وسـنانه • قـتـرى الكـلى طـعنا وتـفرى الـطـلى قـطا

فكيف ترجت غرة منه فرقة * غدا عزها ذلا ورفعها هبطا
 وكم بالنهاي والحلم غطي عليهم * الى أن جنوا ذنبا على العلم قد غطي
 فامطاهم دهم الحديد وطالما * أنالهم دهم الجياد وما أمطي
 ورام لهم هديا ولكنهم أبوا * بغيرهم الا الضلالة والخطا
 وكان لهم يبقى المثوبة والرضا * ولكن أبوا الا العقوبة والسخطا
 ولو قويات بالشكر منه ما رب * لما اعتاض منها أهلها الاثلا والخطا
 هو الباصر المنصور والمالك الذي * أعاد شباب الدهر من بعد ما شططا
 أصاغت له الايام سمعا وطاعة * وأحكمت الدنيا له عهدا وربطا
 فلا بد من أن يملك الارض كلها * وأن تملا الدنيا اياته قسطا
 ويغزو في آفاق اندلس العدا * بجيش يخط الارض من قبله خطا
 وكل جواد خف سنبكه فها * عيس الثرى الا محالسة فرطا
 يؤتم بها الاعداء ملك أمامه * من الرعب جبر يسرع السيران ابطا
 ويرى جبال الفتح من شط سبته * بها فتوافي سبعا ذلك الشطا
 بحيث التقى بالخضر موسى وطارق * وموسى به رحلا لغزو العدا حطا
 وسعيت يلقى ذكر سعيهما به * ويوسع سعي المشركين به حبطا
 ويوقع في الاعداء أعظم وقعة * بها غلا الاسماع طير الملا غطا
 تتجاوب بهم الطير فيه وشبهها * كما راطن الزنج النبط أو القبطا
 وتشكر فيها الجؤ والارض أعين * ترى الحق نارا والصعيد دما عبطا
 فتخضب منهم من أشابت بخوفها * نصول ترى منها بقود الدجى وخطا
 ويحسم أدواء العدا كل صارم * حسام اذا لاقى الطلى حده قطا
 وكل كى كلما خط صفحة * بسيف غدا بالرح ينقط ما خطا
 شجاع اذا التفت الرماحان مثل ما * تقلقل في أسنان مشط يد مشطا
 اذا مارجت منه أعاديه غرة * رأت دون ما ترجو القتادة والخرطا
 فيجدع آف العداة بسيفه * وينشقه بالرح ريح الردى قسطا
 يبيد الاعداء سطوة ومكيدة * فيحكى الاسود الغلب والادوب الملقا
 سرى في طلاب المعلوات فلم يزل * يبتدأ ببسوطه وندى بسطا
 ولو نازعت يناه جذبا شماله * لبوسا من الماذى لانفسق وانعطا
 يصول بخطى كل مرشة * به أثره زوه للعبة الرقطا
 فتبصر الاكام فرعا كواسيا * بهن وقد أبصرن عاربة مرطا
 اذا نسبت للخط أول دينة * نسبين الى العليار دينة والخطا
 فكما حاة ما يزال الى الوغى * حين لهم ما حق نضو وما أطا
 عليهم تسج السابغات كأنها * جلود عن الحيات قد كشطت كسطا
 اذا لمع الشمس لاحت عليهم * رأيت مالا لا ألبست حلالا رقطا

تزعج كالزادوق لينا ومثله * ترى نقطة من بعد ما طرحت خطا
 جوش اذا غطي البلاد عبا بها * وأما وجهها غطت نفوس العدا غطا
 فكم قد حكت في حصر حصن ومعقل * وشاحا على خصر فأسعفه ضغطا
 وخيل كامنال النعام تخالها * لا فراط لولا اللجم تبغى لها مرطا
 تخيلها فتخا اذا ارتعت وان * محجن بماء خلتها خفة بظا
 فينعق منها مرط كل بحاجة * مرار ع لا يسأ من مرأ ولا مرطا
 وكم خالطت سحر الرماح وأوردت * مياهها غدت حر الدماء لها خلطا
 يجزونهم الليل السرى فاذا دعوا * نزال امتطروا منهم أفضل ما يعطى
 فكم جنبوها خلف معتادة السرى * عوارف لم تسمع لها أذن فخطا
 وقد سمعت أعناقهن أزمنة * بطول السرى حتى تطن لها علطا
 اذا أوقدت نارا بقذف الحصاص حكت * ويجسر الدجى طام سفينا رمت نقتا
 امام الهدى أعليت للدين معلما * وسمت العدا من بعده رفعتهم خطا
 وألقتهم عقم المني عن خيالها * فما ولدت عقمها ولا تحت سقطا
 وصيرتم في عقلة سارح العدا * وسر حتم الآمال من عقابها نسطا
 ومن كان يشكو سطوة الدهر قد غدا * بعد لك لا يعدى عليه ولا يسطى
 فبقى كل حال تؤثر القسط جاريا * على سنن التقوى وتجتنب القسطا
 فبوركت سبطا جده عمر الرضا * وبوركت من جد غدت له سبطا
 تلوث الامام العدل يحيى فلم تزل * تزيد أمور الخلق من بعده ضبطا
 فزدت وضوحا بعده وأستقامة * ونوطئة نهج السبيل الذي وطا
 وما كان أبقي غاية غدير أنه * حيث بعالم يحب خلق ولم يعطا
 اذا درر الاملا في الفجر نظمت * على نسق عقدا فدولتك الوسطى
 وله أيضا فيه

في كل أفق من صباح دجاكم * نورجلا خيط الظلام بخيطه
 راق محاسن محمدكم فيهرن ما * كسيت من حبر المديح وربطه

وله رحمه الله تعالى عدة تأليف وولد سنة ٦٠٨ هـ وتوفي ليلة السبت ٢٤ رمضان سنة
 أربع وثمانين وسقاية يونس ومن أخذ عنه الحافظ ابن رشيد الفهرى وذكره في رحلته
 وأثنى عليه كما أثنى عليه العبدري في رحلته فقال حازم وما أدرى ما حازم وقد عرفت به
 في أزهار الرياض بما يغنى عن الاعادة وكان هو والحافظ أبو عبد الله بن الأبار فرسي
 رهان غير أن ابن الأبار كان أكثر منه رواية وهو الامام الحافظ الكاتب الناظم النائر
 المؤلف الراوية أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن أبي بكر القضاة
 اللداسي البلسي كتب بلسية عن السيد أبي عبد الله ابن السيد أبي حفص ابن أمير
 المؤمنين محمد المؤمن بن علي ثم عن ابنه السيد أبي زيد ثم كتب عن الأمير أبي مردنيس
 وما نازل لطاغية بلسية بعثه الأميرزيان بن مردنيس مع وفد أهل بلسية بالبيعة

للساطان أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص وفي ضمن ذلك استنصره لادفع
عادية العدو وأنشد الساطان قصيدته السمينية التي مطلعها

أدر لك بخيلك خيل الله اندلسا * ان السبيل الى منجاتها درسا

وقد ذكرناها في غير هذا الموضع ثم لما كان من أمر بلانسية ما كان رجع بأهله الى تونس
غبطة باقبال الساطان عليه قتل منه بخير مكان ورشح له كتب علامته في صدور مكاتباته
فكتبها مائة ثم أضاف الساطان صرفها لابي العباس الفسافي لكونه يحسن كتابتها
فكتبها مائة بالخط المشرق وكان أثر عند الساطان من المغربي فسخط ابن الابار انفة من
ايشار غيره عليه واقتات على الساطان في وضعها في كتاب أمر بانشائه لقصور الترسيل
يومئذ في الخيرة عليه وأن يفي موضع العلامة منه لـ كتابها فجاءه بالرد ووضعها
استبداداً وانفة وعوتب على ذلك فاستشاط غضباً ورعى بالقلم وأنشد متمثلاً

اطلب العز في الظن وذو الذل ولو كان في جنان الخلود

فبنى ذلك الى الساطان فأمر بلزومه بيته ثم استعقب الساطان بتأليف رفعه اليه عذفيه
من عوتب من الكتاب وأعتبه وسماه اعتاب الكتاب واستشفع فيه بابنه المستنصر فغفر
الساطان له وأقال عثرته وأعادته الى الكتابة ولما توفي الساطان رفعه أمير المؤمنين
المستنصر الى حضور مجلسه ثم حصلت له أمور معه كان آخرها انه تقبض عليه وبعث الى
داره فرفعت اليه كتبه أجمع وألنى أثناءها قمارقة بآيات أولها

طفي بنونس خلف * سموه ظملاً خليفه

فاستشاط الساطان لها وأمر باحتجانه ثم بقتله فقطل قعصا بالرماح وسط محرم سنة ٦٥٨
ثم أحرق شلوه وسيقت مجلدات كتبه وأوراق سماعه ودواوينه فأحرقت معه وكان
مولده بلانسية سنة ٥٩٥ وقال في حقه ابن سعيد في المغرب ما ملخصه حامل راية
الاحسان المشار اليه في هذا الاوان ومن شعره قوله يصف الياسمين

حديقة يامين لا * تهيم بغيرها الخديق

اذا جفن النعمام بكى * تبسم تغرها البقق

فأطراف الالهة سا * ل في أثناءها الشفق

وكتب الى الوزير أبي عبد الله بن أبي الحسين بن سعيد يستدعي منه منشورا

لك الخير أن تحضني بخبري روضة * لا تفاسه عند الهجووم هبوب
أليس أديب الروض يجعل ليله * نهرا فيسذكو تحتها ويطيب
ويطوى مع الاصباح منشور نشره * كما بان عن ربع المحب حبيب
أهيم به عن نسبة أديسة * ولا غرو أن يهوى الاديب أديب

وقوله في الخسوف

ظنرت الى البدر عند الخسوف * وقد شين منظره الازين

كما سمرت صفحة للحيب * يحجبها برقع أدكن

وقوله في المعنى

ألم تر للخسوف وكيف أبدى * يسدر التمام لماع الضياء
كم آت جلاها القين حتى * أنارت ثم ردت في غشا

وقوله

والثريا يجيبان البدر تحكى * راحة أو مات لتطم خذا

وقوله

من عاذرى من بابلى طرفه * ولعمره ما حل يوم ما يابلا

أعنته خوط العيشى ناعما * فبعود خطيا لقتلى ذابلا

وهو حافظ متقن له في الحديث والأدب تصانيف وله كتاب في مختصر الأشعار سماه قطع
الرياص وتكملة الصلاة لابن بشكوال وهداية المعترف في المؤتلف والمختلف وكتاب
التاريخ وبسببه قتل صاحب أفر بقة وأحرقت كتبه على ما بلغنا رحمه الله تعالى وله
تحفة القادم في شعر الأندلس والحلة السيرة في أشعار الأمراء ومن شعره قوله

أمرى عجيب في الأمور * بين التوارى والظهور

مستعمل عند المقيس ومهمل عند الحضور

وسبب هذا أن ملك تونس كان إذا أشكل عليه شيء أو ورد عليه ألفز أو معنى أو مترجم بعث به
إليه فيحله وإذا حضر عنده لا يكلمه ولا يلتفت إليه ووجد في تعاليقه ما يشين دولة صاحب
تونس فامر بضربه فضرب حتى مات وأحرقت كتبه رحمه الله تعالى وكان أعداؤه يلقبونه
بالفار وحصلت بينه وبين أبي الحسن علي بن شلبون الماعفرى البليسي مهاجاة فقال فيه

لا تحجبوا المضرة نالت جيب شع الناس صادرة عن الأبار

أوليس فارا خلقة وخلقة * والفار محبوب على الأضرار

فأجابه ابن الأبار

قل لابن شلبون مقال تنزه * غيرى يجاريك الهجاء بفار

أنا اقتسمنا خطيننا بيننا * فحملت برّة واحملت بفار

وهذا مضمّن من شعر الباغية الدياني انتهى ما خلاصناه من كلام أبي سعيد في حقه

ومن شعر ابن الأبار أيضا

لوعنّى لى عدون من المقدار * لهجرت للدار الكريمة دارى

وحلات أطيب طيبة من طيبة * جارا لمن أوصى بحفظ الجار

حيث استبان الحق للإبصار * لما استشار حفاظ الانصار

يا زائر القبر قـبر محمد * بشرى لكم بالسبق في الزوار

أوضعتم لتجباتكم فوضعتم * ما قادمكم من قادم الأوزار

فوزوا بسبقكم وفوهوا بالذى * حلتكم شـوقا إلى المختار

أذرا لكم سلام سلمت وبرده * أرجو والأجارة من ورود النار

اللهم أجرونا يا رحيم يا رحمن يا كريم وانتهت ترجمته بقوله

رجوت الله في اللاذ والما * بلوت الناس من ساء ولاه

فمن يك سائلا عني فاني غنيت بالافتقار الى الهى
وقد جردت ترجمته في ازهار الرياض في اخبار عياض فليراجع ذلك فيه من شاء
* (رجع الى ما كفايه من ذكر المرتحلين من الاندلس الى المشرق) * (ومنهم الحافظ أبو
المكارم جمال الدين بن مسدي وهو أبو بكر محمد ويقال أبو المكارم ابن أبي أحمد يوسف بن
موسى بن يوسف بن موسى بن مسدي المهلبى - الازدى - الاندلسى شيخ السنة وحامل
راياتها وفريد الفنون ومحكم آياتها عرف الاحاديث وميز بين شهرتها وغياباتها وكان
الملقى لراية السنة بعين عرايتها طلع بمغربه شمسا قبل بزوغه بأفق المشرق وملا جزيرته
الغبراء من بحر علومه المتدفق وأفعمه بانوثة المشرق وطاف البلاد الاسلاميه
المغربية والمشرقيه فعقدت على كاله الخناصر وجعله أرباب الدراية لقله الدين الباصر
ولقى أعيان الشيوخ في القطرين وأخذ عنهم ما تقر به العين ويدفع به عن القلب الرين
مع فصاحة لسان وطلاوة بيان وبنان وخلال حسان وبلاغة سجيته على سحبان وظهر
أزهار بان وقوضت اليه خطابه الحرم الشريف بمكة فكان كما يقال هذا السوار مثل هذا
المصمم فكلم وثنى بهما من مطارف البلاغة وكمن حتى يطق الرائي عود منبره من وعظه
مائسا ولئن مال من سجع الحمام رطبا فقد مال من سجع هذا الامام يابسا وترجم على
من لقي من الاعيان بسحر البيان وقصل أحوالهم بأحسن بيان وعدتهم بأربعة آلاف
شيخ وناهيك بهذه مزية تقادها الفضائل في أرسان وأرى تحقيق قول القائل جمع
الله تعالى العالم في انسان وله موضوعات مفيدة من حديث وفقه وتعلم ونثر وله مسند
غريب يجمع فيه مذاهب العلماء المتقدمين والمتأخرين وهو أشهر من نلد على علم وكان
يكتب بالقلمين المشرقي والمشرقي وكلاهما في غاية الجودة ومثل هذا يعتنادرنا توفي شهيدا
مطهوما من أناس كانوا يحسدونه فختم الله تعالى له بالشهادة وبوئى به ادار السعادة
وتوفي سنة ٦٦٣ بمكة ومولده سنة ٩٨ هـ رحمه الله تعالى ونفعنا بأمثاله * (ومنهم
الكاتب أبو القاسم خلف بن عبد العزيز بن محمد بن خلف الغافقى القبتورى بفتح القاف
وسكون الباء الموحدة وفتح الناء ثالثة الحروف وسكون الواو وبعد هاء الاشبلى المولد
والمنشا ولد في شوال سنة ٦١٥ وقرأ على الاستاذ الدباج كتاب سيبويه والسبع
وله باع مدينى الترسل مع التقوى والخير وله اجازة من الرضى بن برهان والنجيب بن
الصقل وكتب لامير سبته وحديث بتونس عن العراقى وجاور زمانا وتوفي بالمدينة
سنة ٧٠٤ ورج مرتين قال أبو حيان قدم القاهرة مرتين ورج في الاولى وأنشد من لفظه
لنفسه

أسبلى الدمع يا عيني ولكن * دما ويقل ذلك الى أسبلى
فكم في الترب من طرف كحيل * لتربلى ومن خد أسبلى
وقال

ماذا جنيت على نفسي بما كتبت * كنى فباوحي نفسي من اذى كنى
ولو يشاء الذى أجرى على بذا * قضاء الكف عنى كنت ذا كف

قوله بمكة ساقط في بعض
ا

وقال

واحسرتا لأمسور ليس يبلغها * مالي وهن من نفسي وآمال
أصحت كالآل لا جدوى لى وما * ألوت جهدا ولكن جدى الآلى
وقال العلامة فتح الدين بن سيد الناس انه أنشده لنفسه بالحرم الشريف النبوى سنة
ثلاث وسبعمائة

رجوتك يا رحنك خير من * وجاء الغفران الجسرا ثم مرتجى
فرجتك العظمى التى ليس بابها * وحاشاك فى وجهه المسمى بمرنج
وقد أنشده أبو حيان كثيرا من نظمته رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد بن
مفرج بن أبي الخليل الأموى الأشبلى النبائى المعروف بابن الرومية كان عارفا بالعشب
والنبات منصف كتابا حسنا كثيرا القائده فى الحشائش ورتب فيه أسماءها على حروف المعجم
ورحل الى البلاد ودخل حلب وسمع الحديث بالاندلس وغيرها وقال البرزالي فى حقه
انه كان يعرف الحشائش معرفة جيدة وسمع الحديث بدمشق من ابن الخرسى و ابن
ملاعب وابن الطار وغيرهم وقال بعضهم اجتمعت به وتفاوضت معه فى ذكر الحشائش
فقلت له قصب الذريرة قد ذكر فى كتب الطب وذكروا انه يستعمل منه شئ كثير وهذا
على انه كان موجودا كثيرا وأما الآن فلا يوجد ولا يخبر عنه بخبر فقال هو موجود وإنما
لا يعلمون أين يطلبونه فقلت له وأين هو فقال بالاهواز منه شئ كثير انتهى وأجاز البصر
بعد سنة ٨٠ • لقاه ابن عبيد الله ببغداد فلم يتهيا له ذلك ورجع الله تعالى فى رحلته
الاولى ولقى كثيرا وروى عن عدد من الرجال والنساء منهم التذكرة وله مختصر كتاب
الكامل لأحمد بن عدى فى رجال الحديث وله كتاب المعلم بمازاده البخارى على كتاب مسلم
ويعرف بالنبائى لمعرفة بالنبات ومولاه فى نحو سنة ٥٦١ وتوفى رحمه الله تعالى
بأشبيلية من ربيع الثانى سنة ٦٣٧ وقد رثاه انا من تلامذته وألف بعضهم
فى التعريف به وسمع من ابن زرقون وابن الجندى وابن عفير وغير واحد كائى ذر الحبشى
وسمع ببغداد من جماعة وحدث بمصر أحاديث من حفظه ويقال له الخزى بفتح الخاء
نسبة الى مذهب ابن حزم لانه كان ظاهرى المذهب وكان زاهدا صالحا وحكى بعضهم
عنه انه كان جالسا فى دكانه بأشبيلية يبيع الحشائش وينسخ فاجتاز به الامير أبو عبد الله بن
هو سلطان الاندلس فسلم عليه فرد عليه السلام واشتغل بنسخه ولم يرفع اليه رأسه فبقى
واقفا منتظرا أن يرفع اليه رأسه ساعة طويلة فلما لم يحفل به ساق فرسه ومضى وله كتابان
حسنان فى علم الحديث أحدهما يقال له الحافل فى تكملة الكامل لابن عدى وهو
كتاب كبير قال ابن الأبار سمعت شيخنا أبا الخطاب بن واجب يثنى عليه ويستحسنه والثانى
اختصر فيه الكامل لأبي أحمد بن عدى كما سبق فى مجلدين وسمع بدمشق والموصل وغيرهما
بجماعة من أصحاب الحافظ أبي الوقت السجزي وأبي الفتح بن البطي وأبي عبد الله الغراوى
وغيرهم من الأئمة وله فهرسة حافلة أفرد فيها روايته بالاندلس من روايته بالمشرق وكان
متصبا لابن حزم بعد أن تفقه فى المذهب المالكي على ابن زرقون أبي الحسين وطالت

قوله ابن عبيد الله فى نسخة أبي
عبد الله هـ

قوله ربيع الثانى فى بعض النسخ
ربيع النبوى ولعل المراد به
ربيع الاول لما لا يخفى وليحزر
هـ

قوله والموصل فى نسخة بدله
ومصر هـ

صيته له وكان بصيرا بالحديث ورجله كثير العناية به واختصر كتاب الدارقطني في غريب
حديث مالك وغيره أخصب منه وفاق أهل زمانه في معرفة النبات وقعد في دكان أبيه قال
ابن الأبار وهنالك رأيت واقفته غير مزمرة ولم آخذ عنه ولم أستجزه وسمع منه جل أصحابنا
ومولده في شهر المحرم سنة ٥٦٧ وتوفي بأشبيلية ليلة الاثنين مستهل ربيع الآخر
سنة ٦٣٨ وقال ابن زرقون منسلخ شهر ربيع الأول وحكى ذلك عن والده أبي النور
محمد بن أحمد انتهى * (ومنهم أبو العباس أحمد بن عبد السلام الغافقي الأشبيلي الشهير
بالمسيلي رحل حاجا وقل إلى بلده وحدث عنه أبو بكر بن خير بوفاة القاضي ابن أبي حبيب
وروى عن أبي محمد بن أبي السعادات المروزي الخراساني وأنه أنشده بئرا الاسكندرية
عند وداعه أياه قال أنشدني أبو تراب جندل عند الوداع لبعضهم

السم من السن الاقاعي * أعذب من قبله الوداع
ودعهم والدموع تجري * لما دعا للوداع داع

* (ومنهم أبو العباس ويقال أبو جعفر أحمد بن محمد بن عيسى بن وهكيل التميمي الزاهد
ويعرف بابن الاقليش صاحب كتاب النجم من كلام سيد العرب والعجم صلى الله عليه وسلم
عارض به كتاب القضاء وأصل أبيه من اقليش وضبطها بعضهم بضم الهمزة وسكن دانية
وبها ولد ونشأ سمع أياه وأباه كروا بأبا العباس بن عيسى وتلقاه ورحل إلى بلنسية فأخذ
العربية والآداب عن أبي محمد البطليني وسمع الحديث من صهره أبي الحسن طيارق بن
يعيش والحافظ أبي بكر بن العربي وأبي الوايد بن خيرة وابن الدباغ ولقي بالمرية أبا القاسم بن
ورد وأبا محمد عبد الحق بن عطية وولي الله سيدي أبا العباس بن العريف ورحل إلى
المشرق سنة اثنتين وأربعين وخسمائة وجاور بمكة سنين وسمع من أبي الفتح المكنوني
جامع الترمذي برباط أتم الخليفة العباسي سنة سبع وأربعين ثم كروا راجعا إلى الغرب
فقبض في طريقه وحدث بالاندلس والمشرق وكان عالما عاملا متصوفا شاعرا مجودا مع
التقدم في الصلاح والزهد والعزوف عن الدنيا وأهلها والاقبال على العلم والعبادة وله
تصانيف منها كتاب الغرر من كلام سيد البشر وكتاب ضياء الأولياء وهو أسفار عدة
ورحل الناس عنه معشراته في الزهد وكتبها الناس وكان يضع يده على وجهه إذا قرأ
القاري فيسكن حتى يحجب الناس من بكائه وكان الناس يدخلون عليه بيته والكتب عن
يمينه وشماله وقد وصف غير واحد امامته وعلمه وورعه وزهده وروى عنه أبو الحسن
ابن كوثروا بن ييش وغيرهما ومن شعره قوله

أسير الخطايا عند بابك واقف * له عن طريق الحق قلب مخائف
قد عصي عمدا وجهلا وغرة * ولم ينهه قلب من الله خائف
ترنيد سنده وهو يزاد ضلة * فيها هو في ليل الضلالة عاكف
تطلع صبح الشيب والقلب مظلم * فطاف منه من سنى الحق طائف
ثلاثون عاما قد نزلت كأنها * حلوم تقضت أو بروق خواطف
وجاء المشيب المنذر المبرأ منه * إذا رحلت عنه الشيبة تائف

فما أجد الخوان قد أدير الصبا * وناد الذن من سن الكهولة هاتف
 فهل أرق الطرف الزمان الذي مضى * وأبكاه ذنب قد تقسّم سالف
 فجد بالدموع الحرحرنا وحسرة * فدمعك ينبى أن قلبك آسف
 وقد وافق في أول هذه القطعة قول أبي الوليد بن الفرغى أو أخذ منه نقلا وتوفى
 في صدوره عن المشرق بمدينة قوص من صعيد مصر في عشر الحسين وخمسمائة ودفن عند
 الجيزة التي في المقبرة التالية لسوق العرب وقال ابن عباد أنه توفى سنة تسعين أو إحدى
 وخمسين بعد هارجه الله تعالى وقد ينف عن الستين * (ومنهم أبو العباس أحمد بن
 عمر المعافري المرسى وأصله من طليعة ويعرف بابن أفرند روى عن أبي الحسين الصفدي
 وغيره كالقاضي الحافظ أبي بكر بن العربي وأبي محمد الرشاطي وأبي اسحق بن حبيب
 وغيرهم وله رحلة حج فيها ولقي أبا الفتح بن الرندائقاني بلدين سرخس ومرو من أصحاب
 أبي حامد الغزالي وأنشد عنه مما قاله في وداع اخوانه بالبيت المقدس

لئن كان لي من بعد عود اليكم * قضيت ليلانات النواذ لديكم
 وان تكن الأخرى ولم تك أوبة * وحان حمى فالسلام عليكم
 وقد روى هذين البيتين أبو عمر بن عباد وابنه محمد عن ابن أفرند هذا وكان صالحا زاهدا
 متصوفا رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن عميرة بن يحيى الضبي
 من أهل لوزقة رحل حاجا وكان منقبضا زاهدا صواما قواما وأقرأ القرآن وأسمع الحديث
 وعن حدث عنه الحافظان أبو سليمان وأبو محمد بن حوط الله ولقبه أبو سليمان بلوزقة سنة
 ٥٧٥ وتوفى رحمه الله تعالى سنة ٥٧٧ وقد قارب المائة * (ومنهم أبو عمر بن عات وهو
 أحمد بن هرون بن أحمد بن جعفر بن عات النخري من أهل شاطبة سمع أباه وأبا الحسن بن
 هذيل وأبا عبد الله بن سعادة وابن حبيب وغير واحد وطائفة كثيرة ورحل إلى المشرق
 فأدى الفريضة وسمع أبا الطاهر السلفي وأبا الطاهر بن عوف وغيرهما عن بطول ذكره
 وأجازله أبو الفرج بن الجوزي وغيره عن أخذ عنه وسمع منه وقد ضمن ذكر أشياخه
 وجملة صالحه من مروياته عنهم برناجيه اللذين سمى أحدهما بالنزه في التعريف بشيوخ
 الوجهه وهو كتاب حافل جامع والآخر برحانة النفس وراحة النفس في ذكر شيوخ
 الاندلس قال ابن عبد الملك المتراكشي في الصلة حدثنا عنه شيخنا أبو محمد حسن بن علي بن
 القطان وكان من أكابر المحدثين وجملة الحفاظ المسندين للحديث والآداب بلامدافعة
 يسرد الاسانيد والمتون ظاهرا فلا يخل بحفظه شيئا منها متوسط الطبقة في حفظ فروع الفقه
 ومعرفة المسائل اذ لم يكن بذلك عنايته بغيره فكان أهل شاطبة يفاخرون بأبوي عمر بن عبد
 البر وابن عات وكان علي سن السلف الصالح في الانقباض ونزارة الكلام ومثانة الدين
 وأكل الحشف ولزوم التقشف والقتال من الدنيا والزهد فيها والمثابرة على كثير من أفعال
 البر كالآذان والامامة وبذل المعروف والتوسع بالصدقات على الضعفاء والمساكين
 وحكى انه حضر في جماعة من طلبه العلم لسماع السير على بعض شيوخهم فغاب الكتاب
 أو التارى بكتابه فقال أبو عمر أنا قرأكم فقرأهم من حفظه وقال أبو عمر عامر بن نذير

لازمته مدة ستة أشهر فلم أر أحفظ منه وحضرت اسماع الموطا وصحح البخاري منه
فكان يقرأ من كل واحد من الكتابين نحو عشر أوراق عرضا بلفظه كل يوم عقب صلاة
الصبح لا يتوقف في شيء من ذلك انتهى وقال بعض المؤرخين انه كان آخر الحفاظ للحديث
يسرد المتون والاسانيد ظاهرا لا يخفى بحفظ شيء منها وصرفا بالرواية والرواية غالباً عليه
الورع والزهد على منهاج السلف يلبس الخشن ويأكل الخشن وربما أذن في المساجد وله
تأليف دالة على سعة حفظه مع حفظ من التظم والنثر وشهد وقعة العقاب التي أفضت الى
خراب الاندلس بالدارة على المسلمين فيها وكانت السبب الاقوى في تحيف الروم بلادها حتى
استولت عليها فقد حينئذ لم يوجد حيا ولا ميتا وذلك يوم الاثنين منتصف صفر سنة تسع
وسمائة ومولده سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة قال ابن الأبار وهو عن أجاز له المذكور فيما
رواه أو ألقه رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو العباس أحمد بن عيسى بن هشام بن أحمد بن جنون
البهراني من ساكني أشيلية وأصله من لبله روى عن أبيه وابن الجسد وابن زرقون وابن
جهور وغيرهم من أعلام الاندلس ثم رحل الى المشرق فسمع ببغداد من أبي حفص عمر بن
طبرزد وبخراسان من المؤيد الطوسي وبهراة من أبي روح عبد المعز وبمرو من عبد
الرحيم بن عبد الكريم السمعاني ومن جماعة غير هؤلاء وسمع أيضا بمشق من أبي الفضل
الخرستاني وسواه وبها توفي قبل العشرين وسمائة فيما نقل ابن الأبار عن ابن نقطة
وقال غيره انه مات سنة خمس وعشرين وسمائة * (ومنهم أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن محمد
ابن أحمد المخزومي من أهل قرطبة ويعرب أبوه بكوزان روى عن أبيه وغيره من مشيخة
إداه ورحل حاجا فلقى بالاسكندرية أبا الحسن بن المقدسي وسمع منه وأنشد من لفظه
بعض أصحاب الآثار قال أنشدني شرف الدين أبو الحسن علي بن الفضل المقدسي قال
أنشدني تقي بن غيث بن علي الارمنازي لنفسها

لا خير في الخمر على أنها مذكورة في صفة الجنة
لانها ان شامرت عاقلا م خامرة في عقله جنه
يخاف أن تقذفه من علا فلا تقي مهجته جنه

* (ومنهم أبو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد بن عباس السكاني المرسى سمع من ابن بشكوال
موطأ مالك رواية يحيى بن يحيى والقعني وابن بكير بقراءة محمد بن حوط الله ورحل
الى المشرق سنة تسع وسبعين وخمسمائة فخرج سنة ثمانين بعدها وأقام بالجواز والشام
مدة ولقى أبا الطاهر الخشوعي بدمشق فسمع منه مقامات الحريري وأخذها الناس عنه
وعما أفاد وزاد في قول الحريري اذا ما حوت جنى نخلة الايات قوله
ولا تأسفن على خارج * اذا ما لمحت سني الداخل
ولا تكثرا الصمت في معشر وان زدت عيا على باقل

وسمع من أبي القاسم بن عساكر السنن للبيهقي ومن أبي حفص المياشي جامع الترمذي
وقفل الى الاندلس في سنة سبع وتسعين وحدث بيسر وكان يحسن عبارة الرويا وكف
بصره سنة ثمان وعشرين وسمائة أو نحوها وتوفي على اثر ذلك ومولده سنة اثنتين

وله الارمنازي في نسخة
لارمنازي اه

قوله بيسر في نسخة بكثير اه

وخسين وخسمائة رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله بن حصن بن أحمد
ابن حزم الغافقي ويقال فيه ابراهيم بن حصن بن عبد الله بن حصن اندلسي سكن دمشق
وولي الحسبة بهم ما ويكنى أبا اسحق سمع ينفذ من أبي بكر بن مالك القطيعي وطهقتة
وبدمشق من عبد الوهاب الكلبي ويوسف بن القاسم المياجي وبصر من أبي طاهر
الذهلي وأبي أحمد الغطريقي وله أيضا سمع بالرملة واطسرابلس والدينور وغيرهما من
البلدان وحدث يسير روى عنه أبو نصر عبد الوهاب بن عبد الوهاب بن عبد الله الجباني
من شيوخ عبد العزيز بن أحمد الكافي وكان مالكا وقيل انه يذهب الى الاعتزال وكان
صارما في الحسبة ووليا سنة خمس وتسعين وثلاثمائة في أيام الحاكم العبيدي وتوفي بدمشق
في ذي الحجة سنة أربع وأربعين سنة قتل ثاني عبد الاشجي وقيل غير ذلك ذكره ابن عساكر
رحمه الله تعالى قلت ما سمعت بمالك معترلي غير هذا ولعله كان مالكا بالمغرب فلما دخل
في خدمة الشيعة حصل منه ما حصل من نسبته لمذهب الاعتزال قاله تعالى أعلم * (ومنهم
أبو أمية ابراهيم بن منبه بن عمر بن أحمد الغافقي من أهل المرية ونزل مرسية سمع يبلده
من ابن شبيب وأخذ عنه القراآت ومن الحافظ ابن سكرة وابن رغبة وعبد السادر بن
الحناط وبقرطبة من ابن عتاب وابن طريف وأبي بجر الاسدي وأبي غيث وغيرهم
ورحل حاجبا سمع بمكة من أبي علي بن العرجاء أحاديث جعفر بن نسطور وغيرهما في شعبان
سنة ست وعشرين وسمع أيضا من أبي الفتح سلطان بن ابراهيم المقدسي وقيل الى بلده
واتقل بعد الحادثة عليه الى مرسية وولي القضاء والخطبة هناك وحدث وأخذ عنه
وكان فقيها مشاورا وقيل ان ابن حبيش سمع منه الاحاديث النسطورية وأسمع صحيح
البخاري آخر الحجة سنة خمس وخسين وخسمائة وكان يحدث به عن سلطان بن ابراهيم عن
كرعة المروزي وحكى رحمه الله تعالى عن أبي ذر الهروي أنه قال عند موته عليكم بكرمة
فانها تحمّل كتاب البخاري من طريق أبي الهيثم رحمه الله تعالى الجميع * (ومنهم أبو
القاسم بن فورتن وهو اسمعيل بن يحيى بن عبد الرحمن السرقسطي وأخوه القاسم بن محمد
ابن يحيى وكانا جميعا زاهدين لهما رجليهما من أبي ذر الهروي بمكة وعادا الى
بلدهما وولي محمد منهما القضاء وقد لقبهما القاضى الحافظ أبو علي بن سكرة ولما
منهما ورويان عن أبي عمر الطنكي وأبي الحزم بن درهم وتوفي أبو القاسم في
الخسمائة * (ومنهم أبو الطاهر اسمعيل بن أحمد بن عمر القرشي العلوي الأشبيلي رحل
حاجا ودخل العراق والموصل وقبدا كثيرا ورواه وسمع من أبي حفص المياشي بمكة
سنة ٥٧٠ وحدث بالموطا عن أبي الحسن علي بن هاشم الانصاري عن أبي الوليد
الباجي وحدث أيضا عن غيره بما دل على انه كان يخلط ولا يضبط وكذلك قال أبو الصبر
كان له في الموطا اسناد عال جدا اقتصفتها فوجدته يتقن منه رجل واحد فاستربت
في الرواية عنه بعد تحسين الظن به ولم يتبها أبو الصبر لان ابن هاشم وغيره من شيوخه
مجهولون وأبو الصبر عن روى عن المذكور وهو أبو الصبر السبتي والله تعالى أعلم بحقيقة
حال الرجل * (ومنهم أبو الروح عيسى بن عبد الله بن محمد بن موسى بن محمد بن عبد الله

توله الحنات في نسخة الحنات

ابن ابراهيم بن خليل المقرئ الحيرى التاكرنى قال فى تاريخ اربيل كان شابا متادبا فاضلا
قدم مصر وله شعر حسن وقال الحافظ عبد العظيم المندوى أنشدنا المذكور لنفسه
يا قاب مالك لا تنفق من الهوى • أو ما يقسرك الزمان قسرا
أكل ذى وجهه جيل صبوة • وأكل عهد سالف تذكار
وله

يا رب أخصية سوداء حالكمة • لم ترع فى البعد الا الشمس والقمر
تخال باطنها فى اللون ظاهرها • فهى الغداة كزنجى اذا كسرها
ولد سنة ٥٩٠ بتاكرنا من بلاد الاندلس وهى من قطر قرطبة وتوفى بأرزن من ديار
بكر سنة ٦٢٩ عائد من آندرسه الله تعالى ومن بديع شعره

ان أودع الطرس ماوشاء خاطره • أبدي اعينيك أزهارا وأخبارا
وان تهذ فيه أو بعد كرها • بهت السبيرة آجلا وأعمارا
وتناكرنا بضم الكاف والراء وتخفيفها وشذائون • وورد المذكور اربل سنة سبع وعشرين
وسنة وله أبيات أجاز فيها أبيات شرف الدين عمر بن المارضى فى غلام اسمه بركات قال
الاسدى الدمشى ومن خطه نقلت كتب حاضر هذه الواقعة بالقاهرة بالجامع الأزهر
اذ قال ابن المارضى

بركات يحكى البدر عند تمامه • حاشاء بل شمس الصبحى تحكيه
فقال أبو الروح وأنشدنى ذلك

هذا الكمال قتل من قد عابه • حـدا و آية كل شئ فيه
لم تذو احدى زهرته وانما • كملت بذات الملاحه التشبيه
وكانه رام يغلق جفنه • ليصيب بالهم الذى يرميه

وقال ابن المستوفى فى تاريخ اربيل أنشدنى أبو الروح

أوصيت قلبى أن يغتر من الصدا • نلتا باني قد دعوت سمعا
فأجابتى لا تحسن سنى بعد ما • أفلت من شرك العرام وقوعا
حتى اذا نادى الحبيب رأيت • آوى اليه ملبيار مطيعا
كذبا له أنخدعها فاذا دنا • منها الضرام تعلقته سريرا
قال وأنشدنى

وزائر زارنى والليل معتكر • والطيب يصفه والخلى يشهره
أمسكت قلبى عنه وهو طرب • والشوق يهته والصون يزجره
فبت أصدى الى من لا يحلانى • والورد صاف ولا شئ يكدره
ترام عيني وكفى لآلامه • حتى كانى فى المرآة أنظره

قال وأنشدنى قال الامام أبو عمرو بن غياث الشريشى لنفسه رحمه الله تعالى
صبوت وهل عار على الحب ان صبا • وقيد تغتر الاربعين الى الصبا
وقالوا مشيت قلت واعمالكم • أينكم صبح قد تخال غيما

وايس مشيبا ماترون وانما * كبت الصبا لما جرى عادتها
وتوفي أبو عمرو سنة ٦٢٠ عن تسعين سنة قال ابن المستوفى وأنشدني المذكور
قال أنشدني أبو عمرو وأيضاً لنفسه

أودع فؤادي حسرة أودع * نفسك تؤذي أنت في اضلعي
أملك سهام اللعظ أو فارمها * أنت بجارحي مصاب مبي
موقمها القاب وأنت الذي * مسكنه في ذلك الموضع
قال وأنشدني قال أنشدني مطرف الغرناطي

أنا صيب ككاشاء وتهوى * شاعر ماجد كريم جواد
سنة سنها قد بما جيل * وأنى المحدثون مثلي فرادوا

قال وأنشدني أيضاً مطرف

وفي فروع الايك ورق اذا * بل الندى أعطاها تجميع
أوهزها نفح نسيم الصبا * شافك منها غسرت شرع
كأنما ربطتها منسبر * وهي خطيب فوقه مصقع
ان شيبا في طرف لوعة * جرى لها في طرف مدمع
ما خذ من قول عبد الوهاب بن علي المالك الخطيب

كان فؤادي وطرفي معا * هما طرفا غصن أخضر
اذا اشتعل النار في جانب * جرى الماء في الجانب الآخر

تم طبع الجزء الاول بعون من عليه الاعتماد والمقول من

كتاب نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب

وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب

وكان تمام طبعه وحسن تنسيقه

ووضعه بالمطبعة الميرية

المصرية في الايام

السعيدية

٢

وبطيه الجزء الثاني أوله ومن المرتحلين من الاندلس الى المشرق

الامام النحوي اللغوي نور الدين أبو الحسن

هذا الجزء خالص الكمر

4096

5/2

